دكتور كرم الصاوى باز

ممالك النوبة فى العصر المملوكى

اضمحلالها وسقوطها، وأثره فى انتشار الإسلام

فى سودان وادى النيل

(من ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)



مكتبة الأنجلو المصرية



ممالك النوبة في العصر المملوكى

هذا الكتاب

يقدم موضوعاً فى غاية الأهمية فى تاريخ الإسلام والثقافة العربية فى سودان وادى النيل ؛ ولعل اختيار دراسة ممالك النوبة فى العصر المملوكى (من ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) يضفى العلاقة القائمة بين مصر والنوبة ؛ فقد امتدت السيادة المصرية نحو ممالك النوبة المسيحية (مملكتا المقرة وعلوة) ؛ وتدفقت القبائل العربية لتغير هوية الثقافة النوبية ، وشيوع الثقافة العربية الإسلامية المنطلقة من مصر منبر الإسلام والأزهر الشريف .

ويأتى هذا الكتاب نتاج تخصص دقيق فى الدراسات الأفريقية وتعمق فى الصراع الثقافى ؛ وتغير الهوية النوبية لعصر الممالك والمشيخات الإسلامية (مملكة الفونج ، العبدلاب ، تقلى ، المسبعات ، الفور) .

وتبرز الدراسة التغيرات التى أعقبت هذا السقوط ، اعتماداً على الوثائق التى جمعها الباحث من السودان ، والدراسات الأركيولوجية من النوبة ، وعيذاب ، وقصر أبريم ، وثغر أسوان .

مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
The World of Words & Thoughts

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

باز ، كرم الصاوى .

ممالك النوبة فى العصر المملوكى : اضمحلالها وسقوطها واثره فى انتشار الاسلام فى سودان وادى النيل :

/ كرم الصاوى باز . – ط١. –

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٦ .

٦٢٤ ص ،١٧× ٢٤ سم

١- السودان – تاريخ – مملكة النوبة المسيحية أ- العنوان

رقم الإيداع : ٩٦٨٣

ردمك : ٢ -٩٧٧-٠٥-٢٢٣٩ تصنيف ديوى :٤٠١و٩٦٢

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة – جمهورية مصر العربية

ت : ٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

ممالك النوبة فى العصر المملوكى

اضمحلالها وسقوطها وأثره فى انتشار الإسلام

فى سودان وادى النيل

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

تأليف

الدكتور/ كرم الصاوى باز



مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

إهـــــداء

الى زوجتى انس الوجود

ورحلة عطاء

ابنى محمد الفنان

وعالم الإبداع

أهـديكـم ثـمــــــــرة رحـلـتـى

ومـشـوار حـياة عـبر الـنهر الخـالد

سـلام عليك يا حابى يا من تخـرج

الـى هذه الأرض، وتـأتـى لتــحـى

مــــصــــــر ووادى الـنيـل.

شكـــر وتقديـــر

لا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أشكر الله عز وجل «قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين» صدق الله العظيم.

أسجل شكرى وعرفانى وامتنانى لاستاذى الجليلين المرحوم الاستاذ الدكتور حسن أحمد محمود أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الاداب جامعة القاهرة؛ والاستاذ الدكتور/ محمد عبد العال احمد رحمه الله؛ استاذ التاريخ الاسلامى بمعهد البحوث والدراسات الافريقية لتوجيهاتهما ورعايتهما لإخراج هذا البحث فى ثوب قشيب فلهما منى أجزل الشكر مع عرفانى بالجميل.

واتقدم بالفضل والاعزاز للمرحوم الاستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم أبو سليم مدير دار الوثائق القومية بالخرطوم (سابقا) والدكتور على صالح كرار، والسيده ناهد ابراهيم طه لاحتضانهم لى وللتسهيلات التى قدمت أثناء اقامتى فى دار الوثائق القومية بالخرطوم.

كما أختص بالشكر والتقدير الاستاذ الدكتور بركات الحواتى الذى أمدنى بكثير من الوثائق وأشجار النسبه وعقود الزواج من بنى الكنز.

وأتقدم بالشكر والتقدير للدكتور أحمد على الحاكم بشعبة الأثار بالخرطوم والدكتور على عثمان والدكتور خضر عبد الكريم بشعبة الأثار، وذلك لتقديم كافة التسهيلات بالإطلاع على وثائق دراستى بالنوبة.

كما اختص بالشكر الاستاذة الدكتورة محاسن الصافى بمعهد الدراسات الافروأسيوية بالخرطوم، والاستاذة الدكتورة اليزابيث سارتين بالجامعة الامريكية بالقاهرة لمساعدتهما فى اعطائى المزيد من المعلومات عن وثائق النوبة.

واتقدم بوافر الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة زبيدة عطا استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الاداب جامعة حلوان والاستاذ الدكتور حامد زيان استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الاداب جامعة القاهرة لتفضلهما بأثراء هذا البحث لاخراجه فى ثوب جديد.

وأشكر اساتذتى بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة لاحتضانهم لى ومساعدتى اثناء اعداد المادة العلمية سواء فى مصر والخارج جزى الله الجميع عنى خير الجزاء.

المقدمـــة

لا ريب أن ظهـور الممـاليك فى سـاحـة التـاريخ الإسـلامى. ومـا سطروه من صفحات مجيدة. يعد مأثرة من أعظم مأثر الحضارة الإسلامية. وقد تضافرت عوامل عدة أدت لاظهار هذه المأثر يأتى فى مقدمتها أمن مصر القومى، ومدى الفهم البالغ بالعامل الدولى والإستراتيجى، فقد تصدت مصر لخطرين عظيمين هما المغول والصليبين، وخرجت من هذه المحن تمثل مركز الثقل فى العالم الإسلامى.

ولعل اختيار موضوع: ممالك النوبة فى العصر المملوكى: اضمحلالها وسقوطها وأثره فى انتـشـار الإسـلام فى سـودان وادى النيل (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠هـ-١٥١٧م) اختيار موفق للعلاقات القائمة بين مصر وسودان وادى النيل، فهما يمثلان كيانا واحدا لا يمكن ان ينفصل أحدهما عن الآخر.

هذا ومع تطور الفن الحربى فى عصر دولة سلاطين المماليك، أخـذت مكانة مصر فى الصدارة تزداد قدماً وترسيخاً للأسس المتينة التى قامت عليها، الا وهى: الجهاد، والردع، والمشاركة، والتفاوض.

وعملاً بهذه الأسس التى قامت عليها الدولة المملوكية أمتد النفوذ المصرى نحو مملكة النوبة المسيحية (المقرة)، وذلك منذ أن اختط ملكها داوود سياسة هجومية ضد مصر بغزوه كلا من عيذاب وأسوان فى سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢ م، ولذلك قامت مصر بحملات عسكرية الغرض منها وضع حدا لهجمات ممالك النوبة المسيحية، ثم لجعل مملكة المقرة دولة تابعة لمصر.

وقد كانت حـملات سلاطين مصر من أهم الأسباب التى قوضت الإطار السياسى لنظام الحكم فى بلاد النوبة. ومهدت لغلبة العرب والمسلمين، فقد استطاع خلفاؤهم من بنى الكنز اعتلاء عرش النوبة فى سنة٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الأم، وعلى تأييد النوبيين المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش المملوكية ، وبذا انتقل الحكم الى فرع نوبى مسلم مستعرب.

وبسقوط مملكة المقرة المسيحية فى أيدى المسلمين انهار السد المنيع الذى ظل عدة قرون يحول دون توغل العرب فى حوض النيل الأوسط، ومن ثم تدفقت القبائل العربية، لتغير هوية الثقافة النوبية، بشيوع الثقافة العربية الاسلامية المنطلقة من مصر منبر الاسلام والأزهر الشريف.

ولما وضحت غلبة الاسلام وشيوع الثقافة العربية، وانتشار القبائل العربية فى اجزاء كبيرة من السودان الشرقى، ظهرت سلسلة من السلطنات الاسلامية التى امتدت عبر هذه الاقاليم فى الفترة الواقعة بين منتصف القرن الخامس عشر ومنتصف القرن السابع عشر، وهى ممالك العبدلاب والفونج وهى الواقعة جغرافيا فى منطقة دراستنا ، ثم تقلى والفور والمسبعات.

وكانت أولى هذه الممالك ظهورا مملكة العبدلاب التى نشأت فى الجزء الشمالى من السودان الشرقى مهد بعض الحضارات القديمة ومركز الثقل الحضارى والسياسى فى عهد علوه، وقد تعرضت هذه المنطقة لقدر كبير من النفوذ العربى ممثلا فى استقرار مجموعات كبيرة من العرب فيه، ومن ثم تمت الغلبة للثقافة العربية، وقد ادى ازدهارها الى ظهور عدد من المراكز الدينية الهامة تمكنت من ان تتصدر الزعامة الدينية والروحية، وان تكون مصدر اشعاع اسلامى وحضارى لباقى اقاليم السودان الشرقى. فما ان تمت لهذه الاقاليم الصدارة الثقافية والدينية حتى بدأت هجرة العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية الى المناطق حديثة العهد بالاسلام والواقعة على أطراف دار الاسلام، ولم تبلغها الدعوة الاسلامية سواء اكانت فى داخل تكوينات سياسية فى السودان الشرقى او فى خارجه. وبعبارة اخرى فان معظم من حملوا المشعل كانوا جيلا جديدا من المسلمين (من النوبة المستعربين) وأمثالهم، من الركابية والمحس والجعليين.

ان اقتران نشأة هذه الممالك الاسلامية بهجرة القبائل العربية المنطلقة من مصر الى السودان الشرقى دفعنى لأن اركز الدراسة على مظاهر سقوط الممالك

المسيحية؛ ومن ثم نشأة تلك الممالك الاسلامية وتطورها، مستهدفا إبراز مقوماتها الأساسية ومعالمها الرئيسية في حدود ما تظهره الوثائق المتاحة من الأنساب والعقود الخاصة بالفونج والعبدلاب ثم المصادر التاريخية، وكتب الرحلات موضحا تلك البنية التى قام عليها مجتمع سودان وادى النيل بتركيبة الاقتصادى والاجتماعى والثقافى.

ولعل اختيار مصطلح سودان وادى النيل لم يكن معروفا طوال فترة العصور الوسطى، فالنوبة وقتذاك – حسبما ورد فى النصوص والوثائق المعاصرة– كانت اكبر مساحة مما هى الان ، إذا اشتملت وقتذاك على اجزاء وادى النيل الممتدة من اسوان الى جنوبى التقاء النيليين الابيض والازرق، وذلك بالاضافة الى مناطق من حوض النيل الازرق والعطبرا حتى اطراف الحبشة شرقا، واقاليم من كردفان ودارفور غربا.

أما لفظ السودان، كما ورد عند المؤرخين المسلمين والرحالة فيطلق على الاقليم الممتد من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الاطلنطى غرباً، ومعنى هذا ان النوبة وبلاد البجة فى العصور الوسطى هى سودان وادى النيل.

ودراسة هذه الفترة الزمنية من تاريخ مصر المملوكية، وسودان وادى النيل يؤكد انها فترة متميزة ، وبداية عهد جديد، وخاصة لمجتمع سودان وادى النيل، ولكن هذه المرحلة التاريخية كان من الصعب الإلمام بكل ما حدث فيها من تطورات، والسبب فى ذلك قلة ما خلفه الأوائل من السودانيين، ولا يرقى الى مستوى المؤلفات التى نبغ فيها الكتاب المسلمون عن هذه الديار، وقد حاول الباحث ان يطرق مجالا يثرى الدراسة التاريخية الا وهو الوثائق المعاصرة لهذه الفترة التاريخية فى سودان وادى النيل، لأن من بينها وثائق تتعلق بالارض والخراج، واسناد المناصب ، وانظمة الادارة ، وطرق التجارة، واثمان البضائع، والمواد الغذائية ، وشراء المنازل ، وعقود الزواج والطلاق، فضلا عن بعض المكاتبات الخاصة التى تكشف عن بعض العادات والحياة الإجتماعية فى سودان وادى النيل.

هذا وقد سافر الباحث الى ميدان هذه الدراسة للحصول على الوثائق الخاصة بتاريخ هذه الفترة ، ولعل من أهم الكتابات التى نالت اهتمام السودانيين خاصة بين

القبائل العربية أو النوبة المستعربين، هى أوراق النسبة التى تؤرخ لنسب أسرة أو قبيلة ابا عن جد حتى تصل بشجرة نسبها إلى النبى (ﷺ)، أو عمه العباس أو الزبيرين العوام أو عبد الله الجهنى أو احدا من جلة الصحابة، وقد صور الباحث بعضها من دار الوثائق القومية بالخرطوم، كما حصل من بعض الاسر على انسابها لاسيما اسرة الدكتور بركات الحواتى من الكنوز. وقد الحقت بعضها بملاحق الكتاب لما لها من اهمية فى دراسة انتشار القبائل واندماجها مع عناصر الوطنيين.

وقد اعتمد الباحث فى هذه الدراسة على عدد من المصادر من أهمها : الوثائق: وتاتى فى المقام الاول بين مصادر التاريخ الاسلامى ولعل من اهمها وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣ هـ/١٣٣٢م (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم ٤٢٢٢)، وقد زودتنا الوثيقة بمعلومات بالغة الاهمية من حيث تطور عقود الزواج وتوثيقها فى سودان وادى النيل، وتوضح مدى تطبيق الشرع وحدوده من حيث الصداق، وهل كان يدفع نقدا ام عينا، عاجلا أو آجلا، هذا بالاضافة الى عدد الشهود على العقد وتزخر هذه الوثيقة بمعلومات قيمة عن اول ملك عربى مسلم فى دنقلة وهو كنز الدولة ابو عبد الله محمد بن شجاع (٧١٧هـ/١٣١٧م)، وتبين النسب والالقاب المستخدمة وقتذاك.

هذا وقد عرض الباحث مجموعة قيمة من عقود الزواج الخاصة بأمراء واميرات من بنى الكنز من ثغر اسوان، وهى مسجلة بالمتحف المصرى الاسلامى تحت رقم (٤٢٢٣) ، (٤٢٢٤)، ويرجع تاريخها الى القرنين السابع والثامن الهجريين، ومع الاطلاع على مجموعة الوثائق الهامة التى اكتشفت فى قصر ابريم عام ١٩٦٦م، وهى عبارة عن مائة واثنين وعشرين وثيقة وهى تغطى الفترة العثمانية، وقد حاول الباحث اجراء مقارنة بينها وبين وثائق فترة الدراسة لمتابعة مدى التطور فى الموضوعات التى تناولتها خاصة الارض والزواج، وقد نشرت هذه الوثائق فى كتاب: Martin Hinds and Hamdi SAKKout: Arabic Docments From The ottoman period from Qasr Ibrim, 1986.

ولعل هذه الوثائق تعطى قيمة كبيرة فى ابراز التغيرات التى حدثت فى مجتمع سودان وادى النيل على اثر انهيار ممالك النوبة المسيحية.

كذلك أمكن الاطلاع على ثلاث وثائق خاصة باقليم دارفور، تم نشرها عام ١٩٧٤م بواسطة: R.S.O Fahey & Sharif Harir: Sudan texts Bulletin,VII,: November 1985, Edited by Ali O`Sman and Robinthelwall, University of Uister.

وتلقى أضواء جديدة على تطور عقود الزواج، وكذلك النفقة والمطالبة بها فى سودان وادى النيل.

ومن الوثائق ذات القيمة الكبيرة بحث الفونج والارض الذى اصدرته شعبة ابحاث السودان التابعة لجامعة الخرطوم بالتعاون مع دار الوثائق المركزية بالخرطوم عام ١٩٦٧م ، وقد حصل الباحث على مسودة الطبعة الجديدة من المرحوم الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم الذى أشرف على تحقيق هذه المجموعة الخاصة بالفونج: وقد تضمنت هذه الوثائق مجموعة كبيرة صادرة عن شيوخ العبدلاب وعليها اختامهم الرسمية.

وبرغم ما أخذه عليها الشيخ عثمان اونسه كبير العبدلاب وقتذاك فى مذكرة رفعها لمدير الشعبة من اضطراب بعض التواريخ الواردة فى ثنايا بعضها، ومن اختلاف اسلوب هبة الارض الذى جاء فيها عما هو معروف لدى العبدلاب، ومع خلطها فى اكثر من موضع بين شيوخ قرى وشيوخ الحلفاية، فان قيمتها تظل كبيرة لأن هذه امور يمكن ان تختلف فيها وجهات النظر، وهى قابلة للاخذ والرد. وقد كانت هذه الوثائق خيرعون لى فى دراسة الجانب السياسى للسلطنات الاسلامية سواء الفونج او العبدلاب، هذا بجانب انها تحوى على معلومات قيمة عن حيازة الارض وعدد السواقى المستخدمة فى حدود الارض.

كذلك هناك وثائق خاصة باوراق النسبة، منها نسب العبدلاب بدار الوثائق المركزية، وينسب لابن الحاج حسين ابن شريف الفحل بن ضباب بن اونس بن كليس

بن عجيب بن ديومة بن عبد الله جماع. وقد حوت هذه الاوراق معلومات مفصلة عن نسب العبدلاب وبعض اخبار دولتهم.

وقد جمع ما كما يكل عددا كبيرا من هذه الوريقات بعد ان ترجم اجزاء منها، ودرسها دراسة تفصيلية ضمنها فى كتابيه: The tribes of Northern and Central Kordofan, Cambridge 1912. - A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols, Cambridge, 1922.

وهناك وثيقة بالغة الاهمية لاحد مشايخ العبدلاب، يرجع تاريخها الى وقت مبكر من حكمهم، قام بنشرها د/ احمد عبد الرحيم نصر فى كتابه، الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة، وتوضح هذه الوثيقة حدود العبدلاب.

ومن مصادر العبدلاب التى لا يستغنى عنها باحث فى تاريخهم وثيقة نشرها المسترين A.E.D penn تحت عنوان :

Traditional Stories of the Abdullab Tribe"

S.N.R XVII. (1934) 58-82 .

واشتملت على تاريخ العبدلاب منذ نشأتها حتى سقوطها، وهو كثير الشبه – من حيث المحتويات والخصائص– بمخطوط واضح البيان وهولاغنى عنه لدراسة مشيخة العبدلاب.

وفى مكتبة الشيخ عثمان اونسة كبيرة العبدلاب نسخة منقولة من مخطوط مجهول المؤلف بعنوان : (تاريخ ملوك العبدلاب) ويبدو من صياغته انه لمؤلف حديث وعلى ايه حال لا يخرج عن مضمون سابقيه، مما يدل على انه مأخوذ من كليهما.

ومن المخطوطات بالغة الاهمية مخطوط : واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الى تاريخه من تأليف ابن الارباب الحسن بن شاورين عجيب بن أونسة بن شمام بن عجيب الثالث احد ملوك العبدلاب،

وقد ذكر المؤلف فى مقدمتها ان كثرة الروايات المخالفة للحقيقة بالنسبة لتاريخ العبدلاب هى التى دعته لأن يلبى طلب جماعة من أهل الفضل فيؤلف هذا الكتاب.

والمخطوط لايزال اصله بيد اسرة العبدلاب، وقد أودعت نسخة مصورة منه بدار الوثائق القومية بالخرطوم رقم : (Misc 1/20/232)

وهو لم ينشر بعد، ولكن نشرت عنه دراسات فى عدة حلقات فى (مجلة الخرطوم/ يناير ١٩٦٨م)، وقد اشتمل على تاريخ العبدلاب منذ قيام دولتهم حتى سقوطها سنة ١٢٣٦هـ، وما بعد هذا التاريخ بقليل. وقد وصفه الاستاذ صلاح محيى الدين بقوله: ان المخطوط أثر تاريخى يشكل مصدرا اصليا بالنسبة لمادة تلك الحقبة فيما يختص بملوك العبدلاب وقبيلتهم بوجه خاص، وهى مخطوطة توارثها احفاد تلك الشجرة من ملوك العبدلاب، وحرصوا على احاطتها بالعناية، بوصفها مصدرا حيا تستحق الاحتفال العظيم، ولاسيما فى محيط الباحثين والدارسين والمحققين.

ومن المخطوطات السودانية تاريخ مختصر بارض النوبة محفوظ بدار الوثائق القومية بالخرطوم ، تحت رقم: (Misc 1/15/191).

ويتألف المخطوط من جزئين: الاول منسوب الى المقريزى وموضوعه البقط، وقد ذكر فيه بعض أخبار حملات المسلمين الاولى على النوبة، والثانى مجهول المؤلف، ويغلب على الظن انه نسخة اخرى من مخطوط كاتب الشونة لتشابه المحتويات.

وهناك مخطوط للمقريزى بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت عنوان: مخطوط من عبد الله بن ابى السرح وعلاقته بالرسول يتحدث فيه عن البقط المقرر على النوبة، والحملات العسكرية الاولى، وقد صور الباحث نسخة منه.

اما من مضمون هذه المخطوطات فان هذه النسخ جميعها تتشابه بصورة عامة فى موضوعها، لكنها تختلف فى بعض التفاصيل، وهى تؤرخ لدولة الفونج. فتبدأ بذكر اول ملوكهم عمارة دنقس ثم تتابع تسلسلهم حتى نهاية دولتهم.

كذلك استعنت –عند تحقيق انساب السودان – بمخطوط يعتقد انه كتاب انساب

العرب المفقود الذى الفه الامام السمرقندى (قيل انه عاش فى العقود الاولى من قيام دولة الفونج) بطلب من ملك الفونج عمارة دنقس، وارسل الى السلطان سليم العثمانى، وهى نسخة بخط اليد، غير انها ناقصة فى الاول والآخر، ومع انها وضعت اصلا فى الانساب الا انها اشتملت على بعض الاخبار، وقد اودعت بدار الوثائق المركزية نسخة منها، ويبدو انها النسخة التى اعتمد عليها ماكمايكل فى كتابه الذى سنعرضه له بعد قليل.

وبعد هذا تاتى اوراق نسبة كثيرة جمعتها من دار الوثائق تحت عنوان: متنوعات Misc 1/16/184، والظاهرة المشتركة بين هذه الاوراق جميعا عنايتها بالدرجة الاولى ينسب بعض القبائل العربية فى السودان، غير انها تصور – مع ذلك– بعض جوانب الحياة السودانية بعامة. ويمكن ان نميز من هذه الاوراق:

-نسبة البكرية وبنى العباس جمعها الشيخ ابراهيم الحاج بابكر (ت ١٩٣٠) .

- نسبة أحمد الازهرى.

- مجموعة من نسب القبائل العربية كتبها عبد الجليل محمد دفع الله لأخيه محمد بن الحاج على بن الماحى بن مضوى بن دفع الله، سنة ١٣٢٦هـ .

- قبائل العرب كتبها عمدة الخط الثانى محمد أحمد عمر بطلب من مفتش (الكاملين) (عزتلو) افندم .

- اوراق نسب لا يعرف مؤلفها فى ملف يحمل صفحات : (٤٨٩–٥٠٣) وقد وجدت فى آخر الاوراق هذه العبارة وهذا ما تحرر مسودا على شجرة وجدت بخط الحسن بن على اخى السيد احمد البدوى محفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم (Misc 1/15/184).

- بعض انساب العرب وهناك نسخة مصورة بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : . Misc 1/18/198

– وهذه وان اتفقت فى مضمونها مع اوراق دار الوثائق السابقة الا اننى عثرت عليها فى وثائق انساب الشيخ الامين الفكى يوسف المقيم فى جامع والده ببلدة شندى. واذ افيد باننى قد استفدت من هذه الوثائق .

– اما عن مخطوطه كاتب الشونة. فقد تنبه الباحثون الى اهميتها منذ ان اعتمد عليها ستيورات Stewart، فى كتابه تقرير عن السودان :

(Stewart,:Report on the Egyptian Province of the Sudan, London, 1883).

– اذ تمثل مصدرا هاما للدراسات عن تاريخ مملكة الفونج، وعنه نقل بدج Budgeفى كتابه السودان المصرى:

Wallis Budge: The Egyptian Sudan, London 1907.

كما تمثل واحدة من مخطوطاتها المتعددة مصدرا هاما لكتاب جاكسون Jackson : سن النار.. H.C.Jackson: Tooth of Fire, London 1912.

وترجمها ماكمايكل Macmichaelفى كتابه: تاريخ العرب فى السودان ونشرت فى طبعتين محققتين الاولى باسم تاريخ ملوك السودان، الخرطوم ١٩٤٧، لمكى شبيكة، والثانية باسم: مخطوطة كاتب الشونة او تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية ، القاهرة ١٩٦٣م، للشاطر بصيلى عبد الجليل.

ولا تخلو النسخ العديدة التى عثر عليها من هذا الكتاب من اختلاف واضح فى حجمها، وانتهاء امدها واسلوبها، ومرد ذلك الى ان الكتاب قد تناوله اكثر من تأليف وتنقيح وحذف وزيادة.

ويقرر الاستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل ان مخطوطة دار الكتب المصرية التى تنتهى فى ربيع الاولى سنة ١٢٥٤/مايو – يونيو ١٨٣٨م هى اقدم النسخ التى وصلتنا، ومن ثم اتخذها اصولا لتحقيقه، وقارنها بنسخة مخطوط: اسطنبول تاريخ ملوك السودان، مجموعة عارف حكمت بك رقم ٣٤٢٩/١٣٨ مكتبة بايزيد .

(قيل انها صورة طبق الاصل من نسخة دار الكتب المصرية ،١٨م) ونسخة باريس :

Bibliotheque Nationale, MS Arabe. 5069, Paris.

ونسخة لندن :

Brithish Museum: Or . 2345.

(وعند بعض السودانيين نسخ شبيهة منها) .

ونسخة فينا :

National bibliothek, MS Mixt 677a, Vienna.

ومع تأييد البرفيسور هولت P.M.Holt فى ان نسخة فينا التى تحوى معلومات تاريخية هامة عن اصل الفونج لا توجد فى النسخ الاخرى: هى أقدم اصلا من نسخة دار الكتب الا ان انتهاء سردها فى عام ١١٩٠/ ٧٦٠-١٧٧٧ ربما يجعل منها جزءا من الاصل وليس الاصل كله. وقد ضمن هولت ملاحظاته فى :

P.M.Holt: Fung Origins, A New Critique and Evidence, Journal of African History (IV), 1963, P.M. Holt: Traditional historical writing of the Nilotic Sudan, Rened article of the Centra of African Studies, School of Oriental and African Studies, London.

ومن المخطوطات الهامة التى افادتنى فى موضوع دراستى، كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى اخبار مكة والمدينة تأليف الشيخ عبد المحمود ابن الاستاذ نور الدايم الطى، وهى مخطوطة بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Mis 1/ 15/186وهى غير منشورة ، تحوى الكثير من المعلومات الهامة عن مدن البحر الاحمر، وعلى الأخص مدينة سواكن ، ومشاهد القبور الموجودة بها وخاصة للاولياء، كما توضح كيفية القيام برحلة الحج عبر بحر القلزم، والمشاق التى تعترض المسافرين، وتعطينا معلومات قيمة عن ميناء عيذاب وأهميته الحيوية وقتذاك.

اما الآثار والنقوش فهى مثل الوثائق الرسمية فى القيمة، وقد شاركت بعض البعثات المصرية فى أعمال الحفر والتنقيب عن اثار بلاد النوبة بعد ان وجهت منظمة اليونسكو نداءها لإنقاذ آثار النوبة. ومن البعثات التى كان لها فضل الكشف عن الاثار المسيحية بالمنطقة بعثة مصلحة الآثار فى قسطل وبلانه وتافه ودابود وكلابشه وعمدا ووادى السبوع.

وقد نشرت هذه الحفريات فى :

Shafik Farid: Excavation of the Antiquities Department at El-Sebu (1963).

Fauilles En Nubie II, id , Qustul, Ballana, Tafe, Debod, Kalabsha, Amada and Wadi El-Sebu, Actes du II , Symposium.

وبعثة جامعة الاسكندرية، وكانت حفائرها فى جبل عدة . نشر هذه الحفريات:

Mostafa El-Amir, : Fouilles de l`Universite d`Ale andrie a Gebel Adda, 1959. Fouilles En Nubie I, pp. 35-38).

ومن الجدير بالملاحظة ان المقابر الاسلامية التى عثرت عليها هذه البعثة لم تفحص وقت اكتشافها لعدم وجود متخصصين فى الاثار الاسلامية بين أعضاء البعثة، وهى ظاهرة عامة تميزت بها البعثات الاخرى، مما ادى الى ضياع كثير من المادة الاثرية والمعلومات الخاصة بالاثار الاسلامية فى بلاد النوبة.

اما البعثات الاجنبية فكانت منها البعثة المشتركة لمعهد الدارسات الشرقية بجامعة شيكاغو، والمعهد السويسرى بالقاهرة ، وكانت حفائرها فى المنطقة بين خوردهميت وبيت الوالى :

Keith C. Seele., : From Khor Dehmit to Beit El-Wali Oriental Institute Egyptian Asswan High Dam Program Joint Expeditition with the schweizerisches Institut Report of Season 1960-1961 Fouilles En Nubie.

وبعثة المعهد التشيكوسلوفاكى للاثار المصرية بجامعة تشارلز، وكانت حفائرها فى تافة حيث تم الكشف عن معبد تافة الجنوبى الذى بنى فى العهد الرومانى، واستخدمه المسيحيون كنيسة، نشرت هذه الحفريات:

Zbynek Zaba, Tafa and Qertassi, Geiloslovak Institute of Egyptolgy of Charles University, Asswan High Dam Program, Report of Season 1961. Fouilles En Nubie 1, id Second Season 1962.

كذلك بعثة جامعتى ميلان وروما التى قامت بحفائرها فى دهميت وكلابشة واخمندى والمحرقة وتأميت وغيرها.

وفى قصر ابريم أجرت جمعية التنقيب عن الآثار المصرية بلندن حفائر ذات أهمية كبيرة فيما يتعلق بتاريخ النوبة ، وتولى أيمرى الإشراف على أعمال الموسم الأول الذى بدأ فى الثامن والعشرين من يناير عام ١٩٦١ ثم تولى المهمة مارتن بلمى J.M. Plumley .

وفى قرية عبد الله نرقى قامت البعثة الهولندية التابعة للمتحف الوطنى للآثار بلايدن بحفائرها سنة ١٩٦٢م ال سنة ١٩٦٤ . وبهذا ظهرت عدة أبحاث نشرت منها وجهات نظر جديدة عن تاريخ النوبة المسيحية والإسلامية من خلال الاستفادة من نتائج التنقيب. من هذه الأبحاث :

Adams, W.Y.: Post-pharaonic Nubia in the light of, Archaelogy l, J .E. A 50, 1964, ll, J. E. A. , 1965, id III, J. EA. 52, 1966.

وتنفيذا للاتفاقية الثقافية بين جامعة الخرطوم، وجامعة ليون الثانية الفرنسية تكونت بعثة سودانية فرنسية مشتركة للقيام بأبحاث علمية تشمل بيئة سواحل البحر الأحمر السودانية، وقد استفدت من هذا التقرير، وخاص عن مدينة عيذاب وتطورها الحضارى، وقد نشر نتائج هذه الحفريات الدكتور احمد على الحاكم: المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث العلمية فى منطقة البحر الأحمر السودانية ٧٩-١٩٨١،

مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس سنة ١٩٨٣ (٣٠-٤٧) .

وأما المصادر العربية، فيعتبر كتاب ابن عبد الحكم (١٨٧- ٢٥٧هـ / ٨٠٣-٨٧١م) فتوح مصر وأخبارها من اقدم الكتب التى وصلتنا. والتى تتحدث عن علاقة مصر ببلاد النوبة وارض البجة، وهو يعطى معلومات قيمة عن معاهدة البقط، والحملات الأولى التى جردتها مصر لتأمين الثغور الجنوبية من اعتداءاتهم المتكرر.

ومن الغريب ان ابن عبد الحكم لم يعط اهتماما لهجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة على الرغم من انه كان معاصرا لبعض هذه الهجرات، ومن بينها هجرة قبيلة ربيعة فى عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م إلى الحوف الشرقى ومنها الى بلاد البجة، وخاصة منطقة العلاقى، ولعل مرد هذا النقص عند ابن عبد الحكم يعود إلى اهتمامه بالمظاهر الفقهية اكثر من اهتمامه بسرد المعلومات التاريخية وتصنيفها وتحليلها، فضلا عن تركيزه على مصر وبلاد المغرب والأندلس.

ومن المصادر التاريخية المبكرة كتاب فتوح البلدان لمؤلفه احمد بن يحيى البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) يزودنا البلاذرى فى هذا السفر بمعلومات جيدة حول علاقات مصر مع بلاد النوبة منذ الفتح العربى لمصر وحتى العصر الذى عاش فيه متتبعا الحملات العسكرية الأولى وحتى حملة القمى على بلاد البجة؛ ترجع أهمية معلوماته فى انه اخذ بعضها عن شهود عيان، كما نقل بعضها من وثائق سجلات الديوان فى مصر.

أما كتابه الآخر: انساب الأشراف ، فان البلاذرى يشير إلى هجرة بعض الأمويين ال بلاد النوبة بعد سقوط الدولة الأموية واستيلاء العباسيين على الحكم . وهذه المعلومات تلقى ضوءا على بعض التطورات السياسية والاجتماعية اللاحقة فى سودان وادى النيل حيث ادعت بعض الأسر السودانية، فيما بعد أنها تنحدر من اصل أموى معتمدة فى ذلك على ما تذكره المصادر من هجرة بعض أفراد الأسرة الأموية واتباعهم الى تلك المنطقة هرباً من بطش العباسيين.

أما المسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م) فيعتبر من أجلة المؤلفين وأكثرهم فائدة فيما يتعلق بتاريخ القبائل العربية ، اذ وضع كتابا بعنوان مروج الذهب ومعادن الجوهر وصف فيه النوبيون من حيث أصلهم ، ويزودنا بمعلومات قيمة عن إمارة ربيعة العربية الأولى فى وادى العلاقى ومنطقة المعادن فى صحراء العتباى وعلاقاتهم بالبجة.

ويبدو انه أخذ معلوماته من شهود عيان، ومن التجار الذين كانوا يفدون من بلاد المعدن الى الفسطاط، حيث صنف معلوماته فى هذا الصدد بينما كان فى زيارة الفسطاط هام ٣٣٢م/٩٤٣.

ويزودنا المسعودى بمعلومات أصلية وجديدة عن استقرار بعض القبائل العربية فى منطقة الصعيد، وفى مدينة أسوان أبان سيطرة ربيعة على تلك المنطقة فى الوقت الذى سجل المسعودى فيه معلوماته فى العقد الرابع من القرن الرابع الهجرى. ويعطى معلومات اقتصادية هامة تشير الى التطور الاقتصادى والزراعى بشكل خاص فى بلاد النوبة وارض البجة.

أما فى كتاب التنبيه والأشراف فان المسعودى يمدنا ببعض المعلومات ذات العلاقة بموضوع بحثنا، وخاصة هجرة بعض الأسر والقبائل العربية الى منطقة الصعيد ومنها الى بلاد النوبة وارض البجة.

اما شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى المعروف بابى شامة (٥٩٩هـ /١٢٠٣م) (ت عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) فهو صاحب كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية فقد اعتمد فيه على من تقدمه من المؤلفين مثل عماد الدين الكاتب «البرق الشامى»، وابن ابى طى مؤلف كتاب «سيرة صلاح الدين»، وكذلك القاضى الفاضل؛ وابن شداد وغيرهم.

ويزودنا ابو شامة بمعلومات هامة عن علاقة الدولة الأيوبية ببلاد النوبة وخاصة حملة توران شاه عام ٥٦٨هـ ، بداية التطلع المصرى نحو الجنوب.

وثمة مؤلف اخر يزودنا بمعلومات قيمة عن بعض مظاهر العلاقات بين النوبة والسلطنة المملوكية في مصر، وهو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن الفرات الذى ولد عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م ، وتوفى عام ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م الف كتابا بعنوان تاريخ الدول والملوك بدأه بحوادث القرن الثامن الهجرى، ثم عاد بالحوادث حتى عام ٥٠٠ هـ ،وتوفى قبل ان يكمل مؤلفه؛ وعلى الرغم ما يجتنب اسلوبه من عدم سلاسة العبارات ، فانه يعطى معلومات قيمة عن العلاقات بين المماليك من جهة ، وبين كل من القبائل العربية فى الصعيد، ومملكة النوبة الشمالية من جهة اخرى . وفي بعض الأحيان يزودنا بمعلومات فريدة قد لا نجدها فى المصادر الأخرى، مثلما أشار عن الاتفاق الذى عقد بين المماليك وشكندة ملك النوبة ولكن أسلوبه فى سرد الحوادث يتسم بالاستطراد والانتقال من فترة تاريخية معينة الى أخرى بعيدة عنها دون مبرر واضح.

وعلى الرغم من هذه الهنات فان الباحث يمكنه الاعتماد على تاريخ ابن الفرات فى وصف العلاقات الحربية والسياسية بين المماليك فى عهد بيبرس وقلاوون وبين ملوك النوبة، ويوضح دور أمراء ربيعة فى هذا الصراعات.

بالإضافة الى ذلك فانه يورد بعض المعلومات عن سياسة مصر الإسلامية تجاه بلاد النوبة فى صدر الإسلام، ولكنه لا يضيف جديدا لما ذكره من سبقه من المؤرخين والكتاب، ومعلوماته فى هذا الصدد مختصرة وغير منظمة .

ومن المؤرخين الذين سطروا بعض المعلومات حول العلاقات بين مصر والنوبة ودور القبائل العربية فيها. عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ألف كتابا بعنوان «العبر وديوان المبتدأ والخبر» تتبع فيه هجرة القبائل العربية واستقرارها عل طول وادى النيل، مثل جهينة وبنى جعل – خلال العصر المملوكى، كما تكلم عن نظام الحكم فى النوبة وثورات القبائل العربية واثر ذلك على بلاد النوبة.

وعلى اى حال فان ابن خلدون قد أضاف نقاط جديدة ، وان اخذ عليه الخلط فى الأشخاص والأماكن والتواريخ.

ويتضح من مطالعة المصادر التاريخية المتوافرة أن المقريزى هو اكثر المؤلفين إسهاما وتفصيلا حول كثير من المعلومات التى تهمنا فى موضوع بحثنا . وقد ولد احمد بن على المقريزى فى القاهرة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م من أسرة عريقة تنحدر أصلا من بطبك فى بلاد الشام، وتلقى علومه فى القاهرة حيث درس علوم الدين والتفسير واللغة والنحو والأدب والتاريخ. وتتلمذ على عدد من كبار العلماء والأساتذة فى عصره من بينهم ابن خلدون، واشتغل المقريزى فى ديوان الإنشاء موقعا، ثم اصبح أحد نواب الحكم، كما اشتغل مدرسا للحديث فى المدرسة المؤيدية، ثم عين محتسبا للقاهرة والوجه البحرى من قبل السلطان برقوق عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م. ويقال أن له ما يربوا على مائة كتاب، ويهمنا من هذه المؤلفات أربعة هى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والبيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، والسلوك لمعرفة دول الملوك، واتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الخلفا.

أما كتاب المواعظ والاعتبار فيحوى كثيرا من المعلومات التى تهمنا فى موضوعنا اذ تكلم عن بعض القبائل العربية وهجرتها الى بلاد النوبة، وأشار إلى معاهدة البقط أساس العلاقات بين مصر والنوبة على مدى ستمائة وخمسين عاما.

وتتبع العلاقات بين مصر والنوبة حتى عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، إلا ان هذه المعلومات مختصرة وليس فيها جديد إذا قورنت بالمصادر المتقدمة.

ويزودنا المقريزى بمعلومات جيدة عن بلاد البجة وأرض المعدن وخلال وصفه لهذه المناطق يعطينا معلومات هامة عن النواحى الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى تلك البلاد، وهو ينقل معلوماته فى هذا الصدد عن المسعودى، وابن جبير والادفوى. هذا وقد اشرنا الى مخطوط هام للمقريزى عثرنا عليه فى سودان وادى النيل، عند تقييمنا للمادة العلمية التى حوتها المخطوطات.

اما فى كتاب البيان والاعراب فيزودنا المقريزى بمعلومات هامة عن استقرار القبائل العربية فى مصر والنوبة ، كما تحدث عن منافسات ومنازعات القبائل وبطونها المختلفة. ويشير الى علاقة هذه القبائل مع السلطات الحاكمة فى مصر زمن المماليك، وموقف حكام مصر المملوكية فى احتضانهم أحيانا، وفى ضربهم أحيانا أخرى.

اما كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الذى نشر الجزء الأول والثانى منه الدكتور مصطفى زيادة، والثالث والرابع الدكتور سعيد عاشور، فقد صنفه المقريزى ليكون تاريخا مفصلا للدولتين الأيوبية والمملوكية وقد زودنا فيه بمعلومات قيمة عن العلاقات بين المماليك والقبائل العربية فى منطقة الصعيد وبلاد النوبة، ثم أعطانا مادة غزيرة عن حملات المماليك الاولى على بلاد النوبة، فقد عاصر بعض هذه الحوادث، ولذا أفاض فى الحديث عنها.

واما عن كتابات الجغرافيين العرب، فيعتبر من اهم المصادر التى تتوفر فيها مادة فريدة قد لا نجدها فى المصادر التاريخية او بقية الكتب المؤلفة فى العصور الوسطى الإسلامية.

ومن اهم هذه المصادر وأكثرها أهمية كتاب البلدان لمؤلفه اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) حيث يزودنا فيه بمعلومات مفصلة عن أماكن وجود الذهب والزمرد فى بلاد البجة، وكيفية استخراجها وتصنيعها ، وفى النواحى الاقتصادية، كما يشير الى بعض القبائل العربية التى استقرت فى أرض المعادن مثل قبائل ربيعة وبلى وجهينة. ويزودنا اليعقوبى بمعلومات جغرافية هامة عن منطقة وادى العلاقى ووقوعها على طرق التجارة، ولا يضيف اليعقوبى فى كتاب التاريخ جديدا الى ما قاله فى البلدان.

وقد عاصر اليعقوبى جغرافى أخر هو ابو بكر احمد بن محمد بن اسحق الهمذانى المعروف بابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ /٩٠٣م) الذى صنف كتابا سماه البلدان

وذلك بين عامى ٢٨٧هـ ، ٢٩٠ هـ ، وقد وضع له على بن حسن الشيرازى مختصرا حوالى عام ٤١٣هـ / ١٠٢٢م بعنوان : «مختصر كتاب البلدان» وهو يعطى وصفا للمالك النوبة والبجة من النواحى الطبوغرافية، والاجتماعية قبل استقرار العرب فى هذه المناطق، مما يلقى ضوءا على طبيعة التطورات والتغيرات التى حدثت فى المنطقة بعد وصول القبائل العربية اليها واستقرارها فيها، وخاصة ما يتعلق بانتشار الإسلام واللغة العربية، وكذلك تأثرها بالعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة عند كل منهما.

وقد عاش فى القرن الثالث الهجرى أيضا جغرافى آخر هو ابو القاسم عبد الله بن عبد الله المشهور بابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ / ٩١٢م) وكتابه المسالك والممالك الذى يتحدث فيه عن أصول ملوك النوبة ، والتأثيرات الثقافية القادمة الى سودان وادى النيل من الناحية اللغوية.

ومن الجغرافيين الذين وصلتنا بعض مؤلفاتهم ابو اسحق إبراهيم بن محمد الاصطخرى الكرخى (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م) الذى صنف كتابا فى الجغرافية اعتمد فيه على مؤلف ابى زيد البلخى (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) الموسوم : صور الإقليم الذى فقد ولم يصل الينا. وكان البلخى تلميذا للعالم الجغرافى يعقوب بن اسحق الكندى مؤلف كتابى : المعمور من الأرض ، ورسالة فى البحار والمد والجزر. وقد أفادنا كتابه فى دراسة التكوين السكانى والاجتماعى، ويعرفنا ببعض الأعراف والعادات السائدة فى تلك البلاد. ويبين مدى تأثير هجرة القبائل العربية واستقرارها فى تلك المنطقة.

اما ابو القاسم محمد البغدادى المعروف بابن حوقل (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) الذى زار مصر وبلاد النوبة بين عامى ٣٣٦- ٣٤٤هـ ، اى فى الوقت الذى ازدادت فيه هجرة القبائل العربية الى بلاد النوبة وارض المعادن. فانه يزودنا بمعلومات هامة حول نظام الوراثة فى بلاد النوبة والبجة، والذى يوجب توريث الحكم لابن الأخت او ابن البنت ، دون كل قريب وحميم من ولد وأهل ، وقد ادى تبنى هذا النظام من قبل

العرب فى بلاد النوبة الى انتقال الحكم اليهم فى كل من بلاد النوبة وارض البجة. وكان ذلك من العوامل الرئيسية كما سنرى – فى انتقال العرش النوبى الى سلالة عربية. فى العقد الثانى من القرن الثامن الهجرى.

بالإضافة الى ما سبق فان ابن حوقل يعطى معلومات مختصرة – ولكن مفيدة– عن موانى السودان فى عصره مثل باضع وسواكن. وتلقى هذه المعلومات ضوءا على العلاقات التجارية بين مصر والنوبة، والعالم الخارجى.

وممن يعطون بعض المعلومات عن موضوع بحثنا الجغرافى المعروف ابو عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الله ابن إدريس الملقب بالشريف الادريسى الذى أتم كتابه المعروف نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق نحو عام ٥٤٨هـ / ١١٥٤م ، وهو عبارة عن وصف للكرة الأرضية، وقد زودنا فى هذا الكتاب ببعض المعلومات الجغرافية والاقتصادية حول إقليم السودان الشمالى.

ومن المصادر الجغرافية التى تعطى معلومات حول بلاد النوبة كتاب : اثار البلاد وأخبار العباد لمؤلفه زكريا بن محمد ابن محمود القزوينى (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣)، وقد زودنا بمعلومات جغرافية ، وتاريخية واقتصادية عن بلاد النوبة، وارض البجة.

واما كتب الرحلات فهى مصدرا هاما من مصادر التاريخ الإسلامى، وخاصة ان مؤلفيها يهتمون بأمور قلما يهتم بها غيرهم من المؤلفين مثل وصف عادات الناس وتقاليدهم وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ومعتقداتهم، فضلا عن طرق التجارة والقوافل، والمظاهر الطبوغرافية، والمزروعات وانواعها وطرق زراعتها.

ومن اقدم الرحالة المسلمين الذين زاروا منطقة النوبة والبجة ووصفوا مشاهداتهم فيها الرحالة الفارسى ناصر خسرو علوى. مؤلف كتاب سفرنامة الذى وضعه بالفارسية، وقد نقله للعربية الدكتور يحى الخشاب. وقد استغرقت رحلة ناصر خسرو نحو تسع سنوات قضى ثلاثا منها فى مصر، وتجول فى الصعيد وبلاد النوبة،

واصفا مشاهداته عن السكان ومعتقداتهم، وواصفا أنواع البضائع التجارية المتبادلة بين مصر وبلاد النوبة وطرق التجارة بين أسوان عبر ساحل البحر الأحمر، وبلاد النوبة.

وتعتبر رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) من أهم كتب الرحلات العربية التى تفيدنا فى دراسة موضوعنا. ولد ابو الحسن محمد بن جبير الكنانى فى الأندلس عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م. والتحق بخدمة السلطان الموحدى ابن ابى سعيد عثمان بن عبد المؤمن واصبح أمين سره، وفى شوال عام ٥٧٨هـ / ١١٨٣ م ، بدأ ابن جبير رحلته نحو المشرق لاداء فريضة الحج، متخذا طريقة الى مكة عبر صعيد مصر مارا بالقاهرة ثم قوص، وعيذاب ومنها عبر البحر الأحمر إلى جدة وقد وصف خلال مروره بميناء عيذاب ما كان يلاقيه الحجاج من مصاعب وما كانوا يدفعونه من رسوم ألغاها صلاح الدين الايوبى فى النهاية.

وقد وصف ابن جبير محطات القوافل من قوص إلى عيذاب مشيرا الى ازدهار الحركة التجارية بين عيذاب وبلاد الصعيد. ويذكر ان الطرق كانت آمنة ولا شئ يعكر صفو الحجاج والتجار طيلة سيرهم من قوص أو أسوان الى موانئ البحر الأحمر او العكس. ويصف ابن جبير ميناء عيذاب بأنه «من احفل مراسى الدنيا» وازدهار الحركة التجارية بين موانئ السودان والعالم الخارجى.

ومن كتب الرحلات الأخرى التى تعطى معلومات عن بعض جوانب دراستنا : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة . (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) والتى اشتهرت باسم رحلة ابن بطوطة وكانت بلاد النوبة من محطاته الهامة. وهو يعطى بعض المعلومات عن بعض القبائل العربية التى كانت مستقرة فى بلاد النوبة مثل الكواهلة والأشراف وجهينة.

اما كتب السير والتراجم، فمن أهمها: محيى الدين بن عبد الظاهر الذى ولد فى القاهرة عام ٦٢٠هـ /١٢٢٣م . ومات فيها عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م . وبذلك عاصر

فترة مهمة فى تاريخ النوبة هى عصور الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، والأشرف خليل بن قلاوون. وكان موظفا فى بلاط هؤلاء السلاطين، وشغل وظيفة صاحب ديوان الإنشاء التى كانت من أهم الوظائف آنذاك.

وقد أتاح له هذا العمل الاطلاع على كثير من الأسرار والوثائق، مما مكنه من تصنيف مؤلفات كثيرة منها ثلاثة فى تاريخ هؤلاء السلاطين هى :

– الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر .

– تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور.

– الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الإشرافية.

وقد ركز معلوماته على العلاقات بين المماليك والصليبيين وتسجيل انتصار القوات المملوكية، وهى تحوى معلومات بالغة الأهمية، وخاصة حول العلاقات بين مصر المملوكية ، وبلاد النوبة والبجة.

ومن أهم التراجم التى تهمنا فى هذا الكتاب كتاب الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد لمؤلفه ابو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الادفوى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، وقد ترجم الادفوى لبعض الشعراء والعلماء الذين عاشوا فى أسوان وعيذاب، ومن ثم انتقلوا الى بلاد النوبة فأثروا الحياة الثقافية هناك.

ومن كتب الموسوعات الهامة فى دراستنا : كتاب : نهاية الارب فى فنون الادب لمؤلفه شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب الكندى المعروف بالنويرى الذى ولد سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٦م، وتوفى عام ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م ، تولى عدة مناصب هامة زمن السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون، وشغل وظيفة ناظر الجيش. وقد أتاح له اشتغاله بالوظائف الحكومية الهامة الاطلاع على كثير من الوثائق الرسمية والأسرار السلطانية ، واتصل بكبار رجال الدولة وقادة الجيش، واستقى بعض معلوماته من هؤلاء الأشخاص الذين شاهدوا الحوادث وشاركوا فيها.

ويزودنا النويرى بمعلومات هامة- وأحيانا فريدة- عن تحركات القبائل العربية فى بلاد النوبة وارض البجة، كما يشير الى النزاع العسكرى المستمر بين هذه القبائل، وبين السلطات المملوكية فى مصر. كما تحدث باسهاب عن العلاقات بين المماليك وبلاد النوبة، وتكلم عن بوادر انهيار الممالك النوبية امام زحف القبائل العربية ، والقوات المملوكية.

والحقيقة ان كتاب النويرى يعد من افضل المصادر التى تزودنا بمعلومات مفصلة ودقيقة عن العلاقات بين المماليك والنوبة، والمماليك والقبائل العربية فى جنوب مصر بين عامى ٦٦٨ هـ / ٧١٧هـ .

اما كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لمؤلفه شهاب الدين ابو العباس احمد يحى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى المولود عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠١م ، بدمشق والذى شغل وظيفة كاتب السر وناظر ديوان الإنشاء فى مصر والشام، فيزودنا بمعلومات هامة عن النوبة الا ان كتابه: التعريف بالمصطلح الشريف حوى كثيرا من الوثائق الهامة والرسائل التى كانت تكتب لكبار الدولة، وحكام الولايات، وزعماء القبائل الكبيرة، وقد وصف لنا باختصار العلاقات بين ملك النوبة فى عصره وسلطان المماليك. وحفظ لنا رسم المكاتبة بين سلطان المماليك وحكام النوبة، وكذلك رسم المكاتبة لشيخ الحدارية فى منطقة سواكن.

ومن المؤلفين الموسوعيين الذين امدونا بمعلومات هامة القلقشندى (ت ٨١٢هـ / ١٤١٨م) المولود فى مصر عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م . ويرجع نسبة الى قبيلة فزارة من قيس عيلان؛ عمل القلقشندى فى ديوان الإنشاء منذ عام ٧٩١هـ وحتى عام ٨٠١هـ . وقد أتاحت له هذه الوظيفة من الاطلاع على كثير من الوثائق الرسمية. لذا ألف كتابه: صبح الاعشى فى صناعة الإنشاء أمدنا من خلاله بالكثير من المعلومات عن أحوال بلاد النوبة فى العصر المملوكى، واعتمد فى ذلك على كثير من الوثائق والمراسلات الرسمية التى كان يزخر بها ديوان الانشاء فى مصر.

واما عن المصادر المسيحية فتناولت تاريخ الكنيسة القبطية ورؤسائها ، وعلاقاتها مع نصارى البلدان الاخرى مثل النوبة والحبشة وتتكلم هذه المصادر عن علاقة الكنيسة بالحكام المسلمين فى مصر.

ومن اهم هذه المصادر وأقدمها: تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لمؤلفه ساويرس بن المقفع، الذى عاش حتى زمن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، وقد عين أسقفا للاشمونيين فى صعيد مصر من قبل بطريرك الإسكندرية أنبا مقار (٩٣٢- ٩٥٢م) ، وبقى فى منصبه نحو ثلاثين عاما.

وكان ابن المقفع يتقن اللغات اليونانية والقبطية والعربية، واستطاع الاطلاع على كثير من الوثائق والسجلات المحفوظة فى الأديرة فى منطقة الصعيد والإسكندرية. وكان اول مؤلف قبطى معروف يضع كتابا باللغة العربية، ما يدل على ان اللغة العربية قد رسخت وأصبحت لغة بعض الأساقفة الأقباط، ولكن الكتاب نسب إليه كله. ويعطينا معلومات عن علاقة الكنيسة المصرية بكنيسة النوبة والحبشة آنذاك.

ويعطى ابو صالح الارمنى (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) فى تاريخه معلومات مماثلة ، ويشترك مع ابن المقفع فى عدم الدقة بأسماء الولاة، وتواريخ الحوادث.

اما ابن ابى الفضائل القبطى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م) فقد كان معاصرا للسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون، وقد كتب كتابا سماه: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد. وقد وضعه ليكمل به تاريخ جرجيس بن العميد الذى وصل فيه حتى سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م. وقد وصل فيه ابن ابى الفضائل حتى عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م؛ وقد زودنا فيه بمعلومات حول علاقة السلطان المملوكى قلاوون بملوك النوبة واحتفظ لنا بالاتفاق الذى عقد بين المماليك وشكندة ملك النوبة، والذى بموجبه أصبحت مملكة المقرة النوبية تابعة من الناحية الاسمية للسلطان المملوكى فى مصر.

ومن المصادر السودانية: «طبقات ود ضيف الله» ولد مؤلفه محمد النور بن ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى الوثيقى فى اسرة دينية عريقة بحلفاية الملوك،

حاضرة ملوك العبدلاب فى نحو عام ١١٣٩/ ١٧٢٨ م وتوفى فيها سنة ١٢٢٤/ ١٨٠٩م.

وقد نشأ فى مناخ دينى يغلب عليه التمازج بين المتصوفة والفقهاء وجو مشبع بمآثر الأولياء وكرامتهم. الا ان المؤلف قد نال قسطا وافرا من العلوم النقلية ،وكان فقيها وقاضيا عادلا، وتحت تأثير هذه الظروف تم تأليف كتاب الطبقات . ويعلن المؤلف عن مقصده «وبعد فقد سألنى جامعة من الأخوان ... أن أورخ لهم ملك السودان، وأذكر فيه من الأولياء الأعيان فأصبت سؤالهم مع انه لم يكن لأسلافنا وأسلافهم وضع فى هذا الشان إلا أن أخبارهم متواترة عند الخاص والعام منها ما بلغ حد التواتر فأجبت ان اذكر ما تواتر واشتهر».

ومعجم الشخصيات السودانية هذا كما يدل عنوانه يعد مرآة صادقة وسجلا دقيقا لعصر المؤلف، وكنزا فريدا يحوى معلومات قيمة عن حياة السودانيين الدينية والثقافية، والأدبية والاجتماعية والسياسية فى مملكة الفونج.

وقد أعاننا هذا المؤلف القيم فى فهم الدعوة الإسلامية، وانتشارها فى السودان ومن ثم تغير ثقافة النوبة على أثر هذا الانهيار فى ممالكها المسيحية.

وقد جاء كتاب طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة اختصره إبراهيم عبد الدافع، شرح الشيخ احمد السلاوى. مكملا فى فهم حركة التصوف فى السودان، ومن ثم الثقافة الدينية ومراكزها، واشهر المؤلفات العلمية فى سودان وادى النيل.

ومن المراجع الحديثة التى اعتمدنا عليها كتاب :

Islamisation de la Nubie Chretienne, Publieé Sous La direction de: Dominique Saurdel et Janine Sourdel Thomine, 1989."

تأليف جوزيف كيوك: (Joseph Cuoq)

وهو احدث ما صدر من أبحاث عن دراستنا ، وقد استفدت منه وخاصة فى الفترة المعنية بالعصر المملوكى ، وعلاقاتهم ببلاد النوبة.

كـذلك كـتـاب : Church and state in Ethiopia, 1270 - 1527, Oxford 1972" تأليف تاديس تمرات : (Taddeose Tamrat)، فـهـو يلقى الضـوء على الصراعات الإقليمية فى منطقة شرق أفريقيا، وهضبة الحبشة، مما اثر بالتالى على التدخل لصالح النوبيين ، وسقوط الممالك المسيحية.

ومن المراجع التى اعتمدنا عليها كذلك كتاب : تاريخ العرب فى السودان.
ما كما يكل A history of the Arabs in the Sudan " By MacMichael

وأهمية هذا الكتاب مستمدة من ان مؤلفه استقى معلوماته من مصادر هامة لا توجد الا فى بلاد النوبة نفسها، وما ساعده على ذلك إقامته هناك فترة زمنية طويلة بحكم وظيفته فى حكومة السودان، مما ساعده على الاتصال بالقبائل السودانية، فان معظمهم يحتفظ بكتب الأنساب، وقد عالج فى مؤلفه الضخم كثيرا من النقاط الحيوية عن اختلاط القبائل العربية فى بلاد النوبة، وتفرعها. فهو يعد من الكتب النادرة المتخصصة الدقيقة فى انساب القبائل بالسودان.

ومن المراجع العربية التى أنارت لى الطريق كتاب : انتشار الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية للدكتور حسن احمد محمود ، فقد تعمق فى هذه المنطقة بدراسة مستفيضة وتحليلات فلسفية صائبة عن فترة التحولات الثقافية للممالك النوبية.

ومن الأبحاث الجديدة فى معالجة العلاقة بين مصر والنوبة زمن الدولة المملوكية بحث : موقف مصر من النوبة فى العصر المملوكى الأول للدكتور محمد عبد العال احمد، فقد استفدت من آرائه الجديدة ، وتحليلاته لحملات مصر المملوكية على بلاد النوبة.

وقد اتبع الباحث منهجا موضوعيا يعتمد على دراسة ممالك النوبة، ودراسة عوامل اضمحلالها، ومظاهرها ، حتى سقوطها. وما أدى اليه ذلك من تغير، وعنى الباحث بإبراز هذا التغير فى شتى مناحى الحياة من ناحية عناصر وفئات السكان،

وأوضاعهم الاقتصادية ، وعاداتهم الاجتماعية، والمتغيرات الثقافية التى حدثت على اثر انهيار الممالك المسيحية وقيام الممالك الإسلامية.

وثمة ملاحظة منهجية متعلقة بعنوان الكتاب وهى استخدام مصطلح ممالك النوبة المسيحية على الرغم من انها كانت مملكتين فقط هما مملكة المقرة، ومملكة علوة، فعلى الرغم من إدراكنا ان قواعد اللغة تستدعى جعل العنوان ، مملكتا مقرة وعلوة المسيحيتان ، اضمحلالهما وسقوطهما وأثرهما فى انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل الا ان المصادر العربية جرت على استخدام لفظة ممالك النوبة المسيحية منذ ان كانت هذه الممالك ثلاثا هى المملكتان السابقتان بالإضافة إلى مملكة نباتا ، ورغم اندماج نباتا فى المقرة الا ان هذه المصادر استمرت على استخدام ذات المصطلح الأول ممالك النوبة المسيحية بالجمع لا التثنية ولقد شئت ان اتسق مع المراجع العربية والمصطلح التاريخى نظر لكونى مؤرخا رغم اصطدام ذلك مع المفاهيم اللغوية وإدراكا منى لأن مملكة نباتا كانت موجود بشكل أو بآخر داخل مملكة المقرة.

وثمة ملاحظة منهجية ثانية متعلقة بما ورد فى عنوان الدراسة من إشارة إلى اثر سقوط الممالك النوبية المسيحية فى نشر الإسلام فى المنطقة، فان الدراسة ستوضح أن انتشار الإسلام كان سابقا لسقوط هذه الممالك، وانه لعب دورا هاما فى هذا السقوط ثم أن السقوط كان عاملا هاما فى دفع مسيرة انتشار الإسلام فى المنطقة ومن ثم لا ينبغى أن ينصرف الذهن الى الظن بان الإسلام، لم ينتشر بالمنطقة قبل سقوط الممالك، وذلك رغم ان سقوط هذه الممالك أزال آخر عقبة أمام انتشار الإسلام، باعتبار ما كانت تمثله هذه الممالك من سلطة سياسية مغرية لبعض العناصر النوبية على الاستمرار على عقيدتها المسيحية باعتبار ما نالته من مكاسب فى ظل دولة مسيحية، بينما كان مجمل شعب المنطقة قد تحول الى العقيدة الإسلامية.

وقد قسمت الدراسة الى ستة فصول ، خصصت الفصل الأول لدراسة : أسباب ومظاهر اضمحلال ممالك النوبة.

وقد قسمته الى خمسة نقاط أساسية:

١- تدفق العرب المهاجرين الى بلاد النوبة وارض البجة وإقامتهم بها.

٢- استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر.

٣- الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة، وشرق أفريقيا وأثره على التدخل المصرى فى النوبة.

٤- ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة.

٥- ضعف التجارة الدولية ، وانقطاع التجارة مع مصر واثر ذلك على ممالك النوبة.

وخصصت الفصل الثانى وموضوعه: «سقوط ممالك النوبة المسيحية» سقوط مملكة المقرة وظهور دولة الكنوز؛ تحدثت فيه عن دور المماليك فى سقوط هذه المملكة وصراعهم مع القوى المحلية فى مصر واثر ذلك فى بلاد النوبة، ثم موقف مصر من النوبة فى عصر دولة المماليك الأولى، بدأ بحملة الظاهر بيبرس، ونهاية بانهيار مملكة دنقلا المسيحية ما بين عام ٦٧٥ -٧١٢هـ / ١٢٧٦ - ٧١٢/ ١٣١٢م).

وتتبعنا حملات المنصور قلاوون، ثم الموقف فى عهد السلطان الاشرف خليل والاتصالات بين النوبة والصليبيين ، وايضا الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد، وأخيرا أمراء ربيعة يرثون عرش النوبة، والموقف فى عهد الاشرف شعبان .

أما الفصل الثالث فقد تناول سقوط ممالك النوبة المسيحية - سقوط مملكة علوة وظهور القوى السياسية الجديدة ، وتحدثت فيه عن سوبا عاصمة علوة المسيحية، والأسباب التى أدت الى ضعفها، بداية بأحداث السقوط ومن ثم القوى السياسية الجديدة التى ظهرت بأرض النوبة:

(أ) مشيخة العبدلاب. (ب) سلطنة الفونج الإسلامية.

أما الفصل الرابع ، فقد خصص للنتائج الاقتصادية لسقوط ممالك النوبة،

تحدثت فيه عن النشاط الاقتصادى الجديد من حيث الزراعة وتربية الحيوان، والتعدين، والحرف والصناعات الشعبية، والتجارة، وأخيرا طرق القوافل.

وأما الفصل الخامس وموضوعه النتائج الاجتماعية لسقوط ممالك النوبة. تحدثت فيه عن التكوين الاجتماعي لشعب سودان وادى النيل، ثم العادات الاجتماعية الخاصة من حيث الزواج فى ضوء الوثائق العربية، والنفقة، وعادة الشلوخ، والأنساب العربية ، والختان، وأربعون الولادة، والملبس والزينة، والمسكن، والأثر الاسلامى فى الزخارف المعمارية بالنوبة، والمآكل والمشرب وأخيرا الاحتفالات والطقوس الدينية.

واما الفصل السادس وموضوعه النتائج الثقافية لسقوط ممالك النوبة فتناول العوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية.

- انتشار الدعوة الى الاسلام.
- انتشار القبائل العربية واستقرارها، واثر ذلك فى لهجات السودان .
- العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى ثم اشهر المراكز الثقافية فى السودان واسهامها فى الإنتاج العلمى وأخيرا إسهام هذه المدارس فى الإنتاج الثقافى.

وقد ختم المؤلف دراسته بخاتمة تضمنت ابرز ما توصل إليه من نتائج ، وخلاصة للدراسة على ضوء المصادر الجديدة.

اما الملاحق فقد نشر فيها المؤلف عددا من الوثائق الهامة الخاصة بسودان وادى النيل، كما تضمنت الملاحق بعض الخرائط التوضيحية، كما تضمنت الملاحق أيضا بعض صور الوثائق والمخطوطات والمقتنيات الفنية التى جمعها الباحث من ميدان الدراسة بنفسه.

ونأمل ان يتمخض هذا المؤلف عن إظهار عملية التغير الذى صحب انهيار ممالك النوبة المسيحية، ومن قيام الممالك والمشيخات الإسلامية، اعتمادا على أوثق المصادر من الوثائق والمخطوطات العربية وغير العربية.

وبعد فلعلى أكون قد وفقت فى تقديم دراسة متكاملة عن ممالك النوبة فى عصر دولة سلاطين المماليك، فان يكن التوفيق حليفى فهذا من فضل الله، وان أصبت فلى أجران، وان أخطأت فلى اجر.

والله ولى التوفيق،

كرم كمال الدين الصاوى باز

الجيزة/ يناير ٢٠٠٦م

الفصل الأول

أسباب ومظاهر إضمحلال ممالك النوبة

أولاً : تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وأرض البجة وإقامتهم بها.

ثانيـاً: استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر.

ثالثـاً: الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثره على التدخل المصرى فى النوبة.

رابعـاً : ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة.

خامساً : ضعف التجارة الدولية، وانقطاع التجارة مع مصر، واثر ذلك على ممالك النوبة

يعتبر العهد المملوكى (٦٤٨- ٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) نقطة تحول حاسمة فى علاقة مملكة النوبة، (أو المقرة)، بمصر الإسلامية. فقد اتخذ الملك داود سياسة هجومية ضد مصر عندما غزا كلا من عيذاب وأسوان فى عام ٦٧١هـ / ١٢٧٢م وكان رد المماليك ان أرسلوا سلسلة من الحملات العسكرية لوضع حد لهجمات النوبة، وجعل مملكة المقرة دولة تابعة لمصر[١].

وتحقيقا لهذه السياسة استغل سلاطين مصر خلافات البيت الحاكم حول اعتلاء العرش، وبعثوا بالأمراء النوبيين الذين اسروا وعاشوا فى مصر على رأس تلك الجيوش[٢] . كما صحب الحملات المملوكية التى أخذت تغزو بلاد النوبة منذ عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م أعداد كبيرة من المقاتلين العرب الذين زهدوا فى الحياة بمصر بعد تسلط المماليك عليها[٣] ، وضاقت بهم سبل العيش.

إذ يؤكد ابن الفرات ان الجيش المملوكى الذى غزا النوبة فى عام ٦٨٨هـ /١٢٨٩م كان يضم مالا يقل عن أربعين ألفاً من الأعراب[٤].

وقد كانت حملات سلاطين مصر من أهم الأسباب التى أضعفت الإطار السياسى لنظام الحكم فى بلاد النوبة، ومهدت لغلبة العرب الذين استطاعوا روادهم من بنى الكنز اعتلاء عرش النوبة فى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م [٥] معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الام، وعلى تأييد المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش

---

(١) ابن ابى الفضائل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ،ط باريس ١٩١١م، ص ٢١١، النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية، القاهرة، رقم ٥٤٩، معارف عامة، لوحة ٢٥٩، C.F: Newbold. D.:

The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S. N. R. XXVI, part ii, (1945), P. 221.

(٢) ابن ابى الفضائل : النهج السديد، ص٣٣٤،القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الإنشاء، ط دار التب المصرية، القاهرة ، ١٩٦٣م، جـ٥، ص٢٧٧ .

(٣) انظر: النويرى: نهاية الأرب ،جـ ٢٨، ٢٥٩ (أ)، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك، ط بيروت، ١٩٣٨م، جـ ٧، ص ٤٧، ٤٨ .

(٤) ابن الفرت : تاريخ الدول والملوك، جـ ٨، ص ص٨٢ ، ٨٣ .

(٥) انظر القلقشندى: صبح الاعشى ، جـ ٨، ص ص٦ ، ٧ .

C.F: H. A. MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, London 1922, Vol. I, P. 187.

المملوكية[١]، فانتقلت السلطة داخل الأسرة الحاكمة من فرع نوبى مسيحى إلى فرع نوبى مسلم مستعرب.

وبسقوط مملكة المقرة المسيحية فى أيدى المسلمين انهار السد المنيع الذى كان، لعدة قرون يحول دون توغل العرب فى حوض النيل الأوسط، ومن ثم تدفقت القبائل العربية القادمة من مصر إلى بلاد النوبة[٢].

ومن ثم تضافرت عدة عوامل مهدت لهذا الاضمحلال والسقوط نوجزها فيما يلى:

أولاً : تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وارض البجة وإقامتهم بها [٣].

ثانياً : استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر[٤].

ثالثاً : الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثرها على التدخل المصرى فى النوبة[٥].

رابعاً : ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة[٦].

خامساً : ضعف التجارة الدولية، وانقطاع التجارة مع مصر . واثر ذلك على ممالك النوبة[٧].

وسوف نوضح هذه الحقائق التى مهدت السبيل نحو سقوط ممالك النوبة المسيحية وزوالها، وقيام الممالك والمشيخات الإسلامية فى سودان وادى النيل.

---

(١) انظر: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة ١٩٣٤-١٩٧٢، جـ ٣، ق١ ، ص ص ١٠٩ ، ١١٠.

(٢) انظر : تفاصيل سقوط مملكة المقرة المسيحية فى الفصل الثانى من هذا البحث، انظر : الخريطة بملحق الدراسة ، شكل رقم (١)، رقم (٧).

(3) C.F. Arkell, A.J.: A history of the Sudan from the earliest Times to 1821: London, 1955, P. 190. ff.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٨م، جـ ٢، ص٣١، ٣٢،
C.F: Newbold: The Crusades in the Red Sea and The Sudan, S.N.R.XXVI, 2, 1945, P , 213-217.

(5) C.F.: Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270-1527, Oxford 1972, P. 132-145.

(6) C.F.: Alvarez: Narrative of the partuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, Transl by Stanley, London 1881, P. 352. FF.

(7) John Vantini: The Excavations at Faras Acontribution to the history of Christian Nubia, Italy 1967, P. 268 (F).

أولا: تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وارض البجة وأقامتهم بها..

أصبحت مصر بعد الفتح العربي مهبطا للقبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية(١) وقد وفدت هذه القبائل جماعات تلو الأخرى، وبعضها اتجه إلى صعيد مصر(٢)، وشمال النوبة، حيث تشابهت البيئة إلى حد كبير مع بيئة بلاد العرب، موطنهم الأصلي(٣).

---

(١) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ط ليدن ١٩٢٠م، ص ٩٨-١٢٧، الكندى: الولاة والقضاة، ط بيروت ١٩٠٨م، ص ٨، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط بيروت ١٩٦٣، صفحات ٨٤ ، ٦٥ ، ٥٠٧، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٨٠، عبد الله خورشيد: القبائل العربية في مصر، دار الكاتب العربى ١٩٦٧م، ص ٥٩، كرم الصاوى باز: التطور الاجتماعي فى مصر الإسلامية وانعكاسه على سودان وادى النيل فى عصر الولاه، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدارسات الأفريقية، جامعة القاهر، ١٩٨٨م، ص ٣٢ وما بعدها، حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا، الجزء الاول، مطبعة لجنة البيان العربى، دار النهضة العربية : ١٩٦٣م ، ص ص ٣١٥، ٣١٦؛

C.F. El Mahadi Mandour: A Short history of the Sudan, Oxford University Press, London 1965, P. 27. FF.

(٢) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر ؛ ص ص ١٦٩ ، ١٧٠؛ الكندى : الولاة ص ١٢، البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١ ، ط بيروت ١٩٧٨م، ص ص ٢٣٦ ، ٢٣٧؛ المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٩٩؛ المؤلف نفسه ، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الاعراب، تحقيق د. عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٣ وما بعدها، يوسف فضل حسن: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى (١٤٥٠-١٨٢١)، الطبعة الثالثة ، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩م، ص ص ٧ ، ٨ .

(3) Elliot Smith: Ancient Egyptans, London 1911, PP. 87-8, MacMichael: Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol I, P. 3, Y. F Hasan: The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967, P . 12: Abbas Ammar, the people of Sharqiya, Cairo, 1944, Vol I, P. 15, FF. وانظر الخريطة شكل رقم (١٥)

وكانت فلول الأمويين الذين فرو من مذابح العباسيين عقب سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ/ ٧٤٨م، هم الرواد الأوائل من العرب الذين هاجروا الى بلاد النوبة(١) .

وبدأ التيار المهاجر صوب الجنوب يزداد عمقاً وشدة بعد ان أصبحت أحوال مصر خاصة لا تشجع العرب على الإقامة إنما تدفعهم صوب الجنوب دفعاً (٢).

---

(١)هذا ما أكدته الوثيقة البردية المرسلة من الوالى العباسى فى مصر (موسى بن كعب بن عيينه) الى ملك النوبة ومقرة، بخصوص العلاقات المصرية النوبية عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م. انظر : بردية منشورة مسجلة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم (٢٥٤٨٠).

C.F. : Martin : Studia Arabica of Islamica, American Universty of Beirut , 1981, PP. 209-229.

وانظر كذلك ؛ المسعودى : التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوى، مكتبة الشرق الإسلامية بمصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، جـ ١، ص ٢٨٥، ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الدهور، مخطوط بمعهد المخطوطات، ميكروفيلم، ص ص ٢٢ ب، ١٢٣أ ؛ ابن الجوزى: تنوير الغبش فى فضل السودان والحبش ، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٢٨-١٣٣؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٥، ابن اياس: بدائع الزهور ، ط بولاق ١٣١١هـ، جـ ١، ص ص ٢٩، ٣٠؛ بشير إبراهيم بشير : الأصل الاموى فى بلاد السودان، مجلة الدراسات السودانية ، جامعة الخرطوم، العدد الأول ، المجلد الرابع، يونيو ١٩٧٣م، ص ١٤٦ ، وانظر دراسة للباحث: التطور الاجتماعى فى مصر الإسلامية، ص ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) بعد إسقاط العرب من العطاء، بدأت الدولة الإسلامية تقصيهم من الجيش مستعينة بعناصر اخرى من الفرس او الترك او العبيد السودانيين فى العهدين الطولونى والاخشيدى، حيث نظر الى العرب منذ ذلك الوقت كعنصر غير مرغوب فيه، خاصة ان هذه الأسرة الحاكمة، أسرة تركية فرضت نفسها على العرب، بل اطلقت على العرب اسم عناصر الشغب. انظر : الكندى : الولاه ، ط ١٩٣؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٢، ط الأولى ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩م ، ص ص ٢٢٢، ٢٢٣؛ المقريزى: الخطط جـ ١ ، ص ٤٩٤

C.F. Vantini: The Excavation at Faras a Contribution to the History of Christian Nubia , P. 265 FF.

حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ ١ ص ١١٦، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٠، ص ١٣٨.

C.F Arkell, A.J .: A history of the Sudan from the earliest times to 1821: London, 1955, P. 190. FF. El Mahadi Mandour : A short history of the Sudan, P . 31.

وقد استغرقت هجرة القبائل العربية واستقرارها فى مختلف أنحاء مصر، وقتا غير قصير، حيث استمرت حتى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى(١).

لكن الظروف آلتى كانت تطرأ على مصر فى مختلف العصور الإسلامية كانت تدفع بعض هذه القبائل إلى أن تهاجر إلى جهات أخرى من مصر، إلى أطراف الدلتا او أعالى الصعيد، وكان هذا الإقليم الأخير اكثر البلاد ملاءمة لهذه القبائل العربية، وذلك للبعد عن الحكومة المركزية، فاصبح المهجر التقليدى لهم (٢) . فقبيلة ربيعة امتدت بطون منها إلى بلاد النوبة الشمالية ، وشرقاً إلى أراضى البجة، حيث أسسوا بوداى العلاقى أول إمارة عربية إسلامية زمن الفاطميين (٣).

وكان العامل الاقتصادى والبحث عن موارد الرزق من العوامل آلتى شجعت العرب على الهجرة عبر نهر النيل، والبحر الأحمر إلى هذه البلاد، يقول المقريزى : «ان البجة كثيراً ما كانت تشن الغارات على القرى الشرقية وأوديتها حتى أخربوها»

---

(١) عن هجرات القبائل العربية الى مصر انظر دراسة للباحث: التطور الاجتماعى ، ص ٣٢ وما بعدها، حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية ، جـ ١، ص ١٠٩-١١١ .

(2) C.F.Hamilton J.A. De. C. : The Anglo-Egyptian Sudan, from Within, London 1935, P. 45.

(٣) استقرت ربيعة فى منطقة العلاقى، وأسست أول أمارة عربية بها، وذلك لوفرة المعادن من الذهب والزمرد بأرضها، ووفرة المياه الجوفية بها ، ولقربها من موانئ البحر الأحمر ، ووقوعها على الطرق التجارية الواصلة بين تلك الموانئ ومصر العليا. انظر: الادريسى: صفة المغرب وارض السودان، نشر دوزى ليدن ١٨٦٦، ص ٢٢؛ ابو الفدا ، تقويم البلدان ، باريس ١٨٥٠، ص ١٠٥-١٢١، اليعقوبى : البلدان ، ط ليدن ١٩٨١ ص ١٢٣-١٢٤،

C.F.E.S Thomas: The ancient mine plant of turin papyrus, Cairo Scientific Journal, Vol. 3, 1913, PP. 16. FF . Y.F.Hasan: Arabs, P. 42-432.

ويقول المقريزى : ولم يزل (ابو عبد الله) رئيسا على ربيعة حتى مات فقام برياستهم بعده ولده ابو المكارم هبة الله بن الشيخ ابى عبد الله محمد بن على ويعرف بالأهوج المطاع، انظر: البيان والأعراب، ص ٤٥، ٤٦ ، وانظر أيضا : نفسه، الخطط ، ص ص ١٩٦، ١٩٧ ،

C.F. Paul, A The Hadareb, A Study in Arab-Beja Relationships, S.N.R., XL. P 75, FF.

يوسف فضل: دراسات فى تاريخ السودان، جـ ١ جامعة الخرطوم، ط الاولى ١٩٧٥م ، مقال : عبد الله بن عبد الحميد العمرى، ص ٥٤ وما بعدها.

فقامت ربيعة بصدهم، ثم تزوجوا منهم، واستولوا على معدن الذهب بالعلاقى، فكثرت أموالهم، واتسعوا فى أحوالهم(١).

وتشير المصادر الى اتخاذ القبائل العربية أوطاناً دائمة لها فى الإقليم بين أسوان، ووادى حلفا، وهو الإقليم الذى اتخذ اسم مريس(٢).

وتمكن العرب من التدفق عن طريقه إلى باقى أنحاء النوبة، وهذا ما أشار إليه المسعودى حين قال : «ان لمن بأسوان ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة، وانهم قاموا بشرائها فى العصرين الأموى والعباسى من رعاياه، ولهذا أرسل هذا الملك ، وفدا إلى المأمون حين قدم إلى مصر يسأله الفصل فى الأمر ، حيث ان الأرض أرضه والقوم فيها عبيده لا أملاك لهم، ومن ثم لا حق لهم فى بيعها إلى العرب، وحيث علم أهل أسوان ان الأرض ستنزع من أيديهم احتالوا

---

(١) انظر المقريزى : البيان والأعراب ، ص ٤٤ ، وأيضا : الخطط ، جـ ١ ص ١٩٥ ، سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى فجر الإسلام دار الفكر العربى ١٩٤٧م ، ص ٢٢٦ . ولمزيد من الدراسة عن أمارة ربيعة انظر:

Bloss, J.F.E : The story of Suakin, S.N.R. XXX., II, 1936, P, 278;

MacMichael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol l, P. 166: El Mahadi Mandour: Op. Cit., P. 31: Paul, A.: A history of the Beja tribes of the Sudan, Cambridge, 1954, P. 64. F., see also:

Van Berchem: Corpus, Insceptionm Arabicarum, Premiere partie, Egypt, paris 1903, PP. 699 FF., G. Wiet, Nouvelles Inscriptions Fatimides, Extrait du Bulletin de L`instut d`Egypt. Vol. 24, (1941-2) P. 146.

وقد نص عقد البقط الذى عقده عبد الله بن سعد عن الإشارة الى وجود مسلمين فى دنقلة منذ فترة سابقة على تأسيس هذه الأمارة . انظر : ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٨، ١٨٩ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ ، عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، القاهرة ١٩٨١م، ص ٢٠ .

(٢) أهم مدن إقليم مريس هى القصر (٥ك م من أسوان جنوبا ، وهى أول اقليم من الشمال، وتاميس (كلابشة) ٥٥ك م) ودرمس وتافة وهما تابعتان لقرية كلابشة حاليا، والدو او الدر ٢١٠ ك م ، وابريم (٢٦٠م.م) ، وبخراش (فرس حاليا) ٣٥٠ك.م والمقس الأعلى وهى آخر مدن الإقليم من الجنوب اى فى نهاية الجندل الثانى ، وتعرف اليوم بساى انظر:

Arkell, A.J .: A history of the Sudan from the earliest times to 1821, P . 190.

وزارة الشئون الاجتماعية، بلاد النوبة حاضرها ومستقبلها، القاهرة ١٩٦٤، ص ٢٨ . انظر الخريطة شكرا رقم (١)، (٥).

على ذلك بان جعلوا أهل النوبة يقرون بعدم عبوديتهم لملكهم، وبذلك توارث المسلمون هذه الأرض[١].

وتؤكد الاكتشافات الأثرية ما ورد فى المصادر التاريخية [٢] عن انتشار المسلمين فى البلاد ، ففى بعض جزر كلابشة عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسرى بمصر- خلال أعمالها سنة ١٩٦١م فى المنطقة بين بيت الوالى ، وخور دهميت على عملات اسلامية برونزية[٣].

وتشير المقابر الإسلامية، وشواهد القبور بها الى استخدام أراضى الدفن المسيحية لدفن المسلمين [٤]، وهى المدافن الإسلامية آلتى أشار إليها آرثر ويجال جنوب عنيبه بحوالى سبعة كيلومترات [٥].

وكذلك ما عثر عليه فى جبل عدة من مقابر إسلامية تميزت بقبابها المشيدة بالأجر[٦] وهى من طراز وجد أيضا مختلفة بالنوبة الشمالية وتشبه ما يوجد فى مقابر أسوان[٧].

---

(١) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط بيروت ١٩٧٣، جـ ١ ، ص ٤٤٣، ازنولد: الدعوة الى الإسلام ، تعريب حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م، ص ص ١٣٠، ١٣١ .

(٢) حين زار احمد بن سليم الاسوانى أثناء بعثته الى بلاد النوبة من قبل الدولة الفاطمية ، وجد هؤلاء العرب يتصرفون فى إقليم المريس: وهى الناحية التى يتصرف فيها المسلمون ، ولهم فيها قرب املاك كذلك يصفهم بانهم مقيمون ولا يفصح احدهم بالعربية ، وقد يكون المقصود بذلك المولدين. انظر : المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٤٤٣، المقريزى : الخطط ، جـ ١، ص ١٩٠، انظر الخريطة شكل رقم (١) ، شكل (٥).

(3) Keith Seele, From Khor Dehmit to Beit El-Wali, Fouilles en Nubie, P. 84, Gerhard Haeny, Tafa, Kalabsha, Wadi El Sebu, Rock inscriptions and Semna South, Actes du II, Symposium, P. 34.

(4) Save-Sodernerg, T., Christian Nubia, Nibische Kunst, P. 230.

(5) Weigall, A report on the Antiquities of Lower, Nubia, P. 123.

(6) Mostapha El-Emir, Fouilles de l`universite` d`Alexandrie a` Gebel Adda, 1959. Fouilles on Nunie I, P. 38.

(٧) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية، عصر الولاء، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٧٠، ص ٥٦٥، ٥٦٧ .

وفى دنقلة العجوز عثرت العثة البولندية أيضا على مقبرة إسلامية بها قبور من أنواع مختلفة، منها قبور تميزت بمصاطب مسطحة ترتفع من عشرين إلى ثلاثين سنتميتراً، ومغطاء بجص ابيض او محاطة بالأجر. وعثر على الآلاف من قبور هذا النوع، ومنها قبور غطيت بأقبية من الطوب اللبن، وأخرى غطيت بقباب [١] ، وعلى الرغم من قيمة هذه المقابر الإسلامية من الناحية المعمارية والفنية الا انها تدل على بداية تعريب سودان وادى النيل.

ونلاحظ ان اغلب ما عثر عليه من شواهد يرجع الى ما قبل العصر المملوكى وبالتحديد الى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى[٢] .

ويرى بلوس Blossانه بعد الفتح العربى لمصر هاجرت جماعات عربية على طول الساحل الأفريقى للبحر الأحمر ن واستقرت فى ارض البجة ، واختلطت بهم وتزوجت من بناتهم [٣] .

(١) محمد غيطاس: أضواء جديدة على تاريخ النوبة، ١٩٧٨، ص ١٠٩ .

C.F.: Monneret de villard, Storia Della Nubia, Gristians Roma, 1938, P. 118 FF., Adams W.Y.: Sudan Antiquites Service Excavations in Nubia, Fourth Season 1962-63, Kush XII, 1964, P. 326.

نقلا عن: C.F.: Save-Soderberg T.,: Op. Cit., P. 238:

(2) Admas, W. Y.: Sudan Antiquites Service, Kush XII, P. 172-173.

(3) C.F .: Bloss, J.F.E : The story of Suakin, S.N.R. XIX., II, 1936, P, 278, C.F.: E. Navile : The Origin of Egyptian Civilization, Smithsonian Rep. 1907, PP. 459-564.

عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية ، ط الثانية ، الخرطوم ، ١٩٧٢، ص ١٩ وما بعدها؛ المؤلف نفسه: دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، ملحق كتاب البيان والأعراب، للمقريزى ، تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م ، ص٧٧؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٠٦ ؛ محمد عبد العال: النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها فيما بين عامى (٢٠- ٣١هـ/ ٦٤١-٦٥٢م) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية المجلد ٣٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥م ، ص ٢٧٦، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، ط الثالثة ١٩٨٤م ، ص ٢٦، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، معهد الدراسات العربية ، لقاهرة ١٩٧٧م، ص ٤٥، ٥٧، ٥٨، محمد عوض محمد: السودان الشمالى، (سكانه وقبائله)، لجنة تأليف والترجمة، ص ص ٣٣-٣٥، احمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٣٤-١٣٦ .

وقد نجحت جماعة من عرب ربيعة فى وضع أساس أول أمارة عربية إسلامية بالعلاقى بعد ان استمالوا إليهم البجة[١]، وجماعات عربية من قبيلتى مضر وتميم فخضع لهم الجميع، يقول المقريزى: «واستولوا على معدن الذهب بالعلاقى، فكثرت أموالهم، واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة، واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آبارا [٢]»، ويتحدث المسعودى عن انطلاق الإسلام جنوبا حتى جزيرة سواكن حيث تسكن جماعة من البجة أعتنقت الإسلام تعرف باسم الخاسة[٣].

وكان لهذا التسرب العربى الإسلامى المتجه من مصر الى سودان وادى النيل قبيل العصر المملوكي. دوافع ثلاثة:

١- الضغط من جانب حكام مصر[٤] .

٢- البحث عن الكلأ فى أقاليم النوبة الشاسعة[٥] .

٣- التجارة وخاصة تجارة الذهب التى ذاعت شهرتها في ارض البجة،

---

(١) انظر : الادريسى: صفة المغرب وارض السودان، نشر دوزى ليدن ١٨٦٦، ص ٢٢؛ المقريزى : البيان والأعراب، ص ٤٨؛

E.S. Thomas: The ancient mine plant of turin papyrus, Cairo Scientific Journal, Vol. 3,1913, P. 16 FF.

(٢) المقريزى: البيان والأعراب ، ص ٤٨ .

(٣) نقل المقريزى هذا النص عن المسعودى، الخطط ، جـ ١، ص ١٩٧ .

C.F. : Paul, A.: A history of the Beja Tribes, Cambridge, P. 64 FF.

ولمزيد من الدراسة عن الحملات المرسلة الى ارض البجة انظر: البروفيسور يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان، جـ ١، ط الاولى، الخرطوم، ص ٥٤ وما بعدها، وللمؤلف أيضا : انتشار الإسلام فى أفريقيا الخرطوم ١٩٧٩م، ص ١٤،

Crawford, O. G/S: The Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951, P. 26.

(٤) انظر: الفصل الثانى. سقوط مملكة المقرة، حيث يتضح دور المماليك فى إقصاء العناصر العربية من وظائف الدولة باعتبارهم عنصر غير مرغوب فيه وارهقوهم بمضاعفة الضرائب ، ومن ثم التذمر العربى بالثورات المتلاحقة.
انظر : المقريزى : البيان والأعراب ، ص ١١٥– ١٢٢ .

(٥) الادريسى: صفة المغرب وارض السودان ، ص ٢٢ .

بالإضـافـة الى تجـارة الرقـيق [١] وقـد سـارت هذه العـوامـل الثـلاثة جنبـا الـى جنب وساعدت على تقويض ممالك النوبة المسيحية.

---

(١) بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أنداراوس ، نشر مطبعة المعرفة ١٩٥٩م ، ص ١١٧ ، محمد عوض محمد: السودان الشمالى ، ص١٢؛ محمد عمر بشير: تدفق الهجرات العربية للسودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الاول ،المجلد السابع، ص٥، محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة السادسة، ١٩٨١م ، ص ص ٢٨٧، ٢٨٨؛

C.F.: Crowfoot, J.W., :Christian Nubia, J. E. A. XIII. 1927, P. 142, (FF).

انظر الخريطة ، الطرق التجارية فى عصر المماليك، شكل رقم (١١) بمحلق الدراسة.

ثانياً : استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر:

أدت الثورات المتكررة التى قام بها البدو من العرب فى صعيد مصر والصحراء الشرقية الى اضطراب سير القوافل، وإشاعة الخوف بين من يعملون فى ارض المعدن، فاضطر السلطان بيبرس لتأمين تلك الطرق ومد نفوذه حتى ميناء سواكن[١] .

واحس داود ملك النوبة بأن المماليك بتصرفهم هذا يهدفون إلى حرمان ممالك النوبة المسيحية من الاتصال بالعالم الخارجي عبر البحر الأحمر. وعبر داود عن استيائه هذا بتخريب عيذاب [٢] وصعيد مصر سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م. وقد حرص سلاطين المماليك على الاهتمام بثغر عيذاب [٣] ، يتضح هذا من قول الرحالة الذين وصفوه بأنه درة المرافئ

---

(١) انظر. بالتفصيل هذه الدراسة في الفصل الثاني. سقوط مملكة المقرة، ص,٤٧

(٢) للاستزادة عن تاريخ عيذاب يمكن الرجوع للدراسات التالية، مرتبة حسب تاريخ ظهورها:

C. F.: J. Teedor Bent,: A visit to the Northern Sudan, the Geogrraphical Journal, VII, (January to June 1896), 335-356; G. W. Murray, Aidhab, Geohrahpical Journal, (XVIII, No. 3 , September 1926), 235-240; A. Paul, Aidhab: A Medieval Red Sea Port, S. N. R. XXXVI, Part l, (June 1955,) 64-70; also: C. H. Becker, El. S. V. Aid-hab; H. A. R. Gibb, El, S. V. Serdhab, Y. F. Hassan : The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967, P. 66. FF.

احمد السيد دراج: عيذاب ، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة القاهرة ١٩٥٨م، العدد التاسع والعاشر (يوليو – أغسطس) ، ص ٥٥ك بشير إبراهيم بشير، الفاطميون والبحر الاحمر، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الأول ١٩٧٢، ص ص ١٤٩ ، ,١٥٠

(٣) لعل أول استخدام لمرفا عيذاب يعود إلى عصر البطالسة، ولكن الخمول لازمه لقرون عديدة الى ان قدر له ان يعلو ذكره فى النصف الاول من القرن التاسع الميلادى بفضل نشاط العرب التعدينى فى الجبال المتاخمة وجزر البحر المجاورة، ونحو منتصف القرن الحادى عشر الميلادى تحول طريق قوافل الحج لجميع بلدان شمال أفريقيا والأندلس من صحراء سيناء الى ثغر عيذاب لتقاعس الخلفاء الفاطميين عن خفارة تلك الطريق أبان الاضطرابات التى هزت دولتهم يومئذ. وقد تضافرت عدة عوامل لتحوز عيذاب قصب السبق على رصيفاتها من المرافئ. فقد كانت اقرب نقطة الى جدة كبرى مرافئ الحجاز من العدوة الأفريقية، ومن ناحية أخرى فان السفن الميمة شطر مصر توفر من الوقت، وتتقى العديد من المخاطر إذا رفأت بعيذاب، ومن ناحية الاستراتيجية ، فان موقعها الذى يتوسط البحر الأحمر جعلها اكثر ملاءمة من غيرها كقاعدة لأساطيل مصر الإسلامية المناط بها حماية السفن التجارية ، انظر : الادريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، نابلى ١٩٧٠ ، المجلد الثانى ، ص ١٣٤ ، المقريزى: الخطط جـ ١ ، ص ٢٠٢ ، على باشا مبارك: الخطط الجديدة لمصر ، القاهرة –بولاق– (١٣٠٥) ، جـ ١٣ ، ص٢٠ .

البحرية: فهذا ناصر خسرو جاءه عام٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م فى أثناء رحلته من مصر الى الحجاز، وقد تحدث عنه فقال: «ومدينة عيذاب هذه تقع على شاطئ البحر الأحمر وبها مسجد جمعة، وسكانها خمسمائة، وهى تابعة لسلطان مصر، وفيها تحصل المكوس على ما فى السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن ، ومنها تنقل البضائع على الإبل الى أسوان فى هذه الصحراء التى اجتزناها، ومن هناك تنقل بالسفن الى مصر فى النيل [١]».

ولعل اهم ما انفرد به الرحالة الفارسى عن غيره ما ساقه من ان عيذاب كانت تحت سيطرة الفاطميين، فقد أجمعت المصادر التى أعقبت ناصر خسرو على ان السيادة على الميناء كانت مناصفة بين حكام مصر الإسلامية وملوك البجة[٢] .

وقد أسهب ابن جبير الذى زارها فى عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣ن فى وصف عيذاب واوجه حياتها المختلفة، فمن أوجز عباراته عنها، وأغزرها فائدة قوله : وهى مدينة على ساحل بحر جدة، غير مسورة، اكثر بيوتها الاخصاص، وفيها الآن بناء مستحدث بالجص، وهو من احفل مراسى الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها، وتقلع منها زائدا الى مراكب الحجاج الصادرة والواردة[٣]».

وقد أورد ابن جبير ملاحظات أخرى عن عيذاب – تستحق الوقوف عندها، فقد ذكر ان هناك مغاصا للؤلؤ فى بعض الجزائر القريبة من الثغر وان أوان الغوص عليها فى شهرى يونيو ويوليو من كل عام: «ويستخرج منه جوهر نفيس له قيمة ثمينة ، يذهب الغائصون عليه إلى تلك الجزائر فى الزوارق ويقيمون فيها الأيام فيعودون بما قسم الله لكل واحد منهم بحسب حظه من الرزق[٤] ».

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامة ، نقله للعربية يحى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥، ص ٧١؛ بشير إبراهيم بشير ، عيذاب حياتها الدينية والادبية، مجلة الدراسات السودانية ، جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الخامس، يوليو ١٩٧٩، ص ٥٤ وما بعدها.

(٢) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٢٢ وما بعدها، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، بيروت ١٩٦٤م، ص ٤٨؛ ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الامصار وعجائب الاسفارة ،ط بيروت ١٩٦٤م، جـ ١ ، ص ٥٣ .

C.F. : B. Fewis, : The Fatimids and the Route to India, Revue de la Fauclte des Sciences Economiques de L`Universite d. Istanbul, No . 1-4 (1949-1950) PP. 50-54.

(٣) ابن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٤٥ ، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٥ .

(٤) رحلة ابن جبير: ص ٤٦، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ٥٥ .

وربما ألقى قوله هذا المزيد من الضوء على نشأة عيذاب ، حيث كانت نشأتها مرتبطة بالنشاط التعدينى البرى للذهب والزمرد والبحرى للأحجار الكريمة، اما التجارة الشرقية وحركة الحجاج – فهما ضمن أنشطة الميناء ، ثم ان الرحالة الأندلسى أمدنا بمعلومات قيمة عن أهل عيذاب [١] بقوله: «وأهلها الساكنون بها من قبيل السودان يعرفون بالبجاة [٢] ، ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم فى الجبال المتصلة بها، وربما وصل فى بعض الأحيان واجتمع بالوالى الذى فيها من الغز إظهار للطاعة، ومستنا به مع الوالى فى البلد، والفوائد كلها له الا البعض منها[٣]».

ويؤكد بقوله هذا ان البجاه[٤] هم العنصر السائد فى الثغر ويكشف فى موضع

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨، المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

(٢) ورد هذا الاسم عند الواقدى: مرة باسم البجة ويطلق على الوطن ، ومرة اخرى باسم البجاة، ويطلق على نوع السكان ، فتوح مصر والاسكندرية ، ص ٢٧ ، ٥٦، وقد ذكرها القلقشندى : بلاد البجا صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٣ ، المقريزى الاسم المتداول اليوم للبجة هو بكسر الباء: الخطط ، جـ ١، ص ١٩٤؛ محمد عوض : السودان الشمالى ، ص ٢٢، مصطفى سعد: البجة والعرب، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة العدد (٢١) المجلد الثانى ديسمبر ١٩٥٩م، ص ٠١ ، انظر الخريطة شكل رقم (٦).

(٣) رحلة بن جبير : ص ٤٨ .

(٤) البجة او البجاة: يرى البعض انها سلالة من السلالات الحامية ، ولقد اثبت سليجمان من خلال دراسته الانتروبومترية ارتباطهم بالمصريين القدماء، شأنهم فى ذلك شأن النوبيين انظر سليجمان: السلالات فى أفريقيا، ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربى ١٩٥٩م، ص ٧٨؛ محمد عوض : الشعوب والسلالات الأفريقية، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧؛ وأيضا : السودان الشمالى ، ص ٢٢؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب فى العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الحادى والعشرين، جـ ٢ ديسمبر ١٩٥٩م ، ص ص ١ ،٢ .

F.Paul. A,: A history of the Bija Tribes of The Sudan, The Cambridge University, PP. 20-57.

يذكر المسعودى بقوله: أما البجة فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر، وتشعبوا فرقا مروج الذهب، جـ ١ ، ص ٤٣٨، كذلك حدد المقريزى موقعهم بقوله: أول بلد البجة من قرية تعرف بالخرية معدن الزمرد فى صحراء قوص.. واخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة، وهم فى بطن هذه الجزيرة اعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن، وباضع ودهلك. الخطط ج ١ ، ص ١٩٤، وقال القلقشندى: وموطنهم فى جنوبى صعيد مصر مما يلى الشرق فيما بين القلزم ، وبين نهر النيل على القرب من الديار المصرية القاهرة ١٩٦٣م، جـ ٥، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤؛ ابن الفقية: مختصر كتاب البلدان ط ليدن ١٩٦٧ ، ص ٧٨؛ ابن الوردى: تتمة المختصر ، ط بيروت ١٩٧٠، ص ١٢٥؛ أبى الفدا: المختصر ، ط بيروت ، ص ٩٦ .

آخر انهم كانوا أصحاب المال والعقار بها: «وكان نزولنا فيها بدار تنسب لمونح أحد قوادها الحبشيين الذين تأثلوا بها الديار والرباع والعقار[١]».

ومن ناحية أخرى فان نص عبارة ابن جبير يدعم ما أشرنا إليه من قبل من ان حكومة عيذاب كانت مشاركة بين حكومة مصر الإسلامية وملوك البجة المحليين. ولعل أول من أشار إلى هذا اللون من الحكم الثنائى بعيذاب الشريف الادريسى الذى كتب قبيل ابن جبير بسنوات قليلة. عند حديثة عن عيذاب ، حيث يقول: «بها عاملان إحداهما من قبل البجة وآخر من مصر يقتسمان جباتها، على المصرى جلب الأقوات وعلى البجاوى حمايتها من الحبشة[٢]».

وقد اختتم الرحالة الأندلسى ملاحظاته بالتعريض بأهل عيذاب، واصفا كلبهم على جمع المال من الحجاج، وهى ملاحظة وافقه عليها كثيرون ممن زارها بعده حيث قال ابن جبير: ولاهل عيذاب فى الحجاج أحكام الطواغيت، وذلك انهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة . يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة فى الكراء حتى يستوفى صاحب الجلبة منهم ثمنها فى طريق واحدة، ولا يبالى بما يصنع البحر بها بعد ذلك ، ويقولون : علينا بالألواح، وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف بينهم[٣] .

ويضيف فى موضع آخر: فالحلول بها من اعظم المكارة التى حف بها السبيل إلى البيت العتيق زاده الله تشريفا وتكريما واعظم أجور الحجاج على ما يكابدونه ولاسيما فى تلك البلادة الملعونه ، ومما لهج الناس بذكره قبائحها حتى يزعمون ان سليمان بن داود على نبينا وعليه السلام، كان اتخذها سجنا للعفارته ، أراح الله الحجاج منها بعمارة السبيل القاصد إلى بيته الحرام، وهى الطريق التى من مصر على

---

(١) ابن جبير : رحلته ، ص ٤٥، ٤٦ .

(٢) الادريسى: نزهة المشتاق ، ص ٢٢ وما بعدها، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٦ .

(٣) رحلة بن جبير: ص ٤٧، ٤٨، وعن طرق الحج ومخاطرها :

C. F. : Umar Al-Naqar: The pilgrimage tradition in west Africa , Khartom 1972, p. 92- FF.

عقبة آيلة إلى المدينة المقدسة[1]،ويشير الجزء الأخير من عبارته إلى عامل من العوامل التى أدت إلى اضمحلال عيذاب ، وهو ان شره العيذابيين دفع بقوافل الحجاج الى طريق سيناء بعد تحريره من سيطرة الصليبيين.

ويواصل ابن بطوطة ملاحظاته فيقول : «وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاء لملك البجاه وهو يعرف بالحدربى [2] ... ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربى سلطان البجاه يحارب الأتراك، وقد حرق المراكب وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا فى البحر[3]».

وابن بطوطة هنا يدعم قول ابن جبير فى ان ملك البجة كان يستأثر بالشطر الأعظم مما تقله عيذاب. وفرار الجند المماليك أمام سطوة الحدربى [4] سلطان البجة إشارة إلى الخلافات التى كثيرا ما كانت تؤدى إلى إفساد العلاقة بين الطرفين[5]، ولعل تصعيد هذا الخلاف من جانب البجة فى الفترة المملوكية كان من اكبر العوامل التى جعلت المماليك يعملون على سلامة الطرق التجارية البحرية والبرية المؤدية إلى عيذاب ، نظر لحيوية التجارة الشرقية بالنسبة للاقتصاد المصرى، وما يتصل بذلك من استقرار للنظام السياسى فيها [6] . خصوصا ما حدث عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م عندما

---

(١) رحلة بن جبير ، ص ٤٩ ؛ بشير إبراهيم : عيذاب ، ص ٥٧ .

(٢) يقسمهم المؤرخون إلى عدة قبائل مثل الحدارب والزنافج، والحدارية او الحضارمة نسبة لحضرموت موطنهم الأصلى فى جنوب الجزيرة العربية، حيث ينسبون الى ذلك الوطن. انظر : الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٢٣٧ ؛ المقريزى: الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ؛ القلقشندى: صبح الاعشى ، جـ ٥، ص٢٧٤ ؛ بوركهارت رحلاته ، ص ٢٤٨ ؛ Paul. A. : Op. Cit., P. 64,

(٣) ابن بطوطه: رحلته ، ص٥٣، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص,٥٧ وذلك فى منتصف شعبان سنة ستة وعشرين وسبعمائة، يوافق اول المحرم منها الثامن من ديسمبر سنة ١٣٢٥م. ابن بطوطة : ص ٥٣ .

(٤) الحدارية او الحضارمة(نسبة لحضرموت موطنهم الأصلى فى جنوب الجزيرة العربية، حيث ينسبون الى ذلك الوطن، انظر : بوركهارت: رحلاته ، ص ٢٤٨؛ Paul. A.: A history of Bija Tribes of the Sudan, p, 64, MacMichael: Op. Cit., Vol. l, p. 347.

(٥) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٥٣؛ ابن جبير: رحلته ، ص ٤٨؛ يوسف فضل حسن الهجرات البشرية وأثرها فى نشر الإسلام فى السودان، من كتاب الإسلام فى السودان، الخرطوم ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م ، ص ص ٢٠، ٢١,

(٦) تجلت هذه السياسة منذ أيام الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين، فقد هدد ثغر عيذاب وتصدرت لهم مصر. انظر : المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الدين الشيال واخرون، القاهرة ١٩٦٧– ١٩٧٣م ، جـ ٣، ص ٥٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢، ص ٣١–٣٢،

D. Newbold: The Crusades in the Red Sea and the Sudan, S. N . R. XXVI, 2, 1945, P. 213-217,

بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٨، وأيضا: الفاطميون والبحر الأحمر، ص ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، يوسف فضل: الهجرات البشرية ، ص ٢١ .

أغار الملك داود صاحب بلاد النوبة على عيذاب وقتل واليها وقاضيها، وعاد الى دنقلا مثقلاً بالغنائم والأسرى ، وابتنى بدنقلا مكانا سماه عيذاب،سخر فى بنائه الأسرى، وذلك سخرية بالمسلمين، وقد استجاب السلطان الظاهر بيبرس لهذا التحدى بإعداد حملة كبرى على بلاد النوبة فى عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م هزت أركان النظام النوبى، وكانت من أقوى أسباب اضمحلال وانهيار مملكة المقرة[١].

والى جانب ما أوردنا من محن وأخطار لحقت بالثغر فانه كثيراً ما كان عرضة لهجمات من قبائل البجة والعربان المحليين. كانت كغيرها موضع عناية واهتمام حكام مصر الإسلامية[٢].

وما ان تم استخلاص الطريق البرى بين مصر والحجاز من قبضة الصليبيين نحو منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، حتى سارعت قوافل الحج والتجارة الى ارتياده منصرفة عن طريق عيذاب [٣] .

وباستكمال سيطرة سلاطين المماليك على الحجاز وجده، حاولوا إنعاش التجارة الشرقية، عوضاً عن عيذاب، فان التدهور بدأ يدب باضطراد فى الاقتصاد المصرى نفسه، فقد لاحت بوادر ذلك التدهور منذ القرن الرابع عشر الميلادى. وما ان حل القرن الخامس عشر الميلادى حتى اختفى تجار الكارم سادة التجارة الشرقية [٤].

---

(١) انظر بالتفصيل دراسة مستقلة عن سقوط مملكة المقرة، وانظر : ابن ابى الفضائل: النهج السديد والدر الفريد، جـ ٢، ص ٢٢١ .

C.F.: Joseph Cuoq: Islamisation de la Nubie ChreTienne, publieé Sous de direction de Dominique Saurdel et Junine Sourdel Thomine, 1989, p. 69.

انظر الخريطة ، شكل رقم (٧).

(٢) المقريزى : السلوك الى معرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وآخرين، القاهرة ١٩٥٦م، جـ ١، القسم الثانى، ص ٥٠٦، ٥٥٠، ٧٠٠، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص ١٦٢، ١٩٤، وأيضا : الخطط، جـ ١، ص ٢٠٢ .

(٣) انظر : الحسن بن محمد الوزان الزياتى: وصف أفريقيا، ترجمة من الفرنسية الى العربية الدكتور عبد الرحمن حميدة، ط المملكة العربية السعودية ١٣٩٩هـ، ص ص ٥٥٨، ٥٥٩، مصطفى مسعد: البجة فى العصور الوسطى، ص ص ٤٤، ٤٥ .

(4) Subhi Labib,: Egyptian Commerical policy in the Middle Ages in "Studies in the Economic history of the Middle East" ed M.A. Cook, London, 1970, pp. 63-77, esp. p. 77; E Ashtor: the Karimi Merchants, J. R. A. S., (April, 1956), pp. 45-56, esp. p. 54;

بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٩ .، وانظر تفصيلات أخرى عن التجارة الكارمية فى الفصل الرابع من هذه الدراسة.

ولم يكن العيذابيون فى غفلة عما يدور حولهم من أحداث تهدد مستقبلهم فمن ثم بدأوا ينظرون بعين الحقد الى جارتهم جدة فى العدوة الآسيوية وهى تنمو وتزدهر باضطراد، وتحت تشجيع ورعاية السلاطين المماليك، ولذا تخطوا ذلك فعمدوا الى التدابير العسكرية بالإغارة على قافلة حجارية كبرى ولكن الرد عليهم جاء حاسماً وانتهى الأمر بتدمير ثغر عيذاب عن طريق حملة مشتركة من قبل حاكم سواكن والسلطان برسباى عام ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م وفر من تبقى من أهل عيذاب الى سواكن، ودنقلا[١] . ومن ثم استقر رأى السلطان المملوكى على صرف النظر نهائياً عن عيذاب والتعويل على جدة فشرع عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م فى تعمير ميناء جدة، وانزل حامية به، كما يحدثنا المؤرخ العسقلانى فى حوادث عام ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م- ١٤٢٨م [٢] .

«وفى رمضان توجه سعد الدين إبراهيم بن المرة الكاتب لاجل المكوس من تجار الهند بجدة ، فعمر بجدة جامعاً وفرضه، وصارت ميناء عظيمة وجهز السلطان اميراً يقال له ارنبقا من أمراء العشراوات ، وجهز معه خمسين مملوكا لدفع بنى حسين والقواد من التعرض الى جدة والأعراض عن النهب[٣]». ومنذ ذلك الحين تحولت عيذاب الى مرسى صغير مغمور ، وربما استمر استخدامه بعض الوقت، فقد ذكرت كآخر نقطة لبريد قوص نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادى[٤] . ثم نجد لها ذكرا نحو نهاية القرن نفسه[٥].

ونستطيع ان نقرر ان بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب كان من أجل المحافظة على شريان التجارة الشرقية، وبالأخص ميناء عيذاب.

(١) انظر : ليو الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ص ٥٥٨، ٥٥٩، وأيضا

Jean-Leon L/, : African, Description de L'Afrique, ed Tr. A. Epaulard, paris, 1956, Premcise Patie, p. 485.

(٢) الحافظ احمد بن على بن حجر: أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢م/ جـ ٣، ص٤٠٤، بشير إبراهيم بشير عيذاب ، ص٥٩ .

(٣) ابن حجر العسقلانى: انباء الغمر بابناء العمر ، جـ ٣، ص٤٠٤، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٩ .

(٤) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤، ص ١١٨ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، القاهرة ١٩٣٤م ٢، جـ٣، ص ٢٣٠، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص٦٠، احمد محمد على الحاكم: المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث فى منطقة البحر الأحمر السودانية ٧٩-١٩٨١م ،مجلة كلية الآداب , جامعة الخرطوم ،العدد الخامس ١٩٨٣م ،ص ٣٠، انظر : موقع عيذاب على الخريطة شكل (١) بملحق الدراسة.

ثالثاً: الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثرها على التدخل المصرى فى النوبة:

موقف الحبشة : [١] .

لقد سارت سياسة ملوك الحبشة على المحافظة على عاملين أساسيين:

- العامل السياسى والاقتصادى للحد من نشاط المسلمين التجارى، والاستيلاء على بلادهم لتوسيع مملكتهم.
- والعامل الدينى، ولكن ربما كان أساس النزاع سياسيا اكثر منه دينيا [٢].

وليس هذا بغريب اذا علمنا ان الأراضى التى سيطر عليها المسلمون فى الحبشة تفوق فى مساحتها ارض مملكة الحبشة نفسها، وان هذه الرقعة الإسلامية كانت تحوطها من الجنوب والشرق، فضلا عن إحاطة الإسلام من ناحية سودان وادى النيل فى الشمال والغرب، وقد ادى هذا الى عزل مملكة الحبشة عزلا تاما عن العالم

---

(١) كلمة الحبشة ومنها الأحباش Abyssinia- Abyssinian's يرجع اصلها الى قبيلة حبش العربية ، وهى أقوى القبائل العربية التى هاجرت من جنوب بلاد العرب فى الفترة بين القرنين العاشر والسابع ق.م واستقرت فى أفريقية ،ولم يأت القرن الرابع الميلادى حتى غلب اسم هذه القبيلة العربية على المنطقة التى استوطنتها فى شمال الحبشة بل وعلى الوطنيين أنفسهم، ثم أطلق العرب اسم الحبشة على جميع المنطقة الممتدة بين النيل غربا والبحر الأحمر شرقاً ومن النوبة شمالا الى ما وراء خط الاستواء جنوباً .

كما ان لغة الجغر او لسان جعز ،وهو الاسم الذى عرفت به اللغة الحبشية القديمة فتنسب الى قبيلة الاجاعز (الاجعازيان) وهى إحدى القبائل العربية التى هاجرت من اليمن الى الحبشة ،واستقرت فى الجانب الشمالى الشرقى من الحبشة ولم تلبث ان بسطت نفوذها على سائر البلاد. انظر : ابن حوقل: صورة الأرض ،ط ليدن ١٩٦٧، ص١٦ . عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب ،دار الفكر العربى القاهرة ، ص ،١٢ محمد عبد الغنى سعودى : أفريقية (دراسة لشخصية الأقاليم) ،الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢٦٨ ، ،٢٦٩ محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى ،معهد البحوث والدراسات العربية ،١٩٧٧ ص ٣٣ ؛ الأمين عبد الكريم: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أثيوبيا الى نهاية القرن التاسع عشر، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الأول ، أبريل ١٩٨٥م، المركز الإسلامى الافريقى بالخرطوم، ص ٦٥ حاشية (١).

(٢) إبراهيم على طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى ،مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩م، ص ،٤٥ الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل ط القاهرة ١٩٥٥م، ص ٢٩ ، زاهر رياض : تاريخ أثيوبيا، ط ١٩٦٦م ،صفحات ٦٢ ، ،٦٣ ٦٥ .

الخارجى ولا سيما بعد استيلاء المسلمين على ميناء عدل قرب مصوع، وهو ثغر دولة اكسيوم ومخرج أثيوبيا الوحيد الى البحر الأحمر مما أدى الى تدهور احوال الحبشة الداخلية ، وقامت ولايات متطاحنة فيما بينها لتولى الزعامة ، كما ترددت العلاقات الدينية مع الكنيسة المصرية(١).

وعندما تولت الأسرة السليمانية الحكم فى الحبشة عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م بارتقاء أول ملوكها يكونوا أملاك Jekuno Amlack(٦٦٩هـ-٦٨٤هـ/ ١٢٧٠-١٢٨٥م) ، عمل على تدعيم أواصر العلاقات بين مصر والحبشة (٢) .

ولذا بعث الى الظاهر بيبرس سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م برسالة ضمن كتاب صاحب اليمن الذى طلب ملك الحبشة وساطته، يطلب مطرانا، وتشير الوثيقة الى ان الملك الحبشى أرسل هدية للسلطان، كما تشير الوثيقة الى تهديد خفى بذكر من تحت يد ملك الحبشة من المسلمين، وقد رفض بيبرس إجابة طلبه بحجة عدم حضور رسول من

---

(1) C .F. : Si E. A. Wallis Budge : A history of Ethiopia: Nubia and Abyssinia, Vol. (1) (1928) pp. 120-122, Edward Ullendorff: the Ethiopians: An introduction to Country and peoples (1967), pp. 1-2, lonel Bender: Comment on the use of the trem " Abyssinia" American Antheropologist, Vol. 79, n.l (January, 1977) and F.C. Gamst "On Abyssinia A response to Bender" Ibid, Vol. 79, n. 4, (December 1977.),

وانظر الخريطة شكل رقم (٨)

الأمين عبد الكريم: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر ، ص ٦٥، وانظر أيضا: الشاطر بصيلى عبد الجليل: معالم تاريخ وحضارات سودان وادى النيل، ص ٩، محمد محمد أمين: تطور لعلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى، ص ٣٣ وما بعدها؛ قاسم عبدة قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، دراسية وثائقية، دار المعارف الطبعة الثانية ، ١٩٧٩، ص ص ٩٦، ٩٧.

(2) Budge: A history of Ethiopia, Nubia & Abyssinia, Vol. I, p. 258, coulbeau (J.B): histoire politique et Religiese e d'Abyssinie, pp. 284, 286, Trimingham (J.S) Islam in Ethiopia, pp. 65, 72.

وانظر أيضا : فوزى مكاوى : مملكة اكسوم، رسالة دكتوراه غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٤م، وللمؤلف أيضا: أضواء جديدة على العلاقات بين مملكة اكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين، دراسات الخليج والجزيرة وأيضا الملاحة فى الحوض الجنوبى للبحر الأحمر وأثرها فى التاريخ السياسى للمنطقة خلال العصور القديمة، ندوة القرن الافريقى ١٩٨٥م.

جهة إمبراطور الحبشة.. «حتى كنا نعرف الغرض المطلوب [(١)]».

ويرى بعض الباحثين ان السبب الحقيقى هو ان الظاهر بيبرس أرسل سفارة الى الحبشة للاطمئنان على أحوال المسلمين هناك بوصفه حاكم أقوى دولة إسلامية وتأخرت تلك السفارة فغضب لذلك[(٢)] . بينما وصلته أنباء الحروب التى شنها يكونو أملاك ضد المسلمين لتزيد من غضبه[(٣)]. واراد خليفته (يجباصيون[(٤)]) Yagbea Seyon تحسين العلاقات فارسل وفدا الى مصر سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م واستقبله السلطان قلاوون بترحاب وقبل هدية الإمبراطور وعين الأسقف المطلوب وكان الوفد مزودا بثلاث رسائل أولها للسلطان يطلب السماح لرسله بالتوجه الى بيت المقدس ويوصى بالرهبان الاحباش المقمين بالقدس ثم يطلب مطرانا لاصلاح بلاد الحبشة ويقرر انه يختلف كثيراً عن ابيه ويطلب تعاوناً وسلاما لصالح كل من المسلمين والمسيحيين فى البلدين ويقرر انه لن يتأخر فى إرسال كل ما يحتاجه السلطان اذا وصله المطران، وكانت الرسالة الثانية للبطرك توضح مدى العلاقة الوثيقة التى كانت تربط الأحباش باقباط مصر ويطلب الإمبراطور من البطرك أسقفا جيدا صالحا يعلمنى كل شئ وفى الرسالة الثالثة يكرر طلب المطران من السلطان[(٥)].

---

(١) ابن ابى الفضائل : النهج السديد والدار الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ص ٣٨٣، ٣٨٧؛ القلقشندى: صبح الاعشى ،ط دار الكتب ج ٨ ,ص ١١٩، ١٢٠؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ط بيروت ، ج ٧ ص ٢٤، ٢٥ ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة ، ص ٤٩٧ رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٥، ص ٤٠، الأمين عبد الكريم: مرجع سابق ، ص ٥٠، ٥١ .

(٢) سعيد عاشور: بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٤، ص ١٦ .

(٣) زاهر رياض: الإسلام فى أثيوبيا، ط القاهرة ١٩٦٤، ص ١٦٩، ص ١٧٠ .

(٤) يلاحظ ان اسم هذا الملك ليس علما ولكن جملة معناها سوف يبعث الله صهيون، أما الاسم الذى عمد به فهو سليمان انظر : الأمين عبد الكريم مرجع سابق ، ص ٥١ . .Budge, Op. Cit., p. 287

(٥) انظر قاسم عبده قاسم: أهل الذمة فى مصر ، ص ص ٩٨، ٩٩، طرخان الإسلام والممالك الإسلامية، ص ٢٩، C.F. : Taddesse Tamrat: Church and state in Ethiopia 1270-1527, Oxford 1972, p. 132-145. قاسم عبده قاسم : أهل الذمة ، ص ٩٨ .

واذا كانت مملكة الحبشة قد ضعفت فى عهد الملوك السليمانيين الاول فانها لم تلبث ان قويت، وازدهرت خلال حكم عمدا صيون الاول - Amda Sayon(٧١٣-٧١٤هـ/٧٤٤-٧٤٥هـ) (١٣١٣-١٣١٤/١٣٤٣-١٣٤٤م) المؤسس الحقيقى للدولة الحبشية[1].

وفى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م وردت رسل الإمبراطور عمدا صيون الذى خاض حروباً متواصلة ضد مسلمى الحبشة تطلب إعادة ما خرب من الكنائس ومعاملتهم بالحسنى، ويهدد باضطهاد المسلمين فى الحبشة ، ويسد النيل حتى لا يسير الى مصر فسخر منه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ورد رسله[2] .

ونتيجة لطبيعة العصور الوسطى التى شهدت بعض فتراتها قمة التعصب الدينى، تبودلت المراسلات بين ملوك الحبشة ، وحكام مصر المملوكية من اجل معاملة المسلمين فى الحبشة او حسن معاملة المسيحيين فى مصر ، وكان من نتيجة استمرار ملوك الحبشة فى محاربة المسلمين فى بلادهم[3] ، واستيلائهم على زيلع سنة ٨١٧ هـ/١٤١٤م ، ان رد على ذلك سلاطين المماليك باضطهاد المسيحيين فى مصر ، ففصل منهم من كان يعمل بوظيفة رسمية فى الدولة ، وفر بعضهم الى الحبشة، كما لجا الى الحبشة أيضا بعض أمراء المماليك

---

(١) يقول القلقشندى ان اسمه عمد صيون، وكان هذا الملك يعاصر العمرى، ومعنى اسمه كما يشرح صاحب صبح الاعشى: ركن صهيون ، وصيون هذه بيعة قديمة بالإسكندرية معظمة عندهم. انظر صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٣٢٢، الأمين عبد الكريم: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أثيوبيا الى نهاية القرن التاسع عشر ، ص ص ٥١، ٥٢، Budge :A history of Ethiopia, pp. 288-9, طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة، ص ,٥١

(٢) السلوك : جـ ٢، ق ١، ص ٢٧٠ . Trimingham: Islam in Ethiopia, pp. 70-71.. قاسم عبده قاسم: أهل الذمة ، ص ٩٨، ٩٩؛ ومن الملاحظ ان اضطهادات مسلمى الحبشة تنتج رد فعل مماثل فى مصر، ففى الفترة ما بين عامى ١٣٣٢م، ١٣٣٨ أرسلت سفارة الى سلطان مصر الناصر محمد برئاسة عبد الله الزيلعى، لتدخل السلطان فى الأمر لحماية مصالح المسلمين فى الحبشة، فطلب الناصر محمد من البطريق بالإسكندرية ان يكتب رسالة الى ملك الحبشة فى هذا الصدد. انظر : مسالك الأبصار: جـ ٢، ق٣ ، ورقة ٤٧٧ ؛ صبح الاعشى، جـ ٥ ، ص ٣٣٣، وانظر محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٣ .

(٣) انظر : المقريزى: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة ص ١١ .

المسلمين ربما لخلافات داخلية بينهم وبين السلطان وخوفهم على أنفسهم(١).

ولم يقف الأمر عند حد التهديد، بل ان مشروعات حملات صليبية مشتركة ظهرت فى تلك الآونة لتدل على المدى الذى كان الأحباش مستعدين للذهاب إليه فى الدفاع عن مسيحى مصر والنوبة ، ويؤكد بعض الباحثين ان حملة بطرس لوزجنان على الإسكندرية ٧٦٧هـ/١٣٦٥م أعدت على أساس ان يهاجم أسطوله الإسكندرية وشمال مصر فى الوقت الذى يهاجمها الأحباش والنوبيون من الجنوب، وبذلك يتم القضاء على مركز المقاومة الإسلامية فى مصر(٢) .

وهكذا لم يكن ملوك الحبشة الأقوياء من أمثال ، عمدا صيون(١٣١٤-١٣٤٤م) وسيف ارعد (٤٤-١٣٧٢م) وزرعا يعقوب (٣٤-١٤٦٨م) قادرين على تجاهل ماكان يتعرض له أقباط مصر والنوبة احيانا من اضطهاد ، وقد سلك اباطرة الحبشة طرقاً أربعة لصالح المسيحيين فى النوبة ومصر اولها: التهديد بإغلاق منابع النيل الأزرق لمنع فيضان النيل من الوصول الى مصر وثانيها: شن الحملات الانتقامية على مسلمى الحبشة، وثالثها: إرسال السفارات الودية المحملة بالهدايا والرسائل الى سلاطين المماليك، ورابعها محاولة التحالف والاتفاق مع القوى الأوروبية المسيحية وممالك النوبة الآخذة فى الانهيار ، وبينما لم تثمر الطريقة الأولى والأخيرة عن شئ، فقد أتت اضطهادات مسلمى الحبشة بنتائج عكسية تماما لأهدافها، بينما استطاعت السفارات والاتصالات ان تحقق بعض النتائج الطيبة لصالح المسيحيين فى النوبة ومصر (٣).

(١) المقريزى: الإلمام ، ص ص ١٢، ١٣؛ Trimingham; Op. cit., pp. 37-4.; طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ، ص ٥٧ ، ٥٨، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٣ ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة ، ص ٩٨، الأمين عبد الكريم ، مرجع سابق ص ٥٣،

C.F.: Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270-1527, p. 174, 206.

رجب محمد عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة ، ص ١٤٣-١٤٦ .

(٢) انظر : المقريزى: السلوك/ جـ ٤ ،ق٢، ص ٧٩ ، ٧٩٧؛ يوسف فضل : دراسات فى تاريخ السودان، ص ٤٢، حسنين محمد ربيع، البحر الأحمر فى العصر الايوبى (ندوة البحر الأحمر)، ١٩٨٠م، ص ١٠٨؛ ج فانتيني: تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديثة، الخرطوم ١٩٧٨م ، ص ١٨٠ ، محمد غيطاس: النوبة ، ص ص ١١٤ ، ١١٥ ، رجب عبد الحليم : مرجع سابق ، ص ص ٩٨ ، ٩٩،

C.F. : Newbold . D.:The Crusaders, on the Red Sea and the Sudan, S.N.R. XXVI, part II, P. 221, Henderson, K.D.D.: "Fung Origins " S.N.R.XVII, part I, 1935, p. 150, FF.

وانظر : الدراسة بالتفصيل فى الفصل الثانى سقوط مملكة المقرة.

(٣) انظر: رجب عبد الحليم : مرجع سابق ، ص ١٤٢ ، وما بعدها.

رابعاً : ضعف النظام الكنسى وانحلاله:

ارتبطت الكنيسة المصرية بكنيسة النوبة ، خاصة انها كانت على المذهب اليعقوبى[١] ، مذهب الكنيسة القبطية [٢]، يقول المسعودى: «ولليعاقبة كرسيا لا ثالث لهما : أحدهما بإنطاكية والآخر بمصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من ارض النوبة والأحباش رأى اليعقوبية[٣]» .

وقد أعطى عقد معاهدة البقط بين مصر والنوبة فرصة لازدياد نفوذ الكنيسة القبطية فى بلاد النوبة والحبشة ، بحيث أصبحت هى المسيطرة عليها بلا منافس، ومما ساعد على ذلك أيضا زوال النفوذ البيزنطى من مصر عقب فتح مصر[٤] .

ويشير ابو صالح الارمنى الى ان ملوك النوبة والحبشة تحت طاعة البطريرك القبطى فى مصر «وملك النوبة له النوبة واعمالها وارض علوة والمقرة والاجناس المضافة اليها .. وهى كرسى مارى مرقص الانجيلى ومنه يقسم لهم [٥]» كل هذا جعل بلاد النوبة من الناحية الروحية تتجه الى الكنيسة القبطية بالإسكندرية التى كانت تتولى تعيين الاساقفة فى الكنيسة النوبية[٦] .ويقول القلقشندى ان كرسى الاسكندرية يعد مصيره الى اليعاقبة قد تبع البطرك القائم به على مذهب اليعاقبة الحبشة والنوبة وسائر متنصرة السودان.. ولولا ان معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة انه لا يصح تعمد

(١) نسبة الى يعقوب البراذعى "Jacob Baradeus الذى سمي هكذا لأنه كان يرتدى البراذع والثياب البالية المخرقة، وهو قس من أهل نصيبين انظر: القلقشندى: صبح الاعشي، جـ ١٣ ، ط القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩/ ويقول المقريزى: وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد، يلبس خرق البراذع ، فسمى يعقوب البراذعى من اجل ذلك وانه كان يطوف البلاد، ويرد الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسمو يعقوبية انظر المقريزى: الخطط، ج٢ ، ص ٤٩٠ .

(٢) حول انتشار المسيحية فى بلاد النوبة القديمة : انظر: فانتيني: مرجع سابق ،ص ٤٠ ، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٤٣–١٠٥ .

(٣) المسعودى: التنبيه والأشراف ، ص ١٥١ ، مصطفى مسعد: المكتبة السودانية العربية ص ٤٧ .

(٤) عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، الانجلو ١٩٦٨م، ص ٢٣٢ ، وأيضا الدولة العربية ، جـ ١ ، ط الرابعة ، مكتبة الانجلو ١٩٧١، ص ٢٣١ .

(٥) ابو صالح الارمنى: تاريخه ، ص ١٢٥ ، ١٣٤ ، مصطفى مسعد المكتبة السودانية (حاشية ص ١٣٦) .

(٦) المقريزى: الخطط، جـ ١ ، ص ١٩١ .

معمودى الا باتصال من البطريرك، وان كرسى البطريرك كنيسة الإسكندرية[١]، كل هذا يوضح حرية ممارسة شعائر العقيدة، وفى هذا دليل على انه لم يكن هناك ضغط للتحول للاسلام.

إن الكنيسة النوبية لم تنجب علماء متخصصين فى اللاهوت او الفلسفة الدينية المسيحية، بعكس الحال فى الكنيسة المصرية، فظل الجهاز الكنسى ببلاد النوبة والحبشة بيد رجال دين مصريين، معينين من قبل الكنيسة القبطية ، بينما اقتصر تعيين العنصر الوطنى على المناصب الدينية قليلة الأهمية، وتحدد مستقبل الكنيسة النوبية بنوع العلاقات بين الكنيستين القبطية والنوبية، غير ان هذه العلاقات لم تلبث ان خضعت لعوامل سياسية ، فكثيرا ما كان مركز الكنيسة النوبية يتأثر تبعا لتدخل السلطات الحاكمة فى مصر فى شئون الكنيسة المصرية[٢].

ومن الواضح كذلك ان اعتناق النوبيين للمسيحية كان صورياً ، واقتصر اثرها على المدن والقرى الكبيرة ، وظلت الغالبية العظمى من النوبيين تمارس عاداتها الوثنية القديمة، بدليل مالاحظه ابن سليم من ان بعض سكان النوبة يعرفون الله ولكنهم يشركون معه بعض مظاهر الطبيعة كالنجوم والكواكب والأشجار، ويعتقدون فى السحر[٣].

ويؤيد هذا وجود بعض التقاليد الموروثة عن العهد الوثنى[٤].

وعلى الرغم من ان اعتناق النوبيين للمسيحية لم يكن نابعاً عن فهم عميق لها، وبالتالى عدم ظهور علماء متخصصين فى الدين منهم، فان الكنيسة النوبية –كما يبدو– تمتعت بسلطة كبيرة في البلاد نبعت من ارتباطها الوثيق بسلطات الدولة، فقد اسند الى حكام الأقاليم القيام بوظائف كهنوتية إلى جانب أعمالهم الإدارية كذلك تشير النقوش الى قيام الأساقفة ورجال الدين من القسس والشمامسة والمرتلين بمهام إدارية مدينة [٥].

(١) القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ٥ ، ص ٣٠٨ .

(٢) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ١٠٠ .

(٣) المقريزى: الخطط، جـ ١ ، ص ١٩٣ .

(٤) نادية بدوى: الزينة الشخصية عند العبابدة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة، معهد الدراسات الافريقية ١٩٨٥م، ص ٩ .

(5) Monneret De Villard: Storia Della Nubia Cristiana Roma, 1938, p . 167.

هذا وكانت بلاد النوبة تضم ثلاثة عشر أسقفية تابعة للكنيسة القبطية فى مصر، وكانت مدينة ساى Say بالنوبة السفلى عند الشلال الثانى، مقرا لاحدى هذه الاسقفيات، وقد أشار الى ذلك مؤرخ النوبة احمد بن سليم الاسوانى الذى زار بلاد النوبة فى مستهل العصر الفاطمى [١] بقوله «ومن هذه المسلحة قرية تعرف بساى[٢] جنادل أيضا، وهى احد كراسيهم، ولهم فيها أسقف وفيها بريا.. [٣]».

هذا وبلغ عدد الاسقفيات بالنوبة السفلى وحدها سبع اسقفيات، بينما بلغ عددها بالنوبة العليا ست اسقفيات، وهذه الاسقفيات بالنوبة السفلى هى: قورتة Korta[٤]، ابريم Ibrim[٥]، بجراس Bujras[٦]، دنقلة Dangola[٧]،

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ١٩١، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٩٣، انظر الخريطة شكل رقم (٢).

(٢) ساى اوصاى قرية نوبية فى نهاية إقليم مريس من الجنوب قرب وادى حلفا الحالية، ومازالت هذه القرية تعرف بهذا الاسم، وهى التى كانت تعرف باسم المقسى او المقسى الاعلى طوال العصور الوسطى. انظر: المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ص ١٩٠، ١٩١؛ اباصالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢٠.

(٣) بريا: يعنى معبد او آثار فى اللغة المريسية انظر مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص ٩٥ حاشية رقم (١)، ص ١٤٦ حاشية رقم (١) وأيضا الإسلام والنوبة ص ص ٦٧، ٦٨.

(٤) مازالت قرية قورتة النوبية (١١٥ كم جنوبا من أسوان) تحمل اسمها القديم الى اليوم، وتعتبر هذه القرية من اكبر القرى النوبية مساحة وسكانا، ولهذا قسمت من الناحية المساحية الى ثلاثة قرى هى: قورته أولى، قورته ثانيه، قورته ثالثة، انظر: وزارة الشئون الاجتماعية: بلاد النوبة حاضرها ومستقبلها ص ٢٨، انظر الخريطة شكل رقم (٢)، (٣).

(٥) ابريم: من القلاع النوبية الحصينة فى إقليم مريس(٢٢٧ ك.م من أسوان جنوبا) وبها معبد فرعونى عظيم، وينسب إليها لقمان الحكيم، وذو النون المصرى طبقا لما ورد عند ابن سليم الاسوانى وكانت كنيستها تحمل اسم السيدة العذراء مريم، تعلوها قبة عظيمة، تحمل صليبا عظيما انظر: المقريزى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، اباصالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢١.

(٦) بجراس: وتعرف حاليا باسم فرس على الضفة الغربية للنيل، وعلى الحدود المصرية النوبية وكانت عاصمة مملكة نوباديا التى كانت تشمل إقليم مريس قبل اتحادها مع مملكة مقرة المسيحية وظلت تحتفظ بأهميتها حتى بعد ان تم الاتحاد المشار إليه، حيث ظلت مقرا لحاكم اقليم مريس (صاحب الجبل) الى جانب ابريم فى الشمال. ويبدو ان كنيستها كانت فوق سفح جبل عال أطلق عليه مؤرخو العرب اسم جبل زيدان على الضفة الغربية للنيل انظر: المقريزى: الخطط / ج ١، ص ١٩٠، ابا صالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢١.

(٧) دنقلة: هى عاصمة مملكة النوبة السفلى، ومازالت تحمل نفس الاسم، وتقع على النيل فى الطرف الغربى، وكانت كنيستها هى الكنيسة الرئيسية (تسمى كنيسة اسوس) انظر: النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٩ مخطوط دار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة، ورقة ٢٧٤(أ)، ٢٧٤ (ب)، المقريزى: السلوك ج١ ق ٣، ص ٧٥٢، انظر الخريطة شكل رقم (٥).

ساى[١]، تيرموس اوديرموسى Teemus[٢]، سنيكور Scienkur[٣].

اما اسقفيات النوبة العليا فهى ، بورا Bora، جاجارا Gagara، مارتن Martin، اروديا‌س Arodias، بنازا Banaza، منكسا Menkesa، ومازالت بقايا هذه الاسقفيات قائمة الى اليوم [٤].

ويشير ابو صالح الارمنى الى عدد الكنائس فى مدينة علوة بقوله مدينة علوة بها جيش ومملكة عظيمة جدا، وأعمال متسعة ، وبها أربعمائة كنيسة[٥].

كما يشير الى العدد بالتحديد في دنقلة بقوله : مدينة دنقلة بها سرير الملك وهى مدينة عظيمة على شاطئ بحر النيل المبارك، وبها كنائس كثيرة وأدار كبار وشوارع متسعة[٦] هذا بخلاف الكنائس والأديرة والبيع التى كانت كثيرة الانتشار فى مختلف أنحاء بلاد النوبة.

ويتضح من قول ابى صالح ان الطقوس بالكنائس كانت تؤدى باللغة اليونانية، غير انه فى خلال القرن الثامن الميلادى أخذ النوبيون يترجمون الطقوس الدينية عن اليونانية الى اللغة النوبية[٧]. فوجود اللغة اليونانية فى النوبة كان أمرا طبيعياً لصلة

---

(١) ساى : سبق التعرف بها فى ص ٥٩ حاشية رقم (٢) .

(٢) ديرموس مازالت تحمل اسمها القديم، وتقع عل الضفة الشرقية من النيل فيما بين قريتى أمير كاب وكلابشة (٥٥ك.م جنوبا من أسوان) انظر: ابا صالح الارمنى: تاريخه ، ص ١٢٥، بوركهارت: رحلاته ، ص ١٠.

(3) MacMichael, H.A.: A history of the Arabs in the Sudan , Vol. I, p. 77 FF. وانظر الخريطة شكل رقم (٣)، (٤).

(٤) الشاطر بصيلى عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع الى القرن التاسع عشر الميلادى، القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٢٠، فانتينى : مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣ وما بعدها.

(٥) ابو صالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ص ١٢١، ١٤٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٥ وقد اسهم وصلواتهم روميا، الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٩، ان استعمال اللغة اليونانية فى الطقوس الدينية ببلاد النوبة دليل على دخول المسيحية الى هذه البلاد قبل ان تترجم الطقوس الدينية من اللغة اليونانية الى اللغة القبطية فى مصر.

C. F. :Budge ,E.A.W.:A history of Ethiopia: Nubia, and Abyssinia, Vol. I. p. 117, Budge : The Egyptian Sudan, its history and Monuments, London 1907, p. 301, Jakobielski, S.: Some Remarks on Faras inscripitions Nubische Kunst, 1970, p. 32, Gadallah, FF.,: The Egyptian Contribution to Nubian Christianity. S.N.R.XL, 1959, P. 42.

هذه البلاد بالبيزنطيين، ومن قبلهم بالبطالمة والرومان، ولا شك ان انتشارها زاد مع التبشير بالمذهب الملكانى فى مقرة، وربما أبقت الكنيسة المونوفيزتية فى أول عهدها على هذه اللغة فى الطقوس كما كان الحال فى مصر فى القرون الأولى[١].

ثم كان استخدام هذه الكنيسة للغة القبطية بعد ذلك ، ويدل على ذلك أجزاء من انجيل مخطوط باللهجة الصعيدية[٢] عثر عليه فى أرضيه الرواق الأوسط والبلاطة الشمالية بكنيسة عبد الله نرقى، ويرجع ان هذه الأجزاء من القرن التاسع او العاشر الميلاديين[٣].

وكان استخدامها فى الوثائق الرسمية والدينية استخداماً صحيحاً دون أخطاء لغوية او إملائية، ولعل ذلك يرجع الى اختيارهم لكاتب لديه المقدرة على كتابتها بصورة صحيحة، والى الحرص على تعليمها فى الأديرة، كما تشير تلك النقوش القبطية المدرسية على جدران كنيسة فرس[٤]. ورغم شيوع هاتين اللغتين –القبطية والنوبية– فان اللغة النوبية القديمة كانت لغة الحديث بين عامة النوبيين ، ويرجع اقدم نموذج منها الى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م فى وادى السبوع، ويحتوى على صلوات لاحد قساوسة فرس يدعى بطرس[٥].

(1) Gadallah, FF., The Egyptian Contribution to Nubian Christianity S.N.R.XL,1959, p. 42.

(٢) اللهجة الصعيدية: وهى من الكلمات العربية «صعيد» ومعناها اعالى الأرض اى الوجه القبلى، وهى لهجة طيبة وفيما بعد أصبحت لهجة آداب الوجه القبلى، وكانت تسمى سابقا الطيبية، وكانت اللهجة الصعيدية لهجات عديدة اندمجت فى بعضها بعضا كالبحيرية انظر: مراد كامل: القبط فى ركب الحضارة، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية، بدون ، ص ص ٤٢، ٤٣ .

(٣) كشفت حفائر جمعية التنقيب عن الآثار المصرية فى قصر ابريم عن أجزاء من إنجيل يونانى للقديس مرقس يرجع فى الغالب الى عصر جستنيان.

C.F.: Moorsel, Paul van, and others: The central Church of Abdallah Nirqi, Leiden, 1975, pp. 20-21.

ومن الملاحظ ان اللغة القبطية لغة اللاجئين الى النوبة من مصر فررا من الاضطهاد الدينى قبل الفتح الإسلامى، ومع انتشارها عن طريق القوافل التجارية وارتباط كنيسة النوبة بكنيسة الإسكندرية أصبحت لغة رسمية الى جانب اللغة اليونانية . انظر : مراد كامل ، مرجع سابق ، ص ٤٢، ٤٣ .

(4) Jakobielski,: Bishopri, pp. 58, 132-134.

(5) Griffith, F. Li.: Oxford Excavations in Nubia, L. AAA X III, 1926, p . 53.

كما عثر على شاهد قبردونت نقوشه بهذه اللغة فى كنيسة الأعمدة الجرانيتية بدنقلة العجوز مؤرخ سنة ٧٩٧م، وتضم هذه اللغة كلمات قبطية ويونانية وحروفا من اللغتين، تؤكد استخدامها في الكتابات الكنسية، وفي ترجمة أجزاء من القداس، وفى الحديث عن بعض المعجزات التى تنسب للقديس مينا[١].

وتؤكد إشارة ابى المكارم الى ان الملك سلمون خط كتبهم بالقلم النوبى مما يؤكد شيوع استخدام هذه اللغة فى تدوين المخطوطات[٢].

وفيما يتعلق باستخدام هذه اللغة فى الطقوس الدينية بعلوة ، فان الشواهد الأثرية الدالة على ذلك نادرة، غير ان بن سليم [٣] يذكر ان أهل علوة ترجموا الطقوس الدينية الى اللغة النوبية وفى نفس الوقت الذى وجدت فيه إشارات أخرى إلى استخدام اللغة اليونانية لهذا الغرض[٤].

اما عن علاقة الكنيسة النوبية بالكنيسة المصرية، وموقف حكام مصر الإسلامية، فلا شك ان هذه العلاقة كانت طيبة بفضل هيمنة الكنيسة المصرية وإرسال الأساقفة إلى بلاد النوبة، فنشأت فى البداية علاقة طيبة بين ملوك النوبة المسيحيين وبطاركة الكنيسة المرقسية[٥] .واختلفت طبيعة هذه العلاقات من حين إلى آخر تبعا لما تقتضيه مصالح الطرفين [٦].

هكذا كان ملوك النوبة يتأثرون لمعاملة بعض حكام مصر الإسلامية للأقباط، فكانت تدفعهم عاطفة الاخوة الدينية الى مساعدة المسيحيين فى مصر فى رفع ما

---

(1) Budge, W.: Text relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicaea in a Nubian dielect with Facsimile, London, 1909, p. 5. FF.

(٢) ابو المكارم : كنائس وأديرة مصر المنسوب لابى صالح الارمنى، اكسفورد ١٨٩٥، ص ١٢٤-,١٢٥

(٣) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٣ .

(٤) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ٩٦ .

(٥) احيانا كانت تتوتر العلاقات بين كنيسة النوبة والحبشة ، انظر: ابن المقفع: سير الأباء البطاركة ، ج ٢، ص ,١٣١

(٦) هناك امثلة عديدة عن الخلافات التى سبقت الدراسة قبل العصر المملوكى انظر : ابو المكارم: كنائس وأديرة مصر ، ص ١٢٢، ١٢٣، ابن المقفع: سير الأباء البطاركة، م ١، ج ٢، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

Jakobielski, Bishopric, pp. 52-67.

كانوا يتعرضون له من مظالم، وذلك أما عن طريق الوساطة الدبلوماسية لدى حكام مصر[١] او عن طريق الإغارة على حدود مصر الجنوبية إذا ما لزم الأمر[٢].

وأخيراً قطع الاتصال الدينى والمدد الروحى بين الكنيسة المصرية فى الإسكندرية وكنائس النوبة فى دنقلة وعلوة منذ وفاة أسقف النوبة البطريرك سيريل ٦٣٣هـ/١٢٣٥م ، فقد صعب إرسال أساقفة يخلفونه منذ ذلك الحين بسبب الحروب التى كانت دائرة بين القبائل العربية فى مملكة المقرة ، ثم تضاعفت الصعوبات بسقوطها[٣] فاحدث هذا الانفصام الروحى أثراً خطيراً فى حياة السكان المسيحيين فى النوبة؛ حتى ان الرحالة الفاريز[٤] يصف الحالة المتردية للانهيار الكنسى بقوله: ان أولئك النوبيين يجهلون دينهم، فلا هم بالمسيحيين، ولاهم بالمسلمين او اليهود، ويقال انهم كانوا على النصرانية، غير انهم فقدوا دينهم ولم تبق لهم عقيدة، وهم يعيشون بأمل انهم مسيحيون[٥] . حتى اذا ما زار مدينة دنقلة المبشر الرحالة بونسية فى سنة

---

(١) مثال ذلك ما قام به كرياكوس ملك النوبة سنة ١٢١ هـ من وساطة لدى الخليفة هشام بن عبد الملك لرفع ما قام به فى مصر الوالى عبيد الله بن الحبحاب من اضطهاد للمسيحيين، وطلبة الإفراج عن بطريركهم واعداده فى نفس الوقت جيشا قوامه ١٠٠ ألف رجل لغزو مصر اذا لم تنفع الوساطة لكن هذا الغزو لم يتم بسبب استجابة الخليفة لمطالب ملك النوبة. Jakobielski, Bishopric, pp. 52-67.

(٢) ومثال ذلك أيضا ما قام به سنة ٦٧١هـ داود ملك النوبة من هجوم على عيذاب وأسوان بسبب تعرض الأقباط فى مصر لحوادث الاضطهاد على عهد السلطان الظاهر بيبرس لاتهامهم بحرق بعض أحياء القاهرة انظر: المقريزى: الخطط ، ج١، ص ٢٠٢ ، عطية القوصى: تاريخ دولة تالكنوز الإسلامية، دار المعارف، ص ٤٥ ، فانتينى : مرجع سابق، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، انظر فى الفصل الثانى سقوط مملكة المقرة تتبع مراحل العلاقات بين مصر والنوبة على الصعيدين الدبلوماسى والعسكرى فى العصر المملوكى.

(٣) انظر : النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٨ ، ورقه ١٠٩ ، ابن بهادر: فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦١٦٦ ، ج ١ ، ورقة ١٣٠ ، حسن محمد الفاتح: التصوف فى السودان إلى نهاية عهد الفونج، الخرطوم، ص ٢١–٢٢ ، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ١٨٥–١٨٦ .

(٤) فرنسسكو الفاريز. رحالة برتغالى زار المنطقة ، ودون مشاهداته عن أخبار علوة، عندما كان البرتغاليون فى المحيط الهندى والبحر الأحمر، انظر: مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٨ ، مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ،
C.F.: Alvarez (FF): Narrative of the Partuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, Transl. by Stanley, London 1881, p. 352, Trimingham: Op. Cit., p. 77.
انظر الخريطة شكل رقم (١).

(٥) مكى شبيكه: الفونج ، ص ١٨ .

(١١١٠هـ/ ١٦٩٨م)وصفها بقوله: «وفى طريقنا عثرنا على عدد كبير من الصوامع والكنائس ، المخربة نصف تخريب[١]».

وأشار الدكتور يوسف فضل حسن الى انقراض المسيحية بالنوبة بقوله: ان انتشار القوة الإسلامية فى الشرق الادنى قد قطع كل الاتصالات بين المسيحيين والكنائس الأفريقية بالحبشة والنوبة وعطل سير الكنائس التى كانت منتشرة فى الجنوب لعدم اتصالها الحيوى بالكنائس فى بلاد البحر الأبيض المتوسط، اختنقت الديانة المسيحية وفقدت الثقافة الحية المستمرة التى كانت تتزود بها لنموها وازدهارها ، وقد كانت قبل ان تقطع بينها الاتصالات فى نمو ظاهر وازدهار عظيم كما تشهد بذلك الآثار النوبية[٢].

العصر المسيحى المتأخر:

وبهذا يمكننا ان نحدد حالة مسيحى النوبة فيما يمكن تسميته بالعصر المسيحى المتأخر، اى بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وبداية العصر الايوبى فى مصر. والحدث التاريخى الفاصل بين عصر الرخاء وهذا العصر هو تلك الحملة التى قادها تورانشاه أخو صلاح الدين الايوبى على النوبة سنة٥٦٨هـ/ ١١٧٢م وربما كانت هذه الحملة رداً على تأييد النوبيين للفاطميين وهجومهم على أسوان، ثم تقدمهم فى صعيد مصر، ومهما يكن من أسباب هذه الحملة فانها كما يذكر ابو المكارم استطاعت الاستيلاء على قصر أبريم، واسر عدد من النوبيين، وقامت بتحويل كنيسة

---

(١) انظر : عبد المجيد عابدين: قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى، الدار السودانية ١٩٧٢م ، ملحق الكتاب ص ٧٥ .

(2) Y.F.Hasan: External Islamic influences and the progress of Islamization in the Eastern Sudan between the fifteenth and the Nineteenth Centuries, Sudan in Africa, 1968, pp. 74-75.

ويتفق مع د/ يوسف فضل فى رأيه.

C.F.: J.Cuoq: Islamization de la Nubie Chretienne, Publieé saus la direction de, Dominique Saurdel et Janine Sourdel. Thomine, 1989, pp. 23-24.

العذراء مريم الى مسجد(١)، وكانت لسياسة الردع الأيوبى أثرها فى قطع الاتصالات بين النوبة ومصر مما حرمها من التبادل الثقافى(٢).

وتشير الاكتشافات الأثرية الى اندماج اسقفية فرس فى اسقفية ابريم مما يدل على قلة عدد المسيحيين بالمنطقة. ولا شئ محدد يمكن ذكره عن كنائس هذا العصر سوى ما يتعلق بوضوح التأثير الإسلامى واعادة استخدام الكنائس السابقة كمساجد(٣).

وفى ضوء ما تقدم فان من الضرورى ان نعرض بالبحث لنقطة هامة آثارها E.A.W.Budge عن دور المسلمين فى مصر فى القضاء على المسيحية ببلاد النوبة، اذا يقول: «إن اضطهاد المسيحيين فى مصدر امتد الى النوبة وان كثيراً من العرب قد ساروا على نهج شركائهم فى العقيدة بمصر ، فأُحرقت الكنائس ، وشيدت المساجد فى مواضعها، وكانت نهاية الكنيسة فى النوبة قبل القرن الرابع الميلادى(٤)».

هذا ما ذكره بودج سنة ١٩٠٧م، وبعد حوالى ثمانين عاما من هذا التاريخ نجد رايا آخر يعتمد على جهود ضخمة من البحث والتنقيب لوليام آدامز الذى يذكر انه من غير الممكن ان ننسب الى المصريين اية محاولة مدبرة لتحطيم العقيدة المسيحية فى بلدهم او فى بلاد النوبة، وان ما قامت به حملة تورانشاه من مهاجمة للكنيسة (قصر ابريم) وذبح خمسمائة خنزير كان حدثاً عارضاً لا صلة له على الإطلاق بالغرض الرئيسى من الحملة، ويضيف آدامز ان التلف الذى حدث للآثار المسيحية فى النوبة على يد الحملات المصرية

(١) أبو المكارم: كنائس وأديرة مصر ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، محمد غيطاس: النوبة: ص ١٢٣؛

Shinie, Christian Nubia, In "The Cambridge history, Vol.2. London 1978, p. 583, Vantini, G., Christianity in Medieval Nubia, Cairo 1976, p . 24.

(2) C.F.: Vantini: Ibid, p. 24 FF.

(3) Adams., W.Y.: J.E.A. 51, p.175, idems, W.Y.: the evolution of Christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, p. 121; Hans.D. Schneider, Abdallah Nirqi - Deseription and chronology of the Central Church, Nubische Kunst, p. 91. ,C.F.: Crowfoot, J.W.: J.E.A.X II, p. 145.

(4) C. F.:Budge, :Egyptian Sudan, its history and Monuments, II, p. 130, C.F.: Mustafa M. Musad: The Downfall of the Christian. Nubian, Kingdoms, S.N.R. P. 126.

كان قليلاً نسبياً، ولم يكن التعصب الدينى دافعا الى ذلك ، وان اضطهاد المسيحيين المصريين فى عصر الدولة المملوكية الأولى لم يصحبه قمع للعقيدة[١].

ان ما ذكره آدامز من حقائق يدعمها ما ورد فى المصادر التاريخية وما كشفت عنه أعمال التنقيب عن الآثار ، فالحملات العسكرية التى جردت كانت ضرورة فرضتها حماية رعايا الدولة الإسلامية، او رداً على محاولات النوبة عدم وفاء ملوكها بما قطعوه على أنفسهم فى معاهدة البقط، او كانت رداً على اعتداءاتهم المتكررة على الحدود والمناطق الخاضعة لسلطان المماليك، كما جردت بعض هذه الحملات لتأييد ملك بعينه ، وكان الاحتفال بتتويج ملوك المقرة فى هذه الفترة يتم فى كنيسة المسيح (سوس) اكبر كنائس دنقلة ، حيث كان الأمراء يمدون السماط لتناول الطعام، وبعد ذلك يتوج الملك ويقوم بحلف اليمين[٢].

وتشير الاكتشافات الأثرية الى ان المزارعين المسيحيين ، وأولئك الذين اتخذوا الجزر ملاجئ لهم فى المنطقة الواقعة بين المحرقة والشلال الثالث عاشوا فى سلام، لانهم اكتفوا بمراقبة تحرك الجيوش وهى فى طريقها[٣] الى دنقلة او الى أسوان. ويؤكد هذا ان الخمس والسبعين كنيسة التى عثر عليها فى هذه المنطقة لم تحول الى مساجد، اللهم الا البازليكا فى قصر ابريم، والتى حولت الى مسجد فى القرن السادس عشر بعد ان هجر البناء ولم يعد مستخدما ككنيسة[٤] .

وفى النوبة السفلى التى خضعت للكنوز، وكانت من المناطق الخاضعة لسلطان الظاهر بيبرس، وجدت الآثار الدالة على وجود جماعة مسيحية حتى بعد سقوط مملكة المقرة بحوالى نصف قرن، كما تدلنا هذه الاكتشافات على استمرار العلاقات بين مصر والنوبة، التى تميزت باستقلالها عن الأحوال السياسية والعسكرية[٥].

(1) C.F.: Adams, W.Y.: J.E.A. 52, p.149.

(٢) المقريزى: لسلوك ، ج١، ق ٣، ص ٧٥٢ .

(3) C.F.: Adams, W.Y.: Op. Cit., pp. 152-153.

(4) Adams., W.Y.: Op.Cit., p.152-153.

(5) Adams., W.Y.: Ibid, p.149.

محمد غيطاس: النوبة، ص ١٢٦،

Y.F. Hasan: Op. Cit., p. 74-75,

C.F.: Millet: " Jebel Adda, Preliminary Report" Journal of American Research Center in Egypt, VI, 1967, p. 62, Trimingham: The influence of Islam upon Africa, London 1968, (Africa), p. 23.

ومن هنا يمكن القول ان انتشار الإسلام فى بلاد النوبة كان تطوراً طبيعياً حدث مع فهم النوبيين للإسلام، ولم يكن ناتجا عن اتباعهم لدين ملوكهم، الذين ظلوا على اعتناقهم للمسيحية بعد تحول شعبهم للإسلام.

خامساً : ضعف التجارة الدولية ، وانقطاع التجارة مع مصر واثر ذلك على ممالك النوبة:

استمرت ممالك النوبة تؤدى دورها الحيوى فى تبادل السلع التجارية الهامة فى خلال العصور الوسطى، الا انها أخذت تفقد ذلك الدور وتسير فى طريق الانهيار، وذلك لاضمحلال التجارة الدولية وعلى الأخص تجارة مصر.

وهناك تاريخان مهمان يمكن ان نحدد بهما بداية هذا الاضمحلال وهما: عام (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م ، وعام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م).

ففى عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م نهبت الإسكندرية، بحملة بطرس لوزجنان[1] وهى الحملة التى أشرنا إليها من قبل بالتحالف مع الأحباش والنوبيين ، الا انها باءت بالفشل، واستعادت الإسكندرية مركزها التقليدى فى عالم التجارة [2] والضربة الثانية التى منيت بها حدود السلطنة المصرية هى غارة تيمورلنك وانعكاساتها على أسواق القاهرة[3].

واذا كان من المعروف ان سلاطين دولة المماليك الأولى، قد بذلوا جهدا عظيما من اجل الحفاظ على مكانه مصر التجارية بين الشرق والغرب فان الأمر كان على

---

(١) انظر المقريزى: السلوك ، جـ ٤، ق ٢، ص ٧٩٥، صبحى لبيب: سياسة مصر التجارية فى عصرى الأيوبيين والمماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ١٩٨١–١٩٨٢م، ص ١٤١، الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى، ط دار المعارف ، ١٩٨٠م ، ص ١٣٣، قاسم عبده قاسم: اهل الذمة، ص ١٠٠،

C.F.: John Vantini: The Excanations at Faras A Contribution to history of Christian Nubia, Italy 1967, p. 268, , (FF).

رجب عبد الحليم: مرجع سابق ، ص ص١٠٤، ١٠٥,

(٢) انظر: صبحى لبيب: التجارة الكارمية، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٨م، ص ص٢٤، ٢٥,

(٣) المقريزى: الخطط ، ج١، ص ١٩٧؛ صبحى لبيب: سياسة مصر التجارية ، ص ص١٤١، ١٤٢،

C.F.: Oliver Roland and Mathew, G.: History of East Africa, Vol. I, Oxford, 1963, pp. 94, 95.

عكس ذلك فى دولة المماليك الثانية[١] نتيجة اختلال نظام الإقطاع[٢]، وتطرق الفساد اليه، فضلا عن ضعف الإنتاج الزراعى وحاجة السلاطين للأموال الوفيرة لسد مطالب الحروب وغيرها[٣] كل ذلك دفع السلاطين للاشتغال بالتجارة، فاتبعوا سياسة الاحتكار التجارى للحصول على اكبر قدر من الأموال، وقد أدت تلك السياسة التى بلغت مداها فى عصر السلطان برسباى(٨٢٦-٨٤٢هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) الى إنزال ضربة قاصمة بتجارة الأوروبيين مثل الفلفل والبهار[٤] ، كما دفعت سياسة الاحتكار الى فتور العلاقات بين مصر والدول الأوروبية الأمر الذى حملها على محاولة التخلص من أهمية مركز مصر التجارى بين الشرق والغرب[٥].

وانتهت هذه المنافسة بتحول طرق التجارة عبر رأس الرجاء الصالح[٦] ومما زاد الامر سوءا وساعد على تدهور النشاط التجارى لدولة المماليك الجراكسة ان البدو من اهالى الصحراء الشرقية عملوا على مهاجمة القوافل المتجهة من قوص الى عيذاب ونهبها وقتل أصحابها، ونتيجة لذلك أخذت عيذاب تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً فى

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تدهور نشاط مصر التجارية انظر:

S. Labib (1) Les Marchands Ka'rimis eu Orient et Sur L'Océan Indienin: M. Mallat (Ed.): Societes et Companies de Commerce eu Orient et dans l`Ocean Indien Paris, 1970, (2) Medieval Islamic Maritime Policy in the Indian Ocean Area in "Les GrNDES Escaies" Recueils de la Societe` Jean Bodin, T. 32 Bruxelles, 1974, (3) Die Mittelaiterliche Islamische politik Im Mittelmeerraum, in: "Studnmemoria d`federzo Melis" Vol. 1, Roma 1978.

وانظر أيضا : سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢٩٥، صبحى لبيب : سياسة مصر التجارية ، ص١٤٣ .

(٢) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ,٥٩ انظر الخريطة شكل رقم (١١).

(٣) المقريزى: السلوك ، جـ ٢ ، ق١ ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٤) كروباتشيك: النوبة من نهاية القرن الثانى عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، اليونسكو (تاريخ أفريقيا العام)، المجلد الرابع ، ١٩٨٨م. ص ص ٤١٦، ٤١٧ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٤١٦، ٤١٧ .

(٦) تمام همام: الهجمات الاستعمارية والمقاومة الإسلامية (سلسلة مقالات منشورة فى مجلة الهداية بدولة البحرين فى عام ١٩٧٦، ١٩٧٧)، ص ص ١٣١، ١٣٢، كروباتشيك: مرجع سابق ، ص ص ٤١٦، ٤١٧ .

القرن الرابع عشر الميلادى(١) ومن ثم تحول المماليك الى مدن جدة والحجاز(٢).

ولم يتوقف بدو الصحراء الشرقية عن مهاجمة القوافل التجارية التى تعبر تلك الصحراء محملة بالسلع والبضائع، والأمر الذى دفع السلطان برسباى الى إرسال حملة عن طريق البحر الأحمر لمهاجمة ميناء عيذاب وتخريبها(٣) ، ويضيف الرحالة ليو الافريقى هذا التدهور بقوله: وكان لهم فى الماضى مدينة ضخمة على البحر الأحمر تدعى عيذاب ، حيث كان يقوم ميناء واقع مباشرة تجاه ميناء جدة الواقع على مسافة أربعين ميلا من مكة، ولكن منذ مائة عام خلت قام هؤلاء بنهب قافلة كانت تنقل السلع والأقوات الى مكة ، فاستشاط سلطان مصر غضباً، وأرسل عن طريق البحر الأحمر اسطولاً احتل مدينة عيذاب وميناءها وخربها(٤).

ومن العوامل المباشرة التى أدت الى تدهور التجارة فى النوبة اضطراب الأحوال الداخلية لبلاد النوبة فى القرن الرابع عشر الميلادى، فأصبحت تلك البلاد- فى نهاية ذلك القرن- مسرحاً للفوضى التى آثارها بنو الكنز، وغيرهم من القبائل العربية التى استقرت هناك . وقد تسببت تلك الفوضى فى قطع طرق المواصلات التجارية بين اسوان والنوبة. مما ادى فى النهاية الى شل الحركة التجارية بين مصر والنوبة(٥) وزاد الأمر سوءاً ان بنى الكنز دابوا على مهاجمة حدود مصر الجنوبية التى أصبحت مصدر قلق لدولة المماليك الجراكسة. ومنذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادى، ازدادت هجماتهم العنيفة المحزبة على أسوان حتى خرجت عن يد السلطنة وهذا ما سوف نوضحه فى سقوط مملكة المقرة(٦).

(1) J.F.E.Bloss: the Story of Suakin, S.N.R. Vol. XIX, 1937, p.283.(FF), Hinterland : Anglo Egyptian Sudan from within, ed. Hamilton, London1935, p . 151 FF.

(٢) انظر ما سبق ذكره عن ثغر عيذاب ، ص٥٩ .

(3) Bloss: Op. Cit., p. 285.

(٤) انظر: ليو الأفريقى، وصف أفريقيا ، ص ص ٥٥٨، ,٥٥٩

(5) C.F . Bloss: The Story of Suakin , S.N.R. p. 283, FF.

كروباتشيك: مرجع سابق ، ص ص ٤١٦، ٤١٧، قاسم عبده قاسم: دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط دار المعارف ١٩٧٩، ص ص ٧٤، ٧٥ .

(٦) انظر : المقريزى: السلوك ، جـ٢، ص ١٩٤، ٢٣٥، ٩٠٧، ,٩١٥ وانظر كذلك ثورات العربان وتصدى للمماليك لهم مما سيكون لهم أثرا فى الهجرة العربية لسودان وادى النيل والمتغيرات التى حدثت فى المنطقة الفصل القادم سقوط مملكة المقرة.

الفصل الثانى

سقوط ممالك النوبة المسيحية

سقوط مملكة المقرة.. وظهور دولة الكنوز

- المماليك وصراعهم مع القوى المحلية فى مصر واثر ذلك على بلاد النوبة.
- موقف مصر من النوبة فى عصر دولة المماليك الأولى.
- حملة الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م).
- انهيار مملكة دنقلا المسيحية (ما بين ٦٧٦-٧١٢هـ/ ١٢٧٦- ١٣١٢م).
- حملات المنصور قلاوون (٦٧٦-٦٨٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٨٩م).
- الموقف فى عهد السلطان الاشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٤م).
- الاتصالات بين النوبة والصليبيين.
- الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد (٦٩٣-/٦٩٤ ٦٩٨-٧٠٨هـ/ ٧٠٩-٧٤١م).
- أمراء ربيعة الكنوز يرثون عرش النوبة.
- الموقف فى عهد الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م).

كان وصول المماليك إلى الحكم فى مصر نقطة تحول فى تاريخ القبائل العربية فى مصر عامة ، وفى بلاد النوبة خاصة؛ وحتى نتعرف على الدور الحقيقى الذى لعبته دولتى المماليك فى هذه الفترة فى تاريخ المنطقة لابد لنا من دراسة علاقات المماليك بالقوى المحلية- اقصد القبائل العربية فى منطقة الصعيد- ثم لمعرفة مدى تأثير هذا الصراع على مملكة المقرة النوبية.

- المماليك وصراعهم مع القوى المحلية فى مصر واثر ذلك فى بلاد النوبة:

عندما تولى المماليك حكم مصر فى منتصف القرن السابع الهجرى ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، أنفت القبائل العربية من الخضوع لهؤلاء الغرباء، ونادى زعماء بعض القبائل العربية بالوقوف فى وجه حكام مصر الجدد، وأمروا اتباعهم بعدم الخضوع لهؤلاء السادة الأجانب يقول المقريزى: «ولم يزالوا رجال القبائل العربية، بالبحيرة إلى ان كانت سلطنة المعز عز الدين ايبك التركمانى، أول ملوك الترك بديار مصر، وأنفت عريان مصر من تملكه عليهم، لأنه مملوك من جملة المماليك ، قد مسه الرق [1]».

وقد بدأت حركة المقاومة العربية للمماليك عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م بزعامة رجل قرشى ينتهى نسبه إلى جعفر الصادق[2] ، وهو الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين على بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة؛ ولقب بمجد العرب ثعلب الجعفرى[3]. وأعلن ان العرب أحق بالحكم من المماليك [4]. وبايعته العرب، والتف حوله كل الساخطين على الحكم الجديد، ورفضت القبائل العربية دفع الخراج لعمال الضرائب. وتشير المصادر إلى ان العرب اجتمعت إلى حصن الدين ثعلب من مختلف أنحاء مصر، وخاصة من منطقة الصعيد، وكانوا فى

(١) انظر: المقريزى: البيان والأعراب عما بأرض مصر من الاعراب: تحقيق د.عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١، ص٩، ص ٣٨؛ ليلى عبد اللطيف احمد: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧، ص ٤١؛ إبراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢/١٥١٧؛ القاهرة. النهضة المصرية ١٩٦٠م، ص٢٦٧، كروباتشيك: مرجع سابق ، ص ص٤١٦، ٤١٧ .

(٢) المقريزى: البيان والاعراب ، ص١٠ .

(٣) المصدر نفسه، والصفحة ، المؤلف نفسه، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١ ، تحقيق د.محمد مصطفى زيادة، القاهرة ، ١٩٥٧، ص٣٨٩ .

(٤)المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص ٣٨٦ .

كثرة من الرجال والمال والخيل، اذ بلغ عدد الفرسان نحو أثنى عشر ألفا بينما كان عدد الجند الآخرين من الكثرة بحيث تعذر إحصاؤهم(١).

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة فى هذه الأرقام الا ان فيها دلالة على كثرة من اجتمع الى حصن الدين ثعلب لمحاربة المماليك؛ وعندما علم السلطان معز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م) ، جهز حملة مكونة من خمسة آلاف فارس مدربين تدريباً جيداً، ومزودين بالمؤن الكافية والعدة اللازمة ، وساروا نحو الثوار العرب وهزموهم فى معركة حامية فى قرية دهروط فى بلاد الاشمونين، وفر حصن الدين ثعلب ، وقبض عليه بعد عدة سنوات ، حيث سجن بالإسكندرية ثم قتل وصلب من قبل السلطان المملوكى الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)(٢) .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة فان القبائل العربية فى الصعيد صممت على الا تستكين او تخضع لحكم المماليك ، فكان رجال القبائل ينتهزون كل فرصة لاعلان العصيان والثورة المسلحة(٣) . ففى عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م ثار العرب فى منطقة الصعيد ورفضوا دفع الضرائب مستغلين انشغال المماليك فى مجابهة المغول فى بلاد الشام (٤) .

ولكن قوة مملوكية بقيادة شمس الدين سنقر الأعسر هزمتهم وقتلت عدداً من زعمائهم(٥) ؛ وفرض القائد المملوكى عليهم ضريبة باهظة، كما جردهم من

---

(١) المصدر نفسه، والجزء، ص ٣٨٣، C.F:Joseph Cuoq:

Islamisation de la Nubie chretienne, Publiee` sous la direction de: Dominique Saurdel et Janine Sourdel thomine, 1989, p. 70.

(٢) المقريزى: البيان والاعراب ،ص ص٣٨ ٣٩، وايضا : السلوك،جـ١ ص ٣٨٧،

C.F.: J. Cuoq: Op. Cit., p . 70-71.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ١ ، ق٣، ص ٩٠٤، وانظر ايضا ص ٩٢٠ .

(٤) محمود نديم: الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، دار الكتب المصرية ١٩٨٣، ص٢١؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ١٩٥٩، ص٧٨؛ المؤلف نفسه، العصر المماليكى، القاهرة : ١٩٦٥م، ص٨٠ .

(٥) العربان القاطنين فى هذه الأقاليم هم: اولاد بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وبنى هلال وغيرهم انظر المقريزى: السلوك مجـ١ ، ق٣ ، ص٩٠٤ وما بعدها ، الحريرى: أسوان فى العصور الوسطى، ص ٤٠ ، يوسف فضل: مقدمة ،ص٩ .

السلاح[١]، ويصف المؤرخ المقريزى هذه الحادثة بقوله : «فأوقع شمس الدين سنقر الأعسر بكثير من بلاد الصعيد الكبسات، وقتل جماعات من المفسدين، واخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد ، فلم يدع بها فرسا لفلاح ولا بدوى ولا قاضى ولا فقيه ولا كاتب، وتتبع السلاح الذى مع الفلاحين والعربان فأخذه عن آخره، واخذ الجمال ، وعاد من قوص إلى القاهرة ومعه ألف وستون فرساً، وثمانمائة وسبعون جملاً، وألف وستمائة رمح، وألف ومائتا سيف وسبعمائة درقة، وستة آلاف رأس من الغنم، فسكن ما كان بالبلاد من الشر، وذلت الفلاحون، وأعطوا الخراج[٢]» .

وعلى الرغم مما تعرض له العرب فى هذه الحملة من إذلال وتنكيل، فقد عادوا للثورة من جديد، وامتنعوا عن دفع الضرائب ، بل انهم فرضوا ضرائب على المناطق الخاضعة لنفوذهم فى الصعيدين الأوسط والأعلى ، وقد تمثلت المقاومة هذه المرة فى قبائل عرك وجهينة وبلى التى استقرت فى الصعيد الأعلى منذ لعصر الفاطمى ، بعد ان أرغمهم الفاطميون على إخلاء مواطنهم الأولى فى بلاد الاشمونين لتوطيد القرشيين مكانهم، فأرتحلو جنوبا، واستقروا فى منفلوط وأسيوط ، وفى المنطقة الواقعة بين عيذاب شرقاً وسوهاج غربا[٣] ، وكثرت المنازعات بين هذه القبائل قبل وصول المماليك إلى الحكم، ولكنهم تصالحوا وزالت الشحناء بينهم واتحدوا أمام عدوهم المشترك[٤] .

وقد بدأ الأعراب ثورتهم بالتمرد على ولاة المماليك، وعدم دفع الالتزامات المالية «وفرضوا على التجار وأرباب المعايش بأسيوط ومنفلوط فرائض جبوها. واستخفوا بالولاة، ومنعوا الخراج، وتسموا بأسماء الأمراء[٥]»، فأرسل المماليك حملة كبيرة ضدهم، وامرت بوضع السيف فى رقاب كل الأعراب بالصعيد، وقد عززت الحملة بفتوى شرعية من القضاة تتيح للجند المماليك حرية القتل والنهب وتدمير ما تقع عليه أيديهم فى بلاد الصعيد[٦].

---

(١) المقريزى: السلوك،جـ١ ، ق٣، ص ٩٠٤ .

(٢) المصدر نفسه، والصفحة.

(٣) المقريزى: البيان والأعراب ، ص ص ٣٢، ٤٣؛ الحويرى: مرجع سابق، ص ص٤٠، ٤١ .

(٤) المقريزى: البيان والأعراب، ص٣٣ .

(٥) المقريزى: السلوك،جـ١ ، ص٩٢١، ٩٢٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ص١٤٩ ، ١٥٠ .

(٦) يقول المقريزى: «فاستدعى الأمراء القضاة والفقهاء واستفتوهم فى قتال العربان فأفتوا بجواز ذلك» انظر، السلوك ،جـ١ ، ق٢ ، ص٩٢٠ .

وحاول المماليك إخفاء نواياهم وأشاعوا ان الحملة موجهة إلى بلاد الشام، وتبعاً لذلك فان العرب فى الصعيد أخذوا على حين غرة حينما فاجأهم الجيش المملوكى، فهرب منهم جنوباً، بينما تعرض الباقون لهزيمة شنعاء على أيدى الجند المماليك الأتراك، واسر عدد كبير منهم، وعاد الجيش المملوكى إلى القاهرة مصحوبا بالأسرى والغنائم التى كانت تشمل الخيول والجمال، وقطعان الماشية من الغنم والبقرة كذلك نقودا وأسلحة وافرة (١).

ويصف المقريزى ما حدث للعرب فى هذه الحملة بقوله: «ووقع الرعب فى قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كل جهة فروا إليها، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا من بجانبى النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى، واختفى كثيرا منهم بمغائر الجبال، فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، واسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وذروع، وحصل من أموالهم شئ عظيم جداً تفرقته الأيدى، واحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم من جملة ثمانين ألف رأس بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس ، واثنين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر ، غير ما ارصد فى المعاصر(٢) ، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملا ما بين سيوف ورماح. ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلا، وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر، يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين، والمعز بدرهم الرأس ، والجزة الصوف بنصف درهم، والكساء بخمسة دراهم، والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها(٣)».

وبلغ من شدة ما تعرض له العرب فى الصعيد فى هذه الحملة ان بلاد الصعيد خلت من أهلها «بحيث صار الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه احداً ، وينزل القرية فلا يرى الا النساء والصبيان الصغار(٤)».

---

(١) المقريزى: السلوك،جـ١ ،ق٢ ، ص٩٢٠-٩٢٢ .

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ٩٢١،

Y.F. Hasan: Op. Cit., pp. 102-3.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ١ ، ق٢ ،ص٩٢١ .

(٤) المصدر نفسه ،جـ١ ،ق٢ ،ص٩٢٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨ ،ص١٥٣ .

بالإضافة إلى ما تقدم فقد أدى التدمير والفقر الذى أصاب الناس إلى استئناف النزاع والتنافس بين القبائل العربية على بعض المناطق الزراعية الخصبة المحاذية للنيل فى الصعيد الأعلى، مما أدى إلى تسهيل مهمة المماليك فى القضاء على نفوذ القبائل العربية فى مناطق الصعيد.

ففى عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م تحول التنافس إلى قتال فعلى بين قبيلتى عرك وبنى هلال[١]، ويبدو ان العركيين كانوا اقوى من الهلاليين فقام المماليك بمساعدة بنى هلال للقضاء على العركيين، ليسهل عليهم بالتإلى القضاء على بنى هلال أنفسهم.

وفى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م أرسل المماليك حملة لمساعدة الهلاليين فى حربهم على العركيين، ومنى العركيون بهزيمة ساحقة، ولكنها لم تكن حاسمة، اذا لم تضع حدا للنزاع بين بنى عرك وبنى هلال[٢]. وكان هذا التدخل من جانب المماليك بداية لنزاع استمر نحو خمسة أعوام(٧٤٩-٧٥٤هـ) بين قبيلة عرك وحلفائها من جهة وبين المماليك وبنى هلال وحلفائهم من جهة أخرى. وقد تزعم الحلف العركى محمد بن واصل العركى الملقب بالأحدب[٣]، واستطاع الأحدب ان يهزم جيشاً مملوكياً عام

---

(١) يرجع وجود بنى هلال وسليم الى العصر الفاطمى، عندما شجع الخلفاء الفاطميين هاتين القبليتين على الهجرة الى مصر في زمن الخليفة العزيز، وقد استقروا فى الحوف الشرقى ثم سار بعضهم جنوبا نحو الصعيد، وهناك انضمت لهم قبائل عربية أخرى من فزارة القيسية ومعقل اليمنية، وغلب على هذه القبائل جميعها اسم بنى هلال لان الزعامة كانت فى هذه القبيلة. ولكن هذا الحلف الهلالى لم يخلد للهدوء بل قام بمحاربة الآخرين. وآثار القلاقل مما أدى إلى الفتنة، وعدم الاستقرار، وتبعا لذلك فقد قام الوزير الفاطمي اليازورى بعد عام ٤٢٢هـ، بتشجيعهم على العبور غربا والهجرة الى شمال أفريقيا مستعينا بهم ضد المعز بن باديس الذى أعلن انفصاله عن الفاطميين، ولكن قسماً منهم بقى فى الصعيد الأعلى مثل بنى مجير ورفاعة وبنى عمرو وبنى عقبة وبنى جميلة وغيرهم، انظر: عبد الحميد يونس: الهلالية، القاهرة ١٩٥٦، ص ص ,٦١ ,٦٢ ,٦٥ ,٧٠ أحمد عبد الرحيم نصر، رصد ودراسة لبعض الجوانب السيرة الهلالية في السودان، مجلة الدراسات السودانية، العدد ٢٢١ مزدوج، المجلد الثانى، أكتوبر ١٩٨٨ ،ص٨١ ، ٨٢، عبد المجيد عابدين: المرجع السابق ، ص ١٢٥-١٢٨ .

(٢) المقريزى: السلوك ،جـ٢ ،ص٧٧٠ ،عبد المجيد عابدين ، ص١٢٩ .

(٣) لقب بالأحدب لطوله وانحناء قامته.

C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., p. 103.

٧٥٢هـ/ ١٣٥١م[١]، وكان هذا داعياً لأن يجهز المماليك حملة قوية لإنهاء حركة الأحدب .فقام الأخير بحشد اتباعه من عرك وعرب منفلوط وعرب المراغة وبنى كلب وجهينة، وبلغ عدد فرسانه اكثر من عشرة آلاف فارس مزودين بالعدة والعتاد، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الجنود المشاه [٢]؛ ليس هذا فحسب بل ان الأحدب قرر نزع السلطة المملوكية كلية وادعى انه أحق بالملك منهم، واتخذ إشارات السلطنة وبايعته القبائل العربية الموالية له، وفى ذلك يقول المقريزى: «وادعى الأحدب السلطنة وجلس فى جتر[٣]، وجعل خلفه المسند واجلس العرب حوله، ومد السماط بين يديه، فنفذ أمره فى الفلاحين.. وحدثته نفسه بتملك الصعيد، وقويت نفسه بتأخر ولاة الأمور عنه، واقام له حاجبا وكاتباً [٤]».

وأمام هذا التحدى جهز المماليك حملة جديدة لملاقاة الأحدب واتباعه من القبائل العربية فى الصعيد ، وقاد الحملة الأمير شيخو، وعندما وصلت الحملة الى أسيوط انضمت اليها جماعات صغيرة من العرب القاطنين هناك خوفا ورهبة من المماليك لا عن رغبة وقناعة. وسموا عرب الطاعة اى الذين يطيعون أولى الأمر ولا يخرجون عن سلطانهم، ولكن هذه المجموعات العربية هولت على الأمير كثرة أعداد العرب، أصحاب الأحدب، وحسن استعدادهم ، وأشارت عليه بأخذ الحيطة والحذر، فلجأ الأمير المملوكى إلى خطة ماكرة للخلاص من العرب فى المنطقة حتى وان كانوا حلفاء سابقين للمماليك مثل بنى هلال، فقد بعث أحد قواده إلى بنى هلال ودعاهم إليه للثأر من أعدائهم القدامى بنى العرك، أصحاب الأحدب وعشيرته، وانخدع الهلاليون بذلك واقبلوا إلى الأمير المملوكى بأسلحتهم وخيولهم، ولكن ما ان وصلوا إليه حتى اعمل السيف فى رقابهم، وأفناهم جميعاً وسلب عدتهم وعتادهم[٥].

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ٢ ،ق٣، ص ٨٣٩ ، ٨٤٣ .

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ٩١١ .

(٣) جتر: تعنى مظلة على هيئة قبة من حرير اصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة وهى من شعارات السلطنة . انظر عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، ص ٣٧، محمود نديم: الفن الحربى ، ص٢٠٩ .

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٢ ، ق ٣، ص٩٠٨ .

(٥) المصدر السابق، ص ٩١١ .

ولا تشير المصادر إلى أسباب هذه المذبحة الشنعاء التى ارتكبها الجند المماليك ضد بنى هلال، ولعل الأمير المملوكى أراد بذلك ترهيب القبائل العربية الأخرى، وفى الوقت نفسه رفع معنويات جنده وتشجيعهم على المضى لتحقيق هدفهم فى إبادة الحلف القبلى العربى الذى كان يتزعمه الأحدب شيخ بنى عرك، وتدل هذه الخطوة على ان المماليك كانوا ينظرون بريبة وشك لجميع العرب القاطنين فى الصعيد سواء كانوا بدوا ام فلاحين، وسواء وقفوا ضد السلطة او بقوا محايدين[١].

وبعد هذه المذبحة المريعة التى أوقعها القائد المملوكى ببنى هلال، سار لملاقاة قوات الأحدب، وجرت معارك ضاريه بين الطرفين قتل فيها عدد كبير من الفريقين، وانتهت بهزيمة الحلف العركى، وهرب الاحدب، ونكل الجند المماليك بالعرب قتلا وتشريدا وهرب الباقون جنوبا واستقروا فى شمال النوبة التى كانت آنذاك خاضعة لنفوذ بنى ربيعة الكنوز، أما الأحدب عاد واستسلم وطلب الأمان من السلطان المملوكى الذى منحه الأمان شرط ان يقوم هو ومن تبقى معه من اتباعه فى الصعيد الأعلى بزراعة الأرض والمحافظة على الأمن، وان يلتزم بدفع الضرائب التى يفرضها السلطان مهما بلغت، ويمتنع عن اى عمل عدوانى ضد ولاة السلطان وعماله ونتيجة لذلك هدأت الأحوال فى الصعيد، والتزم العرب هناك بالدعة والهدوء وبقوا على هذه الحال نحو ربع قرن من الزمان.

---

(١) المقريزى: السلوك،جـ ٢، ق٣، ص ٩١١–٩١٦، إبراهيم طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٦٨، ليلى عبد اللطيف احمد على: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، ص ص٤٢، ٤٣؛ صلاح احمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ص١٧٦، ١٧٧؛

C.F.: Dubois-Aymé, Memoire sur les tribus Arabes Des Deserts de L`Egypte, T; 12; 1809, pp. 330-331.

- موقف مصر من النوبة فى عصر دولة المماليك الأولى:

- حملة الظاهر بيبرس:

استغل النوبيون المشاكل التى عانى منها المماليك وخاصة ثورات القبائل العربية المستمرة فى الوجه القبلى، فتحدوا سلطة المماليك ونفوذهم، وامتنعوا عن دفع البقط السنوى المقرر عليهم منذ أيام عبد الله بن ابى السرح، يدل على ذلك قول ابن خلدون: «وربما كانوا يماطلون بها أو يمتنعون من أدائها، فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا[1]».

وكان للانتصارات التى أحرزها السلطان الظاهر بيبرس، اكبر الأثر فى تخوف ملك النوبة، وسعيه إلى التودد إلى السلطان المملوكى بإرسال قصاده بالهدايا، فقد ذكر المقريزى وصول ملك النوبة سنة ٦٢٢هـ/١٢٦٣م إلى البلاط المملوكى وإسلامهم مع غيرهم من الرسل على يد الظاهر بيبرس[2].

واذا كان عصر المماليك البحرية قد شهد حلقة من انشط حلقات الحروب الصليبية فان ذلك زاد من مظاهر العداء بين مصر الإسلامية ومملكة النوبة المسيحية[3]، اذ انتهز داود ملك النوبة فرصة انشغال السلطان الظاهر بيبرس بحروبه

---

(١) ابن خلدون: العبر،جـ ٥، ص ٩٢١، القلقشندى: صبح الاعشى، ط دار الكتب،جـ٥، ص٢٧٦؛ محمد عبد العال احمد: موقف مصر من النوبة فى العصر المملوكى الاول، نشره بمعهد البحوث والدراسات الافريقية ١٩٨٧، ص٧، C.F.: Y.F. Hasan: External, Islamic, p. 74.

(٢) المقريزى: السلوك ،جـ ١، ق٢، ص ٦٠٨؛ الحريرى: أسوان ص ٥٥؛ فانتينى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة، ص ص ١٦٢، ١٦٣؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٧؛ سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية، ص ١١٥، Couq: Op. Cit., p. 70.

(٣) لقد كان الصليبيون يهدفون الى التحالف مع النوبة المسيحية ليهاجموا ارض مصر من جبهتين وهما: الجبهة الشمالية وهى تطل على البحر الأبيض المتوسط ومنها تتقدم قوات الصليبيين بأساطيلهم، والجبهة الجنوبية تتقدم منها جيوش النوبة والحبشة، وكانت هذه الاستراتيجية معروفة من اقدم العصور لجعل مصر بين فكى الرحى، ويبدو من الوثائق التاريخية ان الصليبيين والنوبة كانوا يسعون للاتصال والتنسيق فيما بينهم وتنظيم حركاتهم وتوقيتها لمحاربة سلطان مصر، لذلك فرض سلطان مصر رقابة شديدة لمنع كل اتصالا بين النوبة والصليبيين. وهناك تحفة أثرية محفوظة فى المتحف القومى بسودان وادى النيل تثبت وجود اتفاقيات بين بعض الدول الغربية والنوبة، وهى تمثال خشبى صغير لاحد الصليبيين الغربيين، وهو يلبس عدة الحروب بكاملها. وتم اكتشافه فى قرية النوبة القديمة، ص ١٥٩، ١٦٠ ، انظر ملحق الدراسة تمثال خشبى لاحد الصليبيين من حفريات اتيرى– وصليب تم اكتشافه فى قبر أسقف من أواخر الأساقفة بفرس حوالى سنة ١٣٠م شكل رقم (٥/٩)، وانظر كذلك: Newbold. D., the crusaders in the Red Sea and the Sudan, S.N R. XXVI, Part II, p. 221.

فى أرمينيا الصغرى عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م(١) ، وأغار على ثغر عيذاب ، فنهب متاجره، وقتل عددا من أهله بما فيهم القاضى والوالى ثم أغار على أسوان، فنهبها وخرب سواقيها، واسر عددا من اهلها(٢) .

وإزاء ذلك توجه وإلى قوص على رأس جيش لمحاربة النوبيين، فتمكن من صدهم عن أسوان، واخذ يطاردهم إلى ان وصل بالقرب من دنقلة، فقتل واسر وعاد إلى ولايته(٣) .

وقد أدرك الظاهر بيبرس هذا الخطر الصليبى الكامن فى الجنوب، وأدرك احتمال طعن النوبيين لمصر من الخلف أثناء انشغالها بتصفية الجيوب الصليبية فى بلاد الشام(٤) هذا فضلاً عن تهديد الطرق التجارية بين موانئ البحر الأحمر والعالم الخارجى، وخاصة الحجاز واليمن، وتهديد ثغرى عيذاب وأسوان(٥) .

وتخليدا لهذه الذكرى شيد داود فى مملكته مكاناً سماه عيذاب، واستخدم فى بنائه المسلمين الذين أسرهم خلال حملته، وبنى فى ذلك المكان كنائس ومنازل وميادين،

---

(1) J. Cuoq: Op. Cit., p. 72,

سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٦٣م، ص ص١١٨ ، ١١٩,

(٢) ابن ابى الفضائل: النهج السديد، باريس ١٩١١م، ص ٢١١ ؛ النويرى: نهاية الارب فى فنون الادب، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، رقم ٥٤٩، معارف عامة، جـ ٢٨ ، لوحة ,٢٥٩

(٣) المقريزى: الخطط، جـ١٣ ، ص٢٠١ ، وأيضا السلوك، جـ١ ق٣، ص ٦٠٨ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، القاهرة ١٣٥٨هـ، جـ٣، ص ٢٦٣ ؛ ابن اياس: بدائع الزهور، بولاق ١٣١١هـ، حوادث عام ٦٧٤هـ؛ ج فانتينى: المرجع السابق: ص ص ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ الحويرى: اسوان ص ٥٥ أسوان، ص٥٥، سعيد عاشور، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٧٨؛ العصر المماليكى، ص ٨٠، وانظر كذلك.

J. Cuoq: Op. Cit., p. 69,

(٤) انظر: ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون. مخطوط رقم ٢٢٢٦ بدار الكتب المصرية، ورقة ٣٠٩ب؛ حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية، جـ١ ، ص ص ٢٩١ ، ٢٩٢,

(٥) النويرى: نهاية الارب، جـ٢٨ ، ورقة ٢٥٩ أ؛ احمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية ١٩٦٩ ، ص ٢٣٣ ؛ سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، ص ١١٩؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 72, Newbold, D.: The Crusaders in the Dea Red and the Sudan, S.N.R.XXVIII, Part 1, pp. 220-226.

ونقش عليها صورا لقتلى المسلمين واسراهم فى عيذاب[١] ومنطقة أسوان[٢]، وكان طبيعياً ان يواجه الظاهر بيبرس بكل صلابة وحزم ملك النوبة النصرانى – وتأديبه – ووضع حداً لاعماله العدوانية وإخضاعه[٣] مستغلا فى ذلك النزاع الداخلى الذى احتدم آنذاك بين أفراد الأسرة المالكة النوبية[٤]، ومغتنما فرصة لجوء أحد أفرادها واسمه شكنده[٥] إلى بلاط السلطان المملوكى طالباً المعونة والنجدة ضد ابن عمه داود الذى كان قد اغتصب العرش بالقوة[٦] واغار على حدود مصر الجنوبية[٧].

ففى عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، اغار النوبيون على أسوان، وقاموا بأعمال السلب والنهب والتخريب فيها، واسروا عدداً من أهلها، سخروهم فى بناء كنيسة سوس (المسيح) فى دنقلة[٨].

---

(١) تقع أنقاض عيذاب شمال ميناء حلايب على البحر الاحمر بمسافة ١٥ ميلا شمالا.

C.F.: Paul: Aidhab, A Medival Red Sea, Part, S.N R. XXXVI, 1955,, p. 64.

احمد دراج عيذاب ، ص,٥٥

(٢) النويرى: نهاية الأرب، خط، جـ ٢٨ ، ورقة ٢٥٩ ، ابن الفرات: تاريخ الدول جـ٧، ط بيروت ١٩٣٨ ، ص ص٤٧ ، ٤٨ .

(٣) العينى: عقد الجمان، مخطوط مصور رقم ١٥٨٤ ، تاريخ بدار الكتب المصرية، مجلد ٥٤، ص ٥٨٠، العبادى: مرجع سابق ، ص٢٣٣ .

(٤) ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص٣٣٤، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٨٦٢، القلقشندى: صبح الاعشى، جـ٥، ص٢٢٧، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص٨١ .

(٥) ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص٢٣٤؛ ابن ايبك: كنز الدر، مخطوط رقم ٤٦٤٣، تاريخ بدار الكتب، جـ٨، ص١٩٨، وقيل ان اسمه مشكد، المقريزى: السلوك، جـ١، ص ٦٢١، وقيل شكنده، المقريزى: الخطط، جـ١، ص٢٠٢، او مرقشكر، صبح الاعشى، جـ٥، ص٢٢٧، او مرتشكين او تشكيل ابن خلدون، جـ٥ ،ص٨٦٢ أو شكده أو اشكندة ، ابن الفرات جـ٧ ، ص ٤٧، ٤٨ .

(٦) المقريزى: الخطط، جـ١، ص٢٠٢ .

(٧) انظر: المقريزى: مخطوط من عبد الله بن أبى السرح وعلاقته بالرسول، دار الوثائق القومية بالخرطوم ورقم ١٠، وانظر كذلك : القلقشندى: صبح الاعشى ، جـ٥، ص ,٢٧٦

(٨) ابن ايبك: كنز الدرر، مخطوط رقم ٤٦٤٣، تاريخ بدار الكتب جـ ٨، ص ١٩٨، ابن الفرات: تاريخ الدول، جـ٧ ،ص٤٥، ٤٦، العينى: عقد الجمان، مجلد ٥٤، و ٥٨٠؛ محمد عبد العال احمد: المرجع السابق، ص٩، الحويرى: المرجع السابق، ص ٥٦، فانتينى: المرجع السابق ص ١٦٢،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 72- 73.

جـهـز السلطان بيـبـرس حـملة بـرية وبحـرية فى عـام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، واسند قيادتها لاثنين من الأمراء هما الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى الاستادار [١]. وعززه بالأمير عز الدين ايبك الافرم أمير جاندار[٢] ، كما طلب من الولاة فى قوص وسائر الوجه القبلى مساعدتهما ومدهما بالمال والرجال[٣]، وبذا ضمت الحملة عددا من جند الأقاليم الأكفاء، وعرب الوجه القبلى، هذا بالإضافة إلى ثلاثمائة فارس[٤]. وشاركت البحرية النيلية بعدد من الحراريق [٥] تم شحنها بكثير من الأثقال والسلاح، وانفق السلطان على رجال الحراريق والزرافين[٦] والرماه[٧] وجهزت الزرد خاناة[٨] . وكان خروج الحملة من القاهرة فى طريقها ال بلاد النوبة فى مستهل شعبان عام

(١) الاستادار: وظيفة أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى، وما يجرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم. انظر: القلقشندى: صبح الاعشى،جـ٤ ، ص٢٠ ،جـ٥، ص ٤٥٧ ، ابن التغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٢ حاشية (١)؛ محمود نديم : المرجع السابق، ص٢٠١ .

(٢) أمير جندار: الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم الى الديوان. انظر: القلقشندى: صبح الاعشى، جـ٤، ص ٢٠، جـ٥، ص ٤٥٩، محمود نديم: المرجع السابق، ص٢٠٢ .

(٣) ابن ايبك: كنز الدرر ،جـ ٨، ص ١٩٨، الذهبى: تاريخ الإسلام، مخطوط رقم ٣٩٦ تاريخ بدار الكتب ،جـ٢٩، ص١٢٨، ابن خلدون: العبر، جـ ٥، ص ٨٦٢؛ المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٢، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص١٠. C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص٢٥٩(١)؛ ابن الفرات: تاريخ الدول جـ٧، ص ٤٧، ٤٨.

(٥) الحراقة: (Brulot) جمعها حراقات وحراريق. والحراقات سفن فيها مرامى نيران، وقيل هى المرامى أنفسها، وجاء في الجوهر الحراقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر، كما كانت تستعمل فى حمل الأسلحة النارية والحراقة سفينة حربية مهمتها رمى النار على الأعداء، وقد استعملت فى العصور الوسطى، وانتشرت فى جميع انحاء العالم الاسلامى. انظر: المقريزى: الخطط جـ٢، ص ١٩٤؛ سعاد ماهر: البحرية الإسلامية ص ص٣٣٩، ٣٤٠؛ محمود نديم: الفن الحربى ، ص ٢١٠ .

(٦) الزرافين: اى رامى النفط الزراق وهى الأنبوبة التى يزرق بها النفط. السلوك ، جـ١، ص ٥٩٨ حاشية (٢)؛ محمود نديم: الفن الحربى، ص ٢١٦.

(٧) ابن الى الفضائل: النهج السديد، ص٢٣٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول جـ٧، ص ٤٥، ٤٦؛ المقريزى: الخطط ،جـ١ ،ص ٢٠٢، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص١٠.

(٨) الزرد خاناة: أطلق اللفظ أحيانا على السلاح نفسه، او على السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب. محمود نديم: الفن الحربى، ص ٢١٧ .

٦٧٤هـ/ ٢٠ يناير ١٢٧٦م[١]. وامـر السلطان قـادة الحـملة «بتـسليم شكندة مـا يتم الاستـيلاء عليـه من البـلاد على ان يكون لشكندة النصـف والربع من البـلاد والربع خالصـاً للسلطان»[٢]، وعندمـا تقدمت الجيـوش الزاحـفة بحـذاء البـر الشـرقى ومعـهم الأساطيل النيلية نحو بلاد النوبة، توجه الأمير عز الدين الافرم إلى قلعة الدو(الدر) فوجدها محصنة، ولذا قوبل بمقاومة عنيفة حيث كان التكتيك الحربى للقبائل النوبية يعتمد بصورة أساسية على أسلحة الحراب[٣]، فيذكر ابن الفرات: «ولما قربوا من بلاد السودان خرجوا اليهم على النجب الصـهب، وفى أيديهم الحـراب، وليس عليـهم غيـر اكسية سود تسمى الدكاديك[٤]، فبادرهم بالقتـال فانهزموا وقتل منهم خلق كثيـر واسر اكثر مما قتل»[٥].

ويبـدو مما سبق ان عـدة الحـرب لدى ملوك النوبة ضـئيلة بالنسبـة لما كـان للجيش المملوكى من الخبـرة والدرق والبيض من جهاز الدفاع والمعدات الحـربية فقد ذكـر النويرى منهـا الزراقين والرمـاة ورجـال الحـراريق وجـهـاز الزرد خـاناه، وهذه عبـارة عن أجـهزة تركيـة تلقى النفط الملتـهب؛ ومـا كـان للنوبة سبيل للدفـاع عن انفسهم منها[٦].

---

(١) النويرى: نـهاية الارب ، جـ٢٨، ص ٢٥٩(أ)؛ ابن ايبك : كنز الدرر،جـ٨، ص ١٩٨؛ مـحمـد عبـد العال، المرجع السابق، ص ١٠؛ فانتينى: المرجع السابق ، ص ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) المقصـود بالربع الذى للسلطان هو بلاد الجبل، وبلاد العلى فهى ربع بلاد النوبـة، اما النصف والربع البـاقين لملك النوبة فالمشاطرة فى متحـصلاتها. انظر: ابن ابى الفضائل: المصدر السابق، والصفحـة، ابن ايبك: نفس المصـدر والصفحة، وقال ابن ايبك أيضا ان المتحصل يكون مشاطرة، والنصف للسلطان والآخر لعمارة البلاد وحفظها، كنز الدرر، جـ ٨، ص ٢٠٠، سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك، ص٧٩، محمد عبد العال احمد: المرجع السابق ، ص١٠، C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74.

(٣) ابن الفرات: نفس المصدر ، الجزء، ص ص٤٦، ٤٧.

(٤) الدكاديك: أكسيـة غلاظ غالبـها سود يلبسها النوبيون. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، مـخطوط بدار الكتب رقم ٥٥٩ معارف عامة، جـ٢، لوحة ٤٩٢.

(٥) ابن الفرات: تاريخ الدول، جـ٧، ص ص٤٦، ٤٧.

(٦) ابن الفرات: المصـدر السابق ، جـ٧، ص ص ٤٦، ٤٧، النويرى: نهـاية الأرب، جـ ٢٨، ورقة ٢٥٩ (أ) فـانتـينى: المرجع السابق ، ص ١٦٤ وانظر ، ملحق الدراسة شكل رقم (٩/٩).

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

ويشير النويرى واصفاً ميدان القتال، فقال «أغار الأمير عز الدين الافرم على قلعة الدو[١]، وقتل وسبى اعداداً كبيرة، وسار الأمير شمس الدين فى أثره ليستأصل شأفة من فاقة، وقد رتب رجال البحرية والمشاة البرية، وهم يقتلون من وجدوه فى البحر والبر على حد سواء[٢]».

ونزل الأمير شمس الدين بجزيرة ميخائيل[٣]، وهى رأس جنادل النوبة وهى اكثر الأماكن الوعرة، وتقع فى وسط البحر، وقتلوا واسروا جماعة. وانتشلوا المراكب من الجنادل حيث كانت غير صالحة للملاحة[٤].

واستطاع صاحب الجبل [٥] ويدعى قمر الدولة كشى الفرار من قلعة الدو، واعتصم بجزائر ميخائيل، حيث كان الملك داود قد ولاه على إقليم مريس خلفا لسلفه الذى كان قد وقع فى الأسر فى الحملة السابقة[٦]. ولما كان من نجاح سياسة المماليك

(١) ارجح الاحتمالات ان الدو او عدوه هى عدة المدينة المحصنة الثالثة بإقليم المريس بعد ابريم ونجراس (فرس)، وكانت تقع على بعد ١٦ كم من الحدود السودانية ، وهى تناسب بتحصينها كقلعة مقر حاكم الإقليم انظر: الخريطة شكل رقم (٢، ٣)،

C.F.: Mileham, G., S.,: Churches in Lower Nubia, Philadelphia, 1910, p, 3 FF.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢ ، ص٢٥٩ (أ)؛ فانتيني: المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٣) جزيرة ميخائيل: إحدى الجزر المعروفة بهذا الاسم فهى تقع عند مدخل الشلال الثانى(الجندل الثانى) وجزائر ميخائيل مجموعة من الجزر الصخرية التى تكون الجندل الثانى جنوبى حلفا الحالية فى المنطقة المعروفة باسم بطن الحجر. انظر: الخريطة شكل رقم (٢)؛

Mileham,G. S. : Op. Cit., p. 5 , Somers Clarke,: Ancient Egyptian frontier fortresses, J. E. A. III, p. 164, Adams, Kush XII, pp. 222. FF., Griffith, IAAAXIV, P. 103;

وانظر كذلك ، مصطفى مسعد: الكتبة السودانية ، حاشية (٢) ، ص٢١٩،

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، والصفحة ، النويرى: المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

(٥) يعرف حاكم إقليم المريس بصاحب الجبل، وهو من اكثر الولاة مكانه باعتباره المسئول عن الجزء الشمالى من النوبة، من حيث الدفاع عن حدودها ، وكذا الإغارة على مناطق مصر الجنوبية. انظر: محمد غيطاس: النوبة، ص ٨٥، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ص٨٦، ٨٧ .

Plumley: Some examples of Christian Nubian : Excavetions at: Qasr Ibrim: Nubische Kunst, p. 129.

وعن صاحب الجبل انظر : المقريزى الخطط، جـ١، ص ١٩٠، وأيضاً السلوك، جـ١ ، ق٣، ص٧٣٧، ٧٥٣ .

(٦) انظر: ابن الفرات: المصدر السابق ،جـ ٧، ص ص٤٦ ، ٤٧، فانتيني : المرجع السابق ، ص ١٦٤، ١٦٥ .

فى استمالة الأعوان، فقد عمل الفارقانى على اكتساب قمر الدولة فأعطاه أماناً، وأقره على نيابته، وإقامة نائباً عن شكنده، على ان يقسم يمين الولاء والطاعة له ولسلطان مصر(١)، فقام صاحب الجبل بدور كبير فى مساعدة الحملة. «وحصل النفع به فى إحضار رجال المريس(٢)، ومن يقفز المراكب، واظهر همة عالية(٣)»، فكان لما قام به رجاله من تعدية المراكب إلى ما بعد منطقة الجنادل جنوباً، اثره الكبير فى استخدام تلك السفن لمساندة الجيش البرى، ومواصلة التقدم جنوباً، فوصلوا إلى دنقلة فى الثالث عشر من شوال ٦٧٤هـ/ ١٢٦٧م(٤)، وكانت تلك هى المرة الأولى التى تصل فيها حملة إسلامية مدعمة بأسطول حربى، أما الملك داود فانه كان قد استعد للتصدى للحملة، وخرج مع اخوته وبنى عمومته، وجيوشه ممتطين النجب، بأيديهم الحراب، وليس عليهم غير أكسية سود يسمونها الدكاديك(٥)، فناوشوهم القتال، فلم تكن غير ساعة حتى ولى السودان منهزمين بعد ما قتل منهم خلق كثير بالنشاب وغيره، واسروا منهم مالا يقع عليه الحصر.. وانهزم الملك داود فيمن انهزم، وقطع بحر النيل إلى البر الغربى، ثم هرب فى الليل إلى بعض الحصون(٦) ووقع شنكو أخو الملك داود اسيراً(٧).

---

(١) النويرى: نهاية الارب، جـ٢٨، ص ٢٥٩ (أ)؛ المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ٢٠٢، فانتيني: المرجع السابق، ص ص١٦٤، ١٦٥؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٢ .

(٢) عرف الجزء الشمالى من مملكة النوبة المتاخم لحدود مصر باسم المريس، واليها يضاف الريح المريسية، انظر: المسعودى: مروج الذهب، جـ ١، ص ٢٤٥، المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٠؛ السلوك: جـ ١، ق ٣، ص ٧٣٧، محمد غيطاس: النوبة، ص٨٥ .

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، جـ ٧، ص ص ٤٦، ٤٧؛ ج. فانتيني: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٤) ابن ايبك: كنز الدرر، جـ ٨، ص ١٩٨؛ ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٥؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٢ .

(٥) العمرى: مسالك الأبصار، مخط، دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة، جـ ٢، ورقة ٤٩٢، انظر ايضاً، الدكاديك فيما سبق ذكره .

(٦) ابن ايبك: نفس المصدر، والجزء، ص ١٩٨-١٩٩؛ ابن ابى الفضائل: نفس المصدر والصفحة، النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٢٥٩ (أ).

(٧) النويرى: نفس المصدر والصفحة؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، مخطوط رقم ٣٩٦ تاريخ بدار الكتب، جـ٩ ص ١٢٨؛ ابن الفرات: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٤٧؛ فانتيني: المرجع السابق، ص ١٦٥ .

فلما علم الأمير الفارقاني بفرار الملك داود ، جرد جماعة من العسكر ليلحقوا به[١] ، وقيل بل واصلت الحملة تقدمها لمطاردته والقضاء على الفارين من جنده، واستمروا في المطاردة ثلاثة أيام «مجدين الليل والنهار في طلبه[٢]، ومازال السيف في ظهورهم حتى دخل الجميع في الطاعة[٣]».

اما الملك داود فقد تمكن من النجاة بنفسه وابنه والوصول إلى جهة الأبواب[٤] تاركا أمه وأخته وابنه ليقعن أسرى في أيدى قادة الحملة، الذين توقفوا عن مطاردة الملك وعادوا إلى دنقلة[٥].

أما شكندة فقد قام الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني بتنصيبه ملكاً على النوبة، وأجلسه على العرش بدلاً من داود، والبسه التاج على عادة ملوك النوبة، وقرر عليه قطيعة يرسلها سنوياً إلى السلطان المملوكى[٦]، عبارة عن ثلاثة زرافات، وثلاثة فيلة، وخمس إناث من الفهود، وصهب جياد تصل إلى المائة، وأبقار جياد تصل إلى الربعمائة، على ان تكون البلاد مناصفة للسلطان، والنصف الأخر لعمارة البلاد وحفظها، لاحتمال ان يطرقها عدو، وان تكون بلاد الطى والجبل للسلطان وهى قدر ربع بلاد النوبة، لقربها من أسوان وحمل ما يكون بها من الأقطان والتمر بخلاف ما فرض من بقط عليهم[٧]. واستوثق منه وحلفه بما نصه: «والله، والله، والله، وحق الثالوث المقدس ، والإنجيل الطاهر، والسيدة الطاهرة

---

(١) ابن الفرات: نفس المصدر ، جـ ٧، ص ٤٧ .

(٢) ابن ايبك: كنز الدرر، جـ ٨، ص ١٩٩؛ ابن ابى الفضائل: نفس المصدر والصفحة، ابن الفت: جـ ٧، ص ٤٧، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص ١٣ ، فانتينى: المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٣) ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة.

(٤) الابواب: انظر الفصل الاول؛ المقريزى: الخطط، جـ١ ، ص ٢٠٢، وانظر: الخريطة شكل رقم (١)، (٢).

(٥) ابن ايبك: نفس المصدر، ص ١٩٩ ،النويرى: جـ ٢٨ ، ص ١٠٩ ؛ ابن ابى الفضائل : نفس المصدر ، ص ٢٣٥؛ ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة ؛ ابن خلدون: جـ٥، ص ٤٠٠، سعيد عاشور مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٠، العصر المماليكى، ص ٨١، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٦) النويرى: نهاية الارب، جـ٢٨ ، ص ٢٥٩ب؛ ابن الفرات: نفس المصدر، جـ٧ ، ص ٤٧؛ المقريزى: الخطط، جـ١ ، ص ٢٠٢؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ، ص ١٤٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ص ٢٨٠، احمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الاولى، ص ٢٣٣؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٤ .

(٧) النويرى: نهاية الارب، جـ ٢٨ ، ص ٢٥٩(ب)؛ ابن الفرات: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٤٧، ٤٤٨؛ المقريزى: الخطط ، جـ ١، ص ٢٠٢ .

العذراء ام النور والمعمودية، والأنبياء المرسلين والملائكة والحواريين والقديسين والشهداء الأبرار ، وألا اجحد المسيح كما جحده يودس، وأقول فيه ما يقول اليهود، واعتقد ما يعتقدونه، وألا أكون يودس الذى طعن المسيح بالحربه، أننى أخلصت نيتى وطويتى من وقتى هذا وساعتى هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس، واننى ابذل جهدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته، واننى مادمت نائبه لا اقطع ما قرر على فى كل سنة تمضى، وهو ما تفضل من مشاطرة للبلاد على ما كان يحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وان يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصا من كل حقى، والنصف الآخر يرصده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها[١] وان يكون على فى كل سنة من الافيلة ثلاثة ومن الزرافات ثلاث ومن إناث الفهود خمس ومن الصهب الجياد مائة ومن الأبقار الجياد المنتخبة أربعة مائة، «واننى اقرر على كل نفر من الرعاية الذين تحت يدى فى البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا وان تفرد بلاد العلى والجبل خاصة للسلطان. وانه مهما كان لدواد (الثانى) ملك النوبة ولأخيه شنكو ولامه ولأقاربه ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة احمله إلى الباب العالى مع من يرصد لذلك واننى لا اترك منه شيئا أقل ولا جل ولا أخفيه ولا أمكن أحد من إخفائه.

«ومتى خرجت عن جميع ما قررته او شئ من هذا المذكور أعلاه كله كنت بريئا من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، واخسر دين النصرانية واصلى إلى غير المشرق واكفر بالصليب واعتقد ما يعتقد اليهود».

«واننى لا اترك أحداً من العربان ببلاد النوبة ، ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطانى».

«ومهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان فى وقته وساعته ولا انفرد بشئ من الأشياء اذا لم تكن مصلحته. واننى ولى من وإلى السلطان، وعدو من عاداه والله على ما نقول وكيل[٢]».

---

(١) النويرى: نفس المصدر ، والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر ، جـ٧ ، ص ٤٧، ٤٤٨؛ ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) ابن ايبك: كنز الدرر، جـ ٨، ص ٢٠٠، ٢٠١ ، اما القلقشندى فقد أورد نص اليمين على ان ملك النوبة اقسم به للسلطان الملك المنصور قلاوون عند استقراره نائبا عنه فى بلاد النوبة. انظر: صبح الاعشى جـ ٣، ص ٢٩٠، ٢٩١؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر، ١٩٤٧م، ص ١٥٢ ، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٦ ، سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، ص ١٢٣ ، العصر المماليكى، ص ٨١ .

وفيما يلى صورة الحلف التى حلف بها الرعايا بدنقلا:

..(انى أطيع)، نائب السلطان وهو الملك شكنده المقيم بدنقلة «دنقلا» وكل نائب يكون للسلطان انا مطيع ولا أرى عليه بردئ ولا أخبئ عنه مصلحة ، وكلما اسمعه من الأخبار الجيدة والرديئة أطالع نائبه به؛ ومتى علمت على نائبه الملك شكنده أمراً يخالف المصلحة لا أطيعه فيه، واطلع السلطان به فى الوقت والساعة. واننى لا ادخل فى حكم داود ولا أكون معه ولا اطالعه بخير من الاخبار ولا ارتضى به ملكا؛ ورضيت بان أقوم بدينار عينا فى كل سنة خالية على[١].

ويبدو من محتويات القسم ان أهم أغراض السلطان منه كان أمن الحدود الجنوبية لمصر، ولذلك الزم ملك النوبة بان يكون خاضعا له فى كل شئ، وان يخبره باى خبر يتصل بالأمن العام لمصر، ثم تمسك بالحصون المنيعة والممرات الضيقة المسيطرة على الملاحة النهرية فى النيل.

وأخيراً جعل شرطاً واضحاً، وهو ان لا يسمح الملك النوبى بدخول العربان ارض النوبة ، ومن المعلوم ان العربان آنذاك كانوا رحالة فى صعيد مصر، وان ولاءهم غير مضمون للسلطان المملوكى، ولذلك كان لا يريد ان يبتعدوا عن يد السلطان خشية ان يتحالفوا مع النوبة، ويصبحون خطراً على حدود مصر[٢].

وقد وردت فى كتاب المفضل بن ابى الفضائل، وابن الفرات قائمة القرى والحصون التى يتملكها السلطان بيبرس ملكاً خالصاً له، ونذكر هنا الأماكن لأهميتها فى الماضى، وربما حصلت بعض الأخطاء فى كتابة أسماء هذه الأماكن ولذلك لا يمكننا تشخيصها كلها. ولكن البعض منها بلاشك واضح بين، وهذه قائمة الأماكن كما دونها أولا ابن عبد الظاهر كاتب الانشا فى عهد السلطان بيبرس[٣] ، ونقلها عنه المؤرخون:

---

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، جـ ٧، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) ان تكرار النص على الاحتياط على العربان وعدم تركهم فى بلاد النوبة وإمساكهم لإرسالهم الى السلطان المملوكى، انما يرجع الى ما قاموا به من تعديات على جنوب مصر، والتجائهم الى بلاد النوبة فراراً من السلطان: يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى فى حوادث شهر رجب عام ٦٦٠هـ. انظر ما سبق حملات الظاهر بيبرس ، ص. وانظر كذلك : كنز الدرر، جـ ٨، ص ٢٠١ ، ابى الفضائل : مصدر سابق، ص ٢٣٩؛ ابن الفرات: المصدر السابق ، جـ ٧، ص ٤٨، ٤٩.

(٣) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون، مخطوط بدار الكتب المصرية. ورقة ٢٩٠ (ب)، ٢٩٣ (أ)، ٣٠٧(ب). انظر الخريطة شكل (٧).

«جزيرة فيلة وضواحيها(واللحاسة). وربما تكون هى جزيرة الحصا الواقعة تلقاء فيلة او قرية الهيسية بقرب ابريم[١]- (ويودى) وربما هى دبود- (وارض الماء[٢])- ولا نعرف ما يقصد بها- (وفيناك)- غير معروفة ودمهيت وسبقنورة».

وتقع هذه الأماكن فى الجزء الأسفل للنوبة المعروفة بالجبل [٣]، ثم الأماكن الآتية أسماؤها وهى : «الجزء المعروف بالعالى «ادمة» وابريم والدو ودندال- وهى ادندان اليوم، وبخارص (فرص) وسمنة فى بطن الحجر. وجزيرة ميخائيل- ثم ذكر الكاتب إقليم بكر ودنقلة واشو[٤]». وهذه الأماكن تقع خارج المريس، ولكن السلطان وضع فيها فرقة من جنوده للحراسة [٥]. وذكر المفضل بن ابى الفضائل ان السلطان اقطع هذه الأماكن إقطاعا لواحد من اقرباء الملك شكنده[٦].

(١) ابريم من القلاع النوبية الحصينة فى إقليم مريس (٢٢٧ كم من أسوان جنوبا، وبها معبد فرعونى عظيم (جزيرة فيلة) وينسب إليها لقمان الحكيم وذو النون المصرى طبقا لما ورد عند ابن سليم الاسوانى، وكانت كنيستها تحمل اسم السيدة العذراء مريم، تعلوها قبة عظيمة انظر: المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ١٩٠، أبا صالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢١ .

(٢) ورد عند ابن عبد الظاهر: والى صاحب بارة وهى إحدى الأقسام الإدارية التى كانت تتألف منها مملكة علوة. وليس من المعروف تماما موقعها على وجه الدقة. غير ان دى فيار يرى ان شعب بازة الذين أشار إليهم ابن سليم الأسوانى، وباريا Barya الذين ورد اسمهم فى نقش عيزانا حوالى أوائل القرن الرابع الميلادى والميجاباريين Megabari الذين ورد ذكرهم جميعا أولئك البارة الذى اشتق اسم الإقليم من اسمهم وانهم كانوا يقطنون على صفاف نهر الاتبراء، فأتبرا تعنى مياه بارة انظر : تشريف الايام ، ورقم ٢٩٣(أ)

C.F. : De Villard Storia Della Nubia Cristiana, p. 148.

(٣) سبق التعريف بها . انظر الخريطة شكل رقم (١).

(٤) ذكرها بونسية مشو: قرية مشهورة على شاطئ النيل الغربى (١٩,٣٤° شمال و٣٠,٢٣ ° شرق بين جزيرتى بدين وارقو فى منطقة دنقلا وهى تمثل اهم نقطة على حدود مملكة الفونج الشمالية ، وفيها تجبى الرسوم الجمركية وقد وصفها الرحالة بونسية أثناء رحلته فى مملكة الفونج،

C.F.: C.J. Poncet; A Voyege to Ethiopia made in the year 1698, 1699, 1700, incorporated in the Red Sea and Adjacent countries at the close of the 17th century. Ed by sir William Forster, London, Vjt society 1949, pp. 96-97.

(٥) ابن ابى الفضائل ، ص ٢٣٩، ابن الفرات، جـ٧ ، ص ٤٨، ٤٩، ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ورقة ٢٩٠ ب، ٢٩٣ أ، ٣٠٧ ب.

(٦) ابن ابى الفضائل: المصدر السابق، ص ٢٣٩، فانتيني: المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

بهذه الاتفاقية أصبحت مملكة المقرة النوبية تابعة من الناحية الفعلية لسلطان مصر للحقائق التالية:

أولا : ان النوبة (مملكة المقرة) أصبحت جزءاً من درا الإسلام وان ملك النوبة اصبح نائب السلطان فيها.

ثانياً: يدفع ملك النوبة للسلطان مقدار البقط المعتاد دفعة من ملوك النوبة السابقين، بالإضافة إلى ثلاثة فيلة، وثلاث زرافات، وخمس من إناث الفهود، ومئة من الجياد الأصيلة، وأربعمائة بقرة.

ثالثاً: يدفع الملك نصف واردات دولته للسلطان ، والنصف الأخر يبقى فى يد الملك لعمارة البلاد، ودفع اى عدو يريد غزوها.

رابعاً: ان تصبح منطقة المريس (الجبل) التى تساوى ربع مساحة مملكة النوبة جزءاً من أراضى السلطان ينيب عليها من يشاء مباشرة.

خامساً: ان يقوم شكندة بإرسال كل ما يخص الملك السابق داود وأقاربه من ممتلكات منقولة إلى السلطان فى القاهرة.

سادساً: ان يدفع كل واحد قادر من السكان النصارى النوبيين جزية سنوية مقدارها ديناراً واحداً.

سابعاً: ان يتعهد ملك النوبة بان يخبر السلطان بكل ما يحدث فى بلاد النوبة ويوافيه بكل الأخبار باستمرار، وان يوالى من يوالى السلطان، ويعادى من يعاديه، وان يحضر إلى الأبواب السلطانية كلما دعاه السلطان، ولا يتأخر عن الحضور لاى سبب من الأسباب الا بمقدار ما يدبر وما يحتاج إليه فى سفره.

ثامناً: ان يمنع العربان من الاستقرار فى النوبة وان يرسل من يقبض عليه منهم إلى الأبواب السلطانية.

تاسعاً: بالإضافة إلى ما سبق. فقد حلف سكان مملكة النوبة(المقرة) الأيمان الغليظة بان يطيعون شكندة الملك مادام الأخير فى طاعة السلطان وإذا خلع طاعة السلطان فلا طاعة عليهم[1].

---

(١) انظر: النويرى: المصدر السابق، جـ ٢٨ ، ورقة ٢٥٩ ، ٢٦٠ ؛ ابن الفرات: المصدر السابق ، ص ٤٧، ٤٩، ابن أبى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٤-٢٣٩، C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

وقد قام قادة الحملة باستنقاذ الاسرى المسلمين الذين أسرهم الملك داود عند إغارته على عيذاب وأسوان[١]، واعادوهم إلى بلادهم؛ ومما يذكر ان الملك داود كان قد سخر هؤلاء الاسرى فى أعمال البناء بموقع فى دنقلة سماه عيذاب ، بنى فيه «منازل وكنائس ، وميدان ، وصور فيه قتلى المسلمين بعيذاب ، واسراهم بأسوان، فمحيت تلك التصاوير[٢]، فوجدوا عدداً من الصلبان الذهب والأوانى الفضية وغيرها، قدرت بنحو ثلاثة عشر الف وثلاثمائة دينار، فاستولوا عليها[٣]».

واقام قادة الحملة فى دنقلة لمدة سبعة عشر يوماً، بعد عودتهم من مطاردة الملك داود[٤]، وانتهوا خلالها من إقرار الأوضاع، واتخذوا طريقهم بعدها للعودة بما غنموه من أموال وسبى وماشية إلى مصر[٥]، فكان وصولهم إلى القاهرة فى الخامس من ذى الحجة سنة ٦٧٤هـ[٦]/ ٢١ مايو ١٢٧٦م، فاحتفل السلطان بيبرس بعودتهم واحسن استقبالهم واجتمع بقائدى الحملة وشكرهما وخلع عيهما[٧].

ومما يذكر انه بلغ من كثرة السبى، ان بيع الواحد منهم بثلاثة دراهم، وقيل انه بلغ قيمة ما بيع منهم مائة الف درهم وعشرة آلاف من الدراهم، ومع ذلك بقى عشرة آلاف من السبى من غير بيع[٨]. وقد اصدر السلطان مرسوماً حرم فيه بيع احد من هؤلاء لغير المسلمين[٩]، والا يفرق بين الام وأولادها[١٠].

اما الملك داود الثانى فانه عندما واجه الجيش المملوكى صاحب الخبرة الحربية المتفوقة انهزم فى ميدان دنقلا وهرب إلى المناطق الداخلية وفقاً لاستراتيجية قديمة

---

(١) النويرى: المصدر السابق، جـ ٢٨، ص ٢٥٩ ب.

(٢) النويرى: المصدر نفسه، جـ ٢٨، ص ٢٥٩ ب، ابن الفرات: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٤٧-٤٩ .

(٣) ابن الفرات: المصدر نفسه، جـ ٧، ص ٤٧-٤٩، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٧١ .

(٤) المقريزى: السلوك، جـ١ ق٢، ص ٦٢٣ .

(٥) المقريزى: الخطط، جـ١ ، ص ٢٠٢ .

(٦) المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص ٦٢٣ .

(٧) ابن ايبك: كنز الدرر، جـ١ ، ص١٩٩؛ ابن ابى الفضائل، ص ٢٣٦؛ ابن الفرات: نفس المصدر ، جـ٧ ، ص ٤٩؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨١؛ العصر المماليكى، ص ٨٣، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٨ ، وانظر C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

(٨) النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ٢٥٩ ب، ابن الفرات: جـ ٧، ص ٤٩-٥٠، المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص ٦٢٣ .

(٩) ابن شاكر الكتبى: عيون التواريخ: مخط بدار الكتب المصرية، جـ١ ، ص ٥٢؛ ابن ايبك: كنز الدرر، جـ ٨، ص ١٩٩ .

(١٠) ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٦ ، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٢٨٣، C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

عرفها النوبيون، وهي الانسحاب إلى داخل بلادهم ليستدرجوا العدو بعيدا عن قواعده، وبذلك ينفذ عنده الزاد، فيصبح من اليسير عليهم مطاردته وإبادته [١].

وهذا ما ورد في كتاب ابن دقماق برواية ابن الفرات: «واما ما كان من أمر الملك داود، فقال الأمير صارم الدين الشهير بابن دقماق ما معناه: ان الملك داود الثاني لما انهزم من الأمراء قطع البحر إلى البر الغربي، وهو قد هرب في اثناء الليل إلى بعض الحصون فبلغ خبره الامير عز الدين الافرم، والأمير شمس الدين الفارقاني فركبا في من كان معهما وساروا في طلبه ثلاثة ايام وهم مجدون الليل والنهار[٢]».

ويمكننا ان نتساءل عن المكان الذي التجأ اليه الملك داود في هربه وربما كان موضعاً في الشلال الرابع الواقع على كريمة وهي منطقة كثيرة الأوعار والحصون مثل قصر(الكاب) الذي له ممر في بطن الأرض يؤدي إلى النيل. وهذا ما ورد عند المؤرخ المذكور: «فلما أحس بهم ترك أمه وأخته وابنه أخيه ونجا بنفسه هو وابنه. فأخو حريمه ورجعوا إلى دنقلة فأقاموا بها إلى ان ملكوا الشكندة ورتبوه في الملك وقرروا مع كشي وهو صاحب بلاد الجبل ان يكون الدو وابريم، وهما قلعتان حصينتان قريبتان من أسوان بينهما سبعة أيام خاصة بالسلطان. وفرضوا معه أمر نيابة السلطنة[٣]».

أمام الملك داود الثاني بعد هروبه من مخبأه السري، فقد التجأ إلى ملك الأبواب. الذي اسمه ادر (أو أدور) وكان أحد الملوك التابعين لملك سوبا الكبير[٤]. غير ان الملك (أدور) لم يقبل لجوءه، بل حاربه وأسره وقيده هو وابنه وأرسلهما إلى مصر فأبقاهما السلطان في قلعة الجبل مسجونين[٥]، وهكذا انتهت الحملة المملوكية الأولى على مملكة دنقلا[٦].

---

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، جـ٧ ، ص٥٠ (عن ابن دقماق)، ج فانتيني: المرجع السابق ، ص ١٦٩.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ص ٥٠ (عن ابن دقماق).

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ، والجزء ، والصفحة.

(٥) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٤٠٠ ، القلقشندي، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٢٧ ، سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٨٣-٨٤، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٩.

(٦) يصور أحد الشعراء هذه الحملة ، والذي كان شاهد عيان للدمار الذي أحدثته، ببعض الأبيات التي نقلها عنه ابن الفرات:

(هذا هو الفتح لاما ان سمعت به : في شاهد العين لاما في الاسانيد)

وكتب المؤرخ القاضي محمد محي الدين عبد الظاهر ، وهو مؤلف سيرة الملك الظاهر:

يا يوم دنقلة وقتل عبيدها ... من كل ناحية وكل مكان

من كل نوبي يقول لأمه ... نوحي فقد دقوا قفا السودان

انظر : ابن الفرات : جـ٧ ، ص ص٥٠، ٥١ .

وانتهت تلك الحملة الناجحة، بعقد اتفاقية جديدة تنظم العلاقات بين مصر والنوبة، وأسفرت عن خضوع بلاد النوبة خضوعاً فعلياً لمصر لأول مرة ، بعد ان تمكنت الحملة من فتحها فتحا حقيقيا[١] . وكانت ثمرة هذا الفتح نتائج نسوقها فيما يلى:

– ضم القسم الشمالى من بلاد النوبة إلى مصر، ويشمل بلاد العلى والجبل بما فيه قلعتى الدو وأبريم، وتقدر بنحو ربع بلاد النوبة واصبح تحت السيادة المباشرة للسلطان المملوكى، ويقوم صاحب الجبل بصفته نائب للسلطان بحكمه[٢] .

– أصبح ملك النوبة نائبا للسلطان المملوكى على ما بقى تحت يده من البلاد، وبذلك استقر نفوذ مصر فى بلاد النوبة، وانتظم ملوكها فى أداء ما التزموا به للسلطان المملوكى، الذى اصبح من حقه تعيين ملوك النوبة او عزلهم [٣] .

– عوملت بلاد النوبة معاملة البلاد المفتوحة عنوة، واصبح غير المسلمين من أهلها، أهل ذمة، يؤدون ما فرض عليهم من جزية ماداموا على غير الإسلام[٤] .

– اعتناق ملك النوبة الإسلام، ويستدل على ذلك مما ورد فى كتاب من إنشاء ابن عبد الظاهر، كتبه على لسان السلطان بيبرس رداً على رسالة الأمير شمس الدين اقسنقر الفارقانى، ومما جاء فيه: «وأورث سليمان المؤمن ملك داود الكافر[٥]»، وهذا يعنى ان شكندة بعد ان انتزع الملك من داود، وقد اسلم وتسمى بسليمان.

– انشأ السلطان بيبرس ديواناً جديداً، وهو ديوان النوبة، واضافه إلى وزيرة الصاحب بهاء الدين بن حنا ، ورسم له ان يتولى الاشراف عليه، ويستخدم عمالاً على ما يستخرج من النوبة من جزية وخراج ومتابعة انتظام وصولها.

---

(١) ابن الفرات ،جـ٧ ، ص ٥٠، ٥١، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٣؛ محمد عبد العال، المرجع السابق ، ص١٩ .

(٢) النويرى: نهاى الأرب، جـ ٢٨، ورقة ١٠٩؛ ابن بهادر: فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة، رقم ٢٦١٦٦، جـ ١ ، ورقة ١٣٠؛ الحويرى: أسوان، ص٥٦ .

(3) C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75.

(٤) محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٢١ .

(5) C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 75.

– إقبال ملوك الأبواب التابعين لمملكة علوة، الواقعة جنوب مملكة المقرة على الارتباط بعلاقات ودية مع السلطنة المملوكية بعد ان تمكنت قواتها من التوغل داخل أراضي تلك المملكة في مطاردة الملك داود، ولهذا تدفقت هداياهم على البلاط المملوكي ضمانا لعدم تعرضهم للمخاطر(١).

– تحقق تأمين الحدود الجنوبية لمصر، ولتحقيق الاستقرار فقد تم إنشاء طريقين هامين، يبدأن من مدينة قوص، ويمتد أحدهما إلى أسوان ومنها جنوبا إلى النوبة. ويربط الطريق الثاني بين قوص وعيذاب على البحر الاحمر(٢).

– تم تنظيم البريد فيما بين مصر والنوبة، لتحقيق الاتصال السريع ومتابعة أخبارها أولا بأول.

بالإضافة إلى الشروط السياسية والاقتصادية المهينة في الاتفاق، كان على النوبة ان تتحمل استنزافاً لمواردها البشرية، حتى لو كان رقم (١٠٠٠٠) عشرة ألف أسير الذين نقلوا كما أوردت المصادر التاريخية إلى مصر كعبيد، رقماً مبالغاً فيه بالتأكيد ، وربما هذا له دلالته من الناحية السياسية اذا ان هؤلاء الأسرى كانوا يضمون رهائن اخذوا من الأسرة المالكة والملك السابق داود الذي سلمه عاهل الأبواب ، عندما سعى إليه طالبا اللجوء، وتشهد المراسلات بين بيبرس ويكونوا أملاك على قلق العاهل الأثيوبي على مصير الملك الأسير(٣).

وعلى اية حال فان حملة السلطان الظاهر بيبرس على النوبة حققت مالم تستطع حملة أخرى ان تحققه في تلك البلاد منذ الفتح العربي لمصر؛ فقد بسطت نفوذ مصر السياسي على بلاد النوبة التي لم تعد تشكل خطراً على حدود مصر الجنوبية

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، جـ٧ ، ص ٥١، المقريزي: السلوك، جـ ١، ص ٦٢٣؛ العبادي: قيام دولة المماليك، ص ٢٣٣، J. Cuoq: Op. Cit., p. 76.

(٢) انظر: ل. كروباتشيك: النوبة من نهاية القرن الثاني عشر حتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر ، بحث مستخرج من تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، اليونسكو، ١٩٨٨م، ص ٤٠٣، سعيد عاشور : العصر المماليكي، ص ٨٢، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢١؛ انظر: الخريطة شكل رقم (١).

(٣) ل. كروباتشيك: المرجع السابق ، ص ٤٠٤،

C.F.: Y.F. Hasan: External. Islamic, influences and the progress of Islamization in the Eastern Sudan, p. 74-75.

الممثلة فى أسوان، وإذا كانت العلاقة بين مصر والنوبة لم تقف عند ذلك الحد فانها أخذت شكلاً جديداً فقد توقفت اغارات النوبيين على مصر، وصارت سلطنة المماليك بعد بيبرس تتدخل فى شئون النوبة الداخلية، وانتهى الأمر في عصر الناصر محمد بن قلاوون بسقوط ممالك النوبة المسيحية فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى واعتلى عرشها ملك مسلم هو كنز الدولة (كما سنرى فيما بعد) .

- انهيار مملكة دنقلا المسيحية.

ما بين (٦٧٦هـ-٧١٢هـ/ ١٢٧٧م- ١٣١٢م)

استقر الملك شكندة فى ملك النوبة على ما التزم بأدائه سنوياً ، واستمر الاهتمام بأمر النوبة فى عهد السلطان الملك الظاهر بيبرس الذى حرص على استقرار الأوضاع فى بلاد النوبة بعد حملته الأخيرة، يبث العيون لاستقصاء أخبار تلك البلاد، ومراقبة تصرفات الملك شكندة، والتأكد من مدى التزامه بالطاعة والولاء له[1] . فقد كانت أجهزة الاستطلاع فى الجيش المصرى فى العصر المملوكى ركيزة للفن الحربى المملوكى، فكان يتطلب لتحقيقها وتنفيذها من المسئولين عنها عدة شروط تتحقق من مراعاة إجراءات أخرى مثل ان يوضع فى الاعتبار أهمية الاختيار بين وسائله وهى متعددة منها اختيار صاحب الطلائع رجلاً بصيراً، ناصحاً ، اميناً، جسوراً، وحذراً ، كما كان ينبغى ان يكون أهل الطليعة من أهل النصيحة والخبرة والتجربة[2].

ولهذا اختار بيبرس لهذه المهمة فداوياً اسماعيلياً يدعى سلامة ليتردد على ملك النوبة، ويكون عيناً عليه للسلطان دون ان يكشف عن شخصيته، فاستصحب معه زميلاً له، فلما وصلا إلى دنقلة تظاهرا بالخلاف وافتعلا خصومة وافترقا، وتمكن زميله من الالتحاق بخدمة شكندة، فأمن له الملك وجعله سلاح داره، وتمكن من اكتساب ثقة الملك، ولم يلبث ان وثب عليه وقتله ، ثم قتل نفسه بعده[3].

ويصور لنا ابن عبد الظاهر هذه الحادثة بقوله: «كان قد ترتب فى مملكة النوبة بعد الملك داود فى الايام الظاهرية ملك اسمه (مشكدت)- وهو شكندة نفسه، وكان الملك الظاهر بيبرس قد أرسل من مملكة الأبواب فداوياً من الإسماعيلية اسمه سلامة

---

(١) ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور، ٣٠٩ ب، ٣١٠ أ،

Y.F. Hasan: Op. Cit., p. 111-2 .

فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، الحويرى: اسوان، ص ٥٧؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٢ .

(٢) ابن منكلى: التدابير السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية، مخطوط بدار الكتب المصرية، ص٢٠؛ الهرثمى: مختصر سياسة الحروب، مكتبة كوبريلى باسطنبول ١٢٩٤ ، ص ٤٨؛ محمود نديم، مرجع سابق، ص ١٧٠ .

(٣) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ٣٠٩ ب؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 76- 77.

Y.F. Hasan: Islamic External, influences, p. 76.

لكى يتردد على ملك النوبة المذكور. وأمره السلطان بان يخفى انه فداوى. واتفق ان سلامة هذا استصحب صبياً لزيقاً، فاظهر سلامة خصومه بينه وبين الصبى اللزيق، فـفـارقـة. وأقـام اللزيق عند الملك مـشكدت (شكندة) . فـاطـمـأن الملك إليـه وجـعله سلاحداره- اى الحارس الشخص للملك- فجلسوا فى مشربه فقفز الصبى على الملك مشكدت وقتله. وقتل الصبى، وملك شخص اسمه برك وتوج فى الأيام السلطانية(١)، .

ويعتقد الدكتور مصطفى مسعد ان سلامة هذا كان من أولئك النوبيين العاملين بمصر، واصله من مملكة الأبواب التابعة لمملكة علوة، ويبدو ان السلطان بيبرس لم يكن مطمئناً تمام الاطمئنان إلى ولاء مشكدت فقرر أزالته واستبداله بملك أخر يطمأن إلى إخلاصه للسلطنة المملوكية ويكون عينا للسلطان فى ارض النوبة، وكلف بيبرس سلامة التابع للطائفة الإسماعيلية باغتيال مشكدت- شكندة- وهذا يدل على خبرة سلامة ببلاد النوبة، وعادات أهلها وتقاليدهم لأنه كان نوبيا(٢).

وبعد اغتيال الملك شكندة توج الملك برك حسب عادات النوبة؛ وكان ذلك فى بداية عـهـد السلطان الملك المنصور المعروف بابن قلاوون (٦٧٦-٦٨٨هـ/١٢٧٧-١٢٨٩م(٣)).

ورغبة فى تشديد قبضة مصر على النوبة، فقد تم إرسال الأمير علم الدين سنجر المعظمى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، إلى ملك الأبواب وعلى الرغم من انفراد ابن عبد الظاهر بأخبار تلك السفارات، الا انه توقف عن ذكر الأسباب الداعية إلى إرسالها، ومع ذلك يمكن القول ان السلطان قلاوون كان حريصاً على استقصاء أخبار تلك البلاد من اجل توطيد أواصر العلاقات مع المملكة النائية، يؤكد ذلك انتهاز ملك الأبواب فرصة وصول الأمير المملوكى ليبعث برسله معه، حاملين رسالة وهدية للسلطان قلاوون، تقرباً إليه، ولتقديم فروض الطاعة والولاء له، وللشكوى من ملك

---

(١) تشريف الايام والعصور، ٣٠٩ب، ٣١٠أ .

(٢) يتفق مع رأى الدكتور مصطفى مسعد المؤرخ المستشرق .Joseph Cuoq

Islamisation de la Nubie Chretienne, p, 76,

المكتبة العربية السودانية، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ فانتيني: المرجع السابق: ص ١٧١، ١٧٢ .

(٣) J. Cuoq: Op. Cit., p. 76.

دنقلة، فكان وصول رسل صاحب الأبواب بصحبة الأمير سنجر المعظمى إلى القاهرة فى رمضان عام ٦٨٥هـ/مارس ١٢٨٦م[١]. ويبدو ان ملك دنقلة أحس بان توطيد العلاقات بين ملك الأبواب والسلطنة المملوكية، خطر على بلاده[٢]، ويضعها بين شقى الرجا، مصر فى الشمال، ومملكة الأبواب فى الجنوب ، لذلك ترصد الأمير المملوكى واعترض طريقه أثناء عودته، وقام باحتجازه، واعتزم ان يقتله، لكن رجال حاشيته تصدوا له، وقالوا: «أتريد ان تخرب ديارنا واعمارنا» وثاروا عليه وعزلوه، وقاموا بتنصيب ملك غيره[٣].

وقد لاحظ الدكتور محمد عبد العال ان ابن عبد الظاهر برغم انفراده بجزئيات دقيقة بحكم عمله، واتصاله المباشر بالسلاطين، الا انه تناقض فى بعض النصوص منها[٤]:

– انفراده بذكر استخدام الظاهر بيبرس للفداوى الاسماعيلى ، مع ان الواقع ينفى إمكانية تعاون الإسماعيلية معه، بعد ان قضى عليهم واكتسح حصونهم ومعاقلهم فى نهاية عام ٦٧١هـ[٥]/ ١٢٧٢م.

– وفى الوقت الذى أشار فيه ابن عبد الظاهر إلى قيام أصحاب ملك النوبة بعزله، عندما هم بقتل الأمير التركى علم الدين سنجر المعظمى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، وتنصيب ملك آخر بدله، وعدم ذكر اسم اى من الملكين. عاد وأشار فى موضع آخر إلى هذين الملكين باسميهما، وجعل عزل الملك على يد الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط، وهو غير علم سنجر المعظمى السابق

(١) انظر: ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور، ص ٢٩٠ب، ٢٩٣(أ)؛

C.F. Cuoq: Op. Cit., p. 77.

(٢) انظر: ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ورقة ٢٩٠ ب.

(٣) انظر: ابن عبد الظاهر: نفس المصدر، رقم ٢٩٠ب؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٦، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص ٢٣، غير ان برك قتل فى موضع اخر من كتاب ابن عبد الظاهر بامر السلطان قلاوون ، كما ورد بقوله: «فلما توجه الامير علم الدين سنجر المسرورى امسكه واتلف الملك برك وولى بدله شخص اسمه شمامون النوبى» . انظر ابن عبد الظاهر : نفس المصدر ، ورقة ٢٩٠ (ب)؛ فانتينى : المرجع السابق ، ص١٧٢ .

(٤) محمد عبد العال احمد: المرجع السابق ، ص ص ٢٤، ٢٥ .

(٥) المقريزى : السلوك ، جـ ، ص٦٠٨ .

الإشارة إليه، فقد أشار فى حوادث عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م، إلى ان الملك برك– الذى تولى بعد مقتل شكندة– كانت قد بدت منها أموراً استوحيت قيام السلطان بإرسال من يتولى إقرار الأوضاع ، قال ابن عبد الظاهر: «ولما توجه الأمير علم الدين سنجر المسرورى، امسكه واتلف وولى شخص اسمه سمامون[١]».

وهكذا جعل ابن عبد الظاهر عزل الملك عن طريق علم الدين سنجر الخياط وليس عن طريق حاشية القصر، كما سبق وأشار فى حوادث السنة السابقة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م مع ان حملة علم الدين سنجر الخياط سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م كانت موجهة ضد سمامون، ولم تكن موجهة ضد برك اى انها لم تكن من نتائجها تنصيب سمامون[٢].

---

(١) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ورقة ٢٩٠ ب؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٣؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 77.

(٢) انظر فيما يلى – ص١٠٦ وما بعدها.

حملات المنصور قلاوون:

كان سمامون هو ملك النوبة المعاصر للمنصور قلاوون، وكانت ولايته بعد عزل سلفه برك عن طريق حاشية القصر سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، وليس بمعرفة الأمير سنجر الخياط سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، لأن التوقيت الأخير يتعلق بحملة السلطان المنصور قلاوون[١]، التي اسند قياداتها إلى هذا الأمير، والتي كانت من اجل القضاء على سمامون، ولم تكن من اجل تنصيبه ملكا على تلك البلاد. يؤكد ذلك قيام سمامون– بمجرد توليه عرش النوبة– بإعداد سفارة إلى السلطان قلاوون ، وصلت إلى القاهرة في السادس من رمضان ٦٨٥هـ[٢]/ ٢٦ أكتوبر ١٢٨٦م، اى فى نفس الوقت الذى عاد فيه سنجر المعظمي من سفارته، بعد نجاته على ايدى حاشية الملك برك الذى كان قد اعتزم قتله، وأن رسل سمامون قد جاءوا بصحبة ذلك الأمير المملوكى بما معهم من الهدايا[٣] التى بعثها معهم فى محاولة منه للتظاهر بالولاء للسلطان المملوكى، اكتسابا لتأييده.

ولقد كان الملك سمامون قد التزم للسلطان عند تنصيبه بأمور لا تختلف عما تعهد به شكندة، ولكنه لم يف بوعده، وفهم السلطان ان سمامون لم يكن افضل من الملوك السابقين من ناحية الوفاء للسلطنة[٤]. ولذلك توجهت من مصر ثلاث حملات لتأديب هذا الملك، وإخضاعه للسلطنة غير ان سمامون لم يواجه الجيوش المملوكية ، اذ هرب إلى داخل البلاد وربما فر إلى موضع بقرب جزيرة مقرات الواقعة فى النيل تجاه ابى حمد، وكان من الصعب الإبحار إليها. وبعد رجوع الجيوش من دنقلا إلى مصر كان سمامون يعود إلى مقرة، ويؤدب كل من تعاون مع عدوه[٥].

(١) يذكر ابن خلدون والقلقشندى ان حملة قلاوون تلك كانت ٦٨٠هـ ، العبر جـ٥، ص ٩٢١؛ صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٢٢٧؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٢٥ .

(٢) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٣ (أ).

(٣) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، والصفحة؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٥، ٨٦؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ,١٥٣

(٤) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر، ورقم ٢٩٣ (أ)؛ فانتينى ، المرجع السابق، ص ١٧٢،

J. Cuoq: Op. Cit., p. 76.

(٥)فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣،

J. Cuoq: Op. Cit., p. 77.

وفيما يلى تفاصيل الحملات على النوبة:

اما عن الحملة الأولى فقد وصل إلى مصر فى شهر رمضان ٦٨٥هـ/ أكتوبر ١٢٨٦م، وفداً من الملك آدور ملك الأبواب يحمل هدية وهى فيل وزرافة ورسالة تعبر عن طاعة ذلك الملك، وان الملك آدور هذا هو الذى قبل منذ عشر سنين القبض على الملك داود الثانى ملك دنقلا وسلمه مقيدا إلى السلطان؛ واشتكى الوفد من بعض العراقيل التى جعلها سمامون ملك دنقلا أمام رسل ملك الأبواب فاجبر الرسل على السفر إلى مصر عن طريق البحر الأحمر بدلا من النيل [١].

وفى عشرين من ذى القعدة سنة ٦٧٥هـ/ الموافق ٧ يناير سنة ١٢٨٧م، أرسل السلطان قلاوون الأمير علم الدين سنجر المعظم رسولاً إلى آدور ملك الأبواب وهذا يدل على وجود علاقات حسنة بين ملك الأبواب والقاهرة [٢].

وسافر رسول السلطان إلى ملك الأبواب عن طريق دنقلا ، فحاول سمامون إلقاء القبض عليه وقتله، ولكن كبار المملكة منعوه من ذلك قائلين أتريد ان تدمر ديارنا وتقصر أعمارنا، ولذلك يذكر ابن عبد الظاهر ان النبلاء اسقطوا الملك وأقاموا ملكاً بدلا منه غير ان سمامون لم يتخل عن العرش[٣]. ولما عاد الأمير علم الدين إلى مصر اجبر على ان يأخذ طريقاً أخر فى العودة، واشتكى من معاملة ملك دنقلا أمام السلطان، وبعد عودة الأمير علم الدين المعظمى إلى القاهر وصل وفد من الملك سمامون يبذل الهدايا ويعبر عن طاعته ، وقدم مائتى بقرة، ومائة وتسعين رأس رقيق هدية للسلطان[٤]. غير ان السلطان قرر إرسال رسولين آخرين أحدهما إلى الأبواب والآخر إلى دنقلا ليقفا على حقيقة الأمور فى تلك البلاد. وربما كان يقصد ان يتجسسا عليهما استعداداً لحملة حربية أخرى[٥]. وفعلا قام السلطان قلاوون بتكليف وإلى القاهرة علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط للقيام بحملة على بلاد النوبة[٦]. بالاشتراك فى القيادة العسكرية مع

---

(١) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٠ب، فانتينى : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٣(أ)، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٣) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ورقة ٢٩٠ ب.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٩٠ ب.

(٥) ابن عبد الظاهر: مصدر سابق، ورقم (أ)، فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٣ .

(٦) ابو الفدا: المختصر فى اخبار البشر، ط بيروت ١٢٨٦هـ، جـ ٤ ، ص ٢٢؛ المقريزى: السلوك، جـ١، ق ٣، ص ٧٣٦ وما بعدها؛ عاشور : العصور المملوليكى، ص ص٨٦، ٨٧؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٢٦ .

الأمير عز الدين الكوراني. ويبدو ان الأمر كان خطيراً وعاجلاً، لأن السلطان لم ينتظر حتى يتم إعداد الحملة التى تكونت فى قوص من «جماعة من أجناد الولايات بالوجه القبلي. والقراغلامية، وجرد الأمير عز الدين أيدمر السيفي السلاح دار متولي الأعمال القوصية بعدته وبمن عنده من المماليك السلطانية المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص وعربان الأقاليم وهم: أولاد ابى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف، وأولاد شيبان ، وأولاد الكنز، وجماعة من العربان البرلسية وبنى هلال[1]».

وتوجه الأمير سنجر الخياط وزميله فى طريقهما إلى قوص فى السادس من ذى الحجة ٦٨٦هـ[2]/١٢٨٨م لتنظيم القوات ومواصلة التقدم إلى بلاد النوبة، للتخلص من سمامون والعمل من اجل إقرار الأوضاع في تلك البلاد، وضمان إرسال ما تم إلزام النوبة بالوفاء به، منذ عهد الظاهر بيبرس ووصوله إلى مصر فى موعده.

وبوصول الحملة إلى الأراضى النوبية، تم تقسيم الجيش إلى قسمين،أحدهما بقيادة الأمير علم الدين سنجر الخياط فى البر الغربى للنيل، وأسندت قيادة القسم الثانى إلى الأمير عز الدين أيدمر فى البر الشرقى، وهو الجانب الذى فيه مدينة دنقلة وغيرها[3] من المدن الهامة، ولهذا كانت المعارك او معظمها على تلك الضفة من النيل[4].

ويقرر المقريزى ان تحرك القوات المملوكية سواء فى الصعيد الأعلى او منطقة المريس ، والأراضى النوبية – حيث تسيطر عليه بنو ربيعة الكنوز. كان مجال ترحاب

---

(١) النويرى: نهاية الارب، جـ ٢٩ ، لوحة ٢٧٣ (ب)، ابن خلدوان: العبر، جـ ٥، ص ٨٦٣، المقريزى: السلوك ، جـ ١، ص ٧٣٦، ٧٣٧ .

(٢) النويرى: نهاية الارب، جـ ٢٩ ، ص ٢٧٣ (ب) : السلوك، جـ١ ، ص ٧٣٧ .

(٣) وتقع دنقلا العجوز على الشاطئ الايمن على خطى ١٣ ,١٨ ٥ شمالاً و ٤٥ ,٣٠ ٥ شرقاً وقد اندثرت معظم معالم المدينة ولم يبق منها الا مسجدها المشهور ايضا :

Y.F. Hasan: Op. Cit., p. 110, 125, Poincet , pp . 99-100.

وانظر: الطبقات، حاشية(١٤)، ص ٢١٧, وانظر الخريطة شكل رقم (٤) .

(٤) النويرى: نهاية الارب، جـ ٢٩ ، ص ٢٧٣ (ب)؛ المقريزى: السلوك ، جـ١ ، ص ٧٣٧؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ، ص٥٥؛ محمد عبد العال احمد: المرجع السابق ، ٢٧ .

من مشايخ البلد وأعوانه، اذا يظهرون لهم الطاعة والولاء ويأخذون عهدا بالأمان(١).

وكان سمامون ذا مكر ودهاء وبأس اذا ما قورن بغيره من ملوك النوبة، فلم يكد يعلم بوصول الحملة إلى أطراف بلاده، حتى أرسل إلى صاحب الجبل ويدعى جريس – وهو نائبه على جزائر ميخائيل– وعمل الدو– وأمره بإخلاء بلاده من أهلها أمام الجيش المملوكى الزاحف(٢)، والانسحاب بمن معه للانضمام اليه فى دنقلة لتكثر بهم قواته، ويتمكن من التصدى للقوات المملوكية(٣) ، والدخول فى معركة معها حين وصلوها منهكة القوى لطول الطريق ونفاذ ما معها من مؤن؛ فكان جريس يرحل بمن معه أمام المماليك منزلة بمنزلة إلى ان وصلت إلى دنقلة (٤).

انتهز سمامون فرصة وصول الأمير عز الدين أيدمر السيفى بقواته أمام دنقلة والتحم معه فى معركة عنيفة قبل ان تستريح تلك القوات، غير ان المعركة انتهت بهزيمة ساحقة لسمامون ومقتل عدد كبير من جنده. واسرع إلى الفرار جنوبا إلى مملكة الأبواب فتعقبه الأمير لمسيرة خمسة عشر يوما جنوبى دنقلة(٥).

ولكنه تمكن من الإفلات، لذاك اكتفى أيدمر بأسر جريس صاحب الجبل واحد أبناء خاله الملك، وعاد بهما إلى دنقلة(٦).

وما ان عاد الأمير أيدمر حتى بادر بتنصيب ابن أخت سمامون ملكا على النوبة(٧) ، وقبل مغادرة الحملة بلاد النوبة، قام قادتها بإقرار الأوضاع؛ فاصبح جريس نائبا للملك على المناطق التى كان واليا عليها، بعد ان اقسم يمين الولاء للسلطان

---

(١) المقريزى: السلوك ،جـ ١، ص ٣، ص ٧٤٩ .

(٢) النويرى: نفس المصدر، والصفحة؛ المقريزى: السلوك، جـ١، ص ٧٣٧، محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون، ص ١٥٠ .

(٣) محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٨ ، محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ، ص ١٥٠
C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 77. (FF).

(٤) النويرى: نهايى الارب، جـ ٢٩، ص ٢٧٣ (ب)؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٧ .

(٥) ابن خلدونه: العبر، جـ٥ ، ص٨٦٣ .

(٦) انظر : المقريزى: الملوك، جـ ١ ، ص ٧٣٧؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥٠؛ محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص٢٨ .

(٧) ابن خلدون: العبر، جـ ٥، ص ٨٦٣، فانتيني: المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

المملوكي وملك النوبة، وتقرر عليهما قطيعة(١) يحملانها إلى الأبواب السلطانية سنويا، وترك معهما فريق من الجند لمساندتهما(٢).

ويورد القلقشندي نصا لاتفاقية جديدة بين المماليك والملك الجديد تشبه في محتوياتها المعاهدة التي عقدت مع شكندة أيام السلطان بيبرس مع وجود بندين مختلفين (٣).

الأول. عدم وجود شروط بطرد العربان الذين يلجأون إلى مملكة النوبة ولعل ذلك ناتجاً عن تبدل العلاقة بين المماليك والقبائل العربية نظراً للدور الذي لعبته هذه القبائل في مساعدة القوات المملوكية التي هزمت الملك النوبي سمامون.

اما البند الثاني فينص على وجوب مصادرة جميع أنواع الأسلحة من أيدي السكان المحليين؛ وهذا شرط وقائي لمنع الناس من الثورة على الملك الجديد الموالي للسلطان المملوكي، وكذلك لاضعافهم حتى لا يقوموا بالهجوم على الحامية المملوكية في دنقلة(٤).

أما قادة الحملة فقد عادوا مع باقي العسكر إلى القاهرة في التاسع من رجب عام ٦٨٧هـ/ ٩ أغسطس ١٢٨٨م بعد ان «ملكوا بلاد الدر والنوبة وتلك الأماكن جميعها، وقتلوا أهلها واسروهم(٥)، وغنموا كثيراً من الرقيق والخيل والجمال والأبقار والاكسية، احضروها معهم مع عدد كبير من الأسرى، فاحسن السلطان استقبالهم، وكان يوماً مشهوداً، اذ قام السلطان بتوزيع كثير من السبي على خواصه وحاشيته، والأمراء والجند، وبيع غيرهم بأبخس الأثمان، حتى كثروا بأيدي الناس، وخلع السلطان على الأمير علم الدين سنجر الخياط وولاه المهمندارية(٦).

(١) القطيعة: ما يفرضه السلطان على ولاية او ناحية من المال سنويا، او ما يقرره في احوال غير عادية كالغرامة الحربية. انظر: الخطط الجديدة التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط بولاق ١٣٠٥هـ جـ ١١، ص ٤.

(٢) انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، جـ ٨، ص ٥٢، ٥٣، فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧٤ .

(٣) القلقشندي: صبح الاعشى ، جـ ١٣، ص ص ٢٩٠، ٢٩١ .

(٤) القلقشندي: صبح الاعشى ، جـ ١٣، ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٥) ابن الفرات: نفس المصدر، والجزء ص ٥٢، ٥٣؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٥٠؛ سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٤؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٩ .

(٦) المهمندار: هو الذي يتلقى الرسل والعربان والواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة، ويتحدث في القيام بامرهم. انظر: ابن الفرات: المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٥٢ ، ٥٣؛ القلقشندي: صبح الاعشى ، جـ ٤، ص ٢٢، جـ ٥، ص ٤٥٩؛ محمود نديم: المرجع السابق، ص ٢٣٤؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٣٠ .

ومما يذكر ان المراسلات كانت متواصلة بين قادة الحملة وبين السلطان فقد أشار المقريزى إلى وصول كتب الأمير علم الدين سنجر الخياط مع الأمير ركن الدين منكورس الفارقانى إلى السلطان فى جمادى الأخرى عام ٦٨٧هـ/ يوليو ١٢٨٨ ، تفيد بفتح دنقلة ، فخلع السلطان عليه واعاده بجواب الرسالة إلى دنقلة ، وقد امر فى جوابه بعودة الأمير علم الدين سنجر الخياط ببقية قواته، اما الأمير عز الدين أيدمر والى قوص فقد أمر السلطان بان يظل فى دنقلة مع من تقرر بقاءهم هناك، كما أرسل اميراً نوبياً يدعى سعد الدين سعد وهو ابن أخت الملك داود، ليكون مع الأمير أيدمر لمعاونته، لما له من خبرة بأحوال بلاده، غير ان أيدمر اكتفى بترك حامية وعاد مع الحملة ، فأقام سعد الدين عنده بقوص(١) .

(١) المقريزى: السلوك، جـ ١ ، ق٣، ص ٧٤٣؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٨؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٦ ؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٤ .

- حملة قلاوون الثانية :

لم يكد الجيش المملوكى يعود إلى القاهرة. حتى ظهر سمامون من جديد وقام بطرد الملك الذى نصبه المماليك، وكذلك حاكم المريس، كما طرد الحامية التى تركها الجيش المملوكى فى دنقلة(١).

ولما وصلت الأنباء إلى القاهرة أرسل السلطان المملوكى حملة عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م(٢)، وقام بتجهيزها على ان تكون أقوى من الحملة السابقة(٣). واسند قيادة هذه الحملة للأمير عز الدين ايبك الافرم أمير جاندار، وأرسل معه ثلاثة من الأمراء هم: الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، والأمير عز الدين ايدمر وإلى قوص، وفى صحبتهم ملك النوبة ونائبه. وجرد معهم اطلاب (٤). كثير من الأمراء، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى، ونواب الولاة، ومن عربان الوجهين القبلى والبحرى عدة أربعين ألف رجل(٥). وجهز معهم نحو خمسمائة من

(١) المقريزى: السلوك: جـ١ ، ص ٧٤٣؛ الحويرى: اسوان ص ص ٤٠ ، ٤١؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٠ ؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٨٨؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٦،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 78.

(٢) ابن الفرات: نفس المصدر ، جـ ٨، ص ٨٢, ٨٣؛ السلوك، جـ ١، ص ٧٤٣؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ، ص ١٥١؛ MacMichael: Op. Cit., V. 1, p. 184.

وذكر الدكتور سعيد عاشور ان اسم الملك الجديد هو (بدمة) ، العصر المماليكى، ص ٨٩،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.78- 79.

(٣) النويرى: نفس المصدر، جـ ٢٩، ص ٢٧٣ (ب)، ابن الفرات : نفس المصدر، جـ ٨، ص ٨٢, ٨٣ ؛ ابن خلدون: العبرة، جـ ٥، ص ٨٦٣؛ المقريزى: السلوك، جـ ١ ، ص ٧٤٣؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٠، فانتينى: مرجع سابق، ص ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) «اطلاب» لفظ كردى معناه الامير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال ، ويطلق اللفظ ايضا على قائد المائة او السبعين، وقد عدل مدلول اللفظ فاصبح يطلق على الكتيبة من الجيش، انظر: محمود نديم: الفن الحربى فى العصر المملوكى، ص ٢٢٢؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٤٥٥ ، وقد ضمت الحملة طلب الامير زين الدين كتبغا المنصورى، وطلب الامير بدر الدين بيدرا المنصورى، وطلب الامير سيف الدين بهادر رأس نوبة الجمدارية، وطلب الامير علاء الدين الطيبرسى وطلب الامير شمس الدين سنقر الطويل. النويرى : نفس المصدر، جـ ٢٩، ص ٢٧٣ .

(٥) النويرى : نفس المصدر والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة، المقريزى: السلوك، جـ ١ ، ص ٧٤٩؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، ص ٨٥؛ العصر المماليكى، ص ٨٩؛ مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٥٧ .

الحراريق والمراكب الصغار والكبار لحمل الازواد والزرد خاناة والاثقال[(١)].

كان خروج الحملة من القاهرة فى الثامن من شوال سنة ٦٨٨هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٢٨٩م[(٢)] ولم تكد تصل إلى أسوان حتى مات ملك النوبة المصاحب للحملة، فأرسل الأمير عز الدين ايبك الافرم إلى السلطان لإبلاغه، فجهز أحد أبناء أخت الملك داود ليتم تنصيبه بدلاً عنه، فأدرك الحملة على خيل البريد قبل مغادرتها أسوان، واستأنفت الحملة تقدمها مع تقسيم الجيش إلى قسمين كالمعتاد، فكان نصف العسكر بقيادة ايبك الافرم، وسيف الدين قبجاق فى البر الغربى، أما النصف الثانى فكان بقيادة عز الدين ايدمر وسيف الدين بكتمر فى البر الشرقى، والمراكب فى النيل بالازواد والأثقال والسلاح[(٣)]، وتقدم جريس نائب ملك النوبة طليعة أمام الحملة ومعه أبناء الكنز أمراء أسوان، لتأمين أهل البلاد، وإدخال الطمأنينة على قلوبهم، ولتجهيز الاقامات لرجال الحملة، فكان إذا وصلت بعدهم استقبلها المشايخ والأعيان بفروض الطاعة والولاء، فيؤمنهم الأمراء، وقد تم ذلك فى المنطقة الواقعة فيما بين قلعة الدو وجزائر ميخائيل. وهى البلاد التى تحت يد جريس صاحب الجبل ونائب الملك، اما البلاد الواقعة إلى الجنوب منها، فلم يكن لصاحب الجبل عليها ولاية او سلطان ، وقد قام أهلها بإخلائها تنفيذا لامر سمامون[(٤)].

فلما انتهى قادة الحملة إلى دنقلة لم يجدوا فيها الا شيخا كبيراً وامرأة عجوز، وتأكد التجاء سمامون إلى إحدى الجزر النيلية الواقعة على مسيرة خمسة عشر يوما إلى الجنوب من دنقلة، فتعقبه ايدمر ومن معه، ولم تصحبهم حراقة ولا مركب لعدم صلاحية الملاحة فى تلك المنطقة [(٥)]. فلما وصل الأمير ايدمر وأصحابه إلى البر المقابل للجزيرة[(٦)]، قام بمراسلة سمامون لاقناعه بالدخول فى الطاعة، وبذل له الأمان، فلما ابى

(١) النويرى: نفس المصدر والصفحة؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٥، ص ٨٦٣ .

(٢) ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة؛ المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص٧٤٩ .

(٣) النويرى: نهاية الارب، جـ ٢٩، ص ٢٧٤ (ب).

(٤) المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص ٧٤٩؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٩٠؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٢؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٤، ١٧٥ .

(٥) المقريزى: السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٧٥٠ .

(٦) المصدر نفسه، والجزء ، ص ٧٥١ .

أوهمه بأنه أرسل فى طلب الحراريق والمراكب لاقتحام الجزيرة والقضاء عليه، فلاذ بالفرار إلى جهة الأبواب على مسافة ثلاثة أيام جنوبى تلك الجزيرة– وعندئذ تخلف عنه معظم أمرائه وجنده، وكذلك فارقة الأسقف والقس ومعهم الصليب الفضى– الذى يحمله الملك على رأسه وتاج الملك ، وطلبوا الأمان من الأمير أيدمر ودخلوا فى طاعته فأمنهم وخلع على اكابرهم، ثم عادوا معه إلى دنقلة[١].

وقد توصل الأستاذ الدكتور محمد عبد العال عندما تعرض للأمير عز الدين ايبك الافرم ودوره فى تلك الحملة[٢]، انه ورد فى كتاب تشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر خبر عن الأمير ايبك الافرم مبتور البداية، ومتصل بخبر اخر لا علاقة له ببلاد النوبة، وهو بدوره مبتور النهاية[٣]، ولهذا اعتبر البعض ان ما ورد عن الأمير الافرم يتعلق بحملة قام بها هذا الأمير فى عهد الاشرف خليل[٤]. ولما كان كتاب تشريف الأيام والعصور يتعلق بسيرة المنصور قلاوون، فقد آثار نسبة هذا الخبر إلى الاشرف خليل مع وجود البتر فى بداية الخبر الشك فى ان الكتاب المذكور لم يحظ بالعناية الكافية من المحققين، مما استلزم الرجوع للنسخة الخطية الوحيدة التى اعتمد عليها المحقق، واذا كان قد تبين انه لا خلاف بين المخطوط وبين ما تم نشره، الا انه تم التأكد من وجود بتر فى المخطوط نتيجة فقد عدد من كراسات المخطوطة تتضمن بقية حوادث عام ٦٨٦هـ اعتبارا من شهر ربيع الأول وإلى أثناء حوادث ٦٨٩هـ حيث الخبر المبتور البداية المتعلق ببلاد النوبة مما يجعل من المرجح انها تتعلق بحملة قلاوون الثانية، وانها لم تكن فى عهد الاشرف خليل، يؤكد ذلك اتفاق بعض تفصيلاتها مع ما أوردته المصادر الأخرى عن حملة قلاوون الثانية[٥].

---

(١) ابن الفرات: نفس المصدر، جـ٨؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥١؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية؛ ص ٨٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٨؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٣ .

(٢) محمد عبد العال احمد: المرجع السابق، ص ٣٣ .

(٣) اشار الدكتور سعيد عاشور الى ان اخبار تلك الحملة مقتضية. انظر مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص٨٨،

(4) MacMichael: Op. Cit. Vol. 1, p. 185.

مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ، ص ١٥٨–١٦١ .

(٥) مخطوط رقم ١٧٠٤ بالمكتبة الاهلية بباريس، وصورتها رقم ٢٢٢٦ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية.

ويبدو ان الأمير ايبك الافرم، قد توغل جنوبا للقبض على الملك انى الذى كان قد تمكن من الوصول إلى جهة الانج، وهى من الأقاليم التابعة لصاحب الأبواب[١]- وقد يكون (آنى) هذا نائبا لسمامون)، وربما كان هو الذى أشارت إليه بعض المصادر باسم (أمى [٢]) او (آى [٣]) او (إياى[٤]) بعد ذلك - ومن اجل اللحاق به ساق الأمير ايبك الافرم خلفه متعديا ونقله بمدة ثلاثة وثلاثين يوماً، ولكن الملك آنى تمكن من النجاة، وعانى العسكر المملوكى من شدة العطش وقلة المؤن. ويبدو انه كلف ملك الأبواب بالقضاء عليه، ويستدل على ذلك من كتاب ملك الأبواب للأمير ايبك الافرم، حيث ورد فيه انه «ساق خلف الملك آنى، وان بلاد الانج تغلب عليها ملك غير ملكها، وانه متحيل فى أخذها منه وإذا أخذها صار بلاد السودان فى قبضة مولانا السلطان وطاعته[٥]».

ولما اجتمع أمراء الحملة- بعد عودتهم- فى دنقلة احتفلوا بتنصيب الملك الجديد ولبست العسكر آلة الحرب ، وطلبوا من الجانبين الشرقى والغربى للنيل- وزينب الحراريق، ولعب الزراقون بالنفط، ومدت الاسمطة، ثم ملكوا الملك الواصل من الأبواب السلطانية [٦] ، والبسوه التاج على عادة ملوكهم، وحلفوه للسلطان قلاوون[٧] وحلفوا له الرعية انهم لا يطيعونه إلا مادام فى طاعة السلطان، «وانه اذا خرج عن الطاعة ينزع التاج منه، ويسير إلى الأبواب العالية، وقال له أهل البلاد: لولا مولانا

---

(١) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ٣١١ (ب).

(٢) القلقشندى: صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٢٧٧ ، ويرى الدكتور مصطفى مسعد ان انى كان ملكا (مكا) تابعا للملك الكبير سمامون ، وربما كان هذا الملك حاكما على المنطقة المجاورة لمملكة الابواب التابعة لمملكة علوة، وربما يكون عدائه للسلطان. انظر : المكتبة لسودانية ، حاشية رقم (٢)، ص ١٩٩ .

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٩٢٢,

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٢ ، ص ٧، ٨ .

(٥) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ص ٣١١ (ب)، ٣١٢(أ)؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٦) ذكر ابن عبد الظاهر ان الملك الجديد اسمه (بِدَمة)، تشريف الايام والعصور، ص ٣١١ (ب).

(٧) النويرى: نفس المصدر، جـ ٢٩ ، ص ٢٧٤ (ب)؛ ابن الفرات: نفس المصدر، ص ٨٢, ٨٣؛ المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص ٧٥٢؛ محمد جمال الدين سرور، نفس المرجع ، ص ١٥١ ، سعيد عاشور: نفس المرجع، ص ١٥٣ ؛ محمد عبد العال: نفس المرجع، ص ٣٥ .

السلطان ما اطعناك، ومتى تغيرت امسكناك، ونحن نرضى ان يقيم مولانا السلطان لنا ملكا فلاحا او جبليا، فان بلاد النوبة مالها ملك الا مولانا السلطان ونحن رعيته[١]».

كما قرر قادة الحملة على بلاد النوبة، ما كان قد تقرر على من سبقه من بقط وخلافه، ثم رتبوا معه طائفة من العسكر مقدمهم ركن الدين بيبرس العزى أحد مماليك الأمير عز الدين أيدمر والى قوص [٢]، وكانت عودة الحملة إلى القاهرة فى أخر جمادى الأولى ٦٨٩هـ/ يونية ١٢٩٠[٣]م، بعد ان حققت الهدف الذى أرسلت من اجله من حيث الانتقام من سمامون، وتنصيب من اختاره السلطان المملوكى ملكا على تلك البلاد.

غير ان الأمور لم تستقر طويلا، اذ تمكن سمامون من العودة إلى دنقلة ليلا «وصار يقف على باب كل سوكرى (أمير) بنفسه ويستدعيه، فإذا خرج ورآه ، قبل الأرض بين يديه ، وحلف له، فما طلع الفجر حتى ركب معه جميع العسكر النوبى، فزحفت بهم على دار الملك، وقبض على الملك وأرسل إلى ركن الدين بيبرس ان يتوجه إلى مخدومه بحيث لا يلتقيا، فتوجه ركن الدين ومن معه إلى قوص، واستقر سمامون بدنقلة، واخذ الملك الذى ملكه العسكر، فقراه من ثيابه وذبح ثورا وقد جلده سيورا ولفها عليه طرية.. فيبست تلك السيور فمات وقتل جريس أيضا[٤]».

وتفاديا لوصول حملات مملوكية أخرى، لجا سمامون إلى التودد إلى السلطان قلاوون، وأرسل إليه بعض رجاله بكتاب وهدية، ليستعطفه ويسأله الصفح[٥]، والإقرار به ملكا على النوبة، وتعهد بالالتزام بطاعته، وإرسال البقط وما يزيد عليه منذ عهد

---

(١) ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور، ورقم ٣١١ (ب).

(٢) النويرى: نفس المصدر، والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، والصفحة.

(٣) النويرى: نفس المصجر، والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، والصفحة، وذكر ابن عبد الظاهر عودة عز الدين ايبك الافرم فى الخامس من شهر ربيع الثانى ٦٨٩هـ؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص٣٥ .

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 79. (FF).

(٤) النويرى: نهاية الارب، نفس المصدر والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، جـ٨ ، ص ٨٢، ٨٣؛ السلوك، جـ ١ ، ص ٧٥٣ .

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 78-79.

(٥) النويرى: نهاية الارب، جـ٣٠، ص ٣٣٣، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٨٦٤ .

بيبرس. كما احتوت هديته على الرقيق وكثير التقادم، فكان وصول هذه السفارة فى أواخر عهد السلطان المنصور قلاوون، فى وقت شغل السلطان فيه بما هو أهم من النوبة، وذلك انه كان يستعد للزحف على عكا لاستخلاصها من بقايا الصليبيين، وقيل ان المنصور قلاوون استجاب لسمامون واقره على النوبة ، بعد ان حلف على يمين مطابق لذلك الذى حلف عليه شكندة من قبل ، فاستقر سمامون بالنوبة إلى أيام كتبغا المنصورى(٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م[١]) .

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، جـ ٨، ص ٩١؛ النويرى: جـ ٢٩، ورقة ٢٧٤ (ب)؛ السلوك، جـ١، ص ٧٤٩؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية؛ ص ٢٨٧؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٧ .

- الموقف فى عهد السلطان الاشرف خليل:

(٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م)

اما فيما يتعلق بالموقف على عهد السلطان الاشرف خليل بن قلاوون فليس لدينا سوى ما أورده محى الدين بن عبد الظاهر فى كتاب الألطاف الخفية وهو يتعلق بمحاولة ملك النوبة تبرير تأخره فى إرسال البقط المقرر، وأوضح انه اضطر إلى ذلك نتيجة لما لحق ببلاده من تخريب «بسبب دخول العساكر الإسلامية اليها كرة بعد كرة ، واحتج بصاحب الأبواب الملك ادر، وانه قد زاد بلاده خرابا إلى خرابها، وذهابا إلى ذهابها، وسوادها، وفسادا إلى فسادها[١]».

وفى الوقت نفسه كتب إلى السلطان يعتذر عن عدم قدرته على دفع البقط، ويستفسر عن صحة أقاربه الموجودين فى القاهرة رهائن فى البلاط المملوكى [٢].

وجاء الرد بان أقاربه بخير وانهم يتلقون معاملة ممتازة، وعناية خاصة، وتوعده السلطان بالويل والثبور ان لم يعد لدفع الالتزامات المترتبة عليه[٣]، ويقول النويرى: «وأرسل السلطان خليل (الاشرف بن قلاوون) رسولا ينذر (شمامون) ملك النوبة. فخاف ملك النوبة من الإنذار السلطانى. وكان الملك مهتما بأحوال والدته وحريمه اللواتى أخذهن السلطان رهائن فى الأبواب السلطانية؛ فأفاده السلطان بان حالتهم بخير فقررت لهن الرواتب وأجزلت المواهب؛ فأرسل شمامون البقط ، وكان فى وفده أخوه رسول الملك إلى السلطان[٤]».

ويبدو ان سمامون أوجس خيفه وخشى من عاقبة مناكفته للسلطان، لذلك بعث وفدا إلى الأبواب السلطانية فى القاهرة برئاسة أخيه مصحوبا بهدايا قيمة ، وبما اعتاد

---

(١) ابن عبد الظاهر: الالطاف الخفية، ط ليبزج، ١٩٠٢م ،جـ ٣ ، ص ٣٩-٤٠،

J. Cuoq: Op. Cit., p. 80. FF.

(٢) قال ابن عبد الظاهر: «ان ملك النوبة كانت عنده خشية تحجزه ، وخفيفة تعجزه ، فسير اليه مولانا السلطان امانا شريفا يزيل وجله ويبسط امله وحصل الالتفات الى والدته واخوته وعمته واهله المقيمين رهائن فى الابواب الشريفة بدور الضيافة، فقررت لهم الرواتب واجزلت المواهب» انظر المصدر السابق، والصفحة.

(٣) ج. فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٧، ١٧٨ .

(٤) النويرى: نهاية الارب ،جـ٢٨ ، ورقة ٢٧٤ .

ملوك النوبة دفعه للسلطان من أموال [١] . وحمل الوفد رسالة إلى السلطان يعرض فيها سمامون طاعته ، ويلتمس من السلطان قبول ولائه، ويستعطف رضاءه وعفوه ويرجوه إرسال والدته إليه، لأن ملوك النوبة ، كما قال في رسالته ، «لا يدير ملوك النوبة سوى النساء ، ويقترح إرسال والدته لتديره هي ومن معها[٢]».

ان ما كتبه سمامون ملك النوبة عن الدور الذى كانت تلعبه والدة الملك فى بلاده عادة قديمة تعود إلى عصر المملكة المروية قبل ظهور الديانة المسيحية وكانت (قنداقة) . الملكة الوالدة المروية– تشترك مع ابنها الملك فى تدبير شئون المملكة. وإذا ماتت والدة الملك كان من عادات الملوك ان يختاروا إحدى نساء الأسرة ويطلقون عليها لقب (الملكة الوالدة) وهي تلعب دور الملكة الام [٣] ، ولا شك في ان ما كتبه سمامون عن دور والدته وحريمه حسب تقاليد النوبة يدل على استمرار هذه العادة المروية القديمة حتى عهد النوبة المسيحية اى لمدة تزيد على ألف عام [٤].

وفي الوقت نفسه يشكو من ملك الأبواب، ويطلب من السلطان عدم تصديق وشاياته به، وسير سمامون هدية رقيق مائتان رأسا وهجن وجمال مائتان، وتمر مائتان إردبا وشب مائة وعشرون قنطار، وسند باج ألف وخمسمائة رطل، وفهود وهزير أربعة إلى غيرها كما جرت العادة[٥].

ويبدو ان السلطان قبل عذره ولبى التماسه. ولا تتحدث المصادر بعد ذلك عن العلاقات بين المماليك وسمامون الذى بقي يحتل عرش النوبة حتى ايام الملك العادل

---

(١) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٤٠، J. Cuoq: Op. Cit., p. 80.

(٢) ابن عبد الظاهر: الالطاف الخفية، ص ٣٩–٤٠؛ ابن الفرات: المصدر السابق، جـ٨ ، ص ٩٢ .

(٣) فى العهد المسيحى جاء فى قول ابن الملك زكريا ملك دنقلا عند زيارته لبغداد فى عهد الخليفة العباسى المعتصم (٨٣٣–٨٤٢م) عن قومه «ان امرنا بايدى نسائنا» انظر البلاذرى: ص ٢٣٨، ومازال السودانيون يرددون المثل القائل «الخال شريك الوالد» وفى المآتم تنادى النساء الميت «ياود امى» ان كان رجلا او «يابت امى» ان كانت امراة، وكلها تعابير تكشف عن صدق ومتانة الصلات الامومية التى غرست فى البيئة السودانية منذ العهد المروى. انظر : عمر حاج الزاكى: الاله آمون فى مملكة مروى ٧٥٠ ق م – ٣٥٠م؛ جامعة الخرطوم ١٩٨٣، ص ١٢٧، فانتينى : المرجع السابق، ص ١٧٨ .

(٤) عمر حاج الزاكى: الالة آمون فى مملكة مروى، ص ١٢٧ .

(٥) ابن عبد الظاهر: الالطاف الخفية ، ص ٤٠ .

زين الدين كـتـبـغـا المنصـوري (٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م[١]). ولا توضح المصادر الكيفية التى انتهى فيها سمامون ، وهل خلع عن العرش او مات موتا طبيعياً.

كان ذلك ما أورده ابن عبد الظاهر فى كتابه المذكور، خاصا بأخبار بلاد النوبة فى عصر الاشرف خليل. وليس فيما أورده اية إشارة إلى قيامه بإرسال حملات على بلاد النوبة، مما ينفى مـا ذكـره البـعض عن إرسـاله حـملة بقيـادة الأمـيـر عـز الدين الافرم، اعتمادا على مـا ورد فى كتاب تشريف الأيام والعصور من خبر مبتور البداية عن حملة الأمير عز الدين الافرم، اثبت أستاذنا الدكتور محمد عبد العال انه متعلق بحملة السلطان قلاوون الثانية، والتى كان عز الدين الافرم قائدا لها[٢].

وعلى ايه حال فان العلاقات بين مصر المملوكية والنوبة بقيت ودية نحو عقد من الزمان، وتصمت المصادر عن ذكر اية معلومات عن العلاقة بين الطرفين حتى عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م عندما وصل الملك آماى ملك النوبة إلى القاهرة حاملا الهدايا ومقدما الولاء للسلطان، وفى الوقت نفسه طلب مساعدة السلطان لقمع ثورة فى بلاده،، ولا تشير المصادر إلى طبيعتها أو تفصيلاتها، ولبى السلطان طلب الملك النوبى وأرسل معه قوة عسكرية استطاع بمساعدتها ان يتخلص من الثائر، وبقى ملكا على النوبة حتى قتل عام ٧١١هـ/١٣١١م من قبل أخيه كرنبس الذى خلفه فى الحكم[٣].

هكذا نستنتج مما ذكرته المصادر التاريخية ان نفوذ المماليك فى النوبة كان

---

(١) النويرى: نهاية الارب ، جـ ٢٨ ورقة ٢٧٤، ابن الفرات: جـ ٨ ، ص ٩٢، ويذكر دى فيلارد : De Villarsان سمامون قد حكم حتى عام ١٢٩٣م، ولكن هذا القول يناقض ما تذكره المصادر حول هذا الموضوع، بالاضافة الى ذلك فان قائمة ملوك النوبة التى صنفها De Villarsتحتاج الى اعادة النظر، واعادة ترتيب بعد استقصاء المصادر العربية المختلفة ، ولا تصلح لان يعتمد عليها دون مقارنتها بالمعلومات الواردة فى المصادر الاولية . انظر M. Monneret De Villars: Storia Della Nubia Cristiana, Roma, 1938, p. 223.

وجدير بالذكر ان كلا من د/ مصطفى مسعد، ود/ عطية القوصى ينقل قائمة ملوك النوبة عن دى فيلارد دون مناقشة أو تعديل. انظر: مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة، ص ٢٨١-٢٨٢؛ عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز، ملحق رقم ٤، ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢) انظر فيما سبق ، ص١١٣.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ١ ، ص ٤٢١، جـ ٢ ، ص ٤٧؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٩ .

متـزايداً، اما قـوة النوبيين فكانت تتـضـاءل سنة بعـد أخـرى، والـدليل علـى ذلك هو استعانة الملك آمـاى بالسلطان المملوكى لينتصر على عدو لم يذكر اسمه، وربما كـان أحد الأمراء من الاسرة المالكة، وقد هرب من دنقلا إلى داخل البلاد. فأرسل السلطان فرقة من الجيش المملوكى تحت قيادة الأمـيـر سيف الدين طقصبـا وإلى قوص كـما سنعرض فى سلطنة الناصر محمد[١].

(١) ابو الفدا: المختصر، جـ ٤، ص ٥١؛ المقريزى: السلوك جـ ٢ ، ص ٧–٨، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٩،
C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 80.

الاتصالات بين النوبة والصليبيين:

عندما كانت ممالك النوبة فى الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادى تتضاءل وبأخذ نجمها فى الأفول، وبينما كان كرنبس يبذل كل ما فى طاقته لكى يمنع الزحف العربى الإسلامى إلى أول معقل فى ممالك النوبة وهى دنقلا فى هذا الوقت حاول الصليبيون ان يتصلوا بالنوبة ليدخلوا حلفا عسكريا[١]. لكى يتمكنوا ان يضعوا مصر بين فكى الرحى من الوجه القبلى ومن الوجه البحرى فى آن واحد[٢].

والبرهان القاطع لهذه المحاولة هو ما جاء على لسان الراهب هيطون الأرمنى، وهو شقيق ملك أرمينيا آنذاك، فى كتابه زهرة الشرق، إذ ذهب هذا الراهب إلى فرنسا حيث كان البابا مقيما، وقدم له كتابه عن أحوال الشرق الأدنى، واقترح ان يكتب قداسته خطاباً– باللغة اللاتينية إلى ملك النوبة المسيحى فيرسلها إلى ملك أرمينيا– المقيم فى جزيرة قبرص آنذاك– فيقوم الملك بترجمتها ثم يرسل رسولا موثوقا به ليحمل الخطاب الى ملك النوبة وأضاف الراهب الكاتب قائلاً: انه لا شك لديه فى أن يقوم الملك النوبى ويخرج معه جيوش ضد جيوش السلطان المصرى – محمد ناصر بن قلاوون– إكراماً لإيمانه بالمسيح[٣].

ولا نعلم هل كتب البابا الخطاب حسب طلب الراهب المذكور ، ولكنه يبدو من هذا ان الصليبيين قد حاولوا التحالف مع القوات المسيحية الموجودة جنوب مصر، الا انهم لم يعلموا حالة النوبة آنذاك وحقيقة الوضع فيها وربما كان الكثيرون من الصليبيين – لعدم دقة المعلومات الجغرافية– قد خلطوا بين النوبة– اى مملكة دنقلا – والحبشة الذى ظهر فيها بعض الملوك من أمثال عمدا صيون ١٣١٤–١٣٤٤م من بين الذين دخلوا فى صراع مع المسلمين واشتهر فى الشرق والغرب آنذاك.

---

(1) Newbold. D., : The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S. N. R. , XXXV Part II, p. 221.

(٢) انظر:يوسف فضل حسن: دراسات فى تاريخ السودان والمعالم الرئيسية فى الهجرة العربية الى السودان، ص ٤٢، حسنين محمد ربيع: البحر الاحمر فى العصر الايوبى، ندوة البحر الاحمر، ص ١٠٨؛

C.F. : J. Newbold: Op. Cit., p. 221.

محمد غيطاس: النوبة ، ص ص ١١٤، ١١٥ .

(٣) ج. فانتيني : المرجع السابق، ص ١٨٠ .

أما الكاتب مارين سانودو البندقى فقد وضع خطة عسكرية لمحاصرة مصر برا وبحرا، وتضيق الحناق على السلطان فى سبيل المعركة الفاصلة، وقد تقدم بهذه الخطة حوالى سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م للمرة الأولى، ثم خطته فى سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م للمرة الثانية وتحدث فى كتابه عما إذا كان النوبيون يثورون فى بلادهم على السلطان على حدود مصر الجنوبية، ولكنه أضاف قائلا ان قوة النوبة العسكرية ضئيلة للغاية – ان وجدت لديهم– واستطرد قائلاً ان النوبيون محتاجين إلى تأييد من الغربيين وليس فى طاقاتهم ان يسيروا بقوة عسكرية كبيرة من الجبهة الجنوبية[١].

ويبدو ان هذا الكاتب كان يعلم حالة النوبة علما صحيحا، وربما كانت مصادر معلوماته هم التجار الذين أتوا من مدينة جنوة من اجل ان يصدروا إلى مصر بعض المواد الضرورية ، فوافق السلطان على ان يذهبوا إلى دنقلا فى سبيل تجارتهم وذلك منذ عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٨م[٢].

(١) فانتيني: المرجع السابق، ص ١٨١ ، انظر ملحق الدراسة: قطعتان من الفن الفخارى النوبى كلاهما من دنقلا. اناء معلق يوضع فيه المصباح وستار للشباك (شعرية) بشكل صليب ، متحف السودان القومى. شكل رقم(٦/٩) .

(٢) ج. فانتيني: المرجع السابق، ص ١٨١ .

- الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد:

أما عن الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد ، ففى عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م وفد الملك آى[١] على البلاط المملوكى حاملا الهدايا من الجمال والأبقار والرقيق والشب والسنباذج[٢]، فاحسن السلطان استقباله واكرم وفادته وقبل هديته، واستجاب له وأمده بنجدة لمساعدته على استعادة عرشه، واسند قياده هذه الحملة إلى الأمير سيف الدين طقصبا نائب السلطنة بقوص[٣]، وقد أرسل معه قوة عسكرية متمثلة فى جماعة من الوافدية وعدة من أجناد الحلقة، ونحو ثلاثمائة فارس من أجناد الولاة بالوجه القبلى بالإضافة إلى كثير من العربان [٤].

بقيت هذه الحملة المصرية فى النوبة تسعة عشر شهراً، وواجهت من المشاق والأهوال بسبب قلة الازواد، وهجوم الأعداء الشرش حسب ما جاء فى قول المقريزى: «وفى سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦م) عاد الأمير طقصبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص بعد غيبتهم تسعة عشر شهرا ومقاساتهم أهوالا فى محاربة السودان وقلة الزاد[٥]».

ولا تمدنا المصادر عن هذا الملك الا انه ظل جالسا على عرش دنقلا عندما شرع الأخ هيطون الأمير الأرمنى سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م ان يتوسط بين ملك النوبة وقادة الصليبيين ليدخلوا حلفا عسكريا استعدادا لمحاربة مصر من الجبهة الشمالية – البحرية– والجبهة الجنوبية – النوبية [٦] اذ قال ابن خلدون: «لا أدرى أكان متعاقبا

(١) ذكر كل كم المقريزى والقلقشندى ان اسمع (أمى) السلوك، جـ٢ ، ص ١٠٧؛ صبح الاعشى، جـ٥ ، ص ٢٢٧؛ وسماه ابو الفدا (إياى) المختصر، جـ٢ ، ص ٥٣، وليس من المستبعد ان يكون هو (آنى) الذى اشار ابن عبد الظاهر الى مطاردة عز الدين الافرم له الى منطقة الابواب اثناء حملة قلاوون الثانية . انظر: محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٢) السنباذج: مادة حجرية للجلا.

C.F.: Dozy: Supp. Dict. Arab.

(٣) ابو الفدا : المختصر ، جـ٤ ، ص ٥١؛ المقريزى: السلوك ، جـ ٢ ، ص ٧–٨ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٢ ، ص ٧–٨ .

(٥) المصدر نفسه، جـ ٢ ، ص ٧ .

(٦) ج. فانتينى: مرجع سابق ،ص ١٨٠ .

لسامون أو توسط بينهما متوسط، وقد توفى آى سنة ٧١٦هـ(١٣١٦م) وملك بعده فى دنقلة أخوه كرنبس وقيل ان وفاة آى سنة ٧١١هـ[١].

وعندما تولى كرنبس عرش النوبة بعد مقتل أخيه. عمل على اكتساب تأييد السلطان المملوكى له، وتوجه بنفسه إلى القاهرة سنة ٧١١هـ/١٣١١م لتسليم ما التزم ملوك النوبة بأدائه مما قرر عليهم[٢].

- جهود الناصر محمد فى إقرار الأمن فى بادية عيذاب:

يشير المقريزى إلى إرسال الناصر محمد لحملتين إلى صحراء عيذاب ومنها إلى دنقلة كانت الأولى سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م بسبب استيلاء عرب برية عيذاب على هدية كان سلطان اليمن قد بعثها مع رسله إلى السلطان الناصر محمد عن طريق البحر الأحمر.

وعندما علم السلطان قام بإرسال جيشا مدربا على احدث النظم العسكرية وقتذاك، وجعل على قيادتها الأمراء علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، وسيف الدين ساطى السلاح دار، وصارم الدين أزبك الجرمكى، وعز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين بن قراسنقر، وعلم الدين سنجر الدينسرى، فى عدة من الأجناد ومقدمى الحلقة وأمرهم بالتوجه إلى دنقلة فكان خروجهم من القاهرة فى أول شوال ٧١٥هـ/ ديسمبر ١٣١٥م[٣].

أما الحملة الثانية فترجع أسبابها أيضا إلى مهاجمة عرب بادية عيذاب لسفارة يمنية كانت فى طريقها إلى القاهرة سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م واستولوا على ما كان معهم من الهدايا، وعلى ما كان مع صحبهم من التجار[٤] . فقام السلطان الناصر بإعداد حملة بقيادة علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، وقد اتخذت الحملة طريقها فى العشرين من شوال سنة ٧١٦هـ/ ٥ يناير ١٣١٧م إلى قوص ثم توجهت منها أوائل

---

(١) ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ، ص ٩٢١ .

(٢) المقريزى: السلوك،جـ ٢ ، ص ٧، ١٦٤ .

(٣) المصدر نفسه، والجزء، ص ١٤٥-١٤٦؛

J. Cuoq: Op. Cit., p. 80- 81.

(٤) الفيومى: نثر الجمان فى تراجم الاعيان، مخطوط رقم ١٧٤٦، تاريخ دار الكتب المصرية، جـ٣ ، ص ١١٤ (ب).

المحرم ٧١٧هـ/ مارس ١٣١٧م إلى صحراء عيذاب ، ومنها إلى سواكن فناحية الأبواب ثم إلى دنقلة ، وكانت عودة الحملة إلى القاهرة فى التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧١٧هـ/ ١٩ أغسطس ١٣١٧م[١].

وكما هو واضح فان الحملتين اللتين أشار المقريزى إليهما ، كانتا بسبب مهاجمة عرب بادية عيذاب لرسل صاحب اليمن، وكان الأمير علاء الدين مغلطاى قائدا للحملتين، والواقع انه لم يكن هناك غير حملة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، لأن رسل اليمن وصلوا سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م دون ان تتعرض لهم القبائل [٢].

اما فيما يتعلق بتجاوز الحملة منطقة عيذاب إلى سواكن، ومنطقة الأبواب ثم إلى دنقلة، فيبدو ان ذلك من اجل مطاردة القبائل التى لاذت بالفرار إلى تلك المناطق.

- حملة الناصر محمد الثانية على النوبة:

بدأ كرنبس عهده بإعلان الطاعة والولاء للسلطان المملوكى، الا انه لم يلبث ان جنح إلى العصيان، وامتنع عن دفع البقط، وبقية الالتزامات الأخرى مثل الخراج والجزية، وقرر السلطان تبعاً لذلك ، ان يرسل حملة عسكرية ضد كرنبس مصحوبة بأحد الأمراء النوبيين الذى كان قد اخذ رهينة فى وقت سابق وهو صغير[٣].

قام السلطان الناصر بإعداد الحملة بقيادة الأمير عز الدين ايبك جهاركى عبد الملك، ومعه من الأمراء صلاح الدين طرخان بن بدر الدين بيسرى، وعلاء الدين على الساقى، وسيف الدين قيراز الحسامى كل بنصف عدته[٤]، وأرسل السلطان معهم أحد أمراء النوبة المسلمين، ويدعى سيف الدين عبد الله برشنبو [٥]، وكان توجه

(١) النويرى: نفس المصدر، جـ٣٠ ، ورقة ٩٥؛ المقريزى: نفس المصدر، جـ ٢، ص ١٦٢ .

(٢) النويرى: نفس المصدر، جـ ٣٠، ورقم ٩٥، العينى: عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان، مخطوط رقم ١٥٨٤، تاريخ دار الكتب مجـ ٦٠، ص ٥٦، محمد عبد العال: بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما ، الاسكندرية ١٩٨٠، ص ٤٠٥ .

(٣) انظر: ابن خلدون: العبر، جـ٥ ، ص ٩٢٢؛ محمد عبد العال : النوبة فى العصر المملوكى، ص ٤١ .

(٤) ابن خلدون: جـ ٥، ص ٩٢٢، سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص٨٩ .

(٥) النويرى: نفس المصدر، والجزء ، ورقة ٩٥، اما ابن خلدون فقد سماه (نشلى) العبر، جـ٥ ، ص ٩٢٢؛ القلقشندى: صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٧٧ .

الحملة فى الثالث والعشرين من شعبان ٧١٦هـ/ نوفمبر ١٣١٦م[١].

وينتسب برشنبو إلى بيت ملك النوبة، وكان قد هاجر إلى مصر، واعتنق الإسلام وحسن إسلامه، «وأقام بمصر بالأبواب السلطانية وأجرى عليه السلطان الناصر رزقا[٢]»، ولم يزل مقيماً بها إلى ان امتنع كرنبس سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م عن أداء الجزية. فرأى السلطان أن ينصبه ملكاً بدلا من كرنبس[٣].

عندما سمع كرنبس بقرار السلطان المملوكي حاول ان يثني السلطان عن عزمه، وأرسل إليه يطلب العفو والصفح، ويعرض على السلطان توليه ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك ملكاً بدلاً من عبد الله برشنبو الأنف الذكر[٤]. وقال كرنبس فى رسالته إلى السلطان إذا كان يقصد مولانا السلطان ان يولى البلاد لمسلم فهذا مسلم، وهو ابن أختى، والملك ينتقل إليه بعدى[٥]. لم يكتف كرنبس بذلك بل أرسل ابن أخته إلى الأبواب السلطانية ليسأل شموله بالأنعام السلطانى وتعيينه ملكا على النوبة، ولكن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بدلاً من الاستجابة لطلبه ، زج به فى السجن واحتفظ به فى القاهرة، وأرسل حملته العسكرية عام ٧١٦هـ/١٣١٦م[٦].

استطاعت الحملة ان تصل إلى دنقلة، وتجبر كرنبس وأخاه ابرام على الهرب جنوباً إلى الأبواب، حيث قام حاكمها بتسليمهما إلى مقدم العسكر المملوكى، الأمير عز الدين أيبك جهاركى، الذى أرسلهما بدوره إلى الأبواب السلطانية فى القاهرة حيث تم اعتقالهما ونصب مقدم العسكر المملوكى عبد الله برشنبو ملكا على النوبة، ومنح لقب

---

(١) النويرى: نهاية الارب، خط، جـ ٣٠، ورقة ٩٥؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 82- 83 .

(٢) القلقشندى: صبح الاعشى، جـ٥ ، ص ٢٣٧ .

(٣) النويرى: نفس المصدر والصفحة.

(٤) النويرى: نهاية الارب، جـ٣٠، ورقة ٩٥ انظر ايضا المقريزى: السلوك، جـ٢، ص ١٢١ .

(٥) النويرى: نهاية الارب، جـ ٣٠، ورقة ٩٥؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥٣-١٥٤؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٨٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٦٦؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٦) النويرى: نهاية الارب ، جـ ٣٠، ورقة ٩٥ .

سيف الدين [١] وباعتلاء سيف الدين عبد الله برشنبو عرش النوبة بدأ دور جديد فى تاريخ بلاد النوبة تميز بظاهرتين:

الأولى : تمكن بنى ربيعة الكنوز بعد سنة واحدة من الوصول إلى عرش النوبة.

والثانية : اعتناق النوبيين للدين الإسلامى، وانتهاء النصرانية كدين رسمى فى تلك البلاد.

وما ان تم تنصيب برشنبو ملكاً على النوبة، واستقر فى عاصمته دنقلة حتى غادرت الحملة ارض النوبة، فكان وصلوها إلى القاهرة فى جمادى الأولى عام ٧١٧هـ/ يوليو ١٣١٧م. وجدير بالذكر ان عبد الله برشنبو حول كنيسة دنقلة الكبرى إلى مسجد ومانزال اللوحة التذكارية الموجود فى فناء المسجد تحمل اسمه إلى الوقت الحاضر [٢].

وقد ذكر المؤرخ ابن خلدون «ان كثيرا من النوبيين قد دخلوا فى الإسلام منذ عصر الملك شكنده الا ان الملك عبد الله برشنبو ، وهو أول ملك مسلم قد أقام مسجداً فى قصر الملك دنقلة [٣]. وقد كان تدشين هذا المسجد فى ١٦ من ربيع الأول سنة ٧١٧هـ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٣١٧م، وتشير الكتابة التى نقشت على هذه اللوحة إلى هذا المعنى تحويل هذا المكان إلى مسجد للصلاة [٤]».

(١) انظر : النويرى: نهاية الارب، جـ ٣٠، ورقة ٩٥،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 82 - 83.

(2) Y.F. : Hasan: Op. Cit., p. 125.

(٣) انظر: ابن خلدون: العبر، جـ ٥، ص ٩٢٢ .

(٤) كان الاعتقاد ان هذا البناء الذى حول الى مسجد هو كنيسة دنقلة العجوز برغم الاقرار باختلاف طراز بنائها عن كل الطرز الشائعة للكنائس.

C.F. : Crowfoot, J.W.: Christhian Nubia, J. E. A XIII, pp. 144- 145,

مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٠٤، الا ان الحفائر الحديثة للبعثة البولندية فى دنقلة العجوز سنة ١٩٦٩، والتحليلات المعمارية عن هذا المبنى اشارت الى انه ليس كنيسة كما هو شائع، وانما هو قلعة او قاعة استقبال ملكية وهى بهذا تؤيد رأى سومر زكلارك فى عدم اعتبارها كنيسة انظر:

Somers clarke, Christian Antiquities in the Nile Valley, p. 44,

Michalowski, Fauilles Polonaises a` Dongola, Nubische Kunst, p. 165.

انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٣/٩).

وقد اتضح من التنقيبات والأبحاث الأثرية التى أجريت حديثاً فى هذا المسجد سنة ١٩٧٤م، وسنة ١٩٧٥م ان المبنى كان قصراً ملكياً فى الأصل وان الملك عبد الله برشنبو حول قاعة واحدة منه فى الطابق الثانى ولم يكن المبنى فيما قبل كنيسة حولت إلى مسجد بخلاف ما كان العلماء يظنون قبل إجراء هذا التنقيب[١] .

(١) ج. فانتيني: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية، ص ١٨٣، انظر قصر ابريم بملحق الدراسة، شكل رقم (٨/٩).

أمراء ربيعة الكنوز يرثون عرش النوبة:

أما عن كيفية وصولهم إلى عرش النوبة، فتذكر المصادر ان السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ، أثناء فترة حكمه الثالثة(٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م) أرسل حملة إلى النوبة عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، وطرد كرنبس ملك النوبة وعين عبد الله برشنبو ملكاً بدلاً منه، وقد نجحت الحملة، وتم للسلطان ما أراد؛ وقبض على كرنبس وأخاه إبرام وأرسلا إلى القاهرة رهن الاعتقال، وكان كرنبس قد أرسل ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين المملوكى يستعطفه ويطلب منه ان يوليه العرش باعتباره صاحب الحق الشرعى بعد كرنبس طبقا للتقاليد والأعراف النوبية ولكن السلطان المملوكى قبض عليه وأبقاه في القاهر مسجوناً[١] . ولما وصل كرنبس وأخوه إلى القاهرة التمس كنز الدولة بن شجاع الدين من السلطان ان يعيده إلى أقطاعه فى أسوان ، وتعهد بان يدفع جميع الخراج المستحق على سواقيه للديوان السلطانى ووعد بان لا يثير القلاقل. والفتن ، ولا يتجاوز أسوان جنوباً الى النوبة. وقد وافق السلطان على إطلاق سراحه وعودته إلى أسوان[٢]. ولكن كنز الدولة نكث بوعده، وتوجه مباشرة إلى دنقلة بدلاً من أسوان، ولما وصل إلى الدو، وهى أول بلد النوبة ، نادى بنفسه ملكاً واستقبله أهل البلاد بالطاعة وحيوه تحية الملك[٣]، ويعود السبب فى ترحيب الناس ربه الى ان عبد الله برشنبو- الذى فرض عليهم من قبل المماليك- سار فيهم سيرة غير محمودة، وعاملهم بشدة وقسوة، وغير الأعراف والتقاليد التى اعتادها النوبيون، كما كان مختالا متكبرا، فكرهوا ولايته وتمنوا زوال حكمه ووجدوا فى كنز الدولة الملاذ والأمل(٤) . تقدم كنز الدولة من الدو إلى دنقلة العاصمة فخرج إليه عبد الله برشنبو بجيش لقتاله، ولكن كنز الدولة واتباعه انتصروا عليهم، وقتل

---

(١) انظر فيما سبق ذكره سابقا

J. Cuoq: Op. Cit., p. 85.

(٢) النويرى: نهاية الارب، خط، جـ ٣٠، ورقة ٩٥-٩٦؛ ابن بهادر: فتوح النصر، جـ٢ ، ورقة ٢٣٦؛ المقريزى: السلوك، جـ٢ ، ص ١٦٢؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٩٠؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٦٧ .

(٣) النويرى: نفس المصدر ، والصفحة.

(٤) النويرى: جـ ٣٠ ، ورقة ١٩٥ .

برشنبو وملك كنز الدولة بلاد النوبة، الا انه لم يضع تاج الملك على رأسه رعاية لحق أخواله وتعظيما لهم[١].

وعلى الرغم من ذلك ، فقد خشى المماليك من نوايا كنز الدولة الذى كان يهدف الى تأسيس سلالة عربية حاكمة في النوبة، وقرروا ان يضعوا حداً لطموحاته. ووجدوا ان افضل وسيلة للخلاص من كنز الدولة زرع الخلاف بينه وبين أخواله من النوبيين؛ وكان بعض الأمراء النوبيين من أخوال كنز الدولة محجوزين فى القاهرة، ومن بينهم ابرام وأخيه الملك النوبى السابق كرنبس[٢]. فقام السلطان المملوكى بإطلاق سراح أبرام، خال كنز الدولة ، وأرسله إلى دنقلة ليقبض على كنز الدولة ويرسله إلى القاهرة، ووعده السلطان ان نجح فى هذه المهمة– أن يطلق سراح أخيه كرنبس ويعينه على استعادة عرشه[٣].

توجه ابرام إلى دنقلة، فاستقبله ابن أخيه كنز الدولة بالترحاب واعترف له بالملك، وأعلن طاعته إليه واخلص فى خدمته، ولكن ابرام احتال على ابن أخته، اذ خرجا إلى بعض البلاد المحاذية الى أسوان من جهة الجنوب بحجة إخضاعها. وفى بلدة الدو قبض إبرام على كنز الدولة وقيده، وعزم على إرساله إلى الأبواب السلطانية في القاهرة، ولم ينج كنز الدولة الا بمعجزة غير متوقعة، اذ مات إبزام بعد ثلاثة أيام، واجتمع الناس الى كنز الدولة ونادوا به ملكا من جديد؛ ويبدوا ان كنز الدولة تألم كثيراً من غدر خاله به، فقرر هذه المرة ان يتبوأ مركزه ويعلن نفسه ملكا ويلبس التاج

---

(١) المصدر نفسه، وقيل ان برشنبو بقى فى الملك حتى قتل اهل مملكته سنة ٧١٩هـ فبعث الناصر اليهم كرنبس ملكا بعده، صبح الاعشى، جـ٥ ، ص ٢٧٧ ، ويقال انه لم يضع التاج على رأسه، لأن التاج عليه علامة الصيب، انظر: محمد جمال الدين سرور: دولة بن قلاوون، ص ١٥٤؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٩٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٦٨ هامش ٩٤، غير انه لو كان الامر كذلك لتمسك بالعرش ولم يسلمه لخاله ابرام. انظر محمد عبد العال : النوبة ، ص ٤٤ .

(٢) اثناء هذه التطورات اعلن كرنبس اسلامه فى القاهرة املاً فى ان يكسب عطف السلطان ورضاه ويعيده الى مملكته ، وبالفعل فقد وعده السلطان المملوكى بمساعدته في العودة واعادة تنصيبه ملكا فى دنقلة بدلا من كنز الدولة انظر: النويرى: نهاية الارب، جـ ٣٠ ، ورقة ٩٦ .

(٣) النويرى: نهاية الارب، جـ ٣، ورقة ٩٥، ٩٦؛ المقريزى: السلوك، جـ٢ ، ص ١٦١، محمد جمال الدين سرور: نفس المرجع، ص ١٥٤، سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٩٠، محمد عبد العال: مرجع سابق، ص٤٤ .

وشارات الملك الأخرى؛ وإمعانا فى تأكيد عزمه على ممارسة سلطته كاملة فى دنقلة فقد أعلن استقلاله كليا عن سلطان مصر وتم ذلك فى عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م[١].

حملة الناصر محمد الثالثة:

كان لخروج كنز الدولة عن الطاعة، واستيلائه على بلاد النوبة دون موافقة السلطان المملوكى، واستقلاله بأمرها، وامتناعه عن إرسال ماهو مقرر على بلاده، أثره فى إصرار الملك الناصر على إقصائه عن عرشه، فقام بتجهيز حملة للقضاء عليه، وإعادة تنصيب كرنبس، وعهد بقيادة الحملة الى الأمير سيف الدين أيدمر الكبكى والأمير طقصباى، وأمدهما بخمسمائة من أجناد الحلقة[٢].

وقد نوهنا من قبل بان الذى جعل السلطان المملوكى يتقاعس عن أداء دور مصر الريادى فى تأمين الجنوب، من خطر كنز الدولة لمدة ستة أعوام، هو ما قامت به فى قمع ثورة القبائل العربية القاطنة بالقرب من عيذاب، حيث انتشرت هذه الثورة حتى شملت المنطقة الساحلية الواقعة بين عيذاب وسواكن، كما ثارت قبائل الهلنكة (الحلانقة) السودانية فى المنطقة نفسها[٣]. ووجدت السلطات المملوكية عناء كبيرا فى إعادة السيطرة على تلك المنطقة التى تتحكم بموانئ البحر الأحمر الأفريقية، وبالتالى تتحكم بالطرق التجارية البحرية بين مصر من جهة؛ واليمن والشرق الأقصى من جهة أخرى[٤]. وتبعا لذلك فقد صرف السلطان المملوكى نظرة مؤقتاً عن النوبة تاركاً كنز الدولة وشأنه حتى عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م. وفى هذا العام أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون حملة ضد كنز الدولة ويصحبتها الملك النوبى السابق كرنبس، ليتم تنصيبه ملكا فى دنقلة للمرة الثانية . وقد

(١) انظر: النويرى: نهاية الارب، جـ ٣٠، ورقة ٩٥ ، ٩٦ السلوك، جـ ٢، ص ١٦١؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ١٠٠، J. Cuoq: Op. Cit., p. 85.

(٢) انظر ما سبق ص ١٠٥, C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.85.

(٣) الحلانقة: المنطقة الواقعة جوار جبل كسلا، وتشمل جزءاً من القاش وقد ذكرها ابن عبد الظاهر فى القرن الرابع عشر، (التشريف، ٢٩٣(أ)) وقال النويرى: نهاية الارب جـ ٣٠، ورة ٩٧، ان سكان الحلنقة وهى جنس من السودان. وسكان المنطقة الاصليون من القبائل البجاوية ، ويشملون الهدندوه، والحلنقة، والبنى عامر، انظر ايضا: الطبقات: ص ٥٧، يوسف فضل: الطبقات ، هامش (١٠) ص ٥٧,

(٤) حول هذه الثورة: انظر: النويرى، جـ٣٠، ورقة ٩٦ ، ٣٨١؛ ويجدر بالذكر ان النويرى يأخذ معلوماته مباشرة من احد القادة المماليك الذين اشتركوا فى قمع الثورة وهو عز الدين الدوادار، الذى يصفه النويرى بانه ثقة فى اخباره.

تمكنت الحملة المملوكية من هزيمة كنز الدولة الذى فر هاربا الى الأبواب. واجلس كرنبس على عرش النوبة وعادت الحملة الى القاهرة بعد غياب تسعة اشهر، ولكن كنزل الدولة لم يلبث ان ظهر من جديد ، فالتفت حوله قبيلته وبقية القبائل العربية الأُخرى التى استوطنت المنطقة واستطاع ان يهزم خاله كرنبس الذى فر شمالا الى أسوان، حيث استنجد بالسلطان المملوكى، وبقى ينتظر المساعدة عامين بدون جدوى[١].

ولا تشير المصادر إلى الأسباب التى دعت السلطات المملوكى الا يهب لنجدة كرنبس ، ويبدو ان عدم نجدة السلطان المملوكى إلى كرنبس يعود إلى أن المماليك قد سئموا من كثرة الحملات د النوبة التى كانت تكلفهم جهدا ومالا وارواحا لا يستطيعون الاستمرار فى تحملها. والاهم من ذلك ان كنز الدولة قد أعلن ولاءه للسلطان المملوكى ويذكر المقريزى «ان رسول ملك النوبة كنز الدولة، كان من بين رسل الأمراء والملوك الذين كانوا يزورون البلاط المملوكى لتقديم الطاعة[٢]. ويذكر ان فضل الله العمرى ٧٠٠–٧٤٩هـ. الذى كان معاصرا لهذه الفترة ، وشغل وظيفة ناظر ديوان الإنشاء فى البلاط المملوكى، وأن ملك النوبة «رعية من رعايا صاحب مصر، عليه حل مقرر يقوم به كل سنة ويخطب ببلاده لخليفة العصر وصاحب مصر[٣]».

أما رسم المكاتبة لملك دنقلة المسلم فكان كما يلى: «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس الجليل الكبير الغازى المجاهد المؤيد، والأوحد العضد مجد الإسلام، زين الأنام، فخر المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين» ، وكان السلطان يعلم له بخطه[٤].

ويذكر ابن فضل الله العمرى: «ان كنز الدولة كان يرسل الهدايا للسلطان ويدفع اتاوة محددة سنويا، وهى عبارة عن عدد من العبيد والإماء والحراب والوحش النوبية[٥]».

(١) النويرى: نهاية الارب، جـ٣٠، ورقة ٣٨١ .

(٢) المقريزى: السلوك، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢هـ، ص ٢٩،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.85. FF.

(٤) المصدر نفسه: انظر ايضا: القلقشندى: صبح الاعشى، جـ٨ ، ص ٦، قارن مع عطية القوصى: مرجع سابق، ص ٩٨ .

(٥) يقول العمرى: «وعلى ملوك دنقلة حمل مقرر لصاحب مصر. وهذه الاتاوة لا ذهب فيها ولا فضة، بل هى عدد من عبيد والاماء والحراب» والوحش النوبية ؛ انظر العمرى: مسالك الابصار ، خط، رقم ٥٥٩ معارف عامة، دار الكتب المصرية، جـ٢ ، ورقة ٤٩٢ .

وعلى الرغم من هذه التبعية للسلطان المملوكي في مصر، فاغلب الظن ان كنز الدولة كان يتمتع باستقلال كامل في شئون مملكته الداخلية وهذا ما أشار إليه القلقشندي بقوله: «وهي (النوبة) مملكة مستقلة بذاتها، ولذلك أوردت مكاتبة صاحبها في جملة الملوك[١]».

ومهما يكن من أمر فان كنز الدولة ابن شجاع الدين كان أول ملك عربي مسلم يحكم بلاد النوبة(المقرة)[٢]. ولم نسمع بعد استيلائه على السلطة في دنقلة عن اى ملك مسيحي لتلك البلاد (اى المقرة). وهكذا استطاع بنو ربيعة الكنوز ومن والاهم من قبائل العرب أن يؤثروا بشكل حاسم في التكوين السكاني للمجتمع النوبي ، وساهموا بدور أساسي في تعلم اللغة العربية، وانتشار الإسلام بتلك البلاد، وعلى الرغم من ان المسيحية بقيت ديانة بعض السكان لمدة قرنين بعد استيلاء بني ربيعة على عرش دنقلة[٣] إلا أنها في النهاية انحسرت أمام المد العربي الأسلاى في ظل هؤلاء الحكام الربيعيين وحلفائهم، ولم يقتصر النفوذ العربي والإسلامي على مملكة المقرة، بل تعداها مع مرور الأيام الى مملكة النوبة الجنوبية التي كانت تعرف باسم علوة. والحقيقة ان النفوذ الإسلامي في تلك المنطقة قد بدأ منذ وقت مبكر ، وقد رأينا في الصفحات السابقة ان ملوك الأبواب اعتاد ان يرسل الهدايا والمبعوثين للسلطان المملوكي في مصر. وكثيراً ما تعاون ملوك علوة مع السلطان المملوكي في القبض على بعض أمراء دنقلة النوبيين الهاربين. وكان إسلام مملكة المقرة عاملاً آخر ساعد في سرعة انتشار الإسلام في علوة عن طريقين: التجار المسلمين، وكذلك عن طريق الهجرات العربية المستمرة، ولم يأت القرن السادس عشر الميلادي إلا وقد أصبحت اللغة العربية والدين الإسلامي من المظاهر الرئيسية لهوية السكان في تلك المنطقة[٤].

أما ملك النوبة العربي المسلم كنز الدولة ابن شجاع الدين فلا تتحدث المصادر عن أعماله بعد عام ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، ولا نعرف تبعا لذلك الإنجازات التي قام بها، خلال مدة حكمه والتي لا نعرف تاريخا محددا لنهايتها؛ ولكن وثيقة الزواج الملكية التي وصلتنا والتي تتعلق به شخصياً ، تشير بما لا يدع مجالا للشك انه كان وقت عقد زواجه على ابنة عمه بشرية، في ذي القعدة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م مايزال ملكا على دنقلة[٥].

---

(١) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ ٨ ، ص ٦ .

(٢) يجب ان نلاحظ ان اول ملك مسلم كان عبد الله برشنبو، ولكنه لم يكن عربيا بل نوبيا من اهل البلاد اسلم في البلاط المملوكي. انظر: MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. 1, p. 187.

(٣) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ٨ ، ص ٦ .

(٤) سنتعرض لهذا الجزء في الفصل الثالث سقوط مملكة علوة.

(٥) انظر: وثيقة الزواج الملكية، مسجلة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم (٤٢٢٢) انظر ملحق الدراسة رقم (١).
C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.91.

-الموقف فى عهد الاشرف شعبان:

ظلت العلاقات طيبة بين بنى ربيعة الكنوز، وبين المماليك حتى عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م ولا تتحدث المصادر عن اية معلومات ذات قيمة عن النوبة مما يشير إلى ان بنى الكنز كانوا أثناء هذه الفترة حكام دنقلة دون منازع؛ ولم يلبثوا ان مدوا بصرهم شمالا وحاولوا بسط سيطرتهم على منطقة الصعيد وامتلكوا أسوان، حيث يشير المقريزى إلى ان أولاد الكنز كانوا فى عام ٧٦٧هـ فى ثغر أسوان[١]. ولكنهم فى العام نفسه، أو قبله بقليل، فقدوا عرشهم فى دنقلة الذى انتقل إلى شخص من اصل نوبى لا تذكر المصادر اسمه، ويبدو ان القبائل العربية التى استقرت فى شمال السودان لعبت دوراً هاماً فى انتقال الملك من ربيعة إلى غيرهم. حيث قامت هذه القبائل بتقليد بنى ربيعة فى الزواج من النوبيات ، وتمكن بعضهم من الزواج من الأسر النوبية الأرستقراطية، وأتيحت لهم الفرصة بالتالى للتدخل فى شئون البلاط النوبى؛ ويبدو ان بنى جعد كانوا انشط فى هذا المضمار، وتشير المعلومات إلى ان نفوذ بنى ربيعة الكنوز اخذ يضعف فى دنقلة خلال العقد السابع من القرن الثامن الهجرى نتيجة للمنازعات القبلية والخصومات المستمرة بين المجموعات العربية المختلفة التى استوطنت بعد هجرتها من الشمال هرباً من جور المماليك وظلمهم او طمعاً فى البحث عن موارد جديدة[٢].

واستطاع بنو جعد وحلفاؤهم السيطرة على دنقلة، وتمكنوا من التدخل المباشر فى شئون العرش النوبى عام ٦٧٦هـ/ ١٣٦٥م[٣]. مما اضطر بنى الكنز الى التحالف مع قبائل أخرى مثل بنى عكرمة، وتركوا دنقلة تواجه مصيرها فى نزاع دائم مستمر بين القبائل العربية بعضها مع بعض وبينها وبين بعض الأسر النوبية. وارتحل بنو الكنز وحلفاؤهم شمالا آملا فى استرداد نفوذهم فى الصعيد، وبعض مناطق البحر الأحمر. وتذكر المصادر انهم تمكنوا من السيطرة على المنطقة الواقعة بين الشلال الأول والثانى، ومدوا نفوذهم شرقاً الى صحراء عيذاب، وجنوباً الى المنقطة الواقعة حول ميناء سواكن[٤].

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ ٣، ص ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، والجزء ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) المقريزى: السلوك ، جـ ٣، ق ١، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة.

وأمام هذا الخطر الجديد الذى اخذ يهدد جنوب مصر وتجارتها جرد السلطان المملوكى حملة لمحاربة بنى الكنز وحلفائهم ووضع حداً لطموحاتهم واستغل السلطان ، وصول سفارة نوبية تدعوه للتدخل فى شئون النوبة وتأديب القبائل العربية التى سيطرت على العاصمة دنقلة، وجعلت الملك ألعوبة فى أيديهم[١].

سارت الحملة إلى النوبة فى ربيع الأول من عام ٧٦٧هـ[٢]/ ١٣٦٥م عندما وصلت الحملة إلى قوص وجه قائدها رسولاً إلى بنى الكنز يدعوهم للطاعة ونبذ الخلاف؛ ويبدو ان بنى الكنز خافوا من الوقوع بين الجيش المملوكى من جهة وبنى جعد فى الجنوب من جهة أخرى ,فاظهروا الولاء للسلطان. وسار أمراء بنى الكنز الى قوص حيث التقوا بالجيش المملوكى وقدموا الطاعة فأمنهم القائد المملوكى وبالغ فى إكرامهم[٣]. وسار الجميع نحو دنقلة وبينما هم فى الطريق إليها قابلتهم رسل ملك النوبة تخبرهم بان العرب فى دنقلة نازعوا الملك السلطة واضطروه للرحيل عن العاصمة ، وبعد صعوبات كبيرة تمكن الملك النوبى من التسلل وسار شمالاً والتقى بالجيش الملوكى فى أبريم شمال الدو. وهناك تآمر القائد المملوكى وملك النوبة على الغدر بالقبائل العربية فى المنقطة بمن فيهم بنو ربيعة الكنوز الذى رافقوا الجيش المملوكى من ادفو وأسوان بعد ان أمنهم القائد المملوكى[٤].

وبالفعل فقد فأجأ المماليك وحليفهم ملك النوبة القبائل العربية فى المنطقة واعملوا فيها السيف، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، واسر عدد كبير منهم. بعد ذلك اتفق القائد المملوكى وملك النوبة على ان يتخذ الأخير الدو عاصمة له بدلاً من دنقلة وذلك

---

(١) المصدر نفسه، والجزء، ص ص١٠٩، ١١٠ .

(٢) امر السلطان شعبان باعداد حملة كبيرة بقيادة الامير اقتمر عبد الغنى صاحب الحجاب، يصحبه فيها الامير الجاى– احد امراء الالوف– وعشرة من امراء العشرات مقدمى مائة وثمان امراء طبلخاناة مع مجموعة من المماليك السلطانية وقد بلغ تعداد جند الحملة ثلاثة الاف فارس، وكان خروجهم من القاهرة فى الرابع والعشرين من ربيع الاول ٧٦٧هـ / ديسمبر ١٣٦٥م.

المقريزى: السلوك ، جـ ٣، ق ١، ص ١٠٩، ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص١١٠ .

(٤) المصدر نفسه، جـ٣ ، ص١١٠–١١٢؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., pp.100-101. FF.

لأن دنقلة أصبحت تحت رحمة القبائل العربية بزعامة بنى جعد ولا سبيل للسيطرة على هذه القبائل فى تلك المرحلة بما لديهم من قوة محدودة، وبعد ان تولى ملك النوبة الحكم في العاصمة الجديدة عاد الجيش المملوكى مصحوباً بهدية من ملك النوبة للسلطان وبعض أعوانه. كما صحب الجيش عدداً كبيراً من أسرى بنى ربيعة الكنوز وحلفائهم بنى عكرمة. وفى أسوان قبض الجيش المملوكى على عدد آخر من زعماء بنى الكنز وأخذ الجميع أسرى إلى القاهرة حيث أودعوا السجن[١].

ويبدو ان المماليك صمموا على ان يبيدوا بنى ربيعة الكنوز، ويقضوا على هذه القوة العربية التى كانت تهدد نفوذهم في النوبة وفى جنوب مصر، فتصدوا لهم بقوة لم يعهدوها من قبل كما يذكر المقريزى[٢]. وقبض والى أسوان على احد عشر من أمراء بنى ربيعة الكنوز ومائتين آخرين من أقاربهم واتباعهم وأرسلهم إلى القاهرة حيث تم قتلهم جميعاً وعلقت رؤوسهم على باب زويلة [٣].

وعلى الرغم مما تعرض له بنو ربيعة الكنوز من مذابح وتنكيل من قبل المماليك الا انهم لم يستكينوا ولم يخضعوا واستمروا فى منازلة السلطات المملوكية فى إقليم أسوان.

وتشير المصادر الى أن بنى ربيعة الكنوز استمالوا بعض موظفى القصر المملوكى في القاهرة، وعلى رأسهم غلام الله مهتار[٤] الطشت خانة السلطانية. وكاد الأخير ان يقضى على الأمير برقوق أثناء صلاة الجمعة فى السابع والعشرين من شهر ذى الحجة عام ٧٨٠هـ[٥]، ولكن المؤامرة اكتشفت قبل تنفيذها وقبض على غلام الله وزج به فى السجن[٦].

---

(١) انظر: المقريزى: السلوك، جـ ٣، ص ١١٠-١١٢ .

(٢) المصدر نفسه، جـ ٣، ص ٣٣٩ .

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٣ ، ص ٣٣٩، انظر ايضا: ابن حجر العسقلانى: انباء الغمر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٩م، جـ١ ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٤) المهتار: لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، فيقال مهتار الشرانجاناة ومهتار الطشت خانانة، مهتار الركاب خاناة. القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ٥، ص ٤٧٠؛ محمود نديم، الفن الحربى، ص ٢٣٣ .

(٥) اصبح الامير برقوق اول السلاطين البرجية عام ٧٨٤هـ.

(٦) المقريزى: السلوك ، جـ ٣، ص ٣٤٧، ابن حجر العسقلانى: انباء الغمر، جـ ١، ص ١٧٩ .

وفى العام التالى (٧٨١هـ) عاد غلام الله بعد ان خرج من السجن ، الى التآمر من جديد مع بنى الكنز. ويذكر المقريزى ان والى أسوان قبض على جماعة يحملون سيوفا مهرية الى بنى الكنز ومكتوب عليها اسم غلام الله فأرسل الى القاهرة يخبر السلطان بذلك. فقبض على غلام الله ، وأعيد الى السجن. كما قبض على عدد من بنى الكنز وشهر بهم فى القاهرة، وتعرضوا للإذلال، مما زاد فى نقمة بنى الكنز وإصرارهم على الاستمرار فى معاداة المماليك والإغارة على إقليم أسوان حتى تمكنوا منه وخرجت أسوان من أيدى المماليك [١] . ولم تتمكن السلطات المملوكية بعد هذا التاريخ عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م من بسط سيطرتها الفعلية على إقليم أسوان الذى بقى ميدان نزاع مستمر بين المماليك وبنى ربيعة الكنوز.

وتشير المصادر إلى اشتباكات متفرقة بين الطرفين حدثت خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن الهجرى وأوائل القرن التاسع الهجرى، ولم يستطيع المماليك إحراز نتيجة حاسمة ضد بنى ربيعة الكنوز الذين ربضوا فى إقليم أسوان وشمال النوبة[٢] .

يكافحون من اجل بقاء إمارتهم العربية فى تلك المنطقة بعد ان فقدوا ملكهم فى دنقلة على ايدى بنى جعد وبعض القبائل العربية الأخرى[٣] .

وأمام هذا الصمود وجد المماليك ان افضل وسيلة لوضع حد لتوسع بنى ربيعة الكنوز فى الصعيد هو ضربهم بالقبائل العربية أو المستعربة التى استقرت فى تلك المنطقة، أو التى ارتحلت إليها بمباركة المماليك وتشجيعهم، ومن هذه القبائل هوارة وجهينة. أما قبيلة هوارة فقد هاجرت من بلاد المغرب فى أيام الدولة الفاطمية واستقرت فى بداية الأمر غرب الإسكندرية حيث اكتمل تعريبها ومن ثم أخذت فى الانتشار، واتخذ رجالها انساباً عربية، ولعل ذلك كان سببا فى اختلاف المؤرخين حول اصل هوارة[٤] .

---

(١) يقول المقريزى: «وفى سابع عشر (من محرم سنة ٧٨١هـ) ، اسر رجلان من اولاد الكنز، وطيف بهما القاهرة ومصر، ثم وسطا. وهذا ايضا مما اوجب وهن الدولة. فان قرط (والى اسوان) لشدة عسفة وكثرة عتوه اوجب خروج اولاد الكنز على الطاعة ، وكثر فسادهم حتى خرجت اسوان من ايدى الدولة، ثم خربت».

انظر: السلوك، جـ٣ ، ص ٣٥٢ .

(٢) ل. كروباتشيك، مرجع سابق، ص ٤٠٥ .

(٣) انظر: السلوك، جـ ٣، ق ١، ص ١٢٣ .

(٤) المقريزى: البيان والاعراب ، ص ٥٦ .

ظلت هوارة فى منازلها فى مصر حتى أنزلها الأمير برقوق قبل توليه السلطنة بعامين (اى فى عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) فى منطقة الصعيد الأعلى[١]، واقطع زعيمها المسمي إسماعيل بن مازن منطقة جرجا وما حولها، ولعله أراد بهذا التدبير ان يجعل من هوارة قبيلة حدود تحمى الطرف الجنوبى لمصر من غارات بنى الكنز الذين كانوا بالفعل شوكة فى جنب الدولة المملوكية. وقد نجحت هوارة فى السيطرة على المنطقة الواقعة بين قوص والبهنسا.

واستطاع احد شيوخهم عمر بن عبد العزيز الهوارى فى السيطرة على بعض القبائل العربية الصغيرة التى كانت تنزل فى تلك المنطقة. وشاركه فى الزعامة شيخ هوارى آخر اسمه على بن غريب؛ وكان الاثنان يحضران سنوياً إلى القاهرة حيث يقدمان الهدايا والولاء للسلطان المملوكى[٢].

وعلى الرغم من العلاقات السلمية التى سادت بين هوارة وبنى الكنز فى بداية الأمر، إلا ان هوارة لم تلبث ان تصدت للدور الذى كلفت به وهو الاشتباك مع بنى الكنز لإضعافهم ووضع حدا لنفوذهم فى أسوان وشمال النوبة. وقد شاركتهم فى هذا الدور قبيلة جهينة التى ارتحلت جنوباً إلى النوبة نتيجة لما أصاب مصر من القحط والغلاء والوباء فى نهاية القرن الثامن الهجرى وأوائل القرن التاسع الهجرى. واستطاعت جهينة ان تقضى على قوة بنى الجعد فى دنقلة ووصل أفراد منها الى الحكم فى عاصمة النوبة[٣] الا انهم لم يحسنوا السياسة، وتغلب الطابع البدوى على سلوكهم وتصرفاتهم وساهموا فى إشاعة الفوضى والفساد فى دنقلة. وفى الوقت نفسه سادت بينهم وبين بنى ربيعة الكنوز علاقات العداء والتناحر. واصبح بنو الكنز بين قوتين:

(١) يقول ابن خلدون: ان البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت الى المغرب وانتهوا الى لوبيا ومراقيه كورتان من كور مصر، ونزلت هوارة مدينة لبدة العبر، جـ٥ ، المجلد الثانى، ص ١٠٠٣ ؛ القلقشندى: نهاية الارب، ص ٤٤١؛ ابن الفرات: جـ٩ ، ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤٤٠-٤٤١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، القاهرة، القاهرة ١٩٢٩-١٩٥٦، ص ١٥٦؛ نسيم مقار: اضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٢٦، ص ١٩٢؛ محمد محمود زيتون: اقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، القاهرة ١٩٦٢ن؛ ص ٣٩٢؛ ليلى عبد اللطيف : شيخ العرب همام وحكم جرجاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٣٨ .

(٢) ابن الفرات: جـ٩ ، ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤٤٠، ٤٤١ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص ٩٢٢-٩٢٣ .

هوارة وحلفاؤها مدعومة من قبل المماليك فى الصعيد، وجهينة ومن والاها من القبائل الأخرى فى دنقلة وما حولها. وكان ذلك من الأسباب التى ساعدت على انهيار قوة بنى الكنز بالتدريج وانحلال إمارتهم وتلاشى سلطانهم(١).

وتشير المصادر إلى ان هوارة لعبت دوراً بارزاً فى أضعاف بنى الكنز، وذلك عن طريق مساعدتها للحملات المملوكية ضدهم او عن طريق الاشتباك المباشر بين الفريقين. وفى عام ٨١٥هـ/١٤١٢م زحفت هوارة على أسوان وحاربت بنى الكنز وهزمتهم وخسر بنو الكنز عدداً كبيراً من أبنائهم واتباعهم فى المعركة، كما اسر منهم عدد آخر(٢). وقد أتاح هذا النصر لقبائل هوارة ان تستولى على بعض المناطق فى إقليم أسوان التى كانت من قبل خاضعة لبنى الكنز ولم ينقذ بنى الكنز من هزيمة ساحقة أخرى إلا النزاع والانقسام الذى دب بين صفوف قبائل هوارة ، مما أدى إلى تفرقهم ، وسار قسم منهم جنوباً إلى النوبة، وانتشروا فى بقاع مختلفة من سودان وادى النيل(٣).

ونتيجة لانقسام قبائل هوارة فيما بينها ولتفرق بطون جهينة فقد أتيح المجال لبنى الكنز ليحققوا حلمهم فى إعادة السيطرة على إقليم أسوان، مما أدى إلى تجديد النزاع بينهم وبين المماليك فى منتصف القرن التاسع الهجرى. حيث تذكر المصادر ان حملات مملوكية كبيرة قد وجهت ضدهم من بينها حملة كبيرة عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م استطاعت ان تهزم بنى الكنز، وتعود للقاهرة حاملة رؤوس بعض أمراء بنى الكنز محمولة على أسنة الرماح(٤).

وعلى الرغم من ذلك فليس لدينا دليل على ان هذه الحملة كانت حاسمة ولا تذكر المصادر ان بنى الكنز تركوا منازلهم فى إقليم أسوان والمريس . ومن المحتمل انهم ظلوا يتنازعون السلطة فى هذا الإقليم مع المماليك ومع بعض القبائل العربية

---

(١) ابن خلدون: نفس المرجع ، والصفحة.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ١٩٧ .

(٣) عبد المجيد عابدين: البيان والاعراب، ص ١٥٤، ١٥٥،

J. Cuoq: Op. Cit., p.100-101. FF.

(٤) السخاوى: التبر المسبوك، ط بولاق ١٨٩٦، ص٩٣ .

الأخرى التى استقرت فى المنطقة. وعندما ضعفت سلطة المماليك وانعدمت السلطة الموحدة فى مملكة النوبة الشمالية (المقرة) عمرت البلاد بالقبائل العربية المختلفة، وأخذت المنافسات والعصبيات القبلية تطغى على الوحدة القومية او الدينية وتكونت مشيخات وامارات عربية كثيرة فى الصعيد الأعلى وبلاد النوبة[١]. والدليل على ذلك ان مملكة الفونج الإسلامية فى القرن السادس عشر الميلادى عندما حاول زعماؤها توسيع نفوذهم شمالاً فى بلاد النوبة لم يجدوا قوة كبيرة تقف فى طريقهم ، بل وجدوا وحدات قبلية متناثرة على ارض النوبة. ومن بين هذه الوحدات بنو ربيعة الكنوز الذين نزلوا فى منطقة المريس وجنوب أسوان[٢].

وعندما زال حكم المماليك ، وخضعت مصر للحكم العثمانى لم يغفل الحكام الجدد النوبة، ولم يكد السلطان سليم الأول ينتهى من فتح مصر ، حتى أرسل الولاة تدعمهم القوة العسكرية إلى منطقة النوبة، وتعيين الولاة لمختلف أقاليم النوبة حيث عرفوا باسم الكشاف[٣]. وبنوا القلاع الحربية فى المدن الهامة مثل أسوان وابريم والدو وجزيرة ساى وبسطوا سلطانهم على كل المنطقة الواقعة إلى الشمال من دنقلة. وهذا يعنى انهم سيطروا على المنطقة التى كانت خاضعة لبنى ربيعة الكنوز. ولا تذكر المصادر معلومات واضحة عن مصير بنى الكنز، ويبدو انهم اضطروا– كغيرهم من القبائل العربية

---

(1) C.F.: Budge. E. A. Wallis, : A history of Ethiopia Nubia, and Abyssinia, Netherlands, pp. 106-107.

(2) C.F. : Budge: Op. Cit., pp.106-107.

مكى شبيكة: السودان عبر القرون، القاهرة ١٩٦٤، ص ٤٠.

(٣) الكشاف: وجمعها كاشفيات وهى هذه ادارية صغيرة اثناء الحكم العثمانى واشتق منها لفظ كاشف وهو الذى يحكم الكشفية، كما كان الكاشف ينوب على الصنجق الذى كان يحكم الصنجقية، وهى احدى الاقاليم الادارية الكبرى فى مصر العثمانية فكان الكاشف يحل محل الصنجق، وفى اثناء تغيب الاخير عن مقر منصبه وتفضيله قضاء معظم شهور السنة فى القاهرة .وكان هناك نوع ثان من الموظفين يحمل كل منهم لقب كاشف. وكان هؤلاء الكشاف هم وكلاء الباب العثمانى الذين يشرفون على قرى الكاشفيات آلتى كان دخلها مخصص للباشا فى اقاليم معينة فى مصر. انظر: عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، القاهرة ١٩٨٠، جـ١، ص ١٦١؛ ابراهيم المويلحى: الارض والفلاح فى العصر العثمانى، ص ٢٤٤ .

صلاح احمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية ، دار المعارف ١٩٨٤ ، ص ٩٩؛ ليلى عبد اللطيف احمد: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ٦٢ .

للخضوع الى حكم الكشاف الذين توارثوا الحكم فى المنطقة حتى الفتح المصرى أيام محمد على ؛ وبعد ذلك لم يجد بنو الكنز أية فرصة للظهور واسترداد حقوقهم السليبه[١]. ويبدو انهم عادوا إلى حياة البداوة والتنقل وانتشروا فى المنطقة الواقعة بين الشلال الأول كوروسكو، والتى لا تزال تعرف بمنطقة الكنوز الى يومنا هذا[٢].

والحقيقة ان الكنوز الذين فى هذه المنطقة لا ينتمون جميعاً إلى بنى الكنز، وانما انتسبوا إليهم نتيجة للجوار أو المصاهرة أو الولاء أو الحلف، ويبدو من القائمة التى أوردها ماكمايكل MacMichael، معتمدا على كتب النسبة المحلية السودانية[٣]، ان بعض القبائل التى تنتمى إلى الكنوز قد تأثرت بما يجرى فى النوبة وسودان وادى النيل من محاولة الناس الرجوع بأنسابهم إلى اصل شريف؛ ومن هنا فان بعض بطون الكنوز قد رجعت بأصولها إلى بنى العباس والى الأنصار وغيرهم؛ وبذلك فقدت الرابطة بينهم وبين قبيلتهم الأصلية ربيعة، وضاعت الأنساب الحقيقة نتيجة لتنافس السكان هناك فى الرجوع بأنسابهم إلى أصول عربية عريقة ترتبط غالبا فى نهايتها أما بالرسول الكريم نفسه أو أحد أفراد أسرته أو أصحابه المشهورين[٤].

على كل حال أدت تلك الحملات التى بدأها الظاهر بيبرس إلى فتح بلاد النوبة، واصبح ملكها رعية من رعايا صاحب مصر[٥]، يؤدى سنويا ما تقرر على بلاده من عبيد واماء وحراب ووحوش نوبية[٦]، «ويخطب لخليفة العصر وصاحب مصر[٧]» قال ابن فضل الله العمرى: «وملكها الآن (اى فى أواخر عصر الناصر محمد) مسلم من أولاد كنز الدولة.. ولا يملك الآن بها ملك الا من الأبواب السلطانية بمصر[٨]».

(1) Budge: Op. Cit., pp.106-107.

(٢) انظر: نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، بيروت ١٩٦٧، ص ٤٣٢، عطية القوصى: الكنوز، ص ١٠٨–١٠٩ .

(3) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, pp.99-100.

(4) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, pp.99-100.

(٥) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢هـ، ص ٢٩ .

(٦) مسالك الابصار، مخطوط رقم ٥٥٩ معارف عامة بدور الكتب، جـ٢ ، ص ٤٩٢، القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ٥، ص ٢٧٨ .

(٧) ابن فضل الله العمرى: التعريف ، ص ٢٩، القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ٨، ص٦ .

(٨) مسالك الابصار، جـ٢ ، ص ٤٩٢؛ القلقشندى: صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٨،

Y.F. Hasan: Islamic external, influences, p. 74-75.

ويتضح مما سبق الحقائق التالية:

أولا: ان بلاد النوبة منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر، لم تعد وطن النوبيين فحسب بل شاركهم فيها قبائل عربية كثيرة من غير بنى كنز. بل ان كثيرا من الجماعات العربية التى تعيش فى مصر اشتركت فى الحملات المملوكية على بلاد النوبة مدة نصف قرن[١] من عام ١٢٧٦ الى ١٣٢٣م ولابد ان كثيرا من هذه الجماعات فضلت البقاء فى بلاد النوبة عقب كل انسحاب للقوات المملوكية إلى مصر[٢].

ثانياً: ان العرب اختلطوا بالنوبيين واعتنق كثيراً من هؤلاء الدين الإسلامى منذ القرن التاسع الميلادى فى ارض مريس، ثم فيما يليها جنوبا منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى على الأقل[٣].

ثالثا: ورغم سقوط مملكة المقرة المسيحية، الا انه قد ظل بقايا من الديانة المسيحية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل[٤].

ويعتقد انه لم يكد ينتصف القرن الرابع الميلادى حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية، حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى حيث ظلت تحج إلى بيت المقدس[٥].

---

(١) انظر: هجرات القبائل العربية فى الفصل الاول، ثم الحملات المملوكية على عهد بيبرس وقلاوون والناصر محمد وغيرهم، والتى اشترك فى كل حملة منها على بلاد النوبة فى الفصل الثانى.

(٢) قد يكون من بين الاسباب التى دفعت السلطنة المملوكية الى اخذ المواثيق على الملك شكندة، وخلفائه بتسليم العربان فى النوبة الى السلطنة المملوكية، هو خروج اولئك العربان على السلطنة والانفصال عن بقية الجيوش المملوكية عند انسحابها ومع هذا فاننا نلاحظ اشتراك العربان فى كل حملة مملوكية على النوبة.

(٣) يقول القلقشندى: فبعث السلطان كرنبس اليهم فملكهم وانقطعت الجزية عنهم من حين اسلم ملوكهم صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٧٧ .

(٤) انظر: رسم المكاتبة بين السلطنة المملوكية وملوك النوبة، ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٤٣٠

C.F. : Millet "Jebel Adda, Preliminary Roport"

Journal of American Research Center in Egypt, VI, 1967, p. 62.

(5) C.F.: Crowfoot, J. W. : Op. Cit., p. 149.

رابعاً : غلبة العنصر العربى فى بلاد النوبة منذ استقرار عرب جهينة بها أدى الى زيادة الاختلاط بالنوبيين وتحويل الأقلية المسيحية إلى الإسلام[١].

خامساً : ان الكنيسة النوبية دائما فى حاجة لأن تتصل بمنبعها وهى كنيسة الإسكندرية، للحصول على الأساقفة. غير ان هذه الصلة الدينية قطعت نهائيا منذ عهد البطريرك سيريل ١٢٣٥م، فتركت دون عون خارجى . فتضعضع مركزها وجاءت نهايتها حوالى سنة ١٣٥٠م. ومنها ان دور رجال الدين النوبيين كان سلبيا. فكثيرا ما تخلوا عن ملوك النوبة وانضموا إلى المسلمين[٢].

سادساً : ان مملكة النوبة المسيحية ظلت تقاوم وحدها الضغط العربى والمملوكى دون عون خارجى، فلم يتعاون معها اى من الممالك المسيحية المجاورة[٣]، فالنزاع الذى نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة كان من أهم العوامل التى عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية، أما ملوك الحبشة من البيت الزغوى فلم يمدوا يد المساعدة لملوك النوبة ضد السلطنة المملوكية او القبائل العربية التى ملكت ديارهم، وذلك لانشغالهم فى الصراع مع القوى المحلية بهضبة الحبشة وشرق أفريقيا.

سابعاً : اضطراب الأحوال الداخلية لبلاد النوبة فى القرن الرابع عشر الميلادى بسبب الفوضى التى أثارها بنو الكنز وغيرهم من القبائل العربية مما أثر على تدهور التجارة النوبية، وبالتالى أصبحت البلاد مهيأة لتدخل السلطنة المملوكية لمواجهة المخاطر المتمثلة فى هؤلاء العربان.

ثامناً : تهديد ثغرى عيذاب وأسوان، جعل السلطنة المملوكية تنظر بعين الاعتبار لهذه المخاطر وبالتالى إعداد الظاهر بيبرس حملته الكبرى التى هزت أركان النظام النوبى وكانت من أقوى أسباب اضمحلال وانهيار مملكة المقرة.

---

(١) انظر الفصل الخامس البناء الاجتماعى ص ٢٥٣ .

(٢) انظر ما سبق ذكره فى الفصل الاول.

(3) C.F. : Budge, E. A. W. : The Egyptian Sudan, II, p. 130-139 ;

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ص ١٧٦ ، ١٧٧. انظر الخريطة شكل رقم (١٩).

الفصل الثالث

سقوط مملكة علوة
وظهور قوى سياسية جديدة

- سوبا عاصمة علوة المسيحية.
- أسباب ضعف سوبا.
- أحداث سقوط علوة .
- أسباب سقوط علوة.
- القوى السياسية الجديدة التى ظهرت بأرض النوبة.

أولا : مشيخة العبدلاب:

أصل العبد لاب وموطنهم الأول.

إنشاء قرى عاصمة العبد لاب

حدود دولة العبد لاب ومناطق نفوذها.

ثانيا: سلطنة الفونج الإسلامية:

أصل الفونج وموطنهم.

الأصل الأموى.

الأصل الشلكاوى.

الأصل البرناوى.

رأى هولت (الغريب الحكيم).

- سوبا عاصمة علوة المسيحية:

مملكة علوة هي احدى الممالك المسيحية الثلاث التي قامت على سودان وادي النيل في العصور الوسطى [1]، وتقع عاصمتها سوبا على الضفة اليمنى للنيل الأزرق

---

(١) بعد سقوط مملكة مروى في القرن الرابع الميلادي على يد ملك أكسوم الحبشي: عيزانا قامت ثلاث ممالك نوبية: (أ) كانت في الشمال بين الشلال الأول والثالث. وتدعى مملكة نوباديا أو المريس وعاصمتها فرس (ب) ومن الشلال الثالث حتى السادس عند قرى الأبواب كانت مملكة المقرة وعاصمتها: دنقلا العجوز. (ج) وفي حدود المقرة الجنوبية هذه وما يليها قامت مملكة علوة. انظر: المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٩٢، ٢٠٠، مكي شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية ص ٧-٨، شيني: بلاد النوبة في العصور الوسطى، ص ٢-٣، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان ص٢٥، ٢٦، ويلاحظ أن اندماج مملكة مقره ونوباديا، اللتان قامتا على أنقاض مملكة مروى النوبية القديمة التي انهارت عام ٣٥٠م على يد عيزانا ملك أكسوم، وقد تم هذا الاتحاد بين المملكتين قبيل ظهور الإسلام أو بعده بقليل أي فيما بين عامي ٥٨٠، ٦٥٢م. محمد بن عمر الواقدي: فتوح مصر والاسكندرية، ط ليدن ١٧٢٥م، ص٣، مصطفى مسعد: الإسلام، ص ٦٢،

Mustafa. M. ,Musa' ad: the doenfall of the chrisrian nubian kingdoms. S.N.R. vol. 40-1959, P. 124; Kirwan. F.p.: the international position of the sudan in the roman and medieval times. S.n.r. vol. XL, 1959, p. 31.

وانظر كذلك: شوقي الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، الانجلو المصرية، ج١، ص ٢٠٢، حاشية ١، ٢، ٣، مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط مملكة علوة، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩م، ص ٦٩، ٧٠، محمد محمد أمين: العبدلاب وسقوط مملكة علوة، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني ١٩٨٣، ص ٩

C.F: John of Ephesus: Ecclessiastical history, part II to by R. payna smith, London 1860, p. 319., De villard: storia,p.156, Trimingham: Islam in the sudan p.49, Arkell: A history of the Sudan to A.D. 1821, p. 186.

على بعد عشرة أميال جنوبى شرقى الخرطوم (١).

وكانت مملكة علوة تضم عدداً من الولايات التى يحكمها نواب عن الملك اهمهم والى الأبواب(٢)، وله من المكانة مثلما لصاحب الجبل(٣) فى مملكة مقرة، وقد

(١) مملكة النوبة العليا عرفها مؤرخو العرب باسم علوة، بينما عرفها مؤرخو الإغريق باسم Alodiaeوهى تمتد جنوبى مقرة حتى بلدة القطنية على النيل الأبيض وعاصمتها سوبا، وتشمل هذه المملكة بعض جهات الانبرا، والنيل الأزرق شرقاً حتى حدود الحبشة، وبعض جهات كردفان ودارفور انظر: اليعقوبى: البلدان، ط ليدن ١٨٩١، ص ١٢٤ – ١٢٥، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١ ، ٦٢، ابن الفقيه: البلدان، ص ٧٨، الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٨، المقريزى: الخطط، ج١، ص ١٩٣، مصطفى مسعد، المكتبة السودانية، حاشية (٢)، ص ٣، Kirean, L.P: notes on the topography of the chtistian nubian Kingdoms, J.E.A. XXL, 1934,P.57.

وسوبه أو سوبا قد أنشأت على أيدى جنود ابسماتيك الفارين إلى السودان فى أواخر القرن السادس ق.م وورد ذكرها لأول مرة فى لوحة تنسب إلى أحد ملوك مروى سنة ٣٢٨ ق.م بمناسبة تخليد ذكرى جلوس الإله أمون على عرش البلاد. وهناك من يحاول الربط بين سوبا وسبأ على أساس أنهما من عمل السبئيين. وحرف اسمها من سبأ إلى سوبا. انظر: عبدالحميد عابدين، ميلاد سوبا، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، المجلد الأول، الجزء الثانى، ف. أديسون: الدليل الموجز إلى مخلفات السوان الانجليزى المصرى التاريخية (معرب) ص ٢٦، محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب وأثرها فى حياة السودان السياسية، الدار السودانية، ط الأولى ١٩٧٢م، ص ٨٦ حاشية (١)، محمد عبدالرحيم: العروبة فى السودان، الخرطوم، ص ١٤، يوسف فضل حسن: دراسات سودانية/ ص ٢٣، عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، الجزء الأول، المطبعة الأميرية/ ١٩٤٩، ص١٠، مكى شبيكة: السودان عبر القرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤، ص ١٥، ١٦، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان، ص ,٥٢ Budge, E.G.W.: the Egyptian sudan, its history and monuments, London 1907, 11, PP. 98, 151, 304. P.L. Shinie, F.S. A Exavation at Soba, PP.11-12.

وانظر الخريطة شكل رقم (٢)

(٢) أبو صالح الأرمنى يفرق بين هؤلاء الملوك، وملك مقرة، فأطلق على الأخير لقب الملك الكبير، أما هؤلاء الملوك الذين تحت طاعته فهم أشبه بالمكوك (جمع مك) الذين تولوا حكم الأقاليم. انظر: أبو صالح الأرمنى: تاريخه، ص ,١٢٥

(٣) هو حاكم إقليم مريس الممتد من الشلال الأول إلى الشلال الثانى، وعرف أحيانا باسم صاحب مريس، أعظم ولايات مملكة النوبة السفلى، اتخذ مدينة بخراش أو بجراش فرس الحالية مقرا لحكمه، وله شارات خاصة انفرد بها، وهى لبس العمامة ذات القرنين والسوار الذهب، وله سلطات مطلقة لا تقل عن سلطة الملك الكبير فى دنقلة وذلك لاتصال ولايته بأرض السلام فى مصر، فكان مكلفا بالدفاع عن الحدود الشمالية للمملكة، وعدم السماح بالمرور لأى شخص كان جنوبا عن حدود ولايته إلا بتصريح منه. المقريزى: الخطط، د١، ص ١٩٠، حسن محمود: نفس المرجع، والجزء، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٨، انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١) ، (٢).

ذكر المقريزى أن حد علوة من ناحية الشمال عند قرى تعرف «بالأبواب [١]». وهى جزء من علوة، ولكن المصادر لا تعطينا وصفاً دقيقاً لحدودها من الشرق والغرب والجنوب سوى أن ابن حوقل ذكر «أن طولها نحو شهراً، وعرضها ما بين النيل وحدودها الشرقية – ثمانى مراحل [٢]». وذكر فى موضع آخر أن حدودها الشرقية تمتد حتى بلاد الحبشة [٣]. وجاء المقريزى من بعده فذكر أن بعضاً من سكان علوة يقيمون فى جهاتها الشرقية، ثم قال بعد ذلك: وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة [٤]، مما يؤكد امتدادها إلى هناك.

كذلك جاء فى الكتاب المنسوب إلى ابن عبدالظاهر ذكر بعض الأقاليم التابعة لمملكة علوة وهى بَارَةْ [٥] – التاكة [٦] – كِدرُوا [٧] – دَنْقُوا [٨] – أوى [٩] – يَفَال [١٠] –

---

(١) المقريزى: الخطط، ج١، ص ١٩٢، وقد راى كروفورد أن الأبواب هى كبوشيه الحالية

Crewford: The Fung Kingdom of Senner, PP. 24- 25.

مصطفى مسعد: مرجع سابق ، ص ٧٧، شوقى الجمل : مرجع سابق ، ج١، ص ٢٠٢، محمد محمد أمين : العبدلاب، ص ١٩٣ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦١–٦٣ .

(٤) المقريزى: الخطط ، ج١ ، ص ٩٣، محمد صالح محيى الدين: مشيخة العبدلاب ، ص ٩٠ .

(٥) بارة إحدى الأقسام الإدارية التى كانت تتألف منها مملكة علوة. ويرى دى فيار أنهم كانوا يقطنون على ضفاف نهر الاتبرا، وقد نزحوا جنوبا تحت ضغط البجاه. انظر : مصطفى مسعد : المكتبة ، ص ١٩٦ .

Devillard: Storia della nubia Cristiana, P . 148.

(٦) التاكة: الإقليم الذى يحيط بجبل كسلا فى شرق السودان حيث يقطن الحلانقة.

Macmichael: Op. cit., vol. 1, p. 183: f.n De villard: op.cit.,p.149.

انظر الخريطة . بملحق الدراسة . شكل رقم (١)

(٧) كدرُوا Kedrou إحدى الممالك الصغيرة التابعة لمملكة علوة، ويبدو أنها كانت تحتل المنطقة التى توجد فيها بلدة الكدرو الحالية .

Arkell: S.N.R. XXXIII, Part II, p. 263.

(٨) دنقو: ربما محُرف من لفظ داجو – أى شعب الداجو

Arkell: Op.cit., P. 263.

(٩) يقول آركل أن اسم هذه الإمارة ربما اقترن باسم بلدة أُورى (Uri) عاصمة التنجوز فى إقليم دارفور

Arkell, A.J.: Op.cit., P.263.

(١٠) لم نهتد إلى شرح هذه الإمارة فى المراجع المتداولة.

الأَنجْ (١) – كرسة (٢)، إلا إننا باستثناء بارة التى قد تكون لها علاقة بالمدينة الموجودة حاليا فى غرب السودان، وتتبع مديرية كردفان، وتعرف بهذا الاسم، والتاكة التى هى الان جزء كبير من مديرية السودان الشرقية : كسلا – لم نهتد إلى معرفة شئ عنها(٣).

وعلى كل حال فالراجح أن مملكة علوة امتدت من الأبواب شمالاً إلى القطنية على النيل الأبيض جنوباً، وشملت جهات الاتبرا، والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة شرقاً، وبعض جهات دارفور وكردفان غربا (٤).

ويلاحظ أن مملكة علوة، كانت أغنى من مملكة مقرة، من حيث اتساع أراضيها وخصوبة تربتها، وكثرة أمطارها، فضلا عن كثرة فروع النيل وتشعبه بها، بالإضافة على مبانيها العظيمة وبساتينها المترامية الأطراف، وكثرة كنائسها المليئة بالذهب، وجيشها العظيم (٥)، أضف إلى ذلك كله وجود مناجم الذهب وأعداد كبيرة

---

(١) ذكر الدمشقى: أن الانج قبيلة من قبائل النوبة حسبما رواه تجار أسوان، ويرى دى فيار أنهم شعب قديم واسع الانتشار وصاروا يعرفون العنج انظر: نخبة الدهر، ص ٢٦٨، De Villard: Op. Cit.. 149.

(٢) إقليم أو مملكة كرسة تحريف اسم شعب أزكرسا – أنكرسا الذين أشار إليهم الدمشقى (نخبة الدهر ص ٢٦٨) وقال انهم شعبة من النوبيين، ويرى دى فيار انهم كانوا يقطنون إقليم جزيرة النيل الأزرق وانظر أيضا، C.F. De Villard: Op. Cit., P. 149.

ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ج٢، ص ٢٩٣ (أ) ، (ب) ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ٩٠، Macmichael: Op. Cit., Vol. 1,P. 183.

(3) Crawford: The Fung Kingdom Of Sennar, PP. 24-25.

(4) Crawford: Op. cit., P. 25, Arkell: Op. Cit., P. 196, Trimingham, Op.Cit., P. 72, Y.F. Hasan: Islamix External influences, P.75.

وانظر : محمد محمد أمين : العبدلاب / ص ١٩٣،

(٥) وصفها ابن حوقل وصفاً يدل على عمرانها وازدهارها فى عهده، فقال: «ومن أعمر بلادهم نواحى علوة، وهى ناحية لها قرى متصلة، وعبارات مشتبكة، حتى ان السائر ليجتاز فى المرحلة الواحدة بقرى عدة منقطعة الحدود، ذوات مياه متصلة بسواقى من النيلان وكان ملكهم – وأنا بالناحية» – أسابيوس كرجوه جوتى «وقد خلاله فى ملكه سبع عشرة سنة ... وطول بلده من ناحية المقرة الذى هو أخر ملك دنقلة فى طاعة العلوى إلى بلد كرسى آخذا على النيل، ومسافة ذلك بالطول شهر واحد، وعرضه من النيل إلى تقلين يكون ذلك ثمانى مراحل مشرقة».

انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦١ن محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب، ص ٨٩، محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ١٩٣، ١٩٤ .

من السائمة[١]. يقول أحمد بن سليم الأسوانى: «ومتملك علوة أكثر مالا من متملك المقرة واعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى، وبلده أخصب وأوسع [٢]».

مما سبق يتبين أن مملكة علوة سيطرت على منطقة واسعة من سودان وادى النيل، وعاشت حقبة طويلة من تاريخه امتدت من القرن الرابع قبل الميلاد إلى السادس عشر الميلادى حيث سقطت فى أيدى العبدلاب.

أسباب ضعف سوبا:

تضافرت عوامل عديدة أدت لاضعاف سوبا، ثم سقوطها فى أيدى العبدلاب من أهمها:

أولاً: هجرة القبائل العربية إلى سودان وادى النيل وتكاثرها [٣]، وامتدادها إلى أرض علوة على وجه الخصوص، ثم استيلائها على أقاليم المملكة بعد الاصهار إلى البيت المالك [٤].

والحقيقة أن المصادر العربية أشارت إلى تدفق الجماعات العربية من مصر إلى بلاد النوبة الشمالية (المقرة) وأوطان البجة، ولكنها لم تشر إلى مثل هذه الهجرات إلى بلاد علوة، ولذلك ينبغى أن نتتبع أخبار هذه الهجرات واستقرارها فيما جاء من

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٢، ١٩٣ ،ابن عبدالسلام شهاب الدين أحمد بن محمد: الفيض المديد فى أخبار النيل السعيدن مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، رقم ٤٢٩، ورقة ١٠(أ).

(٢) المقريزى: الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٣,

(٣) انظر: هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة وأوطان البجة فى الفصل الأول من هذا الكتاب، وأيضاً: التكوين الاجتماعى فى الفصل الخامس.

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، مخطوط غير منشور ، دار الوثائق القومية بالخرطوم رقم ص ١٧-٢٠ Misc 1/15/191

الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم Misc 1/20/232، ص ٢٢١، انظر ملحق الدراسة (٦/هـ)، وانظر كذلك : يوسف فضل حسن: بواكير الدعوة الإسلامية والثقافة العربية، (مقدمة كتاب الطبقات ، ط الثالثة ، الخرطوم ١٩٨٥ ، ص٥، C.F. Cuoq: Op. Cit., PP.

محمد محمد امين : العبدلاب وسقوط مملكة علوة، ص ٢٠٣، المؤلف نفسه. تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى ، ص ٦٢ .

المصادر السودانية المحلية، وهى عبارة عن أوراق النسبة التى تحتفظ بها كثير من الأسرات السودانية في الوقت الحاضر[١].

ويرجع هذا العزوف فيما يبدو عن ذكر أخبار مملكة المقرة وأرض البجة إلى بُعد ديار اولئك المؤرخين - فى مصر وما بعدها - عن مملكة علوة ومناطق نفوذها بالاضافة إلى وعورة الطريق إليها، وضعف وسائل النقل آنذاك، فى حين كانت دولة المقرة واوطان البجة ملاصقة لديار الإسلام ولهذا أمكنهم الإلمام بأخبارها [٢].

وقد ورد ذكر علوة بصورة مقتضبة فى بعض المصادر العربية[٣]، ولكنها لا تقدم لنا معلومات مفصلة عن حجم الهجرات العربية، اللهم إلا اليعقوبى الذى قال : «والمسلمون يختلفون اليها[٤]»، والنويرى الذى قدم أخباراً مفصلة عن حملة مملوكية سيرها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦م على العربان وقد واصلت تقدمها حتى بلاد علوة [٥]. «وخرجت فيها شلة من الأمراء، وسبعة من مقدمى الحلقة المنصورية [٦]».

---

(١) انظر ملحق الكتاب. بعض من أوراق النسبة، دار الوثائق القومية بالخرطوم. وثيقة بملحق رقم (٦). شكل : أ ، ب ، ج ، د ، هـ.

(٢) اهتمت كل من مملكتى النوبة (مقرة، وعلوة) بالحدود الشمالية دون الجنوبية، فبينما نجد مملكة مقرة، تهتم بولاية مريس، وهى الأرض المتصلة بمصر الإسلامية، وتجعل لحاكمها الذى أطلق عليه مؤرخو العرب اسم صاحب الجبل سلطات واسعة لكونه حارسا للحدود الشمالية، ونجد مملكة علوة توجه اهتمامها أيضا بحدودها الشمالية والتى كانت تعرف بالأبواب، وهى الأرض المتصلة بمملكة مقرة. وتطلق لصاحبها سلطات مطلقة أيضا شأنه فى ذلك شأن صاحب الجبل، فأقليم الجبل بمثابة خط الدفاع الأول لمملكة مقرة فى الشمال بينما إقليم الأبواب بمثابة خط الدفاع الأول لمملكة علوة من الشمال أيضا. انظر: المقريزى : الخطط، جـ١ ، ص ١٩٠-١٩٢، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٨٥-٨٧، المؤلف نفسه : امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط (مملكة علوة) المجلة التاريخية المصرية، العدد الثامن ١٩٥٩م ، ص ٨٧، محمد عبدالعال: النوبة والمحاولات الإسلامية الأولى لفتحها ، ص ٢٧٥، Macmichael: Op. Cit., Vol. 1. pp. 3-4.
انظر : الخريطة، شكل رقم (١).

(٣) انظر : ابن حوقل: صورة الأرض ص ٦١-٦٢، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ٧٨ ، الدمشقى : نخبة الدهر ، ط بطرسبرغ ١٨٦٥م، ص ٢٦٨ .

(٤) كتاب البلدان، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، وأيضا: تاريخ اليعقوبى، جـ١ ، ص ٢١٧ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب، مخطوط، جـ٣٠، ورقة ٩٦-٩٨ .

(٦) انظر ما سبق فى سقوط مملكة المقرة.

وقد توجهت هذه الحملة فى خمسمائة فارس، فسارت إلى عيذاب، فسواكن ثم انتهت إلى نفوذ علوة فى التاكة (كسلا الحالية)، ثم مضت فى أرض علوة، ونهر عطبرة على يمينها، حتى التقت بنهر النيل بعد ان قاتلت «هنلكه»[١] ومن ثم عادت إلى مصر عن طريق دنقلة والنيل بعد أن جاست خلال أراضى علوة، واستغرقت مسيرتها ستة أشهر[٢].

واعتماداً على ما تذكره المصادر السودانية [٣]، نستطيع أن نقرر أن اعداداً كبيرة من القبائل العربية – وبخاصة جهينة التى ينتسب إليها العبدلاب [٤] – وقد استقرت فى مملكة علوة المسيحية، مما أدى إلى انتقال السلطة تدريجيا من يد سكان علوة الأصليين إلى العرب المهاجرين فى الممالك الصغيرة التى كانت تابعة لعلوة، ثم أدى هذا الاستقرار الكثيف للعرب حول سوبا – أخر الأمر – إلى سقوطها، وقامت على أنقاضها مشيخة العبد لاب[٥]، ومملكة سنار سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤م [٦].

أما عن استقرار القبائل العربية فى أرض علوة: فلدينا شواهد تدل على ذلك منها، أن بعض المؤرخين المحدثين يرون أن ابن خلدون حين كتب عن انتشار العرب من جهينة فى أرض النوبة، واستيطانهم فيها، وملكهم لها بعد مصاهرتهم لملوك النوبة عن طريق مبدأ تمليك الأخت وابن الأخت الذين يدينون به ..»[٧] انما يعنى بهذا الكلام أيضاً ملوك علوة المسيحية، ويعتقد أن هذا الرأى فيه شئ من الصواب لسببين:

---

(١) هنلكة يشير هنا إلى قبائل الحلانقة المعروفة الآن فى تلك الجهات.

(٢) النويرى: نهاية الأرب ، جـ٣٠، ص ٩٦–٩٨ .

(٣) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج، ومن تولى بعدهم، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم Misc 1/15/191, ص ١٨–٢٠ .

(٤) هذا وقد ذكر ابن خلدون عن هجرة جهينة، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم .. انظر العبر وديوان المبتدأ والخبر، القسم الثالث ، المجلد الثانى، دار الكتب اللبنانى ، ص ٥١٦ وما بعدها.

(٥) انظر: الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم رقم Misc 1/20/232 ورقة ١، ٢ وانظر الخريطة شكل رقم (١٠).

(٦) انظر ذلك فيما بعد . ص ١٦٠ .

(٧) انظر: الإسلام والنوبة ، ص ٢٠٢ .

أولا: أن النوبة كانت منقسمة إلى مملكتين: مملكة النوبة السفلى، أو مملكة مقرة في الشمال، وعاصمتها دنقة [١]، ومملكة النوبة العليا أو مملكة علوة في الجنوب [٢]، وعاصمتها سوبا [٣]، اذا حديث ابن خلدون ينطبق على أرض علوة أيضا لأنها ضمن اراضى النوبة.

ثانيا: عندما تحدث اين حوقل عن مملكة علوة بقوله : «ومن سنة جميع السودان اذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل [٤]، ومنه اقتبس أبن خلدون في الأرجح – ما قاله عن نظام وراثة الحكم ، مما يؤكد أن المقصود بكلامه – في المقام الأول – مملكة علوة المسيحية. وهذا يعنى أن عرب جهينة وغيرهم هاجروا بأعداد كبيرة إلى عدد من أقاليم مملكة علوة.

وقد ذكرنا من قبل أن مملكة علوة أغنى من مملكة مقرة[٥]، من حيث اتساع اراضيها وخصوبة تربتها، وكثرة امطارها، وفروع النيل المتشعبة، ومبانيها الحسان، وبساتينها المترامية، وكثرة كنائسها[٦].

---

(١) الواقدى: فتوح مصر والإسكندرية ، ص ٣ ،

C.F: Mustafa. M. Musaad: The Downfall Of the Christian Nubian, P. 124.

ج. فانتيني: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة، ص ٢٣، محمد عوض: السودان الشمالى، سكانه وقبائله، ص ٢٨٥، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، ص ٣,

(2) C.F: Kirwan, L.P.: Notes on Topography Of the christian Nubian Kingdos, J.E.A, XXl. 1934, P. 57, Budge, E.G.W.: the Egyptian Sudan, 11,PP. 98,151,304.

(٣) انظر كذلك تقسيم النوبة فى : تاريخ اليعقوبى، جـ١، ص ٢١٧، ٢١٨، وأيضاً: البلدان، ص ١٢٤، ١٢٥، الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٨ .

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٩٢٢، ٩٢٣ .

(٥) يقول المقريزى نقلا عن ابن سليم الاسوانى «ومتملك علوة أكثر مالاً من متملك المقرة وأعظم جيشاً وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى، وبلده أخصب وأوسع، والنخل والكرم عندهم يسير، وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء ... واللحم عندهم كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا فى أيام، وعندهم خيل عتاق، وجمال صهب عراب» ، انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٣,

(٦) انظر : المقريزى: الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٢، ١٩٣، ابن عبد السلام: الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط رقم ٤٢٩ دار الكتب المصرية، ورقم ١٠ (أ)، مكى شبيكة : السودان عبر القرون، ص ٤٢، وأيضا نفسه ، مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٥، توماس ارنولد): الدعوة، ص ١٣١ يقول : وزاد عدد العرب القاطنين على ضفاف النيل الأزرق، كما زادت ثروتها زيادة كبيرة فى القرن العاشر، حتى أنهم استطاعوا ان يلتمسوا ببناء مسجد فى سوبة عاصمة المملكة المسيحية. نفس المرجع والصفحة.

فاذا كانت سوبا عاصمة علوة على هذه القدرة الاقتصادية القوية فى ذلك الوقت كما وصفها مؤرخي النوبة من السعة والخصب، فلابد أن الهجرة العربية قد شقت طريقها صوبها طمعاً فى الاستقرار والأمان.

يقول مونريه دفيلاد (M.De Villard) وليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية (وعلوة تسمى النوبة العليا) ترجع فى أصلها إلى جنوب الجزيرة العربية، اذ عبر الحميريون البحر الأحمر، واستقروا فى سودان وادى النيل حيث نقلوا أسماء أجدادهم مثل كوة ، دراو، سبأ، ولا يعدو أن تكون الأخيرة حرفت إلى سوبا العاصمة أى عاصمة مملكة علوة [١].

وقد سبق وأن عرضنا لحملة السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٦ هـ/ ١٣١٦م، وهى التى وصلت دنقلة، وأجبرت كرنبس وأخاه أبرام على الهروب جنوبا إلى الأبواب [٢]، وهى الحدود الشمالية لمملكة علوة كما هو واضح من نص معاهدة البقط[٣]، ومن ثم يتضح أن البلاد صارت مفتوحة أمام توغل العرب بعد سقوط مملكة المقرة [٤].

---

(1) C.F.: Monneret De Villard: storia della nubia Cristiana, Roma 1938, pp. 170-1; Macmichael: A history of the Azabs in the sudan. Vol. 1, p. 6-7; Paul: the hadareb, A study in arab- Beja relationships, S.N.R. XL, p. 75, Murry: sons Of Ismael, London 1935, P. 21, Breasted: Ancient recods of Egypt. 2 vols. Chicago, 1906, vol. 1, pp. 168, 236, 250, 267. 311-315 idem. A history Of Egypt. Pp. 158-9; C.f.: hamilton, J.A.: The Anglo-Egyptian sudan within p. 42.

(٢) انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٣٠، ورقة ٩٥، محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص١٥٣-١٥٤، سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية،ص ٨٩، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٦٦ ، محمد عبدالعال : موقف مصر من النوبة فى العصر المملوكى، ص,٤٢

(٣) ظلت معاهدة البقط ٦٨٦ عاماً هجرياً تقريبا، او ٦٥٥ عاما ميلاديا تقريباً، أى منذ عقدها عام ٣١ هـ/٦٥٢م إلى سقوط مملكة النوبة الشمالية (مقرة) فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. انظر : ابن خلدون : العبر القسم الأول : المجلد الخامس ، ص ٩٢٢، القلقشندى: صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٧٦، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ١٦٦، ١٦٧، مكى شبيكة : السودان ، ص ٣٠ ، محسن محمود: مرجع سابق ، جـ١ ، ص,٣١١

C.F.: Cuoq: op. cit., P.82-83.

(٤) ومن ثم صارت البلاد مفتوحة بعد سقوط المقرة، ويقصد هنا مملكة علوة الممتدة من حدود المقرة الجنوبية فى الشمال حتى القطنية على النيل الأبيض، وبعض جهات دارفور وكردفان فى الغرب والجنوب، وحتى حدود السودان مع الحبشة فى الشرق، كما يدل قول ابن حوقل ، والمقريزى. انظر: صورة الأرض ، ص ٦١-٦٣، الخطط للمقريزى، جـ١ ، ص ١٩٣ ، شينى: بلاد النوبة فى العصور الوسطى، ص ١٠ ، عبدالعزيز عبد المجيد: التربية فى السودان، جـ١ ، ص ٣٤، ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ١٢-١٣،

C.F.: Crawford, the Fung kingdom of sennar. P. 25.

وثمة دلائل أخرى على استقرار العرب فى مملكة علوة. منها انشاء العرب لمدينة أربجى [١] سنة ٨٨٠ هـ / ١٤٧٤م، قرب الحدود الجنوبية لمملكة علوة ، وانشاؤها على أيديهم يدل على أنهم عرفوا معظم اراضى علوة اذ هم جاؤا فى معظمهم من الشرق عبر البحر الأحمر إلى أراض البجة[٢] ، ومن الشمال من مصر عبر اراضى مملكة مقرة المسيحية[٣] ، إذا فلابد أن يكون قد استقر بعض منهم - قل أو كثر - فى الأجزاء الشمالية من مملكة علوة، وبخاصة عاصمتها سوبا، قبل أن يصلوا إلى موقع مدينة أربجى التى أنشاؤها.

وانشاء العرب لمدينة أربجى قبل سقوط علوة يتضح من مخطوطة كاتب الشونة اذ يقول صاحبها : وخطت مدينة أربجى قبلها (اى سنار [٤]) بثلاثين سنة، خطها حجازى بن معين، وعلى هذا يتضح أن عمارة أربجى تم زمن العنج. ثم دلالة الأحرف التى يتركب منها اسم أربجى. اذا أن هذه الكلمة تعنى فى اللغة النوبية «بلد العرب[٥]»، وموقعها الآن بالقرب من الحصاحيصا الحالية.

---

(١) تقع أربجى على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق، او الضفة اليسرى منه ويحيط بها النيل من جانبين على شكل قوس، وهى جنوب شرقى الحصاحيصا الواقعة جنوب خط العرض ١٥ ، وعلى بعد حوالى ميلين منها ولا تزال تحتفظ أربجى باسمها القديم . انظر الخريطة شكل رقم (١٠). وتعتبر أربجى أول مدينة عربية تجارية إدارية فى السودان. اذ يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٨٨٠ هـ/١٤٧١م اى قبيل إنشاء مدينة قرى عاصمة العبدلاب وسنار عاصمة الفونج بنحو ثلاثين عاماً، فقد قال ود ضيف الله فى طبقاته «وخطت مدينة أربجى قبلها- أى سنار - بثلاثين سنة خطاها حجازى ابن معين انظر الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان تحقيق د/ يوسف فضل، ط الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر سنة ١٩٨٥، ص ٣٩، ٤٠، وظلت مزدهرة حتى خربت فى عهد الملك عدلان الثانى (تاسع عشر ملوك الفونج فى سنار)، ولا يوجد منها الآن سوى أوان فخارية من النوع الفونجاوى أى ترجع لزمن مشيخة العبدلاب - وبقايا بعض قباب ومشاهد لثلاثة من الفقهاء الأولياء هم : ابو سنينه والقاضى دشين والقبة الجنوبية القصوى لابى زيد. C.F.: Crawford: Op. Cit., P. 68-69.

(2) De Villard: Op. Cit., PP. 170-1.

(٣) انظر Murry: Sons of Ismael, London. 1935, p. 21.

(٤) خطت مدينة سنار سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م عقب سقوط سوبا. انظر تاريخ مختص بأرض النوبة ، مخطوط، رقم Misc 1/15/191 ورقة ١٧، ١٩ .

(٥) أحمد أبو على : مخطوطة كاتب الشونة، تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل، ص ٤-٥، انظر : إبراهيم عبدالدافع: تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم، ص٢، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٧٤، مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ٢٢، ٢٤، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، ص ١٥٢، يوسف فضل : مقدمة، ص ١٤، وأيضا المعالم الرئيسية فى الهجرة ، ص ١٢٠، ١٢٨، C.F.: Y.F. Hasan: Islamix External influences, p. 74. انظر الهجرة العربية لأرض علوة.

يقول الدكتور يوسف فضل «ويتوقف التعدين، وانتقال طريق قوافل الحج، وتدهور عيذاب، واضطراب قوافل التجارة الشرقية، وتوقف النشاط الاقتصادى الذى اعتمد عليه كثير من العرب، فاضطرت اغلبيتهم إلى السير داخل سودان وادى النيل، حتى بلغوا أرض البطانة ثم الجزيرة، وعبر بعضهم النيل إلى كردفان[١].

وتواترت الروايات التاريخية على أن سوبا عاصمة علوة المسيحية كان سقوطها فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى على أيدى جماعة من الفنج كانت تقيم أول الأمر فى جبال لولو ثم انتقلت منها إلى سنار[٢]، وجماعة أخرى من عرب القواسمة – وهم من أصل جهينى – كانوا يقيمون حول سوبا وعلى أنقاض علوة قامت «قرى أو سنار[٣]» أليس هذا السقوط الذى أحدثه العرب بمملكة علوة كان مسبوقاً بوصول جماعات عربية كبيرة إلى هذه الديار؟

هكذا يتضح ان استقرار العرب فى مملكة علوة، وتدرجهم فى الاستيلاء على السلطة قد سار فى أكثر من اتجاه، أولها بعد سقوط مملكة المقرة فى الشمال فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، وانهيار السد المنيع الذى ظل يحول دون أن يحدث انهيار كامل فى بنية الدولة المسيحية.

وتوافدت الهجرات وأعظمها جهينة[٤]، وقبائل عربية أخرى، أخذت طريقها نحو علوة فى انتشار سلمى، لم يسبقه عنف او قتال، وبذا نجح التيار العربى الجارف

---

(١) يوسف فضل: المعالم الرئيسية فى الهجرة ، ص ١٢٠ ، ١٢٨ ، وأيضا نفس المؤلف

C.F.: Y.F. Hasan: Islamix External influences, p. 74.

(٢) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب ، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم .Misc1/20/232 ورقة ١، ٢، وانظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج، مخطوط، دار الوثائق القومية ، ورقة ١٦ ، ١٧ .

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٧ ، سيكون هذا الحدث موضع دراسة فيما بعد من هذا الفصل.

(٤) استقرت جهينة فى الجزء الكبر من سهل البطانة بين النيل الأزرق والعطبرة، وحتى الحبشة، حيث نجد الشكرية، وقسم من قبيلة رفاعة الجهينة، كما أقام بعض آخر على شواطئ النيل الأبيض، وفى إقليم الجزيرة وحوض النيل الأزرق، ومدت بعض الجماعات العربية هجرتها، وخاصة التى قدمت من مصر عن طريق كورتى والدبة إلى إقليم كردفان ودارفور هذا بالإضافة إلى الجماعات التى استقرت فى صحراء بيوضة انظر: مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة ، ورقة ١٨ ، ١٩ ، يوسف فضل: المعالم الرئيسية فى الهجرة، ص ١٢٨ ، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٩١ ، ٢٠٢ ، حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج١ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، محمد عبدالرحيم: العروبة فى السودان، ص ٤٧ ، سليجمان: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص ٣٢٢ ، ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ص ٣٠ ، ٣١ ، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ص ٧٧، C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 76-77.

فى أن يستأصل شأفة المملكة المتهالك، تقصد هنا مملكة علوة المسيحية، وصبغها بالصبغة الإسلامية.

ونستطيع أن نتبين المدى الذى وصلت إليه الكثرة العربية فى أرض علوة من المادة الكثيرة فى المصادر السودانية التى تقول : أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا عاصمة مملكة علوة بلغت اثنين وخمسين قبيلة(١).

واستقرت هذه الجماعات العربية ،على شكل مجموعات متفرقة تحت سلطان ملوك علوة، محافظة على نظامها القبلى، ولابد أنهم كانوا يدفعون اتاوة لملوك علوة، ويفهم من نص ذكره أحد أحفاد الشيخ عبدالله جماع مؤسس دولة العبد لاب أن الشيخ عبدالله هذا (حكم من سنة ٩١٠ – ٩٧٠ هـ / ١٥٠٤ – ١٥٦٢م) هو الذى كان يتولى فى هذا الوقت جمع الأتاوات من العرب ويدفعها لخزانة مملكة علوة (٢).

ولم ينتزع هؤلاء المهاجرون السلطة من يد الاسرات الحاكمة المحلية بقوة السيف، بل تركوا هذا الأمر، وشغلوا أنفسهم بتثبيت أقدامهم فى الأرض الجديدة(٣)، فمنهم من اشتغل بالزراعة، وممارسة الحرف فى المدن، وفى مواطن الخصب، وبذلك اختلطوا بالسكان الأصليين، ومنهم من استهواه أن يسبح فى الصحراء وراء إبله طلبا لمواطن الرعى، ومنهم من نقل التجارة على أبله عبر الطرق الصحراوية بين النيل وموانئ البحر الأحمر ومصر والمناطق المجاورة(٤).

---

(١) انظر: أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن: انساب عرب السودان، ورقة ١٩، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم رقم Misc 1/18/198. ونسخة جعفر حسان فى الأنساب، ص ١٨، دار الوثائق القومية بالخرطوم متنوعات رقم ١/١٦/١٨٤، انظر ملحق الدراسة رقم (٦/هـ) وثيقة العبدلاب.. Macmidhael: A history of the Arabs in the sudan, Vol. 1, p. 238.

(٢) جاء فى مخطوط هذا الحفيد: ولقد كان الشيخ عبدالله جماع مقدما على العرب يدفع خراجهم للنوبة المسيحية وجاء فى موضع اخر من المخطوط: فتجمعوا (اى العرب) تحت امرة رجل منهم يدعى عبدالله محمد الباقر، وكان صاحب الرأى فى العرب والمشورة والوسيط بين النوبة والعرب فى كل الشؤون. انظر: الشيخ عثمان اونسة تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، ص٦ ، ١٢، وانظر : تاريه مختص بأرض النوبة، ورقة ١٦–١٨ .

(٣) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ، مخطوط رقم Misc 1/15/191 ورقة ١٨، ١٩، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، ص ٥٠، مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٦، ١٧ .

(٤) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٥٠ .

كذلك لم يحاول هؤلاء العرب ان يقوموا بعمل جماعى مباشر يهدف إلى نشر الاسلام بين السكان، بل اكتفوا بمساكتة السكان الأصليين كل على دينه، إلى أن انتشر بينهم الإسلام بالتدريج بعد المعايشة والمصاهرة والاختلاط(١).

بيد أن هذا لم يكن فى حقيقة الأمر إلا الخطوة السابقة على استيلاء العرب على السلطة، إذ ما كادت شوكتهم تقوى بوصول هجرات جديدة حتى تطلعوا إلى ما لم يكن من المستطاع – عندئذ – مدافعة العرب أو صدهم – كما يقول ابن خلدون – بسبب ما أصاب المملكة حينئذ من انقسام وما اعتراها من ضعف، نتيجة حروبها مع المقرة من جهة(٢)، وغارات الزغاوة الآتية من برنو عبر دارفور من جهة ثانية (٣)، فلم يكن بد من الاصهار إلى زعماء جهينة وغيرهم(٤).

وهكذا انتقل الملك لبعض ابناء جهينة من امهاتهم على عادة الاعاجم فى تمليك الأخت وابن الاخت، فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جهينة على بلادهم، ومن ثم استولى العرب الجهينيون على المالك الصغيرة التى كانت تتألف منها علوة، وكانت خاضعة للملك الكبير فى سوبا (٥).

---

(١) انظر: حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ج١ ، ص ٣٢٧، ٣٢٨، مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٩(ب)، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٧٩، يوسف فضل: مقدمة ، ص ١٦، ١٧، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٢، د/ كمال دسوقى: مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق (تحليل سيكو انثروبولوجى لظاهرة البداوة، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول، ١٩٦٨م، ص ص ٦٢، ٦٣ .

(٢) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة Misc 1/15/191 ورقة ١٧، ١٨ .

(٣) يقول ليو الأفريقى هو اقليم يتاخم إقليم بورنو من الغرب، ويمتد شرقا حتى حدود مملكة نوبيا، التى تقع على النيل، وتنتهى جنوبا بصحراء تتاخم أيضا عكسا يصنعه النيل، وتمتد شمالاً حتى صحراء سيرت وحدود مصر، وهى تمتد غرباً فى شرق على مسافة خمسمائة ميل تقريباً وعرضا على نفس المساحة: انظر: وصف أفريقيا، ص ٥٥٥، عبدالفتاح حسنين مقلد: سلطنة البرنو حتى ١٨٠٨م رسالة ماجستير جامعة القاهرة ١٩٧٨م، ص ص ١١٧، ١١٨.

(٤) انظر: انساب عرب السودان، مخطوط ، دار الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/18/198، ص ١٨، ١٩، حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ج١ ، ص ٣٢٧، ٣٢٨ .

(٥) ابن خلدون: العبر ، جـ٥، ص ٩٢٢–٩٢٣، الدمشقى : نخبة الدهر، ص ٢٦٨ وهذه الممالك الصغيرة هى: بارة– التاكه، كدروا– دنقو – ارى– بقال– الانج – كرسة. انظر: ابن عبد الظاهر، ج٢ ، ص ٢٩٣ (أ)، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٤ ، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ص ٨٧ .

MacMichael; Op. Cit. Vol. 1, p. 183.

وقد سبق أن عرضنا لتدفق القبائل العربية فى سودان وادى النيل ثم تكاثرهم بعد ذلك، ثم استيلائهم على أقاليم المملكة بعد الأصهار إلى البيت المالك.

ونود أن نشير إلى رواية صادرة عن أحفاد العبدلاب الأوائل أصحاب ملك علوة فى صورته الجديدة. هذه الرواية تذكر: «أن سبب سواد أجسامهم أن أجدادهم الأوائل كانوا بيضا حين وفدوا من الحجاز، ولكن زواجهم من النوبيات فى سوبا وهم سود، واختلاطهم بهم نقل السواد إلى أجسامهم فصاروا سودا[١]».

هذه الرواية تدل على حدوث تزاوج بين العرب الوافدين مع أهل البلاد الأصليين فى سوبا، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه ابن حوقل، وابن خلدون من أن سبب انتقال الملك لأبناء جهينة فى سودان وادى النيل - كان من المصاهرة والاختلاط بين ملوك علوة والمقرة من جهة، والعرب الوافدين إليها من جهة ثانية[٢].

ثم جاء قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس النوبة فى علوة منذ وفاة أسقف النوبة البطريرك سيريل سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م، فقد صعب إرسال أساقفة يخلفونه منذ ذلك الحين بسبب الحروب التى كانت دائرة بين القبائل العربية فى مملكة مقرة، ثم تضاعف الصعوبات بسقوطها فهجر سكان علوة كنائسهم وتخرب معظمها[٣]، يدل على ذلك ما ذكره القسيس البرتغالى الفارز نقلاً عن حنا السورى، الذى زار مملكة علوة فى القرن الخامس عشر الميلادى اذ يقول: «أنه كان بها مائة وخمسين كنيسة قديمة [٤]»، وهو عدد قليل بالنسبة لما ذكره أبو صالح الأرمنى عن

---

(١) انظر: أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، شعبة أبحاث السودان - الخرطوم ١٩٦٩م، ص١٠١ .

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٦١، ابن خلدون : العبر، ج٥، ص ٤٢٩، وهذا يتفق مع ما ذكره أبو صالح الأرمنى فى تاريخه وملك النوبة له النوبة وأعمالها، وأرض علوة والمقرة، والأجناس المضافة إليها، وذكر ان عاداتهم جارية بأنه إذا مات ملك وخلف ولد وكان له ابن أخت فيملك بعد خاله دون ولد الملك. انظر تاريخ أبو صالح الأرمنى: ص ١٣٥ ، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٩ ، مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ٢١ ، كمال دسوقى: مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق، ص ٦٥، ٦٦ .

(٣) انظر: محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ١٩٦، مكى شبيكة: مملكة الفونج، ص ١٨ .

(4) Alvarez, F.F.: Narrative Of the partuguses Embassy To Abyssinia, 1520-27, Transl- By Stanley, London 1881, P. 352, Trimingham: Op. Cit., P. 77.

كنائس علوة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، اذ ذكر أنه بلغ عددها حوالى ٤٠٠ كنيسة[١] ونتج عن ذلك ان تعرض سكان مملكة علوة إلى نوع من الانفصام الروحى، فأصبحوا كما يقول الفارز لاهم بالمسيحيين ولاهم بالمسلمين أو اليهود .. ويقال أنهم كانوا على النصرانية غير أنهم فقدوا دينهم ولم تبق لهم عقيدة، ويأملون أن يكونوا مسيحيين [٢].

---

(١) أبى صالح الأرمنى: تاريخه ، ص ١٢٠ .

(2) Alvarez: Op. Cit., P. 65.

وانظر كذلك : مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٨٧ .

- أحداث سقوط علوة :

لم نجد فى المصادر التاريخية نصاً محدداً عن تاريخ هذا السقوط، ولكن يمكن الاستدلال عليه عقب سقوط مملكة المقرة المسيحية، ومن ثم تدفقت الهجرات العربية عن طريق النيل جنوبا، فنشأت ممالك ومشيخات صغيرة من القبائل العربية التى اختارت كل منها ما يتناسب مع بيئتها الأولى، بالقدر الذى قدمته الظروف المحلية في الوطن الجديد[١]، واخذت الزعامات القبلية العربية في توطيد ملكها، وأخذت في التوسع حتى امتدت هذه الممالك والمشيخات على ضفتى النيل من الشلال الثالث تقريبا فى الشمال حتى مدينة أربجى وما بعدها بقليل فى الجنوب[٢]. ومنها قام الحلف السنارى الذى كان السبب المباشر فى سقوط مملكة علوة[٣].

وسوف نناقش مختلف الاراء التى عرضت لهذا السقوط.

الرأى الأول:

رأينا انتشار عرب القواسمة – ومنهم شعبة العبدلاب – فى كثير من أقاليم مملكة علوة بخاصة الرقعة الممتدة بين مدينة أربجى فى الجنوب، والشلال السادس فى الشمال بما فى ذلك عاصمة المملكة المسيحية سوبا نفسها[٤].

وقد ساعد هذا الانتشار العبدلابى بقيادة زعيمهم عبدالله جماع على الإلمام بحالة الضعف والتدهور التى تردت فيها علوة، ثم استجابة لرغبات العرب – قواسمة وغيرهم – التى تمثلت فى الثورة على حكم العنج[٥]

---

(1) H.A. MacMichael: Ahistory Of thr Arabs in the Sudan, Vol.1, PP. 240 - 241.

(٢) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، ص ٤٩، محجوب زيادة: الإسلام فى السودان، ص ص ٣٥، ٣٦، عبدالله حسين : السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج١، ص ٤٧؛ محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ٩٣.

(٣) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/15/191، ورقة ١٧، ١٨، أنساب عرب السودان، مخطوط دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/18/198 ورقة ١٩؛ الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى الملوك العرب بالسودان، مخطط رقم Misc 1/20/232 ورقة ١، ٢ .

(٤) الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، مخطوط، ورقة ١، ٢؛ تاريخ مختص بأرض النوبة ، مخطوط ، ص ١٨–٢٠ .

(٥) العنج: لفظ يطلقه السكان فى سودان وادى النيل على المجتمع الذى كان قائما قبل تأسيس دولة الفونج على حوض النيل وكردفان. انظر : مخطوطة كاتب الشونة، (هامش) ٤–٥؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٩٤؛ مكى شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص ٢٤ ، ويذكرهم البعض أن لفظ العنج يدل على سكان سودان وادى النيل قبل دخول العرب، ويروا أن لهم علاقة بالطوارق المعروفين فى شمال أفريقيا ترجيحا أن أهل الطوارق يرجع إلى بعض فروع القبائل ذوات الأبل بالسودان.

C.F.: MacMichael: A history Of the Arabs In the Sudan, vol. 1. PP. 40-51.

والتخلص منه [١] بهدف اقامة حكم عربى إسلامى على انقاضه بعد توافر كل الظروف المواتية لذلك.

وقد أرجع الدكتور يوسف فضل أسباب هذه الثورة التى جعلت العرب يقررون اسقاط سوبا إلى عاملين اثنين:

أولا: تذمرهم – كمسلمين – من كونهم أصبحوا كثرة، ومع ذلك يحكمون بواسطة ملوك مسيحيين.

ثانياً: الضغط الاقتصادى الذى يمثل فى دفع الضرائب للمملكة المسيحية، ثم الضغط السياسى الذى حملهم على اطاعة قوانين علوة. ومن ثم جعلا العرب يهربون من حكان المماليك[٢]. لهذا دعى عبدالله جماع العناصر العربية للوحدة، فلبت الدعوة، واتحدت مع عرب القواسمة والعبدلاب بزعامته، وهو الذى امتاز بسعة الفكر، وسداد الرأى وقوة الشكيمة والغيرة الدينية، ومن هنا أطلق عليه جماع[٣]بسبب جمعه هذا لمختلف القبائل[٤].

وبعد ان نجح فى توحيد القبائل العربية التى كانت تقيم حول سوبا وأيقن بصدق عزمها على حرب العنج رأى أن يستعين بقوة عسكرية دائمة ومنظمة

---

(١) واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان ، مخطوط ، ورقة ١، ٢.

A.E.D. Penn: Traditional Storise Of the Abdallab Tribe, S.N.R. Vol. XVII, 1934, PP. 54-61.

الشيخ عثمان أوسنة: تاريخ مشيخة العبدلاب مخطوط، ص٦، ماكمايكل: دخول العرب في السودان، ص ٣٢، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٤ .

(2) C.F. : Yusuf Fadle: The arabs and the Sudan, P. 133.

وانظر كذلك محمد عوض: السودان الشمالى ، ص ٢٥٢؛ عبدالعزيز عبد المجيد: التربية فى السودان، جـ١، ص ٣٥؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، جـ١، ص ٣١٦، ٣١٧ .

(٣) الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/20/232.ورقة ١، ٢، ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ٣٢؛ أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٥؛ ولمزيد من التفاصيل عن سبب تسميته بعبدالله جماع وللقبائل التى جمعها انظر المرجع الأخير، محمد محمد أمين : العبدلاب، ص ٢٠٦ .

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/15/191ورقة ١٧، ١٨ .

تعتنق الإسلام. هى قوة الفونج الذين كانوا قد اسسوا فى وقت سابق مملكة لهم فى لولو[١] ثم انتقلوا إلى جبل موية[٢]، الكائن غربى مدينة سنار، وعلى بعد ثمانية أميال من الروصيرص[٣].

وتشير المصادر السودانية إلى أن عبدالله جماع شرع فى مراسلة عمارة دونقس، لعقد اتفاق بين الفونج وعرب القواسمة ومن أتحد معهم من أجل القضاء على ملوك سوبا[٤]، ويعتقد أن عبدالله جماع وجد من ملك الفونج قبولاً وتشجيعاً، لهذا شد إليه الرحال، واجتمع به فى عاصمة ملكه بجبل موية[٥]. وتم الاتفاق بين الحليفين «على محاربة النوبة وهم ملوك العنج ملوك سوبا وملوك قرى[٦]»، وقام ما عرف فى

(١) جاء فى مخطوطة كاتب الشونة (نسخة القاهرة) : فأول ملكهم مما تداول فى السنة الخلق وان ابتداء أمر الفنج كان بمحل يعرف بلولو .. ثم انتقلوا إلى جبل موية .. فلما أراد الله إظهار أمره وتسليطهم على خلقه وكان لهم بقر وفيها ثور فحل. فجعل الثور يسرى بالليل إلى غابة سنار،ولم يكن بها عمارة(وكانت تسكنها جارية تسمى سنار مقيمة على جرف، وكان الثور يرعى فى تلك الغابة فتبعوه) فنزلوا فى موية. وقطع أشجارها الملك عمارة دونقس، وهو أولهم، وصار ملكهم بها. بعد أن قاتل العنج مع عبدالله القرنياتى القاسمى، أبى عجيب الكافوته ورجع إليها، وبقى بها ملكه فيها، وشيخ عبدالله المذكور فى قرى. انظر: مخطوطة كاتب الشونة، ص ص ٦،٧؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى، ص ٢٣، نعوم شقير: تاريخ السودان، تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، السودان، تحقيق مكى شبيكة، ط الخرطوم، ص ١، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٥ .

(٢) جبل موية .. يقع جبل مويا على بعد عشرة أيام غرب سنار الحالية، والراجح أن عمارة لم يقم فى جبل مويا، بل أنه كان يقيم فى لعل (Lamul)حسبما ذكر روبينى. انظر: كاتب الشونة: تاريخ ملوك السودان، ص٥، مصطفى مسعد: بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ مملكة الفونج الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الثالث ١٩٧٢م، ص ٣٥ حاشية (١٥).

(3) J.D.P. Chataway: Fung Origins, S.N.R. Vol. 17,1934, Part 1,P. 116.

وانظر أيضا كمال دسوقى : مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨- ١٩٣٨م ص ٧١-٧٢ .

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط رقم Misc 1/15/191ورقة ١٧ .

(٥) انظر مخطوطة كاتب الشونة، ص١٦، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232، ص٢، الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط، ص٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص٩٦؛ محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ٢٠٦ ، ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ٣٢؛ تاريخ ملوك السودان، ص١ .

(6) Penn: Traditional Storise Of The Abdallab Tribe, S.N.R. Vol. XVII, 1934, PP. 16.

وانظر كذلك: مخطوطة كاتب الشونة، ص ٦-٧؛ تاريخ مختص بأرض النوبة، ص١٧؛ تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، ص٥، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2,P. 358.

تاريخ السودان الوسيط بالحلف السنارى، طرفه الأول عرب القواسمة بقيادة عبدالله جماع، وطرفه الثانى الفونج بقيادة عمارة دونقس. وإلى ذلك يشير الشيخ ابراهيم بن عبدالدافع بقوله: «وانتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية.. وكان كبيرهم عمارة دونقس، وفى جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة، وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبدالله جماع، فاتحد عمارة وعبدالله المذكوران على ضم كلمة المسلمين، ومحاربة النوبة ... فحشد الجيوش وهاجما العنج فى سوبا[١]».

ومن دراسة هذا النص يتضح أنه لم يشر صراحة إلى تحالف قام أولاً بين حكومات القبائل العربية التى مر ذكرها، وبين العبدلاب ثم تلاه تحالف هؤلاء جميعا مع الفونج على نحو ما يراه بعض المؤرخين المحدثين. وانما النص صريح فى أن التحالف انما هو تم بين عرب القواسمة بقيادة عبدالله جماع، وبين الفونج بقيادة عمارة دونقس[٢].

وعن حكومات القبائل وبداية صلتها بدولة العبدلاب يقول فى موضع آخر «وقد وكل إلى عبدالله جماع اخضاع القبائل القاطنة شمالى المنطقة المفتوحة، وعلى جانبيها لسلاطين الفونج، وإدارتها نيابة عنهم[٣]».

---

(١) مخطوطة كاتب الشونة ص ٦، ٧، ١٢٩؛ تاريخ ملوك السودان، ص١ ، تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ورقة ١٧, انظر الخريطة شكل رقم (٩).

(٢) ساند هذا الرأى عدد من الباحثين المحدثين منهم: د/ حسن محمود، ماكمايكل ومحمد عوض، وعبدالعزيز عبدالمجيد، ومصطفى مسعد، ومندور المهدى، وسنورد نصا واحدا يمثل تمثيلا واضحا وجهة نظر الآخرين: فالثابت أنه مع أوائل القرن السادس عشر حوالى ١٥٠٥م تحالفت قبيلة القواسمة العربية – التى كانت تحوم حول إقليم الجزيرة تبحث عن وطن مع الفونج على أن يقضوا على دولة علوة المسيحية التى كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكان على رأس قبيلة القواسمة شيخ يدعى عبدالله جماع ... وكان فى الجانب الأخر على رأس الفونج عمارة دونقس ويظن أنه كان ملكا للفونج. انظر: حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج١، ص٣٥٠،

MacMichael: A History Of The Arabs, Vol. 1, P. 245,

وأيضاً: دخول العرب فى السودان (معرب) ص٣١–٣٢، محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٥٢ ، عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، جـ١ ، ص ٣٥–٣٨؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٢٠٦ ؛ المهدى مندور: السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب ص ٦٢–٦٤؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٧،

Y.F.Hasan: Islamix External Influences, P. 75-76.

وانظر كذلك : د/ كمال دسوقى: مجتمع الرعاه فى رفاعة شرق، ص ٧٠.

(٣) المهدى مندور: السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب، ص ٦٢، ٦٣، Y.F.Hasan: Islamix External Influences, P. 75-76.

ويتضح من هذا ان اخضاع حكومات القبائل فى الاقاليم انما تم بعد فتح سوبا على يد عبدالله جماع ومن عاونه. ،ثم أخذت الدولة تتوسع في بقية أجزاء السودان، فضم مشايخ ،قرى، منطقة شندى، ونصبوا الرئيس المحلى حاكما من قبلهم سلاطين الفونج، كما تقدموا شمالا حتى دنقلا وأدخلوا الشايقية فى ملكهم لفترة لم تطل[١]،.

وقد كان هذا الحلف قائما على شروط نوجزها على النحو التالى :

– أن يقود عبدالله جماع الجيش، ويمده حليفه عمارة بالعسكر والمؤن[٢].

– أن العرب الموجودين فى منطقة الفونج يخدمهم[٣] شيخ دار ولد جماع.

– النجدة عند الحاجة بالقوة والمال اذا اعتدت دولة اخرى على الجزء الذى يحكمه العرب، أو الجزء الذى يحكمه الفونج[٤]. وهو منطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق وكان بقية السودان من نصيب العبدلاب[٥].

– التولية لأى رئيس جديد فى سنار أو فى قرى لا تتم إلا بحضور مفوضين من العاصمتين، على أن يكون الكبير فى السن من أبناء الشيخ عبدالله جماع او الملك عمارة دونقس هو صاحب الكلمة فيها.

– إذا حضر ولد جماع بسنار فى عاصمة الفونج لا يدق النحاس مع نحاسه وكذلك الحال بقرى (عاصمة العبدلاب) لا يدق نحاس مع نحاس ملك الفونج[٦].

– رؤساء قبائل العرب الذين هم أهل الطواقى (شارات الملك) أو المشيخات ...

---

(١) المهدى مندور: نفس المرجع، ص ٦٣، ٦٤ .

(٢) انظر : الحسن الأرباب بن شاور: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232. ورقم ٢،

C.F.: Traditional Storise Of the Abdallab Tribe, S.N.R. Vol. XVII, 1943, PP. 60-61.

محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ٩٨ .

(٣) يقصد هنا خدمة العرب بجمع الضرائب منهم. انظر: تاريخ ملوك السودان ص٩ .

(٤) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ص ١ ، ١٢ .

(٥) أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، شعبة أبحاث السودان، ص ٢١ .

(٦) انظر: مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٢٩ .

تكون توليتهم فى قرى، وكان إبرام هذا الاتفاق سنة ٩١٠ هـ/١٥٠٤م باتفاق جميع الروايات(١).

هكذا يتضح أن أصحاب الرأى الأول قد اتفقوا على النقاط التالية:

- أنه فى مستهل القرن السادس عشر تم حلف بين الفونج والعبدلاب فى جبل موية(٢) يهدف إلى اسقاط مملكة علوة المسيحية.
- كان زمام المبادأة لعقد هذا الحلف من عرب القواسمة بقيادة عبدالله جماع.
- من أهم ما اتفق عليه الأطراف أن يقوم عمارة دونقس - بالإضافة إلى تقديم العون العسكرى من الجنود والمؤن والمعدات من آلة الحرب للجيش.
- لم تكن حكومات القبائل التى خضعت فيما بعد للعبدلاب طرفا فى الحلف.

الرأى الثانى:

يتزعم هذا الفريق من الباحثين الشاطر بصيلى فيقرر قيام حلف بين الممالك والمشيخات بزعامة عبدالله جماع من جهة، وبين الفونج من الجهة الأخرى، ويرى ان سقوط سوبا كان ثمرة لهذا الاتحاد اذ يقول : «وانتهت هذه الحال بدخول الزعامات القبلية للمجموعات الاقليمية فى اتحاد تزعمه السلطان السنارى الذى انتقل إلى عاصمته الجديدة، وكان قيام هذا الحلف بين المشيخات المحلية والسلطان السنارى أمراً قررته الاستجابة لتغير حياة المجتمع فى صورة جديدة تمخض عنه ذلك الصراع الخفى بين المجموعات العربية التى دخلت البلاد فى طرف وبين السكان من أهالى البلاد فى طرف آخر(٣)».

---

(١) انظر مكى شبيكة: مملكة الفونج، ص ٤١؛ تاريخ السودان إلى قيام الأحزاب، ص٦٢، الفكر الصوفى فى السودان، ص ٣٦،٣٧؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٦؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ص ٣١-٣٢، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٩ ، ولعل من الملاحظ أن بنود هذا الاتفاق لم ترد إلا فى بعض مصادر العبدلاب أما عن صمت المصادر الأخرى فيرجع إلى جهلهم بأخبار مملكتهم. انظر كاتب الشونة وأما دولة العبدلاب والسعداب عدم ذكرنالهم لعدم إطلاعنا على أصولهم انظر ص ٨٣؛ وأيضاً يرجع سبب جهل مؤلفى تلك المصادر بأخبار العبدلاب إلى أن معظمهم لا يعيش فى منطقة شيوخ العبدلاب وان معظم المؤرخين كانوا يعيشون تحت النفوذ المباشر للفونج. ولهذا أعلنوا بأخبارهم وعظموا من شأنها، وأهملوا أخبار منافسيهم.

(٢) يقع على بعد عشرين ميل غرب سنار. انظر: الطبقات ، حاشية ١٣، ص٧٣ .

(٣) يتزعم هذا الفريق كل من :الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، ص ٤٧، ٧٠؛ عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان ص ٣٦، ٣٧، وانظر كذلك : محمد محمد أمين : العبدلاب، ص ٢٠٦ .

وقد ساند الدكتور عبدالقادر محمود هذا الرأى فأكد اشتراك جميع القبائل العربية الراسخة بالسودان على يد زعيم عربى يدعى عبدالله جماع شيخ قبيلة العبدلاب [١] فى هذا الحلف السنارى.

كذلك يفهم هذا المعنى من أثر تاريخى مخطوط كتبه أحد شيوخ العبدلاب وذكر فيه ان مؤسس دولتهم - عبدالله جماع - استطاع بما أوتى من الرأى السديد، والغيرة الدينية استمالة جميع قبائل العرب الموجودة بالسودان وتوحيد كلمتهم، ثم هزم بهم - مع الفونج - ملوك سوبا المسيحية[٢].

الرأى الثالث:

يرى أصحاب هذا الرأى أن سقوط سوبا لم يتم إلا بجهد العبدلاب ومن جاورهم فى دارهم من العرب، ولم يكن للفونج أو حكومات القبائل فى الشمال أى نصيب فيه، تقول احدى الروايات : «بعد أن تجمع العرب بأعداد كبيرة فى السودان، عن طريق مصر والحبشة والبحر الأحمر، ورأو ضعف مملكة علوة مع قوتهم قرروا أن يرموا ثقلهم تجاه العاصمة الضعيفة سوبا[٣]، وأن يحاربوا ملك العنج الذى يدعونه الغز[٤] وقد قام بهذه الحركة رجل يدعى عبدالله جماع من عرب القواسمة الذين يمثلون أحد فروع القبيلة العربية رفاعة [٥].

(١) الفكر الصوفى فى السودان، ص ٣٦، ٣٧ .

(٢) الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، مخطوط، Misc 1/20/232، ص١، ٢، يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ص ٣٠، ٣١ .

(3) C.F.: Y.F. Hasan: The Arabs And the Sudan, P. 132.

أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ص ١٦-١٩ .

(٤) يعتقد أن هناك تأثيرات حبشية فى معنى الكلمات، فمثلا اتخذ السلطان الأول عميرة أو عمارة لقب دونقس، وهذه كلمة معناها «دو» وأصلها ""DJAN3و "NEGUS ومعناها عظيم نقس معناها أى نجاشى وبذلك يكون اللقب والنجاشى العظيم كذلك المانجل لقب يمنح لزعيم الدار وهو أرفع ألقاب السلطنة بعد السلطان انظر:

Budge (E.A) : The Egytian Sudan, Vol. II, P. 212.

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ٢٠٥ ، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ، ص٧٠، محمد محمد أمين: العبدلاب ، ص ٢٠٥,

(٥) فى المقريزى: البيان والأعراب بأرض مصر من الأعراب، ص ١٤٩، وفى عام ٦٨٠ هـ - ١٢٨١ م تنازعت جهينة ورفاعة فى صحراء عيذاب، ورفاعة من جهينة غالبا .ان اتساع قبيلة - رفاعة - برغم تميزها عن قبائل جهينة الأخرى التى هى فرع منها مستقل بنفسه وربما منازع لبقية فروعها، وكذلك امتداد أوطانها الأصلية مام يجاور البجا إلى شمال غرب الحبشة، ثم نزوع الشماليين منهم إلى الاستقرار والزراعة، وبقاء الجنوبيين منهم على الرعى. انظر: كمال دسوقى: مجتمع الرعاة ص ٦٢ وانظر أيضاً : تاريخ العبدلاب من خلال روايات، ص ١٦، محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ٢٠٨,

حرض عبدالله رجال القبائل العربية على التخلص من طغيان العنج وظلمهم، فبايعوه على ذلك، وأقسموا - على المصاحف والسيوف - قسم الولاء له، ثم ساروا تحت امرته، وهاجموا ملك العنج فى سوبا[١]، «وبعد مساجلات عدة قتلوا الملك وانتصروا..» وليس هناك ذكر فى هذه الرواية التاريخية لمشاركة الفونج فى هذه الحوادث «وكان مما غنمه العبدلاب بعد الحرب تاج ملك العنج المرصع بالجواهر، وأصبح - عندئذ - ميراثاً لهم فى ذريتهم دون الفونج[٢]».

ومع نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، صار العرب هم حكام مملكة علوة[٣]، ويبدو أن سلطان العبدلاب قد امتد سريعاً فى الجنوب، فشمل المنطقة حتى سنار بما فى ذلك مدينة أربجى، وذلك فى وقت سابق لقدوم الفونج لسنار، يدل على ذلك ما جاء فى احدى الروايات من ان الفونج عندما دخلوا السودان وأتوا إلى سنار وجدوها تحت حكم الملك عجيب فنزلوا فى لولو مزارعين، ثم أصهروا إلى البيت المالك، إلى أن دارت الأيام فى عهد عمارة دونقس، واستولوا على الحكم أثر تدهور العبدلاب[٤].

وبدأت متاعب العبدلاب والعرب مع بداية القرن العاشر الهجرى، اذ كان عليهم فى هذا الوقت أن يواجهوا عدوا خطيرا هم الفونج الذين ظهروا فجأة على مسرح الأحداث وحقيقة أن ظهور هذه الجماعة الفجائى لا يزال طى الحجب وفقدان المدونات المعاصرة يضاعف صعوبة هذه المسألة[٥].

ومهما يكن من امر فان من المحتمل ان يكون الفونج - بعد أن نزلوا سنار قد سعوا لمنافسة العرب على المرعى، فأخذوا يتقدموا شمالاً مع النيل الأزرق حتى وصلوا

---

(١) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٠٣ .

(2) The Arab and the sudan. PP. 133-134.

B.S.O.A, S. XXIII, P. 10-11.

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب ص ١٦-١٩؛ هولت تاريخ السودان الحديث ، ص ١٨ .

(3) C.F. Arkell:Fung Origins, S.N.R. XV, 1932, PP. 211-212, Trimingham, Op. Cit. , P. 74; Y.F.Hasan: The Arabs And the sudan, PP; 133 FF.

(٤) أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ص٢ .

(5) Y.F. Hasan: The Arabs And the sudan, P. 134.

عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية ، ص ٤٨ .

أريجى سنة ٩١٠ هـ/١٥٠٤م، وهنا يتفق أصحاب هذا الرأى مع رواية بروسBruce (١) التى تقول أنه فى سنة ١٥٠٤م أتت قبيلة أو أمة من السود فى مجموعة كبيرة من الزوارق فى غارة على الأقليم المأهول بالعرب من منطقة الجزيرة، وبالقرب من أريجى حدثت بينهم وبين ولد عجيب(٢) واقعة انتهت بنصر السود الذين أملوا – على إثرها – شروطا احتفظ بمقتضاها ود عجيب بسيادته السابقة على ما يملك لقاء التعهد باستخدام القوة متى كان ذلك ضروريا لحمل العرب المقيمين بعيدا على دفع الجزية. وقد قلص هذا الاتفاق مكانة العبدلاب فأنزلهم عن سلطانهم بعدما كانوا ملوكا، ولم يسع ود عجيب إلا الموافقة على هذه الشروط(٣).

وبعد أن حقق الفونج سيطرتهم على هذا النحو عادوا أدراجهم إلى سنار التى غدت عاصمة الملك ومقر الحكومة، ومارسوا سلطانهم من هناك(٤).

واضحاً ان هذا الرأى ينفى أن يكون قد قام بين العبدلاب والفونج تحالف، بقدر ما يقرر أنها كانت معاهد صلح بين غالب ومغلوب، وظاهر من دلالته أن علوة لم تسقط نتيجة لتعاون بين الفونج والعبدلاب كما ورد فى الرأى الأول والثانى، وانما أسقطها العبدلاب وحدهم، ثم زحف عليها الفونج بعد ذلك(٥).

---

(1) C.F. Bruce: Travels To Discover The Sources OF the Nile, vol 4 p. 548- sea Arkell: Fung origins, S.N.R. Vol. XV., PP. 201-250, The Arabs And the Sudan, P. 134.

(٢) يعتقد أن بروس استعمل هذا الأسم الشائع فى أيامه للدلالة على أحفاد ود عجيب ولعله يقصد عبدالله جماع أول ملوك العبدلاب، اذ زار بروس سنار سنة ١٧٧٢م. انظر يوسف فضل: مقدمة في تاريخ، ص ٢٤ حاشية (١)، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة ، ص ٤٨، شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل، ج١، ص ٢٧١، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٨ .

(3) C.F. Bruce: Travels To Discover The Sources Of the Nile, Vol. 4,P.548.
Arkell: Fung Origins, S.n.R. Vol. Xv. PP. 201-250.

وانظر ايضا: ود ضيف الله: الطبقات، تحقيق د/ يوسف فضل ، ص ٣٩، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٨ .

(4) C.F. Bruce: Op. Cit., P. 548,

محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٠٥ .

(٥) يقول الباشا فى هذه المسألة: «من كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى القول بأن دور العبدلاب فى سقوط مملكة علوة كان دورا رئيسيا، وأن السقوط تم على يد القبائل العربية بقيادة عبدالله جماع ثم حدثت بعد ذلك موقعة أريجى والتى انهزم فيها العرب، ومن ثم كان خضوعهم للفونج». جوانب من تاريخ العبدلاب ص ٢١ .

على أن هذا الرأى.

يثبت بطلانه في بعض أجزائه ، وهو الجزء الخاص برأى بروس عند حديثه عن أصل الفونج(١).

– ومناقضته لما قررته مصادر قديمة (شبه معاصرة وموثوق بها) فى أن سقوط سوبا قام به العبدلاب والفونج مجتمعين سنة ٩١٠هـ(٢). ونلاحظ ضعف المصادر التى اعتمد عليها، وهى لا تعدو – فى الأغلب– أن تكون مجرد استنتاجات، فيها كثير من الخلط والتناقض. ولذا يعتقد:

– أن الحلف السنارى كان بين العبدلاب – عرب القواسمة – ومن تبعهم من القبائل التى كانت تساكنهم فى ديارهم(٣)، وتتبعهم دون أن يكون لها اى سلطان سياسى. والطرف الثانى فى الحلف هم الفونج، أما حكومات القبائل التى أشرنا اليها فانها ضمت إلى نفوذ العبدلاب، ربما بالقوة بعد سقوط سوبا، وقيام قرى وسنار، ولم يكن لها دور فى أحداث السقوط، بل أصبحت بعد ذلك – الوحدات الإدارية لمشيخة العبدلاب.

– لم تتحدث المصادر عن جيوش تابعة لحكومات القبائل التى اشتركت فى اسقاط دولة علوة، وانما اقتصرت مهمة اسقاط سوبا، بل وعلوة كلها على عرب القواسمة، ومن جاورهم دارهم، ثم الفونج.

---

(١) قوبل رأى بروس بهجوم شديد سنفصله عند حديثنا عن أصل الفونج وقال د. عبد المجيد عابدين أنه استبعد، ووصف من قبل بعض الباحثين بأنه غير صحيح. انظر تاريخ الثقافة العربية، ص٤٨، ومما يدل على بطلان هذا الرأى ايضا أن تاريخ مدينة أربجى منذ تأسيسها سنة ٨٨٠هـ لا يشير إلى قتال وقع فيها فى هذا التاريخ الذى حدده بروس انظر الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، الملحق الثالث ، نقلا عن مخطوط شيوخ أربجى، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٩ ، محمد صالح: العبدلاب ص ١٠٥ .

(٢) الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط Misc 1/20/232، ورقة ١ ، ٢، تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط Misc 1/15/191، ورقة ١٧، ١٨ .

(٣) ديار العبدلاب جنوب شندى حتى شمال بلدة أربجى. ومركزها بلدة قرى، حيث أقام عبدالله جماع الذى مارس سلطاته المباشرة على هذه المجموعة، واحتفظت دار العبدلاب فى حدودها على ما كانت عليه علوه. انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب ورقة ١ ، ٢، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٧–٢٠ ، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، ص ٣٧–٣٨ ، نسيم مقار: اقتصاد السودان فى العهد الفونجى، ص ٤٦ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص١٠٦ .

– اذا كان هناك اتحاد قام بين الفونج وحكومات القبائل بزعامة العبدلاب – على نحو ما ذكرنا – بمحض ارادة هذه الحكومات المحلية والا استلزم ذلك بالضرورة ان تكون لها حقوق وامتيازات كما كان للعبدلاب وهو ما لم تذكره المصادر.

ومما يدل على أن هذه الممالك والمشيخات ضمت قسرا فيما بعد أنها ظلت تشن الحروب على العبدلاب كلما آنست من نفسها قوة، على نحو ما هو معروف من حروب الشايقية والشكرية والجعليين[١].

والحقيقة الهامة أنه فى اواخر القرن الخامس عشر أو اوائل السادس عشر الميلاديين على أقوى الاحتمالات – قام حلف بين قوتين كبيرتين أحدهما فى جنوب مملكة علوة، وثانيهما على أرض علوة نفسها حول سوبا وشماليها، وتدعى القوة الأولى بالفونج، والثانية بالقواسمة (العبدلاب فيما بعد) وكان هدف هذا الاتحاد اسقاط مملكة علوة المسيحية بعد ان تهيأت كافة الظروف لهذا السقوط، وأنه ما كاد يتم الاتفاق حتى توجه جيش الحليفين عبدالله جماع، وعمارة دونقس إلى سوبا العاصمة الكبرى لعلوة، ودارت بين الجيش المهاجم، وجيش علوة المدافع حرب انتهت بقتل ملك علوة[٢] وهزيمة جيشه وتخريب سوبا خراباً أصبح مثلا فى السودان[٣] وذلك بعد حصار دام عدة أيام أبدى خلاله جندها مقاومة شديدة[٤].

وهكذا كان الحلف بين العبدلاب والفونج هو السبب المباشر لاحداث هذا التغير العميق الذى غير وجه الحياة فى سودان وادى النيل[٥].

---

(١) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ، ورقة ١، ٢ .

(٢) تذكر الروايات أن اسمه «الفز» انظر تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، ص ٦ ، وتقول أخرى ان اسمه علوة واضح البيان، ص ٢ .

(٣) انظر: ود ضيف الله: الطبقات ، ص ٣٩ ، ٤٠؛ تاريخ ملوك السودان، ص ١ ، واضح البيان، ص ٦ ، تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ص ١٧ ، ١٨ ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص ٧؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٠٧ .

(٤) انظر: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص٦ .

(٥) انظر ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ص ٣١، ٣٢؛ شينى: بلاد النوبة فى العصور الوسطى، ص ص ١٠، ١١؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٠٧ .

C.F.Y.F. Hasan: Islamic external influences, P. 76-77.

أسباب سقوط علوة:

تعرضت مملكة علوة لعوامل مشابهة لتلك التى تعرضت لها مملكة المقرة، أدت إلى تفككها ثم انهيارها، وقيام السلطنات الاسلامية «العبدلاب والفونج» على أنقاضها فى اوائل القرن السادس عشر(١). ومن هذه العوامل ذلك النزاع بينها وبين مملكة المقرة كما ذكرنا. ولعل حرص مقرة على الحصول على الرقيق للتجارة او الوفاء بالبقط(٢) كان أحد الأسباب التى أدت إلى ذلك النزاع، اذ لابد أن ذلك قد دفعها إلى محاولة الحصول عليه من جيرانها.

كذلك تعرضت مملكة علوة لاغارات مملكة الزغاوة(٣) منذ القرن الثانى عشر الميلادى على طرق القوافل التجارية ما بين بحيرة تشاد غربا إلى النيل شرقا، وظل تهديدها قائما حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى(٤). وقد هاجم أعراب جذام مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور(٥)، التى شنوا منها غاراتهم على الاقاليم المجاورة حتى مملكة البرنوا فى الغرب. وهذا ما تؤكده شكوى سلطان البرنو «المادى عثمان اويبرى بن ادريس ١٣٩٢– ١٤٢٤ /١٤٢٥م إلى السلطان أبى سعيد برقوق فى سنة ٧٩٤ هـ/١٣٩١/١٣٩٢م من اعتداءات عرب جذام المجاورين له والذين اغتصبوا جماعة من أقاربه، وباعوهم فى الأمصار بيع الرقيق(٦)».

ولابد أن جماعات عربية كبيرة شقت طريقها إلى علوة بعد وصولها إلى

---

(١) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ، ورقة ١،٢، تاريخ مختصر بأرض النوبة ، مخطوط ، ورقة ١٧، ١٨.

(٢) سبق أن أشرنا إلى هذا فى سقوط مملكة المقرة.

(٣) امتدت مملكة الزغاوة من بحيرة تشاد فى الغرب إلى أطراف النوبة فى الشرق، ويرى آركل انها شملت الكانم ودارفور فى القرن ١٤م : انظر مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٨٤، محمد محمد أمين : العبدلاب ص ١٩٦، Arkell: Op. Cit. , P. 199.

(٤) انظر: ل . كروباتشيك: مرجع سابق، ص ٤٠٦، ٤٠٧؛ محمد غيطاس : النوبة ص ١٢١،

C.F.Arkell: Op. Cit.., PP. 199-200.

(٥) إبراهيم على طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م، ص ١٨٧ (وثائق رسالة عثمان بن إدريس إلى الظاهر برقوق).

(6) Arkell, Op. Cit., PP. 199-200

المنطقة عبر نهر النيل والبحر الأحمر، ومع الحملات التى جردت فى العصر المملوكى[١]، وبفضل كثرة عددهم وتحالف بعضهم مع الفونج تمكنوا من اسقاط هذه المملكة سنة ٩١٠ هـ/١٥٠٤م[٢]، وزادت هذه الهجرات العربية بعد سقوط مملكة مقرة المسيحية، حيث اندفعت نحو المراعى الخصبة فى علوة. وكان الطابع العام للهجرات العربية إلى انحاء علوة طابعا سلمياً، وتحققت لها مآربها عن طريق الاختلاط ومصاهرة النوبيين[٣].

وفى القرن الخامس عشر حينما ظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية فى المنطقة ظهر الأثر العربى الاسلامى فى تطور الحياة الاجتماعية والسياسة، مما عجل بزوال المملكة المسيحية فى علوة، وتمثل هذا الأثر فى اختفاء نظام الوراثة القديم أى نظام الأمومة، وأصبح الحكم وراثيا فى بيت شيخ القبيلة أو الدار، كما تمثل فى ازدياد الإسلام ولاسيما أن البقية الباقية من المسيحيين فى البلاد عانت إهمالاً من كنيسة الإسكندرية؛ والحقيقة أن هذا الاهمال لم يكن قاصرا على مملكة علوة، بل أيضا مملكة المقرة، وكانت النتيجة ان توقفت الطقوس الدينية فى البلاد حتى اعتاد النوبيون على هذا الوضع وكانت المسيحية فضلا عن ذلك غطاء لكثير من المعتقدات الوثنية، ولم تستطع أن تغرس لها جذورا عميقة فى هذه البلاد، ولا يمكن انكار اثر الصراعات بين القبائل فى مملكة مقرة على قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنيسة علوة، مما أدى إلى توقف ارسال الأساقفة المصريين منذ وفاة أسقف النوبة سيريل سنة ٦٣٣ هـ /١٢٣٥م كما سبق أن ذكرنا[٤].

هذا ولم تذكر الوثائق حوادث اضطهاد دينى من المسلمين للنوبيين بسبب العقيدة، وهكذا نستطيع ان نستنتج أن الكنيسة النوبية قد زالت من الوجود لا بالعنف بل من ضعفها الذاتى.

(١) انظر ما سبق فى الفصل الثانى . سقوط مملكة المقرة ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ، مخطوط رقم .Misc 1/15/191 ورقة ١٧، واضح البيان فى تاريخ فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232 ورقة ٢ .

(٣) انظر المقريزى: الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٣ ، محمد محمد أمين: العبدلاب ص ١٩٢ ، مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط، ص ٧٩؛ زاهر رياض: اتجاهات مصر الأفريقية فى العصور الوسطى، ص ؛ وكروباتشيك: مرجع سابق، ص ٤١٠؛ فانتينى: تاريخ المسيحية ص ١٩٩ .

(٤) انظر: ضعف الكنيسة النوبية فى الفصل الأول من هذه الدراسة.

- القوى السياسية الجديدة التى ظهرت بأرض النوبة:

أولا: العبدلاب

أصل العبدلاب وموطنهم الأول:

ترجعه وثائق النسبة[١] فى سودان وادى النيل إلى شعبين عظيمين هما قحطان وعدنان، وهذان الشعبان هما: مجموعة جهينة، ويرمز بها إلى عرب الجنوب أو القحطانيين، والمجموعة الجعلية أو العباسية ويشار بها إلى عرب الشمال أو العدنانيين[٢].

واذا كانت المصادر السودانية قد اختلفت اختلافاً يسيراً فى الأصل الذى ينتمى إليه العبدلاب من هذين الشعبين، فان هذه المصادر تجمع على راى واحد لا خلاف عليه هو عروبة العبدلاب.

وسوف نعرض مختلف الروايات الواردة فى نسبهم..

روايات العبدلاب أنفسهم:

تشير وثائق العبدلاب[٣] ورواياتهم الشفوية إلى انهم عدنانية، يتصل نسبهم بعلى بن على طالب[٤]. فقد جاء فى احدى مخطوطاتهم ما نصه:

«ثم اعلم ان عبدالله هذا جد العبدلاب والده حمد بن رافع بن عامر بن صعصع، المعلوم هذا هو المشهور فى نسبه، المسموع من الآباء، ولكن الصحيح كما وجد مقرراً فى أمهات الأنساب – أن والده السيد الباقر، وأمه (حسنى) بنت[٥] حمد بن رافع، ومن ذلك توهم بعض أهل الأنساب فنسبه بأمه لرفاعة وبالتالى لجهينة، وذلك وهم باطل كما

(١) أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن أنساب العرب، وجعفر حسان فى النسب، وهى مثبوتة بمجموعة ماكمايكل الخطبة فى دار الوثائق المركزية بالخرطوم، متنوعات.
Misc 1/16/184. PC.F. maxmichael: Op. Cit. , Vol.1, P. 238,
يوسف فضل: المقدمة ، ص ٣٣ ؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٠٨ ، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٢ ؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ٢٠٢.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالى وقبائله، ص ١٤؛
Y.F. Hasan Islamic External Influences, P. 75.

(٣) ابن الحاج حسن بن الشريف الفحل بن ضباب: نسب العبدلاب، مخطوط دار الوثائق المركزية بالخرطوم، (متنوعات) Misc 1/16/184 صفحات ٦١٥-٦٢٨؛ وانظر محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ١٠٨ .

(٤) انظر: انساب عرب السودان، مخطوط مصور دار الوثائق القومية بالخرطوم رقم Misc 1/18/198 ورقة ١٩-٢٠ .

(٥) تؤيد هذا بعض روايات العبدلاب السماعية فى الجملة دون التفصيل، فتذكر أن جد عبدالله جماع هو حمد الذى توفى فى أبى حمد الحالية، وهى بلدة كائنة فى منطقة الرياطاب، وسميت باسمه، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، ص ١٥ .

وجدت بخط من نقل هذا النسب قائلاً: أن والده السيد الباقر بن السيد محمد السيد على بن السيد جبل بن السيد عبدالله بن السيد بركات بن السيد قاسم ويمضى صاحب النسبة فى تعداد أجداد عبدالله جماع حتى يصلهم بالإمام على[1]. غير ان روايات العبدلاب السماعية التى دونت حديثاً تذكر ان السيد الباقر هذا لم يكن أبا لعبد الله جماع وإنما هو جده، وتضيف بعض هذه الروايات مؤكدة نسب عبدالله إلى جهينة من جهة أمه. قائلة: أن السيد الباقر تزوج من بنت الشيخ عبدالله الجهنى: «رائد زمام جهينة»، وقد أنجب منها ابنه رافع والد عبدالله جماع الذى ما كاد يشب عن الطوق حتى اختارته قبيلة جهينة ملكاً لها مكان جده لامه، فصار ملكا فى الحجاز، ثم خلفه على الملك السيد الباقر وتلاه بعد ذلك عبدالله جماع[2]. وهذا يعنى ان عبدالله جماع شريف علوى من جهة أبيه، جهنى من جهة أمه، كما يعنى أنه كان شيخاً فى الحجاز على قبيلة جهينة، ولهذا تطلع إلى تزعمها عندما هاجر إلى سودان وادى النيل.

ويروى صاحب «العرف المنشوق» فى نسب العبدلاب رواية مؤداها أن الأشراف خرجوا من أرض الحجاز تحت ضغط العباسيين بعد قيام دولتهم، ومن هؤلاء ذرية الامام موسى الكاظم الذى ينتسب اليها العركيون ايضاً، فعبرت البحر من ناحية السويس، ثم وصلت إلى السودان عن طريق النيل، ثم ذهبت إلى شرق السودان، وقصدت جماعة منها المغرب ومنه دخلوا – عن الطريق الغربى – للسودان. وكان

---

(١) الفحل: نسب العبدلاب ، مخطوط ، ورقة ٦١٥–٦٢٨، الشيخ عثمان أونسه: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ١١، ١٢؛ أكد أونسه أنهم أشراف من نسل على بن أبى طالب من جهة أبيهم، وهم جهينيون من جهة أمهم، وانظر أيضا: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، ص ١ ، ٢ ،

C.F.: A.E.Penn: Trasitional Storia Of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVll, 1934, P. 6FF.

محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ,١٩٢

(٢) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، ص ١٤؛ حسن محمد خليل: جوانب من تاريخ العبدلاب من رواياتهم السماعية، مخطوط، ص ٢٣–٢٤؛ محمد محمد أمين: العبدلاب،ص ١٩٢، يوسف فضل: المقدمة، ص ,٣٤ ومن الملاحظ: على أننا نتساءل كيف يخلف الأب ابنه فى الملك مثلما خلف السيد الباقر ابنه رافع فى هذه الرواية؟ وهذا يرجح أن السيد الباقر هو والد عبدالله جماع كما جاء فى نسبة ابن الحاج حسن بن ضياب المشار إليها، وأن رافعا لا يعدوا فى الحقيقة، أن يكون لقبا للسيد الباقر وليس اسما لمسمى آخر، وان جد جماع الذى تزوج بنت عبدالله الجهنى انما هو عامر كما تقول احدى الروايات. انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، هامش ص١٥، يوسف فضل : المقدمة، ص ٣٩، محمد صالح مشيخة العبدلاب، ص ١١٠ .

من هذه الذرية محمد بن رافع، ومن ذريته في السودان الآن القواسمة والعبدلاب[١].

يتضح من هذه الرواية أنها تطابق ما جاء في مخطوطات العبدلاب ورواياتهم السماعية، خاصة بانتسابهم إلى البيت العلوي، غير أنها تخالف بعض الروايات في الطريق الذي سلكه العبدلاب إلى سودان وادي النيل، ذلك لأن روايات العبدلاب السماعية – بعد ان قررت ثلاث منها أن عبدالله جماع شريف حسيني [٢]– اجمعت أربع عشرة رواية أخرى على أنه أتى من الشرق أو الشروق الذي يعني أرض الحجاز، وحددت موطنه فيها مكة أو المدينة أو الطائف على خلاف الروايات، ثم ذكرت طريق هجرة العبدلاب إلى السودان بأنه «سواكن»[٣] – عبر البحر الأحمر – ومنها إلى أبي حمد[٤]، فدنقلا حيث ترك هناك بعض ذريته وهم الأدركوجاب[٥] ولا يبعد أن يكون هذا صحيحا، فأن هذا الطريق هو نفسه تقريباً الذي هربت منه فلول الأمويين إلى الحجاز عند قيام الدولة العباسية كما يقول المقريزي[٦].

وتمضي روايات العبدلاب قائلة: ومن دنقلا أتوا بربرة فأب زليق القريب من

---

(١) انظر: الأمين محمد زين الناسخ: العرف المنشوق من تاريخ وأنساب سكان بلدة معتوق بالجزيرة، دار الوثائق القومية بالخرطوم، ص ص ٤٦ ، ٤٧ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ١١٠، ١١١ ،

Y.F. HaSsan: Islamic external influences, PP. 76-77.

(٢) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٤.

(٣) سواكن: ورد أول ذكر لها سنة ٩٤٥ هـ، وقد استفادت سواكن من تدهور باضع أولاً وعيذاب ثانياً، إلا انها لم ترق لمكانة الثانية، وفائدتها الكبرى أنها كانت ذات صلة وثيقة بالحجاز كما كانت تربطها طرق كثيرة بالداخل، وكان سلطانها عند زيارة ابن بطوطة لها سنة ١٣٣٢م الشريف زيد بن أبي نمي الذي ورث السلطة عن أخواله البجة. وكان جيشه مكونا من البجة وجهينة وبني كاهل. انظر : الهمذاني (محمد بن أحمد) : صفة جزيرة العرب ، ليدن ١٨٨٤، ج١، ص ٤٠ ،١٣٣؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٤٥؛ السخاوي: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، القاهرة ١٩٣٤ ، ج٤ ، ص ١٤٠ ، ٢٣٤ ؛ ج٥، ص ٢٤، جـ٦ ، ص ١٤٩، جـ١٠، ص ١٥٠ .

(٤) أبي حمد: جزء من قبيلة المناصير التي تسكن على النيل بين أبي حمد والشلال الرابع، وقيل أن جيرانهم من الشمال والجنوب الشايقية والرباطاب : C.F.: MacMichael: Op. Cit., vol. 2, P. 31-129.

يوسف فضل: هامش الطبقات، ص ٣٥١، رقم (١).

(٥) يقول ليو الأفريقي وتتاخم من الجنوب صحراء القرعان كوران أو على الأصح القرعان وهو الأسم الذي أطلقه العرب على دازا من مجموعة بيدا – دازا الذين يعيشون حالياً شمال بحيرة تشاد وفي الشمال الشرقي حتى بوركو وفي اينيدي شمال شرق التشاد. انظر ليو الأفريقي: وصف أفريقيا ، ص ٥٥٧ .

(٦) المقريزي: الخطط ، ج١، ص ١٩١، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، ص ١٤ .

قري، حيث كان يحكم العنج ، وحيث بدأ تجمع العرب، ومن ثم أتوا إلى قرى نفسها واتخذوها عاصمة لهم بعد أن أسقطوا دولة العنج(١).

على أنه يمكن التوفيق بين رواية صاحب العرف المنشوق والروايات الاخرى اذا جاز لنا أن نفترض أن محمد بن رافع هذا شقيقا لعبد الله جماع، استنادا على ما رجحناه(٢) من ان رافع لقب للسيد الباقر والد عبدالله جماع كما تقول احدى الروايات(٣)، وقد رأى أن يسلك بذريته طريقا مغايرا للذى سار فيه أخوه عبدالله جماع، ومن ثم كون مع ذرية جماع عرب القواسمة الذين غلب عليهم - فيما بعد - اسم زعيمهم عبدالله فعرفوا بالعبدلاب. هذا ويوافق عثمان حمد الله العبدلاب على ادعائهم الانحدار من البيت العلوى(٤). كما يساندهم بروس Bruceفيقرر أن عبدالله جماع أمير قرشي، غير أنه لا يقول بانحداره من بيت على بن أبى طالب(٥).

على كل حال ما من قبيلة فى سودان وادى النيل - فى الأغلب الأعم - الا وادعت أنها تنحدر إلى أصل شريف، ابتغاء اجلال الناس وتقديرهم، فالعركيون مثلا فى أبى حراز والمراغنة فى الخرطوم بحرى، ومديرية كسلا، والشكريه فى رفاعة، وآل المهدى والهندى، والفادنية فى أوطانهم المختلفة، كل يدعى أنه ينحدر من بيت على بن أبى طالب كما يتضح من شجرة أنساب السودان(٦).

كما تلاحظ اضطراب هذه الروايات فهى فى الوقت الذى تصر على صلة العبدلاب بالبيت العلوى تزعم أن العبدلاب جهينيون أيضا من جهة أمهم، وذلك ليظفروا بشرف آخر هم انتماؤهم إلى الصحابى الجليل عبدالله الجهنى، ويتضح

---

(١) انظر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، صفحات ١٦-١٩ .

(٣) انظر: الأمين محمد زين الناسخ: العرف المنشوق ، ص ٤٦، ٤٧ .

(٣) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، ص ١٥؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٣٤،

C.F.: Yusuf Fadl Hasan: Atabs, PP. 168, 157-7.

(٤) الشيخ عثمان حمد الله العبدلاب: سهم الارحام فى السودان، ص ٢٠٥، ٢٠٦ .

(5) C.F.: Bruce, Travels To Discover, Vol. Iv, P. 456-458.

يوسف فضل : المقدمة ص ٣٣؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١١٢،

(٦) انظر: ملحق الدراسة : اشكال (٦/أ، ب، ج ، د ، هـ) . يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٣، محمد أمين : العبدلاب ، ص ١٩٢، ١٩٨ .

هذا مما يقوله جامعى تاريخ مشيخة العبدلاب : «والقواسمة – أصل العبدلاب – أبناء السيد رافع المعروف فى قبائل رفاعة المتعددة لأن اسم رافع فى قبائل رفاعة اثنين : رافع الجهنى، ورافع ابن نبته[١] الذى هو شريف من ولد الحسين بن على [٢]».

إلا أن بعض المصادر تؤكد بقولها «والصحيح فى نسبه أنه من بنى العباس من ذرية أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى[٣]».

وعلى العموم فقبائل رفاعة كلها وجهينة كلها، وما تفرع منها من القبائل هم أهل الشيخ عبدالله جماع وعشيرته [٤].

هذا ونلاحظ أن مصادر الشيعة، أشارت إلى تنقلات أهل البيت إلى أرجاء مختلفة من العالم الإسلامى، إلا أنها لم تشر إلى أن أحداً من ذرية الإمام موسى الكاظم أو غيره من آل البيت العلوى قد هاجر إلى سودان وادى النيل [٥].

وأخيراً فإن هذه الرواية – رواية العبدلاب ومن شايعهم – لا تنهض دليلا على ما يزعمونه من الانتساب إلى البيت العلوى الشريف والراجح أنهم عرب جهينيون[٦].

يقول الباشا عن أصل العبدلاب أنهم ينتسبون إلى المجموعة التى تعرف بمجموعة جهينة، ورواياتهم تشير إلى ذلك، وفى نفس الوقت تحاول أن تنتسب إلى

---

(١) هناك رفاعة شرق بأبى جن ورفاعة الهوى بأبى روف، هؤلاء شرق النيل الأزرق على الدندر والرهد والبطانة وأولئك فيما بين النيلين الأزرق والأبيض غربا. انظر : المقريزى : البيان والأعراب ، ص ١٤٩،

C.F.: Crawford: the Fung Kingdom Of sennar, PP. 81-82.

(٢) انظر: الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط، ص ١١؛ محمد صالح : مشيخة العبدلاب ، ص ١١٢.

(٣) انظر: مخطوط. واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ٢، ٣، يوسف فضل: المقدمة ، ص ٣٣ .

(٤) الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ١٢ ، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٢ .

(٥) انظر ابن طباطبا: منتقلة الطالبيه، تحقيق السيد محمد مهدى السيدة حسن الخراسانى، ط النجف الأشرف، تحدث فيه عن آل أبى طالب الذين انتقلوا إلى بعض البلاد الإسلامية، ومن بينها مصر والمغرب، ولم ترد فيه اشارة واحدة إلى انتقال بعضهم إلى السودان، بل أن محققه أشار إلى أنه تابع هذا الموضوع فلم يجد أحدا منهم قد هاجر على سودان وادى النيل.

(٦) انظر: مخطوط انساب عرب السودان رقم Misc 1/18/198 ورقة ١٩، ٢٠ عن الجهينيون وأنسابهم.

الأشراف شأنهم فى ذلك شأن كثير من القبائل السودانية، ومجموعة جهينة من عرب الجنوب، ولذلك فلا محل لربط الأصل الحسينى بالأصل الشريفى أو بعلى بن أبى طالب كما جاء فى روايتهم ... «وفيما يختص بفرع العبدلاب بالذات فمن المرجح أنهم كانوا من بطون جهينة التى عاشت فى الشرق، وأتت منه إلى وادى النيل[١]».

ويستخلص من رواية نسخة ابراهيم حاج محمد وجعفر حسان[٢]؛ تتفق النسختان على أن العبدلاب من عرب القواسمة الذين يتصل نسبهم – آخر الأمر – بجهينة، ذلك لأن عرب جهينة فى السودان ينقسمون إلى الشعب الرئيسية التالية:

أن الشعبة الأولى : وتشتمل على رفاعة (وأقربائها من القواسمة والعبدلاب والعركيين) واللحويين والحلويين، والعوامرة،والخوالدة، والشكرية ومن إليهم.

والشعبة الثانية: شعبة فزارة، ومن فروعها دار حامد ، وبنى جرار، والزيادية، والبزعة، والشنابلة، والمعاليا.

والشعبة الثالثة: وقد اشتملت على الدويحية والمسلمية والبقارة بفروعها المختلفة، والمحاميد، والماهريه والكبابيش والمغاربة والحمر[٣].

على ان النسختين تتفقان فى تفاصيل كثيرة مما يدل على أحد أمرين، أما أنهما منقولان من أصل واحد مفقود، أو أن احداهما منقولة عن الأخرى[٤].

---

(١) الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٩–٣٠، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١١٣.

(٢) يحتفظ السيد ابراهيم حاج محمد (ناظر عموم الجعليين سابقا)، بشذى على نسخة من مخطوط للأمام السمرقندى: كتاب أنساب عرب السودان، وضع فى بداية عصر الفونج والعبدلاب. انظر: محمد صالح ضرار: تاريخ السودان : البحر الأحمر وإقليم البجة، ص ٦٨. أما نسخة جعفر حسان فهى موجودة عند ابنه حسان ببلدة حزيمة فى مركز مروى بالمديرية الشمالية، وكلا من النسختين فى أنساب العرب مع احتوائها بعض الأخبار التاريخية، وقد أودعت نسخة مصورة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم. انظر مجموعة ماكمايكل الخطية فى دار الوثائق بالخرطوم، متنوعات

Misc 1/16/184, C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P. 238-248.

(3) C.F.: MacMichael: A history Of the Arabs, Vol. 1, PP. 239 - 248.

وسوف نعرض بالتفصيل لهذه القبائل فيما بعد . انظر ص ٢٥٤، وانظر أيضا: مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠١؛ عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية ، ص ٣٠، حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ج١ ، ص ٣٣٦، محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ١١٥،

(٤) انظر: شجرة النسب بملحق الدراسة شكل رقم (٦/هـ) ص ٥٤١–٥٤٥ .

يقول مؤلف نسخة جعفر حسان – وهو ينسب العبدلاب إلى عون بن حمد العلاطي: «أما عون أخيه فأولاده ثابت وصابر وسارب وحرقان ومسير ومعتقوق، ومن أولاده الترابثة والشقلاب والشكراب والعبدلاب والتنجر ... وكلهم أولاد عون ابن حمد العلاقي[1]».

أما رواية هارولد ماكمايكل:

فتتفق هذه الرواية مع سابقتيها في إلحاق نسب العبدلاب بجهينة دون البيت العلوي، وتخالفهما في أمور[2].

ورواية محمد بن الحاج على بن الماحى بن مضوى بن دفع الله[3]. فمضمونها لا يختلف من حيث الحاق العبدلاب بجهينة – عن سابقاتها – فيما عدا رواية العبدلاب ومن شايعهم، ولكنها تختلف في أمور أخرى.

ومهما يكن من أمر القرابة بين القواسمة والعبدلاب فان هناك أمراً لا خلاف عليه، وهو أنه كان بين الفريقين – في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي صلات رحم قوية تمثلت في إنتماء الشعبتين إلى قبيلة رفاعة المعتبرة فرعاً من جهينة، كما

(١) انظر: مخطوطة جعفر حسان. مركز الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/16/184، ص ١٤ ، ١٥ ، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١١٧.

(٢) انظر شجرة النسب التي رسمها ماكمايكل بملحق الدراسة. وقد اعتمد المؤلف في روايته هذه على أوراق نسب غير يسيرة جمعها من الاهلين ثم الروايات السماعية التي قام بتدوينها منهم

MacMichael: Vol. I, PP. 239-248.

(٣) انظر شجرة النسب بملحق الدراسة شكل رقم (٦/هـ) نلاحظ تسلسل النسب بين جهينة وذبيان، ففي الوقت الذي يكون فيه ذبيان هو ابن عبدالله الجهني ، وجهينة هو ابن ريث في الشجرة الأولى نجد ذبيان في الشجرة الثانية والثالثة هو ابن جهينة وجهينة في الشجرة الثانية هو ابن عطية.

– أولاد ذبيان العشرة، واذا كان أحد أولاد ذبيان في الشجرة الأولى والثالثة هو شطير فانه في الشجرة الثانية شاطر.

– أولاد عامر، وبينما نجد في الشجرة الأولى أن لعامر ولداً واحداً هو محمد إذا بالشجرة الثانية والثالثة تعطيه ثلاثة من الأبناء هم: حمد العلاطي، ورافع ومحمد. وحين تجعل الشجرة الأولى رافعاً وحمد العلاطي أبناء لمحمد مع ستة آخرين ثم تمضي فتجعل قاسما جد القواسمة أبناء لرافع مع اثنين آخرين وحمد العلاطي أبا لأربعة أبناء ينحدر العبدلاب من أحدهم وهو عون، وبذلك تجعل هذه الشجرة من العبدلاب أبناء عمومة مع على القواسمة ينحدرون جميعاً من أصل واحد، تنزل الشجرة الثانية القواسمة منزلة الأهل للعبدلاب فتجعلهم من نسل محمد ابن عامر، على حين تجعل الشجرة الثالثة القواسمة أبناء لمحمد العلاطي ولا تذكر شيئاً عن العبدلاب مما يجوز أن نستنتج أنهم فرع من القواسمة. انظر : أوراق نسب محمد بن الحاج على. Misc 1/16/184 و ٤٣٤–٤٣٩، متنوعات دار الوثائق القومية بالخرطوم.

تؤكد ذلك جملة من المصادر[١]. وكان هناك من الوفاق والتلاحم بينهما ما مكن مؤسس شعبة العبدلاب: عبدالله جماع من أن يقود كتائب القواسمة في هجوم أدى إلى سقوط عاصمة مملكة علوة الأولى سوبا ثم عاصمتها قرى حيث استطاع بعد ذلك أن يكون من القواسمة بيت مالك استمر فى الحكم على مدى ثلاثة قرون من الزمان[٢]، وتلك هى أسرة العبدلاب[٣].

أما كلمة العبدلاب فانها تعنى القبيلة أو الجماعة التى تنتسب إلى عبدالله جماع، ذلك لأن لفظ أب الذى تنتهى به أسماء كثير من العربية فى السودان يعنى فى مدلوله : عائلة أو قبيلة[٤].

---

(١) انظر : ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ج٢، ص ٤٤٤؛ المقريزى: البيان والاعراب ، ص ١٤٩ ، محمد عوض : السودان الشمالى، ص ٢١٨، ٢٥٢، يوسف فضل : المقدمة ، ص ٣٤، ٣٥، محمد محمد أمين : العبدلاب، ص ١٩٢، C.F.: Y.F. Hasan: the arabs and the sudan, PP. 154-7, MacMichael: A history of the Arabs in the sudan Vol. 1, PP. 128, 141, 228, 245, Vol. II, P. 80; Craford: The Fung King dom Of sennar, PP. 81-82.

(٢) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط Misc 1/15/191 ورقة ١٧ ، مخطوطة كاتب الشونة ص ١٦، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232، ص ٢ ، الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط ، ص ٢٦ تاريخ ملوك السودان، ص ١.

(٣) يذكر ثلاثة من الرواة أن عبدالله جماع، مؤسس مشيخة العبدلاب شريف حسين من نسل الأمام على شرائط رقم ٢٠، ٨٠، ١٣٠، انظر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، ص ١٤.

(٤) اختلف الباحثون فى أصله، أهو لفظ حامى أم سامى؟ هناك رأى يقول: استخدام المقطع الحامى الأخير آب لتكوين اسم للأسر والقبائل ينسب إلى الجد الأعلى رباطاب، يمكن أن يقال عنها أنها ليست من أصل عربى. انظر: محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٣٤؛ محمد مهدى كركورى: رحلة مصر والسودان، ص ٣٩٠؛ الريح العيد روسى: تقويم السودان لسنة ١٩٤٩م، ص ١٠٣؛ محمد صالح. مشيخة العبدلاب، ص ١٢٣ ، ويرى د/ محمد عوض أن إلحاق مقطع آب فى آخر الأسم يرجع إلى مؤثرات لغوية لعلها حامية قديمة وأثرها واضح فى اقليم النيل الأبيض والأزرق والنيل الأعظم والجهات المجاورة للنهر، ويمتد هذا التأثير شرقاً إلى البحر الاحمر. انظر محمد عوض: السودان الشمالى، ص ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وقد أيد حامية المقطع أيضاً كان من نعوم شقير، والريح العيد روسى، غير أنهم ذهبوا إلى أنه مأخوذ من اللغة البجاوية. انظر: نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان ج١، ص ٦٤؛ الريح العيد روسى: تقويم السودان ص ١٠٣، محمد مهدى كركورى: رحلة مصر والسودان ، ص ٣٩٠؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٥٥ ، ويمكن مناقشة الرأى بأن معظم القبائل الجعلية التى تعيش على ضفتى النيل من الشلال الثالث حتى السادس يصعب تصور عبورهم أرض البجة فى ترحالهم من مهجرهم القديم فى صعيد مصر إلى موطنهم الجديد بالنوبة، وأيضاً هناك مجموعة عربية كبيرة هى الكواهلة كانت لها أوطان تقيم فى أرض البجة بشرق السودان، ومع هذا ليس أواخر أسماء قبائلها هذا المقطع آب، انظر حول التوسع فى هذا المدلول: Y.F. Hasan: Islamix External influences, P. 78-79; محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٣٤، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٢٧ .

- انشاء قرى عاصمة العبدلاب:

تقع قرى فى الحد الأدنى للمنطقة المدارية المطيرة، وتلتقى من النقطة التى تلتقى فيها القوافل التجارية المصرية بخط عبور النيل إلى صحراء بيوضة ومنها إلى مصر عن طريق دنقلة- مشو- واحة سليمة[1]. وهى على خانق سبلوقة أو ما يعرف بالشلال السادس فى طرفه الجنوبى، وعلى الضفة الشرقية للنيل، وتقوم على قاعدة عقبة وقد نسبت إليها فقيل عقبة «قرى» وهى تبعد عن النيل بنحو ربع ميل[٢]، وقد تمكنت قرى لموقعها الهام من جمع الجمارك التى تدرها تجارة المرور، والسيطرة على الأراضى الخصبة فى سهل البطانة[٣].

أما عن نشأتها الأولى فلا تذكر المصادر شيئاً عنها[٤]، حتى الرحالة اليهودى داود روبينى S. David Reubeni[٥]، لم يشر إلى ذلك سوى أنه ذكر مملكة جعل عندما

---

(1) C.F. MacMichael: A history Of the Arabs, Vol. 1, P. 246, Crawford: the Fung Kingdom Of sennar, PP. 56-66.

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٢، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٩، يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٧,

(٢) وقد دلت الاكتشافات الاثرية أن قرى تقوم على أرض مسطحة تتكون من حفر متداخلة منعدمة الشكل، ربما كانت جدران منازل طينية C.F.: Crawford: Op. Cit., PP. 66-67 محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٩، انظر الرخيطة بملحق الرسالة شكل رقم (١٠).

(3) Macmichael: Op. Cit., P. 246,

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٢، مصطفى مسعد: امتداد الاسلام، ص ٩١، يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٧, انظر: الخريطة، شكل رقم (٩)، (١٠).

(٤) يوجد الآن فى جنوبى قرى قبر الشيخ عجيب الكبير، وقبل عهد ليس ببعيد قد انهارت عليه القبة التى كانت قد نصبت عليه، كما كانت ترقد عليه ايضا جذوع النخل التى اتخذت دعائم ترتكز عليها تلك القبة، والقبر هو أبرز المعالم فى قرى، يتكون من سور طويل تابوتى الشكل من الطوب الأحمر، ويلحق بالقبة من جهة الشرق سور صغير يليه من الخارج حائط من الحجارة، وعلى مسافة لا تبعد كثيراً عن قرى القديمة مساحة صغيرة بها قبة قديمة لا تزال قائمة تنسب لأحد شيوخ الركابية. ويبدو أن قرى عند نشأتها الأولى كانت تجمعاً صغيراً من البيوت أقيم حول منزل الشيخ، ذلك لأنها كانت فى عهد بروس ١٧٧٢م قرية تتكون من مائة وأربعين منزلاً، لا يزيد ارتفاع الواحد منها عن طابق واحد، وكانت نظيفة جيدة البناء، مسطحة السقوف، مبنية من نفس التراب الملون القائمة عليه، لهذا تصعب رؤيتها من بعيد. انظر: Crawford: Op. Cit., P. 67.

(٥) رحالة يهودى يمنى الأصل زار مملكة سنار سنة ١٥٢٢م ومر بمدينة سوبا وقد فقدت مخطوطة رحلته، ولكن بقيت صور منها لعله املاها مختصرة على يهودى المانى كتبها بالعبرية .

C.F.: Hillelson, S., David Reubini an Early Visitor of sennar, S.N.R. Vol.XVI, Part 1, 1933, PP. 55-50.

مر بهذه المنطقة فى اوائل القرن السادس عشر الميلادى، ولكنه ربما تجنب المرور بها [١]، لأنها لم تكن موجودة آنذاك كما استنتج الدكتور مكى شبيكة[٢].

أما الرحالة بونسيه، "Poncet"، فقد ذكر أنه اجتازها بعد أن عبر النيل عندها فى مستهل عام ١٦٩٩م، وقد أطلق عليها مقر الحاكم، الذى كانت وظيفته الرئيسية أن يتحقق من خلو جميع القوافل الآتية من الشمال والشرق من مرضى الجذام والجدرى، الذى كان منتشرا فى ذلك الوقت، كما كانت من مهامه الرئيسية جباية المكوس من التجارة[٣].

اذا متى غدت قرى عاصمة العبدلاب؟ هل كان ذلك بعد سقوط سوبا؟ أم كان قبله بوقت قصير؟

فهناك جملة من الآراء نبسطها فيما يلى:

الرأى الأول يقرر أنه بعد أن أسقط الجيش المتحالف جيش العبدلاب والفونج – عاصمة علوة الأولى سوبا – على نحو ما وضحناه سابقا، توجه إلى عاصمة العنج الثانية قرى التى تشير المصادر إلى ملكها تارة بملك الغرب وأيضا بملك القرى وقد انتصر الجيش المتحد فسقطت قرى كما سقطت سوبا، وقضى بذلك على آخر معقل للمسيحية فى مملكة علوة[٤].

وهذا يعنى أن قرى عندما ظهر العبدلاب كقوة مؤثرة فى الحياة السياسية فى سودان وادى النيل كانت قائمة بالفعل، ولم ينشئها العبدلاب، وانما اقتصر دورهم على انتزاع السلطة الزمنية من أيدى العنج ملوك علوة المسيحية الذين كانوا يسيطرون عليها.

(1)Crawford: the Fung kingdom Of sennar, PP. 56 FF.

(٢) مكى شبيكة: مملكة الفونج الاسلامية، ص ٤٠، ٤١.

(3) Poncet, Jacques, The Red sea and Adiacent Contries At the clase of the seventeenth century.

(4) C.F.: Penn Traditional Stories of the Abdallab teiba "S.N.R. XVII, 1943, P.60-62.

مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٧–١٩، مخطوطة كاتب الشونة، ص ٧، تاريخ السودان إلى قيام الأحزاب، ص ٦٣، تقويم السودان لسنة ١٩٤٩م، ص ٤٨، شينى: بلاد النوبة فى العصور الوسطى، ص ١٠، ١١؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ج١، ص ٣٥، عبدالمجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، ص ١٦٤، عبدالقادر محمود، الفكر الصوفى فى السودان، ص ٣٧، C.F.: Shini: Exavation At Soba, PP. 14-15.

وقد حوت روايات العبدلاب مزيدا من التفاصيل عن نهاية مملكة علوة، وانتقال السلطة في قرى إلى أيدي العبدلاب فذكرت أنه بعد أن تم الاستيلاء على سوبا انهزم جيش العنج الذي كان يقوده رجل يدعى حسب الله. وتختلف روايات العبدلاب، فبعضها يقرر أن الذي تبع حسب الله من العبدلاب وحاصره حصاراً شديداً حتى استسلم في النهاية كان عبدالله جماع[1]، وبعضها الآخر يذهب إلى أن الذي حاصر قرى واستولى عليها انما هو ابن عبدالله جماع الشيخ عجيب الكبير[2].

وتتفق المصادر في أن قرى سقطت بعد مقاومة عنيفة في يد العبدلاب، وتقول بعض الروايات أن حسب الله العنجي سلم قرى للعبدلاب ونجا بنفسه هربا عبر النهر إلى الغرب، ثم إلى جبال النوبا، كما تقول رواية أن شيخ قرى استقر وجماعته الباقية «في الحرازة أم قد[3]».

والراى الثاني يعود بسيطرة العبدلاب على قرى إلى وقت سابق على سنة ١٥٠٤م حين وقع الاتفاق بين العبدلاب والفونج، ويبدو أن المحدثين قالوا ذلك استنادا لرواية بروس "Bruce" الذي تذكر أن الحلف الذي قام بين العبدلاب والفونج سنة ١٥٠٤م كان اثر هزيمة العبدلاب الذين كانوا يسيطرون على مدينة اربجي، وحاولوا أن يتوسعوا منها جنوباً، وقد ترتب على هذه الهزيمة ان نقل عمارة دنقس مركز العبدلاب إلى أربجي فأصبحت عاصمة لهم، وكان يبغي من وراء ذلك ان يكونوا تحت مراقبته المباشرة[4].

وقد وصفها بروس بقوله : كانت أربجي عاصم ود عجيب قرية لطيفة كبيرة ولكنها قليلة السكان[5]، وهذا يعني أن قرى كانت قائمة قبل هذا الوقت اى قبل ١٥٠٤م – حين دارت المعركة بين ود عجيب والسود في أربجي، وكانت عاصمة

(1) C.F. Traditional Stories Of the Abdallab Tribe S.N.R. P. 61.

مخطوطة واضح البيان في تاريخ العبدلاب، ص ٢، مشيخة العبدلاب ، مخطوط، ص ٦ .

(٢) تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٤٢, هذا وقد اتفقت ست روايات اخرى للعبدلاب على حدوث هذه الواقعة من الشيخ عجيب الكبير، ولكنها اختلفت على هذه الرواية في التفاصيل. انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ص ٢٢ وما بعدها.

(٣) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ص ٢٤،٢٥، ١٠٩، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٤٤ .

Y.F. Hasan: Islamix external Influences, P. 75-76.

(4) Bruce, Vol. VI, P. 371.

(5) Bruce, Vol. VI, P. 371

للعبدلاب، ولم تخضع لهم بعد هزيمة العنج فى سوبا كما تقول الرواية الشائعة، ونص بروس يؤكد ذلك فهو يقول : «أن أمير هذه البلاد من قريش، ويلقب بود عجيب وهو زعيم العرب جميعهم، ومقر الأمير قرى. وكان يجمع الضرائب من العرب واستمر الحال على ذلك حتى بداية القرن السادس عسر حين توجه فى سنة ١٥٠٤م شعب أسود ..[١]».

ولما كان من الحقائق المعروفة ان قرى ظلت تحت سيطرة العبدلاب الكاملة خلال الحقبة التى عرفت بعهد الفونج فقد رجح كروفورد أن أربجى لم تكن إلا مركزاً حضاريا للإدارة حينما جاء بروس إلى هذه المنطقة سنة ١٧٠١م. وأن ود عجيب أو شيخ العبدلاب كان – عندئذ – هناك ولم يكن فى عاصمته قرى ومن هنا جاء الخلط باعتبار أربجى – عنده – عاصمة للعبدلاب[٢].

وقد أكد هولت "Holt" على أن قرى كانت قائمة وتسيطر على رقعة واسعة من مملكة علوة عند مجئ الفونج سنة ١٥٠٤م، يقول : «عند مجئ الفونج كانت هناك قبائل عربية في شمال الجزيرة، وعند ملتقى النيلين تحت سلطة العبدلاب وعاصمتهم قرى[٣]».

وحظى هذا الرأى – القائل بقدم قرى كعاصمة للعبدلاب، وكونها سابقه فى وجودها لأحداث سقوط سوبا بتأييد من روايات العبدلاب السماعية التى سجلت متأخرة[٤]، فقد قررت هذه الروايات على خلاف فى التفاصيل أن عبدالله جماع بعد أن وصل من الحجاز عن طريق سواكن قد نقلا فأبى حمد ثم بربر، انتهى به المطاف أخيرا إلى موضع يقال له أب زليق قريبا من قرى، ومنه تردد على ملك العنج المدعو الجحمان أو عبدالله أفادق، أو سليمان او المناع – على خلاف الروايات – وكان عبدالله جماع يبغى من هذا التردد الزواج من ابنة الملك التى كانت بيدها مفاتيح

(1) Bruce, Ibid, PP. 456 F.

(2) Crawford: The Fung Kingdom, PP. 66-67.

(3) C.F. Holt: A Modern history Of the sudan, P.19.

(٤) انظر : واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ١–٤٣؛ تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٢٢، محمد محمد أمين: العبدلاب ، ص ٢٩ .

خزانة السيوف والمهمات الحربية للمملكة فلما تم لعبدالله جماع ما أراد، شغل نفسه بمعاينة الحصون والسيوف وأدوات الحرب، وعلم الملك أنه في طريقه للمصير الذى ينتظره، واستولى جماع على عاصمة ملكه قرى[١]. ومن ثم بدأ يجمع حوله القبائل العربية فى جبل الرويان لمهاجمة سوبا، وليس فى جبل مويه كما هو شائع، ولعل التشابه بين كلمتى الرويان هو علة الخلط فى هذا الموضوع [٢].

ويعتقد أن ترجيح رأى عن الآخر أمر بالغ الصعوبة بسبب قلة الشواهد والأدلة، إلا أنه يمكن القول أن الرأى الأول أشار إليه أقدم ما نعرفه عن المصادر السودانية، كما استند عليه عدد غير قليل من الباحثين المحدثين [٣]، على حين أن الرأى الثانى انما بنى هيكله العام على فكرة بروس مع أنها ووجهت بنقد قوى من الباحثين واستبعدت، وطعن فى الأمانة العلمية لصاحبها.

أما عن أسباب اختيار قرى دون سوبا عاصمة للعبدلاب فقد رجح بعض الباحثين أنها تعود إلى تجمع العرب بأعداد كبيرة فيها تحت جبل الرويان، ووقوعها المباشر فى خط عبور النيل إلى صحراء بيوضة والطريق المؤدى إلى دنقلة ومصر. وبعبارة أخرى لتحكم موقعها فى تجارة المرور مما يمكنها من فرض مكوس تزيد من دخلها السنوى.

ولأن وقوعها فى الحد الأدنى للمنطقة المطرية المدارية يمكنها من السيطرة على العرب فى سهل البطانة، أولئك الأعراب الذين يتجمعون فى الأراضى المطرية الخصبة، ويساعدها على تحصيل ما يسمى بالجزية منهم.

وقد يكون سبب رفض العبدلاب أن تكون سوبا عاصمة لهم راجعاً إلى توجسهم خيفة من أن تقوم عليهم بعض العناصر المحلية القديمة وتنتقم منهم، لاعادة العاصمة القديمة.

---

(١) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٢٢، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٩ .

(2) Holt., P.M., A sudanese Historical legend, the Fung Conquest suba, B., S. O. A . S. Vol. XXIII, Part 1. 1960, P. 10 FF.

C.F: Islamic External influences, P. 76-77., : يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص ٣٧، وايضا

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٠، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص٢٠٩ .

(٣) انظر : مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية ص ٩٥-٩٧ .

وربما لأن سوبا دمرت على نحو لم تعد صالحة للاقامة والسكنى(۱).

- حدود دولة العبدلاب ومناطق نفوذها:

كانت من نتائج انتصارات الفونج والعبدلاب على مملكة علوة المسيحية واقصائها - نهائيا- عن ظهور قوى محلية جديدة اقتسمت مناطق النفوذ فيما بينهما. يقول صاحب تاريخ ملوك السودان: ثم اتفق رأيهم على أن يكون عمارة ملكا عوضا عن ملك علوة التى هى سوبا كونه هو الكبير، وأن عبدالله جماع يكون فى مكان ملك الغرب، فتوجه واختط مدينة قرى الكائنة عند جبل الرويان بالشرق، وجعلها كرسى ملكه، وكذلك عمارة اختط مدينة سنار .. وجعلها كرسى ملكه وذلك سنة ۹۱۰ هـ(۲) يتضح أن هذا النص لم يحدد مناطق الفونج والعبدلاب ولكنه اكتفى بتحديد العاصمة للمناطق التى تتبع كل دولة.

غير أن مصادر العبدلاب أعطت تفصيلات أو فى فى هذا الشأن، فذكرت أنه عقب انتهاء الحرب اتفق الطرفان على أن يملك عمارة دونقس منطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق، ولذلك نقل عاصمته من جبال الفونج إلى سنار. أما بقية السودان فقد آل إلى حكم الشيخ عبدالله وذريته من بعده فأختار مدينة قرى - عاصمة علوة الثانية سابقا - عاصمة لمملكته ، واستقر بها، ومنها أخذ يوجه جيوشه شمالاً وشرقاً لتوسيع رقعة مملكته حتى امتدت إلى حدود الحبشة وسواكن فى الشرق،

(۱) يقول الباشا بعد أن ذكر السببين الأخيرين: وزيادة على ذلك كله فقد أشار كل من كروفورد، وهولت، ويوسف فضل إلى أهمية قرى كملتقى للطرق التجارية وإمكانية سيطرة حاكمها على القوافل التجارية التى تسير محاذية لشاطئ النيل الشرقى .. وكذلك القوافل التى تأتى من دنقلا عبر صحراء بيوضة، وتعبر النيل فى المنطقة الواقعة بالقرب من قرى، كما يبدو أن اختيار قرى يعزى إلى اتصالها بالبطانة حيث العرب الرحل انظر: جوانب من تاريخ العبدلاب ، ص ۲۱، ۲۲، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ، ص ١٤٨

C.F.: macmichael: A history, Of the aravs, Vo;. I. P. 246, Y.F. Hasan: the arabs and the sudan, p. 133. Holt: A sudanese hostorical Legend, P.10, Trimingham: Op. Cit., P. 15;

وانظر كذلك : محمد محمد أمين: العبدلاب ، ص ۲۰٦، يوسف فضل : المقدمة ، ص . ص ۳۷، ۳۸، محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ الخرطوم ، ط ٦ الثانية بيروت ۱۹۷۹م ، ص ۱۰ .

(۲) انظر: مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ۱۷ ،۱۸ ، ومخطوطة كاتب الشونة، ص ۷، تاريخ ملوك السودان، ص ٦، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ، ص ۱ ،۲ ، انظر الخريطة شكل رقم (۱۰).

وإلى كاب بلول عند حدود سلطنة الفورفى فى الغرب وإلى أربجى التى اعتبرت حداً فاصلاً بين نفوذ العبدلاب ونفوذ الفونج في الجنوب. أما في الشمال فتزعم رواية العبدلاب أن حدهم أسوان(١).

وقد أشارت وثيقة بالغة الأهمية خاصة بوقف لأحد مشاريخ العبدلاب يرجع تاريخها إلى وقت مبكر، اذ هى صادرة عن الشيخ دياب بن بادى ابن الشيخ عجيب الذى حكم بيم سنة ١١١٤-١١٢٣هـ، اذ تضمنت الوثيقة نصا يؤيد هذه الحدود، فقد جاء فيها:

«ومعرفة حد البرابرة المستحقة للوقف المذكور من جهة الغرب الكاب، وشرقا سواكن، ومن جهة الصعيد الحبشة، وشمالا بندر أسوان، يكون داخلا فى الحد لا داخلا فى الوقف(٢)».

يتضح من هذه الوثيقة صحة ما ذكرته مصادرهم السابقة بشأن هذه الحدود، وبخاصة الشمالى منها.

على أن الدكتور حسن أحمد محمود قد حدد حدود المشيخة الجنوبية فى أنها - لا تقف عند أربجى - ولكنها تمتد على الضفة الشرقية للنيل الأزرق حتى الدندر بقوله : فقد أسس القواسمة مشيخة قرى التى امتد سلطانها الحقيقى من أربجى فى الجنوب حتى دنقلة فى الشمال، تدين هذه القبائل والمشيخات بالولاء لمشايخ قرى، ويعترف هؤلاء بالسلطان الاسمى لسلاطين الفونج فى سنار(٣).

(1) A.E. penn: Traditional Stories of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVII, PP. 61-62.

واضح البيان : ص ٢-٣، تاريخ العبدلاب (مجهول المؤلف)، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، متنوعات ، ص ٢، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٢١ .

(٢) الوقف فى مدينة الرسول الكريم. انظر وثيقة من وثائق مشيخة العبدلاب خاصة باوقافهم فى المدينة المنورة، وقد تم نشرها الدكتور احمد عبد الرحيم نصر فى كتابه الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، جامعة الخرطوم ١٩٨٦م، ص ١٧، ٧١، ٨٣؛ انظر كذلك الوثيقة بملحق الرسالة شكل رقم(٧) وثيقة منشورة، وانظر صلاح محى الدين، مخطوطة تاريخية عن العبدلاب مجلة الخرطوم ديسمبر ١٩٦٧، ص ٥٨؛ يوسف فضل: المقدمة ص ٦١، المؤلف نفسه: الممالك والسودان، مجلة الدراسات السودانية، - العدد الاول المجلد الرابع يونيو ١٩٧٣، ص١٤ .

(٣) انظر: حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية ، جـ١ ، ص٣٥٠، وانظر أيضا: عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص ٥٥، ١٠١ ، وقد اكد مكى شبيكة هذا المعنى فذكر ان حدود العبدلاب امتدت من أربجى الى الحدود الشمالية مع مصر، انظر مملكة الفونج، ص ٤٨؛ عبد العزيز عبد المجيد: التربية فى السودان، جـ١ ص٣٨ .

ومهما يكن من امر فان الحد الشمالى للمشيخة ما لبث أن تغير بعد أن فتح السلطان سليم العثمانى مصر سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧م، اذ صارت البلاد الواقعة بين الشلال الأول (عند أسوان) والشلال الثالث[١] عند أبو فاطمة شمال كرمة منذ سنة ١٥٢٠م بيد الكشاف الأتراك[٢].

اما حدود المشيخة الشرقية فقد أشار إليها المؤرخ محمد صالح ضرار بقوله : «امتدت سلطة السلطنة الزرقاء إلى سواكن[٣] أيام عمارة دونقس، واشتبكت جيوشها مع امير سواكن وهو من الحدارب الذين انهزموا ورحلوا من سواكن وتفرقوا فى البوادى المحاذية لجبال سنكات وأركويت، فعين قائد جيش الفونج وهو من العبدلاب الأمير عبدالله بوش الأرتيقى أميراً على مدينة سواكن، وكان قد أبلى فى القتال أحسن بلاء.

وخضعت بادية اقليم البجة للسلطنة الزرقاء إلا الهدندوة الذين تحصنوا بالجبال من خيالة الفونج، واستمرت فتوحات القائد نحو الجنوب حتى وصل مصوع[٤]».

وخلاصة ذلك كله ان مشيخة العبدلاب امتدت شرقاً إلى سواكن وبلاد الحبشة فى عهد الشيخ عبدالله جماع، ومن المحتمل أن يكون القائد العبدلابى الذى تم على يديه فتح سواكن هو ابنه الشيخ عجيب الكبير.

---

(١) انظر: الخريطة. بملحق الدراسة شكل رقم (٩ ، ١٠).

(2) C.F. : P. M. Holt: Sultan Selim, and The Sudan " J.A.H.VIII, 1967, pp. 19-20.

وانظر يوسف فضل: المقدمة ، ص٦١؛ وايضا يوسف فضل: المماليك والسودان ص٤٧ مصطفى مسعد: امتداد الإسلام، ص٩١؛ عبد الله حسين: السودان القديم والجديد ص ٥٧؛ السودان عبر القرون، ص ٤٩؛ الإسلام والثقافة العربية ،جـ١ ، ص ٣٤٨؛ العيدروس: تقويم السودان لسنة ١٩٤٩م، ص ٤٨، نسيم مقار: اقتصاد السودان فى العهد الفونجى، رسالة دكتوراه ، ص ٢٦ .

C.F.: Crawford : The Fung Kingdom, p. 66 "E. De Cadalvene et J. de Breuvery, L`Egypt et la Turquie, Paris, 1839, Vol. 1, p . 200.

(٣) انظر كروفورد الذى اكد امتداد حدود دولة العبدلاب الشرقية حتى البحر الاحمر وسواكن. The Funge, p, 66. ، مكى شبيكة: مملكة الفونج، ص ٤٨، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص١٥١ .

(٤) محمد صالح ضرار : تاريخ السودان: البحر الاحمر واقليم البجة، ص ٦٥، وانظر: واضح البيان ، ص ٣-٤؛ تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٣١، ٣٢؛ الشاطر بصيلى: معالم : ص٣٠ .

ثانياً: سلطنة الفونج الإسلامية :

- أصل الفونج وموطنهم:[١]

ما أن هزم العبدلاب على يد الفونج بقيادة زعيمهم السلطان عمارة دونقس فى سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤م حتى تمت للفونج السيطرة على الجزء الشمالى من السودان الشرقى، وأصبح نفوذهم يمتد من مدينة مشو بالقرب من الشلال الثالث حتى جنوب عاصمتهم سنار الواقعة على النيل الأزرق ثم امتد ملكهم ليشمل أجزاء كبيرة من بلادء البجة فى الشرق وكردفان فى الغرب[٢].

ونظراً لما اكتنف ظهور الفونج من غموض تارة لقلة المصادر الوطنية وأخرى لصمت المصادر العربية المعاصرة، فإن أصلهم مازال يكون مشكلة رئيسية فى تاريخ سودان وادى النيل، وقد شغل هذا الأمر الباحثين فترات طويلة دبجت خلالها كثير من المؤلفات، وطرحت فيها كثير من النظريات ولكن دون الوصول إلى رأى قاطع، وربما ظل الحال هكذا إلى أن تنال المنطقة الواقعة جنوب سنار، والتى يرجح كثير من الباحثين أنها مهد مملكة الفونج، قدرا أكبر من اهتمام علماء اللغات المقارنة والآثار[٣].

---

(١) عرفت مملكة الفونج الاسلامية بأسماء مختلفة منها. مملكة سنار والسلطنة الزرقاء نسبة الى سنار العاصمة، كما عرفت باسم السلطنة الزرقاء (السوداء) وذلك تمييزا لها عن السلطنة الحمراء، وهى حكومة مصر. نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ط بيروت ١٩٦٧، ص ٤١٣؛ مصطفى مسعد: بعض ملاحظات ، ص ٣٢، حاشية (١).

(٢) احمد كاتب الشونة: مخطوطة كاتب الشونة، نشر الشاطر بصيلى، ص ٤

C.F. : J.D.P. Chataway: Fung Origins, S.N.R. Vol. 17, 1934, part 1, p. 116.

كمال دسوقى: مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق ، ص ٧٢,

(٣) عن اصل الفونج انظر: Arkell: Fung Origins, S.N.R. Vol. XV, pp. 201-250.

" : More about Fung Origins, S.N.R. Vol. XXVII, p. 87.

" : Fung Correspondence, S.N.R. Vol. XXXIII, p. 181-182.

Chataway: Notes on the history of the Fung :, S.N.R. Vol. XIII, p. 247.

" : Fung Origins, S.N.R. Vol. XVII, pp. 111-117.

Henderson: Fung Origins, S.N.R. Vol. XXXII, pp. 174-175. and Vol. XXXIV, p. 315-316.

Robertson: Fung Origins, J.N.R. Vol. XVII, pp. 260-265.

وانظر أيضاً: حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١ ، ص ٣٤٢، عبد العزيز عبد المجيد، جـ١ ،ص٣٨، ٣٩ .

ويرجع الباحثون موطن الفونج أو أصلهم إلى واحدة من ثلاث مناطق: بلاد الحبشة وبلاد البرنو، ومنطقة الشلك على النيل الأبيض ، ويلاحظ أن بلاد الحبشة تجد تفضيلاً فى الروايات الوطنية وتواترا عند النسابة السودانيين الذين ينسبون الفونج إلى بنى أمية، بينما تتفق بلاد الحبشة والبرنو فى أنهما وقعتا تحت مؤثرات إسلامية قبل قيام مملكة الفونج(١).

كان أول من وصف هذا الشعب الغريب دون أن يسميه هو الرحالة اليهودى داود روبينى الذى قدم من اليمن فى طريقه إلى أوربا الذى أدعى النسب الشريف وتظاهر بالإسلام ، وقد مكث نحو عشرة أشهر من أواخر عام ١٥٢٢م أوائل عام ١٥٢٣م فى ضيافة ملكهم عمارة الذى وصفه بأنه مسلم أسود ويحكم شعبا من السود والبيض(٢). ولعله قصد بالسود السكان الوطنيين والبيض العرب، وقضى روبينى فى معظم تلك الفترة فى لمؤل (Lam, ul)أو لؤل (Luap' ul)مقر الملك – الواقع على النيل الأزرق على بعد ثمانية أيام من سنار(٣). وكثيرا ما صحب روبينى الملك فى تجواله لتفقد أحوال بلاده شهرا بعد شهر. وكان يساعد الملك فى إدارة المملكة عدد كبير من الموظفين كما يساعده قادة الجيش وعدد من القضاة وحكام المدن. وذكر روبينى أن الملك يملك عدداً كبيراً من الخدم والرقيق ذكوراً وإناثاً، ومعظمهم عراة الأجسام وأنهم يأكلون لحوم الأفيال والذئاب والفهود والكلاب والإبل والفئران والضفادع وحتى لحم البشر(٤).

وبالرغم من زعم روبينى أن ستين فارساً من الأشراف كانوا يقفوا على خدمته، فإن هذا العدد الكبير من الخدم والرقيق ربما يشير إلى غالبية جيش الملك او مؤيديه.

---

(١) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١ ، ص ٣٤٥، محمد صالح مشيخة العبدلاب، ص ١٢٧–١٢٩؛ مصطفى مسعد، بعض ملاحظات، ص٥.

(2) Hillelson, S.: David Rebeni an early vistor of Sennar, S.N.R.XVI, 1933, pp. 55-60.

(٣) كانت سنار مقرا لاحد نواب عمارة دونقس

C.F.: First Population Census of the Sudan, 1955/56, Notes on Omodia Map. P. 62.

(٤) ليس هناك ما يؤكد هذا الزعم فى اى من المصادر الاخرى، ولعله من بعض العبارات غير المسئولة التى تجعل الباحث يتشكك فى صدق روبينى.

وإذا جاز لنا أن نصدق وصف روبينى لغذائهم فربما جاز لنا أن نستنتج بأنهم ليسوا مسلمين أو عرباً. ويضيف روبينى أن الملك يملك التبر وكثيراً من الخيل والأبل الصهب وقطعاناً من الماشية[١].

يتضح من هذا الوصف أن رعايا الفونج كانوا فى أول أمرهم رعاة يمتهنون تربية الماشية وهو وصف يتفق مع ما أشارت إليه أقدم وثيقة مخطوطة لكاتب الشونة، عندما قالت أن لهم بقرا فيه ثور فحل وكان يتعدى ويرعى فى غابة سنار[٢].

ويبدو لى أن تواتر ذكر موضع لمؤل بصورة او أخرى فى أكثر من مصدر يمثل قرينة هامة لتحديد موطن الفونج: تذكر مخطوطة كاتب الشونة صراحة ان ابتداء أمر الفونج كان يعرف بلول، وجاء فيها من لول فى الصعيد أى منطقة أعالى النيل الأزرق التى ظلوا بها «على قدر ما أراد الله إقامتهم بذلك المحل». وتذكر فقرة أخرى أنهم كانوا يقيمون فى جيلى، وليس فى هذين النصين ما يرجح ان كلا من لول وجيلى تشيران إلى موضع واحد وربما قصد المصدر بجيلى جبل كيلى[٣] الواقع على خطى ١٠,٥ شمال و٣٤,٢٠ شرق، وجنوب غرب فازوغلى[٤].

ويشير نفس المصدر فى موضع آخر عند حديثه عن السلوك السئ الذى تردى فيه السلطان أونسه بن بادى الأحمر ١٧١٥–١٧١٨م: «فلما بلغ أهله الفونج ذلك، أرادوا عزله هم، وجنود لولو، وهم الذين يعزلوه ويولو قبل ملك الهمج عليهم[٥]».

ويوحى هذا النص ان جنود لولو والفونج فئتان مختلفتان، إلا أن نسخة أخرى

---

(1) S. Hillelson: David Reubeni, S.N.R XVI, 1933, p. 55-60.

يوسف فضل : مدقمة فى تاريخ ، ص٤١.

(2) C.F.: Henderson, K.D.D.: Fung Origins, S.N.R. XVII, part 1, 1933, p. 150.

وانظر : مصطفى مسعد: بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ مملكة الفونج الاسلامية، مجلة جامعة القاهرة الخرطوم، العدد الثالث ١٩٧٢م، ص ٤.

(٣) يذكرها نعوم شقير فى جغرافية وتاريخ السودان القديم، ص ٦٧؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص٤١.

(4) National biliothek, MS Mixt 677a, Vienna.

ورقة ٣ أ – ٣ب .

(٥) مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٩؛ ولولو هى إقليم فازوغلى يقول د/ شبيكة: ولو صح ان لامول التى ذكرها روبينى ، ولولو التى ذكرها الشيخ احمد كاتب الشونة هما اسمان لمكان واحد مع تحريف إحداهما لاشارت كل الدلائل على ان موطن الفونج الأول.. هو إقليم فازوغلى . انظر السودان عبر القرون، ص ٥٢؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب،ص ١٣٠ .

من هذه المخطوطة تبين أنهما فئة واحدة فتقول : «حتى بلغت اخباره إلى الفونج بالصعيد وهم جنود لولو[١]».

وجاء هذا اللفظ فى نقش على نقارة يزعم أنها نقارة الفونج الأصلية والصواب انها تعود إلى عهد السلطان بادى بن نول ١٧٢٤-١٧٦٢ وذكر فيه أن جد الفونج جاء إلى لول ونصه:

«نقارة الدار نقارة السلطان

عمارة بن السلطان عدلان

جدهم الكبير الجاء من لول

عمرها السلطان بادى بن السلطان نول

نصره الله آمين[٢]».

وذكر ذلك اللفظ فى مخطوطة أنساب العرب المبؤيين بالسودان للفقيه أحمد بن الفكى معروف، والتى ترجع على عام ١٨٦٠م أو أواخر عهد الفونج، فى معرض حديثه عن أصل الفونج، فى معرض حديثه عن أصل الفونج : «العمريون .. أبناء عمر (و) بن سليمان الأموى ويقال أنهم الان بالسلطنة بالسودان، وقد تزاوجوا هم وأهل لولو، بلد من بلاد الهمج حتى صار مثلهم فى جميع الأحوال ويشتهرون بالفونج[٣]».

ويشير لفظ الهمج إل السكان الوطنيين الذين يقطنون المنطقة الجبلية الواقعة غرب وجنوب فازوغلى، وعرفت بدار الفونج بعد أن بسط الفونج نفوذهم عليها، ومن أشهر سكانها اليوم المابان، جم جم، البرتا، الأنقسنا، البرون والأدوك. ومركز بلاد الهمج هو جبل كيلى الذى جاء ذكره فى مخطوطة كاتب الشونة. وحاول الأستاذ الشاطر بصيلى عبدالجليل أن يربط بين لمؤل روبينى ولول أو لولو الروايات السودانية

(١) انظر : تاريخ ملوك السودان، ص ٥؛ يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ، ص٤١ .

(2) A.E.R.: The Fung Drum or Nehas, S.N.R. ,IV., 1921, p. 211-212.

(٣) نسبة احمد بن الفكى معروف. دار الوثائق القومية بالخرطوم، متنوعاتص ١٩٧، وانظر ايضا:

MacMichael, Arabs, Vol. II.p . 346.

وانظر ايضا: يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص ٤٢ .

بجزيرة لامو الواقعة على ساحل أفريقيا الشرقى، جنوب الصومال، والتى هاجرت اليها قبيلة فنج العربية، ولكن بعد المسافة بين البلدين ووعورة الطريق وعدم تطابق التواريخ ربما يبعد ذلك الموضع من الاعتبار(١).

ويعتقد ان هناك ثمة صلة او تطابق بين لمؤل – لول – لولو وجبل أولو الواقع (على خطى ١٠,٤٣ شمال و ٣٤,٢٠شرق) غرب كيلى وجنوب قولى. وهو يقع على بعد نحو ثمانية أيام جنوب سنار.

ويعتقد أن الأسرة الحاكمة أو الطبقة الأرستقراطية فى كل من أولو وكيلى كانت من الفونج وان قدومها إلى تلك المنطقة كانت قبل العهد التركى(٢)، ولكنى أرجح أن صلة الفونج بأولو قديمة، وترجع إلى العهد الذى كانت تمثل فيه أولو المعسكر أو المكان الذى ارتبط بنشأة هذه المملكة، وقد فقدت أولو أهميتها السياسية بعد أن توطدت دعائم المملكة فى الشمال واختط الفونج سنار عاصمة لهم (٣) ولكنهم لم يهملوا موطنهم التقليدى، كما أن عادة القتل الطقسى(٤) بين تلك الأسر على نمط ما كان (يعتقد أنه) سائد بين ملوك سنار، وقيام «جنود لولو» بعزل السلطان اذا ما ارتكب ما يضر بهيبة الملك، يؤكد ما ذهبنا إليه(٥).

---

(١) بسط الاستاذ الشاطر ملخص ارائه عن هذا الموضوع (فى مقدمة مخطوطة كاتب الشونة (هـ –ز) وبتفصيل فى دراسة اخرى، وقد اعتمد فى ذلك على كتاب الزنوج، انظر الامين الفكى يوسف: مجموعة انساب عرب السودان، متنوعات دار الوثائق القومية بالخرطوم، ص٦–٧ .

هذا وقد نشرت مخطوطة كتاب الزنوج بالعربية والايطالية فى كتاب

Cerulli, Somalia, Vol. p. 233-252.

مخطوطة كاتب الشونة: و، ز .

(٢) حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية ، جـ١ ، ص ٣٥٠ .

(٣) انظر: تاريخ مختصر بارض النوبة، مخطوط، ص ١٧–١٩؛ محمد ابراهيم ابو سليم، تاريخ الخرطوم، ص ص٩ ١٠ .

(٤) انظر: القتل الطقسى فى الفصل الخامس ص ٣٢١ .

(٥) انظر: يوسف فضل: القتل الطقسى عند الفونج، مجلة الدراسات السودانية ، المجلد الثانى، العدد الاول، ١٩٧٠، ص ص ٣٦، ٣٧.

Evans pritchard: Ethnological observation in Dar Fung, J.N.R. XV, 1932, p. 13-16, 44,

يوسف فضل حسن: مقدمة فى تاريخ ، ص ٤٣ .

وسواء صح تطابق أولو مع لمؤل – لول – لولو أم لم يصح فان جملة القرائن السالفة الذكر تشير إلى أن زحف الفونج نحو الشمال قد اقترن بموضع يحمل مثل هذا الاسم، وهو يقع فى المنطقة الجبلية الواقعة جنوب غرب سنار، وقد ذكر بروس صراحة أن المنطقة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض وجنوب سنار وغرب الحبشة مليئة بالذهب ورجح بانها بلاد الفونج [١]. ومن قبله لاحظ روبينى كثرة التبر فى ديار الملك عمارة وكيف أن الملكة ووصيفاتها وعامة الاماءكن يتزين بالحلى الذهبية وبها يسترن عوراتهن [٢].

ومن لمؤل – لول– لولو أو أولو اتجه الفونج شمالاً، بحثا عن المرعى لماشيتهم حتى بلغوا جبل موية[٣] الواقع على بعد عشرين ميلا غرب سنار ومنه عبروا النهر إلى سنار فعمروها، واتخذوا حاضرة لهم بعد ان كانت مجرد مقر لواحد من نواب عمارة وذلك فى نحو عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤م وما أن استقر بهم المقام حتى التحموا بالقبائل العربية الزاحفة من الشمال وتنافسوا على مراعى الجزيرة الغنية ، فتحاربوا عند أريجى وهزموا العبدلاب[٤].

ولاشك أن هذه الصورة (المعممة) لموطن الفونج الأول لا تخلو من ثغرات وتساؤلات ربما وضحت عند مناقشتنا للآراء المختلفة التى قيلت عن أصل الفونج.

---

(١) وقد ذكر بروس فى وضع اخر ان بلاد الفونج هى فازوغلى .Bruce, VII, p. 87

(2) Hillelson: op. Cit., S.N.R. XVI, p. 57-8.

(٣) جبل موية: يقع على بعد عشرة اميال غرب سنار الحالية، والراجح ان عمارة لم يقم فى جبل مويا، بل انه كان يقيم فى لمل Lamulحسبما ذكر روبينى، تاريخ ملوك السودان ، نشر مكى شبيكة ، ص٥ ، مصطفى مسعد، بعض ملاحظات، حاشية (١٥) ص ٣٥ .

(٤) كاتب الشونة: تاريخ ملوك السودان، ص٢ ؛ مصطفى مسعد: امتداد الاسلام، ص٩٠ .

١- الأصل الأموى:

تجمع الروايات السودانية عامة، ومعظمها من وضع النسابة السودانيين على أن الفونج من سلالة بنى أمية الذين هربوا من الدولة العباسية بعد أن سقطت دولتهم، وترجح هذه الروايات أنهم دخلوا السودان عن طريق الحبشة. ولا يختلف الفونج فى تمثلهم للنسب العربى عن سائر المجموعات السودانية المستعربة والتى اعتنقت الإسلام [1].

وقد ظهرت أقدم إشارة خطية إلى صلة الفونج بالأمويين فى وثيقة ترجع إلى الربع الأول من القرن السابع عشر، بعثها السلطان محمد بادى عجيب (ولعله بادى سيد القوم) إلى بنى أمية الساكنين دار دنقلا، يوضح فيها أنه أموى مثلهم [2]، ويبدو أن الغرض من الرسالة هو كبح جماع المعارضة فى دنقلا، والتى تشككت فى ادعاء الفونج للنسب العربى الأموى. إذ أن تاريخ هذه الوثيقة يوافق العهد الذى توترت فيه العلاقات بين الفونج والعبدلاب وساءت إلى أن أقتتل الطرفان فى معركة كركوج حيث هزم العبدلاب فهرب بعض زعمائهم إلى دنقلا، وقد أعلنوا رأيهم صريحاً فى نسب الفونج، ولم تصف العلاقات بين العبدلاب والفونج إلا بعد وساطة الولى الشيخ إدريس ود الأرباب[3].

ويتواتر الأصل الأموى كثيراً فى أشجار النسب السودانية [4]، وتروى واحدة

---

(١) انظر: الامين الفكي يوسف: مجموعة من انساب عرب السودان، ص٦ ، ٧ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص٤٤ ، وايضا،

Y.F. Hasan: The Umayyad Geneology of the Fung, S.N.R., LVL, 1965, p. 27-32. ;

مصطفى مسعد: بعض ملاحظات ، ص ٥؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٠، ١٣١ .

(٢) الشاطر بصيلي: معالم ، ص ٢٩٦-٢٧١، يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص٤٥ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ١٣٠، ١٣١ .

(٣) مخطوطة كاتب الشونة، ص٩ .

(4) C.F. Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, p. 143-145, I.D.P. Chatawaey, Notes on the History of the Fung, Vol. XIII, S.N.R. 1930, part 2, pp. 247-250, L.F. Nadler: Fung Origins, S.N.R. Vol. XIV, 1930, Part I, pp. 61-66.

الشاطر بصيلي: معالم تاريخ، ص٣١؛ عبد القادر محمود: الفكر الصوفى؛ ص٣٦، ٣٧؛ نسيم مقار: اقتصاد السودان ص ٢٣؛ محمد صالح. مشيخة العبدلاب، ص١٣١ .

منها ترجع إلى القرن السادس عشر أن الفونج من العمريين سلالة سليمان. بن عبدالله الملك الأموى الذى هرب من الشام إلى الحبشة خوفا من بطش العباسيين، حتى اضطروهم للهجرة إلى السودان، حيث تزوج سليمان بنت الملك وانجب منها ولدين هما داود وانس او أودون وأونسة كما يعرفان محليا[١]. وليس فى المصادر المعاصرة ما يؤيد هذه التفاصيل، إلا أن ابنى مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية وهما عبدالله وعبيد الله هربا فى نحو ألفين من أتباعهما لبلاد النوبة بعد أن سقطت الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٨م [٢]. ولم يسمح لهما ملك النوبة بالبقاء فى بلاده خوفا من اثارة حفيظة العباسيين عليه، فقررا العودة إلى الحجاز عن طريع باضع وفى طريقهما عبر بلاد البجة قتل عبدالله فى جماعة من أتباعه وعبر عبيد الله البحر الأحمر إلى الحجاز. ومن ثم فليس هناك ما يؤكد بقاء فئة منهم منذ ذلك التاريخ [٣].

وتضيف رواية للسمر قندى أن ذرية أنس وداود تكاثرت بالسودان[٤] وتؤيدها رواية الفقيه أحمد بن الفكي معروف التى ذكرناها من قبل وأن ذرية عمرو بن سليمان الأموى تصاهرت مع سكان لولوة من بلاد الهمج «حتى صارت مثلهم فى جميع الأحوال[٥]».

وتذكر مخطوطة فيينا فى إيجاز: «وقيل أنهم من بنى أمية الذين هربوا من العباسيين أو من بنى هلال[٦]». وقد تشكك بروس فى إدعاء ملك الفونج النسب إلى

---

(١) النور عنقرة، ص ٥٧٤، MacMichael, Arabs, II, p. 36, يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٤٦؛ مصطفى مسعد: بعض ملاحظات، ص ٧، ٨ .

(٢) انظر: المسعودى: التنبيه والاشراف، جـ١ ، ص٢٨٥، ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الدهور، مخطوطة ص ٢٢ب ، ٢٣ أ؛ ابن الجوزى: تنوير الغبش فى فضل السودان والحبش، ص ١٢٨-١٣٣، القزوينى: آثار البلاد، ص٢٥؛ ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١ ، ق١، ص٣١، ٣٢، الشاطر بصيلى : معالم تاريخ : ص ٤٨، ٤٩؛ حسن إبراهيم: انتشار الإسلام ص ١٤٤، كرم الصاوى: التطور الاجتماعى، ص ٣١٩ .

(3) Y.F. Hasan: Arabs, p. 29-30, 173-174.

(4) C.F.Y.F. Hasan: Arabs, p. 29-30, 173-174.

(٥) انظر نسبة اسحاق محمد شداد بكتاب MacMichael, Arabs, Vol. II, p. 104, MacMichael, Ibid, Vol. II, p. 436.

(٦) مخطوط فيينا, National bibliothek, Mc Mixt 677 a, ورقة ٣أ .

الامويين قائلاً: أن تجعيد شعره، وفرطحة قسمات وجهه، وسواده يدلان على أنه من الشلك[١]. ومع وجاهة ما أثاره بروس من تشكك فاننا نخطئ اذا اعتقدنا أن عروبة المرء تقاس بشكله وبلون بشرته.

وقد رأينا كيف أظهرت أوراق النسب أن الاختلاط كان كبيرا حتى ذاب الأصل العربى فى الوطنيين ولم يعد هناك ما يميزهم عنهم.

ولاشك أن العرب والشعوب المستعربة من سكان مملكة الفونج قد لاحظت أن هناك اختلاف عرقى بينهم وبين الفونج وتوفرت لهم من الأدلة مما حدا بود ضيف الله إلى أن يتحدث فى جلاء مميزاً بين ملوك الفونج وملوك العرب[٢].

وقد فطن بعض النسابة السودانيين لهذا الفرق، ولم يوافقوا على ما ذهبت اليه أغلبيتهم من أن الفونج من أصل أموى، بل آثروا أن يقرنوهم بشخصية أسطورية من بنى هلال تعرف بحسن الهلالى ابن هلال وهو بن أمة سوداء، ويفهم من هذه الروايات المضطربة[٣] أن حسن هذا أنجب ولداً اسمه دوكه، وهو جد الفونج، وعدد من القبائل الوطنية مثل الشلك، والدنيكا، وفنقرا وكيرا[٤].

ويعتقد ان الروايات الوطنية متمثلة فى أشجار النسب تحمل نواة صادقة لصلة بين سكان جبال الفونج وبين العرب المسلمين، وربما كان الفونج.

وهو رأى أميل إلى ترجيحه، فئة من عرب جهينة الذين أشار إليهم ابن خلدون من قبل ببلوغهم أطراف الحبشة(٥).

وينبغى ألا نبالغ فى أهمية التفاصيل التى تتحدث عن الأصل الأموى أو الهلالى، وأن تأخذ هذه الأخبار فى حذر شديد اذ إنها تؤرخ لصدى صلة تعود إلى

(1) Bruce, VII,p. 90.

(٢) ود ضيف الله: الطبقات، ص ٦١، ٩٠ .

(3) C.F: MacMichael, Op.Cit. Vol. II, p.27, Tree Opposite Page 145.

(٤) ولعل النسابة قد اخطأوا عندما جعلوا كيرا هذا، وهو اسم الاسرة الحاكمة فى دارفور صلة مع هذه القبائل، وربما كان سواد البشرة هو الجامع بينها، انظر يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص٤٧ .

(٥) ابن خلدون: العبر، جـ٥ ، ص٤٢٩،

C.F: Paul, A. :Some Aspects of the Fung, Sultanate, S.N.R. XXXV, 1954, pp. 17-19.

القرن الثامن الميلادى، وحتى لو صدقت هذه الصلة فان شدة الاختلاط بين العرب الوافدين والسود من الوطنيين أزالت كل ما يميز الأوائل عن الأواخر.

وارتبط الأصل الأموى للفونج بالحبشة أيضا، فهناك شبه اجماع بين الروايات السودانية على أن أجداد الفونج من الأمويين قد اتخذوا من الحبشة موطناً لهم[١].

- الأصل الشلكاوى:

كان أول من ربط بين الفونج والشلك هو الرحالة جيمس بروس (١٧٣٠-١٧٩٤م) الذى زار سنار عام ١٧٧٢م وجمع ما كان متداولاً عن أصل الفونج من رواة مختلفين وعلى رأسهم أحمد سيد القوم، مدير شئون القصر الملكى أو رئيس الخدم. وانتهى إلى أن الطبقة الحاكمة فى مملكة الفونج هى فرع من قبيلة الشلك[٢]. وقد عارض هذه النظرية شاتوى ونادلر، وتصدى آركل لهما مدافعاً عنها معتمداً على مصادر أخرى، إلا أنه تحول عن رأيه الأول وعدل فيه[٣].

وخلاصة رواية بروس أن أمه من السود تعرف بالشلك، تقطن فى الشواطئ الغربية للنيل الأبيض على خط عرض ١٣ شمال انقضوا بزوارقهم على الولايات العربية وهزموها فى معركة أربجى. وأن أول سلاطينهم هو عمارة بن عدلان الذى أنشأ المملكة، وبنى سنار حاضرة لها. وعند قيام هذه المملكة كان الملك وكافة الشلك عبده اوثان ولكنهم سرعان ما أسلموا. واتخذوا كلمة الفونج التى فسروها لتعنى سادة،

(1) C.F.: Chataway, J.D.P.: Op. Cit., pp. 247-258, Nadler, L.F.: Fung Origins " S.N.R. XIV, pp. 61-6. J. Ludolphus, ; A New history of Ethiopia, Londan 1682, p. 87, 388.

وانظر ايضا: الشاطر بصيلى: معالم ، ص ٢٨ ، ٣٤، يوسف فضل: المقدمة ، ص٤٨،

Crawford: Op. Cit., p. 146-155. Holt : Op. Cit., J.A.H. IV, I, p. 45.

(2) Bruce, J.: Travels, Vol. IV, B. VIII, 1805, p. 458.

(3) Crawford: Op. Cit., PP. 143-144. Arkell: Fung Origins, S.N.R., PP. 208-243.

يوسف فضل: القتل الطقسى، المجلد الثانى، العدد الاول ، ص ٣٢، ٣٣، المقدمة، ص٥٠،

C.F.: Chataway: Sudan Notes, Vol. XIII, p. 116. Nalder: S.N.R. Vol. XIV, Part I, PP. 61-66.

غزاة أو مواطنين أحرار، واعتذر بروس عن عدم تمكنه من اعطاء تفسير دقيق لهذا اللفظ لجهلة بلغة القوم، وقال أنها تطلق فقط على الوافدين من (أو من ولدوا فى) المنطقة الشرقية للنيل الأبيض[١].

ويؤخذ على هذه النظرية أنه لم يرد ما يؤيدها فى المصادر المتقدمة، ثم ان طبيعة العلاقات العدائية بين الفونج والشلك تجعل من المتعذر قبول هذه النظرية[٢].

أما قول بروس من أن ملك الفونج وشعبه من الشلك كانوا وثنيين وإنهم اعتنقوا الإسلام فهذا يمكن الرد عليه برواية روبينى التى أجمعت على أن الملك كان مسلما منذ قيام مملكة الفونج[٣].

لهذا كله وإن تعذر علينا الوصول إلى رأى قاطع حول الأصل الشلكاوى فإن هذه النظرية من القوة بحيث لا يمكن تجاهلها، وإنه وإن تعذر أيضاً اثبات وجود صلة عرقية بين الشلك والأسر الحاكمة فى مملكة الفونج فهذا لا ينفى وجود وشائج ثقافية ولغوية بين الشلك والشعوب التى تسكن الجزء الجنوبى من مملكة الفونج[٤]، والتى تعرف بمنطقة فازوغلى أو جبال الفونج والتى توصلنا إلى أنها مهد الأسرة التى أنشأت تلك المملكة.

- **الأصل البرناوى:**

عدل آركل سنة ١٩٤٦م من تأييده المطلق لنظرية الأصل الشلكاوى مفضلاً موطناً فى مملكة البرنو[٥]، والتى ترتبط نشأتها الأولى بهجرة عربية، وقد اتجه آركل

(1) Bruce, VI, 370-72, VII, 96.

(٢) نجد بعض التأييد فى مصادر متأخرة ولكن يجب ان نأخذها بالحذر واولها ماالاحظناه من قبل ان بعض النسابة لم يستطيعوا التوفيق بين سواد بشرة الفونج وادعائهم نسبا عربيا امويا فربطوا بين أصل الفونج والشلك والدنيكا.

C.F.: Evans Pritchard: Op. Cit., S.N.R. XV, p. 58;

انظر : شجرة نسب النور عنقرة، ص ٥٦١،

MacMichael, Op.Cit. Vol. II, p.278;

يوسف فضل: القتل الطقسى ، ص٣٢-٤٢.

(3) Hillelson,S.: David Rebeni an early vistor of senner, S.N.R.XVI, pp. 55-60.

(4) Crawford: Op. Cit., P. 157, Evans-Pritchard: Op. Cit. S.N.R., XV, 1-61.

(5) A.J.Arkell: More about Fung Origins, S.N.R. XXVII, 1946, p. 87-98.

إلى ذلك الرأى بعد أن جمع قدراً من الروايات المتداولة فى دارفور عن صلاتها بمملكة كانم أو برنو، وعلى أثر اطلاعه على مخطوطات عن تاريخ مملكة برنو التى ترجمها ونشرها بالمر. وخلاصة رأيه أن سلطان برنو عثمان بن كادى (قاضى) ابن ماى داوؤد لما هزم فى سنة ١٤٨٦م على أثر نزاع حول العرش شق طريقه إلى حوض وادى النيل حيث تمكن هو أو أحد من سلالته من السيطرة على الشلك أولا، ثم مملكة سوبا ثانيا[١]. ويسوق آركل بعض الشواهد التى تؤيد نظريته فيقول أن البرنو والفونج يدينون بالمذهب المالكى[٢]، وان أسم عمارة ومشتقاته يكثر ذكره فى قوائم ملوك البرنو [٣]، ولكنه غفل عن أن المذهب المالكى قد دخل مملكة الفونج من صعيد مصر، وان تلك المملكة قد تأثرت مؤخراً بهجرة بعض العلماء من المغرب. ولا شك أن هذه الصلة الثقافية لا تقف دليلاً على وحدة الموطن، كما ان تشابه الأسماء ليس دليلا قاطعا على وحدة الأصل.

وقد تعرضت هذه النظرية لنقد من الأستاذ هولت[٤] خلاصته أن المصادر الخطية التى اعتمد عليها آركل لا تؤيده فى كل ما ذهب إليه، وقال أن واحدة من المخطوطتين اللتين تؤرخان لملوك البرنو لا تذكر شيئاً عن طرد عثمان بن كادى من بلاده. ولكن بالمر يضيف أنه قيل ان عثمان قد مات فى مكاده أو ماكده[٥] أى شمال كردفان والتى هرب إليها معظم سلالة داود فيما يبدو.

وتوصل الأستاذ هولت إلى رأى جديد على ضوء ما جاء فى مخطوطة الشونة، نسخة فينا التى تحوى معلومات جديدة فى هذا الموضوع، وسأكتفى بمناقشة الجزء الذى يتحدث عن أسطورة الغريب الحكيم ونلاحظ ان هولت يبعد الفقرة التى تروى ما قيل ان الفونج من بنى أمية أو من بنى هلال على أنها اقحمت على النص[٦]. وتقول

(1) H.R. Palmer: History of the first twelve years of the reign of Mai Idris Alooma of Barnu, 1571-1585) by his Imam Ahmed Ibn Fartua.

(2) Arkell: A history of the Sudan to 1821, pp. 206-209.

(3) A.J. Arkell: A history of the Sudan, pp. 206-209.

(4) Holt : Op. Cit., J.A.H. IV., I, p. 40-42.

(٥) يقرر آركل ان مكادة تعنى سنار وليس الجزء الغربى من الحبشة كما هو معروف او شمال كردفان.

Arkell : Op. Cit., p. 209.FF.

(6)Holt : Op. Cit., J.A.H. IV., I, 40-42.

المخطوطة بعد أن تعرض أن بداية الفونج كانت بلول «والشايع ان كبارهم يجتمعون عند كبيرهم، ويأتون بالطعام فأكل من سبق أكلوه[١]، ويقيمون بجيلي، حتى قدم رجل من السافل فنزل بينهم ونظر احوالهم، فأشار عليهم وصار كلما جاء طعاما حتى يجتمع ويفرق عليهم. فكانوا يأكلون ويفضل الباقي، فقالوا رجل مبارك لم يفارقنا فزوجوه بنت ملكهم وولدت ولدا. فلما نشأ وكبر مات جده فاتفق رأيهم أن يجعلوه محل جده ويتبعوه الكل، ففعلوا ذلك ولذلك سموا بالأنساب[٢].

ربط هولت مجئ هذا الرجل المبارك وتعليمه لسكان لول آداب أكل الطعام بأسطورة الرجل الغريب الحكيم الذى يفد من وسط حضارى عريق إلى منطقة متخلفة والتى مثل لها بملوك الفور وتقلي والنابتاب[٣]. وتعكس هذه الأسطورة وجود علاقات ثقافية بين مهد الحضارات النوبية على وادى النيل ومناطق أخرى ربما فى عهد سابق لانتشار الاسلام فى المنطقة المتخلفة.

ولرواية مخطوطة كاتب الشونة والتى يرجح هولت إنها سجلت من روايات شفوية، ولكنها غنية بالتفاصيل مع كثرة اختلافها فى الأخبار التى جمعها نادلر منذ عهد قريب[٤].

وأخيرا هناك شبه اجماع بين هذه الروايات على أنه عربي مسلم وربما كان أمويا وترجح خلاصة آراء ابن خلدون حول هجرة جهينة انهم قد بلغوا أطراف الحبشة الشمالية الغربية أو الجزء الجنوبى من سودان وادى النيل.

هكذا تم ميلاد هذه الممالك الاسلامية اوائل القرن السادس عشر الميلادى على أنقاض مملكة علوة المسيحية.

---

(١) رسمت فى الاصل الكلوة .Ibid

(٢) اى الاصهار وهو تفسير خطأ والصواب الاونساب نسبة الى أونسة جد الفونج.

(٣) الاسرة الحاكمة من البنى عامر وفد وفد جدهم من ديار الجعليين،

Holt : Op. Cit., J.A.H. IV, 49-55.

(4) L.F. Nadler: Fung Crigins, S.N.R. XIV, 1931, 63-64.

وانظر يوسف فضل: المقدمة ، ص ٥٨.

الفصل الرابع

النتائج الاقتصادية
لسقوط ممالك النوبة

- الزراعة وتربية الحيوان
- التعدين.
- الحرف والصناعات التقليدية.
- التجارة.
  - الرقيق - أهم السلع النوبية
  - التجارة الكارمية.
  - الاتصال التجارى بين عيذاب ومقرة وعلوة.
  - المعاملات التجارية.
- طرق القوافل.
  - الطرق المؤدية إلى أهم الثغور النوبية على البحر الأحمر

أدت عملية سقوط ممالك النوبة المسيحية إلى نتائج اقتصادية هامة فى المنطقة، وسوف نعرض فيما يلى لأهم هذه النتائج فى مجالات الزراعة وتربية الحيوان، والتعدين والصناعة، والتجارة، وطرق المواصلات.

الزراعة وتربية الحيوان:

الأرض..

عندما وقعت الحروب بين العرب والنوبة[١]، أبدى خلالها السكان الوطنيين مقاومة عنيدة، استمرت عدة قرون، فإن هذه الحروب كانت معول هدم وتخريب. تقول روايات النوبة غير المدونة أن النوبيين عندما أدركوا أنه لا خلاص من العرب وأنهم لابد آتون أخذتهم الغيرة على سواقيهم[٢] وعلى أراضيهم واستكثروا أن تكون لغيرهم فخربوا السواقى والسدود، وتركوا بلادهم وهاجروا الى الغرب[٣].

إن هذه الرواية لابد أن تكون صدى لواقعة حاسمة هزم فيها النوبيون، ومن ثم اضطروا إلى ترك ديارهم وأرضهم بعد أن خربوها حتى لا تقع فى أيدى العرب.

ولكن الشاهد الأكبر على صدق الرواية ان بعض السدود ماتزال خربة إلى اليوم[٤]، وان بعض الآبار القديمة التى حفرت من جديد وجدت مخربة فى بعض

---

(١) جاءت هذه الحروب بعد استقرار القبائل العربية فى مصر منذ عهد عمرو بن العاص حتى العصر المملوكى. أنظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ص ٥٨، ٥٩؛ البلاذرى: فتوح البلدان، ط بيروت ١٩٧٨م، جـ١، ص ٢١٤ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ط ليدن ١٩٦٧، ص ٨٢؛ ابن بطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت ١٩٠٩، ص ٢٥، الكندى: الولاه، ص٨، المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٨٩، وأنظر: المسعودى: التنبيه والاشراف، ص ١٥١، حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، ص ٣٠، أنظر سقوط مملكة المقرة فى الفصل الثانى من هذه الدراسة.

(٢) جاءت الساقية إلى السودان فى حوالى القرن الثانى الميلادى، وعلى الأخص فى النوبة السفلى ومع ذلك فأن أثرها على اقتصاد المرويين لم يكن بقدر ما كان فى الشمال لان اعتمادهم منذ البدء كان على أرض البطانة الغنية بمراعيها ووديان الخريف الخصبة التى كانت تمتلىء بمياه الخريف وتعطى الخير وافر وكانت الامطار الموسمية كافية بقدر مناسب للمراعى فى السهول والزراعة فى الوديان. أنظر: محمد ابراهيم ابو سليم: الساقية، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، ط الأولى ١٩٨٠، ص ٢٠٠، مصطفى مسعد: بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ مملكة الفونج الاسلامية، ص ٤ .

(٣) محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٦ .

(٤) محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

أطرافها، فى حين أن بعض الآبار الأخرى كانت مطوية بالتراب دون تخريب، وقد أحكم اغلاق سراديبها حتى لا ينفذ إليها الماء(١).

ونتيجة للهجرات العربية المتتالية تغير التركيب البشرى فى أرض النوبة تغيرا يكاد أن يكون كاملا، فتعرضت أرض النوبة العليا لموجات كبيرة من العرب المهاجرين، وأصبحت موطن مجموعة القبائل الجعلية(٢).

وقد أندمجت العناصر النوبية فى هذه القبائل اندماجا كليا. وقد اجتمعت كلمة بعض القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع وكلمة الفونج بقيادة عمارة دونقس فى بداية القرن السادس عشر فخربوا سوبا، وأسقطوا دولة النوبة المسيحية العليا(٣).

وفى منطقة دنقلا دخلت عناصر عربية كبيرة، وسار الاستعراب خطوات أبعد، وكانت دنقلا مقصد المسلمين الأوائل فى غزواتهم، وقد سقطت فى أيديهم نهائيا فى عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م(٤). وكانت جماعات من عرب جهينة قد حطت رحالها فى النوبة السفلى، ففى ما بين الشلال الأول والثانى نزلت الجوابرة(٥)، أحفاد جابر الصحابى، والغربية، وبين الشلال الأول والسبوع نزل الكنوز، وبين الشلال الثانى وجبل دوشة نزل جماعة من الأشراف، وبين دوشة والشلال الثالث نزل قوم يقال انهم ينتسبون إلى قريش أو كما يقولون أنهم من الأوس والخزرج وهم المحس(٦).

ولكن الأتراك طردوا الجابرية خصوم الغربية فلحقوا بدنقلا ولم يبق منهم بالشمال إلا القليل، ثم جاءت عرب القراريش وجماعات من الكبابيش والبشارية والأتراك.

---

(١) المرجع نفسه: ص ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

(2) c.f. Henderson, K.O.D.: Fung Origins "S.N.R. XVIII, Part 1, 1933, p. 150; C.F. MacMichael A history of the Arabs in the Su- مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص ٤ dan, Vol. 1, pp. 240-241. وانظر أيضا كمال دسوقى : مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق، ص ص ٦١، ٦٢.

(3) A.E. Penn: Traditional Storia of the Abdallab tribe, S.N.R. XVII, 1934, [. 6-62 FF; تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط Misc, 1/15/191، ورقة ١٧، ١٨ ، انساب عرب السودان، مخطوط Misc1/18/198 ص١٩، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب مخطوط Misc 1/20/232 ص١، ٢ .

(٤) ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور، ورقم ٣٠٩ (ب)، ٣١٠(أ)، فانتينى: مرجع سابق، ص ١٧١، ١٧٢ .

(٥) أنظر الطبقات : ص ٢٢٥، ٢٥١، Crawford: op. Cit., p. 39

(٦) تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٨، ١٩، محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٨ .

يقول الدكتور أبو سليم «وقد أنصهرت كل هذه العناصر مع العنصر النوبى فتكلمت بلسانه، وأخذت بعاداته وها هنا نجد تنوبيا لا استعرابا، وان كانت اللغة العربية تتقدم والمؤثرات العربية تزداد مع معدل التعليم والاحتكاك مع الخارج[١]».

وحسب تقسيم السلطة الذى تم بين الفونج والعبدلاب[٢] فقد كان من نصيب العبدلاب ما كان يعرف بالنوبة العليا والنوبة الوسطى [٣] فاداروا بعض جهاتها بشكل مباشر، بينما تركوا الجانب الأكبر منها لزعامات محلية تحكم باسمهم مثل قبائل الجعليين والميرفاب والرباطاب والمناصير والشايقية ودنقلا والخندق وأرقو. وكان الحد الشمالى لسيادة الفونج قرية حنك[٤].

وخضعت الأرض الواقعة ما بين حنك واسوان لحكم الكشاف الغزوهم سلالة القوة العسكرية التى أرسلها سليم الأول بقيادة قوش حسن، وهم الذين استقروا فى قلاع اسوان وابريم وصاى[٥].

وقد أورد الرحالة بوركهارت إشارات تدل على تسلط الكشاف وحكمهم الظالم وفى ذلك يقول: أن تخريب الكشاف وظلمهم جعل بعض المزارعين يهربون تاركين حقولهم وأن تسلطهم قد أدى الى بوار جانب كبير من الأرض حتى أن ما زرع فى أبريم وما حولها يبلغ نحو خمس الاراضى فقط[٦].

---

(١) أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٨ .

(٢) انظر: تاريخ ملوك السودان، ص ١ واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط، ص٢، Traditional storia of the Abdallab, S.N.R., p.16-62. تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ص ١٧-١٩، مخطوط كاتب الشونة، ص ٧ .

(٣) أنظر طبقات ود ضيف الله، ص ٥، واضح البيان، ص ٢-٣، تاريخ العبدلاب (مخطوط مجهول المؤلف، ص ٢. تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ص ٢١، Traditional stories of the Abdallab tribe, S.N.R., p. 61-62. وانظر كذلك : وثيقة منشورة خاصة بأوقاف مشيخة العبدلاب فى المدينة المنورة، نشرها د/ أحمد عبد الرحيم نصر، الأغوات، ص ١٧، ٧١ .

(٤) أنظر ما سبق ذكره عن أصل الفونج، ص وانظر كذلك الخريطة شكل (٩)، (١٠).

(٥) انظر: عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، جـ١، ص ١٦١، صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية، ط دار المعارف، ص ٩٩ .

(٦) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٠ .

ومما يذكر أن ثروة الفرد فى النوبة السفلى كانت تقاس بما يملكه من السواقى[1] وفى ذلك دلالة على أهمية الساقية كمصدر للثروة وأساس للمكانة الاجتماعية[2].

ويقول بوركهارت أيضا أن عدد السواقى فى المنطقة الواقعة ما بين أسوان وحلفا كان يبلغ نحو ست، أو سبع آلاف ساقية، وقد رعدد سكانها بنحو مائة الف نسمة[3]. وفى هذا دليل على إرتفاع الكثافة السكانية وقتذاك.

وقد ذكر أن الأرض فى بلاد النوبة وما والاها جنوبا على ضفاف النيل حتى سنار لا تقدر بالفدان كما يفعلون فى مصر والشام، وإنما يتم ذلك على أساس السواقى[4]، وكما يقول فإن بعض الأثرياء كانوا يملكون عددا من السواقى، بينما كان ستة أو ثمانية من المزارعين الفقراء يشتركون فى ساقية واحدة، وتروى الساقية الواحدة من ثلاثة إلى خمسة أفدنة، وتحتاج إلى ثمانى أو عشر دواب. وحين تنتج الزراعة فان الساقية تغل من القمح أو الشعير من ثمانين إلى مائة أردب[5]. وهذا فيما اعتقد مبالغ فيه إلى درجة كبيرة فلو قال ثمانية إلى عشرة اردب أو ٨٠ إلى ١٠٠ مر، وهو المكيال المعتمد عذد النوبيين- لكان أقرب إلى التصديق، وقال إن نسبة ما يزرع من القمح والشعير الربع قمحا وثلاث أرباع شعيرا، ونراه هنا قد عكس الآية[6].

---

(١) دلت الحفريات على وجود آثار للسواقى باقية وهذا يعنى أن النوبيين حاولوا استغلال كل بقعة من الأرض، ومثل هذا لا يكون إلا عند الكثرة والقنوات التى شقوها كانوا يهدفون من ورائها زيادة الرقعة الزراعية وهى أيضا دليل على الكثرة كذلك السدود التى انشئت بغرض ترسيب الطمى، هكذا تطورت الساقية تقنيا فى أرض النوبة، وانتشرت على طول أرضها، وأنها كانت من الكثافة بحيث تؤول مجتمعا عالى الكثافة وان استعمالها ظل موصولا بغير توقف، انظر أبو سليم: الساقية ص ٢٠٦ .

(٢) أنظر بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٠ : محمد ابراهيم أبو سليم: الفور والأرض، ص ٨٥ .

(٣) أنظر: بوركهارت: رحلاته، ص ص ١١٩، ١٢٠ .

(٤) نفسه، ص ١١٩ .

(٥) نفسه، ص ٢٦، ١١٩، وانظر أيضا: محمد ابراهيم أبو سليم: الفور والأرض، وثائق تمليك، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م، ص ص ٦٤، ٦٥، C.F.: Matthwes, J. G.: Land Customs and tenures in Singa District, S.N.R. Vol. IV, 1921, p. 1-19.

(٦) بوركهارت: رحلاته، ص ٥٠، أنظر كذلك عن المكاييل. وثيقة رقم (١٢) من وثائق قصر ابريم. انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٨).

وقال بوركهارت عن الضريبة على السواقى انها كانت متفاوتة حسب الجهات، ففى حلفا كانوا يدفعون عن الساقية سنويا ستة من الغنم السمان، وستة أمدام من الذرة، وهى ما تبلغ أقل من نصف الربع؛ وهذا المقدار ضئيل ويعتقد ان بوركهارت قد أخطأ التقدير ايضا، ولو قال ستة وهو ما يبلغ ثلاثة أرباع لما بعد عن الصواب، وقال أنهم فى المحس يعطون عن الساقية سنويا ستة من الغنم وأردبين من الذرة وثوبا من الكتان[١].

وقد رد ظاهرة كثرة النخيل فى السكوت أكثر من غيرها إلى أن حكامه لم يكونوا يفرضون عليها ضرائب ثقيلة كالغلات الزراعية الأخرى، إذ اقتصروا على أخذ سباطتين عن كل نخلة مثمرة بصرف النظر عن مقدار التمر الذى يحمله، ولكن أخذ سباطتين من كل نخلة فى اعتبارنا كان كثيرا و ثقيلا فالسباطتان من البلح، والاردبان من الذرة تزيد عن المعقول وما نحسب إنه يعنى بالكتان إلا الدمور[٢].

وفى كتاب الطبقات ترد أشارات وان كانت مقتضبة إلى الساقية وبعض ما يتصل بها. ففى خبر حسن ود حسونة جاء قوله: «فوجدت رواسى عنده مركب فادخلنى فيها فجيت طالب خلوتى، فوجدت أبى يكسر ألس ساقيته[٣]».

وجاء فى خبر عيسى ولد ابو سكيكين: «فالعنقريب تحته تكسر. البقر الفوق الكوديك شرقا وغربا قطعت حبالها وجرت[٤]».

وقد أورد الدكتور يوسف فضل فى تحقيقه للطبقات شرحا لبعض المصطلحات المتصلة بالساقية والتى وردت فى الطبقات ومنها الالس[٥] والتربال[٦] والترس[٧].

(١) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٠، الفور والأرض، ص ص ٦٢، ٦٣، C.F.: Matthwes, J. G.: Land Customs and Tenures in Singa Distriet, S.N.R. Vol. IV, 1921, p. 1-19.

(٢) رحلات بوركهارت، ص ١٢٠ وما بعدها. FF

(٣) الطبقات: ص ١٣٤ .

(٤) الكوديق: هو الزريبة أو الصريف أو الراكوبة الظليلة وهى كلمة دنقلاوية ومعناها السور من الطين والحطب التى يربط فيها الثور أو البقر ويعنى عند الشايقية الحفرة التى تحفر ملاصقة للشاطئ وتملأ بواسطة قناة تربط بينهما، ومن هذا الكوديق تملأ قواديس أو جرار الساقية ماءا عند دورانها والبقر فوق الكوديق، يشير إلى البقر التى تدير الساقية. أنظر: الطبقات، ص ٢٦٥، حاشية (٨).

(٥) ألس ساقية. الألس حبل غليظ تشد عليه قواد يس أو جرار الساقية ويصنع من الدهسير، وهو نبات كالبردى، ويصنع أيضا من الاشميق أو الحلفا، أنظر: د/ يوسف فضل: الطبقات، حاشية رقم (١٨) ص ١٣٤ .

(٦) التربال: هو الفلاح أو المزارع، ويعتقد د/ يوسف فضل أن الكلمة من أصل نوبى/ تُربا، وتعنى فى كردفان الولد الصغير. انظر يوسف فضل : الطبقات حاشية (٢٥)، ص ٢٩٤، انظر كذلك محمد ابراهيم ابو سليم: الفور والأرض، ص ٥٠ .

(٧) الترس: عبارة عن حاجز من التراب يكوم ليحجز مياه الأمطار فى منطقة خاصة لتروى الأرض جيدا فتزرع، ومنطقة الزراعة المطرية هذه تسمى، ترس أيضا. أنظر يوسف فضل: الطبقات، حاشية رقم (١١) ص ١٢٧ .

هذا ولا تعطى المصادر العربية قدرا من الاهتمام لسواقى النوبة، خلال فترة العصور الوسطى، غير أن أبى صالح الأرمنى عند ذكره لبجراش قال: «إنه في اليوم السابع من برمودة تظهر مدينة بحصن وساقية تدور على باب الحصن، وشجرات جميز، وبقر يشربون من حوض الساقية، ويقيم ذلك ساعتين من النهار، ثم بعد ذلك تختفى ولا يرى مكانها شيء[١]». وفى موضع آخر نجد أن كنز الدولة قد أجاز رجلا على قصيدة بألف دينار وساقية تساوى ألف دينار[٢]، ويعتقد إن هؤلاء أهملوا ذكر السواقى لإنهم ألفوها فى مصر كثيرة ولم يروا فى أمرها غرابة تغريهم أو تثير فضولهم فأهملوها على قاعدة اهمال المألوف.

وترد فى كتاب الفونج اشارتان إلى السواقى، ففى الوثيقة الثالثة يتصدق السلطان بادى بن نول بقطعة أرض هى ساقية الشقايق إلى السيد عبد الهادى ابن محمد دوليب [٣]. وفى الوثيقة الثالثة عشر يتصدق الشيخ حمد بن على بقطعة أرض «تبلغ مساحتها عشرة أعواد بأبوا ثمانية[٤]».

وقد أشار اليها بساقية عبد الكريم. ومن الواضح أن الصدقة فى الحالتين قطع من الأرض لا آلات الساقية، وهى دليل على أن السواقى كانت تعمل فى منطقة النوبة الشمالية.

وفى السنوات الأخيرة اكتشفت وثائق كثيرة ترجع الى عهد الفونج وهى تتعلق بالأرض، كوثائق فقرى الدامر مثلا، اذ تشير الى ملكية أراضى السواقى وانتقالها من طرف الى آخر او بقائها فى جهة بعينها[٥].

---

(١) انظر أبى صالح الأرمنى: تاريخ الشيخ أبى صالح، ط أكسفورد ١٨٩٤، ص ١١٩ .

(٢) أبى صالح الأرمنى: تاريخه، ص ١١٩ وما بعدها.

(٣) انظر: محمد ابراهيم أبو سليم: الفونج والأرض، جامعة الخرطوم، ص ٦٥ .

(٤) وثائق الفونج والأرض، ص ٨٨، ٨٩، أنظر الوثيقة بملحق الكتاب.

(٥) أنظر: وثيقة رقم (٩)، (١١)، ١٤، ٢٧، ٣١، ٣٥ب، ٣٦ أ من وثائق: Arabic Documents from Qasr Ibrim. وهى تشير إلى الساقية. انظر ملحق الدراسة: اشكال رقم (٨). وانظر كذلك: وثيقة تصدق بأرض حمد بن الشيخ على قبل عام ١١٥٦هـ، وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق القومية بالخرطوم، أنظر ملحق الدراسة شكل رقم (٥) . هذا ويقرر الدكتور أبو سليم أن هناك ثلاثة اتجاهات تقوم على أساسها أوجه التملك أولا. هناك الأرض التى يزرعها الانسان بأساليبه المختلفة سواء كان ريا انسابيا، أو مطريا أو ريا بالالة كالسواقى. ثم هناك أرض المرعى وهى لتربية الحيوان لا الفلاحة، ثم هناك الغابات، وهى منفعة عامة للجماعة أو القبيلة، إلا ما ينتبه صاحب الملك فى ارضه، فإنه يصير فى هذه الحالة لصاحب الملك. أنظر: وثائق الفور والأرض (وثائق تمليك)، ص ص ٤٦، ٤٧، وانظر أيضا: معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٥١؛ مصطفى مسعد: امتداد الاسلام والعروبة الى وادى النيل الأوسط ، ص ص ٨٨، ٨٩ .

وقد بلغ من إهتمام النوبيين بمياه النيل أنهم كانوا كالمصريين يقيسون ارتفاعه وانخفاضه بكل دقة بوسائلهم البدائية، فقد كانت علاماتهم على جزع شجرة جميز عند الجندل الثانى، يعرفون منها ارتفاع منسوب النيل وانخفاضه(١).

والرى فى إقليم النيل مستديم، والخصب فى هذا الاقليم متجدد بفعل الطمى النيلى، والزراعة تجرى فيه إما بآلات الرفع كالسواقى والشواديف، وإما فى الجروف التى ينحسر عنها الماء بعد الفيضان وهى تحتاج إلى مقدرة لاستعمال الة الرفع والقدرة على توفيرها اما بصناعته محليا كما كان يحدث فى أمر السواقى، والانسان الذى يعيش هنا انسان مستقر واعتماده الأكبر على الزراعة(٢).

وفى إقليم المطر نشاهد اتساع الأرض وسهولة فى الفلاحة لأن الامطار هى التى تروى، ولا يحتاج المزارع هنا إلى القنوات، ويستطيع أن ينتقل من أرض إلى أرض جريا وراء الخصوبة. وهنا لا يوجد طمى للنيل ليوفر الخصوبة المتجددة، ولذلك تتجدد الخصوبة بفعل الطبيعة، والانسان هنا غير مستقر عموما-، واعتماده الأكبر على تربية الحيوان(٣).

ومن المعروف أن العمارة فى بلاد النوبة لم تقم إلا على شاطئ النيل، خاصة فى اقليم مريس، حيث يضيق الوادى. بينما يتسع النهر. فينقب النوبيون الأرض التى تتكشف عن انخفاض النيل لتخصيبها بالروث والطمى، وزراعة بعض المحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والذرة والدخن والسمسم واللوبيا(٤)، والفول والعدس والبصل والحمص والزيتون، والفجل وسائر البقول(٥)، ومن الفواكه النخل الذى اشتهرت به كل مناطق النوبة من حيث الوفرة والجودة، وكذلك البطيخ الذى كان يزرع بكثرة فى مناطق معينة مثل جزيرة بلاق، والأعناب ومن كل الثمرات، وربما انفردت بلاد النوبة بمحاصيل زراعية لم توجد فى مصر زمن المماليك(٦).

(١) أنظر : ابى صالح الأرمنى: تاريخه، ص ٩٨، وثائق الغور والأرض، ٤٨، ٤٩ .

(٢) وثائق الغور والأرض (وثائق تمليك)، ص ص ٤٨، ٤٩ .

(٣) نفسه ، ص ص ٤٨، ٤٩ .

(٤) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٠ .

(٥) الادريسى: المصدر السابق، ص ١٩، ٢٠ .

(٦) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٥ .

كما عرفت بلاد النوبة زراعة القطن[١]، فقد أشار أحمد بن سليم الأسوانى إلى وجود هذا المحصول فى بلاد النوبة، وفى منطقة سقلودا بالذات، وهى إحدى ولايات مملكة مقرة النوبية[٢]، وذكر أن النوبيين يصنعون من هذا القطن أقمشة بدائية[٣]، كما عرفت بلاد النوبة زراعة الأرز، فإذا ما عرفنا أن هذا المحصول يحتاج الى ماء وفير، عرفنا ان النوبيين استطاعوا الاستفادة من مياه النيل بدرجة لا تقل عما وصل اليها المصريون فى ذلك الوقت[٤].

أما عن الدورة الزراعية فيذكر بوركهارت أن سكان وادى النيل من الشلال الأول إلى حدود دنقلة يحرثون حقولهم بعد انحسار مياه الفيضان كما يفعل أهل مصر. لأن المياه بعد الشلال لا ترتفع إلى علو يغمر الوادى. وفى الجهات القليلة التى تبلغ الأرض الزراعية فيها بعض الاتساع كما هو الحال فى قستمنة وقرشة ووادى حلفا[٥]. كذلك شقت القنوات التى تحمل الماء إلى الحقول المجاورة للجبل، ولكن الماء فى هذه القنوات لا يبلغ ما يبلغه ماء القنوات فى مصر من ارتفاع يتيح رى الأراضى المنخفضة المجاورة للتلال.

---

(١) يبدو أن القطن كان من المحاصيل الرئيسية في بلاد النوبة طوال العصر المملوكي وخير دليل على ذلك ما تشير إليه المصادر المعاصرة بأن صلاح الدين الايوبى حين قام بحملته على بلاد النوبة عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م لمطاردة النوبيين انصار الفاطميين على أثر سقوط الخلافة الفاطمية، لفتت نظرة كميات القطن النوبي الوفيرة هناك فبادر بمصادرتها. انظر: أبى صالح الأرمنى: تاريخه، ص ١٠١، محمد أحمد على الحاج: انتشار الإسلام فى وادى النيل الأزرق بالسودان حتى نهاية مملكة الفونج (٩١٠-١٢٣٦هـ/ ١٥٠٤-١٨٢٠م) رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٨٢م، ص٣ .

(٢) سقلودا، تفسيرها باللغة النوبية السبع ولاة . وهى المنطقة أو الاقليم الذى يلى المريس المتأخم لارض الاسلام من الجنوب أى المنطقة الواقعة ما بين الجندلين الثانى والثالث، ويشبه أين سليم الاسوانى هذا الأقليم (سقلودا) بأقليم مريس من حيث السعة والضيق وتنوع المحاصيل الزراعية منها القطن انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص ,١٩١

(٣) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ص ١٩١، ٢٠١، السلوك، جـ١، القسم الثانى، ص ٦٢٢ .

(٤) الإدريسى: المصدر السابق، ص ,١٥ وانظر كذلك، فيرفسون: مشروع الجزيرة، مصر، ص ١٦، أحمد عثمان محمد ابراهيم: الجزيرة فى خلال المهدية رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الخرطوم ١٩٧٠م، ص ١١، محمد أحمد على الحاج: المرجع السابق، ص٣ .

(٥) أنظر: رحلات بوركهارت، ص ١٢٢؛ محمد ابراهيم أبو سليم: وثائق الفور والأرض، ص ٤٨، ٤٩ .

لذلك كان الرى فى النوبة يقوم معظمه على السواقى والنواعير[١] فما ان يهبط منسوب الماء فى النهر حتى تروى الحقول بالسواقى[٢].

أما عن تربية الحيوان، والطيور فقد اشتهرت بلاد النوبة لدى كتاب ومؤرخى العصور الوسطى بأنها مليئة بمختلف أنواع الحيوانات والطيور؛ والتى لا توجد مثلها فى أى بلد من بلدان العالم مستأنسة وغير مستأنسة[٣]، فيشير المسعودى إلى أهل النوبة بقوله: «هم أصحاب نجب، وابل وبقر وغنم[٤]»، هذا وقد لاحظ ابن سليم الاسوانى اثناء بعثته إلى بلاد النوبة كثرة اهتمام النوبيين بالحيوانات والطيور[٥]، ولم يكن الرحالة الفارسى ناصر خسرو أقل من بن سليم فى وصف ما تحتويه أرض النوبة من ثروة حيوانية[٦].

وتعتبر بلاد البجة فى الصحراء الشرقية المتأخمة لسودان وادى النيل، أكبر المناطق رعيا للإبل[٧]، فالبجة أهل بادية لا يعرفون الزراعة، وإنما هم يتبعون

(١) الساقية والناعورة آلتان مهمتهما واحدة وهى رفع المياه من الأساقل إلى الأعالى عن طريق دولاب يدور فوق موضع الماء. وهما ليسا شيئا واحدة أو آلة واحدة كما يظن، وانما هما آلتان مختلفتان هندسيا ومتفاوتتان كفاءة. فالناعورة يدور دولابها بدفع تيار الماء وتثبت دولاؤها على طرف الدولاب نفسه وهكذا لا تحتاج الناعورة الى حيوان لتحريكها أو إلى تروس لتحويل القوة المحركة. ولكنها تحتاج إلى قدر من التيار يقوى على تحريك الدولاب. والعمق الذى تسحب منه الناعورة مقيد بمقدار نصف قطر الدولاب. أما الساقية فواديسها على حبال تستند على دولاب. وهى تتحرك بدفع الحيوان. وتتحول قوة دفع الحيوان إلى الدولاب عن طريق ترسين أحدهما أفقى وآخرهما عمودى. وتستطيع الساقية ان تسحب من عمق أبعد مما تستطيع الناعورة وبذلك تستطيع أن تروى أراضى لا يبلغها ماء الناعورة. وهى لا تحتاج إلى تيار للدفع ومن الممكن أن تقام فى أى مكان حتى ولو كان على بئر. أما عن دخول الساقية فى السودان فمما لا خلاف فيها أنها جاءت من مصر فى أواخر العهد الرومانى، انظر محمد ابراهيم ابو سليم: الساقية: ص ١٩-٤٣ .

(٢) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٢، ابو سليم: الغور والأرض، ص ٤٩ .

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٧٧، ليو الافريقى: وصف أفريقيا ص ص ٥٥٧، ٥٥٨ .

(٤) المسعودى: مروج الذهب، جـ١، ص ١٦٨ .

(٥) المقريزى: الخطط، جـ، ص ١٩٤، ١٩٥ .

(٦) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص ٧٣ .

(٧) ظلت بلاد النوبة تشتهر بكثرة الابل منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث، فقد أشار بوركهارت إلى أن النوبيين يدفعون دية من يقتل عندهم جمالا أو اغناما أو ابقارا. انظر بوركهارت: رحلاته ببلاد النوبة والسودان، ص ١٢٠، أنظر أيضا عن أنواع الابل: فى أبن جبير: تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار، ص ٤٢ .

الكلأ(١) حيثما كان للرعى، وجل ثروتهم الحيوانية الابل التى لا تزال حتى وقتنا الحاضر. وأكبر سوق للجمال فى مصر يتجه إليه البجة هو سوق دراو (٢) (٣٥ كم شمال أسوان).

ويربى البجة إلى جانب الإبل والضأن والماعز قطعاناً من البقر، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نسمى البجة رعاة بقر أو بقارة بالمعنى المعروف، لأن البقر ليست هى الماشية الرئيسية لمعظمهم، وأكثرهم لم يفكر فى اقتنائها الا فى العهود الأخيرة(٣).

والجماعات التى تملك قطعان البقر، هى فى العادة نفس الجماعات التى تمارس الزراعة؛ وكثيراً ما ترى قطعانهم فى سهل البطانة ترعى العشب، وهى تشتمل على مزيج من الابل والضأن والماعز والبقر. وهكذا نرى ان ماشية البجة أكثر تجانسا فى الشمال، حيث تغلب تربية الابل ثم تزداد اختلاطا وتنوعا كلما اتجهنا إلى الجنوب(٤).

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٣ .

(٢) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٣؛ محمد رياض: العبابدة، بحث منشور بالجمعية الجغرافية ١٩٦١/٤/٢٦، ص ١٣٠، الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ١٢٨ .

(٣) محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٥٨، ٥٩ .

(4) C. MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I, pp. 240-241. كمال دسوقى: مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق، ص ٦١-٦٣، محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢١٦، ٢١٧ .

التعدين :

أما التعدين فقد كان المصدر الاقتصادي الرئيسي الذي جذب هجرات القبائل العربية وخاصة إلى وادي العلاقي في العقد الرابع من القرن الثالث الهجري[١] وكان الدعامة القوية التي بنيت عليها ربيعة إمارتها الأولى في وادي العلاقي[٢]. وقد شاركتهم في استغلال الذهب والزمرد بعض البطون والقبائل الأخرى حتى أن بعض المناجم قد سميت باسم القبائل العربية التي استغلتها أو سكنت بجوارها: مثل كلب وعجل وكاهل وبعض بطون جهينة وبني سليم ومجموعات أخرى من مضر [٣]. وقد أسهب اليعقوبي في الحديث عن أماكن وجود الذهب والزمرد في منطقة العلاقي وبلاد البجة وأشار الى استقرار بعض القبائل العربية فيها[٤].

لقد ظلت مناجم الزمرد بالنوبة تغذي الأسواق الخارجية طوال العصر الأيوبي والمملوكي [٥]، إلى أن كان عهد السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، حيث أبطله وزيره الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م تقريبا بعد أن قل انتاجه وأصبحت نفقات استخراجه تفوق بكثير قيمة المستخرج منه[٦].

وإلى جانب المعادن الثمينة، اشتهرت بلاد النوبة بمحاجرها العديدة [٧]، إلى جانب السنباذج[٨]، والشب[٩] حيث ساهمت بنصيب وافر في التجارة مع مصر كما سيأتي فيما بعد.

(١) المقريزي: البيان والاعراب، ص ص ٤٥، ٥٦؛ وأيضا: الخطط، جـ١، ص ١٩٨، حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، جـ١، ص ٣١٦-٣١٨، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ص ١١٩، ١٢٠، ١٣٥، وأيضا: البجة والعرب في العصور الوسطى، ص ٣٢، ٣٣ .

(٢) المقريزي: البيان والاعراب، ص ص ٤٥، ٥٦؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ٣٣ .

(٣) أما المناجم التي يفضي اليها من اسوان فمنها : الضيقة، البويب، البيضة، بيت ابن زياد، عد يفر، جبل الأحمر، جبل البياض، قبر أبي مسعود، عفار، الجبل عست (كذا)، كمار (كذا)، بطن داح، أعماد، ماء الصخرة، الأخشاب، ميزاب، عريه بطحا، بركان دح، سخيت، فهذه المعادن التي يصل إليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص ١٢٣-١٢٤، المقريزي : الخطط، جـ ١، ص ١٩٤ .

(٤) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٥) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٨ .

(٦) المقريزي: الخطط، جـ١، ص ٢٣٣؛ الحويري: اسوان في العصور الوسطى، ص ١١٩؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ص ٥٠، ٥١ .

(٧) انظر الهروي: الاشارات إلى معرفة الزيارات، دمشق ١٩٥٣م، ص ٤٥؛ المقريزي: الخطط جـ١، ص ١٩٧ .

(٨) السنباذج: مادة حجرية صلبة تخرط به الجواهر. المقريزي: الخطط جـ١، ص ١٩١، يحي بن ماسوية: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، الهيئة المصرية ١٩٧٧م، ص ٤٨ .

(٩) الخطط، جـ١، ص ٢٣٦، شوقي عبد القوي عثمان: العلاقات التجارية بين مصر والدول الافريقية في العصور الوسطى، رسالة ماجستير منشورة، معهد الدراسات الافريقية، ص ١٢٣ .

الحرف والصناعات التقليدية:

صناعة الخزف.. أثبتت الحفريات التى أجريت فى منطقة البحر الأحمر المصرية (١٩٧٩-١٩٨١) - عن الكشف على مجموعات من الفخار والخزف، وقد عرف «خزف عيذاب» ورغم أن الدراسات مازالت أولية لكن المعلومات التى أمكن جمعها خلال الحفريات والملاحظات التى تمكنا من تصنيف الفخار والخزف إلى مجموعات رئيسية.

المجموعة الأولى تتكون من فخار عادى محليى الصناعة غالبا، لكن لا يستبعد وجود بعضه مستوردا فالمدينة ميناء تجارى تجلب إليه البضائع المختلفة من كل الاتجاهات[1] ونأمل مستقبلا من القيام بدراسات تحليلية دقيقة مكثفة عن طبيعة هذا الفخار، وتكويناته الطينية بمنطقة عيذاب وما حولها، ومثل هذه الدراسة ستفيدنا كثيرا فى دراسة مواقع مصرية وأخرى نوبية مثل خور نبت وباضع وسواكن ومناطق كثيرة بأرض المعادن خلف بادية عيذاب التابعة لمصر المملوكية.

وأما المجموعة الثانية فهى مجموعة خزف إسلامى له مميزات معينة مزجج وملون، وقد وجد مثله فى مواقع إسلامية ترجع الى فترة القرن الثالث عشر بمصر، وسواحل أفريقيا الشرقية والشام[2].

والمجموعة الثالثة هى مجموعة مستوردة كلية ، وهى مجموعة معروفة علميا تحت اسم سلادين، والخزف الأزرق والأبيض والتى وجدت بكميات كبيرة فى مواقع إسلامية شهيرة تنتشر على سواحل الهند ومضيق هرمز والخليج العربى وساحل عمان واليمن ثم الساحل الشرقى لأفريقيا - فى الصومال وكينيا، وتنزانيا ثم فى مصر ـ وأشهر موقعين هما ميناء القصير ومدينة الفسطاط[3]، ثم نجدها بعيذاب المملوكية،

---

(١) أنظر: أحمد محمد على الحاكم: المشروع الفرنسى، مجلة كلية الاداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، ص ٤٢، انظر ملحق الدراسة. خزف عيذاب شكل (٧/٩). فخار عيذاب شكل (٧/٩). وهذا تقرير أولى عن عينات أرسلت إلى: مركز الأبحاث الأثرية معمل السراميك. المجلس القومى للبحوث الفرنسى. C.N.R.S. Centre de Re-serches Archeologiques Laboratiore de Ceramohogier, 1980.

(٢) أحمد محمد على الحاكم: المشروع الفرنسى، ص ٤٤.

(3) C.F. : G.T. Scanlon: The Fustat Moun ds. Archaeology 24, No. 3, June 1976, pp. 22-233. Donalols. Whitcomb and Janet H. Johnson: Qosier. Al Qaolini 1978. Preliminary Report American Research Centre in Egypt Cairo, 1979, pp. 104-143.

انظر اشكال من الفخار بالملاحق شكل ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨/ ١٠

وعلى ما يبدو فان هذا الخزف هو أحد مواد التجارة المرغوبة وقتذاك[١].

ويعتقد أن مصادر هذا الخزف من الصين ومنغوليا عبر الهند الصينية حيث توجد محطات تجارية بحرية فى أغلب مناطق جنوب شرقى آسيا؛ وربما كان هذا الخزف يصنع خصيصا للتجارة والتصدير، وتوجد دراسات وافرة لتصنيف هذا الخزف ووضع تصورا تاريخيا لتطوره؛ والعينات أمكن استعراضها مبدئيا تشير إلى الفترة ما بين القرن الثانى عشر والخامس عشر وربما السادس عشر أيضا [٢]. ومع ذلك فان الصورة العريضة من استعراضنا هنا تشير الى تطابقها مع وثائقنا التاريخية من ازدهار ميناء عيذاب فى تلك الفترة ؛ ومن ناحية أخرى يشير الى طبيعة عيذاب كميناء هام له ارتباطات بالعالم الخارجى من خلال صلاته بالمراكز الإسلامية فى أفريقيا الشرقية وسواحل الجزيرة العربية ثم الهند والصين[٣].

هذا ويشير كروباتشيك أن هناك شواهد كافية على التأثير النوبى فى صعيد مصر، وقد وجدت الوثائق النوبية الأكثر أهمية فى أديرة مصر، فى حين أن الاكتشافات التى تمت فى مصر تشمل أيضا قطعا كثيرة من الاوانى الخزفية النوبية المعروفة باسم خزف دنقلة وتكفى الإشارة إلى أنه توجد شواهد أدبية وأثرية كثيرة عن الصلات التجارية بين مصر والنوبة[٤].

وبنفس القدر من الأهمية عثورنا على كميات من قطع الزجاج المختلف المصادر والتى تشير المقارنات الأولية إلى مصادر خارجية مثل الإمارات الإيطالية وسواحل شرق البحر الأبيض المتوسط والهند، كما تم العثور على ما يشير بوجود صناعة زجاج أو تزجيج محلية من خلال العثور على قطع ربما بقايا أفران الزجاج خاصة وان مادة الصناعة كانت متوفرة محليا، وهذا جانب آخر لعيذاب وهو حركة

(١) أحمد الحاكم: مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥، C.F.: Adams, W.Y.,: Pottery Kiln Excavations, Kush X, 1962, pp. 62-75.

(٢) تقرير أولى عن عينات أرسلت إلى مركز الأبحاث الأثرية معمل السراميك. المجلس القومى للبحوث الفرنسى. أحمد محمد على الحاكم: المشروع الفرنسي، ص ٤٤، ٤٥ .

(٣) بشير ابراهيم بشير: عيذاب حياتها الدينية والأدبية، مجلة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الخامس، يوليو ١٩٧٩، ص ٥٤ .

(٤) كروباتشيك: النوبة من نهاية القرن الثانى عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، اليونسكو ١٩٨٨م، ص ٤١٦ .

الصناعة التى تتماشى مع دورها التجارى[١] الذى انعكس فى طبيعة العلاقة بين عيذاب ودنقله.

هذا وقد ثبت عمليا اعتماد السودانيين على قواديس الفخار، حتى احتكرت صناعتها أسرة أو بعض الأسر[٢].

ونستدل على ذلك ما ذكره ود ضيف الله بقوله: «البقر الفوق الكواديق شرقا وغربا قطعت حبالها وجرت[٣]».

كذلك من الحرف الصناعات التقليدية التى مهر فيها النوبيون صناعة الحصر والسلال والاطباق من سعف النخيل وشجر الدوم[٤]. يقول ود ضيف الله: «كنا نقرأ الرسالة عند الفقيه محمد بن مدنى، نجى لزيارته، نلقاه جالس فوق التبروقة[٥]».

وأيضا نجد أن الصناع النوبيين قد بلغوا مقدرة فائقة فى صناعة الملابس بأنواعها والجلود المتوفرة هناك يقول ود ضيف الله: «وكل سنة تاتيه جلابة من التاكة فيها القماش والعسل والفريك ويقسم ذلك على العركيين رجالهم ونساؤهم الرجل»:

---

(١) وقد درست عيذاب وروسومها إلى ان نبه الاثرى ج ثيود وربنت باكتشاف موقعها فى عام ١٨٩٦م، ونشر وصفا لاطلالها فى المجلة الجغرافية الملكية فى نفس العام. وبعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ قام اثرى آخر هوج ومرى بحفريات أولية فى الموقع كشف فيها عن المسجد وصهاريج المياه، كما توصل إلى قطع من العملات النحاسية والتى يعود تاريخ ضربها إلى عهد الظاهر بيبرس، وبعض قطع الخزف الصينى التى صنعت فى القرن الخامس عشر. ومن الأدلة التى تجمعت لديه قدرمرى عدد سكانها بألف وخمسمائة نسمة. C.F.: J. Tecodor Bent: A visit to the Northern Sudan, P. 235-356; G.W. Murray: Aidhab, p. 239; C.F.: Arkell: A History of the Sudan from the Earliest times to 1821, p. 198. كروبانشيك: مرجع سابق، ص ص ٤١٨، ٤١٩، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص٦٠، أحمد الحاكم: المشروع الفرنسى، ص ٣٠، انظر موقع عيذاب على الخريطة بملحق الدراسة شكر رقم (٤).

(٢) محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ١٣٢.

(٣) الكوديق وهو مفرد ما اثبتناه، والكوديق هو الزريبة أو الصريف أو الراكوبة الظليلة وهى كلمة دنقلاوية ومعناها السور من الطين والحطب والتى يربط فيها الثورا والبقر ويعنى عند الشايقية ومن هذا الكوديق تملأ قواديس الفخار أو جرار الساقية عند دورانها: أنظر: يوسف فضل: حاشية كتاب الطبقات رقم (٨)، ص ٢٦٥.

(٤) انظر: ابو سليم: المرجع السابق، ص ١٣٤، ١٣٥، انظر شكل رقم ١١/١٠ بالملاحق.

(٥) التبروقة برش للصلاة مستدير الشكل يصنع من السعف ويكثر صنعه فى منطقة الدامر - قباتى (شمال المحمية) والكلمة ليست عربية وربما كانت نوبية أو مروية. يوسف فضل: الطبقات، ص ٢٦٦، حاشية (٩).

ثوب منيرى [١] وثوب أبيض والمرأة : ثوب دنقسى[٢]، وقرن [٣] وهو من ملابس الفتاة يوم الزفاف.

وكانت الجلود تستعمل فى أدوات الزينة عند المرأة النوبية حيث تقوم بربطها فى شعر رأسها، ونوع الجلود المستعمل هنا نوع خاص من الجلد ذو رائحة قيل أنه من جلد الغزال[٤].

كما أن هناك شواهد تدل على أن كثيرا من الحلى والمصوغات النوبية وتصميمها وزخارفها جاءت وليدة للفكر الإسلامى ومستوحاة من الرموز الإسلامية تلك الرموز التى يبدو أن أهمها قد دخل بلاد النوبة مع الجنود الاتراك الذين أرسلهم سليم الأول إلى النوبة عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، وكانت أولى هذه الرموز أو أهمها على وجه التحديد الهلال والنجمة ذات الستة أطراف[٥].

تلك هى بعض الصناعات الحرفية البسيطة المحلية التى وجدت فى النوبة، وهى شئ غير ذى بال اذا قورنت بالصناعات الهائلة التى اشتهرت بها بعض المدن فى مصر زمن المماليك[٦].

---

(١) جاءت فى مخطوطة كاتب الشونة ص ٣٠، منيرى نوع من القماش ويحتمل انه جاء من مصر، وقيل انه كبير الحجم ويلبسه الرجال. يوسف فضل: الطبقات ، ص ١٤١ .

(٢) الدناقيس مفردها دنقس وقد وصفه بعض الشيوخ، بأنه ثوب من الدمور يلبسه الرجال والنساء ولهذا الزى صلة بعمارة دنقس أول ملوك الفونج. انظر يوسف فضل: الطبقات ص ١٤١ .

(٣) قرن عبارة عن قرباب أو نوع من الثياب تلبسه السودانيات كازار ويشتهر من أنواعها القرن الخمرى وهو نوع من القماش المزركش انظر يوسف فضل: الطبقات، ص ٢٦٦ .

(٤) أنظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ٣٣٧، يوسف فضل: حاشية كتاب الطبقات، ص ٣٣٧ أيضا.

(٥) على زين العابدين: تاريخ فن صياغة الحلى النوبية والسودانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص ١٧٨، ١٧٩، انظر شكل ١٥/ ١٠ بملاحق الكتاب.

(٦) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، ط بولاق، جـ٤، ص ٣٢، ٣٤، قاسم عبده قاسم: أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، جامعة عين شمس، ١٩٧٨، ص ٦، ٧ .

التجارة:

- الرقيق

ظلت معاهدة البقط أساسا للعلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة زهاء ستمائة وخمسين عاما [١]، ولما كانت هذه المعاهدة قد نصت صراحة على حرية المرور للتجار العرب المسلمين عبر بلاد النوبة[٢]، فقد اتخذها هؤلاء المسلمون التجار سندا قويا للتوغل فى تلك البلاد بتجارتهم من أجل الحصول على أرباح طائلة، مصدرها المعادن والرقيق وخلافه. وكانت تجارة الرقيق تمثل جزءا هاما فى اقتصاديات العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، خاصة بعد أن قل الوارد من السبى[٣]. وسوف نناقش هذا العامل بشئ من التفصيل لما له من أهمية بالنسبة لمجتمع سودان وادى النيل، وعلى ضوء التحولات الاقتصادية التى طرأت فى المنطقة.

شاهدت مصر فى عصرها المملوكى تدفق أعداد كبيرة من الرقيق الأبيض والاسود، فقد كانت هناك اسواق معروفة لتجارة الرقيق أو تجميعه فى بلدان وموانى معنية اشتهرت منها خلال العصر المملوكى ذويلة وبربرة ودارفور وشندى[٤].

---

(١) ظلت معاهدة البقط قائمة ٦٨٦ عاما هجريا تقريبا أو ٦٦٥ عاما ميلاديا تقريبا أى منذ عقدها عام ٣١هـ/ ٦٥٢م إلى سقوط مملكة النوبة(مقرة) فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. انظر: ابن خلدون: العبر، القسم الأول المجلد الخامس، ص ٩٢٢، القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ٥، ص ٢٧٦، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ص ١٦٦، ١٦٧، مكى شبيكة: السودان، ص ٣٠، حسن محمود: مرجع سابق، جـ١، ص ٣١١، مصطفى مسعد معاهدة البقط، ص ,٤٨٢

(٢) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ٢٠٠، محمد عبد العال: النوبة والمحاولات الاسلامية، ص ٢٩٦، ٢٩٧، C.F.: Macmichael: op. cit., pp. 157-158وانظر ايضا: وثيقة بردية مرسلة من والى مصر الى ملك النوبة والمقرة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (٢٥٤٨٠) نشرها: Martin: Studia Arabica of Islamica American University of Beirut, 1981, pp.209-229.واعاد نشرها الباحث فى رسالة (م) التطور الاجتماعى، ص ٢٩٦ وما بعدها. انظر ملحق الرسالة (م) شكل رقم (١).

(٣) يوسف فضل: المعالم الرئيسية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث عشر القاهرة ١٩٦٧م، ص ١١٤ .

(٤) الادريسى: نزهة المشتاق ص ٣٦؛ عبد العزيز عبد الدايم: الرق فى مصر فى العصور الوسطى : نهضن الشرق ١٩٨٣، ص ٣٠ .

وإذا كان الرق فى صدر الاسلام قد نظر إليه على أساس أنه نظام اجتماعى واقتصادى قائم، ليس ثمة وسيلة للقضاء عليه دفعة واحدة، فأقره الإسلام فى صورة تؤدى فى ذاتها إلى القضاء عليه تدريجيا عن طريق تحديد روافد الرق، وكانت كثيرة متعددة لدى الأمم القديمة، وأهم رافدين هما: رق الحرب ورق الوراثة(١).

وكانت هناك مراكز وحاميات عسكرية يتجمع فيها الغزاة أى المتطوعين من ديار الإسلام للجهاد فى سبيل الله، وكان يجمع كل هذه التحصينات الحربية للمسلمين فى مواجهة دار الحرب اسم «الثغور» وتختص من هذه الثغور ثغر البجة والنوبة، فكانوا مصالحين على ضريبة تسمى البقط كما سبق أن أوضحنا(٢).

وجددت فى عهد المعتصم العباسى فى القرن الثالث الهجرى لضمان الحصول على رقيق السودان(٣). يقول ناصر خسرو عن النوبة: «يذهب إليها التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق، والرقيق فى مصر إما نوبيون وإما روم(٤)».

---

(١) أثير جدل طويل بين فقهاء الاسلام فى ذلك الزمن، حول تحريم وتحليل رقيق النوبة، فرأى مالك بن أنس أن أرض النوبة فتحت صلحا إلى حد علوة، ولذا لا يجوز شراء رقيقهم، لكن خالفه فى ذلك بعض الفقهاء المصريين، مثل عبد الله بن عبد الحكم، وعبد الله بن وهب، والليث بن سعد، ويزيد بن أبى حبيب، فيقول الليث بن سعد: نحن أعرف بأرض النوبة عن مالك بن أنس، انما صولحوا على ألا نغزوهم ولا نمنع عدوا، فما استرقه متملكهم أو غزا بعضهم بعضا، فشراؤه جائز وكان عند جماعة منهم جوارى نوبيات لفراشهم، انظر المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠١، على عبد الواحد وافى: حقوق الانسان فى الاسلام، ط الخامسة، دار نهضة مصر ١٩٧٩م ص ٢٠٠-٢١٩، انظر أحمد شفيق: الرق فى الاسلام، ترجمة عن الفرنسية أحمد زكى، الطبعة الأولى: المطبعة الاهلية الاميرية ببولاق ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، ص ٥٤-٩٤، ص ٥٦.

(٢) أنظر: ابن خلدون : العبر، المجلد الخامس، ص ٩٢٢، الماوردى: الاحكام السلطانية، ط مصر ١٢٩٨، ص ١٤٦، المقريزى: الخطط جـ١، ص ٢٠٠، ٢٠١، مصطفى مسعد: البقط نمط فريد فى مجال العلاقات الدولية فى الاسلام، بحث فى مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود، العدد الخامس ١٣٩٥/١٩٧٥م، ص ص ٤٧١-٤٨٥، حسن محمود: مرجع سابق جـ١، ص ٣١١، C.F. Y.F. Hasan: The Arabs and the Sudan, P.20; Hamilton, J. A. De. C. The Anglo. Egyptian Sudan from Within, London, 1935, p. 52.

(٣) هناك بردية توضح طبيعة العلاقة بين مصر والنوبة فى أعقاب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية. C.F.: Martin: Studia Arabica of Islamica, American University of Beirut 1981, pp. 209-229. وانظر: الخطط، جـ١، ص ٢٠٠، ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ٧٦، ٧٧.

(٤) ناصر خسرو: سفرنامة، ص ٤١، وانظر ايضا: الاصطخرى: المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٢.

ولعل كثرة تردد التجار المسلمين على بلاد النوبة وبلاد البجة سببه الأول شراء الرقيق، فيذكر اليعقوبى عن مدينة علوة قصبة بلاد النوبة أن :«المسلمين يختلفون إليها[١]، ويقول عن بلاد البجة «يأتيها الناس من المسلمين للتجارات[٢]»، وحتى بعد خضوع بلاد النوبة للمماليك ودخولها ضمن دار الاسلام فى عهد السلطان المملوكى قلاوون فى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م نجد هذا السلطان يقرر على ملك النوبة البقط أى العبيد المقررين عليهم[٣].

وقد سهلت تجارة الرقيق الهجرة العربية لسببين:

أولا : بالرغم من أن معظم هؤلاء العبيد كانوا يجلبون من بلاد السودان بمعناها العام إلا ان الجزء الذى اشترى من المقرة وعلوة قد حرم تلك البلاد من العنصر الشاب فيها (وهو النوع المرغوب فيه) . ومن ثم قلل بمرور الزمن من فرصتها لتحول دون توغل العرب مستقبلا[٤].

ثانيا : ساعد توغل التجار المسلمين فى زيادة معرفة العرب بتلك البلاد، مسالكها ومراعيها. ولا شك أن هذه المعرفة قد أفادت المهاجرين كثيرا وفتحت أمامهم عوالم جديدة. ويبدو ان التجار عملوا بعد ان وسعوا نطاق التجارة كدعاة ومبشرين

---

(١) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ١٢٤ .

(٢) نفسه، ص ١٢٤، ١٢٥ .

(٣) المقريزى: السلوك، تحقيق مصطفى زيادة ، جـ٢، ص ٧٥٢، حوادث عام ٦٨٩هـ هذا ويلاحظ ان تجارة الرقيق ظلت أساس الحياة الاقتصادية ببلاد النوبة الى عصر قريب، حتى قيام الثورة المهدية فى نهاية القرن الماضى. فقد كانت بعض مناطق السودان تعتبر الرقيق عملة تدفع به اثمان السلع والمرتبات، أنظر: حسن أحمد محمد: مرجع سابق، جـ١، ص ٣٩٩، وقد أعطانا الرحالة بوركهارت صورة واضحة عن ازدهار هذه التجارة اثناء رحلته ببلاد النوبة عام ١٨١٣م، وعن وجود أسواق للرقيق بصعيد مصر، وما كان هناك من مصانع لتطويش هؤلاء العبيد، واشتهار قرية تسمى بزاوية الدير من أعمال اسيوط بمصنعها للخصيان، وكانت تزود مصر بل كل انحاء العالم بالعبيد الخصيان: انظر: بوركهارت: رحلاته ببلاد السودان ص ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧ وانظر أيضا: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، ورقة ٧٩، ٨٠ .

(٤) لا شك أن حملات المماليك على بلاد النوبة قد اغتنموا منها سبى من الرقيق على أثر كل حملة. انظر: بيبرس الدوادار: زبدة الفكر، جـ٩، نسخة مصورة بالفوتستات من مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨، ورقة ٢٦٦ .

بالاسلام، وأنهم فى توغلهم وترحالهم الكثير من منطقة لأخرى داخل السودان قد حملوا الدعوة الاسلامية إلى تلك المناطق(١).

وكيفما كان الأمر فقد أجمع المؤرخون والكتاب الذين عاصروا هذه التجارة على أن رقيق النوبة أفضل أنواع الرقيق، وهو الذى يرغب فيه كل من أراد اقتنائه، خاصة فى العالم الاسلامى، وذلك لما يتميز به من خصال طيبة، فالرجال منهم اشتهروا بالأمانة فيما يوكل إليهم، والإخلاص فى العمل، وحسن النظام والطاعة وعظمة الخلق، وقوة البأس وكما الاجسام(٢).

أما نساء النوبة، فقد اشتهرن بالرحمة والشعور بالمسئولية فى تربية الأطفال، وقد نصح أطباء ذلك الزمن باختيار المرضعات من النساء النوبيات، لما فيهن من هذه الصفات الطيبة، إلى جانب حرارتهن التى تدر اللبن بغزارة(٣).

ومن مواطن الرقيق فى سودان وادى النيل كردفان ودارفور، إذ كان الرقيق أهم سلعة تباع هناك، كما أن الأبيض كانت أحد مراكز تجارته(٤). وما أن تصل قوافل الرقيق إلى أسوان أو غيرها من مدن الصعيد حتى ينزل التجار بأحد الخانات، أما الرقيق فيحبسون فى أفنية كبيرة بها غرف مهدمة يقضون الليل فيها، وفى الصباح يعرضون على المشترين فى الاسواق بمزاد علنى(٥).

وهناك طريقة أخرى لوقوع العبيد فى أيدى جلابة الرقيق، فهؤلاء الجلابة يتقدمون فى المناطق المجاورة لقرى الرقيق بالبضائع التى يستبدلون بها الرقيق من

---

(١) وكان الرقيق المجلوب من النوبة والسودان مرغوبا فى العالم الاسلامى. انظر ابن بطلان: رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٤، ص ٣٥٢، انظر أيضا: ابن رستة: الاعلاق النفسية، ط ليدن، مطبعة بريل ١٩٨١، ص ١٠١، ١٠٢، الجاحظ: فضل السودان على البيضان، مجموعة رسائل الجاحظ، جـ١، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجى بمصر، المتيبى ببغداد سنة ١٩٦٥، ص ١٧٣-٢٢٦ .

(٢) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٣١٨، الحويرى: اسوان، ص ١٢٤ .

(٣) الادريسى: المصدر السابق، ص ١٣، الحويرى: اسوان، ص ١٢٤ .

(٤) رحلات بوركهارت، ص ٢٥٢، نسيم مقار السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الرحالة بالم، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٦، ٤٧، الحويرى: اسوان، ف ١٢٠، ١٢١ .

(5) Cuoq: op. cit., p. 12-13; Klunzinger: upper Egypt: its people and its products, London 1878, p. 37.

اسرى الحروب أو المخطوفين بمعرفة اللصوص الذين لا يتوانون عن خطف أطفال قريتهم وحملهم إلى المكان المتفق عليه من قبل للمبادلة، ثم تأتى بهم القوافل لبيعهم فى أسواق مصر(١).

وقد قسم تجار الرقيق العبيد حسب أعمارهم إلى ثلاث فئات الخماس وهم دون العاشرة او الحادية عشرة، والسداس وهم فوق الحادية عشرة ودون الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، والبالغون وهم الخامسة عشرة فصاعدا وأغلى هؤلاء عندهم السداس(٢).

هكذا تزايدت تجارة الرقيق، التى كانت تمثل جزءا من موارد الدولة المملوكية بعد أن قل الوارد من السبى(٣).

---

(١) نسيم مقار: الرحالة فى السودان، ص ٤٧، وأيضا: جون بتريك، ط لجنة البيان ١٩٦١م، ص ٣١ .

(٢) رحلات بوركهارت، ص ٢٥٢، C.F.: P.E.H. Hair: The Atlantic Slave Trade and Black Africa, London, 1978, P. 21-31. ff.

(3) C.F. Reid, J.A.: Some Notes on the tribes of the white and Blue Nile Provinces S.N.R. XIII, Part II, 1930, p. 51.

أهم السلع النوبية التى يشملها النشاط التجارى:

الذهب: وعرفت أرض النوبة وعلى الاخص منطقة وادى العلاقى بشهرتها الفائقة بمناجم المعادن الغنية[١] نذكر منها على سبيل المثال الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص [٢]، وحجر المغنطيس[٣]، والمرقشيتا، والجمشت[٤] والزمرد[٥] وحجارة بيشطا[٦].

أما الزمرد الذى يطلق عليه أحيانا اسم الزبرجد فيذكر ابن الفقيه بقوله : وفيما بين أرض النوبة والبجة جبال منيعة.. وفى بلادهم معدن الزبرجد، يحفر التراب من معدنه، ثم يغسل فيوجد فيه قطع الزبرجد[٧]، فالزمرد والزبرجد اسمان مترادفان على

---

(١) وصف كثر من المؤرخين المسلمين هذه المعادن واماكنها فى الصحراء الشرقية، وطرق استخراجها فيذكر اليعقوبى ان ثم طريقين يؤديان الى مناجم الذهب والزمرد فى الصحراء الشرقية أحدهما يبدأ من قفط والاخر يبدأ من اسوان أما مناجم طريق قفط فمنها: خربة الملك وجبل العروس وجبل الخصوم وكوم الصابونى وكوم مهران ومكابر وسفسيد وجبل صاعد، والكلبى، والشكرى، والعجلى، والعلاقى الادنى، والريقة، ورحم، أما المناجم التى يفضى اليها من أسوان فمنها الضيقة، اليويب، بيت ابن زياد، عديقر، جبل الأحمر، جبل البياض، قبر أبى مسعود، عفار، الحمل، عست (كذا) كعار (كذا)، بطن داح، اعماد، ماء الصخرة، الاخشاب، ميزاب، عربة بطحا، بركان دح، سخيت، فلهذه المعادن التى يصل اليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر اليعقوبى: البلدان ص ١٢٠– ١٢٤، المقريزى : الخطط، جـ١، ص ١٩٤ .

(٢) انظر المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٤ .

(٣) ذكر ارسطاطاليس فى كتابه فى الاحجار ان المغناطيسيات كلها انما ابتدأت فى معادنها لتكون حديدا، تعرض لها الحر واليبس فصارت حجارة يابسة صلبة شديدة وانما اشتدت هذه الاحجار لشدة الحر الطالع من معدنها وقلة الرطوبة فيها. انظر: أحمد بن يوسف التيفاش: ازهار الافكار فى جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن، محمد بسيونى خفاجى، الهيئة المصرية ١٩٧٧م، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٤) الجمشت حجر حديدى، أربعة أنواع، وكان العرب يزينون به ادوات الحرب، انظر التيفاش، ازهار الافكار، ص ١٨٩، ١٩٠ .

(٥) قال بلينوس ان الزمرد هو الياقوت لأنه انما ابتدأ لينعقد ياقوتا فى جميع اجزائه وكان لونه أحمر، فلشدة تكاثف الحمرة انظر التيفاش: ازهار الافكار، ص ٧٨ .

(٦) المقريزى: الخطط، الخطط، جـ١، ص ١٩٤، انظر بعض الاشكال بالملاحق كل ١٩، ٢٠/ ١٠ .

(٧) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٧٨ .

معنى واحد[١]. وان كان هناك بعض اللغويين والكتاب يفرقون بين الزمرد والزبرجد فيجعلون كل منهما نوعا من انواع الاحجار الكريمة[٢].

وكان هذا المعدن من المعادن التى جذبت أنظار المماليك طوال عصرهم، وكان يوجد فى التخوم بين مصر والنوبة، بالصحراء الشرقية، شرقى مدينة قوص، وعلى بعد ثلاث مراحل منها فى مكان يسمى الخربة[٣]، وهى أول بلد البجة[٤].

ويضيف الادريسى مكانا آخر للزمرد جنوبى مدينة أسوان، حيث يتهافت عليها طلاب هذا المعدن فيقول: «وعلى مقربة من أسوان جنوبا من النيل، جبل فى اسفله معدن الزمرد فى بادية منقطعة عن العمارة، ولا يوجد الزمرد فى شئ من الارض بأجمعها الا ما كان بذلك المعدن، به جلاب كثيرة من هذا المعدن، ويخرج ويتجهز به إلى سائر البلاد[٥] ويشير المسعودى إلى أن ملوك أوروبا يتهافتون على زمرد النوبة بشكل منقطع النظير[٦]». أما القزوينى فيشير إلى ان بلاد النوبة كانت تمول عالم العصور الوسطى بأسره، بأجود أنواع الزمرد فيقول: «ويحمل منها إلى سائر الدنيا.. وزمردها أحسن الزمرد[٧]، مما يدل على أن بلاد النوبة هى المكان الذى عرفه كتاب

---

(١) (لغته الزمرد بضم الراء والميم والراء المشدودة، وبذال مصجمة هكذا تكلمت به العرب. وقال الفارابى فى اللغة أن الزبرجد تعريب الزمرد، وليس بصحيح بل الزبرجد نوع آخر من الحجارة. أنظر: التيفاشى: أزهار الافكار فى جواهر الاحجار. حققه محمد يوسف حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م، ص ٧٨، ٧٩ يحى بن ماسوية: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، الهيئة المصرية ١٩٧٧م، ص ص ٥٤، ٥٥، أنظر: الادفوى: الطالع السعيد، حاشية(١) ص ٤٤، مصطفى مسعد: المكتبة، ص ١١ حاشية (١).

(٢) انظر: التيفاشى: ازهار الافكار، ص ٧٨، عبد الرحمن زكى: الاحجار الكريمة فى الفن والتاريخ، المكتبة الثقافية ١٩٦٤م، ص ص ٩٠، ٩١ .

(٣) الخربة مدينة بجاوية كما ورد عند ابن سليم الاسوانى، وذلك رغم وقوعها تجاه مدينة قوص، شرقا، فقد كانت بلاد البجة تمتد على طول الصحراء الشرقية فيما بين هضبة الحبشة وشرقى مدينة قوص، انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٤ .

(٤) أعلم أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرد فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وقوص نحو من ثلاث مراحل.. وليس فى الدنيا معدن للزمرد غير هذا الموضع.. فى آخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة انظر الخطط، جـ١، ص ١٩٤، وانظر أيضا: البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ط حيدر آباد الهند ١٣٥٥هـ، ص ١٦٢ .

(٥) الادريسى: المصدر السابق، ص ٢٢ .

(٦) المسعودى: مروج الذهب، جـ١، ص ١٩٢ .

(٧) القزوينى آثار البلاد واخبار العباد، ص ١٨ .

ذلك العصر باحتوائه على الزمرد[١].

ويبدو أن العاملين فى استخراج الزمرد كانوا يعرفون قيمته، فكانوا يختلسونه أحيانا، ولذا جعل لهم مفتشون للمحافظة على الأمن، وفي نفس الوقت تفتيش عمال المناجم عند خروجهم، وكان التفتيش دقيقا للغاية حتى أن الرجل يفتش من أخمص قدميه حتى رأسه[٢].

ظلت مناجم الزمرد بالنوبة تغذى أسواق العالم بأثره طوال العصر الأيوبى والمملوكى[٣] إلى أن كان عهد السلطان المملوكى الناصر حسن بن محمد بن قلاوون حيث أبطله وزيره الصاحب علم الدين عبد الله زنبور عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م بعد أن قل انتاجه، وأصبحت نفقات استخراجه تفوق بكثير قيمة المستخرج منه[٤].

---

(١) ويلاحظ أن هذا المعدن يوجد في باطن حجر أبيض في أعماق الأرض، حيث ينزل اليه الباحثون بالمصابيح، فضلا عن جبال يستدلون بها فى العودة خوفا من الضلال فى جوف الأرض، وهذا الحجر ثلاثة أنواع فمنه ما يسمى طلق كافورى، واخر يسمى طلق فضى، أما الثالث يسمى جروى. أما طريقة استخراجه فهو الضرب على هذا الحجر لاستخلاصه منه أما انواعه فمنه الريانى الذى كان يلقى به فى الزيت الحار عقب استخراجه مباشرة، ثم يلف فى قطعة قطن ويصر فى خرق خام وكان هذا النوع قليلا جدا، ولذا ارتفع ثمنه عن الانواع الاخرى. انظر: التيفاشي: ازهار الافكار، ص ٧٨ وما بعدها، المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٤، ٢٣٣، القزويني: اثار البلاد: ص ١٨ .

(٢) أنظر المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٣٣، وقد أورد المسعودى اربعة انواع من الزمرد: النوع الأول: ويعرف بالمر، وهو أجود انواع الزمرد، واغلاها قيمة، وهو شديد الخضرة يشبه السلق فى خضرته، ويقول القزويني: «وزمردها أحسن اصناف الزمرد الاخضر السلقى الكثير المائية، يسقى المسموم فيبرأ، واذا نظرت الافعى اليه سالت حدقتها» النوع الثانى: ويعرف بالبحرى، نسبة الى ان ملوك البحر من الهند والسند كانوا يرصعون به تيجانهم وخواتمهم واسورتهم وكان هذا النوع يلى المر فى الجودة، النوع الثالث: ويعرف بالمغربى، نسبة الى ان ملوك المغرب، اى ملوك اوربا كانوا يتنافسون عليه. النوع الرابع: ويعرف بالأصم وهو أدنى انواع الزمرد، وأقلها ثمنا، ولعله لقلة ماءه وخضرته وعدم صفائه، لأن قيمة الزمرد تتوقف على هذه المميزات الثلاث. انظر المسعودى: مروج الذهب، جـ١، ص ١٩١، ١٩٢، القزويني: اثار البلاد ص ١٨ .

(٣) القزويني: اثار البلاد، ص ١٨ .

(٤) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٣٣، مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ٥٠، الحريرى: اسوان، ص ١١٩ .

الأحجار:

إلى جانب المعادن الثمينة، اشتهرت بلاد النوبة بمحاجرها العديدة[١] مثل الرخام[٢]، والجرانيت والبازلت والصوان[٣] وحجر الطواحين والطين الصلصالى. وقد استغل حكام مصر هذه المحاجر النوبية أحسن استغلال في اغراض شتى[٤]، وقد برع النوبيون فى صناعة الفخار دون غيرهم، وكان لتوافر الطين الصلصالى فى بلادهم من العوامل المساعدة على قيام هذه الصناعة الشعبية فى تلك المنطقة[٥].

السنباذج[٦].. ومن المواد الحجرية التى انفردت بها بلاد النوبة ايضا مادة السنباذج الذى كان يوجد فى الجزء الجنوبى من اقليم مريس فى منطقة المقس الأعلى، ويبدو أنه لم يكن يوجد فى أى مكان آخر سوى المكان المشار اليه، كما يقول أبو صالح الأرمنى[٧].

---

(١) مازالت اسوان والمناطق المجاورة لها، تشتهر إلى اليوم بوجود هذه المحاجر الصلبة.

(٢) اشتهرت قرية بالنوبة السفلى تسمى توشكى على بعد مائتى وخمسين ميلا تقريبا جنوبى مدينة اسوان، بمحاجر الديوريت التي مولت مصر على مر العصور التاريخية. انظر: محمد جمال الدين مختار: اثار النوبة ومحاولة انقاذها، ص ٥٨, ونسبة لاسوان هناك نوع من الرخام يعرف بالاسوانى. انظر: المقريزى:، جـ١، ص ١٩٧,

(٣) انظر: الهروى: الاشارات إلى معرفة الزيارات، ص ٤٥ .

(٤) أنظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٨، الأدفوى، الطالع السعيد، ص ٣٢، C.F.: Budge: The Nile Notes, p. 452.

(٥) أنظر: الطبقات، ص ٢٦٥، الحويرى: اسوان، ص ٩٠، ٩١، وكان على الضفة الشرقية للنيل باتجاه أسوان، جبل يعرف باسم جبل الطفل، حيث طفل أحمر عرف باسم طفل الفن، كان يصنع العرب والنوبيون منه هذه الاوانى الفخارية، وكانت طبقات الطين الصلصالى تصل إلى اعماق بعيدة فى طبقات الأرض، يتتبعها عمال المناجم العاملين فيها، وقد وجدت بالقرب من هذه المحاجر جبانتين عربيتين بها عدة مقابر عليها نقوش بالخط الكوفى مما يدل على أن العاملين بها كانوا عربا. انظر: الادفوى: الطالع السعيد، ص ٣٣، على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٨، ص ٦٧, C.F. Budge: Op. cit., P.452. وأنظر أيضا ابن دقماق، وبها جبل الطفل جـ٢، ص ٣٤,

(٦) السنباذج: مادة حجرية صلبة تخرط به الجواهر. انظر التيفاش: ازهار الافكار، ص ١٥٩ ؛ المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩١ .

(٧) ابو صالح الارمنى: تاريخ ابى صالح الارمنى، ص ٩٩، وقد عرفت هذه المادة بصلابتها ولذا استخدمه صناع العصور الوسطى فى خرط الجواهر، فيشير المقريزى بقوله:والسنباذج الذى يخرط به الجواهر يخرج من النيل فى هذه المواضع، يغطس عليه، فيوجد جسمه باردا، مخالفا للحجارة، فاذا اشكل عليه نفخ فيه فيعرق. انظر المقريزى: الخطط، جـ١، ١٩١ .

الشب.. وقد اهتمت مصر باحتكاره، وجعلت له ديوانا خاصا[١] وكانت هذه المادة توجد بالصحراء الغربية ببلاد النوبة، وعلى الاخص غربي المقس الاعلى الشلال الثاني ،على بعد ثلاثة ايام منه[٢]،. وكان يجلب الى القاهرة الاف القناطير سنويا، ويتراوح سعر القنطار ما بين أربعة وستة ونصف دينار بينما كانت نفقات الاستخراج للقنطار تبلغ ثلاثين درهما[٣].

ظل انتاج النوبة من الشب على غزارته طوال العصر المملوكي، وكان يصدر منه الكثير إلى مختلف البلدان خاصة إلى أوروبا، حيث زاد الاقبال عليه في ذلك العصر، لاستخدامه في الدباغة والرسم والتذهيب، وفي أغراض طبية. وكان يأتي به العربان من معادنه الى أخميم وأسيوط والبهنسا بصعيد مصر ومنها يحمل عن طريق النيل إلى الاسكندرية حيث كانت مستودعاته الكبيرة التي يخزن فيها [٤]، وبذلك قامت مصر بدور الوسيط بين بلاد النوبة واوروبا في هذه التجارة الرائجة في العصر المملوكي.

العاج .. يعتبر من السلع الرئيسية التي كانت ترد من سودان وادى النيل الى مصر عبر اسوان، فكانت القوافل تأتي محملة بسن الفيل من دارفور[٥]. وقد استخدم

---

(١) المقريزي: الخطط، جـ١، ص ١٠٩ .

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ٢٣٦ .

(٣) المصدر نفسه، والجزء، ص ١٠٩، ٢٣٦، شوقي عبد القوى حبيب: العلاقات التجارية، ص ١٣٣, ويلاحظ أنه في عهد الدولة الايوبية قد احتكرته. انظر ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، القاهرة ١٩٤٣، ص ٣٢٨، ٣٢٩ .

(٤) انظر : المقريزي: الخطط، جـ١، ص ١٠٩, ويتدرج الشب في انواعه من النوع الممتاز الذي يشبه الثلج في لونه وان شابته احيانا بعض الالوان الباهتة كالاحمر والاخضر. أما شب الدرجة الثانية فيختلط به بعض الصخور، والنوع الثالث هو شب الحفر الذي بعد تنقيته يصير شبه بلورات صافية ويوجد في شمال افريقية وهو نوع غير نقي مختلط به بعض الصخور بنسبة ٢-٥، وفي بعض الاغراض الطبية يستخدمون نوعا من الشب السكري وهو نقي مصهور مع ماء الورد وبياض البيض وكثر ذكره في سجلات العصور الوسطى. ويستخدم في تثبيت الألوان والصبغات على الثبات. انظر: نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية ١٩٧٣، ص ٣٣٨، C.F.: Heyd, W., histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, T. II, pp. 568-569.

(٥) رحلات بوركهارت، ص ٢٤٢، ٢٤٣، C.F.: J. Cuoq: Op. Cit. p. II, 12.

المماليك العاج الوارد من الحبشة والنوبة فى التطعيم والترصيع وخاصة فى حشوات المنابر في المساجد، وصنع قطع الاثاث الفاخر، والتحف النادرة بزخارفها النباتية والهندسية الرائعة[١].

الابنوس.. استخدم بمهارة فائقة فى النقش على الخشب فى عصر دولة سلاطين المماليك، اذ برع النجارون فى صناعة التحف الدقيقة، مثل المنابر والدكك والكراسى والصناديق مطعمة ومرصعة بقطع صغيرة من الأبنوس، كما كانت بعض مقابض المدى تصنع من الابنوس[٢].

قرن الخرتيت.. من السلع الهامة والغالية الثمن، والتى ساهمت فى تجارة النوبة بنصيب وافر، واشتدت الحاجة اليه فى القاهرة المملوكية حيث كان يصنع منه مقابض السيوف والخناجر[٣].

الصمغ العربى .. عرفت بلاد النوبة بكثرة أشجار السنط وهى مصدر انتاج الصمغ الذى كان من السلع الهامة، حيث يستخدم فى صناعة بعض العقاقير الطبية الهامة، إلى جانب اضافته مع مواد الصباغة لتثبيت الألوان وقد نشطت تجارته بشكل ملحوظ حتى أصبح من أهم وسائل الاتصال التجارى بين بلاد النوبة ومصر من جانب، وبين النوبة والجزيرة العربية من جانب آخر[٤].

وقد احتلت بلاد النوبة المكانة الأولى فى انتاج الصمغ وتصديره إلى مصر والى جميع انحاء العالم، ويقال ان متوسط الوارد من الصمغ إلى مصر سنويا، ستون

---

(١) ومن مصادره أيضا اثيوبيا التى فاق عاجها الهند فهو اطول واثقل منه فضلا عن وفرته، ويبدو ان العاج كان يجلب بكميات ضخمة في العصور الوسطي وخاصة من ساحل افريقية الشرقي. أنظر : سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٣٨٤، نعيم ذكي: طرق التجارة الدولية، ص ٢٤١، C.F.: Cuoq: Op. Cit., p.11-12.

(٢) أنظر: رحلات بوركهارت: ص ٢٤٢، ٢٤٣، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٣٨٤, ويلاحظ أن مصر كان يرسل إليها ثلاثين قنطارا من العاج سنويا زمن الناصر محمد. أنظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٤، ص ٧٥–٨٠، المقريزى: السلوك، جـ٢، ص ١٦٢ . انظر شكل دقم ١٢/١٠ .

(٣) اطلق فى السودان على حيوان الخرتيت اسم أم قرن رحلات بوركهارت، ص ٢٤٢، ٢٤٣,

(٤) رحلات بوركهارت، ص ١٧، ٢٢٧، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٠٧، C.F.: MaCMichael: A history of the arabs in the Sudan, Vol. I, pp.3, 4. وانظر أيضا: فيرفسون: مشروع الجزيرة، ترجمة محمد حسن محمود، يعقوب الصائغ، القاهرة بدون، ص ١١٥ .

ألف قنطار[١]، وربما انفردت النوبة بهذه السلعة، وأجود أنواعه وأغلاه يأتى من اقليم كردفان لبياضه الناصع وحبيباته الصغيرة[٢].

وكانت لهذه التجارة مراكز اساسية على النيل النوبى حيث استقر وكلاء تجاريون يستقبلون القوافل التى ترد من مصادر الانتاج الرئيسية، وكانت مدينة اسوان هى المركز الرئيسى لجمع هذا الصمغ حيث عرف أهلها بالتخصص فى تجارته، ومنهم متخصصون فى تصديره لمختلف الدول[٣].

المسك.. وكانت النوبة موردا هاما لمادة المسك الذى يستخرج من حيوان يطلق عليه فأرة المسك ويعيش فى الجهات المدارية على نبات السنبل البرى الذى ينمو بكثرة على التلال والهضاب، وتروج تجارة المسك زمن الحج لما له من رائحة عطرة[٤].

ريش النعام.. وهو كثير الانتشار فى أرجاء النوبة، وأغلى أنواعه ما يجلب من كردفان ودارفور، وكانت القوافل تحمله إلى مصر عبر طريق التجارة[٥]، وخاصة طريق درب الأربعين[٦].

التمر هندى .. عرف العرديب فى مصر بالتمر هندى لان بعضه كان يجلب من جزر الهند الشرقية، غير أن الصنف الذى كان يرد من النوبة يفوقه فى الجودة، ويزرع بكثرة فى دارفور وكردفان، وتحمله القوافل المصرية ضمن رحلاتها التجارية فى شكل أقراص صغيرة معدة ومجففة[٧].

اللبان.. وهو نوع من الصمغ يجمعه البدو ساكنوا الصحارى فى سودان وادى النيل، ويدخل ضمن صادراته إلى مصر[٨].

---

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٨، ص ٦٧ .

(٢) رحلات بوركهارت، ص ٢٢٧، الحويرى: أسوان، ص ١٢٧، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٠٧ حاشية رقم (٢)، MacMichael: op. cit., vol. I, pp.3,4.

(3) C. MacMichael: op. cit., vol. I, pp. 3,4.

(٤) سليمان عطية سليمان، سياسة المماليك فى البحر الأحمر، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٠، نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٢٣٠، ٢٣١ .

(٥) رحلات بوركهارت، ص ٢١٨ .

(٦) أنظر: كتاب الطبقات، حاشية (١٠) ص ٢٤٥ .

(٧) رحلات بوركهارت، ص ٢٢٦ .

(٨) رحلات بوركهارت، ص ٢٢٧ .

الحيوانات

وقد سبق أن أشرنا اليها من قبل او خاصة أن أهل النوبة عرفوا بأنهم «أصحاب نجب وإبل وبقر وغنم» [١]، ونود أن نشير هنا أن اسواق القاهرة والفسطاط كان يجمع منها مك،سا على الاغنام المجلوبة من بلاد النوبة، بلغت ثلاثة آلاف وثلاثمائة واحد عشر دينارا سنويا، هذا بخلاف مكس الصوف الذى بلغ مائتى دينار[٢]. فهذا يوضح إلى أى مدى بلغ حجم التعامل التجارى بين مصر والنوبة طوال فترة العصور الوسطى.

(١) المسعودى: مروج الذهب ، جـ١ ، ص ١٦٨ ، وانظر المقريزى، الخطط، جـ١ ، ص ١٩٤ .

(٢) ظلت بلاد النوبة الى عصر قريب تشتهر بكثرة الاغنام فيشير بوركهارت الذى زار بلاد النوبة الى ان النوبيين كانوا يدفعون قيمة الضرائب عن السواقى اغناما كما كانوا يدفعون دية من يقتل لديهم أغناما ايضا وجمالا أو زبقارا مما يدل على كثرة الحيوانات بتلك البلاد.

انظر: بوركهارت ، ص ١٢٠ ، المقريزى: الخطط، جـ١ ، ص ١٠٣ .

التجارة الكارمية:

تنتسب تجارة الكارم إلى الكارمية وهم كما حدثتنا عنهم وثائق الجنيزة[١]، فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الاقصى فى التوابل وما اليها من السلع الأخرى، وكان مركز نشاطهم الأول فى المحيط الهندى[٢].

وقد أهتم المماليك بالتجارة الكارمية، فقد لاحظ ابن واصل المعاصر للظاهر بيبرس - «أن هؤلاء الكارمية أحجموا عن الابحار من اليمن إلى عيذاب، حتى قضى بيبرس على ثورة القبائل العربية، وعندما وصلت سفنهم، وأفرغت بضائعها لتحملها قوافل الجمال إلى قوص آمن بيبرس قوافلهم حتى أنهم لم يفقدوا مقود بعير[٣]».

وكان موقف الحكومات المصرية المتعاقبة فى عهد المماليك من طائفة الكارمية هو العمل على استقرار السياسة التجارية المصرية، واستمرار تقاليدها التى

(١) وثائق الجنيزة هى وثائق خطية كثيرة وجدت فى منطقة مصر القديمة، وعرفت لعلماء الغرب فى القرن التاسع عشر، ووزعت على مكتبات أوروبا وأمريكا، وكانت هذه الوثائق محفوظة قبل اكتشافها فى حجرة خصصت للأوراق المهملة فى معبد الفسطاط اليهودى ووجد بعض اخر من هذه الوثائق فى جبانة البساتين القريبة من المعبد واطلق على المجموعتين اسم وثائق جنيزة القاهرة ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق التى تتكون فى غالبيتها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم إلى الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين، وقليل منها يرجع الى فترة متقدمة من القرن الرابع الهجرى. ويقدر عدد الاوراق التى كانت فى هذه الجنيزة بما يزيد عن الربع مليون ورقة معظمها قطع من كتب عبرية، وقد كتبت غالبية هذه الاوراق باللغة العربية بالحروف العبرية وهى تعكس لنا الحالة الاجتماعية والاقتصادية لبلدان البحر المتوسط والشرق فى تلك الفترة؟ وقد نشر بعض هذه الوثائق ولكن بعضها الاخر لم ينشر حتى الآن وقد وضع المستشرق جوايتين Goitein مفتاحا لوثائق الجنيزة فى كتابه:

A tentarive bibiliography of Geniza Documents, Paris, 1964, Goitein: New lights on the beginning of the Karim Merchants, Tesho, V. I, 1958, p. 173.

(2) Goitein: From the Mediterranean to India, Documents on the Trade to India, South Arabia Speculum, N. XXIX, April 1954, No. 2, Part 1p. 120.

ويلاحظ أن سفن الكارم تتردد على أكثر من عشرين ميناء على ساحل الهند الغربى، انظر أيضا: الشاطر بصيلى: الكارمية: مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ١٣ لسنة ١٩٦٧، ص ٢١٧، عطية القوصى: أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، مجلة الجمعية التاريخية، المجلد الثانى والعشرون سنة ١٩٧٥م، ص ١٧، ١٨.

(٣) أنظر : ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧م، جـ٢، ص ص ٣١، ٣٢ ، صبحى لبيب : سياسة مصر التجارية فى عصرى الايوبيين والمماليك، مجلة الجمعية التاريخية المجلدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ١٩٨١، ١٩٨٢ ص ١٣٨ .

تهدف الى المحافظة على مكانتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى تدل على نجاح هؤلاء الكارمية وتوفيقهم في مهمتهم الاقتصادية فى البحر الأحمر ومصر حتى أصبحوا فى «عدة وافرة[١]». كما أصبح عددهم كبيرا جدا[٢].

وكدليل على هيمنة مصر ونظرتها إلى الجنوب بشكل جديد أن [٣] أرسل الظاهر بيبرس فى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م إلى ولاته فى قوص وعيذاب يوصيهم بالتجار الوافدين والمحافظة على مصالحهم[٤].

ويضيف ابن واصل قوله انهم «كانوا قد سافروا الى اليمن وعزموا على الأقامة وترك السفر[٥]». إلى مصر ثم رجعوا عن رأيهم بل وسافروا إلى عيذاب فى غير أوان

(١) أنظر : المقريزى: السلوك، نشر زيادة، القاهرة ١٩٧١م، جـ١، ق١، ص ١٠٣، توفيق اسكندر: نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية، العدد السادس سنة ١٩٥٧م، ص ٢٨، ٢٩، صبحى لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية التاريخية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨م، ص ص ١٦، ١٧.

(٢) أبن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط حيدر آباد سنة ١٣٤٨، جـ٣، ص ٢٥٨.

(٣) الواقع ان البحر الأحمر لم يحظ فى تاريخه الطويل خلال القرون الوسطى من النشاط التجارى بمثل ما حظى به على يد هؤلاء التجار الكارمية، ولكن هذا الكفاح التجارى قد مر بفترة حرجة دقيقة هى فترة انتقال الملك من دولة الايوبيين إلى مماليكهم فى مصر. فلقد سجلت سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م أكبر أزمة لسياسة مصر التجارية فى البحر الأحمر، ولمكانة الكارمية فى التجارة العالمية، وذلك نتيجة للظروف الدقيقة التى مرت بها مصر فى نهاية العصر الايوبى وبداية العصر المملوكى. فاتجاه الصليبيين إلى غزو مصر، وانفاذ حملة القديس لويس إلى أرضها، يليها غارة المغول على الامبراطورية المصرية فى حملة هولاكو، وثورة العرب فى داخل مصر التى اشرنا اليها من قبل، وكذلك اتجاه المظفر قطز إلى العسف وارهاق العامة بطبقاتهم من مختلف الحرف والصناعات بما جمع منهم من مال بلغ أحيانا ثلث ثرواتهم كل ذلك كان لابد أن يفرض على التجارة المصرية مخاطرة، ولذلك كان طبيعيا أن يفكر الكارمية فى أمرهم ومستقبلهم فى هذه الظروف الجديدة ورأوا أن المحافظة على مصالحهم تقضى بعدم السفر الى مصر محتفظين بمراكزهم التجارية الكبرى فى اليمن والبحر الأحمر فحسب. وجلى ان الموقف التجارى كان فى حاجة إلى رجل فى حزم الظاهر بيبرس وثاقب رأيه لكى يدعم الأسس التى قامت عليها سياسة مصر تجاه الكارمية من توفير العدل والأمن اللازمين لبقائهم وتفوقهم. وقد أفلح فى اقرار الأمن والثقة ونشر العدالة فى امبراطوريته وسرعان ما وصلت إلى الكارمية وغيرهم من التجار فى البحر الأحمر اخبار عدل السلطان الجديد وانصافه وحسن سمعته، فتوافدوا على مصر أفواجا بعد أفواج، لقد وقفوا موقفهم السلبى الى ان وضحت لهم خطة الظاهر بيبرس الذى لم يكتف باقرار الأمن والعدل فى ربوع مصر وإبطال ما فرضه المظفر قطز من مكس.
أنظر : المقريزى: السلوك، جـ١ ، ق ٢، ص ٤٣٧–٤٣٨، صبحى لبيب: مرجع سابق، ص ١٦، ١٧ .

(٤) أبن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣١–٣٢ .

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص ص ٣١،٣٢ .

السفر. وقاموا سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، برحلتين تجاريتين بدلا من واحدة- كما كانت العادة - «وهذا مالا يسمع بمثله[١]،ولم يتعرض أحد لشئ من أموالهم «ولا عقال بعير[٢]، إلا بالحق.

ولم تكن تلك المواقف الحاسمة التى وقفها الظاهر بيبرس إلا دعما واستمرارا للتقاليد التجارية الايوبية التى استخلف عليها المماليك حين استخلفوا على حكم مصر. ولم يكن امتداد نفوذ مصر التجارى فى المحيط الهندى وتنميته على يد هؤلاء الكارمية إلا تطورا طبيعيا لاستقراره فى البحر الاحمر والكفاح التجارى الناجح الذى حققته طائفتهم[٣].

واستقرار السلم والامن بين ربوع البحر الأحمر وموانيه كان له أجل أثر فى انتظام التجارة فيه، ولكن تجار البحر الأحمر - شأن غيرهم كانوا يواجهون خطر القراصنة الذين يسيئون إلى الحياة التجارية فيه اساءة بالغة.

ان الشوانى[٤] المصرية المسلحة كانت تحمى سفن الكارمية فى البحر الأحمر من غارات القراصنة، وتعمل على تطهيره منهم منذ عهد الدولة الفاطمية. كما وصلت سفن مصر إلى اليمن حاملة الجند والعتاد لاقرار الحكم الايوبى فيها.

وما ان تم ذلك الاسطول مهمته حتى إتجهت الحكومة إلى الاستفادة منه فى حراسة السفن التجارية بالبحر الأحمر من سطوة السراق[٥]. وليس بخفى اثر ذلك فى

---

(١) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة، صبحى لبيب: التجارة الكارمية ص ١٧ .

(٢) ابن واصل: نفس المصدر، والجزء والصفحة، وجدير بالملاظة أن اهمية عيذاب أخذت فى الانحدار بعد سنة ٦٦٠هـ، وبدأ ميناء الطور من السويس يحتلان محلها، وأخذت القوافل الكارمية البحرية تتجه من عدن إلى الطور أو السويس ثم تنقل قوافلهم البرية حمولات تلك السفن عبر طور سيناء والشرقية الى القاهرة ومنها بالنيل أو بالبر إلى الاسكندرية ودمياط. أنظر: ليو الافريقى: وصف افريقيا، ص ص ٥٥٨، ٥٥٩، صبحى لبيب: مرجع سابق، حاشية (٤) ص ١٧، وأيضا: نفسه : سياسة مصر التجارية، ص ص ١٣٨، ١٣٩ .

(3) C.F.: Perotafur: Travels and adventures 143-1439, London 1920, pp. 84-86; صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ١٨، أنظر عيذاب على الخريطة شكل رقم (١).

(٤) الشوانى: جمع شينى وهو أكبر أنواع السفن الحربية فى ذلك الوقت وله مائة واربعون مجدافا. أنظر سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٤٣٠، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، فى عصر سلاطين المماليك، ط الأولى دار المعارف، ص ٨٩ .

(٥) أنظر: ابن المجاور: تاريخ ابن المجاور أو كتاب المستبصر، مخطوط بدار الكتب، رقم ٢١٧٧ تاريخ، جـ٢، ص ١١٦ .

تأمين الأرواح والأموال وتوسيع الصلات البحرية التجارية بين مراكز جلب التجارة فى الشرق ومراكز تصريفها فى مصر(١).

وكما توفر الأمن فى البحر الأحمر وتوفر فى الطريق بين موانى مصر على ذلك البحر وبين النيل وواديه، ويقدم ابن جبير صورة طيبة عن أمن الطريق بين عيذاب وقوص- وهى أشق مراحل الطريق بين مصر وارض النوبة عبر البحر الأحمر - بقوله «أن احمال التجار من القرفة والفلفل وغيرها من التوابل تترك ملقاة بها، والقوافل صاعدة وهابطة لا يتعرض لها أحد الى أن يأخذها صاحبها(٢)».

ولقد كان للكارمية محطاتهم التجارية الكبرى فى عدن وتعز وزبيد(٣). وفى مرافئه شيدوا فنادقهم(٤).

ومن عيذاب والطور تبدأ رحلات قوافلهم بين بلاد النوبة وقوص والقاهرة والاسكندرية ودمياط. كما كان موسم الحج فرصة لتجمع أفواج الحجاج والتجار من بلدان الاسلام، حيث تعقد الصفقات التجارية الكبيرة؛ ومما يدل على ذلك أن السلطان المملوكى الأشرف «الغى جميع المكوس المفروضة على المتاجر التى يحملها الحجاج إلى مكة، ولكنه استثنى منهم تجار الكارم وتجار الهند وتجار العراق(٥)».

وقد ذكر ابن سعيد الذى عاش فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، أن سواكن كان لها نشاطها التجارى المرموق، وأن ملكها من البجة المسلمين، وأن له ضرائب على مراكب الكارمية المارة بين الحجاز واليمن وعيذاب(٦).

---

(١) انظر المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٤.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٤٣-٤٤، راجع أيضا خطط المقريزى، جـ١، ص ٢٠٤، صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ١٩، نفس المؤلف: سياسة مصر التجارية ص ١٣٩، توفيق اسكندر، مرجع سابق، ص ٣٠، ٣١ انظر الخريطة شكل رقم (٥).

(٣) بامخرمة: تاريخ ثغر عدم، ليدن ١٩٣٦، جـ١، ص ٥٤، ٦٨، جـ٢، ص ١٣٨، الجندى: السلوك فى طبقات العلماء والملوك، مخطوط بدار الكتب، ٩٩٦ تاريخ، جـ٢، ص ٣١٧، تاريخ ابن المجاور، جـ١، ص ١٠٩، المقريزى: السلوك، جـ٢، ص ٩٣٠.

(٤) تاريخ ابن المجاور، جـ٢، ص ١٩٢.

(٥) الفاسى: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نشر ليبزج ١٨٥٩م، ص ٢٨٥، صبحى لبيب: التجارة الكارمية،ص ١٩.

(6) C.F. Y. Kamal, (Ed): Monumenta Cartographica Africa et Aegyptie Tome, IV, Fax 1, p. 108.

وفضلا عن رعاية مصر لشئون الكارمية وخاصة فى موانئ البحر الاحمر وبلاده المختلفة، عملت على نشر العدل في ربوعه حتى تحفظ لكل كارمى حياته ومصالحه، وطالما حسم سلاطين مصر مشاكل الكارمية والتخلص مما يقابلهم من عراقيل لا يسهل عليهم دفعها.

وطالما عرضت على دار العدل بالقاهرة مشاكل التجار الكبرى فى الدولة المصرية. ومن أهم قضايا الكارمية التى عولجت فى دار العدل شكواهم التى تقدموا بها سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٦٣م فى حق صاحب سواكن وصاحب دهلك وخلاصتها أنهما يتعرضان لأموال من يموت من التجار فى بلادهم، فأوفد اليهما السلطان الظاهر بيبرس رسولا ينكر عليهما ذلك، بيد أن الانذار وحده لم يكن كافيا لردعهما، ولذلك فقد أرسل تجريده سواكن سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٤م، أعادت الأمور الى نصابها وأخضعت سواكن لحكم مصر [١]، وظهرت نتيجة ذلك واضحة سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م حين استخرج السلطان الزكاة من جميع أنحاء الدولة وكانت سواكن من بينها[٢]. بل لقد وقعت واقعة بين القبائل النازلة فى صحراء عيذاب، فكتب المنصور قلاوون سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م الى صاحب سواكن يأمره بالعمل على التوفيق بينها خوفا على فساد الطريق[٣].

أما صاحب دهلك فصار يرسل الهدايا الى سلاطين مصر توطيدا للمودة وردا لعادية الدولة الرسولية باليمن[٤].

وقد تتبعنا من قبل جهود المماليك فى سبيل المحافظة على مكانتهم التجارية وعلى نمو مشروعات الكارمى التجارية، فقد ارسلت حملة من قبل الناصر محمد لتطهير الصحراء الغربية «بادية عيذاب» من شر قطاع الطرق واعتدائهم على التجار المسافرين. وبالفعل سارت الحملة الى عيذاب ثم الى سواكن حيث اذعنوا الى سلطان مصر، وقرر أن يحمل الى الأبواب السلطانية ثمانين رأسا من الرقيق وثلاثمائة جمل وثلاثين قنطارا من العاج سنويا[٥].

(١) المقريزى: السلوك، جـ١، ص ٥٥٠ .

(٢) المقريزى: السلوك، جـ١، ص ٥٥٨، صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ٢١، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٩ .

(٣) المقريزى: السلوك، جـ١، ص ٧٠٠، والخطط، جـ٢، ص ٢٠٦، ٢٠٨ .

(٤) انظر مادة دهلك Dahlak فى دائرة المعارف الاسلامية وانظر ايضا: ابن حجر: أبناء الغمر، جـ١، ص ٣٥١، تاريخ ابن الفرات جـ١، ص ٣٤٢، القلقشندى: صبح الاعشى، جـ٥، ص ٣٣٦ .

(٥) النويرى نهاية الأرب، رقم ٥٩٢ معارف عامة، جـ٤، ص ٧٥-٨٠، المقريزى: السلوك، جـ٢، ص ١٦٢، صبحى لبيب: الكارمية، ص ٢٢ .

كذلك كانت الحكومة المصرية تفرض رسوما على التوابل التى تمر بالحجاز غير الرسوم التى كانت تجبيها اثناء مرورها بمصر، فكانت هناك رسوم تجبى فى بدر وأخرى فى حنين وبويب العقبة وجسر الحساء، وهم أهم مراكز التجارة الكارمية. وحينما تصل هذه التوابل الى موانى عيذاب والقصير كانت الحكومة تحصل عليها مكوسا أخرى[١].

وقد اسلفنا القول أن ازدهار عيذاب كان وليد اهتمام حكام مصر الاسلامية بالحركة التجارية فى البحر الأحمر وثمرة من ثمراته، فكان أن كفلوا لها الرعاية والحماية، ووفروا لها الادارة القادرة، فكان من شروط اختيار قاضى عيذاب مدى قدرة المرشح على القيام بأمر الحجاج والتجار[٢].

مما يدل على اشتغال القاضى بأمر التجار ومصالحهم، ذكرها التاجر الكارمى احمد بن عبد الوهاب الاسنائى حينما سأله قاضى قوص عن قاضى عيذاب فقال: «قلمه لا يجف، وعلامته الحمد لله، وبه أسف» ولا يخفى أن عبارة «قلمه لا يجف» كناية عن كثرة مشاغله وتعددها، ولعل مراد ذلك الى اشتغاله بأمر التجار لان الحج نشاط موسمى، كما ان عيذاب وقلة سكانها لا تستأثر بالكثير من وقت القاضى[٣].

وإلى جانب القاضى اتخذ حكام مصر الاسلامية عدة أعمال اختمى كل منهم بمهم من شئون التجار الكارمية، «فمنهم متولى شهادة الكارم، وكان يقوم بالشهادة عنهم فى مجلس القاضى. وممن تقلد هذا المنصب الفقيه الشافعى شمس الدين على بن محمد بن أبى بكر الانصارى المتوفى عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وكان قد سمع الحديث عن مشائخ منهم: الدمياطى، وابن دقيق العيد، قال عنه الحافظ ابن حجر: وشارك فى الفضائل، واختص الروضة وولى مدرسة ابن السديد، ونسخ بخطه كثيرا

---

(١) أنظر : ابن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤، ص ١٠٨ وما بعدها ، انظر الخريطة : شكل رقم (١١).

(٢) انظر ما سبق ذكره سالفا، ص C.f. Subhi Labib: op. Cit., pp. 68-71.; Goitein: op. cit., pp. 356, 359.

(٣) الأدفوى: الطالع السعيد، ص ٤٦ .

من الفقه واللغة والتصوف وكان له نظم حسن[١].

وقد ذكر المفضل بن أبى الفضائل عاملا آخر. كان مشرفا على ما يرد من التجار ومن تولاه رجل يعرف بأبى جلى قتله الملك داود عند إغارته على الثغر[٢]. كما أن صاحب زكاة عيذاب كان مسئولا عن جمع الزكاة من تجار الكارم، حيث نصت قوانين الدولة على أن تؤخذ منهم زكاة سنوية فى كل بلدة يتاجرون فيها[٣].

وقد كان لتجار الكارم أنفسهم مؤسسات خاصة بهم، فقد أقاموا فنادق للكارم على طول الطريق الممتدة من المحيط الهندى الى البحر المتوسط[٤]، بل وكان لهم عدد من العمال وكلاء وغيرهم مقيمون بصفة دائمة بالثغر[٥]. وكانوا ينفقون أموالا طائلة على تشييد المنشآت الخيرية والدينية من مدارس وخانات[٦].

---

(١) فمنه فيمن على أنفه خال:

ان الذى يرا الحواجب صاغها   نونين فى وجه الحبيب بلطفه

فتنازع النونان نقطة حسنة   فأقرها ملك الجمال بأنفه

أنظر: ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة مجلد ٢، جـ٣، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) المفضل بن أبى الفضائل، جـ٢، ص ٢٢١.

(3) C.F. Labib: op. cit., p.74;

بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٧٠، ٧١.

(4) C.F. Labib: op. cit., p. 73.

(5) C.F. Goitein: op. cit., p. 357.

(٦) الادفوى: الطالع السعيد، ص ٤٠٩، هذا ويلاحظ انهم شاركوا مع غيرهم من التجار فى النشاط الادبى والفكرى، فقد كان كثير من التجار له باع طويل فى الفقه والأدب، ومن أمثلة ذلك ما أورده المقرى فى نفح الطيب. انظر: أحمد بن محمد المقرى التلمسانى: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق، محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩، جـ٣، ص ٣٣٩-٣٤٠.

الاتصال التجارى بين عيذاب ومقرة وعلوة

كانت عيذاب على اتصال تجارى وثيق بمملكتى المقرة وعلوة، فقد ذكر اليعقوبى نحو نهاية القرن التاسع ان العاج كان إحدى السلع التى تشحن من ميناء عيذاب، إلى جانب التبر، وأن هناك طريقا للقوافل بين وادى العلاقى وعلوة(١)، كما ذكر ابن عبد الظاهر فى تشريف الأيام أن رسل آدر صاحب مملكة الأبواب، قد ساروا الى القاهرة عن طريق عيذاب لعداء بين ملك دنقلا وصاحب الأبواب(٢). كما أن ابن جبير وابن بطوطة أكدا أن العنصر السائد بعيذاب هو العنصر المحلى من بجة ونوبة(٣)، وقد أشار ابن جبير إلى النوبة بلفظة حبشي، بل ان بعض عمال الثغر آنذاك ربما تم اختيارهم من العناصر المحلية، فقد ذكر المقريزى فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى أنه التقى بقاضى عيذاب بالقاهرة وكان أسود اللون(٤).

ويجب ألا ننسى أن سقوط مملكة مقرة على أيدى المماليك فى الشطر الأول من القرن الرابع عشر الميلادى(٥)، وإسلام عدد لا يستهان به من أهلها قد وثق الاتصال التجارى والثقافى بين دنقلا وعيذاب. فقد ذكر ليو الافريقى ان شطرا من أهل عيذاب فر الى دنقلا بعد أن خربت القوات المملوكية والسواكنية الثغر(٦). ويغلب على الظن ان الذين فروا إلى دنقلا من أهالى القبائل العربية ومصر الذين كانوا مقيمين بالثغر كتجار ووكلاء، فكان من الطبيعى ان يعودوا الى أوطان تشابه بيئتهم بعد خراب عيذاب.

ومن جانب آخر فقد بادرت قوافل النوبيين وسفنهم بالاتجار مع مدن الحجاز(٧)، وأسوان(٨)، وقوص(٩)وعيذاب.

---

(١) أنظر: اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٢٣، ١٢٤، أنظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١).

(٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الايام، ورقة ٢٩٠ب، ١٢٩٣ أ.

(٣) انظر: ابن جبير: رحلته، ص ص ٤٥، ٤٨، ابن بطوطة: رحلته ص ٥٣.

(٤) أنظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٣.

(٥) انظر: ابن أيبك: كنز الدرر، جـ١، ص ١٩٩، ابن ابى الفضائل، ص ١٣٦، ابن الفرات، نفس المصدر، جـ٧، ص ٤٩.

(٦) ليو الافريقى: وصف أفريقيا، ص ٥٥٨، ٥٥٩.

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١.

(٨) المسعودى: مروج الذهب، جـ١، ص ٢٦.

(٩) ابن جبير: رحلته، ص ٤٣، الادفوى: الطالع السعيد، ص ٨، لبن دقماق: الانتصار، جـ٢، ص ٢٨.

المعاملات التجارية:

تركز التبادل التجارى ين مصر المملوكية والنوبة فى اقليم مريس[١]، وفى ظل السيادة المملوكية تطور التعامل التجارى فى تلك المنطقة، حيث كان يتم التبادل التجارى بين الطرفين بنظام الدفع المباشر: وكانت التعامل بالدينار المصرى شائعا، هذا إلى جانب نظام المقايضة وهو النظام السائد من قبل [٢].

وقد ظلت المعاملة بالمقايضة فى بلاد النوبة حتى القرن الماضى، اذ عندما زارها الرحالة بوركهارت عام ١٢٢٩هـ/١٨١٣م وشاهد التجار المصريين يقايضون بضاعتهم من التوابل والدمور والمحلب والقرنفل واللبان، بمحصولات بلاد النوبة مثل السمن والاغنام واللبن والذرة وغير ذلك من منتجات النوبة[٣].

وهناك اشارات كثيرة عن النشاط التجارى فى تلك المنطقة، فقد اشار الرحالة ناصر خسرو، حين مر بأسوان فى طريقه إلى عيذاب عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م إلى أنواع التعامل التجارى بين المصريين والنوبيين، فقد كان المسلمون يتوجهون إلى النوبة حاملين معهم منتجات مصر من المواد الغذائية والثياب والخزف وغير ذلك، ويعودون بمنتجات النوبة من رقيق وماشية وريش النعام والعاج[٤] كما شاهد ناصر خسرو انتشار التعامل التجارى بالدينار والدراهم العربيين الى جانب المقايضة فى اقليم مريس، وقد استأجر وهو فى طريقه الى عيذاب عبر صحرائها جملا بدينار ونصف دينار، مما يؤكد انتشار العملة المصرية فى سودان وادى النيل، وهو ما أكدته الوثيقة الخاصة بعقد الزواج الكنزى فى العصر المملوكى والتى جاء فيها ذكر الدينار[٥].

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٠ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة، ويشير المقدسى ان التعامل مع النوبيين كان يتم احيانا بالمقايضة بالثياب. أنظر احسن التقاسيم، ط ليدن، ١٩٦٧، ص ٢٤٢ .

(٣) أنظر رحلات بوركهارت، ص ١٩٠ .

(٤) ناصر خسرو: سفرنامة، ص ٧١، يوسف فضل: المعالم الرئيسية، ص ١١٤ .

(٥) ناصر خسرو: سفرنامة، ص ص ٧١، ٧٢، أنظر عقد الزواج، بمخازن متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم (٤٢٢٢)، انظر ملحق الدراسة شكل رقم (١) عن العملات المصرية ومدلولاتها، انظر: التيفاشى: ازهار الافكار فى جواهر الاحجار، ص ٢٣١-٢٤١ .

طرق القوافل:

قامت سياسة مصر المملوكية على اساس المحافظة على الطرق التجارية بين مصر وبلاد النوبة[١]، وكانت هذه الطرق أو معظمها تلتقى بثغر اسوان أهم أبواب مصر الجنوبية[٢]، وفى نفس الوقت أهم أبواب النوبة الشمالية[٣] ولذا فهى ملتقى طرق القوافل التجارية المارة بين مصر وبلاد النوبة برا ونهرا[٤].

وطرق القوافل التجارية التى تربط مصر والنوبة عند أسوان ثلاثة:

الطريق الأول وهو الطريق النيلى التى تسير فيه القوافل بحذاء النيل، والطريق الثانى كانت تخترقه القوافل عبر الصحراء الشرقية وفيا فيها الشاسعة، والطريق الثالث كانت تجوبه القوافل فى الصحراء الغربية ويسمى درب الأربعين(٥).

طريق نهر النيل..

ظل نهر النيل أهم طرق النقل والمواصلات بين مصر وبلاد النوبة بل يكاد يكون الطريق الرئيسى الذى جاءت عن طريقة كل منتجات النوبة من ذهب وعاج وابنوس وجلود الفهود وريش النعام وغير ذلك من منتجات تلك البلاد الى مصر[٦].

وتسير القوافل التجارية فى الطريق النيلى - بعد مغادرتها أسوان - على الجانب الشرقى من النهر، فتمر على جزيرة فيلة (أنس الوجود) بعد أربعة أميال من أسوان، الى أن تصل قرية ساق الجمل[٧] من أعمال دابود، ثم اودية السيالة وعبدون

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، جـ٢، ص ٣١-٣٢.

(٢) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، جـ٢، ص ٣٤-٣٥.

(٣) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٠، حسن محمود: نفس المرجع، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٨.

(٤) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ١٩٧.

(5) Longfield: The Growth of Sudan Communication, Anglo Egyptian Sudan From Within, ed. Hamilton, p. 210,311.

انظر: الخريطة: شكل رقم (٥) بملحق الدراسة.

(٦)النويرى: نهاية الارب، رقم ٥٩٢، جـ٤، ص ٧٥-٨٠، السلوك، جـ٢، ص ١٦٢، صبحى لبيب، الكارمية، ص ٢٢، محمد جمال الدين مختار: آثار النوبة ومحاولة انقاذها، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس، ص ٥٨، الحويرى: اسوان، ص ١٠١، الان مورهيد: النيل الازرق، تعريب ابراهيم عباس، بيروت ١٩٦٩م، ص ١٢٤.

(٧) درب الجمل طريق تجارى يسير محازيا للنيل ويربط الحلفاوية بشندى وقرى سنار.. C.F.: Crawford: op. Cit., p. 68-69.

ودهميت[١]. ومنهـا تواصل القـوافل سيـرها إلى قـرتاس، ثم نجع الجامـع، ثم تيفـة ثم قرية دار موسى ثم وادى كلابشة وهو أكبر الوديان التى تمر بها الجمال منذ قيامها من أسوان[٢].

ومن وادى كلابشة تواصل القوافل سيرها الى قرية الشقيق ووادى هور، وتمر على قرية دندور، ووادى أبيض، وقرى ماريا (مريم) قرشة وكشتمنة، وقرية كوبان التى تقع تجاه معبد الدكة على الضفة الغربية للنيل، الى أن تصل الى العلاقى[٣]. ومن العـلاقى تستـمـر القـوافل فى سيـرها مـارة باودية المحـرقـة والسـيـالة ونعـمـة والنصـرلاب والمضـيق والسبـوع والعرب وسنقـارى إلى أن تصل كـروسكو[٤]. ومن كروسكو إلى قرية بشير نيرقة، ثم ضراب، ثم وادى عشرا، ثم وادى الشباك، ثم وادى بستـان ثم قرية توشكى، ومنها إلى قرية أرمنا ثم عقبـة فريق حيث يقع أمامـها على الضفة الغربيـة معبد أبى سمبل، ثم قلعة أدا التى تواجـهها على الضفـة الغربية قرية بلانة، ثم قرى قسطل وادندان وفرس وسرة غرب ودبيرة واشكيت وديروسة وسقوى إلى أن تصل إلى وادى حلفا[٥]، وتستمر الرحلة جنوبا إلى سهول دنقلة الفسيحة[٦].

على أن ذلك الطريق النيلى الذى تسير فيه القوافل التـجارية من أسوان حتى دنقلة ، محـاذية للضفة الشرقية لم يكن سهلا، فالطبيعة الصخرية لبلاد النوبة وعرة، فضلا عن شدة الجفاف، كل ذلك جعل المواصلات البرية بين مصر وسودان وادى النيل شاقة[٧] وبالرغم مما يكتنف ذلك الطريق من وعورة إلا أنه له مـحاسن منهـا ان ذلك الطريق كـان آمنا، كـذلك كـانت القوافل ترد النيل للاستـقـاء وحـمل الماء اللازم للرحلة [٨].

---

(١) رحلات بوركهارت، ص ٣–٨ .

(٢) رحلات بوركهارت، ص ٩، ١٠ أنظر الخريطة: بملحق الدراسة شكل رقم (٥)، (١١).

(٣) رحلات بوركهارت، ص ١١– ص ١٤، أنظر الخريطة: بملحق الدراسة ، شكل رقم (٥)، (١١).

(٤) نفسه، ص ١٥–١٧ .

(٥) نفسه: ص ١٧–٣٧ .

(٦) نفسه، ص ٣٨–٥٧، أنظر: الخريطة: بملحق الدراسة شكل رقم (٤، ٥).

(7) C.F. Arkell: A history of the sudan, p. 36.

(٨) على مبارك: الخطط التوفيقية ، جـ١٧، ص ٤١ .

أما الطريق النيلى على الضفة الغربية فكانت القوافل تشقه بسهولة عن الضفة الشرقية فأرضه رملية سهلة السلوك ويمكن السير فيها بلا خبير لوضوحها[١].

طريق الصحراء الغربية «درب الأربعين»[٢].

كانت الصحراء البرية فى المكان الأول للمرور والتوغل جنوبا نحو الأرض الواقعة جنوب مصر[٣]. وطريق الصحراء الغربية احد هذه الطرق البرية، الذى يربط مصر وبلاد النوبة منذ القدم[٤] وهذا الطريق يبدأ من أسيوط عبر الصحراء الغربية ليسير خلال سلسلة من الواحات فى قلب الصحراء الغربية مثل الواحات الداخلة والخارجة، وواحة كركر ثم واحة سليمة وبئر النطرون ومنها إلى الفاشر عاصمة أقليم دارفور[٥]. وهذا الطريق الرئيسى له فروع عديدة مختلفة تصله بالواحات الأخرى المنتشرة بالصحراء الغربية، ويمكن الوصول اليه من عدة مدن مصرية على النيل فكان هناك طريق يصله من مدينة جرجا وآخر من مدينة الاقصر، وثالث من مدينة ارمنت ورابع من مدينة أدفو[٦]، وخامس من مدينة دراو، وسادس من مدينة أسوان. كما كان هناك طريق آخر يلتقى به من اقليم دنقلة غربا عبر وادى الملك[٧].

---

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة، الحويرى: اسوان، ص ١٠٣، انظر الخريطة التى تمثل الطرق التجارية بين مصر والنوبة فى العصر المملوكى. شكل رقم (١١).

(٢) درب الأربعين: سمى بهذا الاسم لان القوافل المارة به تستغرق اربعين يوما فيما بين مدينتى اسيوط بمصر والفاشر باقليم دارفور بالنوبة، وهذا الطريق قديم قدم التاريخ المصرى النوبى، طرقه فراعنة مصر، وقد لعب هذا الطريق دورا عظيما فى العلاقات الاقتصادية بين مصر والنوبة على مر العصور التاريخية أنظر: أحمد فخرى: مصر الفرعونية، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٥٤.

(٣) الان مورهيد: النيل الازرق، ص ١٢٤؛ صلاح الدين الشامى: دراسات فى النيل، ١٩٦٧م، ص ١٣.

(٤) أنظر: أحمد فخرى: مصر الفرعونية، ص ١٥٤، وأيضا: الواحات البحرية فى التاريخ، المجلة التاريخية المصرية ١٩٥١م، ص ١٧٧، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥.

(5) C.F. Arkell: A.J.: A history of the Sudan, pp. 42-44. الحويرى : اسوان، ص ١٠٣.

(٦) أدفو: اسم نوبى يعنى باللغة النوبية الرجل النائم وقد ورد عند المقريزى: الخطط، جـ١ ص ٢٣٧ بأنه كان هناك تمثال حجرى لرجل على هيئة امرأة ملقى على ظهره، وكان هذا التمثال يحمل على ظهره لوح مكتوب باللغة اليونانية، مما يدل على ان التسمية صحيحة، انظر: الخريطة: بملحق الدراسة، شكل رقم (٥).

(٧) أحمد فخرى: مصر الفرعونية، ص ١٥٤، الحويرى: اسوان، ص ١٠٣، ١٠٤. C.F.: Arkell: op. Cit., p. 178; MacMichael: Nubian elements in Darfur S.N.R. vol. I, p. 31. انظر الخريطة شكل رقم (٥، ١١) بملحق الدراسة، انظر سرج الجمال المستخدم فى الرحلة بملاحق الكتاب ١٠/١٠ .

طريق الصحراء الشرقية

هذا الطريق يسير مع النيل على الضفة الشرقية، حتى بلدة كرسكو على بعد ١٩٤كم جنوبى اسوان على النيل، وهى آخر قرى بنى الكنز، ومن هناك يترك هذا الطريق نهر النيل الذى ينحنى غربا فيسير هذا الطريق البرى على خط عرض ١٦، ٢٢ شمالا، أى ما بين بلدة كرسكو المذكورة ومنطقة الأبواب[1]، التى تمثل حمد الحالية[2]، وهناك يلتقى هذا الطريق بالنيل ثانيا، وذلك تقصيرا للمسافة التى تصبح يومين بدلا من شهر[3].

وكان هذا الطريق هو الطريق المعتاد للقبائل العربية المهاجرة من مصر الى الجنوب متوغلين الى أعالى النوبة، كما كان طريقا للتجارة بين شمالى الوادى وجنوبه، وهذا الطريق هو أقصر وأحسن الطرق، رغم خطورته ووعورته، حيث يسير ما يقرب من مائتى كم فى مغارة معطشة بعيدا عن النيل والقرى النوبية المتناثرة عليه[4].

الطرق المؤدية إلى أهم الثغور النوبية على البحر الأحمر:

هناك عدة طرق تجارية عبر الصحراء الشرقية تربط الثغور النوبية على البحر الأحمر وأهمها عيذاب، بالمدن التجارية المصرية على النيل.

وقد ظهرت أهمية هذه الطرق جليا مع تحول طريق الحج منذ منتصف القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى أى منذ أغلق طريق الحج البرى[5].

---

(١) الأبواب تمثل أبى حمد الحالية وسمى بهذا الاسم نتيجة التقاء عدة طرق تجارية بها أنظر Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, p. 24. أنظر الخريطة شكل رقم (١).

(٢) مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٩٤، ١٦٥، صلاح الشامى: دراسات فى النيل، ص ١٦٦، Hamilton, S.A: op. cit., p. 510.

(٣) المقريزى: المقفى، مخط، ورقة ١٦٥ أ؛ حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، جـ١، ص ٣٠٤.

(٤) محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٦٠، ١٦١، حسن محمود: مرجع سابق، جـ١، ص ٣٠٤، انظر: الخريطة: شكل رقم (٥) بملحق الدراسة.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٢، على بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، القاهرة ١٩٧٣، ص ٦٣.

ومنذ ذلك الحين أصبحت بادية عيذاب طريقا للحجاج، ظلت زهاء مائتى عام، فقد كانوا يركبون النيل من الفسطاط إلى مدينة قوص، حيث تبدأ الطرق الصحراوية إلى عيذاب التى كانت فى الغالب تستغرق سبعة عشر يوما(١).

ومن هذه الطرق طريق العبدين الذى كان يبدأ من قرية المبرز(٢) جنوبى مدينة قوص، حيث كان يشد فيها الرحال للحجاج والتجار.

وهذه القرية كانت غاصة بالنخيل ربما كان يتزود منها الحجاج بالزاد اللازم لتوفر التمر بها، ومن هذه القرية يبدأ الطريق إلى بئر الحاجر ثم إلى مكان يعرف بقلاع الضياع، ثم محطة اللقيطة ثم إلى بئر ينسب إلى عبدين ماتا هناك عطشا، حيث يتزود المارة بالماء اللازم ومن هناك إلى بئر دنقاش، حيث عين جارية وكل هذا فى صحراء جرداء لا عمارة فيها ولا نبات سوى آبار المياه المنوه عنها، ولا يسافر فى هذا الطريق الجدب من كل أنواع الحياة إلا على ظهر الجمال. وقد سمى بطريق العبدين نسبة إلى المكان المشار اليه. وكان أقصر الطرق المؤدية إلى ثغر عيذاب(٣).

وهناك طريق آخر كان يبدأ من قنا، ويلتقى بالطريق الأول على مقربة من ماء دنقاش أو بعده بقليل، حيث مكان قليل الماء، ومنه إلى موضع يعرف بأمتان حيث بئر غزير الماء عذب الطعم ترد إليه كل القوافل المارة، وهناك شاهد ابن جبير القوافل العيذابية المحملة بأنواع الهندية مثل الفلفل والقرفة وكثير من السلع الأُخرى، ومنها ما هى ملقاة على قارعة الطريق بلا حارس(٤). مما يدل على توفر الامن فى هذا الطريق.

---

(١) المقريزى: الخطط جـ١، ص ٢٠٢ .

(٢) المبرز: لم يرد ذكر هذا الوضع فى أى مصدر من المصادر المعاصرة سوى عند ابى جبير الذى يحدد موقعه بجنوبى مدينة قوص بقليل حيث شد فيه رحاله اثناء رحلته عبر صعيد مصر قاصدا عيذاب ومنها الى الاراضى الاسلامية المقدسة فيقول: ونحن بقوص، نروم السفر الى عيذاب. اخرجنا جميع رحالنا من زاد وسواه الى المبرز، وهو موضع بقبلى البلدة على مقربة منه، فسيح الساحة، محدق بالنخيل، يجتمع فيه رجال الحاج والتجار، وتشد فيه ومنه يستقلون ويرحلون وفيه يوزن ما يحتاج إلى وزنه على الجماليين رحالة ابن جبير ص ٤١-٤٣، أنظر: الخريطة : شكل رقم (١، ٥) بملحق الدراسة.

(٣) أبن جبير: تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار، ص ص ٤١-٤٣، أنظر: الخريطة، شكل رقم (١) بملحق الدراسة.

(٤) نفس المصدر، ص ص ٤٣-٤٤، المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٢، أنظر: الخريطة: شكل رقم (٥) بملحق الدراسة.

ومن امتان إلى مكان يعرف بمجاج حيث يتزود المارة بالماء لأربعة أيام، ويبدأ السير في منطقة رملية لينة إلى الموضع الثاني الذي يعرف بالقشراء، وعلى مسافة يوم واحد من عيذاب ثم يصل العشراء على مرحلتين من عيذاب، حيث يكثر نبات العشرة وفي هذا الموضع بئر ماؤه غزير يستقى منه المارة وأهل البلد[1].

كان هذا الطريق على امتداد رملي، ولم تكن هناك علامات يستدل بها في السير، وربما يخطئه الدليل مهما كان ماهرا، ورغم ذلك ظلت صحراء عيذاب رغم مشقتها الطريق الذي ربط الغرب الاسلامي كله بالشرق[2].

وكان هناك طريق آخر يربط النيل بثغر عيذاب، وهو طريق أسوان عيذاب[3].

وكان يسمى بالواضح نحلوه من الجبال المتشابكة عكس طريق قوص عيذاب[4].

تلك هي ملامح النشاط التجاري والاقتصادي الذي شهده سودان وادي النيل منذ بداية التطلع المملوكي نحو الجنوب وما فرضته ظروف هذا العصر من المحافظة على مصالح مصر المملوكية والعمل على تأمينها من المخاطر الخارجية، ولقد تضافرت هذه الأحداث بعد انهيار الممالك النوبية المسيحية وقيام الممالك والمشيخات الاسلامية ومن ثم شهدت ارض النوبة تغيرا اقتصاديا شمل كافة أنواعه، بتكامل بين مصر المملوكية القوية، والنوبة الإسلامية.

---

(١) ابن جبير: المصدر السابق، ص ص ٤٤–٤٥.

(٢) المقريزي: الخطط، جـ١، ص ٢٠٢، ابن الوردي: المصدر السابق ص ٤٤.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٧٢، ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٠٥.

(٤) كانت الرحلة من ثغر اسوان الى ثغر عيذاب تستغرق خمسة عشر يوما، أي انه أقصر من طريق قوص – عيذاب بمسافة يومين، فقد بدأ ناصر خسرو رحلته من اسوان في الخامس من ربيع الاول عام ٤٤٢هـ ووصل عيذاب في العشرين من نفس الشهر. وقد حدد ناصر خسرو المسافة بين الثغرين اسوان وعيذاب بمائتي فرسخ. ورغم ان الحجاج كانوا يحملون معهم الزاد اللازم لرحلتهم الا أنه كثيرا ما كان ينفذ منهم العلف، كما حدث مع ناصر خسرو نفسه أثناء رحلته عبر تلك الصحراء في اثناء طريقه الى الحج. انظر: ناصر خسرو: سفر نامه، ص ٧٢، الخطط، جـ١، ص ٢٠٢، وقد ظلت عيذاب تقوم بدورها حتى ١٤٢١م حين خربها السلطان برسباي.

C.F.: Browne: the history and Description of Africa by Leo Africanus, done into English by John Pary 1600, Vol. III, p. 837.

الفصل الخامس

النتائج الاجتماعية لسقوط ممالك النوبة

- التكوين الاجتماعى لشعب سودان وادى النيل.
- العنصر العربى الوافد على سودان وادى النيل.
- مجموعة الجعليين.
- مجموعة جهينة.
- مجموعة الكواهلة.
- قبائل البجاة.
- الأقليات من النوبيين المسيحيين.
- التكاررة - العبيد - المماليك والأتراك.
- العادات الاجتماعية الخاصة فى مجتمع سودان وادى النيل.
- الزواج فى ضوء الوثائق العربية.
- النفقة (الطلاق).
- عادة الشلوخ.
- الأنساب العربية.
- الختان - أربعون الولادة.
- الملبس - الزينة.
- المسكن - الأثر الإسلامى فى الزخارف المعمارية بالنوبة.
- المأكل والمشرب.
- المآتم والأحزان.
- الاحتفالات والطقوس الدينية.

(القتل الطقسى عند الفونج).

التكوين الاجتماعى لشعب سودان وادى النيل:

حفلت بلاد النوبة فى العصور الوسطى بعناصر سكانية عديدة ومتباينة ينتمى معظمها إلى الجنسين السامى والحامى[١]، وتتمثل تلك العناصر التى تلاقت على أرضها فى القبائل العربية التى احتلت قمة الهرم الاجتماعى، والنوبيين، والبشارية، والعبابدة، بالأضافة إلى الوافدين من مختلف مدن مصر الإسلامية، والتكاررة، والعبيد، والمماليك، والأقليات من المهاجرين المسلمين من الأندلس والأتراك وغيرهم.

وثمة دليل مادى هام اعتمدنا عليه فى وصف التركيب الاجتماعى لبلاد النوبة ذلك هو شواهد القبور[٢]، التى اسفرت عنها الحفريات فى مقابر أسوان[٣] ومنطقة

---

(١) النوبة طائفة من طوائف السودان، ينسبها المؤرخون إلى نوبى بن قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح. انظر: الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ط سانت بطرسبرج ١٨٦٦، ص٢٨٦؛ محمد عبدالعال أحمد: النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها، ص٢٦٥: وقيل أنهم ولد نوبه بن كوش بن كنعان بن حام، انظر: ابن خلدون: العبر، ط بيروت، جـ٢، ق١، ص٢١. ويزعمون أنهم من نسل حمير.. انظر ياقوت: معجم البلدان، ط ليبزج ١٨٧٠، جـ٤ ص٨٢٠؛ وربما كان أصل كلمة كابيل من قبل، وهو لقب أطلق على بعض أمراء اليمن. انظر: القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٠، ص٢٤؛ المسعودى: مروج الذهب جـ١، ط بيروت ١٩٧٣م، ص٤٢٢، ٤٣٧، ٤٣٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ١، ط القاهرة ١٩٦٣، ص٣٦٨؛ ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، المجلد الأول: دار المعرفة بيروت ١٩٧٠، ص١٣٤، ١٣٥؛ ويقول دى فيلار: «وليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية ترجع فى أصلها إلى جنوب الجزيرة العربية إذ عبر الحميريون البحر الأحمر، واستقروا فى السودان حيث نقلوا أسماء أجدادهم مثل كوه، دارو، سبأ» C.F.: De Villard: Storia Della Nubia Cristiana, P.171; Mac Michael:Op. Cit.,Vol. I, P. 168. محمد عوض: السودان الشمالى، ص ص٣، ٤؛ انظر الخريطة بملحق الدراسة، شكل رقم (١٣).

(٢) قام الأستاذ عبدالرحمن عبد التواب مدير الآثار الإسلامية والقبطية بهيئة الآثار المصرية سابقا، ومستشار الهيئة رحمة الله عليه، بإجراء حفريات فى جبانة أسوان فى المدة من ديسمبر عام ١٩٦٠م حتى منتصف عام ١٩٦٢م، واسفرت تلك الحفريات عن اكتشاف العديد من شواهد القبور، وقد ضمنها كتاب Stéles Funéraires، ويقع فى عشرة أجزاء، ألف الأول والثالث منه الأستاذ حسن الهوارى وحسين راشد أما بقية الأجزاء فقد ألفها جاستون فييت. وقد جاء فى مقدمة ذلك الكتاب أن (٢٥٠) شاهداً أصلها من مدافن أسوان، وردت لمتحف الفن الإسلامى بتاريخ ١٤ يناير ١٩٠٤م، وتحمل تلك الشواهد رقم ٣١٥٠، أما شواهد القبور الموجودة بمتحف الفن الإسلامى حاملة رقم ١٥٠٦ وعددها ١٠٠٠ شاهد، وقد أكد الأستاذ عبدالرحمن عبدالتواب بعد الدراسة التى استخلصها للكتالوجات، ولمحاضر اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية أن غالبيتها وردت أصلا من أسوان. وينطبق ذلك أيضا على شواهد القبور التى تحمل رقم ٢٧٢١.. حفائر مصلحة الآثار بأسوان، الموسم الأول، ديسمبر ١٩٦٠ – إلى فبراير ١٩٦١م، يوميات الحفائر للأستاذ عبدالرحمن عبدالتواب.

(3) C.F.: Monneret De Villard: Storia P.118 FF.

الحلفاية حيث تنتشر مقابر الصواردة[١] والمغارية[٢] أو العبيداب[٣] وود أب دقن[٤]، وعبدالمحمود[٥]، والضيفلاب[٦]، والدواليب[٧] وغيرهم.

وقد حفرت على تلك الشواهد نقوش توضيح تاريخ الوفاة لشخصيات من جنسيات متعددة عاشت فى أسوان، والنوبة، ومن الملاحظ أن الكتابة نقشت على الأحجار والرخام بالخط الكوفى، إما حفراً وإما بارزاً[٨].

ويرى بعض الباحثين أن اسم المتوفى فى معظم شواهد القبور التى عثر عليها فى مقابر أسوان يتبع باسم قبيلته فى خلال القرنين الأولين للهجرة، أما فى غضون القرن الثالث، فقد لوحظ أن اسم القبيلة، حل محلها اسم الجهة أو الأقليم الذى ينتسب إليه المتوفى[٩]. كما يرى البعض أنه بدراسة نسب المتوفين فى تلك الشواهد يتضح أن أغلبهم ينتمون إلى القبائل التى جاءت إلى مصر مع الجيش الفاتح، والقليل منهم نسب

---

(١) تشير كلمة الصوارد الآن إلى سكان قرية صواردة الواقعة فى منطقة السكوت بأرض المحس على خطى ٢٠,٣٤ْ شمال و٣٠,١٩ْ شرق، كما تشمل كل سكان المنطقة المجاورة وكلهم من المحس، ويروى النسابة السودانيون أن صارد جد الصواردة هو أخو جذام وعبدالعزيز محسى. وكلهم من أبناء ذبيان ويرجعون بنسبهم البعيد لجهينة. ويعتقد أن للصواردة هؤلاء صلة قوية بالمحس وقبيلة جهينة انظر: MacMichael:Op. Cit.,Vol. 2, P. 24;Y. F. Hasan: Op.Cit. P.144 FF..

(٢) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان. Midc 1/18/198 ورقة ١٢.

(٣) أشار الدكتور يوسف فضل أنه لم يعثر على خبر عنهم فى كتاب الطبقات انظر ص١٩٩.

(٤) هوبادى الثانى أبو دقن، ابن رباط بن بادى انظر: الطبقات، ص٣٢٦.

(٥) انظر: الطبقات، صفحات ٢٠، ١٥٤، ١٩٦، ٢٨٧هـ.

(٦) انظر: الطبقات، ص١٥، ١٦؛ وثائق الفونج والأرض،ص٩٤.

(٧) انظر: عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك التاريخ والبشر، دار جامعة أم درمان الإسلامية، ط الأولى ١٩٨٨م ص٣٦، انظر الخريطة، شكل رقم (١٤).

(٨) انظر: لمزيد من الدراسة بعض أشكال لمشاهد القبور، تم نشرها فى كتاب مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى للدكتورة سعاد ماهر، الهيئة المصرية ١٨٧٧م أشكال (٢)، (٣)، (٤)، ص٣٤ - ٣٦، انظر ملحق الكتاب شكل ٢٣، ١٠/٢٤.

(9) C.F.: Wiet: L'Egypte Musulmone (Précis de L'histoire d'Egypte, Tom.11, Le Caire 1932, P.219;

سيدة كاشف: مصر فى فجر الإسلام، دار الفكر العربى ١٩٤٧، ص٢٥٨.

إلى الموطن، ولم يبتدىء الانتساب إلى الموطن فى تلك الشواهد إلا بعد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[1].

وعلى أية حال فقد لاحظنا أثناء دراستنا لشواهد قبور مقابر أسوان أن كتابة اسم المتوفى منتسباً إلى قبيلته يمتد حتى العصر المملوكى[2]، فقد عثر على شاهد قبر خاص بالأمير نجم الدين عمر بن الكنز[3] فى مقابر أسوان (الجزء الذى يطلق عليه اسم مقبرة العنانى) عند مدخل إحدى القباب التى ترجع إلى العصر المملوكى[4].

---

(1) C.F.: Catalogue général du Musée Arabe du Caire, Stéles Funéraires, Vol. 1, Par Hassan Hawary et Hussein Rached.,

فعلى سبيل المثال لا الحصر: أبو راشد سعيد بن ميمون بن يحيى بن سوار التجيبى ت ٤٢٧هـ، أحمد بن محمد بن عيسى القرشى ت ٢٥٧هـ، فاطمة ابنة مروان بن عبدالملك الخولانى ت٣٢٨هـ، الحسين بن الفضل أحمد بن سليمان إلياس ت٤٠٢هـ، محمد بن سليمان الأنصارى ت ٤٢١ هـ. انظر:

Wiet: Stéles Funéraire, Vol.11, PH 134, Vol. V, P.34

Vol. VI, P.57, Hawary et Rached: Op. Cit., Vol.III, P.78.

(٢) نود أن نشير أن أعداداً من القبائل العربية ممن شهدوا فتح مصر قد رابطوا فى ثغر أسوان. للدفاع عنه ضد غزوات مملكة المقرة المسيحية، فضلا عن اشتراكهم فى الحملات الأولى لولاة مصر، وهى السياسة التى سار عليها من بعدهم حكام مصر، وهناك شواهد للقبور بجبانة أسوان ترجع إلى هذا الوقت المبكر (أى منذ القرن الأول الهجرى)، ففى أحدها كتب اسم عبدالله الحجازى الأنصارى، وعلى آخر كتب اسم محمد بن عبد شمس الطائفى الأنصارى، والاثنان من قبيلة الأنصار التى اشتركت فى معارك الفتح، كما عثر على شاهد قبر من الحجر الجيرى عليه كتابة باسم ابن حجر الأسوانى مؤرخ بسنة ٣١هـ، معنى ذلك أن أسوان قد سكنها أقوام من العرب منذ القرن الأول الهجرى ومن ثم انتقلوا بعد ذلك إلى بلاد النوبة. انظر لمزيد من التفاصيل: المقريزى: البيان والأعراب، ص٤٤، وأيضاً: الخطط، جـ١، ص ص١٩٧، ١٩٨؛ سيدة كاشف: دراسات فى المجتمع المصرى الإسلامى قبل العصر الفاطمى، المجلد الثانى ١٩٨٠م، ص٢، مصر فى فجر الإسلام، ص٢٥٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، مصر فى فجر الإسلام، ص٢٥٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص١١٢؛ سعاد ماهر: محافظات الجمهورية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٢١، العدد الأول ١٩٥٩م، ص٨١ – ٨٥،

C.F.: Devillard: La Musulmana di Aswan, Cairo 1930, P.1-2.

(٣) هو ابن اخ الأمير فخر الدين مالك ولى إمارة بنى الكنز فى إمارتهم الثانية فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى بعد عمه فخر الدين مالك، تحدث الأدفوى كثيراً عن شجاعته وكرمه وقال إنه كان له ولأخيه ولأولاده بأسوان آثار وأوقاف على وجوه البر جزيلة، انظر: الأدفوى، ص ص٣١، ٣٢.

(٤) حفائر مصلحة الآثار بأسوان، الموسم الأول، ديسمبر ١٩٦٠م – إلى فبراير ١٩٦١م، يوميات الحفائر للأستاذ عبدالرحمن عبدالتواب.

أما عن شواهد القبور فى بلاد النوبة، فأقدم لوحة مكتوبة بالعربية تم أكتشافها في مينارتى[١] وهى تذكر اسم فاطمة بنت إبراهيم بن إسحاق بن عيسى المتوفاه يوم الأحد فى أول جمادى الثانى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة للهجرة أى ما يوافق سنة ١٠٦١م[٢]، وهناك شاهد آخر مؤرخ سنة خمس وخمسين وأربعمائة للهجرة أى ما يوافق سنة ١٠٦٣م وقد استخدم الشاهدان أيضا كمادة للبناء فى بعض العمائر المسيحية بالجزيرة[٣].

وفى دراستنا للقبائل العربية التى سكنت بلاد النوبة فى العصور الوسطى نرى القحطانيين والعدنانيين ممثلين تمثيلا قويا فى تركيبها الإجتماعى [٤]، ولابد أن يكون هناك مناطق للجذب نحو الاستيطان، وخاصة بعد إفول مملكة علوة المسيحية[٥] التى كانت عاصمتها سويا مركز السلطة القديمة[٦]، ولطبيعة غناها وخصوبة أراضيها

(١) جزيرة مينارتى تقع على بعد ١٠كم جنوب وادى حلفا، حيث عثر آدامز على مجموعة من شواهد القبور، من بينها إثنان باللغة العربية لأختين، والشاهدان بخط كوفى مورق توريقا بسيطاً. انظر ملحق الدراسة عن شاهد قبر اسم فاطمة بنت إبراهيم بن إسحاق، شكل رقم (٩/٤)

C.F.: Adams, W.Y.: Kush XII, P.236, Nigm Ed Din, M, Sherif, The Arabic Inscriptions from Meinarti, Kush XII, PP. 249 - 250 and Pls. L III - L IV a,b.

وعن شواهد القبور فى النوبة أنظر كذلك: Pls, L III- L IV a,b Monneret De Villard: Storia, P. 118.

(٢) ونختلف هنا مع الأب الدكتور ج.فانتينى مع ما أورده عن تاريخ هذه اللوحة حيث أنه ذكر التاريخ الخاص بالوفاة الشاهد قبر فاطمة بنت إبراهيم بن إسحاق، على أنه فى يوم أول بؤونة سنة ٤٥٣ من عهد الشهداء وهذا ما يؤخذ عليه فى محاولة لتأصيل المسيحية فى النوبة، وهذا ما صححه آدمز فى تنقيباته واكتشافاته الأثرية فى النوبة.

C.F.: Adams, W.Y.: Sudan Antiquites Service Excavations in Nubia, Fourth Season 1962- 69, Kush XIII, PP. 177- 173.

وانظر أيضًا: كرم الصاوى: التطور الاجتماعى، ص ص ٣١٣، ٣١٤؛ فانتينى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة، ص٨٦.

C.F.: Adams, W.Y.: Kush XII, PP. 172-173.

(3) C.F.: Adams, W.Y.: Kush XIII, PP. 172- 173.

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم .Misc/1/15.191 ورقة ١٨، ١٩؛ أنساب عرب السودان، مخطوط .Misc 1/18/198 ورقة ١٠ وما بعدها، انظر الخريطة بملحق الدراسة، شكل رقم (١٣).

(٥) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/20/232، ص١، ٢، مخطوطة كاتب الشونة، ص٦، ٧، ١٢٩، تاريخ ملوك السودان ص١.

(6) C.F.: Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, P.68 - 69.

الواقعة على النيل، ولوقوعها على الطريق التجارى المعروف بدرب الجمل، الذى كان يسير محاذيا للنيل، وتسير عليه القوافل التجارية من سنار وما وراءها إلى شندى، والدامر وما وراءها إلى مصر مارا بالحلفاية[١].

ومن الطبيعى أن منطقة الحلفاية وغيرها من المناطق المجاورة لعاصمة علوة كانت تستمد أهميتها من هذا الجوار ثقافياً واقتصادياً وبشرياً. ومن الشواهد ما يشير إلى أن القبائل العربية المختلفة التى ظلت تتدفق على المنطقة قبل فترة طويلة من سقوط مملكة المقرة ومملكة علوة المسيحية، كانت تتخذ من منطقة شرق النيل وغربه[٢] أماكن للاستقرار والمرعى[٣].

---

(١) الحلفاية قرية تقع على بعد ٧ أميال شمال الخرطوم بحرى على خطى ١٥,٤٢ْ شمال و٣٢,٣٣ْ شرق. وكانت قرية عامرة مأهولة وهى تقع على الطريق التجارى (درب الجمل) الذى يسير محاذيا للنيل ويربطها بشندى وقرى سنار وقد زارها الرحالة كرمب كما زارها بروس، ثم صارت عاصمة للعبدلاب وعرفت بحلفاية الملوك بعد أن هجروا عاصمتهم القديمة قرى، وزادت أهميتها بخراب أربجى سنة ١٧٨٤م راجع أيضا: Craeford: Op.Cit., P.68 - 69. كتاب الطبقات، ص٤٢.

كروباتشيك: مرجع سابق، ص٤١١ ومابعدها،

Y.F. Hasan: Islamic external influences, P.73- 74, R.S.O, Fahey: Religion and Trade, P. 87 - 89.

(٢) منها قبيلة رفاعة، حيث المعروف انقسام هذه القبيلة الجهينية الكبيرة إلى شماليين يكادون يكونون مستقرين (مع غيرهم من عناصر أخرى، وفى حالات يحترفون الزراعة والتجارة وغيرها، وجنوبيين لايزالون على أصل القبيلة فى البداوة والترحل الذى احتفظوا به بكل أقسامهم حتى زمن الفونج حيث المعروف أيضاً أن رفاعة الجنوب منهم إلى الشرق من النيل الأزرق «رفاعة الشرق» الذين يقضون الصيف فى جنوب البطانة وعلى نهر الدندر بينما يرحلون فى الخريف إلى البطانة، وإلى القرب من النيل الأزرق «رفاعة الهوى» (أبو روف) الذين أوطانهم فى الصيف إلى القرب من الروصيرص وخريفهم رحلة تمتد إلى جبل مويا. إن اتساع قبيلة رفاعة – برغم تميزها من قبائل جهينة الأخرى التى هى فرع منها مستقل بنفسه وربما منازع لبقية فروعها، وكذلك امتداد أوطانها الأصلية مما يجاور البجا إلى شمال غرب الحبشة، ثم نزوع الشماليين منهم إلى الاستقرار والزراعة وبقاء الجنوبيين منهم على الرعى.. كل هذا يجعل من غير الممكن النظر للقبيلة كوحدة متجانسة فى البيئة وظروف المعيشة أو الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، فلم تتنوع بيئات قبيلة من القبائل السودانية أو تتطور وتتعدد طرق معيشة أهلها بمثل ما حدث لرفاعة، انظر لمزيد من التفاصيل عن رفاعة شرق أبى جن ورفاعة الهوى بأبى روف: C.F.:Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, PP. 81 - 82 MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I, PP.240- 241.

محمد عوض: السودان الشمالى، ص٢١٦؛ كمال دسوقى: مجتمع الرعاة، ص٦٢.

(٣) انظر: مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ص١٨ – ٢٠، انظر: الخريطة شكل رقم (١٥).

أصبحت هذه القبائل بحكم اختلاطها بالسكان المحليين جزءاً من الكيان المحلى عرقيًا وثقافيًا، وأتخذت لنفسها اسماء محلية مثل العبدلاب[١]، ورفاعة[٢]، والجعليين[٣] بفروعهم من جموعية[٤] ورباطاب[٥] وشايقية[٦] وما إليهم، وأصبحت الاسماء العربية القديمة كربيعة وجهينة[٧] وغيرها لا تذكر إلا فى مقام الفخر والحديث عن أمجاد الماضى البعيد[٨].

من كل ذلك يتضح أن هذه العناصر قد انصهرت مع العنصر النوبى فتكلمت بلسانه وأخذت بعاداته[٩] وهاهنا نجد تنوياً لا استعراباً وإن كانت اللغة العربية تتقدم والمؤثرات العربية تزداد[١٠]، قبل فترة طويلة من سقوط دولة علوة، وكان لها فى سوبا ذاتها وجوداً اجتماعياً وثقافياً كاملاً، وكان يمدها فيض متصل من الشمال الذى سيطرت فيه العناصر العربية على دولة المقره قبل سقوط سوبا بما يقرب من

---

(١) انظر: أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن أنساب العرب، وجعفر حسان فى النسب، وهى مثبوتة بمجموعة ماكمايكل الخطية فى دار الوثائق القومية بالخرطوم، متنوعات -Mac Michael: Op. Cit., Vol. 1, P.238, Misc 1/16/184. يوسف فضل: المقدمة، ص٣٣؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص١٠٨؛ وأنظر كتاب الطبقات، صفحات ٢، ٣، ١١، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٣٩هـ، ٤٠هـ، ٤٨هـ، ٦٣هـ، ٨٠هـ، ٩٨هـ.

(٢) بلدة على الشاطئ الأيمن للنيل الأزرق، تقع شرق اربجى والحصاحيصا، تقع (على خطى ١٤,٤٦ْ شمال و٣٣,٢٢ْ شرق). ومن المؤكد أنها نشأت كمنزلة لقبيلة رفاعة وهى فرع من هوازن. انظر: الطبقات، ص٥٢، بعد أن نبذ جزء من الفرع الشمالى منها حياة البداوة فى عهد السلطنة الزرقاء، والآن يسكنها رفاعيون وشكرية وجعليون ورباطاب وركابية وغيرهم.

(٣) شندى حاضرة بلاد الجعليين، وتقع على الشاطئ الأيمن للنيل (١٦,٤٢ْ شمال و٣٤,٢٧ْ شرق) وهى مدينة تجارية هامة، ملتقى للقوافل التجارية الوافدة من مصر، سواكن، سنار وكردفان. وقد وصفها كلا من (بروس: ٦/٤٣٧)، (وبوركهارت: ٢٤٦ – ٢٩١) وصفا دقيقًا، وكان يحكمها ملك من الجعليين وقد اشتهرت أسرة السعداب بحكمها مدة طويلة، وقد صاهرت هذه الأسرة العبدلاب وعند زيارة بروس لشندى فى ٤ أكتوبر ١٧٧٢م، كانت ستنا أخت الملك عجيب ملكة عليها، يعاونها فى الحكم ابنها إدريس. أنظر: Bruce: Vol.6, P.418, 38-441.

(٤) انظر: الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم، ص٥٩.

(٥) انظر: كتاب الطبقات، صفحات ١٠١هـ، ١٠٣هـ، ٣٥١هـ.

(٦) C.F.:MacMichael: Op. Cit., Vol, II, Tree illustrating Ms.A.3.

(٧) انظر تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨، ١٩.

(٨) عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٢٧.

(٩) انظر: مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨.

(١٠) دكتور محمد إبراهيم أبو سليم: الساقية، ص٢٠٨.

القرنيين، حيث سقطت دنقلا عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[١] . وكما يتضح فإن تحول دنقلا إلى مركز هام لأزدهار الثقافة العربية الإسلامية فتح المجال أمام مزيد من انسياج القبائل العربية إلى داخل البلاد، وكانت ظروف الحياة السياسية فى مصر والشمال الإفريقى تدفع بأعداد كبيرة من أعراب مصر والمغرب إلى الهجرة جنوباً[٢] خاصة بعد ضغوط المماليك عليهم، وكان مما يغريهم بذلك الأنباء المتواترة عن نجاح إخوانهم فى مهجرهم الجديد، وإقامة دولة خاصة بهم أولا فى دنقلا ثم بعد قرنين من ذلك في سنار وقرى[٣] .

ومما لاشك فيه أن سقوط دولة علوة المسيحية كان له صدى بعيد المدى فى المنطقة العربية كلها، وعلى أثره انتقلت الجماعات والأفراد إلى ديار الفونج والعبدلاب من مصر والحجاز والشام والمغرب والأندلس واليمن والعراق وغيرها[٤]، ونستدل على ذلك من اسماء الشيوخ والعلماء الذين ذكرهم صاحب الطبقات وغيره[٥]، وقد يكون كثير من هؤلاء من أتوا مع جماعات من عشائرهم أو قبائلهم، وقد يكون دافعهم إلى الهجرة الإنضمام إلى بقية أهلهم الذين سبقوهم واستوطنوا فى البلاد المختلفة .

---

(١) ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٣٠٩ (ب)، ٣١٠(أ)، فانتيني: المرجع السابق، ص١٧١، ١٧٢؛ الحويرى: أسوان، ص٥٧؛ وانظر أيضاً: Y.F.Hasan:Op.Cit.,P.111-2; كورباتشيك: مرجع سابق، ص٤١١ .

(٢) البروفيسور يوسف فضل: معالم تاريخ الإسلام فى السودان، الإسلام فى السودان، الخرطوم، ١٩٨٢م، ص١٩، ٢٠ .

(٣) انظر: كروباتشيك: مرجع سابق، ص٤١١، انظر: الخريطة شكل رقم (٩، ١٠).

(٤) أمثال ذلك الشيخ إبراهيم البولاد، وتاج الدين البهارى، والتلمسانى المغربى والشيخ محمد ود عيسى سوار الذهب، وعبدالله الأغبش، ونصر ود الفقيه أبو سنينه، وعبدالكافى المغربى، والشيخ حسن ود حسونة، والشيخ محمد بن قرم المصرى، والشيخ حمد ود زروق الحضرمى، والشيخ محمد المصرى. انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ١٧ – ٢٠؛ الطبقات، ص٥٢٤، C.F.: Y.F. Hasan: Islamix external influences, PP.75-76. كذلك تقع الحدود بين دولتى علوة والمقرة، وكانت فى الماضى مركز الثقل لحضارة مروى القديمة وفي هذه المنطقة اشتغل قوز العلم (القوز جنوب شندى ويعرف بقوز المطرق سكنه الصغيروناب) وجذب إليه عددا من علماء الشمال فأصبح من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية شمال منطقة الحلفاية. انظر: الطبقات، ص٤، ٥، ١٠٩، C.F.: Triming-ham: Islam, in the Sudan, P.49; Arkell: A history of thr Sudan, P.186. شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل، جـ١، ص٢٠٢؛
Crawford: Op. Cit., PP.24-25.

(٥) انظر الطبقات، صفحات ٤، ٥، ٦ .

ومن الواضح أن كثيراً من الجماعات التى جاءت فى بداية عهد الفونج لم تذب كلها فى «التنوبة»، فاحتفظت جماعات منها بكياناتها واسمائها رغم تزاوجها واندماجها مع المجموعات التى حلت بها، مثلما هو الحال مع الجماعات التى جاء جدهم الأكبر يعقوب بن مجلى من مصر مع بداية عهد دولة الفونج[1]. ومثلما هو الحال مع كثير من المغاربة الذين لم يلحقوا نسبهم فى الغالب إلى قبيلة أخرى رغم اندماجهم فى مختلف القبائل والعشائر[2]، ومثل ذلك يصدق على الهوارة[3] وغيرهم من الجماعات التى جاءت هجرة بعضها متأخرة، فاحتفظ كثير منها بما ظل يميزها عن بقية القبائل، فاكتسبت من جراء ذلك شخصياتها المميزة التى تعبر عنها اسماء القبائل المختلفة الموجودة الآن بسودان وادى النيل.

(١) يقول ود ضيف الله: «يعقوب بن الشيخ مجلس المشيخى. ولد بالريف ودخل فى الجزيرة فى أول ملك الفونج واختصه الملك وزوجه ابنته وقطع له فى الدار بنواحى الحلفاية قدر ما يشور جواده شرقا وغربا ويمينا وشمالا، وهم فرع من المشايخة ينتسبون إلى سيدنا أبى بكر الصديق، يسمى المجلياب ويزعم أن مجلى هذا قد مات فى مصر فى جزيرة زرنيخ – وله ينتسب الزنارخة انظر: الطبقات، ص٣٧٢، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.92- 93; Y.F. Hasan: The Arabs & the Sudan, P.21-50, Holt: A Sudanese historical Lrgend: The Fung Conquest of Soba "Bulletin of the School of Oriental and African Studies, XXIII,1960, PP.1-12." يوسف فضل: دراسات سودانية، ص٦٤ وما بعدها؛ عون الشريف، حلفاية الملوك، ص٢٨، ٢٩، ٤١.

(٢) مخطوط أنساب عرب السودان .Misc 1/18/198، ورقة ١٢.

(٣) نسبة إلى هوارة، وهى إحدى قبائل البربر التى دخلت مصر فى أيام الفاطميين ونزح جماعة منها إلى صعيد مصر، وتمكنوا فيه حتى صاروا زعماء على معظم القبائل، وقد هاجر بعضهم إلى السودان واحترفوا تربية الأبل فى الصحراء الغربية بين الكبابيش ويطلق عليهم اسم هواوير، كما أن طرفا منهم احترف التجارة وصاروا جلابة فى كردفان ودارفور انظر: الطبقات ص٢٥٩؛ MacMichael: Op. Cit., Vol. I. P. 335 - 336.

- العنصر العربى الوافد على سودان وادى النيل:

كانت الجماعات العربية الوافدة تتقاسمها ثلاث مجموعات قبلية كبرى بالإضافة إلى مزيج ما بين عدنانية وقحطانية الأصل.

أولا: مجموعة الجعليين:

يجب أن نميز بين قبيلة «الجعليين» وبين مجموعة الجعليين[١] أو العباسيين[٢] فإن قبيلة الجعليين، التى تعيش على ضفاف النيل، ما بين مصب العطبرة شمالاً وخانق سبلوقة جنوباً، هم إحدى الوحدات أو القبائل الجعلية، ولعلها الشعبة الرئيسية للمجموعة كلها، أما المجموعة الجعلية كلها فتشتمل على قبائل أخرى لها أسماء خاصة بها مثل الشايقية والرباطاب والبديرية والميرفاب والمناصرة[٣] (كما سيتضح ذلك) فيما بعد.

وثمة ظاهرة توجب الألتفات، وهى أن الإقليم الذى تحتله المجموعة الجعلية على النيل من جنوب الخرطوم حتى دنقلة، غلبت عليه الصبغة العربية والثقافة العربية، مما يدل على أن هذه الجماعات التى هاجرت إلى هذا الإقليم على مدى القرون كانت قوية، كثيرة العدد، متحضرة لا تميل إلى حياة البداوة، ولهذا فضلت

---

(١) وهى مجموعة عدنانية الأصل، وهى أكثر المجموعات العربية نفوذاً وأوفرها عدداً، ويعود أصلها إلى قريش. يذكر المقريزى: «أنها نزلت بكثرة فى أسوان منذ العهد الأموى، وملك أبناؤها الضياع فى بلاد النوبة» الخطط: جـ١، ص ص ١٩٧، ١٩٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية جـ١، ص٣٣١؛ محمد عوض: سودان وادى النيل، القاهرة ١٩٥١، ص ص٤٤، ٤٥؛ ثم أخذت تتفرع منها فروع عديدة نذكر منها العباسيين والطالبيين والبكريين أولاد أبى بكر الصديق والعمريين ممن ينتمون إلى عمر بن الخطاب ولهم شواهد قبور تحمل أسمائهم فى جبانة أسوان. أنظر:Hawary et Reched: Op. Cit., Vol. I, P.15; P.25; Vol. III, PP. 12 - 13; P.78, Wiet: Op. cit., Vol. II, P.178.

(٢) العباسيين هم أبناء عمومة النبى صلعم، ولهم شواهد قبور فى جبانة أسوان، ومن العباسيين تفرعت مجموعة الجعليين ممن ينتسبون إلى جد أكبر يسمى إبراهيم ولقبه الجعل، وتنسب الروايات ذلك الجد إلى سعد بن فضل بن عبدالله بن العباس عم الرسول صلعم، وتمثل مجموعة الجعليين شعباً عظيماً فى سودان وادى النيل وللدلالة على ذلك فإنها تشتمل على عدد كبير من القبائل التى انضوت تحتها مثل الركابية والجوابرة والشايقية، والمناصير، والرباطاب، والميرفاب، الجعليون الخلص، والجموعية، والجمعة، والبديرية والجوامعة ومن الواضح أن الجعليين كانوا يقيمون فى أسوان قبل أن ينطلقوا منها إلى سودان وادى النيل. Hawary et Rached: Op. Cit., Vol. III, PP. 177-178, الحويرى: أسوان، ص٢١٦؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٣٢، ٣٣٣؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص١٦٤. MacMichael: Vol. 2, P.85.

(٣) انظر: فروع الجعليين فى نفس هذا الفصل.

الاستقرار فى مدن على طول النيل[١]، فى حين أن غيرها من الجماعات التى حافظت على بداوتها انتشرت غرباً وشرقاً وجنوباً فى طلب المرعى[٢].

– الجعليون: يمثلون قسمًا واحداً من المجموعة العباسية العظيمة التى تحتل مجرى النيل من دنقلة شمالاً إلى خط العرض الثانى عشر جنوباً، وإن شاركتهم فى بعض أجزاء من هذا الوادى وحدات قبلية أخرى[٣]، وهذا القسم الأول الذى يتمثل فى الجعليين هو فى الأرجح أكبر الأقسام عدداً، وعاصمة الجعليين شندى[٤].

وينبغى ألا نغفل الأهمية التجارية لمنطقة الحلفاية بوقوعها على الطريق التجارى الذى يصل شندى بسنار، وأرتباطها بدرب الجمل[٥]، الذى كان شرياناً دائم الحركة يغذى المنطقة بالعناصر البشرية والبضائع على حد سواء، وذلك سبباً كافياً لوصول أعداد كبيرة من الجعليين للتكسب ثم الاستقرار يضاف إلى ذلك الأحداث التى كانت تجتاح مناطق الجعليين من جراء الحروب بين أمرائهم وبينهم وبين أبناء عمومتهم الشايقية التى أحدثت أكبر الأضرار بديار الجعليين ودفعت أعداداً كبيرة منهم إلى الهجرة جنوبا[٦].

ولم تكن هذه الصلة بالجعليين ذات اتجاه واحد فحسب، بل كان لها اتجاه آخر يتمثل فى هجرة العناصر المستقرة بالحلفاية إلى ديار الجعليين مما أدى إلى اختلاطهم عن طريق الزواج [٧] فارتبطت الحلفاية بالجعليين بوثاق آخر متين. وكانت هذه

---

(1) C.F.: Chatway, J. D.P.: Notes on the hist. of Fungs, S.N.R., XIII, Part II, 1939,P.252; مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص٢٠٠.

(2) C.F. Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, PP. 81-82.

(٣) محمد عوض: السودان الشمالى، ص١٦٩، ١٧٠.

(٤) انظر: مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، رقم Misc: 1/15/191. ورقة ١٨، ١٩. وقد انتقل إلى الحلفاية كثير من الجعليين، وأثروا فى حياتها تأثيرا كالضيفلاب الفضلية والغبوشاب العوضية وأولاد ود الإمام الزيداب وأولاد فضل السيد المكابراب، وأولاد السيد النفيعاب وأولاد المحداب وغيرهم. أنظر: قوائم الأنساب المرفقة بملاحق: حلفاية الملوك، رقم ٧٦. وانظر الفحل: ص٤٣، انظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٤).

(٥) سبق التعريف بها فى نفس الفصل.

(6) C.F.: Holt. P. M.: A Modern history of the Sudan from The Fung Sultanate to Present Day, P. 7.

(٧) انظر ود ضيف الله: الطبقات، ص١٠١.

الهجرة بقصد التعلم فى مراكز العلم المنتشرة فى ديار الجعليين كقوز العلم قرب شندى[١].

وكان كثير من القبائل ترتحل شمالاً إما إلى أسواق شندى العامرة، وإما مواصلين مسيرتهم نحو مصر، وقد اشتهر من ذلك أولاد الدابى المغربى وأولاد المنصور الهوارى الهنونابى[٢]، وهكذا ارتبط الهنوناب بالمحمداب والعمراب[٣].

وقد عرفت الحلفاية مجموعة من الجعليين الجوابرة[٤] ما تزال مقابرهم القديمة موجودة إلى شمال مقبرة الفكى عبدالمحمود غرب مسجد أولاد الفكى الحسن ود ضيف الله، وهى مقابر قديمة جداً أندثرت الآن، ولم يبق منها إلا أكوام من الثرى، ويعتقد أنهم أتوا إلى المنطقة قديماً، ويرجع نسلهم إلى القبائل العربية الذين تمركزوا فى منطقة الدوشاب وشرق الحلفاية[٥]، وهناك خلط واضح فى الرواية بين الجوابرة والجباراب والجابراب، فيذكر بعضهم أن المقابر للجباراب وهم أصلاً من اليمن[٦].

- الحمدانية الجموعية:

الجموعية فرع من الجعليين ينتسبون إلى جَمّوع بن منصور بن جَمّوع بن غانم بن حميدان بن صبح بن مسمار بن سرار بن حسن كردم بن أبى الديس

(١) القوز جنوب شندى ويعرف أيضا بقوز المطرق سكنه الصغيروناب. انظر: الطبقات، ص١٠٩. وذكر صاحب الطبقات عن مراكز العلم فى شندى ومن يدرس فيها الصغيروناب آل الزين، وأخذ عليهم العلم كثير من أهل الحلفاية، وكالفجيجة التى كان يدرس فيها من الشيوخ أولاد حمدتو، وود بانقا التى كان فيها أولاد بان النقا، والجوير شمال شرق المتمة التى كان يدرس فيها أولاد سلمان العوضى. أنظر الطبقات ص ٢٢٢، ٢٣٦، انظر جدول الأنساب فى ملحق حلفاية الملوك، أرقام ٧٦، ٧٧ وما بعدها.

(٢) انظر: عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٤٨.

(٣) انظر: الطبقات ص٥٨، ١٤٨، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.86.

(٤) انظر: الطبقات، ص٢٢٥.

(٥) عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٤٨.

(٦) جاء فى كتاب الطبقات عن الجوير فى الترجمة – قبره ظاهر فى الجوير شمال شرق المتمة. انظر: الطبقات، ص٢٢٢؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٤٨، ٤٩. يقول صاحب أنساب عرب السودان، أما جابر أولاده الجابراب أو الجوابرة أو الجابرية، انظر ورقة ٢٢، ٢٣. C. F. P. M. Holt: The Sons of Jabir and Their Kins: a clan. of Sudanese religous notablos, B. S. O. A. S, XXX, 1967. وانظر: ملحق الدراسة، رقم (٦/ جـ).

قضاعة بن إبراهيم جعل[١]. ويسكنون غرب النيل، وتمتد منطقتهم إلى الشمال حوالى الثلاثين أو الأربعين ميلاً شمال أم درمان حتى قوز نفيسة[٢] عند خانق السبلوقة، وتمتد جنوباً حتى جبل الأولياء، ويسكن بعضهم فى مناطق شرق النيل جنوب قرى[٣] وكانت الحلفاية تحت سيطرتهم قبل أيام الفونج يحكمها فرعهم الحميدانية ومن ثم عرفت بحلفاية أولاد حميدان[٤]، ولايزال فريق الحميدانية الذى يقع فى شمال الحلفاية شاهداً على وجودهم المبكر، وقد استولى عليها الشيخ عجيب المانجلك شيخ العبدلاب وسماها حلفاية الملوك[٥] وخضع له الجميعاب وكل العرب إلى التاكا[٦]. ولكنه رغم الاستيلاء على الحلفاية لم يهزم الجموعية الذين تجمعوا فى منطقة العجيجة غرب النيل[٧] وانتهى الصراع بعقد هدنة بين الجموعية والشيخ عجيب.

وظل الجموعية يحتفظون بلقب المك[٨]، وكان كل الجموعية والجميعاب ومعهم

---

(١) انظر: مخطوط. أنساب عرب السودان، Misc 1/18/198. ورقة ٢٠، الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم، ص٥٩، انظر جدول الأنساب بملاحق حلفاية الملوك، ص٢٣٠، ٢٣١.

(٢) جاءت فى كتاب الطبقات دار الجموعية تمتد غرب النيل من قوز نفيسة بجوار خانق السبلوقة حتى المنطقة المقابلة لجبل أوليا غرب النيل الأبيض، انظر الطبقات، ص٢١٢.

(3) MacMichael: Op. Cit., Vol.1, P.221.

(٤) انظر: الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص١٠١، انظر الخريطة شكل رقم (١٤) طرق الهجرة وانتشار القبائل الجعلية الرئيسية بالسودان. عن محمد عوض: السودان الشمالى، ص١٦٧، ١٦٨.

(٥) انظر: مخطوط واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص١ -٣.

(٦) انظر: يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص٦٢، ٦٣.

(٧) تذكر الروايات أن الشيخ عجيب استعد لعبور النهر بالمراكب، ولكن ابنه محمد حذره من حربهم بقوله: «كنت أظن أن الجموعية لن يحاربوك، ولكنى آراهم بعد ما عرضوا وزغردت نساؤهم فلابد من الموت، فإنك إن قتلتهم لن يتركوا لك فارساً يهز السيف، وإن هم انتصروا عليك هدموا دارك، فأرسل عجيب إلى ملك الجموعية ليعقد معه الصلح فقال هذا للرسل: «قولوا لعجيب أنت إنسان خائن، وإن كنت رجلاً صادقًا أنت ومحمد ولدك وأنا وود قسور ولدى نتقابل فى توتى». فتقابلا وتعاقدا ألا يعين ملك الجموعية أحداً على عجيب، ولا يحارب عجيب الجموعية، وقد أراد الشيخ عجيب بهذه الهدنة التفرغ لحرب ملوك شندى من الجعليين وغيرهم. انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة. ورقة ١٩، ٢٠، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ١ - ٣، الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب، ص١٠١.

(٨) يرجح أن أصل هذه الكلمة من الأثيوبية حيث معناها عظيم. انظر الشاطر بصيلى، ص٦٢، Jackson, H.C.: Op. Cit., P.92.

الزنارخة خاضعين طوال عهد الفونج لنحاس ملك الجموعية(١).

- الفاضلاب والضيفلاب:

الفاضلاب جعليون منسوبون إلى جدهم فضل اليسر من أبناء بشارة بن دياب بن غانم بن حميدان بن صبح أبو مرخه بن مسمار(٢). ويرجع أصل فاضلاب إلى قرية أم الطيور قرب الدامر(٣)، وقد جاء أجدادهم إلى سودان وادى النيل عن طريق درب الجمل الذى يربط بين الدامر والحلفاية(٤) وإلى الفاضلاب ينتسب الضيفلاب المنتمون إلى جدهم ضيف الله الكبير(٥)، وقد بدأت أسرة الضيفلاب بالأنصهار مع المجموعات الأخرى مثل الهنوناب والمغاربة والمشايخة والمحس والصواردة والجموعية والعبدلاب وغيرهم(٦).

(1) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.2220.

وكان للجموعية نشاط فى مجال التعليم (القرآن الكريم) فمنهم الفقيه حمد بن حميدان الجعلى.(الطبقات ص١٥٣)، وإليهم ينتسب موسى الجعلى (الطبقات ص١٥٣، ٣٤٨)؛ والفقيه عبدالدافع القنديل انظر الطبقات ص٢٨٩؛ انظر جدول الأنساب بملحق حلفاية الملوك، ص٢٤٢، ٢٤٣ وقد كان من نتائج اختلاط الجموعية عامة بغيرهم من المجموعات بروز شخصيات عديدة تصلها صلات الرحم بكثير من المجموعات مثل الفقيه عبدالدافع الجموعى الوالد الهدونابى – الكاهلى الام، وقد تزوج عبدالدافع ابنة الشيخ خوجلى أبو الجاز فارتبط بالمحس، وهناك أعداد كبيرة أمهاتهم جموعيات، كما تزاوجوا من العبدلاب وغيرهم ومثل ذلك يصدق على علاقتهم بالصواردة والمغاربة وغيرهم. أنظر: عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٣٩.

(٢) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص٦٢.

(٣) وقد جاء ذكرها عند حديث صاحب الطبقات عن «مك السعداب، وهم فرع من الجعليين يسكنون منطقة شندى والمتمة، وهم ذرية سعد (أبو) ديوس بن عدلان بن عرمان، الذى آلت إليه زعامة القبيلة وظلت المشيخة أو «المكوكية» فيهم حتى عهد الملك نمر الذى انتقلت الزعامة من بعده لبشير ود عقيد المسلمابى، ومن بعده جاء النفيعاب انظر MacMichael: Vol. I, P.232 وموطن السعداب الأصلى الهويجى، كما ينتشرون على الضفة الغربية للنيل حتى أم الطيور وأكثرهم بالمتمة والسيال. أنظر الطبقات: ص١٥، ٧٦.

(٤) الطبقات، ص٢٤٥. وعن نسبهم انظر أيضاً: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٢.

(٥) ونسبه عن ابيه، كما يستنتج من ترجمة والده (الترجمة ١٣٦) وجده الأكبر الوارد ذكرها فى الطبقات، فهو الفقيه محمد النور ابن ضيف الله بن الفقيه محمد بن الفقيه ضيف الله (الترجمة: ١٣٥) بن على بن عبدالغنى بن ضيف الله. وإلى ضيف الله هذا ينتسب الضيفلاب الذين يسكنون بحلفاية الملوك. وتختلف هذه النسبة عما أورده الصديق حضرة: فهو «محمد النور بن ضيف الله بن على بن إبراهيم بن الحاج نصر من الجعليين العباسية، ويبدو أن النسبة الأولى أقرب إلى الصواب الصديق حضره: ٤٩٣، MacMichael: Vol.2, P.85.

(٦) انظر جدول الأنساب بملحق حلفاية الملوك، أرقام ٢٤، ٢٥.

- الفضلية:

جعليون منسوبون إلى الفضل ولد قحطان ولد سعد الفريد ولد الأمير مسمار ولد الأمير سرار ولد السلطان حسن كردم الغوار[١]، وليس من السهل التحقق من أن فضلية الحلفاية هم من هؤلاء الفضلية أم هم فاضلاب مثل الضيقلاب.

ويعتقد أنهم من أقدم العناصر فى سودان وادى النيل، وقد تمتعوا بمركز اجتماعى وتجارى كبير إذ ينتسب إليهم الخواجة عبدالدافع الفضلى الذى كان من كبار التجار وخاصة بتجارته مع مصر، ويذكر أنه عند عودته من الحج وهو فى طريقه إلى موطنه ألتقى بالشيخ محمد بحر المغربى الفاسى، فأصطحبه معه إلى سودان وادى النيل، وزوجه ابنته[٢] وبالتالى فإن معظم المغاربة ينتسبون للفضلية عن طريق أمهم هذه، ومن علمائهم أبو سرور الفضلى الجعلى الذى ولد بالحلفاية من أبوين فضليين، وكانت خلاوية فى الأطراف الجنوبية للحلفاية[٣].

- الدواليب الركابية:

الدوليب بطن من بطون الركابية منسبون إلى جدهم دوليب بن محمد كردى بن تركى بن عربى بن حماد بن حاج بن عبد الله بن ركاب غلام الله[٤]. ومقرهم الأساسى دنقلا، وقد أنجب دوليب بن محمد إدريس ونابرى[٥]

---

(١) انظر: أنساب عرب السودان، مخطوط، ورقة ٢١، ٢٢؛ الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص٥٤.

(٢) جاء فى كتاب الطبقات: «عبدالحليم بن سلطان بن عبدالرحمن بن الفقيه محمد بحرى المغربى الفاسى. قدم بلاد السودان، مع الخواجة عبدالدافع الفضلى حين قدم من مصر، تاجراً وحاجاً، وزوجه ابنته ست النساء فولد منها ولده الفقيه عبدالرحمن وقدومه فى زمان ملك الفتج «الطبقات ص٢٩٧».

(٣) أبو سرور الفضل الجعلى ولد بالحلفاية وأمه كنونة بنت الحاج على فضلية. قرأ خليل على الشيخ الزين والعقايد على الفقيه ولد برى ودرس العقايد. خلواته قريب الحلفاية على جهة الصعيد «الطبقات، ص١٠٥». انظر: جدول الأنساب، ص١٨٦، ٢٦١، انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٨).

(٤) انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٧، ٢٨.

(٥) محمد نابرى، ونابرى كلمة دنقلاوية تعنى معدن الذهب،

C.F.: C.H. Armbruster: Dongolese Nubian: A Lexicon, Cambridge, 1965, P.154.

وقد أنجب إدريس محمد دوليب، وهو دوليب الكبير، وأنجب محمد دوليب محمداً الذى أنجب عبدالهادى، وولد الشيخ عبدالهادى الشيخ السيد وأمه صاردية من الحلفاية، كما أنجب الفقيه نابرى من أم مشيخية من الحلفاية أيضاً. انظر الطبقات، ص٢١٤؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٥٥.

ومكى ومدنى ودفن بالدبة[١].

- الشايقية :

أصل الشايقية، نسبهم وممالكهم..

تقع دار الشايقية فى المنطقة الواقعة بين كريمة والدبة على شاطئ النيل[٢] وتسكنها قبائل الشايقية التى تكون جزءاً من مجموعة القبائل الجعلية[٣].

(١) الدبة: يذكرها الدكتور يوسف فضل بأنها دبة الفقرا الواقعة جنوب دنقلا، انظر الطبقات، هامش (٤)، ص٢١٤. وتشير رواياتهم من هجرة الفقيه عبدالهادى بن محمد من دنقلا واستقراره بحلفاية الملوك، فيقولون أنه نشأ وتعلم بدبة الفقراء فى دنقلا موطن آباءه وأجداده وقد حظى بمكانة طيبة عند السلطان بادى أبو شلوخ بن السلطان نول – وذلك لما عرف عنه من احترام وإجلال للعلماء والصالحين، وقد نزل وهو فى طريقه لسنار ضيفًا على رجل من الصواردة من ذوى الثراء والمكانة يدعى عبدالوهاب الصاردى وقد تزوج الفقيه من إحدى بنات المضيف على أن يتم الزواج بعد عودته من سنار، وتزوج عبدالهادى من المشايخة فأنجب الفقيه نابرى وإلى عبدالهادى تنسب القبة المشهورة بقبة ولد دوليب انظر: الطبقات، ص٣٤٧؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك ص٥٦، ٥٧؛ ولمزيد من المعلومات عن أراضيهم، واتصالهم بأسرة الحافظاب انظر: وثائق الفونج والأرض ص٥٩ – ٨١؛ الطبقات ص١٩٥، ١٩٦، ٢٤٨؛ كاتب الشونة، ص٤٢؛ عون الشرف: حلفاية الملوك، ص٥٧؛ انظر جدول الأنساب بملاحق الدراسة شكل رقم (٦/د).

(٢) اشتهرت المنطقة التى تسكنها قبائل الشايقية بأنها ذات تاريخ عريق، وقد خلدت آثارها فى الكرو والبركل ونورى وسنام ابدوم وتنقاسى، وشملت هذه المنطقة الأقليم الذى يمتد من نهاية الشلال الرابع عند جزيرة برتى إلى جبل الضيقة الذى يذكره البعض بجبل (الدجر) ويقع بالضفة الغربية للنهر، ويمتد هذا الأقليم على جانبى النهر لمسافة قدرها حوالى ثمانين ميلا، وفى هذا الجزء تصب فى النيل أودية عديدة أهمها وادى ابدوم، كما أنه فى منطقة الشلال الرابع قليل الزراعة والعمران حتى فى الأجزاء الخالية من الجنادل، بالرغم من أن بقية المنطقة عامرة بالسكان صالحة للزراعة. وعند دخول المسيحية إلى مملكة المقرة حيث أن ديارهم تدخل فيها، فلابد أنهم تحملوا عبء المقاومة عند دخول العرب هذه المنطقة فى عام ٦٥٢م. وتوالت الهجرات العربية على هذا الأقليم حتى سقوط مملكة المقرة فى العصر المملوكى. انظر: عوض عبدالهادى: الشايقية: تاريخهم وثقافتهم حتى الفتح التركى، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الثانى، ابريل ١٩٧١م، ص ص ٦، ٧؛ وعن آثارها انظر: ب. ل. شينى: بلاد النوبة العصور الوسطى – ترجمة نجم الدين محمد شريف، ص٩؛

Crawford; O.G.S.: The Fung Kingdom of Sennar, P.43; C.F.: Kirwan, L.P.,: A Contemporary Accunt of the Converision of the Sudan to Christianity, S.N.R. XX, Part II, 1937, P. 290, Arkell: A history of the Sudan, P.196. C.F.: Al Shahi, A.S., The Shaigifeof the Northern Sudan, 1965, P.58;

انظر: الخريطة شكل رقم (١٤).

(٣) الطبقات ص٤٠، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 213 - 215, Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 146 - 153.

وإذا كان الشايقية جزءا من المجموعة الجعلية(١) فإن هناك أراء حول صلة الشايقية بالأصل العربى، بالرغم من أن الشايقية عندما يتحدثون عن أصلهم فإنهم ينسبون أنفسهم إلى العباس عم النبى ويؤكدون عروبتهم(٢)، من هذه الأراء ما قاله نكولز عن الشايقية وأنهم ربما كانوا قبيلة بدوية ذات صلة بالبجة هاجروا فى عصور قديمة إلى بلاد النوبة، واستقروا هناك واحتفظوا بلغتهم الخاصة فلم تختلط بلغة النوبة، كما أن أسماء قبائل الشايقية تنتهى بالمقطع (أب) (السواراب) (الحسناب، الحوشاب) إلخ. وهو مقطع لفظى مأخوذ من لغة البجة(٣).

وهنا رأى آخر يرجعهم إلى بقايا المحاربين القدماء الذين غزوا بلاد النوبة فى عهد الملك اسبلتا Aspelta حوالى ٥٩٢ – ٥٩١ق.م. أو من سلالتهم التى استقرت فى مروى، وساعدت ملكها فى صد بعض الهجمات من الجنوب(٤)، لأن موقع بلاد الشايقية قريباً من مروى القديمة، هذا مع وجود النزعة الحربية، المتأصلة فى نفوس

---

(١) على اعتبار أن القبائل العربية قد تدفقت إلى أرض النوبة قبل سقوط دنقلا فى ٧٢٤هـ/١٣٢٣م بين دنقلا وخانق السبلوقة، وقد جاءوا من صعيد مصر مخترقين أرض المعدن وصحراء العتمور حتى أبى حمد، ومنه ساروا متجنبين المناطق التى تحرسها السلطة، وقد اتجه بعضهم شمال أبى حمد حتى التقى بالموجة القادمة من الشمال بعد سقوط دنقلا، ولابد أن التقاء هذه الموجات قد أوقفها فى نقطة قد تكون منطقة الشايقية جزء منها، وأدى إلى استقرار بعضها فى هذه المنطقة باعتبارها منطقة ذات خصب ونماء ثم اختلطوا بالسكان القدامى، وزاد الاختلاط مما أدى فى النهاية إلى النوبة المستعربين أو الجعليين، بعد أن اكتسبوا الملامح والصفات العربية وغذوهم بالتراث الثقافى الإسلامى، وتشمل هذه المجموعة الجعلية عدداً من قبائل شمال السودان النيلية كالجوابرة والبديرية والشايقية انظر:

Y.F. Hasan: The Arabs and the Sudan, P.145, Holt P.M.: A Modern history of the Sudan, P. 6., MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P.199.

(2) MacMichael: Op. Cit., Vol.2, 213-215.

(٣) انظر أيضاً: Y.F. Hasan: Op. Cit., P.146 - 153.

Nicholls, W.: The Shaikiyia, (1913).

نقله للعربية عبدالمجيد عابدين: الشايقية، ص٣.

(4) C.F.: Trimingham: Islam in the Sudan, P.49; Arkell,: A history of the Sudan, P.186; Crawford: Op. Cit., PP. 24 - 25;

عمر حاج الزاكى: الاله آمون فى مملكة مروى (٧٥٠ق.م – ٣٥٠م)، مطبوعات كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م ص٩٤.

الشايقية وعدم خضوعهم لزعيم واحد[١]. ورأى آخر يقول إنهم ربما كانوا من الجنود المرتزقة من الترك الأرناؤط[٢] الذين أقاموا حامياتهم واستحكاماتهم في بلاد النوبة منذ غزو السلطان سليم الأول لمصر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م[٣]، ولكن إذا أخذنا فى الأعتبار أن السلطان سليم لم يغزو حدود الشايقية، فلن يكون مقبولاً أن نرجع أصلهم إلى أولئك الجنود.

والراجح أن الشايقية هم نتاج اختلاط العرب الذين نزحوا فى فترات مختلفة إلى سودان وادى النيل بالوطنيين الذين كانوا في تلك المنطقة. وهم فى غالب الأمر من النوبيين الذين إزداد عددهم أثناء غزوات المماليك على بلاد النوبة، أما ما قيل من أن المقطع اللفظى (آب) وجد بين الشايقية فلأن هناك هجرات عربية قدمت إلى هذه المنطقة وغيرها عن طريق البحر الأحمر، إذاً فلابد أن تكون المجموعات العربية التى وفدت عن هذا الطريق قد تأثرت ثقافيًا بالبجة، وأخذت هذا المقطع وهى فى هجراتها ونقلت معها هذه المؤثرات الثقافية[٤].

وكيفما كان الأمر فإنه كلما ذكر الشايقية نسبهم وتحدثوا عن أصلهم أكدوا عروبتهم. وإذا استعرضنا شجرة نسبهم لوجدناها تلحقهم بالعباس عم النبى صلعم وهذا يعنى أنهم من سلالة عربية[٥]. وهذه صورة من نسب الشايقية: «شايق بن حميدان بن صبح أبو مرخة بن مسمار بن كردم بن أبو الديس بن قضاعة بن حرقان بن شروق بن

---

(1) C.F.: MacMichawl: Op. Cit., Vol.I, P.214;

عوض عبدالهادى: الشايقية، ص٩.

(2) C.f: Al - Shahi;: Op. Cit., P.143.

(3) Al - Shahi, Ibid, P. 143.

(٤) يورد الشاهى Shahi رأى يقول: أن للشايقية صلة بالجزيرة العربية وهذا الرأى يوافق روايات الشايقية أنفسهم عن أصلهم العربى. وهناك بعض العناصر العربية التى اختلطت بالشايقية كالحلنقة والفلاتة، وقد يكون ذلك نتيجة للاغارات التى كان يقوم بها الشايقية على الآخرين فجلبوا هذه العناصر أو أخذوهم كأسرى أو ربما نتيجة للاتصالات التجارية أو ربما أثناء مرورهم وهم فى طريقهم إلى الحج، ولكن أكبر الاحتمالات أن يكون هؤلاء وهم قلة بين الشايقية قد وفدوا إلى بلاد الشايقية طلبا للعلم أو فى شكل فقهاء واستقربهم المقام بينهم حيث تزوجوا منهم وتناسلوا. انظر: كتاب الطبقات ص٤٢، ١٠٩، ١١٠ هـ، ٢٠٤هـ،

C.F.: Al - Shahi: the Shaigiya of the Northern Sudan, P.143 FF.

(5) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.213 - 215.

أحمد بن إبراهيم الجعلى بن سعد بن الفضل بن عبدالله بن عبدالمطلب [١]».

وإذا قارنا هذه الشجرة مع أشجار أخرى نجد هنالك بعض الاختلافات إذ أن هذه الشجرة أهملت بعض الأسماء الرئيسية التى تكمل شجرة النسب فمثلا هو سرار بن كروم بن أبو الديس بن قضاعة بن حرقان بن مسروق بن حمد اليمانى بن إبراهيم الملقب جعل ابن إدريس بن قيس بن يمن بن عدى بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ذى الكلاع الحميرى بن سعد الأنصارى بن الفضل بن عبدالله بن العباس[٢].

وهذه نسبة ثالثة نورد أسماء الشجرة بعد صبح وهى:

«صبح الشهير بأبى مرخة بن مسمار بن سرار بن كردم بن أبى الديس بن قضاعة بن عبدالله الشهير بحرقان بن مسرور بن محمد اليمانى بن أحمد الحجازى بن سعد بن إبراهيم جعل بن إدريس بن قيس بن قصاص بن كرب بن هاطل بن باطيل بن ذى الكلاع الحميرى بن يمن بن سعد بن الفضل بن عبدالله بن العباس[٣]».

وقد ذكرت هذه النسبة بعض الأسماء باختلاف عما ورد فى غيرها فقد ذكرت حرقان بن مسرور فى غيرها حرقان بن مسروق أو شروق كما ذكرت محمد اليمانى وأحمد الحجازى، وفى غيرها أحمد بن محمد اليمنى كذلك تذكر باطل بعد هاطل.

والواضح أن الغرض من هذا ليس تفاصيل الأسماء بقدر تحقيق الأصل فى النسب، وهو الوصول إلى العباس لتأكيد شرف القبيلة وعروبتها[٤].

(١) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ٢٣ C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. II, Tree illustrating Ms. A. 3. عوض عبدالهادى، مرجع سابق، ص١١، نكولز: قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى. ص ص١١، ١٢؛ عون الشريف قاسم: حلقاية الملوك، ص ص ٦٠، ٦١؛ الفحل الفكى الطاهر: مرجع سابق، ص٥٦؛ حسن أحمد محمود: مرجع سابق، جـ١، ص٣٣٢.

(٢) محمد الفاتح الصاوى: نسب القبائل العربية فى السودان، مطبعة منديل بالخرطوم، ص١٠.

(٣) مخطوط نسب يحتفظ به أحد شيوخ المنطقة من البديرية، وقد لاحظت أن النسب واحد، وخاصة بعد صبح أبو مرخة، والحقيقة أنه من الصعب التفريق بين البديرية والشايقية فى هذه المنطقة، فهم متشابهون فى كل الصفات والمقومات، وهم أبناء عمومة، وحدث تداخل كبير فيما بينهم.

(٤) الملاحظ فى هذه الشجرة وجود بعض الاسماء التى لا تبدو عربية فى أصلها وإن بعض الروايات تشير إلى أن إبراهيم ملقب بجعل أى (جعران) أسود اللون، وهذا يدل على وجود عنصر غير عربى فى هذه الشجرة، وربما تكون شجرة النسب بعد إبراهيم جعل هذا خلاف ما ذكره أعلاه. وقد انجب سرار أربعة أولاد وهم سمرة الذى أنجب بديرا، وسمير ولم ينجب ورباط جد الرباطاب ومسمار الذى أنجب صبح الذى أنجب حميدان الذى أنجب غانم جد الجعليين وشايق جد الشايقية. أنظر: مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ٢١ – ٢٣، محمد عوض: السودان الشمالى، ص١٨٩، عوض عبدالهادى: الشايقية، ص ص١١، ١٢.

أما شايق فقد أنجب ذرية توزيعها كالآتي:

– **سوار:** جد السواراب من أهم فروع الشايقية من حيث العدد والقوة ويقيمون في إقليم الأبواب (كبوشية) وما حولها[١]. ومن فروع السواراب[٢] الكفنجة والظليطاب والزراقنة في إقليم شندى وصحراء بيوضة، والمشندل والحمداللاب، والتماليك والعايداب والعنانياب.

– **حوش:** جد الحوشاب في أبدوم وتنقاسي والكوداب، والكدرو ومروى والبسابير[٣] وفروعه المجناب والعقرياب.

– **عون:** جد العونية في جلاس وكورتي والبرصة وقنتي وشندى[٤] وينقسم هذا الفرع إلى حسناب ودواناب.

– **شلوف:** جد الشلوفاب في الجريف والقرير وكورتي والمقل والقصارف وينقسم إلى محداب والعلياب والبادياب.

– **باعوض:** جد الباعوضاب في امرى والبركل والركابية، وفروعه العجيباب، والقطيطية والأماناب[٥].

– **قريش:** في كريمة ومروى وشندى وكورى وأمرى وفروعه الأباديد والصالحاب والأبوناب[٦].

– **نافع:** جد النافعاب في الجريف والدويم والحجير وينقسم إلى الغاسنياب والضيف اللاب.

---

(١) انظر: أنساب عرب السودان، مخطوط، Misc 1/18/198. ورقة ٢١، MacMichael: Op. Cit., Vol., P.230.

(٢) جاء في كتاب الطبقات ص١٥٢، في ترجمة أحمد النجيض العوضابي الجموعي «وهناك فرعان من الجموعية يحملان نفس الاسم الأول العوض بن منصور بن جموع والثاني فرع من السروراب بن سرور بن جامع الصغير بن إبراهيم بن منصور وربما أن السروراب فرع مشهور فيغلب أن يرجع النسبة إلى المجموعة الأولى.

(٣) C.F.: Nicholls: Op.Cit., P.49

(٤) Nicholls: Op.Cit., P.49

(٥) Ibid, P.49 - 50.

(٦) أنظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ٢٣، ٣٢، C.F.: Nicholls: Op.Cit., P.50.

– **مريس**: جد المريساب فى بربر وأبدوم والتكروله من الفروع العليتاب.

– **أم سالم**: جدة أولاد سالم في النيل الأبيض وبربر وسنار والزومة وأمرى، وفروعها اليعقوباب، والبادياب والكلاشيم والجاداب[١].

– **كدنقا**: جد الكدنقاب فى أوسلى وحزيمة ومساوى والقرير وأمرى، وفى شندى والعليفون والزومة والديبه والنوراب والبسابير والجيلي وحلفاية الملوك وأبو حليمة ومروى وكجبى وأولاد على وتنقاسي والبركل وود البصل والكرو والكوداب وابدوم ونورى وفى كردفان[٢].

– **مراس**: جد المراساب فى مورة والأراك وأولاد الحسن جد الحسناب فى الأراك ورحمة جد الرحماب.

– **أمير**: جد العمراب[٣]. وهناك صفات ميزت قبيلة الشايقية، فقد اتفقت المصادر على أن الشايقية محاربون مهرة[٤]. والشايقى مغامر محترف يمتاز برمى السهام، وكأنه فى هذه الصفة يحتفظ بمميزات أسلافه رماة الحدق. والشايقية يمتطون الخيول ويشتهرون بالفروسية ويدربون جيادهم على القفز العنيف[٥]، وقد اعتادوا على حياة الحرب والقتال فكانت لهم معارك مع جيرانهم واشتركوا في حروب العبدلاب. إذ كانوا حتى أواخر القرن السابع عشر جزء من مملكة الفونج، وفي القرن الثامن عشر سيطروا على النوبة بفروسيتهم[٦].

---

(1) Ibid:P. 48.

(٢) وينقسم هذا الفرع مالى: الحنكاب وينقسم هذا أيضًا إلى محوداب وناصراب والقوتاب والشريشاب والحسناب والشليلاب. ثم الصلاحاب والعسوماب والعدلناب والحمداب والتلبناب والجروماب والزماماب، والكروساب والرزوقاب والشرنكاب والفريراب والعيساب والفرجاب والفرجلاب والرغبيماب والكوداب. ويعتبر هذا الفرع أيضاً كالسواراب من أكثر فروع الشايقية عدداً وقوة. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,I, P.219.

(٣) أنساب عرب السودان ورقة ٢٤، Nicholls: Op.Cit., P.51;

(4) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,I, P213.

(5) C.F.: Burkhart, J.L.: Travels in Nubia, London 1819, P.70.

(6) Holt: Op. Cit., P. 7.

ولمزيد من الدراسة عن ممالك الشايقية الحنكاب – كجبى، العدلناب – العمراب، انظر الدراسات الآتية:

Waddington and Hanburg, Journal of a Visit to Some Parts of Ethiopia, P.95, Crawford: Op. Cit., P.48. عوض عبدالهادى: مرجع سابق، ص١٥، ١٦، الفحل، ص٥٦، أبو سليم: تاريخ الخرطوم، ص١٠ – ١١؛ هل: على تخوم العالم الإسلامى، ص١١٣، سلاطين: السيف والنار، الخرطوم، ص١٢٣؛ عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٦٠، ٦١، انظر جدول الأنساب بملحق الكتاب ص٢٢٧ – ٢٩٣.

- الجعافرة:

ينحدر الجعافرة من جعفر الطيار بن أبى طالب، نزحوا إلى مصر فى القرن العاشر الميلادى[١] بعد أن أقصتهم بعض القبائل من مكة وسكنوا أسوان وقوص مع أبناء كنز الدولة مما يدل على ذلك شواهد القبور التى عثر عليها فى مقابر أسوان[٢].

وكانت أهم حرفهم التجارة، وينسب إلى هؤلاء جعافرة السودان، وهم منتشرون فى أنحاء كثيرة على النيلين الأزرق والأبيض والجزيزة والخرطوم وغيرها. ومن أشهر الجعافرة آل العوضى أبو يونس الذى تزوج هو وأخوه إبراهيم أبو يونس من الهنوناب الهوارة، ومنهم أيضا آل الخولى هلاوى وأمهاتهم جميعا من الهنوناب الهوارة مما يدل على صلة قديمة بالهوارة، بل إن بعض الرواة، يجعلهم من الهوارة، إذ أنهم جميعا جاءوا من صعيد مصر[٣].

- المحس:

جاء ذكرهم فى كتاب الطبقات حيث يذكر النص فى ترجمة إدريس بن محمد الأرباب «أول امره جالس الشيخ بأن النقا الضرير ودخل معه سنار وسأله الملك عمارة عنه، وقال له من المحس[٤]».

والمحسن قبيلة نوبية تسكن بين الشلال الثانى والثالث[٥]، ومازال أهلها يتحدثون بلهجة نوبية مع إجادة كثيرين منهم للعربية، وذلك بعد أن استوعب المحس عدداً كبيراً من العناصر العربية فى هجرتها من مصر للسودان بعد القرن الثالث عشر

---

(١) أنظر: الأنساب الخاصة بالجعافرة، دار الوثائق القومية بالخرطوم، مخطوط، .Misc 91/1473 ورقة ١، ٢؛ مخطوط عرب السودان، ورقة ١٢، ٢٦.. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,I, P142 عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص٣٣؛ الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص١٠٣.

(2) C.F.: Wiet: Op. Cit., Vol. VI, P.3, P.90.

(3) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,I, P.142 عون الشريف: حلقاية الملوك التاريخ والبشر، ص٦٦، انظر جدول الأنساب ص٢٥٦، ٢٥٧، انظر: الخريطة بملحق الدراسة؛ شكل رقم (١٣).

(٤) تتفق هذه الرواية مع ما أورده صديق حضره، ص٤٩٩؛ الطبقات، ص٥٠، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,2, P.82-97.

(٥) انظر: الصديق حضرة، ص٩١، MacMichael: Vol.,2, P.82

الميلادى[١] ويصل المحس نسبهم بالأنصار[٢] وبعد انتشار الإسلام فى موطنهم هذا هاجر جماعة منهم واستقروا فى منطقة ملتقى النيلين عند توتى وما جاورها[٣]. وبمرور الزمن نسوا لسانهم النوبى، وقد ظهر بينهم عدد من رجال الدين أمثال الشيخ إدريس ود الأرباب والشيخ خوجلى عبدالرحمن[٤].

المشايخة :

هم أبناء الشيخ مجلى المدفون فى زرنيخ[٥] بصعيد مصر قرب إسنا، ينتسبون إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، والشيخ مجلى شريف من جهة أمه بكرى من جهة أبيه، قدم مع أخوه أحمد اليمانى من اليمن من قرية بنده إلى مصر مع أبنائهم واستوطنوا زرينخ[٦].

قدم جدهم الفقيه يعقوب بن مجلى[٧] إلى السودان، فى أوائل مملكة الفونج ونال الحظوة عند ملك الفونج الذى زوجه ابنته واقطعه داره شمال الحلفاية[٨] وسبب تسميتهم بالمشايخة أن الشيخ زيد بن عرمان الجعلى الذى ينتسب إليه الزيداب من الجعليين كان تقياً يحب نشر العلم وكان ذا ثروة واسعة فجاءه الشريف شرف الدين فزوجه ابنته على شرط أن يستقر فى المسجد ويعلم القرآن وعلوم الدين[٩] وقد أطلق

---

(١) عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ص٦٦، ٦٧.

(٢) انظر: أنساب عرب السودان مخطوط، ورقة ٩ ;C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,2, P.82-84; 124, Y.F. Hasan: Op. Cit., 134-144, 156, 254.

(٣) جزيرة توتى تقع عند التقاء النيلين الأبيض والأزرق، انظر الطبقات حاشية (١٠)، ص١٨١.

(٤) الطبقات، ص٥٠، ١٨١، انظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٥).

(٥) هم ذرية الشيخ مجلى المدفون فى زرنيخ بمصر – من ذرية أبى بكر الصديق، وقد قدم جدهم الشيخ يعقوب إلى السودان فى أوائل مملكة الفونج وسكن حلفاية الملوك ودفن بجهة الازيرقاب وخلف أربعة أبناءهم عطا الله، وموسى، ومحمد زامر، وحمد قاضى بلدى ولهم ذرية كبيرة منهم الشيخ حمد بن مريوم، ومنهم الزنارخة المقيمون مع الجموعية وغيرهم. انظر الصديق حضرة، ٥٠٣، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,2, P.92-93; وانظر أيضاً: الطبقات، ص٤٢، ٣٧٣، أنساب عرب السودان، ورقة ١٢؛ عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٤١.

(٦) MacMichael: Op. Cit., Vol.,2, P.92.

(٧) ود ضيف الله: الطبقات، ص٣٧٣.

(٨) المصدر نفسه، ص٤٢، MacMichael Vol.,2, P.92.

(٩) الفحل الفكى الطاهر، تاريخ أصول العرب بالسودان، ص٦٦، ١٠٥.

المريدين على ذريتهم أولاد شيوخنا. ثم قالوا أولاد المشايخ، ثم سموهم مشايخة. فالمشايخة أولاد الشيخ شرف الدين أشرف ويعرفون بالشرفديناب وأولاد الشيخ محمد مجلى ولد الشيخ يعقوب بكرية ويعرفون بالمجلياب، والكل ينتمون إلى الجعليين [١] أما أولاد يعقوب غير أولاد مجلى فزنارخة لأنهم جاءوا من زرنيخ بمصر[٢]. ومن أحفاد الشيخ يعقوب المشايخة الشيخ حمد بن صريوم المنسوب إلى أمه المحسية[٣].

والواقع أن المشايخة منتشرون فى جهات عديدة من سودان وادى النيل. ومن أهم المناطق التى تجمعهم جهة كبوشية وبعض مناطق الجزيرة، ويسكنون المشايخة بسنار وديم المشايخة بكبوشية والقوزوديم الفتيحاب[٤] وبرى والجريف والمجانيين بمنطقة الأبيض[٥].

---

(١) الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص٦٦، ١٠٥.

(٢) نفسه، ص١٠٥.

(3) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,2, P.92.

عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٤١.

(٤) انظر كتاب الطبقات، ص٢٦١.

(٥) عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٤٢. انظر جدول الأنساب بملحق حلفاية الملوك، ص١٨٧ – ١٩٧، انظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٤).

ثانيا: مجموعة جهينة:

والمجموعة العربية الثانية – فى حوض النيل الأوسط بعد الجعليين من حيث عدد القبائل والبطون – هى المجموعة الجهنية التى تدعى الانتساب إلى عبدالله الجهنى[١]. وهى قبائل قحطانية وفدت إلى مصر بعد الفتح[٢] حتى إذا كان القرن التاسع الميلادى اشتركوا فى الجيش الذى غزا الصحراء الشرقية، ثم بدأوا يطرقون أرض النوبة ويمضون فى طريقهم جنوباً منذ القرن الرابع عشر الميلادى [٣]. وسوف نتتبع فروع هذه المجموعة الجهنية على النحو التالى:

– **العبدلاب**: فرع من المجموعة الجهنية من عرب القواسمة ينتمون إلى قبيلة رفاعة[٤]. وحسب رواية العبدلاب أن القواسمة هم أخوال عبدالله جماع، والده من الأشراف المنسوبين إلى محمد الباقر من أحفاد الحسين بن على[٥]. برزوا كقوة حربية وسياسية مع زعيمهم عبدالله جماع الذى أدى تحالفه مع عمارة دنقس زعيم الفونج إلى سقوط دولة علوة[٦]. ورغم اتخاذهم قرى عاصمة علوة الثانية، عاصمة لهم، فقد كانت الحلفاية عاصمتهم الثانية حتى قبل أن ينتقلوا إليها، وسموها حلفاية الملوك نسبة إليهم[٧].

ومن الواضح أن انهيار مشيخة العبدلاب بمجئ الأتراك قد كانت له آثار بعيدة المدى على حياتهم، إذ تحولوا من طبقة حاكمة إلى طبقة محكومة واضطروا للتكسب

---

(1) C.F.: MacMichael:H.A.: A hist., of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P.237.

(٢) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ١٩، ٢٠.

(٣) سبق أن أشرنا إلى هجرة جهينة إلى جهات مختلفة من حوض النيل إلى أوطان البجة وبلاد النوبة منذ منتصف القرن التاسع الميلادى إلى القرن الخامس عشر م، انظر ما سبق .

(٤) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ١ – ٣؛ الفحل: نسب العبدلاب، مخطوط، ورقة ٦١٥ – ٦٢٨، الشيخ عثمان أونسة، تاريخ مشيخة العبدلاب، ص١١، ١٢، C.F.: A. E. Penn: Traditional Storia of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVII, 1934, P.6FF.

(٥) أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص١١، ١٢.

(6) C.F.: A. E. Penn: Traditional Stories of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVIII, 1934, P.60-62. تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ورقة ١٧ – ١٩، مخطوطة كاتب الشونة ص٧، Shini: Exavation at Soba, PP.14-15.

(٧) تاريخ مختص بأرض النوبة، ١٧ – ١٩؛ أنساب عرب السودان، ورقة ١٩، ٢٠، حسن أحمد محمود: مرجع سابق، جـ١، ص٣٣٤ك الحويرى: أسوان، ص٢٣١ك عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٣٩.

كبقية المواطنين، فأتخذوا مختلف المهن، وتفرقوا فى البلاد[١]. وكانت أهم مراكز التجمع بعد الحلفاية الهلالية «ومعظم عبدلابها من الأسيداب» والعريباب وأبى حراز وعد الشيخ جماع «معظم عبدلابة من المسامير» وينتمى معظم العبدلاب بحلفاية الملوك إلى عجيب بن محمد العقيل (١١٠٩ - ١١٢٠هـ) وتنسب فروعهم الثلاثة إلى أبنائه: بادى وشمام وعبدالله[٢].

- **الصواردة والأحامدة:**

قوم منسوبون إلى جدهم صارد أو «صاردى[٣]»، ويذكرون أن صارد هذا أخو جذام وعبدالعزيز محسى، وكلهم من أبناء ذبيان، ويرجعون بنسبهم البعيد إلى جهينة[٤] وهم كبقية المحس ينتسبون إلى كعب الخزرجى الأنصارى[٥]. وتشير رواية أخرى إلى انتسابهم لعقيل بن أبى طالب، فهم من هذه الناحية إخوان العقليين والعقاقلة والعقيلاب «العقيلات بمصر[٦]»، والصوارد من أقدم العناصر حضورا إلى سودان وادى النيل، وإليهم تنسب أكبر مقابر الحلفاية المسماة بمدافن الصواردة شمال المدينة، وقد اشتهر الصواردة بالعلم والورع، ومن شيوخهم الفقهاء الشيخ حميد الصاردى[٧].

---

(١) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ص١٠٢.

(2) C.F.: Crawford: Op. Cit., P.175.

انظر الطبقات، حاشية (١٠) ص٤٠، انظر ملحق الدراسة جدول الأنساب، ص، انظر وثائق الفونج والأرض: ص١٣٣، الوثيقة ٢٦.

(٣) تشير كلمة الصواردة الآن إلى سكان قرية صواردة الواقعة فى منطقة السكوت بأرض المحس على خطى ٢٠,٣٤ْ شمال ١٩ ,٣٠ْ شرق، كما تشمل سكان المنطقة المجاورة وكلهم من المحس. ويروى النسابة السودانيون أن صارد جد الصواردة هو أخو جذام وعبدالعزيز محسى، وكلهم من أبناء ذبيان، ويبدو أن للصواردة هؤلاء صلة قوية بالمحس وقبيلة جهينة انظر: الطبقات، ص١٨٥، MacMichael: Vol. 2, P.24; Y.F.: Hasan, P.143 - 154. وانظر كذلك: هولت: أولاد جابر وأقاربهم، مجلة معهد الدراسات الإفريقية بالخرطوم، جـ٣٠، ص١٤٨.

(٤) مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ١٢، الطبقات، ص١٨٥؛ MacMichael: Op. Cit., P. 24.

(٥) الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص١٠٤؛ عثمان حمدالله: سهم الأرحام فى السودان، ص٢٠٤.

(٦) عثمان حمدالله: سهم الأرحام، ص٢٠٤.

(٧) الطبقات، ص١٨٥.

المولود بالقرب من المسلمية، وقد أخذ عليه علم التوحيد الفقيه ضيف الله بن على الفضلى[١] وإليه تنسب صواردة الحلفاية. ومنهم الولى على بن قنديل الصاردى جد الفقيه على بن برى[٢]. وقد تفرق الصواردة فى مختلف الجهات، وكانت صلاتهم بالجعليين قوية وبالذات مع المسيكتاب. حتى ظن كثير من عامة الناس أن الصواردة من الجعليين[٣] ورغم قدمهم فى الحلفاية إلا أنهم فيما يبدو قد اضمحلوا بسبب هجرتهم إلى الجزيرة مع مجموعة اليحياب الذين ينتسب معظمهم إلى قبلية الأحامدة ،وبعضهم يزعم أنهم من الحمدة، ولكن كثيراً من أهل الحلفاية يتصل بهم من ناحية الأمهات مثلما هو الحال مع الجموعية الحميدانية بالحلفاية، فإن كثيراً من أمهاتهم صارديات وكذلك بعض المغاربة والعبدلاب وغيرهم[٤].

– الهوارة:

اختلف المؤرخون كثيراً فى تحديد معنى اسم الهوارة وأصلهم، فنسبه البعض إلى هوارة بن المثنى بن حمير اليمنى[٥]، ونسبه البعض الآخر إلى ما كان من تهور المسور بن المثنى وخروجه من مصر فى طلب إبل له فقدها فذهبت نحو المغرب وهو فى إثرها، وأنه لما أدرك ابتعاده عن مصر وصف عمله بالتهور، وأن الهوارة نسبوا إليه لنزوله المغرب وتزوجه هناك ومن ثم تناسلوا بعد ذلك[٦]. وقد أرجع البعض أصل الهوارة إلى البربر [٧] وارجعه البعض الآخر إلى حمير اليمن[٨].

---

(١) الطبقات، ص١٨٥.

(٢) وقد كان نسب أولاد برى سبب خلاف شديد بين أفراد تلك الأسرة إذ أدعى بعضهم أنهم صواردة خلص بينما ظلت الأغلبية ترجع نسبها من جهة أبيها إلى الحسن بن على وينتسبون من جهة أمهم إلى الفقيه على ود قنديل الصاردى. انظر الطبقات حاشية (١٣)، ص٢٩٣؛ وانظر أيضا: الطبقات ص٢٩٥.

(3) C.F.: Y.F., Hasan: Op. Cit., P.143 - 157.

(٤) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ١٣ وما بعدها، انظر جدول الأنساب بملحق الدراسة. ملحق رقم (٦/هـ)، انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٤).

(٥) محمد عبدالخالق البتيتى: إمارة الصعيد أمرة هوارة ونسبها: مقال بجريدة البلاغ ١٩٣٤/٢/١٩، ص٣؛ ليلى عبداللطيف أحمد: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، ص٢٦.

(٦) المقريزى: البيان والأعراب، ص٥٨.

(٧) نسبة إلى هوارة وهى إحدى قبائل البربر التى دخلت مصر فى أيام الفاطميين، ونزح جماعة منها إلى الصعيد، وتمكنوا فيه حتى صاروا زعماء على معظم القبائل. انظر Y.F. Hasan: P.104-105، وقد هاجر بعضهم إلى السودان واحترفوا تربية الإبل فى الصحراء الغربية بين الكبابيش ويطلق عليهم اسم هوارير، كما أن طرفا منهم احترف التجارة وصاروا جلابة فى كردفان ودارفور. راجع MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.335-336.

(٨) المقريزى: البيان والأعراب، ص٦٠؛ نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، العدد ٢٦، ص١٩٢؛ صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية، دار المعارف ١٩٨٤، ص١٧٦.

أما الهوارة أنفسهم فقد كان من الشائع بينهم فى عهدهم الأول أنهم ينتسبون إلى دحية الكلبى من بنى كلب بن وبرة من قبيلة قضاعة من بنى مالك بن حمير بن سبأ[١] ومنهم صنهاجة وهوارة وكتامة.

وتعتبر هوارة من أكثر القبائل المغربية هجرة إلى وادى النيل بحيث أنهم فى خلال القرنى الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين من أكبر العناصر المغربية وجوداً فى جنوب مصر[٢]. وقد أنزلهم الأمير برقوق[٣] قبل توليه السلطة بعامين ٧٨٢هـ١٣٨٠/م فى منطقة الصعيد الأعلى، واقطع زعيمهم منطقة جرجا وما حولها[٤]، والهدف من ذلك أن يجعلهم قوة تحمى الطرف الجنوبى لمصر من غارات بنى الكنز فى منطقة الشلال وأسوان. ولم تلبث هوارة أن اشتبكت مع بنى كنز الدولة بالتعاون مع المماليك مما أدى فى نهاية المطاف إلى انهيار دولة الكنوز فى جنوب مصر، وفى عام ٨١٥هـ١٤١٢/م زحف هوارة على أسوان واستولت على بعض المناطق، ولم ينقذ بنى الكنز من هزيمة ساحقة أخرى إلا النزاع والانقسام الذى دب بين صفوف قبيلة هوارة وحملات المماليكة المتكررة عليهم مما أدى إلى تفرقهم[٥].

فسار قسم منهم جنوبا إلى النوبة، وانتشروا فى بقاع مختلفة من السودان الشمالى وإليهم ينتسب الهوارة بمنطقة الخرطوم والجزيرة وغيرها، والهوارة الزرق الجلابة والهواوير فى كردفان ودارفور وغيرها[٦].

---

(1) C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.151.

مصطفى كامل الشريف: عروبة مصر من قبائلها، القاهرة ١٩٥٦، ص٣٦؛ عون الشريف حلقاية الملوك، ص٥١، ٥٢؛ عثمان حمدالله: التعارف والعشيرة، ص٦٧.

(2) C.F. MacMichael, Op. Cit., Vol. I, P.151- 152.

عون الشريف قاسم: حلقاية الملوك، ص٥٢؛ نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر، ص١٩٢؛ هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية، ص١٧٦.

(٣) السلطان برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ/١٣٨٢ - ١٣٩٨م) هو مؤسس الدولة المملوكية الثانية أو دولة المماليك الجراكسة وضع نهاية بيت قلاوون، وقد امتاز بعقلية فذة وشخصية قوية وقد قدم الجداكسة وأكثر من استجلابهم وشن حرب إبادة على العناصر التركية وقد قام بمحاولات ناجحة فى سبيل إزالة سلطان المماليك الاتراك واحلال الجراكسة محلهم فى مصر والشام وقد نجح فى ذلك وأعلن نفسه سلطان بالقاهرة ودمشق سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م.د. حكيم أمين عبدالسيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص٣٩ وما بعدها.

(٤) انظر: صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية، ص١١٥.

(٥) عون الشريف: حلقاية الملوك، ص٥٢.

(٦) الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص١٠٧، ١٠٨، عون الشريف: حلقاية الملوك، ص٥٢، وانظر الطبقات: ص٢٦٩، انظر ملحق الرسالة خريطة شكل رقم (١٥).

- المغاربة[١] :

صلة المغاربة بسودان وادى النيل قديمة، وهناك مقابر تحمل أسمهم بين شمبات والحلفاية، مما يشير إلى أنهم تمركزوا قديماً فى هذا الجزء الجنوبى من الحلفاية، وكما يرجح ماكمايكل فإنهم قد سكنوا سوبا فى نهاية القرن العاشر الميلادى[٢]. وقد كان عبدالله ود حسونة المغربى المولود بسوبا قد صحب الشيخ إدريس ود الأرباب[٣]. وما يزال كثيرون من هؤلاء المغاربة يعيشون مع قطعانهم فى منطقة شرق الخرطوم. وهم ينتسبون إلى الشيخ أحمد زروق الشاذلى التونسى[٤]. هذا وللمغاربة صلات رحم واسعة بالعبدلاب والجعليين والهنوناب والمشايخة[٥].

---

(١) مخطوط، أنساب عرب السودان، ورقة ١٢.

(٢) MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.318.

(٣) يقول ود ضيف الله: «عبدالله ولد حسوبة المغربى، وقيل حسوبة رجل غريب قدم من المشرق وصحب الشيخ إدريس وولد عبدالله بسوبه» الطبقات ص٣٠٦.

(٤) كما تذكر وثيقة نسبهم المنشورة فى مكمايكل فإن جميع مغاربة بر السودان المنتسبين إلى السيد أحمد زروق المغربى يجتمعون فى السيد عبدالرحمن كونه وأولاده أربعة وهم عبدالله والد حسوبة جد الحسوباب ويترفعون إلى خمسة عشر فرعاً، وعلى أولاده سبعة هم: عبدالرحمن جد الكراديس وعبدالله جد العبدلاب ومحمد أبو جدية، جد الجدياب، وأحمد زايد جد العضالاب وعبيد جد العبيداب، وكديش جد الكديشاب، والثور جد الثوراب، ومنهم الشيخ الأمين بله، والابن الثالث محمد جد الدسيساب والدروساب والمقيبلاب، والابن الرابع أبو القاسم

C.F.: MacMichael: Vol. I, PP.316 - 317;

عون الشريف، ص٤٢، صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد، ص١٨٠.

(5) MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.316 - 317.

ثالثا: مجموعة الكواهلة:

تذكر روايات العبدلاب الشفاهية أن الكواهلة من أوائل من جاءوا إلى السودان من القبائل العربية، ولم يكن بها سوى بعض العنج، وكانت مليئة بالغابات والحشائش والثعابين مثلما يروى عن منطقة قرى في روايات العبدلاب(١).

والكواهلة منسوبون إلى بنى كاهل بن أسد بن خزيمة بن مدركه، وينسبون أنفسهم إلى الزبير بن العوام(٢)، بينما ينسبهم النسابة السودانيون إلى المجموعة الجهنية اليمنية(٣)، وقد نزح الكواهلة إلى السودان فى القرن الرابع عشر الميلادى واستقروا أولا ببلاد البجة ردحاً من الزمن، ومن ثم اختلطوا بهم، ثم انتقلوا إلى البطانة والجزيرة وكردفان وغرب النيل(٤).

ولم يقتصر التركيب الاجتماعي لبلاد النوبة على تيار الهجرة المستمر للقبائل، بل تسربت إليها هجرات فردية لأشخاص من خارج مصر، وقد تضافرت عدة أسباب جعلت من النوبة مستودعاً هائلاً لاستقبال هجرات فردية على مسار القرون، منها موقعها التجارى، كما انها منفذاً للراغبين فى المعادن النفيسة بأرض المعادن فى الصحراء الشرقية فضلا عن إنها ملجأ أميناً للفارين من الضغط السياسى. ومن هذه الهجرات.

– الدورايت: وهم منسوبون إلى قرية ديروط الشريف في صعيد مصر بأسيوط، وقد حرفت النسبة إلى داروتى ودواريت، وفى ديروط الشريف هذه يقوم مقام جدهم أحمد الوقاد بن أحمد الأصغر، وهو رجل شريف صالح لقب بالوقاد لأن ضريحه أو

---

(١) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص١٠٩، ١١١؛ مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، ص١٠٩.

(٢) مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ١٨، الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص١٠٩.

(3) C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 86, 88, 140, 160-162.

عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٤٥؛ التجانى عامر: السلالات العربية السودانية فى النيل الأبيض، الدار السودانية، ط الثانية ١٩٧١م ص ص ١٧، ١٨.

(٤) انظر: ود ضيف الله الذى أشار إلى بدوى ولد أبو دليق أبوه عبدالله وامه بوادى كاهلى الأصل، وهناك أمثلة عديدة على انتشار الكواهلة، الطبقات، ص١١٥، وانظر محمد عوض: السودان ووادى النيل، ص٥١، ٥٢؛ حسن أحمد محمود: مرجع سابق، ص١٣٣٦؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٤٦، التجانى عامر: السلالات العربية، ص ص ١٨، ١٩.

قبته كانت تتقد فسمى بالوقاد، وهم مزيج من المصريين والأتراك، إذ هاجر جدهم محمد ابن الشيخ أحمد الوقاد إلى السودان قبيل دخول الأتراك أو فى أوائل عهدهم، وكان متزوجًا من سيدة تركية اسمها هلالية بنت رحاب حيث أنجب منها ابنه واستقر بها فى السودان(١).

- قبائل البجاة(٢)

ويدخل فى التركيب الاجتماعى لسودان وادى النيل، قبائل البجاه(٣). فقد كان لهذه المرحلة من مراحل الهجرات العربية إلى السودان عبر أوطان البجة(٤) أثر واضح فى تكوين المجموعات البجاوية(٥).

---

(١) ذكر ود ضيف الله فى كتابه الطبقات ص٣٦٦، عن قرية الهلالية التى يعتقد أنها سميت على أسمها. انظر:
MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.263.
عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ص ٥٩، ٦٠.
انظر جدول الأنساب بملحق حلفاية الملوك، ملحق (١١٩، ١٢٢).

(٢) البجة أو البجاة.. يرى البعض أنها سلالة من السلالات الحامية. ولقد أثبت سليجمان من خلال دراسته الانثروبومترية أرتباطهم بالمصريين القدماء، شأنهم فى ذلك شأن النوبيين. انظر: سليجمان: السلالات فى افريقيا، ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربى ١٩٥٩م، ص٧٨؛ محمد عوض: الشعوب والسلالات الافريقية، ص٢٤٦، ٢٤٧؛ وأيضاً: السودان الشمالى، ص٢٢؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ص ١، ٢؛ C.F. Paul. A.: A history of the Bija Tribes of The Sudan the Cambridge University, PP.20 - 57.

(٣) ورد هذا الاسم عند الواقدى: مرة باسم البجة ويطلق على الوطن، ومرة أخرى باسم البجاة ويطلق على نوع السكان: فتوح مصر والإسكندرية، ط ليدن ١٧٢٥م، جـ٢٧، ٥٦؛ وقد ذكرها القلقشندى «بلاد البُجا» صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٧٣؛ المقريزى: الاسم المتداول اليوم للبجة هو بكسر الباء. الخطط، جـ١، ص١٩٤؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص٢٢؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص١.

(٤) حددها المؤرخون المسلمون تحديداً واضحاً، فقد ذكر الإدريسى «أنها تجاور أرض الحبشة من جهة الشمال، وهى بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد» صفة المغرب وأرض السودان، ص٢٦؛ أما المسعودى فقد أشار إليها بقوله: «أما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر، وتشعبوا فرقاً» مروج الذهب، جـ١، ص٤٣٨؛ والمقريزى: «أول بلد البجة من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرد فى صحراء قوص.. وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة وهم فى بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر إلى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن وباضع ودهلك» الخطط، جـ١، ص١٩٤؛ وقال القلقشندى «وموطنهم فى جنوبى صعيد مصر مما يلى الشرق فيما بين بحر القلزم وبين نهر النيل على القرب من الديار المصرية» القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٧٣، ٢٧٤؛ ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٧٨؛ ابن الوردى: تتمة المختصر، ص١٢٥؛ ابى الفدا: المختصر، ص٩٦.

(5) C.F.: Paul, A.: Op. Cit, P.79 FF.
انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٢).

والبجا ينقسمون إلى عشر قبائل هى من الشمال إلى الجنوب[١] :

البشاريون[٢]، الأمرأر[٣]، والأرتيقة[٤]، والأشراف[٥]، والكميلاب[٦]، والهدندوة[٧]، والمهيتكتاب[٨]، والحلنقة[٩]، وبنى عامر[١٠] والحباب[١١].

---

(١) عن نسب البجاة اعتبرهم مؤرخى العصور الوسطى جنساً من النوبة، أو فرعا آخر من النوبيين، لكن البجة بحكم بيئتهم وانقطاعهم عن طرق المهاجرة، أصفى بشرة من النوبة على حين أن بقية البجة من الهدندوة وبنى عامر والأمرار والبشارين تسربت إليهم دماء عربية مما كان له أثره فى صفاتهم الجثمانية، مع تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم التبداوية انظر: بيبرس الدوادار: زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة، نسخة مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧، جـ٤ ورقة ١٨١ (أ)؛ الدمشقى: نخبة الدهر، ص٢٦٩؛ ابن جبير: تذكرة بالأخبار، ص٤٨، ٤٩؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص٢٢؛ Paul: Op, Cit., PP. 23 - 25.

(٢) ينتسب البشاريون إلى بنى كاهل، وتنقسم القبيلة إلى قسمين: بشاريى أم ناجى الذين يسكنون فى المنطقة الجنوبية على نهر عطبرة، ويتحدث هؤلاء العربية الدارجة إلى جانب البجاوية وبشارى أم على ويسكنون فى المنطقة الشمالية، وقد نزح بعضهم لمصر. انظر محمد أدروب أوهاج: من تاريخ البجا، جـ١، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٦، ص١٢، ١٣.

(٣) وينتمى الأمرآر إلى بنى كاهل، وتنقسم القبيلة إلى قسمين الأمرأر بنو عمار وهم مجموعة من القبائل أشهرها الفاضلاب، المحمداب العشيباب وهؤلاء هم الأصل. أنظر:

Sanders: The Bisharin, S.N.R. Vol. XVI, P. 145, 146.

محمد أدروب أوهاج: من تاريخ البجا، ص١٣؛ محمد عوض: السودان الشمالى ص٦٢؛ الحويرى: أسوان، ص٢٤٧.

(٤) وتنسب إلى الإمام على، وينقسموا قسمين الأرتيقة المحمدية والأرتيقة الحمدية انظر: رحلات بوركهارت ص١٢٩؛ أوهاج: مرجع سابق، ص١٣، ٢١٤.

(٥) جاء جدهم الشريف محمد الحسينى إلى سواكن فى منتصف القرن العاشر الهجرى وطلب الزواج من الأرتيقة وينقسم الأشراف إلى عدة فروع، يسكن معظمهم فى مدن وقرى شرق السودان ويتحدثون البجاوية.

Klunzinger: Upper Egypt, its People and its Products London, 1873, P.254.

ضرار: تاريخ سواكن، ص٢٣٠، أوهاج: مرجع سابق، ص١٤.

(٦) ينتمون إلى بنى كاهل وهم من أقدم القبائل البجاوية. أوهاج: ص١٤، ١٥؛ محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، ص٢٢١.

(٧) تنتمى إلى العباس بن عبدالمطلب، وجدهم المشهور هو باركوين، ويسكنون فى منطقة القاش، انظر: أوهاج: ص١٥ MacMichael: Vol. II, PP. 99 - 100. عطية القوصى: الكنوز، ص١٣٧ – ١٣٩.

(٨) سكان المنطقة الوسطى بين خور بركة والقاش، تنتمى إلى أبى بكر الصديق، أوهاج: ص١٦

MacMichael: Vol. II, PP. 99 - 100.

(٩) ويرجع نسبهم إلى هوازن، وأنهم جاءوا عن طريق أثيوبيا. انظر أوهاج: ص١٦.

(١٠) وتنتمى بنى عامر إلى كاهل أيضاً، وهى تحتوى على عناصر مختلفة وهم من أكبر القبائل البجاوية. أوهاج. ص١٦.

(١١) يرجع نسب القبيلة إلى بنى مخزم وهى تعيش فى المنطقة الجنوبية، محمد صالح ضرار: تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان واريتريا، الدار السودانية، ط الأولى ١٩٨٤م، ص٤٧ أوهاج: ص١٦، ١٧، انظر: الخريطة شكل (١٢).

- الأقليات من النوبيين المسيحيين:

إن الوثائق التاريخية لا تزودنا بالتفاصيل عن وجود أثراً للنوبيين المسيحيين إلا أننا إذا نظرنا إلى الوثائق الأثرية التى اكتشفت حديثا منذ عام ١٩٦٠م نستطيع أن نستنتج منها أموراً:

– ما ثبت من الحفريات الأثرية بقصر أبريم وجبل عدة ظهور إمارة صغيرة تسمى (دوتاو باللغة النوبية) ومعناها منطقة الدو السفلى، وكانت تقع بين الشلال الثانى والشلال الأول ومركزها بين أبريم وجبل عدة، وقد اكتشفت فى أبريم وجبل عدة وثائق أثرية تذكر أسماء ثمانية ملوك وأساقفة، وبعض من رجال الكنيسة الذين كانوا يلعبون دوراً أساسيا فى إدارة المملكة ويحملون نفس الأعباء التى نجدها فى مملكة دنقلا. وهذا يدل على أن الأسرة التى ملكت فى دوتاو شعبة من الأسرة القديمة المسيحية التى كانت مالكة فى دنقلا، ويعتقد أن هذه المملكة قد بقيت حتى عام ١٤٨٤م(١) على الأقل.

– واكتشفت فى أبريم وثيقة تنصيب المطران طيموثاوس مطران أبريم وفرص المؤرخة فى سنة ١٠٨٨ للشهداء حسب التاريخ القبطى – الموافق سنة ١٣٧٢م – وهى مكتوبة باللغتين القبطية والعربية وفيها توقيع البطريرك جبرائيل(٢).

ويشير فانتينى أن «أهالى جزيرة تنقاسى الواقعة تجاه دنقلا العجوز يزورون القاهرة حتى سنة ١٧٤٢م وقد اهتموا بشراء بعض الصلبان لذويهم فى بلادهم وقالوا: أنهم مازالوا على الاعتقاد المسيحى، وذكروا أن بعض الاحتفالات المسيحية ودفن الموتى كانت تتم فى بلادهم حسب الطقوس المسيحية.»ووجود هذه الأقليات يدل على سماحة الإسلام فلم يكن هناك اضطهاد أو كراهية ضدهم بدليل ممارسة شعائرهم فى سهولة ويسر(٣).

---

(١) ل. كروباتشيك: النوبة فى نهاية القرن الثالث عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، ص٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، الاب فانتينى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية، ص١٩٠، ١٩١،

C.F.: Adams, W.Y., JEA, 51, P.175: Crowfoot, J.W., JEA XII, P.145; Adams, W.Y., The evolution of christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, P.121.

(٢) فانتينى: مرجع سابق، ص١٩٠، ١٩١، انظر كنيسة عبد الله نرقى بالنوبة بالملاحق ٤/١٠، ٥/١٠، ٦/١٠ .

(٣) فانتينى: مرجع سابق، ص١٩٠، ١٩١، .Adams,W.Y.JEA,PP.152 - 153

انظر بملحق الكتاب اقدم عقد زواج كنسى محفوظ بالكنيسة الكاثوليكية فى السودان نقلا عن الاب فانتينى، ص٢٨٣.

- **التكاررة:**

واشتمل أيضا التكوين الاجتماعى لسودان وادى النيل على جماعات قليلة من التكاررة[١] أتت من السودان الغربى من فلاشة، وبرنو وباجرمى وغيرهم. ومما يذكر أنهم كانوا يأتون إلى مصر مجتازين أرضها، بملازمة الحجيج المصرى، إلى أرض الحجاز[٢]، ومنهم من يجتاز الطريق النيل يحتى يصلوا مشارف مصر من ناحية الجنوب، فيمكثوا أياما فى قرى الصعيد، ثم إلى بلاد النوبة[٣] وتقابل التونسى مع رجلا من بلاد التكرر يقيم فى أرض السودان[٤].

- **العبيد:**

ويدخل فى التركيب الاجتماعى لسودان وادى النيل طبقة العبيد التى تنتمى إلى الجنس الزنجى. وقد شاعت تلك الطبقة من الرقيق فى المجتمع الإسلامى فى العصور الوسطى، ولاقت تجارتها رواجاً واسعًا لشدة الحاجة إليها[٥]. وقد لاحظنا من قبل أن تجارة الرقيق كانت بعد اجتيازها بلاد النوبة تتوزع فى أسواق مصر والعالم الإسلامى[٦].

---

(١) التكرور: شعب من الزنوج يسكن معظم وهادقوته السنغالية، وتعيش شعبة منهم فيما بين النيجر وبحيرة تشاد ولاسيما فى سكوتو. ومن المحتمل أن يكون تكرور هو الاسم الذى كانت تعرف به فى وقت من الأوقات مدينة بالقرب من نهر السنغال. والمملكة التى كانت عاصمتها هذه المدينة موضعها الآن فوته السنغالية ثم اطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة. وجرى العرب من بعد على اطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الإسلام، وهى الممتدة من المحيط الأطلنطى إلى حدود وادى النيل واضحت كلمة تكرورى فى نظر العرب مرادفة لكلمة «سودانى» انظر ليو الافريقى: وصف افريقيا، ص٥٣٢ وما بعدها؛ التونسى: تشحيذ الأذهان، ص١٣٤، ١٣٥.

(٢) يذكر الرحالة بوركهارت ان اسم التكرور لا يرجع إلى ذلك الاسم، فكلمة تكرور مشتقة من الفعل تكرر «أى تنقى» بمعنى أن مشاعر التكاررة الدينية تنقت وتطهرت بحفظ القرآن وأداء فريضة الحج، ومما ذكره ان اسم التكاررة يطلق على جميع الزنوج القادمين من غرب السودان على اختلاف أوطانهم طلبا للعلم أو سعيا إلى بيت الله.
C.F. Wiet: Op. Cit., Vol. VI, P.38; P.156; بوركهارت: رحلاته، ص٣٢١؛ الحويرى: أسوان، ص٢٥٤، مصطفى مسعد: الإسلام وحركات الفلان الإصلاحية فى غرب افريقية، مجلة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨هـ/١٩٦٨، ص١٢٢ وما بعدها.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص٣٢١، ٣٢٢.

(٤) التونسى: تشحيذ الأذهان، ص١٣٤، ١٣٥.

(٥) انظر: جروهمان: أوراق البردى العربية، جـ٥، ١٩٦٨، طراز رقم ٦٠٥، ص٣٥؛ كرم الصاوى: التطور الاجتماعى، ص٥٦.

(٦) البلاذرى: أنساب الأشراف، جـ١، مصر ١٩٥٩، ص١٧٨، ١٧٩؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، جـ١، القاهرة ١٩٦٥م، ص ص٨٨، ٨٩. وفى استخدامهم كمرضعات وحاضنات انظر: ابن الجوزى: تنوير الغبش، ص٤٢.

هذا ويشير الدكتور مصطفى مسعد أنه منذ القرن السابع الميلادى وفدت على دارفور قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى. فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميدوب والبرقد على حين جاءت جماعات ليبية من البدايات والزغاوة من شمال إفريقيا واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية بفضل ما امتازت به من الغلبة العقلية، وما لديها من وسائل حربية أن تطرد جماعات السود إلى الجبال، وأن تقيم فى هذه المنطقة ممالك خاصة، وأدت هذه الهجرات الشمالية لذلك إلى ازدياد تجارة الرقيق[1].

هذا وتشير الوثائق إلى شرعية تجارة الرقيق فى هذه الفترة من توثيق كتابة العقود والشهود الموقعين على هذا العقد، إذ يشير العقد إلى:

١- حضر إلى شهوده فخر الأماثل والأقران الأمير محمد ابن المرحوم حسن كاشف.

٢- كان وأشهد عليه الإشهاد الصحيح الشرعى المعتبر المرضى وهو

٣- بصفة من يجوز الإشهاد عليه فيه شرعاً إنه أوهب

٤- لابنته من صلبه عايشة المرزوقة من المرحومة

٥- آمنة جميع حصته فى تجارة ابنة عبدالله المعترفة له

٦- بالرق هبة شرعية لا رجوع له فيها هبة صحيحة شرعية

.... شهد على العقد ١٩ شاهدا فى قلعة أبريم[2].

كذلك تضمن البناء الاجتماعى لسودان وادى النيل أقليات من المهاجرين والمماليك الأتراك.

أما المهاجرون الذين سكنوا النوبة فى تلك الفترة، فهم عرب الأندلس الذين

---

(١) انظر: مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص٢١٧،

C.F. Paul, H.G: History and Antiquties of Darfur, P.2.

(2) C.F.: Martin Hinds and Hamdi SAK Kout: Arabic Documents from the Ottoman Period from Qasr Ibrim, Egypt Exploration Society, London 1986, 5.Isi.Mus. 2397/112. 27 Cm. h.X 14. 5Cm.W.

انظر نص الوثيقة فى ملحق الدراسة ملحق رقم (٨) «قصر أبريم» حرر هذا العقد بتاريخ يوم الأحد سابع وعشرين من شهر شوال سنة سبعة وخمسين وألف.

جاءوا تحت ضغط المسيحيين فيما عرف من قبل بحركة الريكونكستا[١]. والتى تشرد بمقتضاها نصف مليون عربى بالنفى[٢]، كان ملاذهم الوحيد الظهير الإفريقى وخاصة شمال أفريقيا، فمنهم من جاء إلى صعيد مصر، ومن ثم دخلوا بلاد النوبة[٣].

أما المماليك الذين سكنوا بلاد النوبة فى أواخر العصور الوسطى، فهم الذين خشوا أن يقعوا تحت طائلة السلطان سليم الأول العثمانى، إذا فكر فى غزو مصر بعد أن استولى على الشام عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م فعولت جماعات منهم على الفرار من وجهه إلى الصعيد ومن ثم دخلوا أرض النوبة[٤].

وفى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وقعت مصر فى أيدى الأتراك العثمانيين، وما أن استتب الأمر للسلطان سليم فى مصر، حتى وضع حاميات عسكرية فى كل من أسوان وأبريم وغيرها لحراسة الحدود الجنوبية لمصر، ومن تلك الحاميات ينحدر عنصر من عناصر السكان فى بلاد النوبة ولازالت تعرف سلالتهم بالكشاف[٥].

وأخيراً يبقى سؤال هل مازالت هناك عناصر وثنية تعيش فى سودان وادى النيل؟ والحقيقة أن المصادر الإسلامية أو المحلية تصمت تجاه الحديث عن هؤلاء الوثنيين باستثناء كتب الرحالة، فقد اشار بوركهارت إلى أن المناطق الممتدة عبر دارفور، والبلاد التى تقع جنوبها، وجنوبها الغربى هى مازالت بلاد وثنية، على سبيل أن الرقيق الذين أخذوا من أقاليمهم، هى أقاليم وثنية (المتاخمة لدارفور وبورقو ودارصليح[٦])، ولكن يعتقد أن هذه الأماكن المتطرفة على الحدود والتى كان من

---

(١) ظاهرة الارتداد المسيحى انظر: ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٠، ٣١، إسحق عبيد: محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، دار المعارف، ١٩٧٨، ص٥٩ وما بعدها؛ الحويرى: أسوان، ص٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) ثبت أن من نفو من العرب فى المدة بين سقوط غرناطة وأوائل القرن السابع عشر الميلادى يبلغون ثلاثة ملايين، الحويرى: أسوان، ٢٥٧.

(٣) انظر بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حوادث عام ٩٢٢هـ، ابن إياس: C.F.: Browen: Travels in Africa, P. 141;

الحويرى: أسوان، ص٢٥٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٥٧، بوركهارت، رحلاته، ص٢٥١.

(5) Ency Britt Art Aswan; P.M. Holt: The Pattern of Egyptian Political history from 1517 & 1798, in Political and Social Change in Modern Egypt, london 1968, PP. 79 - 90.

(٦) عبدالمنعم ماجد: نظم دولة المماليك، جـ١، ص٩-١٤؛ محمد عوض: السودان، الشمالى ص٣٠٣ – ٣٠٤؛ رحلات بوركهارت ص٣٤٣ – ٣٤٤؛ يوسف فضل: المماليك فى السودان، ص ص٥، ٦.

الصعب الوصول إليها بدليل قول بوركهارت نفسه «ولم ألق تاجر قادم من الأقاليم الواقعة وراء الياقرمى[١]». فهى إشارات ضئيلة لا يمكن أن نستند عليها فى تشكيل عنصر أساسى فى هذا المجتمع الجديد[٢].

العادات الاجتماعية الخاصة فى مجتمع سودان وادى النيل:

توافد العرب على سودان وادى النيل: وقد بلغت هذه الهجرة ذروتها عندما اشتركت بعض هذه القبائل العربية فى الحملات العسكرية المملوكية ضد بلاد النوبة المسيحية، كما تبعتها هجرات أخرى بعد اضمحلال نفوذ ملوك النوبة السياسى فى أواسط القرن الرابع عشر. ونتيجة لتزايد النفوذ العربى الإسلامى صارت الأسرة المالكة مسلمة تجرى فى عروقها دماء عربية بعد أن كانت نوبية مسيحية. وقد أكتملت عناصر هذا الحدث الهام إثر استقرار بعض المجموعات العربية، واختلاطها وتزواجها مع العناصر المحلية، وسوف نتتبع مدى التغير فى العادات والتقاليد بمجتمع سودان وادى النيل.

---

(١) هذا المفهوم وخاصة حسب ما جاء فى كتاب الطبقات غرباوى: فهو لفظ يطلق على كل من يفد من غرب السودان أو دارفور أو دار صليح أو واداى. أو بلاد البرقو. انظر بوركهارت، ص٢٥٠؛ الطبقات ص١٤٤، ١٠٥، انظر التونسى: تشحيذ الأذهان، ص٧٤هـ.

(٢) وهى تقع ضمن السودان الأوسط: انظر التونسى: تشحيذ الأذهان ص١٣٥هـ؛ بوركهارت، رحلاته، ص٢٥٠، ٢٥١؛ انظر مملكة الفونج الإسلامية، ص٥٦.

- الزواج فى ضوء الوثائق العربية:

- عقود الزواج:

عرفت عقود الزواج منذ فجر التاريخ، ونستدل على ذلك بأن أول عقد زواج عثر عليه يرجع تاريخه إلى عام ٣٦٥ق.م في مصر، وأن النص المدون فى هذا العقد يعطى بيانا عن قيمة الهبة المالية من الزوج لزوجته، وهو ما يعبر عنه بالصداق فى الشريعة الإسلامية[١].

ووثائق البردى الخاصة بعقود الزواج فى مصر الإسلامية ترجع إلى عصور زمنية مختلفة تنحصر فيما بين نهاية القرن الأول والقرن الرابع الهجريين[٢].

أما عن سودان وادى النيل فأقدم وثيقة عثر عليها هى وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م[٣].

وبالمقارنة مع نموذجين من عقود الزواج الخاصة بأمراء وأميرات من بنى

---

(١) انظر: بردية Priss Papyrus يرجع تاريخها إلى حوالى ٤٥٠٠ عام، وتتحدث عن الأسرتين الخامسة والسادسة للوزير بتاح حتب في الأسرة الخامسة، وتوضح علاقة الزوج بزوجته، انظر: د.حسن رجب: البردى: دار المعارف القاهرة ١٩٨١م، ص١٢٩؛ حسن كمال: الطب المصرى القديم، جـ٣، ٤، المجلد ٢، ١٩٦٤، ص٦٧، ١٧٥، ١٨٨؛ كرم الصاوى: التطور الاجتماعى، ص١٥٠.

(٢) انظر: بردية منشورة، رقم ٢٥٢٩٥، متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، مجموعة هنرى أمين عوض، وقد تم نشرها في رسالة الماجستير المقدمة من الباحث والتى اجيزت انظر التطور الاجتماعى، ص١٥١، انظر ملحق الدراسة عقود الزواج، ص١٥١ وما بعدها.

(٣) كتبت الوثيقة بالمداد الأسود على قطعة حريرية صفراء بخط الرقاع وتضم الوثيقة قسمين: الزول: عبارة عن مقدمة طويلة لعقد الزواج، إذ حوت كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحث المسلمين على الزواج، وتذكر مزاياه، وتشير إلى أهميته بالنسبة لبقاء الإنسان وسعادته، أما القسم الثانى. فهو عبارة عن نص عقد الزواج الخاص بالأمير (الملك) الربعى كنز الدولة أبى عبدالله محمد بن كنز الدولة شجاع الدين المتملك بدنقلة منذ عام ٧١٧هـ، على ابنة عمه السيدة بشرية بنت سيف الدين ماجد. تكونت المقدمة من اثنى عشر سطراً.. بينما تكون نص العقد من أربع وعشرين سطرا، بالإضافة إلى اسماء أربعة من الرجال كانوا شهودا على عقد الزواج الذى حرر فى الثالث من شهر ذى القعدة عام ٧٣٣هـ، وقد ورد فى الوثيقة النسب الكامل للملك المتزوج، وخلال ذلك إشارات إلى اسماء أمراء من بنى ربيعة الكنوز، وإن كنا لا نجد لهم ذكرا فى المصادر التاريخية والأدبية المتوافرة. أنظر: الوثيقة. محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم (٤٢٢٢)، انظر ملحق الدراسة، شكل رقم(١).

الكنز من ثغر أسوان[١]، ويرجع تاريخهما إلى القرنين السابع والثامن الهجرى؛ هذا بالإضافة إلى أختيار مجموعة من الوثائق البالغة الأهمية لعقود الزواج فى سودان وادى النيل، والتى ترجع إلى فترات زمنية مختلفة[٢] يتضح الآتى:

أ- صيغة العقد تكاد تكون واحدة فى معظم العقود التى تم اختيارها، فبعد البسملة، يأتى المقدمة وهى عبارة عن خطبة طويلة تحوى كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحث المسلمين على الزواج، وتذكر مزاياه، وتشير إلى أهميته بالنسبة لبقاء الإنسان وسعادته.

---

(١) انظر: عقود الزواج الخاصة بأمراء وأميرات من بنى الكنز من ثغر أسوان برقم ٤٢٢٤، ٤٢٢٣، ويرجع تاريخهما إلى القرنين السابع والثامن الهجرى على قطع من القماش المصنوع من القطن غير المبيض المنسوج بطريقة النسيج العادى Plain Weaving) ثم غمس النسيج القطنى فى مادة نشوية بيضاء لتكسبه اللون الأبيض الناصع، ولكى تسد مسامات النسيج، مما يجعل الكتابة عليه سهلة واضحة، وقد كتبت على كل قطعة منها عقد زواج وما طرأ عليه من أحداث، والكتابة بالمداد الأسود بخط الرقاع. وتعتبر هذه العقود أقدم عقود من نوعها عثر عليها وقد نشر العقدين د.سعاد ماهر: مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى ص٢٣ – ٣١. انظر: ملحق الدراسة. ملحق رقم(٢).

(٢) انظر: C.F.: -4. 1S1. Mus. 23973/83.20;

8.Q1. 2. 14/4B (78/276).

19. Q1.78. 2. 14/4C (78/276).

30. 1S1. Mus 23973/38.

57. 1S1. Mus 23973/57.

58. 1S1. Mus 23973/109.

وتم العثور على هذه الوثائق البالغة الأهمية فى قصر أبريم عام ١٩٦٦م. وهى ١٢٢ وثيقة مسجلة على رق غزال وأوراق سميكة، وجلد الشنط، وهى بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت أرقام 23973/1-119, 121, 23972/1-2.

C.F., P. VII, above.

من الوثائق التى تغطى الفترة العثمانية الممتدة من ١٠٢٩هـ/١٦٢٠ – ١١٧١هـ/١٧٥٩م حوالى ٨٦ وثيقة، اما الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى الثالث عشر هـ فهى موضوعات متفرقة تعالج الموضوعات التالية: كثير من نواحى الأرض والثمار – علاقات عسكرية وغالبيتها يتعلق بالرواتب وبالمصاريف – هناك أكثر من وثيقة تحتوى على أكثر من عنوان. نشرت هذه الوثائق.

C.F.: Martin Hinds and Hamdi Sakkout: Arabic Documents from the Ottoman Period from Qasr Ibrim, 1986.

انظر: ملحق الدراسة. أشكال رقم (٨) من وثائق أبريم.

ب- هناك بعض العقود لاحظنا أنها قد لا تبدأ بذكر البسملة وخاصة فيما يخص سودان وادى النيل؛ أما ثغر أسوان فقد لاحظنا أنها تحرص على ذكر البسملة.

جـ- وبعد البسملة تأتي الصيغة الشرعية للعقد من حيث أداء الصداق المترتب على الإيجاب والقبول، والتعبير الشائع فى هذه العقود «صداقا شرعيا[١]».

هذا مع ذكر نسبه وعلو كعبه، ثم يلحق اسم العروس صاحبة الصداق واسم أبيها أو وليها فى الزواج، ويبين حالتها إن كانت أيما «ثيبا» أو بكراً، ويذكر قيمة الصداق، ويحدد المعجل منه وهو الذى يدفع للزوجة عن طريق وليها ساعة العقد أمام الشهود، كما يحدد المؤجل منه ويبين كيفية سداده، هل سيؤديه الزوج إلى زوجته بالتقسيط. أو دفعة واحدة بعد أجل معلوم كما يتضح ذلك فى النماذج الآتية:[٢]

- **وثيقة الزواج الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ:**

١- بسم الله الرحمن الرحيم: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا.

٢- وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا[٣]».

أما بعد، فإن محامد الله خير ما ابتدأ بها الإنسان وجعلها منهاجا يدله على طريق الصواب فنقول:

٣- الحمد لله الذى شرف الأنساب وفضلها، وعلم الأحساب وكملها وأوضح الأحكام وبينها. الذى هدانا بملة الإسلام التى هى أفضل الملل وجعلها.

٤- ميزان عدل معتدل وجاوز من الأشياء ما دق وجل، وتفرد بوحدانيته عزوجل، هادى الألباب، ومرشد النظر إلى الصواب، وحافظ الذرارى والأعقاب.

---

(١) هناك بعض عقود يتضح فيها قيمة الصداق ونوعيته سواء إذا كان هبة مالية أو يعطى بشكل عينى كما سيتضح ذلك. انظر هذه الدراسة فى:

Arabic Documents from the Ottoman Period from Qasr Ibrim, 1986.

انظر ملحق الدراسة شكل رقم(٨).

(٢) كذلك تم اختيار نموذجين من دار الوثائق القومية بالخرطوم: وثائق غير منشورة. باسم بخيت بن أحمد. خاصة ولدا محمد عثمان Misc 1/27/361 وثائق النضيفاب. تذكرة مباركة لصداق أم كلثوم بنت أحمد بن عبدالغفار من زوجها الأمين. Misc 1/27/366 انظر ملاحق الدراسة أشكال رقم (٤).

(٣) سورة الفرقان الآيات: ٧٤، ٧٥، ٧٦.

٥- الذى خلق أبا البشر من تراب، وأخرى النطف من الأصلاب، الحاكم بعد له والهادى إلى الخير وسبله، ومعمر البسيطة بآدم ونسله الذى جعل النكاح عصمة.

٦- من الشيطان وحيله، فهو مما أمرت الشريعة باعتماده فعله، وأباحه الله على السنة رسله، فقال عز من قائل فى محكم تنزيله: «وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم».

٧- إن يكُونُوا فُقَرَاء يغْنهم اللهُ مِن فضلهِ[١]. أحمد، على ما يسره وأظهره، وأشكره على ما قضى به من التواصل وقدره، وسهله من التصاهر ويسره وأشهد أن لا إله إلا الله.

٨- وحده لا شريك له شهادة تدرأ العذاب، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اصطفاه من خلقه وأتاه الحكمة وفصل الخطاب.

٩- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، صلاة دائمة إلى يوم المآب قائمة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل. وبعد، فإن النكاح مما دعا الله إليه كافة الأنام.

١٠- وأباحه ليستغنى بالحلال منِ الحرامِ. قال جلّ ثناؤه فى حق من خشى العيلة من كثرة أهله: «وإن خفتم عيلة فسوفَ يغنيكم اللهُ من فضلهِ[٢]». وقد ورد عن سيد بنى

١١- تهامة: «تناكحوا تكاثروا فإنى أكاثر بكم الأمم يوم القيامة[٣]». وسيرفع الحجاب عما سبق فى هذا الكتاب ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ولله ما فى السموات وما فى الأرض.

١٢- وكان الله سميعاً بصيراً[٤]. وكان من قضائه السابق، وقدره الموافق الذى قدره فى القدم وجرى به القلم ما سأورده عليكم فى كتابه أوله:

---

(١) سورة النور آية ٣٢.

(٢) سورة التوبة آية ٢٨.

(٣) (تناكحوا) أى الود وقدر المفعول بقرينة فإنى مكاثر بكم أنظر: ابن ماجة: السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، ط بيروت ١٩٨٧م، جـ١ (كتاب النكاح) ص٥٩٨؛ روى هذا الحديث أبو داود والنسائى، وقد وثق وهو ضعيف، انظر: الشوكانى: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، ط بيروت ١٩٧٣م، جـ٥، ص٢٣٢.

(٤) نص الآية: «ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا» (النساء آية ١٣٤).

١- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى.

٢- هذا كتاب صداق، وعقد توفيق واتفاق، وبركة تنحو على أصحابها وسعادة تسمو إلى خطابها، ونعمة من الله سبحانه وتعالى بها. أكتتبه الجناب العالى المولوى الأميرى.

٣- الكبيرى السيفى سيدالدين كنز الدولة أبو عبدالله محمد. المتملك بدنقلة[1] أدام الله سعادته ونعمته، بن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين، بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المثاغر، العضد المقدم ركن

٤- الإسلام مؤيد الجيوش منجد العساكر، سداد الثغور مدبر الأمور فخر الدين تاج العشيرة والقبيلة أبى المنصور مالك. أمير به دست الإمارة قد زها فناهيك من مجد وناهيك من فخر له سير فى عدله عمرية بها سارت الركبان فى البر والبحر لا جرم إن هذا البيت الكريم دست هو صدره. وصدر هو سره وأرض هو سماؤها، وعين هو إنسانها وكف هو بنانها.

٦- بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المختار العضد عز العرب شرف الأمراء صارم الدولة وكنزها أبى عبدالله محمد بن الأمير الأجل المجاهد المختار المحترم كمال الأمراء طراز.

٧- الكبراء سيف الدولة وعمدتها أبى الفتح نصر، بن الأمير الأجل الكبير الأجل المجاهد المختار المخلص المنصور تاج الأمراء عز الملك فخر العرب كنز الدولة وعمدتها أبى القاسم.

٨- أمير المؤمنين إبراهيم، بن الأمير الأجل كنز الدولة محمد من روت الركبان من أمره فى الأيام المنتصرية ما كان وعلا شأنه فى ذلك الزمان، بن الأمير الأجل

---

(١) هو كنز الدولة نصر بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك، وهو ابن أخت كرنبس ملك النوبة الذى استطاع أن يعلن نفسه ملكا ويلبس التاج وشارات الملك، وإمعانا فى تأكيد عزمه على ممارسة سلطته كاملة فى دنقلة فقد أعلن استقلاله كليا عن سلطان مصر وتم ذلك فى عام ٧١٧هـ/١٣١٧م. ويعتبر مؤسس الإمارة الثانية لبنى الكنز وأول ملوكهم فى دنقلة. واضطر السلطان الناصر إلى الاعتراف به ملكا على النوبة على كره منه بعد أن أرسل أكثر من حملة لتنحيته عن العرش. انظر: النويرى: نهاية الارب، جـ٣٠، ورقة ٩٥، ٩٦، السلوك، جـ٢، ص١٦١؛ J.Cuoq.: Op. Cit., P.85.

كنز الدولة هبة الله بن محمد بن علي بن.

٩- محمد بن يوسف المعروف بأبى يزيد بن إسحق بن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لخم بن صعب بن علي.

١٠- بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان - ملخطوبته الأمير الجليلة الرئيسة المصونة ابنة.

١١- عمه الست بشرية المرأة الكاملة ابنة الأمير الأجل المحترم سيف الدين ماجد بن الأمير الأجل الكبير المنعوت أعاليه مالك بن الكنز. وبه تزوجها أصدقها على بركة الله تعالى وعونه وحسن.

١٢- توفيقه وعنه صداقا شرعيا مبلغه من الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوكة مائتا دينار وخمسون ديناراً حالا ومؤجلا. الحال من ذلك مائة دينار أقرت الزوجة المذكورة بقبضها من يد.

١٣- وكيله القابل له عقد هذا النكاح مما احضره من مال موكله، وبقية ذلك وهو مائة وخمسون ديناراً يقوم بها الزوج للزوجة مقسطة فى سلخ كل سنة تمضى من تاريخ العقد بينهما، وهو الثالث من شهر ذى القعده، الحرام من شهور سنة ثلاث.

١٤- وثلاثين وسبعمائة، خمسة دنانير، وعليه أن يتقى الله عزوجل فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف والخلق الرضى المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم وسنة نبيه محمد.

١٥- عليه أفضل الصلاة والتسليم. وله عليها مثل الذى لها عليه ودرجته زائدة عليها لقوله تعالى فى محكم كتابه الكريم: «وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم[١]»، وولى تزويجها.

١٦- والقائم بعقد نكاحها بإذنها وإدراكها حسام الدين عزالدولة فى ذلك الأمير الأجل المحترم عزالدين هبة الله أخيها لأبيها. ولما وضح ذلك لحضرة سيدنا ومولانا

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨.

أقضى القضاة حاكم الحكام جلال الأحكام.

١٧- شرف العلماء الأعلام حسنة الليالى والأيام بقية السلف الكرام ناصر الحق مؤيد الشريعة شرف الدين علم المدرسين حجة المناظرين أبى مدين شعيب، بن سيدنا.

١٨- ومولانا العبد الفقير إلى عفو ربه القاضى الأجل الفقيه الإمام العالم العامل جمال الحكام جلال الأحكام جمال الدين صدر المدرسين حاكم المسلمين أبي التقى يوسف القرشي.

١٩- الشافعي الحاكم يومئذ بمدينتى إسنا وادفو وثغر أسوان ومنبان(؟)[1] وما مع ذلك من الوجه القبلى من الأعمال القوصية عن الناظر فى الحكم العزيز بالديار المصرية.

٢٠- أدام الله إقبالهما وختم بالصالحات أعمالهما أن الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وأن الزوج من أكفائها، فحينئذ.

٢١- أمر بكتبه فكتب فزوجها وليها المذكور من الزوج بالصداق المذكور حاله ومؤجله. قبل ذلك للزوج المذكور المولى الأجل الكبير المحترم علم الدين على بن المولى الأجل المحترم سراج.

٢٢- الدين عمر المولى الأجل جمال الدين محمد بن أخت الموكل الملك كنز الزوج المنعوت فى عاليه حسب توكيله إياه، قبله له قبولا صحيحا شرعيا فوريا. وبجميعه يشهد على الزوج.

٢٣- الموكل والوكيل القابل والولى والزوجة من ذكر ذلك فى رسم شهادة آخره خار الله لكل من الزوجين فى صاحبه وبلغه أقصى مآربه. وبه شهد على من سمى فيه بما نسب.

٢٤- إليهم فيه من التاريخ المذكور أعاليه وهو الثالث من شهر ذى القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. أحسن الله تقضيها فى خير وعافية بمنه وكرمه آمين.

---

(١) هكذا وردت فى النص ولم أجد لها تعريفا أو تحديدا على الخرائط ولعلها قبان إحدى مرافق أرض المعدن الهامة.

حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت على الولى المزوج
المذكور وعلى الوكيل القابل
بما نسب إليهما فى بالاسم
محمد بن سليمان عفا الله عنه
حضرت العقد المذكور وشهدت
على من سمى فيه بما نسب إليهم
فيه حسام الدين عفا الله عنه
محمد بن على بن جعفر

حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت علي الولي المزوج
المذكور وعلي الوكيل القابل
بما نسب إليهما فيه سعد
بن عبدالله بن الجابي؟؟[١]
حضرت العقد المذكور وشهدت
علي من سمي فيه بما نسب إليهم
فيه علي بن أبي بكر بن علي
عفا الله عنه آمين[٢]

ويشترط لصحة عقد الزواج:

– توافق إرادتى المتعاقدين على وجه ينتج عنه أثره الشرعى، وهذا ما يعبر عنه بالإيجاب من جانب الزوج، والقبول من جانب الزوجة، وهذه الإرادة يعبر عنها بالمشافهة لفظاً وبالكتابة تحريراً، وبالإشارة المتداولة عرفاً[٣].

– اتحاد المجلس أى لا يكون هناك فاصل زمنى بين الإيجاب والقبول بل ينبغى أن تتم موافقة كل من العروسين فى مجلس واحد، وأن يكون العروسان سامعين لكلام بعضهما، وعدم مخالفة الإيجاب للقبول.

– أن يشهد على العقد شاهدين من العدول.

– أن لا يكون هناك مانع شرعى بين المتعاقدين[٤]

---

(١) الاسم غير واضح فى الوثيقة الأصلية.

(٢) انظر: عقد زواج ملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٢٢).

(٣) انظر: السمرقندى: تحفة الفقهاء، جـ٢ حققه محمد زكى عبدالبر، ط الأولى، ١٩٥٨م، ص١٧؛ ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، جـ١، ط بيروت ١٩٦٩م، ص٣٧١– ٣٧٥؛ ابن قيم الجوزية: فتاوى رسول الله، القاهرة ١٩٨٠م، ص٦٩؛ الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية وعلم التفسير، بيروت، باب النكاح.

(٤) انظر: ابن قيم الجوزية: فتاوى رسول الله، ص٧١؛ ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، جـ١، ص٣٧١– ٣٧٥؛ عبدالسلام الترمانينى الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، عالم المعرفة، العدد (٨٠)، ١٩٨٤، ص١٠٤ – ١١٤؛ زهدى يكن: الزواج ومقارنته بقوانين العالم، بيروت ١٩٥٢م؛ أحمد الشامى: أوراق البردى العربى، مجلة المؤرخ العربى، العدد التاسع، بغداد، ص١٢٩ وما بعدها؛ كرم الصاوى: مرجع سابق، ص١٥١، ١٥٤ .

– الصداق (المهر) [1]

نتعرض إلى جانب آخر من جوانب عقود الزواج التى تحت أيدينا وهو المهر أو الصداق، وقد وردت كلمات متعددة فى القرآن الكريم، وفى الأحاديث الشريفة تعريفا لهذا المدلول فى قوله تعالى:

«وأتوهن أجورهن فريضة[2]»، ولدينا أمثلة لهذه المهور فى عصور مختلفة فالصداق الذى قدمه محمد بن عبدالله (ص) قبل الإسلام إلى زوجته خديجة بن خويلد كان خمسمائة درهم[3]، وكذلك عندما تزوج رسول الله (أم حبيبة) زملة بنت أبى سفيان، التى أسلمت مع زوجها عبدالله بن جحش، وهاجرت معه إلى الحبشة، وبقيت على الإسلام، ففقدت أهلها وزوجها، وعلم رسول الله، فأرسل إليها يخطبها لنفسه وتزوجها، وقد أصدقها النجاشى عنه أربعمائة دينار[4].

وهكذا كانت مهور معظم زوجاته بعد البعثة[5]، وفى عقود الزواج المكتوبة التى تحت أيدينا نجد أن أقل صداق كان ثمانية وعشرين قرشًا كما هو واضح فى العقد المسجل بتاريخ عشرة شهر ذى القعدة سنة ١١٥٤هـ[6] وأعلى قيمة للصداق كانت حسب ما جاء فى عقد الزواج الكنزى سنة ٧٣٣هـ.

١٢– «توفيقه وعنه صداقا شرعيا مبلغه من الذهب العين المصرى[7] المثاقيل

(١) المهر كلمة من أصل سامى (موهار Mohar) وانتقلت إلى العربية باسم مهر، وكانت تعنى ثمن المرأة. انظر: سفر التكوين، ١٢/٣٤؛ عبدالسلام الترمانينى: الزواج، ص١٩٩.

(٢) قرآن كريم سورة النساء: ٢٤/٤.

(٣) اثنى عشر أوقية ونصف الأوقية من الفضة (الأوقية ٤٠ درهما).

(٤) انظر: ابن الجوزى: تنوير الغبش، ص١٥٣؛ عبدالسلام: الزواج، ص٢٥٦، كرم الصاوى: مرجع سابق، ص١٥٤.

(٥) ابن عبدالبر القرطبى: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، جـ٨، مطبعة النهضة المصرية، ص٢١، ١٦١.

(٦) نشره: C.F.: 57, 181. Musc. 23973/57;
Martin Hinds and Hamdi Sakkout: Atabic Documents, P.97.
انظر العقد فى ملحق الدراسة شكل رقم(٨).

(٧) العين: جاء فى الصحاح أن «التبر» ما كان من الذهب غير المضروب، فإذا ضرب دنانير فهو «عين» ويقول صاحب اللسان فى مادة (ع ى ن) «العين» (بالفتح) المال العتيد والعين: النقد، يقال: اشتريت العبد بالدين أو بالعين. والعين: الدينار لقول أبى المقدام: حبش له ثمانون عينا بين عينيه قد يسوق أفالا. انظر: الاب انستاس مارى الكرملى: النقود العربية وعلم النميات، ص١٤٩.

المسكوكة مائتا دينار وخمسون دينار حالا[١] ومؤجلا الحال من ذلك مائة دينار أقرت الزوجة المذكورة بقبضها من يد.

١٣- وكيله القابل له عقد هذا النكاح ما احضره من مال موكله، وبقية ذلك وهو مائة وخمسون ديناراً يقوم بها الزوج للزوجة مقسطة فى سلخ كل سنة قضى من تاريخ العقد بينهما، وهو الثالث من شهر ذى القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث.

١٤- وثلاثين وسبعمائة، خمسة دنانير[٢] ....

هذا وبالمقارنة مع العقود فى مصر المملوكية فى هذه الفترة من دراستنا، وعلى مقربة من الثغر الجنوبى أى أسوان التى انتقينا منها هذين العقدين نجد تشابهاً كبيراً فى مقدار الصداق[٣] وإن اختلف عنه فى القيمة حيث يتضح من العقد المؤرخ بسنة ٧٣٤هـ أى بعد اتمام عقد الزواج الكنزى الخاص بملك دنقلة الربيعى بسنة واحدة، حيث دفع الزوج «من الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار[٤]»، يدفع فى الحال مائة دينار والباقى مؤجل.

وهناك عقد زواج أيضاً مكتوب على الورق، خاص بزواج مليحة مملوكة السيدة أم الخير ابنة الأمير ركن الدولة من مرتشكو ابن عبدالله النوبى مملوك الأمير عز الدين هبة الله وكان صداقها ١٥٠ درهما وقد تم تحرير هذا العقد فى سنة ٧٤٤هـ[٥].

---

(١): عقد الزواج الكنزى الخاص بملك دنقلة الربيعى ٧٣٣ هـ. متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٢٢).
هذا ويلاحظ أن الدينار ضرب من المعاملات القديمة، وأصله دنار بالتشديد، وهو معرب عن اللاتينية، وقد ورد فى نص العقد أن الصداق كان من الذهب العين المصرى المثاقيل ومن ظاهر العبارة الواردة فى العقد نستطيع ان نستنتج أن الدنانير المشار إليها من نتاج دور السك المحلية فى مصر المملوكية البحرية على الاقل حين استكثر محمود بن على، استادار الملك الظاهر برقوق من الفلوس واشتهر ضرب الفلوس وراجت الفلوس رواجا عظيما حتى نسب إليها سائر المبيعات وصار يقال: كل دينار بكذا من الفلوس. انظر: المقريزى: النقود الإسلامية، ط النجف ١٩٦٧، ص٧، ١٢؛ الكرملى: النقود العربية وعلم النميات، ص١٤٩؛ سعاد ماهر: أسوان، ص٢٥.

(٢) انظر: عقد زواج ملك دنقلة الربيعى كنز الدولة، المؤرخ فى سنة ٧٣٣هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٤٢٢٢، انظر العقد بملحق الدراسة. شكل رقم (١).

(٣) انظر: عقد زواج منشور. متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٣، خاص بزواج ثان للسيدة أم الخير انظر: د. سعاد ماهر: أسوان، ص ٢٦، انظر ملحق الدراسة. شكل رقم (٢)؛ وانظر: عقد زواج منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٤؛ انظر: سعاد ماهر: أسوان، ص٢٣، ٢٤، انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٢).

(٤) انظر: عقد زواج منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم ٤٢٢٤.

(٥) عقد زواج غير منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ٤٢٢٥.

هذا ولا يشترط أن يكون الصداق ديناراً أو درهماً أو أية عملة أخرى، بل يجوز أن يكون سلعة تباع وتشترى ولها ثمن معلوم مثل القمح أو الشعير أو التمر أو الأرض، وإن كان العرف قد جرى على أن يكون الصداق (مالا)، فنلاحظ فى العقد المؤرخ فى أواخر شهر شوال سنة ١٠٤٥هـ، أن الزوج حسين ابن محمد عبدالعزيز «اعطى لزوجته فاطمة بنت مصطفى فى رضاها خمسة عشر ذهبا، وخط تحت ذلك رهن تحت الخمسة عشر ذهب وذلك حصته الذى تخصه فى اينه وذلك تحت الرهن إلى أن يوفيه الخمسة عشر ذهب وهذه تمسكا بيدى فاطمة بنت مصطفى[١]».

ويشترط الإمام مالك ألا يقل ما يؤدى منه عن ثلاثة دراهم، (١/٤ دينار) بينما الإمام الشافعى يجعل الصداق عشرة دنانير (١٢٠ درهمًا) على أن يؤدى نصفها معجلاً[٢]، ومع كل أقوال الفقهاء فما هو ثابت ومدون فى عقود الزواج الخاصة ببلاد النوبة، فعقد الزواج المؤرخ بتاريخ شهر صفر الخير سنة ١٠٧٣هـ قد نص على أن «المهر قدره ستين قرشًا، وجارية بثمن قدره خمسة وعشرين قرشًا، وخلخال بثمن قدره عشرة قروش، ودينار ذهب شريف واحد، وسوار بثمن قدره قرشين ونصف قرش، على أن يكون الجملة مائة قرش[٣]».

هذا وهناك أكثر من عقد يمنح بمقتضاه الزوج زوجته إما أرضاً أو غلة معينة، أو ثمار الفاكهة عاجلاً ومؤجلاً. وهذا ما أكده العقد المؤرخ سنة ١١١٣هـ حيث «أعطى الزوج لزوجته حجة بنت عوادبتى فى صداقها المتعين منها فى نظيره عشرين ذهب، خمسة بورة نخل[٤]».

---

(1) C.F.: 4. Mus 23973/83. 20.

نشره: Martin and Hamdi Sakkout: Arabic Documents, P.36.

انظر العقد. بملحق الدراسة شكل رقم(٨).

(٢) الصنعانى: سبل السلام، جـ٣، ط الرياض ١٩٧٧م ص٢٦٦؛ جروهمان: أوراق البردى، جـ١، ط دار الكتب ١٩٣٤م، ص٧٦.

(٣) نص العقد بملحق الدراسة، شكل رقم(٨) C.F.: 8;Qi 2. 14/4B (78/276)

Martin and Hamdi: Arabic Documents, P. 40.

(٤) انظر العقود أرقام، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠. C.F.:Martin Arabic Documents, PP. 61-65.

انظر بملحق الكتاب.

وبالاطلاع على مجموعة دار الوثائق القومية بالخرطوم وجدنا هناك مجموعة عقود كثيرة، خاصة بالسادة النضيفاب، وهى فى فترات زمنية مختلفة، وإن كانت متقدمة عن دراستنا، إلا إنها توضح مدى التطور الذى حدث من توثيق عقود الزواج، وقد وجد الباحث أن الصداق المدفوع من قبل الزوج مازال يختص بالأشياء العينية أو المادية كقطعة أرض أو نخيل فضلا عن الدفع بالمال[١].

هذا ونود أن نشير إلى العلاقة التى توثدت بين مصر المملوكية وسودان وادى النيل على أثر دخول المماليك أرض النوبة، ومن ثم أصبحت هناك زيجات سياسية كالعقد الذى تحت أيدينا، والمؤرخ فى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م حيث يشير إلى زواج مليحة مملوكة السيدة أم الخير ابنة الأمير ركن الدولة من مرتشكو ابن عبدالله النوبى مملوك الأمير عزالدين هبة الله. وقد كان صداقها مائة وخمسين درهماً[٢].

وفى كل الحالات كان لابد من النص فى العقد على موافقة الزوجة على الزواج ورضاها بالمبلغ المقدر للصداق، ومن الحالات النادرة جداً التى صادفناها فى عقود الزواج دقة الموثق فى تحرى شروط صحة العقد، حيث أخذ هذا الموثق شهادة مكتوبة بتوقيع عدد من شهود العقد أثبت فيها أنهم يعرفون الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وأن الزوج من أكفائها[٣].

والحقيقة أن عقود الزواج قد خطت فى تطورها حقبة طويلة فى المجتمع المصرى، والمسجلة على أوراق البردى العربية، فنجد أن بعض الشروط الخاصة لمصلحة الزوجة كأن تكون العصمة بيدها، وهو ما يعبر عنه الفقه بـ«تمليك المرأة أمرها»، من هذه الشروط ما ورد فى عقد الزواج رقم ١٥٩، المؤرخ فى ربيع أول ٢٥٩هـ، حيث اشترطت الزوجة أن أية زوجة أخرى يتزوجها زوجها بعدها تكون عصمتها بيدها هى إن شاءت أبقتها وإن شاءت طلقتها[٤]، وفى بعض العقود يكون

---

(١) انظر: عقد زواج غير منشور، دار الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/27/366.
انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٤).

(٢) عقد زواج غير منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ٤٢٢٥، هذا ولم نستطيع تصويره بل اطلع عليه الباحث.

(٣) انظر عقد زواج، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٢.

(٤) انظر: جروهمان: أوراق البردى، جـ١، ص٧٤.

شرط الزوجة هو الطلاق للزوجة الثانية، والعتق للجارية إذا أتخذها زوجها سرية عليها[١].

ومن الشروط التى كانت تدون فى عقود الزواج بسودان وادى النيل حرية الزوجة فى التصرف فيما تملك، وعدم تدخل الزوج فيما تتصرف فيه، وأيضا حسن معاملة الزوجة[٢].

- الشهود:

لهذه الكلمة الكثير من المعانى فى اللغة[٣]، وقد وردت فى القرآن الكريم فى عدة مواضع، وبمعانى مختلفة مثل قوله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة[٤]». والحقيقة أن رجال الفقه لا يختلفون فى وجوب شهادة الشهود على عقد الزواج، مستندين إلى ما سبق ذكره من آيات قرآنية وأحاديث نبوية[٥].

وقد ذكرت أن حضور رجل من أهل الزوج ورجل من أهل الزوجة عقد الزواج يكون الشهود عدول، وكان على القاضى أن يتأكد من توفر هذه الصفة فيهم، يدلنا على ذلك ما ذكره العقد المؤرخ سنة ٧٣٣هـ الخاص بزواج ملك دنقلة الربيعى، والذى جاء فيه ذكر القاضى أبو مدين شعيب الشافعى الحاكم يومئذ بمدينتى إسنا وإدفو وثغر أسوان[٦].

(١) عرفت نساء العرب فيما قبل الإسلام مثل هذه الشروط، فكان يحق للمرأة أن تطلق زوجها أو تطلق نفسها من زوجها، وكانت علامة ذلك أن تحول المرأة مدخل الخباء (الخيمة) إلى عكس الاتجاه الذى اقيمت عليه الخيمة أولاً، فكان الزوج يمتنع عن الدخول ويعلم أن زوجته قد طلقته أو طلقت نفسها منه. انظر: أحمد الشامى: تاريخ العرب والإسلام، مكتبة الأنجلو ١٩٨٢م، ص٥٩.

(2) C.F.: Martin: Op. Cit., P.97.

(٣) لها غير قليل من المشتقات مثل: شهد، مشاهد، شاهدة، شهود، شهيد.

(٤) سورة النور ٢٤/٤؛ ابن كثير، تفسير، جـ٢، ٥٨٣.

(٥) يكن: الزواج، ص١٣٦.

(٦) انظر: عقد زواج. متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٢، ملحق الدراسة. هذا وعن تولى القاضى لهذه الوظيفة فهى التى تعرض لها الكندى عندما ذكر قاضى مصر غوث بن سليمان فى خلافة المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/ ٨٥٣ - ٧٧٤م) وكان من أعوان القاضى من يتولى عملية التحرى عن الشهود، وعرف صاحب هذه الوظيفة باسم (صاحب المسائل) وكان بعض القضاة ينتخبون الشهود العدول، الذين يبقون إلى جوار القاضى ما ظل على ولاية القضاء. إذ عليهم التحرى عن الأمور التى سيتولون الشهادة فيها، وقد يتمتع هؤلاء بمنزلة كبيرة، وقد استمرت هذه الوظيفة سارية حتى العصر المملوكى. انظر: الكندى: الولاة والقضاة، ص٣١٦، راجع دائرة المعارف الإسلامية جـ٣، ص١٢٤؛ وترجمة الضبى فى تهذيب التهذيب للعسقلانى، جـ٥، ص٢٥٠؛ الماوردى: الأحكام السلطانية، ص١٢٨.

أما عدد الشهود الذين يشهدون على عقد الزواج فكانوا اثنين طبقا للشرع، ولم يمنع ذلك زيادة عددهم إلى أكثر من ذلك، كما هو واضح من عقود الزواج التى تخص بلاد النوبة، فعقد الزواج الكنزى قد بلغ فيه عدد الشهود ستة شهود على العقد، وهذا لعلو كعب العروس(١).

هذا وقد لاحظ الباحث أن عقود الزواج المكتوبة التى تحت أيدينا. كتبت بأيدى من يجيد صياغتها لعدم وجود نظام ثابت للتوثيق هذا مع إمضاء شاهد على كتابة العقد(٢).

- النفقة (الطلاق):

أما عن النفقة فلدينا عدد من الوثائق لأماكن مختلفة تشير إلى تطبيق حكم الشرع فى سودان وادى النيل، ومعرفتهم بالحقوق والواجبات(٣).

فهناك وثيقة من مجموعة قصر أبريم، مؤرخة بسنة ١٠٩٤هـ، خاصة بلوزة بنت سليمان أغا، حيث تشكو الزوجة بأنها مقيمة مع أخيها سيد حسن لمدة ثمان سنين

(١) انظر: عقد زواج كنزى بملحق الدراسة. ملحق رقم (١).
متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٢؛ وانظر أيضاً: عقد الزواج رقم: C.F., 58, (57); (8), (4), Martin: Op. Cit., P. 40; 36; P. 97; P.98.

(٢) انظر ما سبق من عقود الزواج. بملحق الدراسة.

(٣) دخلت تعاليم المذهب الشافعى السودان منذ فترة الهيمنة المملوكية بدليل ما جاء فى نص الوثيقة الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٢٣هـ، وقد كان لقدوم محمد بن على بن قرم الفقيه الشافعى المصرى الذى زار سنار واربجى وبربر واتخذ من الأخيرة مقاما له، ومنها نشر بعض تلاميذه المذهب الشافعى، وعلم الناس علم المواريث، ومن تلاميذه إبراهيم بن عبودى الفرضى الذى نبغ فى علم الفرائض (المواريث) وألف فيه حاشيته المعروفة بالفرضية، وكثرت رسائل الناس فى ذلك العهد يكتبونها إلى العلماء يذكرون فيها مشاكلهم الأسرية ليردوا عليهم بما يرونه من الفتاوى والأحكام. فأرسل الشيخ دفع الله العركى يستفتى الشيخ «حلاوى» فى امرأة أساء إليها زوجها وتكررت شكواها، أيحكم فيها القاضى بالطلاق من غير إثبات بينة عملا بقول المدونة عن ربيعة. ويعطى الزوج نصف الصداق. فرد عليه أن يكون الإثبات بشاهدين عدلين، ونصحه بأن يعتمد فى حكمه فى هذه المسألة ونحوها على نصوص واضحة صريحة، وسئل الشيخ حمد أبو حليمة فى رجل تزوج بنتاً بكراً عالما ببكارتها ودخل عليها وتمتع بها زمانا طويلا، ثم طلب منها إزالة البكارة عند القاضى وامتنعت من ذلك وأسقط الله نفقتها لأجل. انظر: ود ضيف الله: الطبقات: ص٥، ٣٥٣؛ عبدالمجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية، ص٧٩، ٨٠، نعوم شقير: تاريخ السودان، جـ٣، ص٤.

«ولا كسرة ولا نفقة ولا مشطة، وإن ذنبنا على رقبة أخينا سيد حسن[١]»، وهى تريد بالطبع من القاضى اعطائها حقوقها وواجباتها.

وننتقل الآن إلى منطقة دارفور[٢] لنعرض نماذج من العقود الخاصة بالنفقة.

الوثيقة الأولى:

من عند القاضى الفقيه حبيب
إلى الطبيب أما بعد فزوجتك مريم
قدمت إلينا مظلومة أنك تركتها
عديمة النفقة والخدمة
والكسوة وغلبت الاجواد
وتسرق بيتها وعدم
الإقامة معها فى بيتها
بأربعة سنين تظلمت لأجل
ذلك اقدم زيل ضررها وإن لك
دعوة بخلاف قولها الشرع يدريكم
أقدم مع الفلقناوى شلب
تصل الابن الفقيه محمد منيقير وأحمد
أبييه كذلك تقدم[٣]

(١) انظر الوثيقة ضمن مجموعة قصر أبريم C.F.: 19. Qi. 78. 2. 14/4C
Martin Arabic Documents, P. 53.

(٢) انتقلت جماعات عربية إلى الغرب قاصدة الجزيرة وكردفان ودارفور، بحثاً عن المراعى، بعد أن نفذ موارد الذهب والزمرد بالعتباى، ومن ثم اختلطت مع هذه العناصر المحلية، ومن ثم تغير عاداتها وتقاليدها، انظر:
Newbold, D.: "The Beja Tribes", Anglo Egyptian Sudan from within, ed. Hamilton, P.153.

(٣) تم نشر هذه الوثائق عام ١٩٧٤م بواسطة R.S.O, Fahey & Sharif Harir.
وهى خاصة بإقليم دارفور، وإن كانت تعد بعد الفترة المنوطة بالبحث (ترجع إلى منتصف القرن السابع عشر) إلا أنها تلقى أضواء جديدة على تطور العقود الخاصة بالزواج والنفقة، ومدى معرفتهم بحكم الشرع وهو ما عرف بقضايا الأحوال الشخصية فى سودان وادى النيل.
C.F.: Sudan Texts Bulletin, VII, Novemer 1985, Edited by Ali Osman and Robin thelwall, University of Ulster PP.30-31.
انظر الوثيقة (فوتوكوبى بملحق الدراسة). شكل رقم(٣).

وتشير الوثيقة الثانية إلى أن «هذا الرجل مضر بى غاية الضرر من النفقة[١]»، وقد حكم لها بالطلاق وذلك لوقوع الضرر على الزوجة. وهناك شهود على ذلك يتراوح عددهم ستة شهود على إشهار الطلاق.

هذا وفى الوثيقة الثالثة نلاحظ أن الصداق ست بقرات، ومن المعروف أن الماشية قد تكون مصدرا للغنى فى المجتمع الرعوى كالسودان، وتشير الوثيقة إلى أن الزوج قدم للزوجة بقرة واحدة، وبقى خمس بقرات مؤجلين فى ذمة الزوج[٢].

نخلص مما تقدم ذكره أن المسلمين فى سودان وادى النيل قد استوعبوا أمور دينهم لدرجة الفهم العميق لما يقوله الشرع، وحسن تطبيقه، ودليلنا على هذا ما عرضناه من وثائق وعقود خاصة بفترات زمنية مختلفة، وأماكن عديدة من أرض النوبة مع مقارنتها بوثائق وعقود من ثغر أسوان، فى نفس الفترات الزمنية وهى توضح طبيعة هذه الفترة المنوطة بدراستنا من مدى توثيق العقود، ومدى ما يكتب من صحة العقد الشرعى مستندا على حقوق وواجبات الزوج ثم الزوجة.

لقد انعكس التطور الاجتماعى فى مصر المملوكية على سودان وادى النيل متمثلا فى انتقال هذه المؤثرات الإسلامية، واكتسابها فى سهولة ويسر لدى النوبيين المستعربين، جاء ذلك بحكم أواصر القربى، ولقربها من رافد ثغر أسوان، وما تبعه من اتصال وثيق منذ بداية العصر المملوكى فى مصر، وقيام المشيخات والممالك الإسلامية فى سودان وادى النيل.

---

(1) C.F. R.S.O, Fahey & Sharif Harir: Op. Cit., PP. 31-32.

انظر الوثيقة بملحق الدراسة.

(2) C.F. R.S.O, Fahey & Sharif Harir: Op. Cit., PP. 34 - 36

انظر ملحق الدراسة وثيقة شكل رقم (٣). .165/18/25

- عادة الشلوخ[١] :

كان لانفتاح القبائل العربية فى مجتمع سودان وادى النيل معاشرة ومصاهرة وتسرى بهم، أثره فى إبراز المجتمع السودانى، ومن ثم أدى هذا إلى نتاج جديد، أشبه شكلاً وأقرب لوناً إلى الشعوب الذين يعيشون بينها، فخشوا أن يذوب كيانهم، وتضيع خصائصهم فى خضم المجموعات البشرية الجديدة. لهذا كله ربما استفادوا من العادات المحلية وهى – ما يعرف بتشليخ الخدين – واتخذوها سمة لهم كى تميزهم عمن حولهم، وتؤمن لهم المحافظة على كيانهم وقيمهم شكلاً وموضوعاً[٢].

ومما شجعهم للمضى قدمًا فى تنفيذ هذه الفكرة أن بعض أحفاد هؤلاء المهاجرين، كانوا ذوى بشرة تميل إلى السواد، يتعرضون للرق من جراء الغارات التى شنها تجار الرقيق وغيرهم أحياناً دون تمييز بين مسلم وسواه، وخاصة فى العهود التى ضعف فيها الكيان السياسى لممالك النوبة المسيحية، ولم يستتب الأمر للممالك الإسلامية[٣] بعد. ثم أن وجود علامات تمييز تمكن كل قبيلة من التعرف على أفرادها

---

(١) عرفت الشلوخ فى الجزء الشمالى من سودان وادى النيل منذ العهد المروى ٧٥٠ – ٣٥٠ق.م لمزيد من التفاصيل انظر أشكال الشلوخ فى الفترة القديمة.

D. Rendall, M. McLver and Leonard Woolley, Areika Vol. I., Oxford. 1909, No. 5014, Plate - 18 and No 5020 Plate 19 PP.29 - 30. Encyclopedia Britanica, Vol.10, Art Mutilation,P.32, G. Leonard Woolley and D.R. McLver, KARNOG, the Roman and Nubian Cemetry, Philadelphia, Vol. III, P.48, Vol. IV Plate 10 No S7069 & 7070; W. Emery and L.P. Kerwan: Excavations and Sarvey Between Wadies S'anbua and Adindan 1929-31 (service des Antiquites de Egypte, Mission Archeologique de Nubiw, 1929-34) Cairo, 1935, Vol. I, P. 532, (EP). 29 M. Devillard: Teste Meroitici della Nubia Settentrionable "Kush VIII, 1960, PP.91-95 Plate XXIX (a), P. L. Shini, Meroe, A Civiluzation of the Sudan, London 1971, P. 155, Sadik Nur: Two Merotic Pottery Coffius from Argianin Hallfa Distriet, Kush, IV; 1936, PP. 86 - 87.

وانظر أيضاً: مفيد محمد فوزى: نماذج لأشكال التجميل لدى الشعوب البدائية، مجلة الجامعة، العدد الثانى عشر، السنة الثانية، ١٥/آذار/ ١٩٧٢م، ص٢٠، ٢١، إبراهيم محمد عبدالفتاح: الثقافات الإفريقية، القاهرة ١٩٦٥م ص٨٥، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص١٦٩، ١٧٠.

(٢) يوسف فضل: الشلوخ أصلها ووظيفتها فى سودان وادى النيل الأوسط، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٦، ص٤٦، محمد عوض: السودان الشمالى، ص٢٨٨؛ عبدالمجيد عابدين، مرجع سابق، ص١٦٩، ١٧٠.

(٣) انظر يوسف فضل: الشلوخ، ص٤٦.

فى ساعات الحرب التى تكثر فى عهود «القيمان»[١].

وبمرور الزمن ونتيجة لتزايد الهجرة العربية إلى أقاليم السودان، وازدياد نفوذهم الثقافى والاقتصادى انتشرت عادة الشلوخ وعلى الأخص شلوخ الجعليين، إذ تعتبر الشايقية من أكثر القبائل اهتماماً بهذه الشارات التى تميزهم عن سواهم[٢].

وللعبدلاب سلالة الزعيم عبدالله جماع القاسمى - شلوخهم الخاصة بهم. ومنذ القرن السادس عشر ظل العبدلاب يسيطرون على الجزء الشمالى من سلطنة الفونج الإسلامية فى تحالف مع ملوكها فى سنار، وعلى هذا الجزء الشمالى، والذى شهد مولد أولى التجمعات القبلية العربية الكبرى، مثل الجعليين والشايقية بسط العبدلاب نفوذهم السياسى، ومن ثم كان لابد لهم من سمة تميزهم عن تلك القبائل، فأتخذ العبدلاب لهم شلخاً خاصاً بهم[٣].

وقد شاهد الرحالة صمويل بيكر بعد زيارته لعرب الحمران[٤] فى منطقة

---

(١) أيام القيمان: تطلق على العهود التى كانت تكثر فيها الغارات القبلية بقصد النهب والسلب، وقد كثر هذا النشاط فى عهد سلطنة الفونج الإسلامية. انظر: يوسف فضل: دراسات فى تاريخ السودان، جـ١، ص١٠٢ - ١٠٤؛
MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol.I, P. 214 FF.

(2) C.F.: MacMichael: Op. C.t., Vol. I, P. 214.

محمد عوض: السودان الشمالى، ص٢٨٨؛ وذكر آدم الزين: التراث الشعبى لقبيلة المسبعات (شرق مدينة الفاشر) شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم ١٩٧٠م، ص٤٤؛ أن من يتشلخون بين المسبعات هم عبيد أبناء السلطان على دنيار.

(٣) يعتقد أن النوبيين قد تأثروا بهذا المفهوم الجمالى من عملية الوشم التى تزين وجوه كثير من النساء، ولكن سواد بشرتهم قد لا يساعد فى اظهار الوشم ولذا تقل قيمته الزخرفية، ولهذا اكتفين بإجراء عملية الوشم على الشفتين واللثة، ومن ثم وجدن فى الشلوخ زينة تعوضهن عن الوشم. انظر: يوسف فضل: الشلوخ: ص ص٥٤، ٥٥؛ عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص١٦٩؛ ابن السودان الشيخ عبدالرحمن أحمد، فى العادات، الشلوخ، مجلة النهضة السودانية، العدد ١٦، جـ١٩٣، ص١٤، ويبدو أن بعض الإماء أخذن بهذه العادة لتكسبهن جمالا. وقد جاء فى وثيقة بيع أمة، صدرت فى عهد السلطان على دينار. أنها خادم سلامته جبلاوية مشلخة الخدين بلدى. ولعل كلمة بلدى تشير إلى الثلاثة شلوخ العمودية. يوسف فضل: الشلوخ، ص٧٥.

(٤) وتضبط أيضا الحمران إلا أن الحمّران اصح، والحمران قبيلة عربية تسكن عند سفح الهضبة الاثيوبية بين نهرى ستيت واتبرة، ويزعمون أنهم من سلالة بنى حرب بن هوازن وأنهم دخلوا السودان عن طريق الحبشة على أثر خلاف بينهم وبين الحجاج بن يوسف الثقفى، C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 141.
C.F.: Bruce: Vol.6, P. 228 - 230.

ولعل أول إشارة إلى وجودهم فى تلك المنطقة هو Bruce الذى اسماهم بالعقاقير MacMichael:Op. Cit., Vol. I, P. 344. وانظر الطبقات ص١٣٧.

القضارف سنة ١٨٦١م، أن النساء العربيات يتمتعن بقدر كبير من الجمال، ولكن مما يؤسف له أن جمالهن هذا قد شوهته الثلاث فصدات التى توضع على كل خد. وقال إن هذا الشلوخ تعتبر زخرفًا وزينة رغم ما تحدثه من تشويه[1]. وقد أورد الرحالة الفرنسى كايو الذى زار السودان فى سنة ١٨٢١م، صورتين لفتاتين مشلختين من شندى وسنار، ويزين وجه الفتاة الأولى أربعة شلوخ مطارق على كل خد، بينما تزين خد الفتاة الثانية ثلاثة شلوخ عمودية فى كل خد[2] هذا وللشلوخ وظائف عديدة من الناحية الدينية والجمالية، وإتقاء السحر والعين الشريرة على حسب الاعتقاد الشعبى فى سودان وادى النيل[3].

- **الأنساب العربية:**

رسخت المسميات العربية منذ الوهلة الأولى لنزول القبائل العربية[4]، يدل على ذلك شواهد القبور المكتوبة بالخط العربى، والتى تحمل أسماء عربية فى كل من تافة وكلابشة، والتى ترجع إلى القرنين الثالث والرابع الهجرى[5]، فكان لتنقل الجاليات العربية المقيمة فى منطقة مريس وأرض البجة – أثره فى انتقال المؤثرات العربية فى

(1) Samuel N. Baker: The Nile Tributaries of Abyssnia and the Sword Hunters of the Hamran, London. P. 273.

(2) F. Cailliaud, Voyage a Mero et au fleuve blanc dans les annes 1819, 1820, 1822, Paris, 1826, Vol. II, P. 240 - 41, 336-37.. يوسف فضل: الشلوخ، ص٧٦، ٧٧.

(٣) انظر: عون الشريف قاسم: قاموس اللهجة العامية فى السودان. الخرطوم ١٩٧٢، ص٣٣٥، Sayid Hamid Hurriez, Brith, Marriage, Death Initiation Customs and Beliefs in the Central Sudan, M.A. thesis, Leeds University 1966, P.98. محمد عبدالرحيم، مخطوط يحوى مقالات مختلفة عن القبائل والعادات دار الوثائق بالخرطوم .Misc 1/34 انظر فانتيني: A. Jaussen, Coutmes des Arabs au Pays de Moab, Paris 1908, P. 370. مرجع سابق، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) فقد أدرك العرب قيمة حق الوراثة عن طريق الأم، أى نظام الأمومة فى وراثة الملك، فتزوج رؤساء العرب من بنات رؤساء البجة لينال أبناء أولئك الرؤساء من العرب حقا مشروعا فى السيطرة على قبائل البجة حسبما يقتضيه نظام الأمومة. انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩٦، ١٩٧، MacMichael:Op. Cit., Vol XI, P.75.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩٠، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة، ص٨١، ٨٢؛ أحمد الحفناوى: سودان وادى النيل فى ظل الإسلام، ط دار المعارف ١٩٨٢، ص٢٥٣، C.F. M. De Villard: Op. Cit., P. 118. مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٣٠.

سهولة ويسر، إذ وجدت كتابات عربية بالخط الكوفى على جدران قلعتين بالقرب من مناجم الذهب بمنطقة ديريهيب، ويرجع تاريخ هذه الكتابات إلى القرن العاشر الميلادى[١].

ولعل من أهم الكتابات التى نالت أهتمام السودانيين خاصة بين القبائل العربية أو النوبة المستعربين، هى أوراق النسبة التى تؤرخ لنسب أسرة أو قبيلة أبا عن جد حتى تصل بشجرة نسبها إلى نسب شريف[٢] وتعود أوراق النسبة هذه إلى أوائل القرن السادس عشر، وقد جمع معظمها ماكمايكل وصنفها فى مجموعات[٣].

«لأن العرب كثرت وفودهم إلى بر السودان فى تبع الخصب، وأغلبهم من حمير وربيعة وبنى عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبنى يشكر وبنى كاهل وبنى زبيان[٤]».

- الختان:

عرف الختان عند قبائل البجة، فقد وصفه ابن سليم الأسوانى وأوضح إنها كانت شائعة بين نسائهم ثم قلت عندهم[٥]. ويعتقد أن اتجاه انتشار هذه العادة كان من شرق السودان إلى غربه. فبينما نجده معروفًا عند البجة فى الشرق، نجد أهل

(1) C.F. M. De Villard: Op. Cit., P. 115.

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٣٠.

(٢) اطلع الباحث على كثير من هذه الأوراق فى دار الوثائق القومية بالخرطوم، نذكر منها أنساب عرب السودان Misc 1/18/198.، نسبة أصول العرب Misc 1/22/349.، شجرة الأنساب التى تفرع منها القبائل فى أصول العرب والملوك 1/91/1472, 1473؛ واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، Misc 1/20/232.، انظر ملحق الدراسة

(3) C.F.: The Tribes of Northern Central Kordofan, Cambridge, 1912, A history of the Arabs in the Sudan Volumes Cambridge, 1922.

وعرضها د. يوسف فضل فى كتابه: The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967.

كما نشر الأستاذ الشاطر بصيلى عبدالجليل فى معالم سودان وادى النيل وثيقة مهمة عن نسب الفونج الأموى. انظر الشاطر بصيلى: تاريخ معالم سودان وادى النيل، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٤) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان Misc 1/18.198. مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨، Misc 1/15/191. انظر ملحق الدراسة رقم (٦/د) (٦/هـ) وانظر الخريطة شكل رقم (١٣).

(٥) انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩٥؛ التونسى تشحيذ الأذهان، ص٢٢٤، ٢٢٥؛ أحمد الحفناوى: مرجع سابق، ص٢٥٥.

دارفور لا يعرفونه حتى القرن التاسع عشر. فالتونسى يقول عن أهل الفور: ومن عاداتهم ختن البنات، لكنهم فى ذلك على أقسام. فمنهم من لا يرى ذلك أبداً وهم أعجام الفور. ومنهم من يخفض خفضاً خفيضاً لعادة أهل مصر، وهم أكابر الناس «يعنى به الخفض السنى[(١)]، ومنهم من ينهك الخفاض حتى يلتحم المحل ببعضه «يعنى به الخفض الفرعونى[(٢)]».

ثم سرى الختان الفرعونى إلى عرب البقارة، وكانوا من قبل يستخدمون الختان السنى فقط[(٣)]. وقد استمرت هذه العادة فى عصر الفونج، ولم نجد من علمائهم من نبه إلى ضرر هذه الطريقة، إلا إشارة بعيدة تحتمل التأويل وردت فى نص للشيخ حمد ولد أم مريوم[(٤)].

- **أربعون الولادة:**

ويرغم إسلام ممالك النوبة إلا أنه قد احتفظ ببعض العادات القديمة، ففى كثير من المناطق النيلية الواقعة بين وادى حلفا والخرطوم لا يجوز للمرأة الوالدة أن تخرج من البيت قبل أن تتم أربعين يوما. وفى عشية اليوم الأربعين يبدأ الاحتفال بالمولود وتحمله أمه إلى نهر النيل لتقوم بغسله هناك وفقا لطقوسهم، ويعتقد الأهالى أن عقوبات وشرور ستنزل بالمرأة التى تهمل هذه الطقوس. وترافق الوالدة إلى النيل نساء

---

(١) جاء الإسلام بقواعد متكاملة، كان بعضها معمولا به، ومنها عادة الختان إذ ترجع إلى العهد المصرى القديم، ودعاه «بالتطهير» ويروى عن النبى صلعم أنه قال: «اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم»، انظر، هذا الحديث متفق عليه إلا أن مسلما لم يذكر السنين. انظر: الشوكانى: نيل الأوطار، (باب الختان) ص١٣٧؛ وقال أبو حنيفة الختان سنة مؤكدة، وليس بواجب وبعض أصحابه يقول أنه واجب وليس بفرض، ودليلنا ما روى عن النبى صلعم أنه قال لرجل أسلم (الق عنك شعار الكفر واختتن) ولأنه قطع شيء من البدن فى حق الله تعالى فوجب أن يكون واجبا كالقطع فى السرقة فإذا ثبت هذا فصفة الختان فى الرجل أن يقطع منه الغلفة التى توارى الحشفة انظر ابن الأخوة: معالم القرية فى أحكام الحسبة الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦م، ص٢٥١؛ انظر التونسي: تشحيذ الأذهان ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٧٧؛ الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص٢٦٩.

(3) C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P. 107. عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص٨٥.

(٤) لعله عبر عن ترك الختان الفرعوني بترك بكارة النساء، فإذا صح هذا التفسير كانت دعوة الشيخ أحمد بن أم مريوم إلى ترك هذا الختان أول دعوة من نوعها فى سودان وادى النيل. انظر: الطبقات: ص٣٠ ط إبراهيم صديق، عبدالمجيد عابدين ص٧٦، ٨٤، ٨٥؛ أحمد الحفناوى: مرجع سابق ص٢٥٥.

أخريات يحملن أغصان النخيل ويغنين بعض الأغانى الشعبية[١].

- الملبس:

لاحظ المؤرخون والرحالة الذين زاروا منطقة النوبة وأرض البجة أن ملابسهم بسيطة فى شكلها، ويرجع هذا لطبيعة الأحوال المناخية فيذكر الدمشقى: «أن للنوبة صنفان: أحدهما يقال لهم: علوا، وملكهم يسكن مدينة تسمى كوسة. والآخر يسمى مقرا، وملكهم يسكن دنقلة. لا يلبسون المخيط[٢]، بل يتحشون بثياب من الصوف يقال لها: الدكاديك[٣]. كذلك يشير إلى البجة بقولة: «وغالب هؤلاء لا يلبسون المخيط ولا يسكنون المدن[٤]».

ويشير القزوينى إلى ملابس الطبقة الحاكمة بقوله: «ومن عاداتهم تعظيم الملك الذى اسمه كابيل.. ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والديباج[٥]».

وفى موضع آخر يشير إلى دنقلة «وأهلها عراة مؤتزرون بالجلود، والنمر عندهم كثيرة، يلبسون جلودها[٦]».

نستخلص من هذا أن الملابس النوبية كان يغلب عليها البساطة كما هو واضح من أقوال المؤرخين والرحالة، حتى أشار المقريزى[٧] إلى الاختلاط بين البجة والعرب، وما نتج عن ذلك من انتقال المؤثرات العربية إلى الملبس بقوله: «وقيل البجة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر وألوانهم أشد سواداً من الحبش يتزينون بزى

---

(١) انظر: فانتينى: تاريخ المسيحية، ص٢٠٠، ٢٠١؛ أحمد الحاكم: الزخاف المعمارية، ص١٨؛ الشاطر بصيلى: معالم تاريخ، ص٥٢ حاشية (١٢١). ويعتقد الاب فانتينى أن هذه العادات هى نفس الطقوس المماثلة عند عماد الطفل بالغطاس. انظر: سفر اللاويين أو الأخبار ١١/٤ - ١٢، فانتينى: مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) الدمشقى: نخبة الدهر، ص٢٨٦.

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) الدمشقى: نخبة الدهر، ص٢٦٩.

(٥) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٥.

(٦) لم يسمع أن النوبيين عراة، وربما ينصرف هذا الوصف على بعض القبائل التى تعيش فى الأقاليم النائية فى الجنوب أو الغرب، وتخضع لملك النوبة فى علوة انظر: مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، حاشية (٣)، ص١٩٤، القزوينى: آثار البلاد، ص٣٩.

(٧) انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩٧.

العرب[١]، أى أن الملبس انتقل من البساطة المعهودة عند النوبيين والبجة إلى تطور جديد فى الإزار[٢]، فهناك لباس عربى قح كان يلبسه النوبيون المستعربون، وهذا اللباس عبارة عن سروال جلدى مشقق إلى سيور وبدون ساقين ولا حجزه[٣]، وكان هذا اللباس أكثر شيوعاً بين الفتيات[٤].

وثمة نوع من الملابس العربية تتميز بها نساء النوبة المستعربة وهذا اللباس عبارة عن ثوب أبيض تلتف به النساء، ويعرف عند الكنوز بالنوبة السفلى باسم المشقة، بينما يعرف عند قبائل الجعليين والشايقية ومن جاورهم بالنوبة العليا باسم التوب، ولا يزال هذا اللباس مستخدماً إلى اليوم[٥].

وقد حدث تطور سريع فى أنواع الملابس بسودان وادى النيل، منه ما عرف (بالرهط) وهو عبارة عن نُقبة من جلد أحمر مشقق سيوراً ليس له حجرة ولا ساقان كما تشد السراويل، وترتديه الجوارى قبل الزواج فإذا زوجن خلعنه، وقد عرفته من القبائل البقارة كالمسيرية والهبانية والتعايشة والزريقات. ومن تريد أن تتجمل فى الرهط، فإنهن يجعلن سيورة دقيقة جداً كهخيوط الحرير، ويرصعونه بالخرز المختلف الألوان[٦] وكان هذا النوع من الملبس معروفًا عند العرب[٧]، كذلك عرف سودان وادى النيل نوع من الثياب يسمى الغرك المحلاوية نسبة إلى مدينة المحلة بمصر. وكالبرصة وهى من الخز المخطط، حيث عرفته العرب، إذ كانت تأتزر بثياب من الخز المخطط وتسميها المروط[٨]. وهناك نوع من الملابس عرفه سودان وادى النيل يسمى ميزرى يستطيع

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩٧.

(٢) وهذا التطور قد وصفه من قبل الإدريسى وهو يتحدث عن مدينة بلاق وهى إحدى المدن النوبية بقوله: «إذ يرتدى أهلها الأزر والمازر»، صفة المغرب، ص٢٠.

(٣) ظل هذا اللباس مستخدما فى بلاد النوبة، بشتى أماكنها – إلى عصر قريب إن لم يكون موجودا إلى اليوم فى بعض بوادى النوبة.

(٤) عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص١٦٨.

(٥) انظر: أشار صاحب الطبقات إلى نوع إخرى من الملابس منها قرن: وهو قماش مزكرش، تلبسه الفتاة عند الزفاف، انظر الطبقات، ص ٢٦٦؛ عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق، ص١٦٨.

(٦) الأمين الضرير: العربية فى السودان، جـ١، ص ٢٢.

(٧) كان العرب يسمونه الرهط، نفس المرجع، ص ٢٢.

(٨) نفس المرجع، ص ٢٠٤.

الشخص أن يتحزم بذلك الثوب، وقد ارتداه الملك بادى فى سنة ١١٩٣هـ[١].

وعندما زار الرحالة بونسيه مدينة دنقلة فى سنة ١٦٩٨م أعطى وصفًا دقيقًا عن طبيعة الملبس فى هذه المدينة بقوله: «والشخصيات البارزة، حاسروا الرؤوس، وشعرهم مجدول فى هيئة حسنة. وكل ما يلبسونه يتألف من نوع الثياب الرديئة لا أكمام له. وسيقانهم عارية، ولا يلبسون فى أقدامهم إلا نعالاً مجردة ومثبتة بأربطة».

وفى قول آخر: «وعامة الناس يلفون أنفسهم بثوب من الكتان، يرتدونه بمائة طريقة مختلفة. والأطفال عراة غالبا[٢]».

أما عن تطور ملابس الأمراء فى مدينة دنقلة، فقد أشار الرحالة بونسيه بأنها عبارة عن ثوباً من القطيفة الخضراء يصل طوله «سابغاً إلى الأرض[٣]».

– الزينة:

عرفت المرأة في سودان وادى النيل عادة التزين بالحلى ومنها الأسورة والحجول والخروص، وهى من حلى العرب التى عرفت بهذه الأسماء بل قد ثبت أن العرب كانت تتخذ أسورتها من العاج، كما يتخذه السودان اليوم.

ومن أنواع الحلى التلال وهى حلقة تعلق فى أسفل الأذن كالخرص إلا أنها قد تكون من فضة. وقد تلبسها الصبية. وهذه الحلية هى التى تسميها العرب (القرط) ومنها «الفدوة والكسكسى» وهما ما يلبس فى أعلى الأذن، أما الفدوة فحلقة واحدة وليست خاصة بالنساء[٤].

وقد يلبسها الصبية إلى قرب البلوغ. وقد تكون من الفضة ومن الذهب، فإذا تعددت الفدوة فى الأذن فذلك ما يسمى الكسكسى وهى خاصة بالنساء، وتبلغ زنتها أوقية[٥]. وهذا الضرب من الحلى معروف عند العرب بالشنف[٦]. ومنها الزمام

---

(١) هذا النوع من القماش كان يأتى من مصر. انظر مخطوطة كاتب الشونة، ص ٣٠، وانظر أيضًا: ود ضيف الله: الطبقات، ص ٢٦٦. C.F.: Crawford: The Fung Kingdon Of Sennar, PP. 221-222.

(٢) نقلا عن تكولز: قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى، ص ٨٠، ٨١.

(3) C. F.: Hillelson. (S): S. N. R.Vol.16, PP. 55, 66.

مكى شبيكة: الفونج، ص ٣٢؛ تكولز: مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) الأمين الضرير: مرجع سابق، ص ٢٠ انظر اشكال الحلى بالملاحق ١٥/١٠ .

(٥) الأمين الضرير: مرجع سابق، ص ٢٥.

(٦) الأمين الضرير: نفس المرجع، ص ٢٦.

والرشمة، فالأول حلقة من الذهب تعلق على الأنف، والرشمة عبارة عن سلسلة دقيقة من الذهب يقلد أحد طرفيها بالزمام والطرف الآخر يشد على شعر الرأس أمام الأذن، وقد تكون الرشمة ثلاث سلاسل تناط بأطرافها هنات من الذهب تذبذب تسمى البرق تشبيها لها ببرق السحاب. وتبلغ زنة الزمام الجيد ورشمته أوقية ونصف. وكانت العرب تلبس الزمام والرشمة وتسمى الأولى البرة والثانية الأقليد والقلاد[١].

هذا وقد عرفت المرأة البجاوية عادة التزين بالحلى، من استخدام القرط والسوار، والعقد والخلخال وحلى الأنف المنتشرة بين الرجال والنساء وإن أصبحت بعد ذلك عادة قاصرة على النساء[٢].

- **المسكن:**

كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت في الفترة الأخيرة، عن آثار الحملات العربية المتوالية على بلاد النوبة وخاصة في العصر المملوكي، إذ يلاحظ وجود مواقع محصنة قليلة، مثل قصر أبريم، وفرس غرب وميناراتي، تجمع بها السكان بكثافة كبيرة، وأتخذوا منازل ذات حجم كبير بنيت بالطوب اللبن. وتتميز هذه المنازل في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي بجدرانها السميكة وتخطيطها المعقد، وكان الدخول إليها من السقف بعد أن حلت الأقبية محل الأسقف الخشبية[٣]، ويشير شكل هذه الأبنية إلى استخدامها في حماية الممتلكات والغلال من المغيرين. ويعتقد أن النوبيين قد اعتمدوا على هذا التخطيط على سبيل خفة الحركة في الهرب؛ وقد يفسر هذا عدم استخدام الأسوار الدفاعية في النوبة السفلى على الأقل[٤]. أما المواقع في الجنوب فتتميز بتحصينها بأبراج مراقبة مثلما هو في ميناراتي وأبوسر وجزيرة عبكة

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٦.

(٢) هذا ويشير ناصر خسرو عن النوبة ويذهب اليها التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان وهي ادوات تستعمل في الزينة عند المرأة النوبية. انظر: ناصر خسرو: سفرنامة، ص ٤١؛ وانظر الأمين الضرير: العربية في السودان، ص ٢٦، ٢٧؛ على زين العابدين المصاغ الشعبي في مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ص ٧، سعد الخادم: الفن الشعبي والمعتقدات الشعبية، النهضة المصرية، ص ١٦؛ عبدالرحمن زكي: الحلى في التاريخ والفن والإرشاد ١٩٦٥م، ص ١٠؛ نادية بدوي: الزينة، ص ١٧٢.

(3) Adams, W. Y., Kush XII, PP. 216- 648; id Kush XIII, PP. 148- 176.

(4) Adams, W. Y. J. E. A. 52, P. 150.

انظر ملحق الدراسة رقم (٩/ ٩).

وجزيرة كولب، وبرغم هذا فإن النظم الدفاعية لها تتجه نحو البر إلى الجنوب، مما يعنى أن الأغارات كانت من قوات برية آتية من الجنوب. وعلى هذا فمن الواضح أن الخطر فى هذه الفترة لم يكن متمثلا فى الحملات العسكرية القادمة من الشمال فقط، بل كان أغلبه من تلك القبائل التى اعتادت السير براً، وتوغلت جنوباً، ثم وجهت هجماتها نحو الشمال(1).

والحقيقة أن المسكن النوبى قد شاهده كثيرون من المؤرخين والرحالة، وقد وصفوه وصفًا دقيقًا. فمن قبل تعرض له ابن سليم الأسوانى أثناء رحلته إلى بلاد النوبة، حيث كان يتسم بالبساطة نظراً للحالة الاجتماعية السائدة وقتذاك من الاعتماد على حرية التنقل فيقول: «وقرى متصلة وعمارة حسنة، بأبرجه حمام(٢) ... نحو ثلاثين قرية بالأبنية الحسان والكنائس والأديار(٣)، ويأتى القزوينى ليؤكد أن جميع مساكنهم عبارة عن أخصاص، وكذلك قصور ملوكهم(٤)، حتى اشتدت الهجرة العربية، وفتحت أرض النوبة على مصراعيها تستقبل هذه القبائل فكانت استقراراً وملاذاً، وتنتقل معها المؤثرات الإسلامية فى مساكنهم(٥).

حتى شاهدها الرحالة بوركهارت ليؤكد هذا التطور المتلاحق بقوله: «ويبنى النوبيون اليوم أكواخهم.. على سفوح الجبال.. أما فى البقاع التى ينبسط فيها السهل فإنهم يبنون مساكنهم من اللبن ويقيمونها وسط السهل(٦)».

وهذه المبانى تتألف من بنائين مستديرين منفصلين أحدهما للرجال والآخر للحريم، وبيوتهم من اللبن منخفضة، والسقف من سيقان الذرة أحياناً(٧)، ومع ذلك

(1) Ibid, P. 151.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص١٩١.

(٣) المصدر مفسه والجزء والصفحة.

(٤) يقول القزوينى: دنقلة مدينة عظيمة ببلاد النوبة، ممتدة على ساحل النيل.... وبيوتهم فى أخصاص كلها، وكذلك قصور ملكهم. انظر القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٩؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ١، ص٢٦٢؛ انظر ملحق الدراسة رقم (٣/٩، ٣/٩).

(٥) أصبحت تبنى من طين وبأعمدة رفيعة، وإن كانت لم يرق شكلها لليو الإفريقى. أنظر ليو الأفريقى: وصف إفريقيا، ص ٥٥٧.

(٦) رحلات بوركهارت، ص ٩٩.

(٧) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٢؛ محمد عوض الشعوب والسلالات الإفريقية، ص ٢٦٥، انظر الزخارف المعمارية بالنوبة والتى تنعكس على سودان وادى النيل شكل رقم ١، ٢ من ملحق رقم ١٠ .

فقد ظلت بعض المناطق مثل إقليم المحس إذ تصنع الأكواخ فيه من الحصر المجدولة من سعف النخيل، والمشدود إلى أعمدة عالية ترتفع أطرافها فوق السقف[١].

نستنتج من هذا أن المسكن النوبى كان بسيطا فى بنائه ثم تطور من كونه على شكل أخصاص إلى البناء بالحجارة أو الطوب اللبن طبقا لطبيعة كل منطقة، كما أن المسكن بشكله القديم لايزال قائماً فى بعض المناطق.

وقد جاءت أقوال الرحالة الأوروبيين لبلاد النوبة ما ذكرته الحفائر والمصادر الإسلامية. فعندما زار بونسيه مدينة دنقلة عام ١٦٩٨م وجد «بيوتهم من الطين، سطوحها واطئة مغطاة بقصب الذرة[٢]».

هذا وتنتشر الخيام بطبيعة الحال، لأن بعض المناطق رعوية، وذكر بونسيه بأن هذه الخيام كانت تمد المسافرين بما يحتاجون إليه[٣].

- الأثر الإسلامى فى الزخارف المعمارية بالنوبة:

إن فن الزخارف المسيحية فى بلاد النوبة اعتمد على أشكال القباب سواء أعالى شواهد القبور أو منازل الأهلين، كما كانت المداخل على أشكال الأقواس[٤].

وبتغير الثقافات مع دخول الإسلام بلاد النوبة فى القرنين السابع والثامن الميلاديين ورسوخه بعد ذلك، وفى الوقت الذى كانت فيه ممالك الصليبيين فى الشام وفلسطين تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت ضربات المماليك، نتج عن هذا التغيير رسوخ فكرة الهلال كبديل للصليب، حتى أنه عندما زالت آخر الممالك المسيحية فى سودان وادى النيل بسقوط مملكة المقرة، وعلوة من بعدها، لم يتعارض الهلال مع النجمة النوبية اللتان كانتا منافستين للصليب[٥]. أما الصليب فقد زال تماماً، ولم يبق إلا لماماً

(١) نادية بدوى: الزينة عند العابدة، ص ص ٩٦، ٩٧.

(٢) نكولز: مرجع سابق، ص ٧٨.

(٣) نكولز: مرجع سابق، ص ٨٣، C. F. الأبحاث الأثرية التى ارسلت عام ١٨٤٤ لمنطقة سوبا.

Lepsius, R. Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of sinai, land on 1853, P. 162.

وأيضا: محمد غيطاس: النوبة ص ص ١٢، ١٣، ١٥

(4) C. F. : Marian Wenzel: House Decoration in Nudia, London 1972, P. 9.

محمد غطاس النوبة، ص ١٥؛ أحمد على الحاكم: الزخارف المعمارية ص ٤.

(5) Marian Wenzel: OP. Cit., P. 11. FF.

فى حيز ضيق، ولقد اختلطت هذه النجمة والهلال بالأقواس والأعمدة الإسلامية وزاد استعمال القباب وخاصة على قبور الأولياء والصالحين[١].

وقد رسمت هذه النجمة وهلالها ومعها القباب والأقواس والأعمدة فى الزخارف الحلفاوية. فتم التزاوج والتوافق بين الروح الإسلامية والفن المسيحى فى النوبة[٢].

أما أبر أثر إسلامى فهو استعمال الأشكال الهندسية المتداخلة (فن الأرابسك)، والأعلام التركية، وأعلام الطرق الصوفية المختلفة. وعلى كل حال فسواء جاءت الأقواس والأقبية مع الفتح الإسلامى أو رسخت أيام المسيحية، فقد عرف النوبى أشكال الأقبية والأقواس والأعمدة وبعض الأثاث البسيط[٣].

- المأكل والمشرب:

تبادلت مصر المملوكية وبلاد النوبة الكثير من المنتجات الغذائية وذلك بحكم الجوار، إذ يقول المقريزى عن مدينة أسوان الواقعة فى أرض مصر، الوفيرة فى منتجاتها: «وأسوان فى آخر بلاد الصعيد، وهى ثغر من ثغور الإقليم، يفصل بين النوبة وأرض مصر، وكانت كثيرة الحنطة، وغيرها من الحبوب والفواكه، والخضراوات والبقول، كما كانت كثيرة الحيوان من الأبل والبقر والغنم، ولحماتها هناك غاية فى الطيب والسمن، وكانت أسعارها أسعار رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة[٤]».

وكانت مدينة دنقلة أكثر المدن تحضراً تتخذ طعامها من الشعير والذرة. والتمر[٥]، وشرابهم المزر المتخذ من الذرة[٦]، ولحومهم طيبة المذاق[٧] يطبخونها

(1) Marian Wenzel: Ibid, P. 15.

(2) C. F. : Marian Wenzel: Hause Decoration in Nudia, P. 15 FF.

(٣) أحمد على الحاكم: الزخارف المعمارية، ص ٥، ٦.

انظر قباب اسوان شكل رقم ٣/ ١٠ Marian Wenzel: Op. Cit. P. 14- 19.

محمد غيطاس: النوبة، ص ١٥، انظر شكل ٧/ ١٠، ٨// ١٠، ٩/ ١٠، ١٠/ ١٠، ١١/ ١٠.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ١٩٧.

(٥) الإدريسى: صفة المغرب، ص ١٩، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٦) سوف نشرحها فيما بعد. ا الإدريسى: صفة المغرب، ص ١٩.

(٧) الإدريسى: المصدر نفسه، ص ٢١؛ الإدفوى: الطالع السعيد، ص ٢٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٢٧٥؛ المقريزى: الخطط، جـ١، ص ص ١٩٢، ١٩٣؛ بوركهات: رحلاته، ص ص ٢٢، ٢٣؛

C.F Trimingham, J. S. : Op. Cit. ,P. 8.

بألبان النوق[١]، بالإضافة إلى الأسماك[٢].

وقد لاحظ بوركهارت وهو فى طريقه إلى دنقلة أن طعام الخبز من القمح دليل على الرفاهية والثراء العريض، وطعام العامة من الذرة[٣]، وهو فى غاية الخشونة، ويصنع بغير ملح، ويخبزونه على الصاج كبدو جزيرة العرب[٤].

وقد حازت بلاد النوبة شهرة فى إنتاج التمر[٥] وكثرة تنوعه من الأصناف الجيدة، وقد كان يشكل طعاماً للعامة من أهل النوبة[٦].

وأخيراً نجد الرحالة الأوروبى بونسيه الذى زار مدينة دنقلة قد أعجبه من الأطعمة والأشربة «الفلفل والقرنفل والينسون. وهى التى تعطى النكهة فى الأطعمة والأشربة[٧]».

كما تضمن حديثه عن سكان دنقلة بقوله: «وهم لا يأكلون من الخبز إلا ما صنع من الذرة، ويصنعون منها نوعًا من الجعة الخاثرة لها طعم ردئ للغاية.. والرجل الذى يمتلك شيئا من خبز الذرة وقرعة ملأى بهذا الشراب الكريه الذى يشربونه حتى يلعب برؤوسهم إنما يعد نفسه سعيدا يجلب لنفسه طربا عظيما[٨]».

تلك هى أهم الإشارات الواردة فى النصوص عند المؤرخين العرب والرحالة الأوروبيين عن الأطعمة والأشربة وتطورها فى سودان وادى النيل.

---

(١) الإدريسى: صفة المغرب، ص ١٩؛ القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ٥، ص ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) الإدريسى: صفة المغرب ص ١٩، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٢، ص ٢٩٧؛ بوركهارت: رحلاته، ص ٢٢، ٢٣ وانظر أيضاً لمزيد من التفاصيل عن الثروة السمكية، المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص ٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٤.

(٥) انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ١، ص ١٩؛ الإدفوى: الطالع السعيد، ص ٢٨؛ المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ١٩٩؛ المسعودى: مروج الذهب، جـ ١، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٦) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ص ١٩٠، ١٩٩.

(٧) تكولز، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٨) يقصد هنا ما عرف عندهم بالمريسة، وتسمى عند أهل دنقلة مرسيكى وهى عبارة عن خمر من الذرة أو الدخن، والعرب تسميها المزر انظر: الامين الضرير العربية فى السودان، جـ ٢، ص ١٣٩، ١٤٠؛ كلابشة: الفونج، ص ١٧؛ تكولز، مرجع سابق، ص ١٧٨؛ هذا وكانوا يشربون المريسة فى خزف صنع محليا والآخر استورد من مصر، C. F. : Vantini, G.: Christianity in Medieval nubia, P. 21; Kolodziejczyk. K.: Some Remarks on the Christian Ceramics from faras 'In "Nubia Christiana, tom 1", P. 178.

- المآتم والأحزان:

تؤكد الاكتشافات الأثرية ما ورد فى المصادر التاريخية عن انتشار المسلمين فى البلاد وخاصة فى العصر المملوكى، ففى بعض جزر كلابشة عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسرى بمصر خلال أعمالهما سنة ١٩٦١م فى المنطقة بين بيت الوالى وخوردهميت على مقابر إسلامية وشواهد للقبور، ومما يلاحظ هنا أن استخدام اراضى الدفن المسيحية قد استبدلت لإقامة المدافن الإسلامية عليها(١).

ومن هذه المقابر الإسلام تلك التى أشار إليها أرثرويجال جنوبى عنيبة بحوالى سبعة كيلومترات(٢)، وكذلك ما عثر عليه فى جبل عدة من مقابر إسلامية تميزت بقبابها المشيدة بالآجر(٣)، وهى من نمط وجد أيضاً فى أنحاء مختلفة بالنوبة الشمالية وتشبه ما يوجد فى جبانة أسوان(٤).

وفى دنقلة عثرت البعثة البولندية أيضًا على مقبرة إسلامية بها مدافن من أنواع مختلفة منها قبور تميزت بمصاطب مسطحة ترتفع حوالى من عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً، ومغطاة بحصى أبيض أو محاطة بالآجر، وعثر على الآلاف من مقابر هذا النوع، ومنها مقابر غطيت بأقبية من الطوب اللبن، وأخرى غطيت بقباب(٥)، وعلى الرغم من قيمة هذه المقابر الإسلامية من الناحية المعمارية والفنية فإنها لم تجد اهتماماً من البعثات الأثرية لإنقاذها.

---

(1) C.F.: Keith seele: From Khor Dehmit to Beit el-Wali, fauilles en Nubie, 1, P. 84; Gerhard Haeny,: Tafa, Kalabsha, Wadi el sebu, Rock Insccriptions and semna South. Actes du II Symposium, P.34; Save- Soderberg. T., Christian Nubia, Nubiasche, Kunst P. 230.

(2) C. F.: Weigall, A.: A Report on the Antiquies of Lower nubia, P. 123.

(3) C. F. Mostapha El- Emir,: fouilles de L'universite d' Alexendrie a Gebel Adde 1959, Fouilles an Nubie, 1. P. 38.

(٤) فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، مجلد ١، ص ٥٦٥، ٥٦٧.

(5) C. F. Michal owski: Kush XIV, PP. 294 F, PLS XII- XIII.

محمد غيطاس: النوبة، ص ١٠٩.

وتؤكد شواهد القبور العربية التى عثر عليها فى أنحاء مختلفة من بلاد النوبة زيادة عدد المسلمين، بل واعتناقهم للإسلام فى فترات تسبق سقوط الممالك المسيحية، ومثال ذلك شواهد القبور المؤرخة التى عثر عليها فى تافه ٨٣٢م وكلابشة ٩٢٩م، وقرطاس ٩٣٣م، والدر ١٠٢٧م[١] ويلاحظ فى بعض شواهد القبور القبطية استخدام التقويمين القبطى والهجرى[٢].

وتدل الأبحاث الأثرية التى أجريت فى مدينة عيذاب عن حصر المقابر الإسلامية الباقية فكانت أربعة. المقبرة القبلية مطلة على البحر وتقع فى الأطراف الجنوبية الشرقية للمدينة على مرتفع من الحجر المرجانى الهش. وقبورها خليط من كل الأنواع، وشمالها يوجد بقايا مبنى، تم حفره على يد مرى، وقد أدعى أنه مسجد نسبة لوجود المحراب على القبلة[٣]. ولكن يعتقد أنه كان فاذقية[٤] أو قبة كبيرة تهدمت. أما المقبرة الشمالية فهى أيضاً تطل على البحر على شعاب مرجانية، وهى تتميز ببناءة متطورة وتجانس فى أنواعها، ويعتقد أنها كانت لمجموعة إسلامية مميزة عن بقية السكان، وأعدادها قليلة جدا، فهى لا تتعدى المائة مقبرة.

ويعتقد أنها كانت لأعيان وخواص عيذاب، والمقبرة الثالثة هى المقبرة الغربية وتقع شمال غربى المدينة وهى أكبر المقابر وأكثرها تعدداً فى قبورها. والمقبرة الرابعة هى المقبرة الجنوبية، وتقع جنوب المدينة فى منخفض على مسافة من المدينة وتمتد

---

(١) انظر الخريطة شكل رقم (٣)، (٤).

(2) Monnert De Villard,: Storia, P. 118- FF.

نقلا عن: ;Adams, W. Y. Kush XII, P. 236، انظر اشكال ٢٣، ٢٤/٠

Millet. N.: Gebel Adda, Actes du 11 Symposium P. 117;

محمد غيطاس، ص ١١٠.

(٣) أحمد على الحاكم: المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث العلمية فى منطقة البحر الأحمر السودانية، ٧٩– ١٩٨١، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، ١٩٨٣، ص ٣٥.

(٤) الفاذقية: بناء محاط بسور يضم قبور عائلية وسط المقبرة وكذلك كانت من الأشياء المحيرة فى هذه المنطقة وجود اساس لمبنى قد درس فيما عدا أساسه، والذى يظهر أنه مستطيل الشكل يتوجه نحو القبلة، كالمساجد مثلا، ولكنه صغير الحجم بالنسبة لمدينة عيذاب وحجمها، وبالنسبة لشهرة جامع عيذاب الذى ذكره ابن بطوطة بأنه قد بناه القسطلانى. انظر: بشير إبراهيم بشير: عيذاب ص (٦٤) هامش (٤٦)، صفحة ٨٠، وانظر ايضا: أحمد على الحاكم: مرجع سابق، ص ٣٥. انظر ايضا ملحق الدراسة: خريطة عيذاب وموقعها على الخريطة، شكل رقم (١).

على مساحة واسعة كبيرة. وتعد ثانى مقبرة فى الحجم وهى خليط من كل الأنواع. وفيها عثر على بقايا قباب مقامة أعلى المدافن، وطوب محروق صغير الحجم. ومجموع القبور بالمقابر الأربعة بلغت الست آلاف قبراً[١]. والمقابر تتجه نحو القبلة، وهناك قلة لا تتبع هذه التعاليم الإسلامية وتختلف فى وضعها وبناءها. ويعتقد وجود هذا الاختلاف لوجود أقلية غير مسلمة بين مجتمع عيذاب[٢].

---

(١) انظر: بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٥، ص ٥٦، أحمد على الحاكم: المشروع السودانى، ص ٣٨.

(٢) الأقلية الغير مسلمة مثل اليهود أو النصارى المصريين كما جرت العادة في أغلب الثغور الإسلامية، كما لا يستبعد وجود بعض البجة الوثنيين. انظر:

Y.F. Hasan: The Arabs, P. 61-62.

أحمد على الحاكم، مرجع سابق، ص ٣٨.

هذا ولم يعثر لاى أثر لشواهد القبور المخطوطة، رغم المكانة السامية، التى تبوأها ثغر عيذاب فى مجال الفكر والثقافة الإسلامية، ولما له من مكانة فى مركز التجارة، مثلما كشف فى باضع وخوربنت وأجزاء أخرى من النوبة.

C.F.: Adams, W. Y. Kush XII, P. 236; Nigm Ed Din M., Sherif, The Arabic inscriptions From Mienarti, Kush XII, Op. 249 - 250 and PLS III - IIV a-b.

Adams, W. Y. Kush XIII, PP. 172-173.

- الأحتفالات والطقوس الدينية:

- القتل الطقسى عند الفونج:

ارتبط اسم أحمد سيد القوم[١]، فيما كتبه الرحالة جيمس بروس[٢]، بمهمة قتل الملك إذا كان وجوده على العرش يتنافى ومصلحة الدولة. ولما كان تفشى مثل هذه العادة أو الطقسي يرجح بعض القرائن التى تربط الفونج في أصلهم القديم بمجموعات اشتهرت بطقوس قتل الملك كالشلك مثلا[٣]، ونسبة لغرابة هذه العادة على المجتمعات الإسلامية، ولقلة الإشارات لهذا القتل أو ندرتها فى المصادر المحلية أو إعطائها مفهوماً مختلفاً لوظيفة «سيد القوم» من جهة، وملاحظات بروس التى لا تخلو من شيء من التعميم وعدم الدقة من جهة أخرى رأيت أن اتعرض لهذه العادة بشيء من إبراز جوانبها وانعكاساتها على المجتمع.

---

(١) أحمد سيد القوم: مدير شئون القصر الملكى أو رئيس الخدم. أنظر: نصها بالإنجليزية:

A chmet Sid el Coom the Master of the King's household or Servants.. C.F.: J. Bruce: Travels to Discover the Sources of the Nile, Edinnurgh, 1804 - 5, 7 Volumes. and edition, Vol. 6., PP.372 FF.

انظر أيضا: الفونج والأرض: ص ص٩٩ - ١٠٠.

(٢) زار الرحالة الاسكتلندى جيمس بروس ١٧١٠ - ١٧٩٤ بعد عودته من اكتشاف منابع النيل الأزرق مملكة الفونج الإسلامية (١٥٠٤ - ١٨٢٠م) ومكث فيها قرابة العام، وكان نصيب سنار أربعة أشهر وحظى بمقابلة السلطان إسماعيل بن بادى (١١٨٢ - ١١٩٠ - ١٧٦٩ - ١٧٧٧م) وكان من أهم الشخصيات التى قابلها بروس «أحمد سيد القوم» وقد استقى بروس من أحمد هذا كثيراً من بعض الأوراق الخطية، تاريخ الملوك الفونج ببلد سنار C.F. Bodleian library, Oxford, MS

هذه المخطوطة محفوظة بـ Bruce, 18(2) FF (546 - 57a).

وقد ضمن بروس كل ما جمعه فى:

Travels to Discover the Sources of the Nile in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772.

نشرت الطبعة الأولى فى خمسة أجزاء.

(٣) عمر الحاج الزاكى: حقيقة القتل الطقسى فى مملكة مروى، مجلة كلية الآداب جامعة أم درمان، العدد الثانى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص ص٤٠، ٤١.

وتصف المقتطفات التالية وظيفة سيد القوم على لسان بروس[١].

«وإنها من الظواهر المميزة لهؤلاء القوم المتوحشين عندهم يسمح له باعتلاء العرش على أن يقبل بإمكانية إعدامه عن طيب خاطر بواسطة رعاياه أو عبيده، على ضوء قرار من مجلس كبراء الموظفين، إذا رأوا أن استمراره فى السلطة يتنافى ومصلحة الدولة. وهناك موظف معين من أسرة الملك نفسه هو وحده الذى يستطيع أن يهدر دم ملكه وقريبه. ويلقب هذا الموظف بـ«سيد القوم» أى رئيس شئون القصر الملكى أو رئيس الخدم[٢]. ولكنه لا يملك صوتا فى إزالة الملك عن السلطة ولا يجرم أى تجريم مهما كثر عدد قتلاه من أقربائه الملوك.

وأحمد سيد القوم قاتل الملوك الشرعى، الحالى والذى يسكن فى قصر السلطان إسماعيل قد قتل ناصر الملك السابق واثنين من ابنائه اليافعين وطفلا رضيعاً، يتوقع كل يوم أن يقوم بالمهمة نفسها تجاه إسماعيل مع أنه لا يوجد فى الوقت الحاضر خبث من هذا الجانب ولا غيره من الجانب الآخر. واعتقد أن لدى كليهما فكرة عما سيحدث[٣].

«وإجابة لسؤالى عن لماذا قتل ابن ناصر بحضور والده؟ أخبرنى ببرود شديد إنه لم يكن له الخيار فى أن يفعل شيئا آخر فى حق ناصر الذى كان من واجبه أن يرى ابنه يقتل بطريقة قانونية سليمة، وقد كان ذلك ببتر عنقه بحد

(١) بالرغم من غزارة المعلومات التى أوردها بروس وطرافتها عن كل المناطق التى زارها فإن الكتاب يحوى قدراً كبيراً من عنصر المبالغة. وقد أثبت مرى Murray، ولعله الشخص الوحيد الذى اطلع على كل مذكرات بروس، ثم أعاد نشر كتابه آنف الذكر بعد ادخال تعديلات عليه فى عامى ١٨٠٤، ١٨٠٥م فى خطاب لأحد معارفه: «إن بروس، بالتأكيد لم يكن منزهاً من الخطأ فى عدة جوانب، وإن كتابه بالرغم من أنه قيم وعجيب، فقد كتب باهمال. ويذكر مرى فى موضع آخر أنه عند اطلاعه على مذكرات بروس وجد فيها بعض الروايات التى لا تمت للحقيقة بصلة. C.F.: J. Bruce:Travels to Discover the Sources of the Nile .., Selected and edited by, C.F. Beckingham, Edinburgh University Press, 1964. P.16. وصف لاتروب "Benjamin Latrobe" وهو ممن عمل مع بروس عن قرب بأنه «لم يكن يوحى بالدقة ناهيك عن الوضوح، وكان عفويا فيما يختص بالتفاصيل وانظر أيضاً: C.F.: Bruce, Ibid, P.16. يوسف فضل: القتل الطقسى عند الفونج، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الأول، المجلد الثانى، مارس ١٩٧٠م، ص٣٢، ٣٣. C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 372 - 377.

(2) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 372 - 377.

(3) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 372 - 377.

السيف، وليس بقتله بطريقة أكثر تحقيرا وإيلاما كان يمكن أن يفرضها عليه أعداؤه لولا حضوره. وقد قال إن ناصرا بدأ قليل الاهتمام برؤية موت ابنه، ولكنه كان كارهاً جداً لما أتى دوره ليموت هو نفسه بدرجة أنه ترجاه كثيراً أن يتركه يهرب ولكنه لما رأى ذلك غير مجد، رضخ بدون مقاومة.. وسألته عما إذا كان خائفا عندما يدخل فى حضرة الملك من أن يظهر له الملك أن الموت أو القتل ليس أمراً هينا كما كان يعتقد. فأجابنى: كلا إطلاقاً. وإنه كان من واجبه أن يكون مع الملك معظم الوقت في الصباح وبالضرورة مرة في أواخر المساء، وأن الملك كان يعلم أنه لم يكن له يدا فى الضر والذى يمكن أن يلحق به كما لم تكن له يد فى تعجيل موته. ولكن عندما يحين وقت الموت فلا محالة من قتله، إذ الأمر برمته هو موضوع حسن تصرف، ولا شك إنه يفضل أن يقتل بيد أحد من أقاربه على انفراد على أن يقتل بيد قاتل مأجور سواء كان عربياً أم عبداً مسيحياً على مرأى من عامة الناس[1]».

«عند موت أحد ملوك سنار يخلفه قانونيًا ابنه الأكبر، بعد ذلك مباشرة يقوم الملك الحاكم بالتخلص من كل من يخشى من أخوته إذ يقتلهم سيد القوم بالطريقة التى أسلفنا وصفها[2]».

ويفيدنا بروس فى مذكراته الأصلية لليوم الأول من أغسطس ١٧٧٢م فى معرض حديثه عن غزو الفور لكردفان: «بأنهم فى دارفور يقتلون الملك بموسيين.. وفي سنار يقتل على يد أحد أقربائه، الجندى أو جلاد المدينة[3]».

نستنتج من هذه النصوص رغم ما بها من تناقض أن ملوك الفونج كانوا يخضعون لعملية قتل قسرية بطريقة معلومة إذا رؤى أنهم لم يعودوا يقومون بالواجبات المناطة بهم على أكمل وجه. وإنهم يواجهون هذا الموت بطيب خاطر دون خوف أو تردد. ويلتزم هؤلاء الملوك بقتل كل إخوتهم أو أبنائهم الذين يشكلون خطراً بإثارة الفتن مطالبين بالعرش. ويقوم

(1) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 274 - 5.

(2) Bruce, Ibid,VI, P.378.

(3) C.F. Alexander Murray: Account of the life and writings of James Bruce of Kinnaird. Edinburgh, 1808, P.425.

بعملية القتل هذه أحد أقرباء الملك ويعرف بسيد القوم أو الجندى[١].

لعل أقدم إشارة إليها ما أورده الرحالة الفرنسى شارلس بونسيه Charles Poncet، ورفيقه الأب برفيدان Father Brevedan ولعلهما أول أوربيان يصلان إلى سنار، وكان ذلك فى الثانى عشر من فبراير ١٦٩٩م حيث مكثا فيها نحو ثلاثة أشهر.

يقول بونسيه: «يجتمع المجلس الأعلى إذا ما حدث وتوفى ملك سنار وتنفيذ العادة همجية ومرذولة بأمر أن تدق أعناق أخوة الأميرة[٢] الذى سيعتلى العرش. ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قسوة ذلك المجلس الرهيبة إذ اخفته حاضنته لما كان أخوه الملك يحتضر، ولقد أنقذوا أيضًا أحد أخوة الملك الحالى. وهذا الأمير الآن ببلاط أثيوبيا، حيث يتميز بهمته فضلاً عن نبل مولده[٣]».

ويروى الأب برفيدان أن عم الملك بادى الأحمر أخفاه فى طفولته لينقذه حيا من الخطر الذى يحيق بأخوة الملك[٤].

وبعد فترة وجيزة زار الرحالة البيفارى كرمب Krump مملكة الفونج فقال: «لدى موت ملك سنار ينتخب خليفته على النحو التالى: يجتمع كل الشيوخ وبقية نبلاء المملكة،ويصوتون لأمير من الأمراء الملكيين – يتساوى فى ذلك ابن الأمة وابن الحرة – ويقدمونه ملكا. ويقتل بالرماح بقية الأمراء الملكيين المحبوسين بالقصر، وإذا أفلح أحدهم فى الهرب فالملك الجديد ملزم بتعقبه وقتله حتى لو كان الهارب أخاه. وتنجز هذه المقتلة تفاديا للنزاعات التى ربما نشأت من وجود العديد من الأمراء وخشية انقسام المملكة وصونا للسلام. والحالة هذه فمن الخير أن تكون أبنا لعبد من أن تكون أبنا لملك[٥]».

(١) جاءت فى وثائق العبدلاب ألقاب ثلاثة، أحدها، الجندى، وثانيها «جندى السوق» وثالثا «جندى قرى» وقرى» هى العاصمة الأولى للعبدلاب وقد حدد الدكتور أبو سليم وظيفة جندى قرى، بقوله «هو الشخص الذى يتولى حكم المدينة» انظر: الفونج والأرض. الصفحات: ٥٣، ٧٣، ٧٦، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣.

(2) C.F.: W. Foster, the Red Sea and Adjacent Countries at the close of the seventeenth Century, London, 1949, P. 107.

(3) W. Foster, the Red Sea, P.107.

(٤) كروفورد نقلا عن: C. Beccari, : Relations elepistalae va riorum XIV, Crawford, Op. Cit., P. 297.

(5) C.F. Theodoro Krump,: Hohz und Frucht barer palm Baum. Angsburg 1710.

وقد ترجم كروفورد الاجزاء التى تتعلق بمملكة الفونج من هذا الكتاب فى:

Crawford: The Fung Kingdon of Sennar, Glaucester, 1951, P. 323;

يوسف فضل: القتل الطقسى، ص٣٦.

يتضح مما جاء في كتاب بونسيه وكرمب وعلى لسان برفيدان أن عادة القتل هذه تقتصر على أخوة الملك الحاكم وإنها كانت مجرد إجراء سياسي اقتضته ضرورة المحافظة على وحدة المملكة وسلامتها(١).

يؤكد مخطوط كاتب الشونة أن الأسرة الحاكمة أو الفونج الأوائل ممن ظلت بقاياهم تسكن «الصعيد» جنوب سنار قد تضطر إلى عزل الملك إذا ما ارتكب بعض السلوك المشين الذي يؤثر على هيبة الملك(٢).

هذا وتوحي جملة «ولكنهم يعزلون من غير قتل» بأنه يعتقد أن العزل بالقتل من اختصاص فئة أخرى أو أن مثل هذا التقليد قد بطل نتيجة انتشار التعاليم الإسلامية وغلبتها على مملكة الفونج. وبالرغم من أن هذا الاستنتاج لا يخلو من حدس وتخمين فإن انتشار طقس قتل الملك والباسه صفة القداسة عند بعض الباحثين يجعلنا نميل لقبوله بشيء من الحذر(٣).

كما اكتشف حديثا عادة قتل الملك بين شعوب كثيرة يهمنا منها المجموعات القبلية التي جاورت الفونج، عند نشأة مملكتهم، وقبل اتخاذهم لسنار عاصمة لهم. فقد روى لبسيوسل أن سكان منطقة فازوغلي(٤) اعتادوا حتى عام ١٨٣٨م أن يشنقوا ملكهم إذا أصابته علة تحول دون ممارسته للحكم وإقامته شعار العدل ولو إلى يوم

---

(١) احمد بن الحاج ابوعلي: مخطوطة كاتب الشونة، ص١٩؛ وقد روى هذا الخبر بأختلاف بسيط في تاريخ ملوك السودان، تحقيق مكي شبيكة، ص٥؛ يوسف فضل: القتل الطقسي، ص ص٣٦، ٣٧.

(2) C.F.: A.E.R,: The Fung Drum or Nehas., S.N.R., Iv, 1921, P. 211-212; S. Hillelson: David Reubeni, an early visitor to Sennar, S.N.R. XVI, 1933. P. 55- 56; يوسف فضل: القتل الطقسي، ص٣٧.

(٣) والحقيقة ان عادة القتل الطقسي عرفت في مملكة كوش ٧٢٥ق.م- ٣٥٠م. عمر الحاج الزكي: حقيقة القتل الطقسي، ص٤٣، C. F.: Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, 1965, PP. 90-91.; Dio-durus Siculus, Book II, 5 London, 1961, P. 101; Strabo,: The GeraphyStrabo, VIII, London 1959. 147. 149; P. Shinnie: Meroe a Civlization of the Sudan, London 1967,PP. 16,18, 35; J.G Frazer: the GoldenBough, London, 1966, III, 1-46.

(٤) قرية وجبل يقعان بين شاطئ النيل الأزرق الغربي وخورتومان وعلى خطي ١١/١٧ شمال و٣٤/٤٦ شرق. C.F.: R. Lepsius, Letters from Egypt, Etheopa, the Pennsula of sinia london 1853, 202, 204, Frazer: Op. Cit. III, P. 16. نقلا عن فريزر ، يوسف فضل: القتل الطقسي، ص٣٨.

واحد، أو إذا لم يعد يتمتع بحب رعيته. وقد اشتهرت نفس العادة بين سكان جبل قولي ولولو[١].

وظل هذا الطقس، حتى عهد قريب مزدهراً بين الشلك وهم إحدى القبائل النيلية التى تنحصر ديارها فى منطقة فاشودة على الشاطئ الغربى للنيل الأبيض وكانت ديارهم تمتد إلى منطقة اليس الكوة[٢].

ويدرك من رواية لبروس أن الفور، الذين عاصرت سلطنتهم مملكة الفونج أعتادوا قتل ملوكهم بموسيين أو بمنديل[٣]. ويخبرنا ناختيجال أن السلطان أبوالقاسم أحمد بكر قد قتل خنقاً بأمر من أخيه الملك تيراب بعد توصية من مجلسه أثر خلاف بينهما، على يد رجل يدعى «ويرا»[٤]، ومع أن ناختيجال يلاحظ أن حفدة «وير» هذا ظلوا يحتلون وظيفة كبير الجلادين حتى وقت زيارته إلى دارفور إلا أنه لم يعرف عنهم أنهم قتلوا أحدا إلا نادراً، ولا يشير إلى عادة القتل الطقسى، بين الفور وحقيقة الأمر فإن قتل أبى القاسم كان إجراء سياسياً بحتاً، كما أن محاولة ربط ماكمايكل قتل ملك العبدلاب إثر تحد من أحد أبناء عمومته بالقتل الطقسى فيه شيء من المبالغة[٥] وليس هناك ما يؤكد ما رواه ماكمايكل فيما كتب عن العبدلاب أو روى عنهم شفاهة[٦].

وبالرغم من أن معظم الأمثلة التى استأنسنا بها ترجح انتشار القتل الطقسى بين الشعوب التى جاورت الفونج فإنه ليس من بينهما ما يؤكد أن سلاطين سنار كانوا ملوكًا مقدسين أو أن قتلهم ذلك كان طقساً دينيا، إذ لم يرد فيما جاءنا ذكر لاغتيال من هذا القبيل.

(1) C.F Lepesius: Op. Cit., P. 202, 204.

(2) C.F.C.G. and Brenda Z.: Seligman: Pagan Tribes and the Nilotic Sudan, london 1965, PP. 90-91; Bruce,: Op. Cit., VI 370-71.

C. F. Y.F. Hassn: Umayyed Genealogy of the Fung, S.N.R. XIV, 1965, 27- 32.

B.A. Ogot: History of the Southern Lou, Vol. I, nairobi, 1967, PP.44- 45.

(٣)وانظر أيضـاً، C.F. Murry: Op. Cit., P. 425; Evans Prit- charb: Essays in Social Anthropology, London 1969, 82- 83; يوسف فضل: القتل الطقسي، ص٣٩.

(4) G. Nachtigal: Sahera and sudan, 1967, III,375.

(5) H. A. MacMichael: A history of the Arabs in the sudan, Vol, II, P. 335- 6.

(٦) أحمد عبدالرحيم نصر: (اعداد) تاريخ العبد لاب من خلال رواياتهم السماعية.

وإذا تم قتل على نحو معين كما جاء على لسان سيد القوم فإنه يقع لأسباب سياسية بحتة، غير أن هذا لا ينفى أن عملية القتل هذه ربما كان فيها بقية من أثر شلكاوى.

والاحتمال الأول يؤيده ما جاء على لسان بروس من أن الفونج قوم من الشلك وفدوا إلى الجزيرة فى عام ١٥٠٤م وبسطوا نفوذهم على تلك الديار بعد أن هزموا واليها العربى ود عجيب فى معركة أربجى[١]. ومع أن الباحثين لم يقطعوا بعد بصحة هذه النظرية فإنها تجد تأييد من بعض الروايات الوطنية المنتشرة عند سكان جبل قولى – أحد الجبال التى أمتد إليها نفوذ الفونج وتقع جنوب سنار – كما تربط بعض أشجار النسب بين أصل الفونج والدنيكا والشلك إذ تروى أنهم أبناء دوكة أو أمهم لولة، ابن حسن الهلال الجهنى وهو ابن أمة سوداء[٢].

والاحتمال الثانى يرجح أن الأثر الشلكاوى وصل عن طريق منطقة فازوغلى التى يرجح كروفورد أن سكانها من أصل شلكاوى. ودليله على ذلك انتشار مقطعى «با» و«فا» فى أسماء القرى الشلكاوية وقرى منطقة فازوغلى ووقوع نفس الأسماء فى المنطقتين[٣]. ولعل هذا قد حدث نتيجة هجرة أو تعرض منطقة فازوغلى لبعض الغارات الشلكاوية ومن ثم حدث التأثر[٤].

وقد حاول بعض الباحثين أن يربط بين كلمتى القوم أو الـ EL Coom كما يرسمها بروس Koom, Kwom الشلكاوية ومعناها مقعد خشبى ذو ستة أرجل. ولما لم يكن من عادة الشلك الجلوس على المقاعد فإن المقعد الوحيد الذى اشتهر عندهم هو مقعد جدهم الملك نيكانج الذى ظل يتوارثه خلفاؤه من بعده، ومن ثم صار هذا المقعد أو ما هو فى هيئته من شارات السلطنة عند تلك القبيلة[٥]. ويؤكد أركل الذى توفرت

---

(1) C.F. Bruce:Op. Cit., VI, 370- 71.

(٢) شجرة نسب النورعنقرة، ص٥٦٦؛ وشجرة نسب الجليلاب، ص٤٣٦.

C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. II, P. 27 and Tree Opposite, P. 115.

يوسف فضل: القتل الطقسى، ص٤٠.

(٣) يوسف فضل: ص٤١. C.F. Bruce:Op. Cit., VI, 373.

(4) C.F. Crawford:Op. Cit., 323, and foot not. No. 1,

يوسف فضل: ص٤١.

(5) C.F.: G.W.B. Huntngford: Review of Crawford's book, Bulletin of school of Orlental and African studies XV, 1953, P. 621.

له مشاهدة أنماط مختلفة من هذه المقاعد أن مقعد الشلك هذا يتفق فى شكله والككر هو من شارات الملك عند الفونج إذ أنه بمثابة كرسى العرش بل لا تتم احتفالات التتويج دون أن يجلس ملك الشلك أو الفونج على المقعد المعنى. وتزعم إحدى الروايات الشلكاوية أن ككر الفونج قد سرق من الشلك قبل أن يتمكنوا من طرد الفونج من ديارهم الأولى[١].

وحتى كلمة ككر فيما يرجع بعض الباحثين تتكون من مقطعين شلكاويين Kur, Ka أى «مكان السلطة» ومن ثم فإن مدلول الككر والكوم واحد فى لغة الشلك أو قل إنه فى الكلمة الأولى تتجسم الفكرة المعنوية للوظيفة الثانية[٢]. ومع أننا لا نعرف الأسباب التى حدت بالفونج ليفضلوا ألفاظاً على أخرى فإن أركل يرى أن «القوم» ليست إلا تحريفا «للكوم» الذى ورثه الفونج عن الشلك. ولما تمت الغلبة للغة العربية على لغة الفونج أيا كان أصلها، حورت الكلمة الأصلية إلى أقربها صوتاً فى العربية، ومن ثم صار مدلولها جديداً فبدلا من سيد أو حارس مقعد الملك صارت تعنى رئيس الخدم أو مدير شئون القصر الملكى[٣].

وربما كان فى هذا التفسير ما يرجح أن الفونج من أصل شلكاوى، وأن طقس قتل الملك من العلامات المميزة لهم. ولكن ينتقص من هذا التفسير حقيقتان هامتان أولاهما أن بروس يخلط بين سيد القوم والجندى، مع أن لهاتين الكلمتين مدلولات مختلفة فى المصادر الوطنية.

يخبرنا بروس فى أول ذكره لأحمد القوم أنه هو الذى أطلعه على تاريخ ملوك الفونج، وأن أحمد من أقرباء الملك وأن موطنه الأصلى فى فازوغلى وأنه يعمل مديراً لشئون القصر وأن من واجبه قتل الملك على نحو معلوم إذا أمر بذلك. وقد توطدت الصلة بين بروس وأحمد حتى صارا صديقين حميمين، ويصف بروس أحمد، برغم

---

(1) C.F. Westermann, Op. Cit., XXX III, P. 293,A.J. Arkell: Fung Origins, S.N.R. XV, 1922,P. 228.

(2) C.F. Arkell: Op. cit., S.N.R. XV, P. 230. Westermann,: Op. Cit., P. 261- 264.

(3) C.F. Arkell: Op. Cit., S.N.R. XV,P. 230.

يوسف فضل: القتل الطقسى، ص٤٢.

فظاعة عمله، بأنه من أرق من لقى فى سنار[١].

ولما كانت وظيفة سيد القوم ذات دلالات مختلفة فلابد من الوقوف عندها قليلا. فسيد القوم تعنى فى العربية الفصحى سيدهم أو رئيسهم، وهو وصف عام ولا يعنى بالضرورة الإشارة إلى وظيفة أو منصب خاص، وتستعمل كلمة القوم فى طبقات الأولياء بما فيها طبقات ود ضيف الله[٢] وفى العربية السودانية للدلالة على رجال الطرق الصوفية.

ويبدو أن لفظ «سيد القوم» لا يختلف كثيراً فى معناه عن «عقيد القوم» أو قايد القوم وهما أكثر التعابير استعمالا فيما وصلنا من الروايات السماعية التى نوهت بها من قبل للدلالة على رئيس الفرقة من المقاتلين[٣].

وقد جاء ذكر هذا اللقب فى ثمانية مواضع من وثائق الفونج والأرض، وتنفرد هذه الوثائق بالإشارة إلى سيد القوم دون سائر وثائق الفونج التى نشرها كل من أبو سليم وهولت[٤]، ويلاحظ أن هذا اللقب يأتى فى مقدمة من يشهدون على تلك الوثائق، وأحيانا تشمل الوثيقة الواحدة اسم أكثر من شخص ممن يحملون نفس اللقب[٥].

---

(1) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 272, 275.

انظر مدلولات الألفاظ لسيد القوم فى:

Ibid, VI, 372,403, 405, Murray: Op. Cit., P. 425.

(٢) ود ضيف الله: الطبقات، ص٣٢٢؛

S. Hillelson: Sudanese Arabic texts, Cambridge 193, 89, 157.

(٣) عبدالله على إبراهيم، وأحمد عبدالرحيم نصر: من أدب الرياطاب الشعبى، ص١٤، حاشية(١)؛ انظر: تاريخ العبدلاب ص٥٦؛ تاريخ العبد لاب من خلال رواياتهم السماعية، ص ص ٥٦، ٥٧؛ يوسف فضل: القتل الطقسى، ص٤٤، وأيضاً انظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص٤٤، ٢٩٥؛ الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل، ص٨٠، حاشية (٣٥).

(٤) أنظر أيضاً: محمد إبراهيم أبوسليم: وثائق الفونج والأرض، ٧٣، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٨، ٩٩– ١٠٠، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣.
وأنظر أيضاً: مخطوطة كاتب الشونة، ص٣٠.

(٥) أبوسليم: الفونج والأرض ص ٥١، ٧٦، ٨٠، ٩٩، ١٢٦، ١٣٣؛ P.M. Holt: Four Fung Land- Charters, S.N.R. 1, 1969, 2- 14.

وختاماً يتضح من هذه الدراسة ربما كان لأسطورة القتل الطقسى نصيب من الحقيقة، رغم ما يكتنف ذلك من غموض، ولكن انتشار التعاليم الإسلامية وغلبتها على مجتمع الفونج أضعف من غلواء ما تبقى من أثر لذلك الطقس. فإذا حدث ثم قتل فهو لا يخلو من أن يكون إجراء سياسياً يشمل الملك ومن ينافسونه على العرش من الأمراء ويعتقد أن الجلاد الملكى هو الجندى وليس سيد القوم.

الفصل السادس

النتائج الثقافية
لسقوط ممالك النوبة

أولا: العوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية

- انتشار الدعوة إلى الإسلام
- انتشار القبائل العربية واستقرارها، وأثر ذلك فى لهجات السودان.
- العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى.

ثانيا: أشهر المراكز الثقافية فى السودان وإسهامها فى الإنتاج العلمى.

ثالثا: إسهام هذه المدارس فى الإنتاج الثقافى

أما عن النتائج الثقافية لسقوط ممالك النوبة المسيحية، فقد ظهرت بصورة جلية منذ أواخر القرن الرابع عشر أو فى القرن الخامس عشر على أثر قيام المشيخات الإسلامية فى حوض النيل الأوسط، ومن ثم تركزت الهجرات العربية فى إستيطانها بعد المشوار الطويل من تنقلها صوب الجنوب، والجنوب الغربى، والجنوب الشرقى. فقد كان لهذين الحادثين الكبيرين: أعنى تشكيل السلطنات الكبرى، وتوزيع القبائل على السودان الشمالى كله، آثار عميقة فى المجتمعات السودانية، وفى نشر الثقافة العربية والإسلامية.

وسوف نستعرض العوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية من:

أ- انتشار الدعوة إلى الإسلام.

ب- انتشار القبائل العربية واستقرارها وأثر ذلك فى لهجات السودان.

جـ- العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى.

ثم نتتبع أشهر المراكز الثقافية فى السودان، وإسهامها فى الإنتاج العلمى، وأخيراً نركز على مدى إسهام هذه المدارس فى الإنتاج الثقافى.

أولا: العوامل المؤثر فى الحياة الثقافية:

- انتشار الدعوة إلى الإسلام.

تسربت بواكير الدعوة الإسلامية إلى الجزء الشمالى من سودان وادى النيل أو السودان الشرقى منذ أواسط القرن السابع الميلادى على يد التجار المسلمين والمهاجرين العرب(١). وقد بلغت هذه الهجرة ذروتها عندما اشتركت بعض هذه القبائل العربية فى الحملات المملوكية ضد بلاد النوبة المسيحية(٢): كما تبعتها هجرات أخرى بعد اضمحلال نفوذ ملوك النوبة السياسى فى أواسط القرن الرابع عشر(٣) لقد

(١) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ص١٦٩، ١٧٠؛ الكندى: الولاة ص١٢، البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١، ص ص٢٣٦، ٢٣٧؛ المقريزى: الخطط، جـ١، ص٢٩٩، المؤلف نفسه: البيان والاعراب، ص ٤٣ وما بعدها؛ وأنظر عن الهجرة العربية إلى بلاد النوبة فى مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨ وما بعدها؛

C.F. : MacMichael: A history of the Arbas in ths Sudan, Vo1. 1. P.3.

(٢) انظر: ابن ايبك: كنز الدرر، جـ٨، ص١٩٨؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، مخطوط رقم ٣٩٦ تاريخ بدار الكتب، جـ٢٩، ص١٢٨؛ ابن خلدون: العبر جـ٥، ص٨٦٢، المقريزى: الخطط، جـ١١، ص,٢٠٢

(٣)النويرى: نهاية الارب، جـ٣٠، ورقة ٩٥؛ C.F.: J. Cuoq: Op. Cit., P.82- 83, Y.F. Hasan: OP. Cit., P. 125

جاءت هذه الجماعات العربية بثقافتها ولهجاتها المتعددة[١]. مع الاستقرار السياسى المتمثل فى الوحدة السياسية بين الفونج والعبدلاب[٢]، مهد كل ذلك لانتشار الإسلام والثقافة العربية بطريقة أعمق وأشمل مما كان عليه الحال من قبل.

وحتى عند قيام مملكة الفونج كان انتشار الدعوة الإسلامية لا تعدو أن تكون اسمية، وفى مرحلتها الأولى؛ فقد اهتم الدعاة، وجلهم من البدو والتجار، وهم ممن تنقصهم الثقافة الدينية العميقة بالإسلام، لكسب المسيحيين والوثنيين مركزين على السمات العامة للدين دون التفاصيل العميقة. وقد شارك هاتان الفئتان بعض العلماء الذين أسهموا فى بث تعاليم الإسلام وتعميق مفاهيمه. ولعل أول هؤلاء العلماء هو الشيخ غلام الله ابن عائد اليمنى[٣]؛ وقد قدم من الحليلة باليمن إلى دنقلا فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر[٤]؛ وتخبرنا إحدى كتب النسب السودانية أنه قرر السكن بها: «لأنها كانت فى غاية من الحيرة الشديدة والضلالة لعدم وجود القرآن والعلماء بها». فلما حل فيها عمر المساجد وقرأ القرآن وعلم العلوم مباشرة لأولاده وتلامذته ولأولاد المسلمين[٥].

ونجد أن حالة التيه والضلال التى أشار إليها غلام الله بن عائد تتفق مع ما ذكره يوحنا السورى عند وصفه لنهاية المسيحية فى مملكة علوة من أن سكانها «ليسوا بمسيحيين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤملون أن يظلوا مسيحيين[٦]»، وفى وصف

(١) مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة: ١٨، ١٩. Misc 1/15/191

(٢) انظر مخطوط: واضح البيان فى تاريخ العبد لاب. ١– ٣.

(٣) تزوج من الدناقله، وقد لعب حفدته أبناء ركاب ورباط دوراً فى نشر التعاليم الاسلامية، C.F. MacMichael: Op. Cit.., Vol. 2, PP. 32-33. Misc 1/18/198. وانظر ايضاً: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٩ رايضا غلام الله بن عائد ونريته فى: MacMichael:PP. Cit., Vol. l, P. 333. ويرجع انهم اشراف حسينيه وبهذا النسب اشتهروا عند كثير من السودانيين، ولعل مارجحه صاحب الطبقات يوحي بان عنصراً من جهينة قد أختلط بالنسب الآخر. الطبقات، ص١٠٤. C. F. : C. H. Armbruster: Dongolese Nubian: Alexicon, Cambridge, 1965, P. 15.

(٤) نسب النور عنقرة، وملف ماكمايكل، صفحات ٤٥٩، ٥٧٦، دار الوثائق المركزية، ص ٥٧٣، أو MacMichael, Vol. II, BA, 16- 59.

(5) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 35.

(6) C.F.: Al Varez: Narrative of the Partuguses Embassy to Abyssinia, 1520- 27, Transl. By Stanley, London 1881, P. 352, Trimingham: Op. Cit., P. 77.

يوحنا هذا ما يشف عن بوادر التعطش الدينى أو الجدب الروحى الذى ألم بالمسيحيين بعد أن تدهورت الكنيسة[١]. وقد ملئ هذا الفراغ الروحى إلى حد كبير بانتشار الإسلام بين كثير من الوطنيين[٢].

إن مجهودات طلائع العلماء والمتصوفين مثل غلام الله بن عائد وحمد أبو دنانة زادت من انتشار الدعوة الإسلامية فى مرحلتها الأولى؛ وهذا ما يؤكده ود ضيف الله عندما تسلم الفونج زمام الأمر: «أعلم أن الفنج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر.. ولم يشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن... حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر، وعلم الناس العدة[٣]».

حيث أن قدوم محمود العركى من مصر وإنشائه سبع عشرة مدرسة[٤] ما بين الخرطوم وأليس، ليدرس فيها علوم القرآن قبل أن يأتى إبراهيم بن جابر[٥]، لدليل على كثرة طلاب العلم وإقبالهم المتزايد عليه. فلم يكن من الممكن أن يفعل ذلك إلا عندما وجد أن هناك إقبالا ورغبة من طلاب العلم.

---

(1) Y.F. Hasan: External Islamic influences and the Progress of Islamzation in the Eastern Sudan, PP. 74- 75, Cuoq: Op. Cit., PP. 23- 24.

(٢) يوسف فضل حسن: بواكير الدعوة الاسلامية (الطبقات) ص٣.

(٣) جاء فى ترجمة: محمد العركى: راجل القصير، مولده بالأبيض. وطلب إلى مصر فأخذ عن الناصر اللقانى، وشمس الدين اللقانى؛ هو أول من أمر الناس بالعدة، وكانت المرأة قبله يطلقها زوجها ويزوجوها فى يومها أو ثانية. وسكن فى جزيرة الهوى فى بحر أبيض. وبنى له قصرا الآن يعرف بقصر محمود وهو بين الحسانية وأليس. وقدومه قبل اولاد جابر. ونسبه إلى بنى عرك، وفزع من جهينة والمقصود برجل القصير الذى بناه بالقرب من القطنية شمال القبوب، وجلوب قبة الشيخ عوض السيد اى النيل الابيض. انظر: محمد النورين ضيف الله: كتاب الطبقات فى خصوص الاولياء والصالحين والعلماء فى السودان. تحقيق يوسف فضل، ط الثانية، دار جامعة الخرطوم للنشر١٩٨٥م، ص٤٠ مخطوط: تاريخ مختص بارض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم Misc. 1/ 15/ 191. ص١٥، ١٧؛ مخطوطة كاتب الشونة: تحقيق الشاطر بصيلى، ص١٢٤؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ص ٥٩؛ محمد سليمان: دور الازهر فى السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، ص٢٦؛ حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية جـ١، ص٣٧٠.

(٤) هذا يؤكد أن حالة عدم المعرفة التى اشار إليها ود ضيف الله كانت قاصرة على جهة معينة دون أخرى، انظر: الطبقات:، ص٥٠، ١٤٩، مخطوط كاتب الشونة، ص١٢٤، مخطوط: مختص بأرض النوبة، ص١٦، ١٧؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية ص٥٩؛ محمد سليمان: دور الأزهر، ص٢٦؛ حسن محمود: الاسلام، جـ١ ص٣٧٠.

(٥) انظر: الطبقات، ص٣٤٤، حسن محمود: مرجع سابق، جـ١، ص٣٧٠.

ثم أنه ما كان ليستطيع أن يباشر التدريس فى كل هذه المدارس بنفسه دون أن يكون هناك آخرون يساعدونه فى مهمة التعليم؛ أضف إلى ذلك أن تدريس العلم لطلابه بجانب القرآن – كما أشار إليه أكثر الباحثين[١] – لهو دليل آخر على أن ثمة محاولات قد سبقته لتعليم هؤلاء القراءة والكتابة، حتى إذا وفد من مصر وجدهم فى حالة تمكنهم من استيعاب العلم فقها أو نحوا أو عقيدة؛ ولو اعتبرنا البولاد والعركى[٢] من الرعيل الأوائل الذين رحلوا للأزهر طلبا للعلم فمن المحتمل أن يكون قد سبق ذلك مبادئ القراءة والكتابة فى مدارس النوبة[٣]؛ كذلك من الذين أثروا الدعوة الإسلامية فى مراحلها الأولى الفقيه حامد بن عمر بن بلال[٤]، (المشهور بأبى عصا)، الذى ولد فى سقادى[٥]، وقد حفظ القرآن على والده، ثم هاجر إلى سنار وهناك درس الفقه لتلاميذه، فى خلوات تضم الآلاف[٦]؛ معنى هذا أن منطقة سنار قد شهدت حركة فكرية متمثلة فى مدارس العلم، وذلك قبل ظهور الفونج بزمن طويل.

وهناك أسرة أشتهر معظم أفرادها بالعلم وهى التى تنسب إلى صغيرون «وسمى صغيرون فإن أولاد أخواله أولاد جابر يقولون له محمد الصغير فغلب عليه صغيرون».

---

(١) عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ص ص ٥٩، ٦٠؛ حسن الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الخرطوم، سنة ١٩٦٥م، ص٤٨٠؛ ويلاحظ ان جهل الناس بالعدة التى جاء بها ود ضيف الله ليس كافيا للتدليل على عدم وجود مدارس علم وقرآن، والرد على ذلك هو ما نشرناه سابقا من عقود زواج ومطالبة بالنفقة، هذا مع الاعتبار أن هناك أماكن كانت لازالت تمارس بعض المظاهر الوثنية. انظر: عقد زواج كلتزى: متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم ٤٢٢٢؛ الطبقات، ص٤٠؛ الشاطر بصيلى: تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط، ص٢٢١.

(٢) الطبقات، ص ص٤٠، ٤١؛ واضح البيان، ص ص ٢، ٣.

(٣) انظر: المدارس الثقافية فى النوبة، خريطة شكل رقم (١٨) بملحق الدراسة.

(٤) حامد بن عمر بلال البادرابى، وينسبه ماكمايكل إلى البوادرة، واستبعد ذلك لان البوادرة من أبناء بشير بن ذبيان وهم من المجموعة الجهينة، وقد اشتهرت هذه الاسرة بنسبتها إلى الجعليين وربما اشارت هذه النسبة إلى أن أمهم من المجموعة الجعلية إلا أن الصديق حضرة يذكر: أن أمه هى الشريفة حليمة بنت الشريف حمد أبو دنانة الذى مات فى أبو دليق. وإلى أبيه عمر تنتسب أسرة العمراب المشهورة. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 292. الصديق حضرة: ص٤٩٤.

(٥) المشهوران الشيخ حامد ولد بسقادى شرق وهى قرية من قرى الجعليين على بعد كيلومتر جنوب محطة المحمية وتقع على خط عرض ١٧,٠٦ْ شمال وخط طول ٣٣,٤٠ْ شرق ويسكنها فادنية ومغاربة انظر: الطبقات ص١٤٨.

(٦) الطبقات، ص١٤٨، يحى محمد ابراهيم: تاريخ التعليم الدينى فى السودان، بيروت، ط الاولى ١٩٨٧، ص ٢٩.

ولد رحمة الله بجزيرة ترنج من دار الشايقية. وكان رضى الله عنه ممن جمع بين العلم والعمل والفقه والتصوف وقرأ على خاله الشيخ إسماعيل بن جابر وأجاز له بالتدريس. ورحل الشيخ محمد البنوفرى[١] وقرأ عليه شيئا من خليل[٢]. وقال محمد: «هذا يصلح للتدريس فجعل الله البركة فيه[٣]».

ومن الدعاة الأوائل الذين عملوا على نشر التعاليم الإسلامية بسودان وادى النيل الشيخين البندارى[٤]، وحمد بن زروق[٥] اللذان ظهرا قبل قيام مملكة الفونج، فقد كان للشيخ البندارى مكتب بالقرب من الحلفاية، وللشيخ حمد مدرسة أو مكتب فى الصبابى ومن تلاميذ الشيخ البندارى الذى تعلم على يديه، والشيخ إدريس ود الأرباب[٦]، ثم تتلمذ على يد الشيخ رزوق. وهذا يوضح تأثيرهما فى نشر تعاليم الإسلام فى سودان وادى النيل.

لقد أثمرت الدعوة الإسلامية فى خلق جيل من العلماء ظهر مع بداية عصر الفونج، إذ يشير ود ضيف الله إلى أن إبراهيم البولاد بن جابر[٧] «دخل إلى مصر

(١) من المعروف ان محمد البنوفرى من أجلة فقهاء مصر، وممن أشتهروا بالزهد والورع وأخذ عنه الناصر اللقانى والتاجورى وغيرهما وانفرد برئاسة المذهب المالكى، وقد توفى نحو سنة ٨٩٨هـ/ ١٥٩٠م وقد تتلمذ عليه كلا من الأجهورى السنهورى. ابن بابا: كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة ١٣٥١، ص٣٤٠.

(٢) هو خليل بن إسحاق بن موسى شعيب المعروف بالجندى من كبار علماء المذهب المالكى بمصر وكان ممن جمع بين العلم والعمل وقد ألف مختصرا فى المذهب المالكى اعتمد فيه على شرح «جامع الأمهات» لابن الحاجب، وتوفى فى ربيع الأول ٧٧٦/أغسطس ١٣٧٤م انظر ابن بابا، مصدر سابق، ١١٢ – ١١٤.

(٣) انظر: الطبقات: ص ص١٤٨، ١٤٩. C.F.: Y.F. Hasan: Islamic external influences, P.76.

(٤) يذكر كاتب الشونة: «والشيخ البندارى الذى يقرأ عليه القرآن أصله من الشام، وكان من الصالحين، حتى قال لوالد الشيخ إدريس ابنك هذا يظهر له شأن عظيم وقد حصل وكل هذا قبل قدوم محمود، وكذلك الشيخ أحمد ولد زروق قدم من اليمن وهو شريف من أهالى حضرموت، وكان فى مدة الشيخ البندارى شيخ الشيخ إدريس فى المكتب وبينهما مودة وإخاء. انظر مخطوطة كاتب الشونة، الملحق الأول، ص١٢٤، الطبقات، ص٥٠، ١٤٩.

(٥) المكتب: عرف منذ القرون الإسلامية الأولى بأنه مكان يتعلم فيه الصبية مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وفى بعضها تعلم اللغة والنحو ويبدو أن كلمة مكتب فى الطبقات للدلالة على مكان تعليم القرآن فقط وكلمتى خلوة ومسجد أكثر استعمالا فى هذا الشأن انظر عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية، جـ١، ص٧١، ٧٢، الطبقات، ص٥٠.

(٦) الطبقات، ص٥٠، ٥١.

(٧) هو إبراهيم بن جابر بن عون بن سليم بن رياط بن غلام الله والد السادة الركابية.

C.F. MacMichael: Op. Cit.., Vol. 2, PP.32-33,

P.M. Holt: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanese religious notables, B.S.O.A.S. XXX, 1967, P.142-157.

وتفقه بسيدى الشيخ محمد البدوفرى، وأخذ عليه الفقه والأصول والنحو، ثم رحل إلى ترنج[١]، ودرس فيها (خليل)[٢] و(الرسالة)[٣]... ومدرسته فى خليل سبع ختمات، وعلم فيها أربعين إنساناً[٤].

والواضح أن بلاد الشايقية[٥]، كان فيها علماء مؤهلون لدراسة كتب الفقه حيث كانت منطقة ازدهار، واستقرار فى عهد الممالك الإسلامية[٦].

وأخيراً يفيض كتاب الطبقات في ذكر مؤلفات، وشروح تدل كثرتها وبعض نصوصها على أن هناك فئة كبيرة من العلماء كانت على دراية تامة بأصول الدعوة الإسلامية، ونشر العقيدة الصحيحة[٧].

- انتشار القبائل العربية واستقرارها، وأثر ذلك فى لهجات السودان:

سبق أن عرضنا لهجرة القبائل العربية واستيطانها في سودان وادى النيل[٨] وقد اختلطت الجماعات بعضها ببعض اختلاطا كان يغذيه وصول القبائل العربية

---

(١) ترنج: أوترج كما تنطق تقع على خطى ٤٠, ١٨° شمال و٥٦, ٣١° شرق وتبعد مسافة خمسة أميال شمال نورى. انظر حاشية كتاب الطبقات رقم (٦)، ص٤٥.

(٢) سبق التعريف بها ص ٣٢٧، حاشية (٢).

(٣) الرسالة: هى رسالة ابن أبى زيد القيروانى وهو عبدالله أبو محمد بن أبى زيد التغزى القيروانى. سكن القيروان وكان من أشهر أئمة المالكية في زمانه، وهو الذى جمع المذهب المالكي وشرحه ولخصه وقد أخذ عنه كثيرون، وله مؤلفات على المذهب المالكي وشرحه ولخصه وقد أخذ عنه كثيرون، وله مؤلفات على المذهب المالكى منها كتاب «النوادر والزيارات على المدونة»، و«مختصر المدونة» و«كتاب تهذيب العتبية»، و«كتاب عن مذهب مالك»، و«كتاب المعرفة واليقين»، و«كتاب الرسالة»، انظر ابن فرحون: الديباج المذهب ١٣٥١هـ، ص١٣٦-١٣٨.

(٤) الطبقات، ص٤٥.

(٥) هى المنطقة الواقعة بين كريمة والدبة على شاطئ النيل وتسكنها قبائل الشايقية التى تكون جزءا من مجموعة القبائل الجعلية والتى ترجع بنسبها إلى العباس عم النبى صلعم C.F. MacMichael: Op. Cit.., Vol. 2, PP. 213-215. مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ص٢٠، ٢١، Y.F. Hasan: Influences, P.76; C.F: Holt: A Modern history of the Sudan from the Fung

(6) C.F: Holt: A Modern history of the Sudan from the Fung Sultanate to present day, P.6.

عوض عبدالهادى: الشايقية، ص٩:

(٧) انظر: الطبقات، ص٤١، بواكير الدعوة (الطبقات)، ص ص٤، ٥.

(٨) انظر: ما سبق ذكره فى الفصل الخامس التكوين الاجتماعى لسودان وادى النيل.

وسكانها بين النوبيين والبجة حينا بعد حين. وكانت هذه القبائل تحمل معها لغات ولهجات، عربية[١] . أثرت في انتشار العروبة وقد قسمها الدكتور محمد عوض إلى ثلاثة أقسام:

أولا : جماعات أعتنقت الإسلام، واتصلت بالنسب العربى اتصالا وثيقا ولكنها احتفظت بلغتها الأصلية، بعد أن دخلتها ألفاظ ومفردات وتراكيب عربية كثيرة، وهؤلاء هم النوبة والبجة، وسكان الجبال فى دارفور، ومع ذلك فمن الثابت أن السلالة العربية قد تغلغت فيها. وقد كان من سياسة بعض العرب، حبًا فى سهولة نشر الإسلام أن يتعلموا لغة البجة مثلا حتى يخالطوا السكان بسرعة ويؤثروا فيهم.

ثانيا : جماعات ظهرت فيها الثقافة والدماء العربية بجانب ثقافتها القديمة ونسبها الأول، مثل العبابدة وينسبونهم إلى البجة والمحس سكان جزيرة تونى والنيل الازرق. فهؤلاء لم يبق لهم من نسبهم القديم سوى الاسم، وقد زالت لغتهم القديمة فلم يبق لها أثراً.

ثالثا : الجماعات العربية التى تسودها الدماء العربية والإسلام واللغة العربية والتى ليس لها نسب آخر أو ثقافة أخرى، وهذه هى الجماعات الأكثر عدداً والتى يغلب انتشارها فى سودان وادى النيل[٢] .

وليس فى السودان جماعة اقتبست اللغة العربية وحدها، ولم تعتنق الإسلام، كما هو الحال فى مصر، بل الإسلام هو الظاهرة الثقافية الأولى التى كان لها أوسع الانتشار، وإليها يرجع الفضل فى توحيد العناصر وامتزاجها.

- العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى:

- أثر مصر.. الأزهر ودوره الثقافى فى سودان وادى النيل:

تعتبر مصر فى عصر المماليك أعظم البلاد قاطبة، نستدل على ذلك بقول ابن خلدون: «ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر؛ فهى أم العالم، وإيوان الإسلام،

---

(١) انظر: مصطفى مسعد: بعض معالم الدعوة الإسلامية فى السودان، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ، ٩٨٠، ص٤٠١، عبدالمجيد عابدين: الثقافة العربية، ص١١ (اللهجات العربية فى السودانية) .

(٢) محمد عوض: السودان ووادى النيل، القاهرة ١٩٥١م. ص ص٢٩، ٣٠؛ انظر: الخريطة بملحق الدراسة، شكل رقم (١٧) عن لهجات السودان. ومن اللهجات العربية واختلافها. انظر عبدالمجيد عابدين: الثقافة، ص١٨ وما بعدها.

وينبوع العلم والصنائع[١]، فقد أصبحت مقصد العلماء المسلمين من كل مكان، يأتونها ليجدوا فى رحابها الانفتاح الثقافى[٢]. فكانت القاهرة مركز الإشعاع العلمى والثقافى فى العالم الإسلامى كله زمن المماليك حيث تدرس بها سائر العلوم الدينية واللغوية[٣].

وكان الأزهر الشريف يمثل ركناً هاماً فى نشر الثقافة الإسلامية[٤] فى عصر سلاطين المماليك[٥] إذ كان مركزاً لدراسة شتى أنواع العلوم من الحديث والفقه والتفسير والنحو، بل كان مقراً دائما لتلاوة القرآن وتلقينه إلى جانب أنه كان داراً للتصوف[٦] وكدليل على مدى حرص مصر فى احتضان أبناء سودان وادى النيل

---

(١) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص٤٥٣.

(٢) عن علماء مصر فى العلوم العقلية انظر: التيفاشي: أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن وآخرون، الهيئة المصرية ١٩٧٧، ابن أبى حزم، الملقب بابن النفيس المصرى (٦٠٧ - ٦٨٧هـ/ ١٢١٠ - ١٢٧٨م) انظر: - La découverte de la, circulation: Meyerholf Pulmonaire par Ibnan Bafis. Médecin Arabe du Caire, XIIIéne siécle, 1931.

Ency. of Isl. (art Ibn - Nafis); 2éd. t.3,P.897 - 898.

عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، الانجلو ١٩٨٨م، ص٣٠٥.

(٣) انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون، استنبول ١٣٦٠هـ، ص١٦٧، ٢٣٠؛ الطالع السعيد، المقدمة، ص ن، غ؛ ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، جـ٢٥، ص٣٤؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص١٩٨؛ الأزهر تاريخه وتطويره، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٠٩، ١١٢؛ محمد كمال السيد محمد: الأزهر جامعا وجامعة، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦، ص٤٤٨؛ عبدالمنعم ماجد، التاريخ السياسى، ٣٠٣ وما بعدها، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ٩٣.

(٤) أتخذ الفاطميين من الجامع الأزهر منبراً للدعوة الشيعية فى مصر منذ عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٥٨ - ٣٦٥هـ/ ٩٦٩ - ٩٧٥م وفى العصر الأيوبى تغيير نظم الدراسة فى مساجد مصر رغبة فى أن يعاد للفكر السنى نشاطه وقوته فقد أسس أربع مدارس لدراسة الفقه على مذهب أهل السنة، وفى العصر المملوكى أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة، وشجع الدراسة بالجامع الأزهر وبنى سلاطين المماليك مجموعة من المدارس ألحقوها بالأزهر، لذا أصبحت مكانة الجامع الأزهر عظيمة فى أرجاء العالم الإسلامى. انظر: المقريزى: الخطط، جـ١، ص٢٠٥؛ الأزهر تاريخه وتطويره، ص١٠٩؛ عبدالمنعم خفاجي: الأزهر فى ألف عام، المطبعة المنيرية بالأزهر، ط الأولى، ١٣٧٤ هـ، ص٧٤.

(٥) انظر: زينب أحمد على هاشم: علاقة مصر بالدول الإسلامية فى حوض نهر النيجر فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ماجستير معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م ص١٣٦؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٦٩.

(٦) زينب أحمد هاشم: مرجع سابق، ص١٣٦.

نجد أنه قد خصص فى الجامع الأزهر رواق لطلبة سنار عرف برواق السنارية[١]، ورواق لطلبة دارفور[٢]، وهذا يعطينا دليلاً على كثرة عدد الطلاب الوافدين من سودان وادى النيل.

ومن الرواد السودانيين الذين وفدوا إلى مصر للدراسة فى الأزهر كما تصوره كتب الطبقات الشيخ محمود العركى[٣]، الذى تتلمذ على يد الشيخين شمس الدين اللقانى، وناصر الدين اللقانى فيما بين ٩٣٥ - ٩٤٠هـ/١٥٢٩- ١٥٣٤م، وهما من شيوخ المالكية المعروفين آنذاك[٤].

ثم اشتد وفود العلماء من مصر فى النصف الثانى من القرن العاشر. بعد أن توطنت دولة الفونج وبسطت ظلها على السودان وظهرت مكانة سنار بين عواصم الإسلام[٥]. وتعدد كتب الطبقات أسماء الوافدين وتعرض لإنتاجهم وتتحدث عن أثرهم فى ميدان الثقافة. ومنهم الشيخ إبراهيم البولاد[٦] بن جابر بن غلام الله بن عائد[٧] حيث رحل إلى مصر وتفقه على يد الشيخ محمد البنوفرى (ت١٥٩٠م)، إمام المذهب المالكى فى القاهرة. فلما فرغ من دراسته عاد لوطنه وأدخل تدريس كتابى: «رسالة ابن أبى زيد القيروانى» و«مختصر خليل بن إسحاق» فى مملكة الفونج. وتدفق الطلبة عليه وعلى إخوته إسماعيل وعبدالرحمن وعبدالرحيم من بعده[٨].

(١) حسن محمود: مرجع سابق، ص ص٣٦٩، ٣٧٠؛ محمد محمد أمين: العلاقات، ص٦٤؛ حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص٢٢٨؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص٩٧ وما بعدها.

(٢) يحيى محمد ابراهيم: تاريخ التعليم الدينى فى السودان؛ بيروت، بدون ص ٢٥٧ .

(٣) أنظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ص٣، ٤٠، ٣٤٤؛ مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ص١٦، ١٧؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٧٠.

(٤) الطبقات، ص ص٤٠، ١١٢؛ محمد محمد على: الشعر السودانى فى المعارك السياسية، المكتبة الأزهرية، ١٩٦٩، ص٢٤.

(٥) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٧٠.

(٦) البولاد: هو الفولاذ – وهى كلمة فارسية – وتغيير الفاء باء غالب فى اللغة انظر: الطبقات. حاشية (١١)، ص٤٦.

(7) C.F. MacMichael: Op. Cit.., Vol. 2, PP.32-33, P.M. Holt:OP. CIT., 142 - 157.

(٨) انظر: الطبقات، ص٤٥ – ٤٧ وما بعدها، يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص١١٩، وأيضا: نفس المؤلف.

External Influences, Sudan in Africa - 124.

وكان من تلاميذ الشيخ إبراهيم أخوه عبدالرحمن الذى وصف بالورع والتقى(١)، رحل إلى مصر طلبا للعلم(٢)، وتقابل في الأزهر مع الشيخ البنوفرى الذى منحه الإجازة كدليل على نبوغه العلمي، بحيث أنه عندما عاد إلى بلاده قام بإنشاء ثلاثة مساجد أحدهم في دار الشايقية والثانى كورتى(٣) والثالث فى الدفار(٤)، وكان يدرس فى كل مسجد أربعة شهور مقتديا فى ذلك التنقل بين مساجد العلم بأستاذه الشيخ محمد البنوفرى الذى كان يمضى أربعة شهور فى القاهرة، ومثلها فى الإسكندرية ثم الأربعة شهور الأخيرة يقضيها في الحجاز لأداء فريضة الحج(٥). ويروى أن الشيخ عبدالرحمن بن جابر درس مختصر خليل المالكى فى تلك المساجد أربعين مرة(٦).

وممن درسوا على الشيخ عبدالرحمن بن جابر الشيخ عبدالله العركى(٧)، والشيخ عبدالرحمن بن مشيخ النويرى(٨)، والشيخ يعقوب بن الشيخ بان النقا

(١) يقول صاحب كتاب الطبقات: «برع فى الفقه على أخيه إبراهيم البولادى وعلى سيدى محمد البنوفرى، وجلس للتدريس والفقه وساير الفنون بعد أخيه، وانتفعت به الناس وبلغت ختامته فى خليل اربعين ختمة، انظر الطبقات: ص٢٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥١.

(٣) بلدة على شاطئ النيل الغربى على بعد خمسة أميال جنوب الضيقة الحدود الشمالية لديار الشايقية (خطى ١٨,٠٧° شمال و٣٢,١٢° شرق) ومنها يسير الطريق التجارى عبر صحراء البويضة إلى قرى ويسكن حولها الديرية وبعض الحلقة. انظر: Crawford: Op. Cit., P.39.

(٤) الدفار تقع بين الدبه ومروى على بعد ١٤ ميل جنوب أبكر.

C.F: McaMichael: Op. Cit., Vol 2, PP.62, 64, 65, 70;

C.F. Linant de Bellefonds: Journal d'un Voyage a Méroe dans les années 1821.. et 1822, ed by M. Shinnie, Khartoum, 1958, P. 41.

(٥) الطبقات: ص٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، والصفة، Y.H.: Hasan: External influences, P. 124 FF.

(٧) ولد «بأبيض ديرى» وحفظ القرآن على أبيه، ثم سافر إلى دار الشايقية طلباً للعلم عند الشيخ عبدالرحمن جابر، وبعد سبع سنوات عاد إلى أهله الذين كانوا قد سكنوا غابة الهلالية، ومن ثم شرع فى التدريس وولاه الشيخ عجيب القضاء فباشر بعفة ونزاهة. ومن آثاره الفكرية «كبرى السنوسى» نظماً وكذلك نظم «المقدمات» انظر: الطبقات، ص٢٥١؛ واضح البيان «مخطوط» ص ص ٢، ٣؛ يوسف فضل: مقدمة، ص١١٩.

(٨) طلب العلم مع الشيخ عبدالله العركى على الشيخ عبدالرحمن بن جابر، وكان أحد تلامذته الأربعين الذين نالوا درجة القطبية، وتولى القضاء فى عهد الشيخ عجيب، واشتغل بالتدريس، الطبقات، ص ص٢٥٤، ٢٥٥، مخطوط واضح البيان، ص٣.

الضرير(١)، والمسلمي ولد أبوونيسة(٢)، والشيخ لقاني الحاج(٣)، والشيخ محمد بن عيسى سوارالذهب(٤)، وإبراهيم ولد رابعة(٥). فجلهم أصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان في العلم، ولهم مريدون في أنحاء شتى من أرض السودان(٦).

كما هاجر أخوه الشيخ إسماعيل بن جابر إلى الأزهر لمواصلة تعليمه الذى تلقاه على يد أخيه عبدالرحمن ودرس هناك أيضا على يد الشيخ البنوفرى، ثم عاد لوطنه كي يواصل رسالة أخوته وأسرته فى نشر العلوم الإسلامية بعد وفاة أخيه عبدالرحمن(٧).

هكذا قام أولاد جابر الأربعة وأحفادهم بدور كبير فى ارساء قواعد التعليم الدينى والفقه فى أجزاء متفرقة من السودان الشرقى(٨). وكانت أختهم فاطمة لا تقل عنهم درجة فى العلم والصلاح، ومنها انبثقت أسرة دينية أخرى لا تقل عن أولاد جابر شهرة، وهم الصغيروناب(٩) أحفاد أبنها محمد صغيرون بن سرحان الذى تفقه

(١) من أصحاب الكرامات، ومن تلاميذه الشيخ عبدالرحمن بن جابر، جمع بين علم الدين، وطريق الصوفية. انظر: الطبقات ص ص٢٥١، ٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) اسمه محمد وأبوه على الفقير وونيسه ابنته، وكان ممن جمع بين العلم والعمل تفقه على الشيخ عبدالرحمن بن جابر، وأذن له فى التدريس وإرشاد الناس. الطبقات، ص ص ٧٨، ٧٩، ٢٥١.

(٣) ذكره ود ضيف الله: «خال الشيخ حسن ولد حسونة. وكان ممن جمع بين العلم والعمل، تفقه على الشيخ عبدالرحمن بن جابر. الطبقات، ص ص ٢٥١، ٣١٦.

(٤) الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى المشهور بسوارالذهب، وأمه اسمها حقيقة. قرأ خليل على أبيه الشيخ عيسى فأخذ عنه ختمة تامة والثانية إلى الجنايز، وقرأ العقائد والمنطق وعلوم القرآن على المصرى. ثم انتشر علمه فى جزيرة الفنج. وممن أخذ عليه علم التوحيد الفقيه حسين أبو شعر شيخ أولاد برى. وممن أخذ عليه القرآن وأحكامه الشيخ عيسى ولد كنو وعبدالله الأغبش والد الغبش. الطبقات، ص٣٤٧.

(٥) نسبه إلى التكجاب، فرع من السعداب (أى جعليون) يسكنون جزيرة أم حراحر بين سلوه وأم طريفه، وقد منح الإجازة. انظر نصها فى كتاب الطبقات ص١٠٤، وانظر ص٢٥١.

(٦) الطبقات، ص٢٥١.

(7) C.F. P. M. Holt: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanesereligious notables, B.S.O.A.S., XXX, 1976, P. 142 - 157.

(٨) طبقات ود ضيف الله: ٤٥ -٤٧.

(٩) صغيرون «هو سيدى محمد بن سرحان العودى، وأمه فاطمة بنت جابر بن عون الله بن سليم بن رباط بن غلام الله، وقد سمى محمد الصغير وجمع بين العلم والتصوف، وقرأ الفقه على خاله الشيخ إسماعيل بن جابر وأجاز له بالتدريس، ورحل إلى الشيخ محمد البنوفرى وقرأ عليه شيئا من خليل. انظر كتاب الطبقات، ص ص١٣٤هـ، ٢٣٤، ٢٣٥.

على أخـواله. ثم درس على البنوفـرى. ورحل إلى ديار الجـعليين حـيث أسس فى الفجيجة الواقعة جنوب شندى مركزاً دينيا شبيهاً بمركز أخواله، وتحت قيادة ابنه وخليفته الشيخ الزين ازدهرت تلك المدرسة حتى طبقت شهرتها الآفاق(١).

ومن العلماء الذين واصلوا تعليمهم فى الأزهر الشريف الشيخ عبدالرحمن بن حمدتو(٢) الخطيب الذى تفقه على الشيخ البنوفرى فأجاز له بالتدريس(٣) وقد عاد لسودان وادى النيل لينشر علمه بين طلابه الذين نبغ منهم الشيخ عبدالله الأغبش عميد أسرة الغبش(٤).

ومن الذين تخرجوا فى الأزهر فى تلك الفترة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبى ملاح الكباثى(٥) والد الشيخ خوجلى(٦) العالم المشهور فى توتى(٧). وقد درس الشيخ عبدالرحمن مختصر خليل ومنظومته فى التوحيد على يد الشيخ على الأجهورى، وقد عاد لينشر العلم فى سودان وادى النيل(٨).

---

(١) انظر: الطبقات، ص٢٣٥، ٢٣٦؛ يوسف فضل: مقدمة: ص ص١١٩، ١٢٠؛ سر الختم عثمان: أولاد جابر، سلسلة أعلام التربية الإسلامية فى السودان، الخرطوم، المطبعة الحكومية، مطبوعات مصلحة المساجد والأوقاف، ١٩٧٥م ص٢٥ وما بعدها.

(٢) «حمدتو» و«تود» معناها باللغة الدنقلاوية ابن وابن حمد تنطق حمدن تود، «النون» نون الملك أو النسبة»، فخففت إلى «حمدتو» انظر الطبقات حاشية (١)، ص٤٣. وعبدالرحمن هذا زعيم أسرة الحميتاب المشهورة فى دار الشايقية ويسكلون بنورى وأم بكول، وبعضهم بمنطقة المناصير فى أرض الزوره، وفى نادى بدار الرباطاب وفى الفجيجة وقندتو بديار الجعلية وفى الهلالية بالجزيرة. والحميتاب من ذرية أبى بكر الصديق، ويلتقون مع الزنارخة فى جدهم نجم. ولاختلاطهم بالشايقية كثيراً ما عدوا منهم.

(٣) الطبقات، ص٢٥٦.

(٤) الطبقات، ص١٥٣.

(٥) الطبقات، ص٢٥٧.

(٦) انظر: وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، مطبوعات رقم (٢٢)، ١٩٦٥م، وثيقة رقم (١)، انظر ملحق الدراسة، شكل رقم (٥).

(٧) نسبه إلى محمد كبانى بن عجم جد المحس. انظر الصديق حضره: ٤٩١؛ وماكمايكل شجرة النسب رقم(١)، الطبقات، ص١٩٠

MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.100 FF.

(٨) الطبقات ص ص ١٩٠، ٢٥٧، محمد سليمان: الأزهر، ص٢٩.

عاد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد أن أخذوا عن أساتذتهم فى الأزهر ما تيسر لهم من العلم، وما أهلهم للتدريس والفتيا فى بلادهم وعادوا وكل منهم يحمل إجازة علمية من أستاذه أو أساتذته، فلم تكن تلك الإجازات تمنح إلا للطلبة النابهين.

- العلماء المصريون الأزهريون فى سودان وادى النيل:

ولم يكن العلماء السودانيون الذين تخرجوا من الأزهر هم وحدهم حملة رسالته فى سودان وادى النيل فى ذلك العهد، فقد استقبل السودان ثقافة مصر متمثلة فى العلماء المصريين الذين أسهموا بقسط وافر فى نشر الثقافة الإسلامية. ومن أشهر هؤلاء:

- الشيخ المصرى محمد القناوى(١):

وأصله من مدينة إدفو بصعيد مصر، درس على يد الشيخين سالم السنهورى مفتى المالكية(٢)، ويوسف الزرقانى والد الشيخ عبد الباقى شارح مختصر خليل(٣) وكان زميلا للشيخ أبى الحسن الشاذلى المصرى - قدم سودان وادى النيل فى منتصف القرن العاشر الهجرى الموافق القرن السادس عشر الميلادى(٤)، وتنقل بين مدنه واستقر فى مدينة بربر القديمة بعد أن طاب له المقام فيها لجودة مناخها(٥).

لقد كان دافع الشيخ المصرى محمد القناوى لزيارة سودان وادى النيل والإقامة فيه هو نشر العلم بين أبنائه ابتغاء وجه الله، فبادر بتشييد مسجد بمدينة بربر وأقبل

---

(١) جاء فى إحدى النسخ «القندلى»، وما أثبت نسبه إلى قنا بلدة فى الوجه القبلى بمصر.

(٢) هو سالم بن محمد عزالدين بن محمد ناصر الدين أبو النجا السنهورى المالكى الإمام الكبير المحدث، خاتمة الحفاظ، زعيم أهل عصره ومفتى المالكية ولد بسنهور وتفقه فى المعارف الإسلامية على عدد من أجلة العلماء منهم محمد البنوفرى، وأدرك البرهان اللقانى والنور الأجهورى وله مؤلفات كثيرة منها «حاشيته على مختصر خليل» و«رسالة فى ليلة النصف لشعبان» عاش بين ٩٤٥ و١٠١٥هـ/١٥٣٨ و١٦٠٦م. المحبى: خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، القاهرة، جـ٢، ص٢٠٤.

(٣) هو عبدالباقى بن يوسف بن محمد بن علوان الزرقانى المالكى. كان عالماً جليلاً وفقيهاً متبحرا، ولد بمصر سنة ١٠٢٠/١٦١١م، ولزم الأجهورى سنين عديدة، وشهد له بالفضل وتصدر للتدريس بالأزهر، وقد ألف كتباً كثيرة منها شرحه على مختصر خليل وتوفى بمصر سنة ١٠٩٩/١٦٨٨، المحبى، خلاصة الأثر، جـ٢، ص٢٨٧. وشرح عبدالباقى مطبوع ببولاق عام ١٣٠٣ (٦ أجزاء).

(٤) انظر: الطبقات، ص١٠٠، مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠؛ يوسف فضل: مقدمة، ص١٢١.

(٥) تاريخ مختص بأرض النوبة، ص٢٠، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص٤٣ الطبقات، ص١٠٠.

عليه طلاب العلم من كل حد وصوب[١].

وقد تتلمذ على يده الشيخ محمد بن عيسى بن صالح المعروف بسوارالذهب الذى قرأ عليه العقائد والمنطق، وعلوم القرآن[٢]، وأصبح فيما بعد من أجل علماء السودان. وممن تخرج على الشيخ المصرى القناوى حفيده الشيخ محمد المضوى[٣]، ولحفيده هذا مؤلفات منها شرح القصيدة المنظومة فى فن التوحيد وهو شرح مطول يكثر فيه من النقل من كتب لها مكانتها فى فن التوحيد ويعتبر هذا الشرح أوسع من شرح الشيخ سعدالدين التفتازانى على العقائد النفيسة، ومن تلاميذ الشيخ محمد المضوى الشيخ خوجلى عبدالرحمن أبو الجاز[٤] ومنهم أيضا سوارالذهب الذين قدموا إليه من دنقلا وهم بدورهم قد رجعوا لمنطقتهم يدرسون العلم[٥].

- الشيخ محمد بن على قَرَمَ الكيمانى المصرى الشافعى:

دخل المذهب الشافعى مملكة الفونج على يد الشيخ محمد بن على قرم الذى درس على يد الفقيه المشهور الخطيب الشربينى[٦] (ت ١٥٦٩ - ١٥٧٠م) وجاء الى السودان فى نحو عام ١٥٦٣م، وبعد طواف استقر به المقام فى بربر[٧] حيث نشر

---

(١) ترك مؤلفات فى الشرح على عقيدة السنوسى الصغرى وكتاب المشماوية ورسالة فى البسملة، وشرح فى علم المنطق وتبوأ منصب القضاء الذى باشره بنزاهة انظر: الطبقات ص ص,١٠٠، ١٠١، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠؛ واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ٣.

(٢) انظر: الطبقات، ص٣٤٧.

(٣) الطبقات: ص١٢٣.

(٤) انظر: الطبقات، ص٥٠؛ Y.F. Hasan Op. Cit.., PP. 134 - 144, 254, 166.
C.F. MacMichael: Op. Cit.., Vol. 2, PP. 82-84, 124,
الصديق حضرة، ص ٤٩١- ٤٩٢.

(٥) انتقل الشيخ المضوى إلى شندى جنوبا، وأقام فيها يدرس للطلبة الفقه المالكى - المختصر، وشرح المختصر والرسالة وعلوم اللغة والبلاغة والتفسير والحديث، وقد بلغ عدد طلبته ثلثمائة طالب. انظر: الطبقات، ص١٠١، يوسف فضل: المقدمة، ص١٢١.

(٦) هو شمس الدين بن أحمد الشربينى من فقهاء الشافعية، عاش فى القاهرة، وتوفى عام ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م. له مؤلفات كثيرة منها (السراج المنير) أربعة مجلدات فى تفسير القرآن الكريم و(مغنى المحتاج) أربعة أجزاء فى شرح (منهاج الطالبين للنووى) و(مناسك الحج) انظر: الزركلى: الاعلام، جـ٦، ص٢٣٤.

(٧) انظر: الطبقات، ٣٥٣، ٣٥٤؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة، جـ١، ٣٧٠.

تعاليم الإمام الشافعي. وكان من تلاميذه عبدالله العركي[١]، وإبراهيم الفرضي[٢]، والقاضي دشين المشهور «بقاضي العدالة[٣]، ولم يكتب للمذهب الشافعي الازدهار نتيجة تكاثر أتباع المذهب المالكي، غير أن منطقتي سواكن وطوكر ظلتا تدينان بتعاليم الشافعي نتيجة صلاتهما التجارية بالحجاز واليمن ومصوع وشرق إفريقيا حيث تغلب تعاليم ذلك المذهب[٤].

- دور أسوان وعيذاب الثقافي في المجتمع السوداني:

ويتضح الأثر المصري في ثقافة سودان وادي النيل من خلال ثغر أسوان[٥]، الذي نشطت فيه الحركة العلمية والأدبية[٦]. كما يذكر الأدفوي فهو يعد فقيها وأديبا وشاعرا، عاش في أسوان زمن سيطرة ربيعة - (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)[٧] وقد عاصر اثنين من أمراء بني ربيعة الكنوز في أسوان وهما: فخرالدين مالك، وابن أخيه نجم

---

(١) انظر: الطبقات، ص٢٥١؛ واضح البيان. مخطوط، ص ص٢، ٣.

(٢) إبراهيم بن عبودي المشهور بالفرضي. أمه بنت أبو ونيسه، أخت المسلمي. درس مختصر خليل وألف الحاشية المشهورة بالفرضية في علم الفرايض ولقب بالفرضي لأنه كان له باع طويل في الفرايض. انظر الطبقات: ٧٩.

(٣) هو دشين بن حمد بن الحاج محمد البصيلابي، موطنه حلة البصيلاب غرب عماره طه شافعي المذهب، تولى القضاء في عهد الشيخ عجيب، انظر: واضح البيان، ص٢، الفونج والأرض، ص٩٢ وما بعدها؛ التعارف والعشيرة، ص٢٥٩؛ الطبقات، ص٣٥٤.

(٤) انظر: الطبقات، ص ص٣٥٣، ٣٥٤؛ يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص١٢٢.

(٥) أسوان: يفسرها المقريزي على أساس لغوي «أسوان في قولهم أسي الرجل يأسى أسي، إذا حزن ورجل أسيان وأسوان أي حزين، انظر: الهروي: الإشارات، دمشق، ١٩٥٣، ص٤٥؛ المقريزي: الخطط، جـ١، ص١٩٦؛ سعاد ماهر: محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٢١، العدد الأول، مايو ١٩٥٩م ص٨١؛ وهيب كامل: استرابون في مصر، القاهرة، ١٩٤٧، ص١١٦، دائرة المعارف الإسلامية، مادة أسوان.

(٦) الإدفوي: الطالع السعيد، ص٢٩؛ عن علماء المذاهب السنية انظر: السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جـ١، ص١٩١، المقريزي: المقفى، جـ٣، ورقة ٢١٩ (ب)، ٢٢٠(أ)؛ سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٧؛ وفي الفقه الشافعي انظر: السيوطي: حسن المحاضرة، جـ١، ص١٦٧؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص ص١٦٠، ١٦١؛ الإدفوي: الطالع السعيد، ص٤٦٩ وما بعدها. والحديث انظر المقريزي: المقفى، جـ١، ورقة ٤١(ب)؛ الطالع السعيد، ص٤٧٦ وفي التصوف الإسلامي؛ انظر الطالع السعيد، ص٥٨، ٢٠٦، ٢٠٧، ٦٤٠ وعلم القراءة انظر ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، جـ١٠، ص٨٠، ٨١؛ الطالع السعيد، ص٧٥.

(٧) عن مصنفاته الفنية انظر؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص١٦٧، ٢٣٠، ١٠٩١.

الدين عمر، وله من الشعر الكثير فى وصف الحالة بإقليم أسوان(١).

بالإضافة إلى الإدفوى فقد عاش فى أسوان وإدفو وقوص إبان إمارة بنى ربيعة الكنوز علماء أفاضل وأدباء وشعراء، وممن عاش فى كنف أمراء ربيعة الكنوز علماء وشعراء ينتمون إلى القبيلة نفسها (ربيعة) مثل أبوالحسن على بن أحمد بن عرام الربيعى الأسوانى الذى كتب مؤلفا خاصا فى بنى عمه الكنوز، ذكر فيه مناقبهم وأحوالهم، وعدد مآثرهم وأعمالهم(٢). ويتضح من أسلوبه الأدبى أنه كان واسع الثقافة والاطلاع، إذ كان له تصانيف فى فنون مختلفة من العلم والأدب (٣).

ومن العلماء والأدباء الذين عاشوا فى الصعيد عهد أمراء بنى ربيعة وكانوا ينتمون إلى القبيلة نفسها، أبوبكر بن عرام الأسوانى، وأحمد بن عبدالقوى الربعى وأحمد بن عبدالرحمن الأسوانى، وأبو محمد هبة الله بن عرام السديد وغيرهم(٤).

ومن الشعراء غير الربيعيين الذين عاشوا فى ظل أمراء بنى ربيعة الكنوز ومدحوهم: الشاعر أحمد بن محمد الروزبى الذى عاش فى القرن الساس الهجرى ومدح بنى الكنز، وذكره ابن عرام فى سيرته وقال فيه «كان لذيذ المحاضرة، حسن المجاورة(٥)».

وممن ذكرهم ابن عرام فى سيرته الشاعر أحمد بن محمد الأسوانى، إذ كان أديبا وفقيها. عاش فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى، ومدح أمير ربيعة كنز الدولة ابن المتوج(٦).

---

(١) عن مدحه لبنى الكنز من أمراء ربيعة انظر: الإدفوى: الطالع السعيد، صفحات ٣٠، ٤٥.

(٢) الادفوى: الطالع السعيد، ص٣٠؛ ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الامصار، جـ ٥، ص٣٤؛ المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩٨.

(٣) الادفوى: الطالع السعيد، ص٣٧١.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٩، ٨٥، ٧٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢٨، ١٢٩ (نقلا عن ابن عرام)

(٦) ومن قصيدته فى مدح هذا الأمير:

هل المجد الاما اقتنته الصوارم	أوالجد الاما بنته المكارم
أو العز الاما أشاد منارة	وقائع يبقى ذكرها وملاحم
أو الفخر الاما متوج لابس	حلاه وراق فى علاه وراقم
إذا أخلفت سحب فغيث مساجم	وإن شجرت حرب فليث ضارم

انظر: الادفوى: الطالع السعيد، ص ص ١٣٠، ١٣١. من مدح ابن المتوج أيضاً الأديب الشاعر الحسن بن على بن إبراهيم الاسوانى الذى عاش فى اسوان خلال القرن السادس الهجرى، وعاصر ابن المتوج ومات عام ٥٦١هـ. وكان الحسن بن على الاسوانى فقيهاً وأديباً بارعاً. وله تفسير يقع فى خمسين جزء، ولكن لم يعثر عليه. وعلى الرغم من تصانيفه فى فنون كثيرة الا أنه اشتهر بكونه شاعرا، حرص على حضور مجالس الامراء من بنى ربيعة، ومدحهم بقصائد كثيرة، ونال منهم حظاً وفيرا من المكانة الأدبية، فضلا عن الاغداق عليه بالمال الكثير، انظر: الادفوى:الطالع السعيد، ص٢٠٣.

ومن الشعراء الذين مدحوا بنى الكنز الشاعر أبو إسحاق بن شعيب الأسوانى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى[١]، والفقيه والأديب النحوى الشاعر على بن محمد بن النضر الأسوانى، ذكره ابن عرام فى سيرة بنى الكنز[٢].

ومن الشعراء الأسوانيين فى القرن السابع الهجرى الشاعر الحسين بن محمد الأنصارى الأسوانى، وصفه الإدفوى قائلا: «كان فاضلا أديبا له النظم الحسن والنثر الجيد، ويكتب خطاً حسناً، غير أنه لم يذكر لنا شيئا عن شعره، وتوفى هذا الشاعر بعد عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م[٣].

وكذلك الشاعر عمر بن عبدالعزيز الأسوانى الذى رحل من أسوان إلى قوص ثم إلى القاهرة لتزويد نفسه بالعلم[٤]، وقد أصبح شاعراً ينظم الشعر، بجانب أنه قد عرف عنه كفقيه بارع، وأديب يرتجل الشعر[٥].

وأيضا من شعراء القرن السابع الهجرى، الشاعر عثمان بن عبدالمجيد الأسوانى، ويبدو أنه لم يكن مكثرا فى شعره، فقد قال عنه الإدفوى فى ترجمته الشخصية «له شعر[٦]».

أما فى القرن الثامن للهجرة فهناك شاعران نظما الشعر، هما عبدالرحيم بن محمد بن عبدالرحيم البمبانى (ت ٧٠٥ أو ٧٠٦هـ)، وكان فقيهاً فاضلاً ونحويا وأديباً وشاعراً[٧].

أما الشاعر الثانى فهو إبراهيم بن أحمد بن طلحة الأسوانى (ت٧٣٥هـ) وصفه الإدفوى بقوله: «الشاعر المشهور، الأديب المذكور، ..... له ديوان شعر يدل على فضله، ويشهد بنبله[٨]».

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٤٠٨، ٤٠٩ ؛ السيوطى: بغية الدعاة، جـ٢، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) الادفوى: الطالع السعيد، ص ٢٢٩.

(٤) توفى الشاعر عام ٦٩٢هـ. المصدر نفسه، ص ص ٤٤٠، ٤٤١.

(٥) سأله أحد الأدباء عن حاله فقال:

إن كنت تسأل عن عرضى فلا دنس ... أو كنت تسأل عن حالى فلا حال

قد ضيع المجد مال ضيعته يدى ... ما اضيع المجد ان لم يجمعه المال

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٤١– ٤٤٣.

(٧) انظر الطالع السعيد، صفحات ٣١٢، ٣٥٠، ٣٥١.

(٨) انظر: الادفوى: الطالع السعيد، ص ٤٦– ٤٨.

أما فى القرن التاسع الهجرى، فقد فترت حركة الشعر فى أسوان، وهذا يرجع إلى ما أصاب أسوان من خراب نتيجة ثورات العربان[1]. على أن هذه النهضة الفكرية لم تقف عند حد أسوان، الثغر المملوكى النوبى المشترك من الناحية الحضارية، ولم يقصر رواد هذه النهضة العلمية علومهم على أهل أسوان ومن ورد عليها فحسب، بل خرج بعض هؤلاء الرواد من نطاق مدينة أسوان إلى ما جاورها من المدن والثغور النوبية التى أمتد إليها نفوذ مصر المملوكية فى ذلك العصر[2].

- عيذاب وحياتها الدينية والأدبية:

مما لا شك فيه أن خطة القضاء كانت أكبر وأهم المناصب الدينية بعيذاب. بل كانت هناك مهام فريدة من حقوق وظيفة قاضى عيذاب أفردته وميزته عن غيره من القضاة فى سائر البلاد الإسلامية[3] فقد ارتبط عمله ارتباطا وثيقا بحياة الثغر الدينية والتجارية. ولذلك كان يراعى فى اختياره دوره فى خدمة الحجيج والتجار أكثر من أى اعتبار آخر بما فى ذلك مدى مقدرته الفقهية[4]. وقد تقلد منصب القضاء بعيذاب جماعة من الفقهاء وصلتنا تراجم بعضهم، فمن أوائل من نعرف منهم أبا القاسم نوفل بن جعفر المنعوت بالمخلص الجد الأعلى للإدفوى والذى تولى الحكم بها فى عام (٥٣١هـ/١١٣٦م) وتوفى عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م)[5].

ومنهم ابن مسلم الأقصرى، وكان قد تفقه على مذهب الإمام الشافعى على يد الشيخ محمد مجدالدين القشيرى، وتوفى عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م[6].

وقد خلف الأقصرى الفقيه زين الدين أبو حامد محمد بن محمد العثمانى (نسبة إلى عثمان بن عفان) المعروف بالسريس، حيث كان فقيها على مذهب الإمام

(١) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ٦ ص٩٥؛ الحويرى: اسوان، ص١٨٩.

(٢) ورد كثير من الشخصيات الأدبية التى انتقلت إلى ثغر عيذاب، انتمائها إلى اسوان وهو ما سنحاول ابرازه غى حياة عيذاب الدينية والادبية. انظر: ذلك فيما بعد، انظر الخريطة شكل رقم (١٩).

(٣) انظر: ابن خلدون: العبر، جـ١، ص ٢٢١ – ٢٢٢، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص٦٠.

(٤) انظر: الادفوى: الطالع السعيد، ص ١٨٤، ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.

(٦) عرفت عنه بانه واسع النعمة والثراء، سمحا جوادا باجرام الوارد من حجاج وتجار، اشتهر عنه ذلك بالناحية، بل صار ذلك سببا لتولية القضاء وطالت مدته فى منصبه حتى مكث بها قرابة الستين عاما إلى ان توفى عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م.
انظر: المصدر نفسه، ص ص ٣٦٠، ٣٦١؛ ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، جـ ٧، ص ١٢.

الشافعي، واشتغل بالفقه على يد الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوى، وأجازه بالفتوى، وسمع الحديث منه، وكانت له مشاركة في عدة فنون من العلم كالأصول والنحو والأدب، والشعر، وكان قبيل خدمته بعيذاب قد تولى خطة القضاء بعدة مدن من بلاد الصعيد منها إدفو، وأسوان وقفط وقنا وهو الذى قال عنه الإدفوى: (وكان حسن السيرة رضى الطريقة، قائما بالمعروف والنهى عن المنكر، وكانت وفاته في عام ٧٠٥هـ[١]/١٣٠٥م).

ومن شعراء عيذاب القاضى عبدالمنعم بن أحمد بن عبدالمجيد التقى حيث كان بارعًا في الخطابة أيضًا، وقد ظل يشغل منصبه قرابة ستين عاما إلى أن توفى عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م وقد جاوز الثمانين، قال عنه الإدفوى: (كان فيه نفع للحجاج والوارد، قوى الحرمة، نافذ الكلمة، وكان إلى جانب ذلك يعالج الشعر)[٢].

وهناك جماعة من الفقهاء تولوا قضاء عيذاب بالإنابة منهم: محمد ابن إسماعيل بن عيسى أبى النصر القفطى، وينعت بالتقى، ويدعى بابن دينار سمع الحديث من عدة مشائخ منهم الحافظ المنذرى والحافظ أبى الفتح القسيرى وغيرهما وكان فقيها على مذهب الإمام الشافعى، توفى فى عام ٧٠٢هـ[٣]/١٣٠٢م ومنهم عبدالرحمن بن موسى الكندى الدشناوى المنعوت بالأمين، وكان فقيهاً شافعياً وقد تقلد عدة مناصب دينية بالصعيد، حيث عمل بالمدرسة النجمية بقوص، وتولى الإمامة بجامعها، وصحب الفقيه المعروف الشيخ مسلم زمانا، ثم عاد إلى بلاد النوبة ودخل إقليم التاكا، بغرض نشر الثقافة العربية، وتوفى هناك في عام ٧١٨هـ[٤]/١٣١٨م. ومنهم محمد بن محمد بن نصير المنعوت بالكمال ويعرف بابن الحسام القوصى، قال عنه الإدفوى: «كان فقيهاً مشاركاً فى النحو، قرأه على أبى الطيب. وقد تولى القضاء بعدة جهات بالصعيد، منها دشنا وفاو والمرج وأعمالها، وبها توفى عام

(١) الادفوى: الطالع السعيد، ص ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

(٤) المصدر السابق، ص١٥٦؛ الفقيه الكندى من أوائل رجال الدين ذوى المكانة الذين ساروا إلى داخل البلاد، ولم يكن اختياره لاقليم التاكا بمحض الصدفة فهو من اوائل الاقاليم السودانية التى حظيت بوجود عربى اسلامى ذى شأن عظيم. فنحو منتصف القرن العاشر الميلادى كان على الاقليم ملك مسلم يتكلم العربية إلا أنه فى طاعة ملك علوة، وببلاده كثير من المسلمين يختلفون بالتجارات إلى مكة. ابن حوقل: صورة الارض، ص ٦١.

٧٢٩هـ/١٣٢٨م[1]؛ وآخر من نعرفه منهم نوح بن عبدالمجيد بن عبدالحميد القوصى المعروف بالزين وكان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعى، ومثل من ذكرنا قبله فقد تولى القضاء بعدة مدن من بلاد الصعيد قبل ولايته قضاء عيذاب، كما باشر التدريس بقوص وتوفى عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[2].

ومن هذا النذر اليسير من التراجم التى تيسرت لنا نستطيع أن نستشف صورة واضحة المعالم عن مدى اختيار هؤلاء الفقهاء ومساهمتهم فى حياة الثغر، فقد سبق أن أشرنا إلى أن دائرة عمل القاضى قد اتسعت وتشعبت.

ومن التراجم السابقة يلاحظ أن القاضى كان يختار من بين الفقهاء الذين تقلدوا فى عدة مناصب دينية فى بلاد الصعيد الأعلى مثل إمامة مسجد أو ولاية قضاء أو تدريس ويشير ذلك إلى روابط دينية وثقافية وثيقة بين عيذاب وبلاد الصعيد الأعلى، وكانت قد أظلت بلاد الصعيد نهضة فكرية كبرى منذ بداية القرن الثانى عشر الميلادى بفضل الازدهار والرواج الاقتصادى الذى صاحب تحول طرق التجارة العالمية إلى البحر الأحمر. بل شارك عدد لا يستهان به من أبناء الصعيد فى تلك النهضة التجارية بأن انخرطوا تجاراً فى الكارم[3]. وقد رصد تلك النهضة الاقتصادية والعمرانية والثقافية التى انتظمت فى الإقليم الفقيه المؤرخ الإدفوى والذى ترجم فيه لجماعة من أبناء الصعيد الذين نبغوا فى مجال العلوم الدينية والأدبية والحكمية[4].

ومن ناحية أخرى فإن أغلب الفقهاء الذين تقلدوا هذا المنصب كانوا على مذهب الإمام الشافعى. ومرد ذلك إلى أنه بعد أن أعيد الحكم السنى بمصر بقيام الدولة

---

(١) الادفوى: الطالع السعيد، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٢.

(٣) الادفوى: الطالع السعيد، ص ٤٦، ٢١٤، ٢٧٤، ٣٥٣، ٣٦٢. وعن التجارة الكارمية انظر ما سبق ذكره فى الفصل الرابع من هذا البحث.

(٤) تعرض الادفوى لخطط مدن الصعيد واحوالها العمرانية ومؤسساتهاالدينية والعلمية. وكانت قوص قصبة ذلك الاقليم وقاعدته، وقد وصفها بن جبير نحو نهاية القرن الثانى عشر الميلادى قائلا: «وهذه المدينة حفيلة الاسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار ارض الحبشة لانها محط الجميع ومحط للرحال ومجتمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندريين ومن يتصل بهم» كما وصفها الادفوى بأنها باب مكة واليمن والنوبة وسواكن والتاكا ابن جبير: ص٤٠، الادفوى: ص ٨، ابن دقماق: الانتصار، ص ٢٨، على باشا مبارك: جـ ١٤، ص١٢٨ وما بعدها، بشير ابراهيم بشير، عيذاب، ص١٣.

الأيوبية وزوال الدولة الفاطمية، ظهر مذهب الإمام الشافعي على غيره من المذاهب وذلك أن صلاح الدين الأيوبي بعد صرفه لقضاة الشيعة فوض القضاء لصدر الدين عبدالملك بن عيسى بن درباس الماراني الشافعي، فلم يستتب الماراني في إقليم مصر إلا من كان شافعي المذهب، ومن ثم استبد الشافعيون بالقضاء وتشددوا في مذهبهم إلى أن اضطر السلطان بيبرس إلى ادخال إصلاح جوهري على النظام القضائي بتعيين أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة وذلك عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م إلا أن ذلك لم يضعف من قوة المذهب الشافعي بمصر، وظل ظاهراً بها على المذاهب الأخرى[١].

وينسب دخول المذهب الشافعي إلى السودان تقليدياً إلى زمن الفونج[٢].

وقد ثبت أن الفقيه الكندي الشافعي الذي دخل إقليم التاكا قد حمل معه هذا المذهب إلى داخل البلاد، وذلك قبيل عصر الفونج بزمن طويل[٣]. كما أن غلبة المذهب الشافعي على عيذاب ربما يفسر لنا تمكن المذهب الشافعي من بلاد البحر الأحمر إلى يومنا هذا.

وثم سمة أخرى غلبت أيضًا على معظم الذين تولوا القضاء بعيذاب وهي اشتغالهم بالأدب، وتلك صفة لم يختصوا بها دون علماء جيلهم، فقد كان الجمع بين عدة فنون وعلوم مذهبًا مألوفًا بين رجال العلم في ذلك الزمان. ولا شك أن تنوع معارف قضاة عيذاب وغزارة علومهم كان له حميد الأثر في إخصاب حياة الثغر الفكرية والعلمية.

---

(١) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص ٣٤٣؛ ابن حجر العسقلاني رفع الاصرعن قضاء مصر- تحقيق حامد عبدالمجيد، القاهرة ١٩٦١، جـ٢ ص٣٦٧؛ حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن: النظم الاسلامية، القاهرة ,١٩٧٠، ص ٣٠٧.

(٢) أول من نشر المذهب الشافعي في السودان هو محمد بن علي بن قوم؛ انظر الطبقات ص ص ٣٥٣، ٣٥٤؛ وقد حضر الشيخ محمد هذا إلى السودان حوالي سنة ١٥٤٦ وزار سنار واريجي وبربر؛ واستقر بالاخيرة وعلى ايدي تلامذته انتشر مذهبه إلا أن الغلبة كانت للمالكية، كما انتشر المذهب الشافعي في سواكن وطوكر نتيجة الصلات التجارية التي تربط شرق السودان باليمن والحجاز ومصوع. انظر: Y.F. Hasan: External Islamic influences and the progress of Islamizaton in the Suden, P. 16. وايضا: بواكير الدعوة الاسلامية والثقافة العربية في السودان، دراسات في تاريخ السودان، جـ١، ص ص ٦٩، ٧٠.

(٣) الادفوي: الطالع السعيد، ص ١٥٦.

- المسجد، الإمام، الخطيب:

أول من ذكر مسجدها الرحالة الفارسى أبو معين ناصر خسرو نحو منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، فقال: «وبها مسجد جمعة[١]»، وقال عنها ابن بطوطة[٢]: وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلانى شهير البركة رأيته وتبركت به[٣]. وقد عثر الأثرى مرى على أنقاض هذا المسجد عند قيامه بحفرياته الأولية فى الموقع عام ١٩٢٦م[٤].

ويبدو أن هذا المسجد كان المؤسسة الدينية الوحيدة بهـا، وذلك أن المؤرخين والرحالة مع كثرتهم لم يذكروا مؤسسات دينية غيره كالأربطة ونحوها، كما أن الحفريات الأولية لم تعثر على أنقاض يمكن نسبتها إلى تلك المؤسسات. ولذلك فإن مسجدها كانت الخلية الوحيدة للنشاط الدينى من سماع حديث وتدريس وقد ذكر ابن بطوطة أنه شهير البركة كناية عمن أمه من كبار العلماء ورجال الدين.

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامة، ص ص ٧٢، ٣٧.

(٢) الن بطوطة: رحلته، ص ٥٣.

(٣) ابن بطوطة: وحلته، ص ٥٣؛ ويعتقد ان القسطلانى المذكور هو الشيخ أبو البركات عمر بن محمد التوزرى القسطلانى امام مقام المالكية بالحرم الشريف ولد عام ١١٧٦م وتوفى فى عام ١٢٤٦م. انظر: تقى الدين القاسى: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين- تحقيق د. فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٦م، جـ٦، ص٣٥٨-٣٦٠ وقد خلفه على الامامة ابنه ضياء الدين محمد والذى ولى التدريس بعدة مدارس بمكة إلى جانب ذلك، كان له شعر جيد، وتوفى ضياء الدين عام ١٢٦٥م، خلفه على الامامة ابنه أحمد انظر: تقى الدين القاسى: العقد الثمين، ق٢، ص ٢٣٠-٢٣٦؛ وأسرة آل القسطلانى أسرة شهيرة اصلها من توزر بالمغرب هاجر عدد من أفرادها إلى المشرق حيث صار لهم ذكر ونباهة- فإلى جانب من ذكرنا نبغ منهم أبو العباس أحمد بن على القسطلانى والذى تولى التدريس والفتوى زمانا بمصر، ثم جاور بمكة وبها مات عام ١٢٣٩م انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، تحقيق أحسان عباس بيروت ١٩٦٨، جـ١، ص١٩٠، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، تحقيق أحمد زكى، القاهرة ١٩٢٩، جـ٦، ص٣١٤؛ عبدالحى بن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى اخبار من ذهب، بيروت، بدون، جـ٥، ص١٧٩، ونبغ لأبى العباس هذا ابنان أحدهما قطب الدين أبوبكر محمد الذى تولى مدرسة الحديث الكاملية بمصر، وكانت لقطب الدين هذا صلة وثيقة بعيذاب تتصل بسماع الحديث وتوفى عام ١٢٨٧م. انظر ابن تغرى بردى: جـ٧، ص٣٧٣، محمد بن شاكر الكتبى: فوات الوفيات - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٥١، ص٣٦٦ -٣٦٨، الإدفوى، ص٤٠٧، الحنبلى، جـ٥، ص٣٩٧. أما الآخر فهو ابنه تاج الدين أبو الحسين على والذى تولى كأخيه مدرسة الحديث الكاملية وتوفى عام ١٢٦٧م انظر: ابن تغرى بردى، جـ٧، ص٢٢٣.

(٤) انظر: المشروع السودانى الفرنسى، ص٣٠ - ٤٥.

ومن أوائل من تصدر للإمامة والخطابة بمسجد عيذاب ناصر خسرو الذى ذكر أن أهل عيذاب طلبوا منه القيام بتلك المهام إبان إقامته بينهم، فباشر ذلك لمدة ثلاثة أشهر. ويكشف قول ناصر خسرو أن المسجد لم يكن له إمام متفرغ آنذاك.

وربما أضيفت الخطابة بالمسجد وأحيانا إلى خطة القضاء كما هو الحال مع القاضى عبدالمنعم بن أحمد بن عبدالمجيد التقى. ولعل من أشهر من تولى الخطابة بمسجد عيذاب تفرغاً يحيى بن جعفر القفطى المعروف بخطيب عيذاب؛ وكان ليحيى باع طويل فى علم الحديث وعليه سمع ومنه أخذ الشيخ قطب الدين بن القسطلانى[1]. وإلى جانب هؤلاء الذين ذكرهم المؤرخون، فلابد أن عدداً صالحًا من رجال الدين والعلماء اختلف إلى الخطابة والإمامة بمسجد عيذاب وهم فى طريقهم إلى الحج أو التجارة؛ وما اخبرنا به الرحالة الفارسى يؤكد هذا، وربما تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض أهل عيذاب قد شاركوا فى خدمة المساجد منهم: بدرالدين حسن العيذابى رئيس المؤذنين بقلعة الجبل بالقاهرة المتوفى عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م[2].

وما تقدم يتضح أن مسجد عيذاب كان محور الحياة الدينية والفكرية بها، فإلى جانب شعائر الصلاة، فإن حلقات الحديث والتدريس وما يتصل بذلك من الأنشطة كانت تقام به، وبه يقيم كبار العلماء والصالحين الوافدين على الثغر.

وما أن صارت عيذاب معبراً للحجاج[3] حتى صارت مركزاً هامًا لسماع الحديث[4] يضارع مراكز السماع الكبرى بالدول الإسلامية، فقد جرت العادة فى ذلك

(١) الإدفودى: الطالع السعيد، ص٤٠٧؛ بشير إبراهيم بشير، مرجع سابق ص٦٥.

(٢) ابن الفرات، مجلد ٩، جـ٢، ص٣٩٠؛ بشير إبراهيم بشير: مرجع سابق، ص٦٥.

(٣) لقد كان الحج هو الدعامة الثانية لحياة عيذاب الدينية، وقد أشرنا من قبل إلى أن طريق الحج لبلاد شمال إفريقيا ومصر قد تحول إلى عيذاب نحو منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، فقد ظل الحاج يستخدمه منذ ذلك الحين حتى خراب عيذاب فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى، وإن تناقصت أعدادهم بعد فتح الطريق البرى بين مصر والحجاز. وبسبب ذلك صارت رعاية الحاج بعيذاب من أخص اهتمامات حكام مصر الإسلامية، وقد أشرنا إلى أن القيام بأمر الحاج كان من أهم الشروط فى اختيار القضاة للثغر. وعلى أيامه وضع السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ضريبة الرأس التى كانت مفروضة على الحاج المغربى بعيذاب والتى كانت من رسوم الفاسطميين. أنظر: ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون: ورقة ٢٩٠. ابن جبير: ص٤٥، ٤٦، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسى أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، القاهرة، ١٩٦٧، جـ٢، ص٣.

(٤) من أشهر المدن التى صارت مركزا لسماع الحديث لوقوعها على طريق الحج مدينة الإسكندرية. انظر: جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى، القاهرة ١٩٦٥م ص١٣٠، وما بعدها، ص١٨٩ وما بعدها، محمد عواد حسين: تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، القاهرة ١٩٦٣م، ص٣٢٤، ٣٢٦.

الوقت أن يتقابل كبار الفقهاء ورجال العلم فى مثل هذه المراكز الهامة وخاصة التى تقع فى طريق قوافل الحج[١]. وذلك طمعا فى الاجتماع بغيرهم من رجال الحديث والعلماء[٢].

فكان للحجاج نشاط فكرى[٣] نستطيع أن نلمسه من جملة هؤلاء العلماء النابهين الذين أقاموا زمانا بالثغر مقيمين قادمين من الحجاز[٤]، ومن أشهر من دخل عيذاب من الحجاج الإمام أبو الحسن على بن عبدالله الشاذلى الصوفى مؤسس الطريقة الشاذلية، وكان قد أتخذ الإسكندرية موطناً، وكان يخرج منها كل عام إلى الحج عن طريق عيذاب إلى أن توفى وهو فى طريقه للحجاز، وقد دفن بموضع قريب من عيذاب يعرف بحميثرا، وذلك فى عام ٦٥٦هـ[٥]/١٢٥٨م ومنهم الإمام الكبير أبوحيان محمد يوسف الأندلسى النحوى[٦]. ودخل أبوحيان عيذاب فى طريق عودته من الحج وسمع بها، وقد أوردها ضمن قائمة البلاد التى سمع بها حيث يقول: «سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والإسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط

---

(١) انظر الشيخ عبدالمحمود: كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى أخبار مكة والمدينة، مخطوط غير منشور، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، رقم

Misc 1/15/166.، ورقة١٠.

(٢) الإدفوى: الطالع السعيد، ص٧٨، ابن الفرات، جـ٨، ص٧٣، ٧٤؛ أحمد عمر الزيلعى: مكة وعلاقاتها الخارجية، جامعة الرياض ط الأولى ١٩٨١، ٩٩ – ١٠١؛ محمد بهجت عصفور: الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية العصر الإسلامى فى مصر حتى نهاية عصر المماليك، دكتوراه جامعة القاهرة فرع الخرطوم، ص ص١٩٩، ٢٠٠.

(٣) انظر: الإدفوى: الطالع السعيد، ص٧٨؛ ابن الفرات، جـ٨، ص٧٣، ٧٤.

(٤) أشرنا من قبل إلى إقامة ناصر خسرو بعيذاب وباشر الخطابة بمسجدها، ومنهم الإمام أبو القاسم عبدالرحمن بن الحسين بن الحباب السعدى. والذى كان فقيها فى طلب الحديث، وصنف عدة كتب، توفى بعيذاب فى طريق عودته من الحج فى عام ١١٦٠م. انظر: المقريزى: أتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٤٥.

(٥) ابن بطوطة: رحلته، ص٥٣، الشيال، ص١٨٩، C.F.: Trimingham: Islam in the Sudan, London, P.223. ويذكر أن مؤسس الطريقة الشاذلية بالسودان هو الشريف حمد أبو دنانة والذى تزوج بابنة أبى عبد الله محمد بن سليمان الجزولى مؤسس الطريقة بمراكش وذلك نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادى. انظر: الطبقات، ص٢٤٣، Trimingham: Op. Cit., P. 223.

(٦) أحمد بن محمد المقرى التلمسانى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٤٩، جـ٣، ص٢٨٩ – ٣٤١.

والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان وينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة[١].

وفيما أورد، أبو حيان هذا أبلغ دليل على أن عيذاب قد صارت فى زمانه فى مصاف أعظم مراكز الحديث فى البلاد الإسلامية تشد إلى حلقات مسجدها الرحال وتضرب إليها أكباد الأبل؛ ومن الأدلة ما يعزز هذا الزعم بأن أبا حيان بقى قدراً من الزمان بعيذاب، فقد ذكر المقرى من ضمن مؤلفاته كتاباً مترجماً بنور الغبش فى لسان الحبش[٢].

وعلى الأرجح فإنه صنف هذا الكتاب إبان إقامته بعيذاب إذ كان لابد له من البقاء مدة بتلك النواحى ليتعرف على ذلك اللسان. ثم أنه تزوج بجارية سوداء ولدت له ابنه حيان الذى يكنى به[٣].

إذن فنحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن موسم الحج كان بالنسبة لعيذاب ما كان سوق عكاظ لمكة فى الجاهلية. وبمعنى آخر فقد كان موسم الحج بالنسبة لها مظاهرة دينية أدبية كبرى. وقد أسلفنا القول بأن موقعها فى نهاية طريق قوافل الحج[٤]، قد جعلها مركزاً هاماً من مراكز سماع الحديث مما حدا بعدد صالح من العلماء والفقهاء أن يقيم بها بصفة دائمة بغرض الإفادة والاستفادة، فقد ذكر ابن بطوطة أنه وجد بها من الفقهاء الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشى والذى زعم أنه من سلالة المرتضى صاحب مراكش[٥]. وترجم الإدفوى للشيخ إسماعيل بن عبدالرحيم العسقلانى المحتد، وكان فقيها على مذهب الإمام الشافعى، فأقام بعيذاب مدة طويلة وتزوج بها، ثم عاد إلى إدفو وتوفى بها عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م[٦].

---

(١) المصدر نفسه، جـ٣، ص٣١٦.

(٢) المصدر السابق، جـ٣ ص٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه: جـ٣، ص٣٢٥؛ انظر: بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص٦٨. ويعتقد بأنه بنى بأم ولده تلك إبان إقامته بعيذاب. انظر: المقرى: نفح الطيب، جـ٣، ص٣٢٧، ٣٢٩.

(٤) انظر: مخطوط الشيخ عبدالمحمود: كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى أخبار مكة والمدينة، ورقة ١٠ ومابعدها.

(٥) ابن بطوطة: رحلته، ص٥٣.

(٦) الإدفوى: الطالع السعيد، ص٣٨.

أما عن حياة عيذاب الأدبية، فقد لاحظنا أن عمال الإدارة الإسلامية بالثغر كان أغلبهم على حظ وافر من الأدب وأسبابه بخاصة الشعر الذى برع فيه عدد منهم، كما شارك بعضهم فى التأليف والتصنيف.

وإلى جانب ذلك فإن عددا لا يستهان به من شعراء ورجال الأدب قد وجدوا طريقهم إلى الثغر لسبب أو لآخر، فهناك من قصدها فى عمل رسمى مثل الفقيه الأديب المؤرخ عمارة اليمنى الذى بعثه أمير مكة فى سفارة إلى البلاد الفاطمى(١)، وهناك من قصدها فى حاجة خاصة كأبى الفتوح نصر بن عبدالله المعروف بابن قلاقس السكندرى(٢)· وكان ابن قلاقس قد سار إلى اليمن فى حدود عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ومدح ملوكها وكبراءها بخاصة أبا الفرج ياسر بن أبى الندى بلال بن جرير المحمدى وزير آل زريع ملوك عدن، فأجزل له ياسر العطاء، فأقبل إلى مصر مثقلا بأنعامه، ولكن الركب الذى كان يستقله غرق فى مياه جزيرة الناموس بالقرب من باضع، فعاد إلى اليمن(٣).

وهناك من الشعراء والأدباء من وفد على عيذاب قسراً مؤدبين بالنفى والتغريب من قبل حكام مصر الإسلامية، والنفى والتغرب إلى جزر ومراسى العدوة الإفريقية بغرض التأديب لكبار رجال الدولة والأدباء والفقهاء المغضوب عليهم وهذا تقليداً معروفاً منذ صدر الإسلام(٤)، وممن نفى إلى عيذاب الشاعر نشو الدولة على بن مفرج المنجم المعروف بابن المنجم، وكان رفيقا لابن قلاقس المتقدم الذكر، وكان ابن المنجم هذا قد تولى «ضمان الصابون والملاهى» فى الدولة الأيوبية، فظلم وعسف، فجأر الناس

---

(١) عمارة بن على الحكمى: النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية تحقيق Hartwig Derenbourg باريس ١٨٩٧، ص١٢٤.

وقد خلد دخوله إليها فى أبيات يشكو فيها حالة وسوء ما لاقى بعيذاب، وفى ذلك يقول:

لم ترضى عيذاب أنى مسنى نصب	من أهلها وجرى لى منهم شغب
حتى لقيت بقوص لاسقت أبدا	أكناف قوص ولا من حلها الشغب

(٢) العماد الأصفهانى الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر (تحقيق أحمد أمين وآخرون)، القاهرة، ١٩٥١، جـ١، ص١٤٥ - ١٦٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٣٨٥ - ٣٨٩.

(٣) لعل أقيم ما خلفه ابن قلاقس قصيدته التى وصف فيها المراسى ما بين عدن وعيذاب انظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٤٩٢.

(٤) انظر: أبو الفرج الأصفهانى، كتاب الأغانى، القاهرة ١٩٣١، جـ٤، ص٢٣٩، ٢٤٦، ٢٤٨ - ٢٥٠، ٢٥٥، العماد الأصفهانى: جـ١، ص١٦٨.

بالشكوى منه، فأدب بالنفى إلى عيذاب، وكان مولده عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م، وتوفى فى حدود عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ولم يخلف لنا ابن المنجم أشعاراً فيها ذكر لعيذاب في الكتب المطبوعة وربما كان لها ذكر في ديوانه المخطوط[١].

هكذا امتذ نفوذ مصر المملوكية إلى الثغور النوبية امتداداً ثقافيًا مؤثراً بخلق نهضة علمية وأدبية استفاد منها البجاه، ومن ثم النوبيون من بعد ذلك.

- أثر اليمن الثقافى والدينى:

يعد اليمن أحد روافد الثقافة الإسلامية فى السودان، ويبدأ هذا الأثر كما تذكر الروايات المحلية بقدوم غلام الله بن عائد[٢] فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر[٣] من جزيرة نواوة التابعة لبلاد اليمن، بعد أن سكن جزيرة ساكية على البحر الأحمر، وقد رحل منها إلى دنقلا، وقرر السكن بها، «لأنها كانت فى حيرة وضلالة[٤]»، ثم بادر بإنشاء المساجد وتعليم أولاد المسلمين[٥].

(١) العماد الأصفهانى، ص١٦٨، بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص٧٤.

(٢) البدوى محمد نافع: مخطوطة فى ذكر نسب غلام الله بن عايد. تذكرة المخطوطة: أن اسمه أحمد وأن غلام الله ليس اسمه الأصلى، وإنما سمى بذلك لأن النار أحرقت المنزل الذى كان فيه حال صغره، وأن والدته أخبرت والده السيد عائد، وقالت له: الابن فى النار، فقال لها: يحفظه الله، وقد حفظه الله وخرج سالما، فسمى غلام الله، لأن أهل البلد لم يعرفوا الله بالدليل لأن الله لم يلد ولم يولد، وأن والده سماه أحمدا. انظر: كتاب فى ذكر نسب غلام الله ص ص ٥، ٦. وقد جاء غلام الله بن عائد من اليمن إلى دنقلا فى أواسط القرن الرابع عشر وتزوج من الدناقلة وقد لقب حفدته: أبناء ركاب ورباط دوراً هاماً فى نشر التعاليم الإسلامية فى السودان كما انتشروا فى أجزاء متفرقة منه ويشمل اسم الركابية ذرية رباط انظر: MacMichael: Op. Cit.., Vol. 2, PP.32-33; Y.H.: Hasan: External influences, Sudan in Africa, P. 5.

C.F. P. M. Holt: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanesereligiou notables, B.S.O.A.S., XXX, 1976, P. 142 - 157. وانظر الطبقات، ص٤٥.

(٣) انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان. Misc 1/18/198.، ورقة ٣٠.

(٤) جاء فى وصف ليوحنا السورى الذى زار تلك البلاد أن سكانها: «ليسوا بمسيحيين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤملون أن يظلوا مسيحيين» انظر: Alvars, Vol. II, P. 461, Millet,: "Jebel Adda, Preliminary Report" Journal of American Research Center in Egypt, VI., 1967, P.62.

(٥) وتذكر نفس المخطوطة أن غلام الله قدم صغيرا فى صحبة والده عائد قادما من اليمن البحر الأحمر، ولكن هذا يناقض ما عرف من مبادرته بإنشاء مدارس العلم بمجرد قدومه إلى دنقلا، ولو افترضنا أنه كان صغيرا وأن والده هو الذى قام بهذا الدور فليس ثمة ما تجعل الروايات تغفل عن ذكر دور الأب انظر:

MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 35.

والواقع إن التبرير الذى تسوقه الروايات عن سبب اختياره لمنطقة دنقلا ليس سببا كافياً. لأن مناطق السودان الأخرى حين قدم إليها غلام الله لم تكن أحسن حالاً من دنقلا التى كانت أسبق من غيرها إسلاما واستقبالا للمؤثرات عن طريق التجار الوافدين من العرب.

إذًا فثمة أسباب أخرى كانت وراء هذا الاختيار نجملها فيما يلى:

– ترجع الصلة بين دنقلا واليمن إلى ما قبل الإسلام[١]. وذكر أن مقرى جد المقرة من اليمن[٢]، وقيل النوبة ومقرى من حمير[٣]. فثمة علاقة قد نشأت باستقرار بعض الأسر العربية فى أرض النوبة.

وبعد حوالى قرن ونصف من قدوم غلام الله إلى منطقة دنقلا نجد بشارة الأنصارى والد عيسى مؤسس كترانج يفد من المدينة المنورة[٤]، ثم الأزهر ويصل للسودان قاصداً كلومسيد[٥] فى بلاد دنقلة لصلة قرابة تربطه ببعض سكان هذه المنطقة عمن يزعمون الانتماء للأنصار، كما وفد شخص آخر من الأسرة إلى دنقلا قادماً من الحجاز ثم رحل منها إلى أبى حراز بالجزيرة.

– كان غلام الله يعيش مع أسرته على ساحل البحر الأحمر[٦]، ويعتقد أن ذلك كان فى مدينة زيلع التى تنتمى إليها أسرته. وإذا ما تأكد هذا فإن مدينة زيلع كانت على

---

(1) E. Glaser. Die Abessinier in Arabian and Afrika, Munich, 1095, PP. 42 FF. "C. Conti Rossini, "Sugli Habasat", Rendiconti della Accademia dei Lincei, 1906, PP. 40 -59.

(٢) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٤.

(٣) يقول ياقوت: وملوكهم يزعمون أنهم من حمير، ولقب ملكهم كابيل وكتابته إلى عماله وغيرهم: من كابيل ملك مقرى ونوبة انظر معجم البلدان، جـ٤، ص٨٢٠، المسعودى مروج الذهب، جـ١، ص٤٢٢، ٤٣٧، ٤٣٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ١، ص٣٦٨؛ ابن الوردى تتمة المختصر، المجلد الأول، ص ص١٣٤، ١٣٥؛ De Villard: Storia, P.171. MacMichael: Op. Cit., Vol. 1, P. 168.

(٤) محمد عبدالمجيد السراج: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى، ص٨ – ١٢، وانظر أيضاً: الطبقات ص٣٤١.

(٥) كلومسيد يعنى فى لهجة الدناقلة والمحس مسجد الحجر انظر الطبقات، ٣٤١.
Y.F. Hasan: Islamic Influences, P. 76 - 77.

(6) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP. 32 - 33; Holt: Op. Cit., P. 142 - 157.

صلة بسودان وادى النيل عن طريق التجار الذين كانوا يحملون إليها العاج والجلود والريش لمقايضتها بالمنسوجات والخرز والخزف. وليس ببعيد أن يكون الزيالعة قد وقفوا على أخبار السودان بعامة ودنقلة بخاصة من خلال حركة التبادل التجارى[١].

ولما كان لعائلة غلام الله شهرة دينية، فيعتقد أن التجار السودانيين قد عرضوا عليه أن يذهب معهم إلى دنقلا لنشر العلم بين أهليهم، وهناك أمثلة عديدة على دعوة التجار للعلماء، منهم دعوة التاجر داود عبدالجليل للبهارى[٢]، ودعوة تجار سنار للتونسى الكبير[٣].

وربما تكون الأسباب السابقة عاملاً هاماً فى هجرة غلام الله إلى دنقلا، هذا بالإضافة إلى ما سبق أن أوضحناه فى سياسة الحبشة العدائية تجاه المسلمين. وخاصة فى عهد سيف أرعد (٤٤ - ١٣٧٢م)[٤] الذى يتفق مع قدوم غلام الله إلى دنقلا نحو منتصف القرن الرابع عشر[٥] فمن الطبيعى أن أسرة غلام الله قد سمعت بهذه السياسة العدائية وبالتالى فسوف يناصبها الأحباش العداء، فكانت هجرتهم إلى دنقلا.

---

(1) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP. 35;
Y.F. Hasan: Islamic external Influences, P. 75.

وأيضا نفس المؤلف. مقدمة الطبقات، ص٣.

(٢) هو الحاج سعيد بن داود بن عبدالجليل من الجليلاب الذين دعا جدهم تاج الدين البهارى لزيارة السودان: الطبقات ص٢٠٨. عبدالجليل هو جد الجليلاب وهو حفيد حجازى بن معين منشئ أربجى وبانى مسجدها. وحلة سعيد تقع على بضع أميال جنوب الخرطوم وهى أشهر قرى منطقة ود راوه. انظر الطبقات: ص١٢٧،

(3) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 283. C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 75.

وأيضا مقدمة الطبقات، ص٥؛ حسن إبراهيم: انتشار الإسلام، ص٢٢٩.

(٤) انظر: المقريزى: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص١١، ص١٣ وما بعدها، Trimingham: Op. Cit., PP. 73 - 4.

طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة، ص ص٥٧، ٥٨؛ محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الإفريقية، ص٤٣؛ الأمين عبدالكريم: مرجع سابق ص٥٣، C.F.: Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270 - 1527, P. 174, 206.

(٥) البدوى محمد نافع: مخطوط فى ذكر نسب غلام الله بن عايد، ص٥، ٦؛ MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 35 FF; يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى. ص١١٧.

ورغم أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أثر غلام الله بعد استقراره فى دنقلا سوى أنه أسس المساجد والمدارس فيها، إلا أننا لا نستبعد أن يكون قد ساهم فى نشر الإسلام وتعليم مبادئ الدين، وخاصة أن هناك روايات عن إسلام العديد من أهل النوبة على يديه[١].

يتضح أثر غلام الله فى ذريته التى أتت من بعده، ونقصد بها أولاد جابر[٢] وأبناء عمومتهم من الركابية[٣] الذين تباروا فى نشر العلم بجهات عديدة من أرض السودان، ورغم أن أولاد جابر ينتمون إلى مصر فكريا[٤] إلا أننا نذكر ذلك لما توارثوه من آثار مؤسس الأسرة، كما تدل على ذلك رواياتهم المحلية[٥] فرباط ابنه كان قد ذاع صيته فى ميدان التصوف[٦]، وسليم بن رباط اشتهر بالكرامات[٧]. أما جابر بن عوف فقد كان وزوجته يمارسان التصوف[٨] وهى سمة غلبت على علماء السودان.

ومن العلماء الذين وفدوا من اليمن وحضرموت قبيل قيام مملكة الفونج كما يذكر ود ضيف الله: «حمد ولد زروق[٩]. قدم هو والفقيه جار النبى من حضرموت بأرض اليمن[١٠]. وكان من عباد الله الصالحين وسكن الصبابى، وكان بينه وبين الشيخ البندارى شيخ الشيخ إدريس فى المكتب خوة[١١]».

---

(1) Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 75 - 76.

(٢) انظر: الطبقات. صفحات ٤٥، ١٣٠، C.F. Holt: The Sons of Jabir and their kind, P. 142 - 157.

(٣) انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٧، ٢٨.

Misc 1/18/198.

(٤) انظر: الطبقات، ص٤٥.

(٥) أنساب عرب السودان، ورقة ٢٨.

(6) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 32 - 33., Y.F. Hasan:External Islamic Influences, P. 5.

(٧) انظر: الطبقات، ص٢٥١.

(٨) الطبقات: ص١٣٠.

(٩) الطبقات، ص١٤٩.

(١٠) «جار النبى وجباره قدموا من اليمن محلهم حضرموت. وجار النبى كان عبداً صالحاً طيبا معتقدا فيه» الطبقات ص١٣٠.

(١١) المصدر نفسه، ص١٤٩.

- أثر الحجاز فى السودان:

عندما قامت الممالك والمشيخات الإسلامية فى سودان وادى النيل كان طبيعيا أن يرنوا بأبصارها إلى هذا النبع الأصيل، فبالإضافة إلى شرف الانتماء إلى آل البيت، فإن الحج إلى بيت الله كان أملا يراود الملوك والعلماء والتجار والعامة، وقد ساعد على تحقيق هذا الأمل سهولة الاتصال عن طريق سواكن والبحر الأحمر(١).

وتأكيداً لهذا الاتصال حرص سلاطين الفونج على الذهاب إلى أرض الحجاز وتعلقهم بها، بل أكثر من هذا احتضانهم للعلماء الذين يحلون بدار السلطنة، فترى حاكما كالشيخ عجيب يتتلمذ على يد تاج الدين البهارى القادرى القادم من الحجاز(٢)، وهو الذى ذهب للحج (٣)، وأقام هناك زمانا أسس فيه رواقين بالحرم الشريف لاتزال آثار بعضهما باقية(٤).

وكانت لقوافل التجارة والحج أثر كبير فى قدوم العلماء للسودان فقد أثار ود ضيف الله أن تاج الدين البهارى قد قدم للسودان بدعوة من التاجر داود بن عبدالجليل السودانى(٥)، ولعل الفقيه عمار بن عبدالحفيظ الخطيب يعد خير مثال لمدعى تعلق السودان بالحجاز فى ذلك الوقت، فقد اشتهر بكثرة رحلاته للتجارة والعلم(٦)، فقد جاء

---

(١) انظر: الشيخ عبدالمحمود بن نور الدايم الطى: كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى أخبار مكة والمدينة. مخطوط غير منشور، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، ورقة ١١. Misc 1/15/186.

(٢) انظر: مخطوط: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، .Misc1/20/232

ورقة ٤، مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة Misc 1/15/191 ورقة ٢٠، ٢١.

(٣) انظر: الطبقات: ص١٢٧؛ مخطوطة كاتب الشونة: هامش ص٥؛ حسن الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان، ص ٨٧ – ٩٤؛ يوسف فضل: بواكير الدعوة الإسلامية والثقافية العربية، الطبقات، ص٢.

(٤) مخطوط: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ٤؛ انظر وثيقة من وثائق مشيخة العبدلاب نشرها أحمد عبدالرحيم نصر: الأغوات ص١٧، ٧١، ٨٣، انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٧).

(٥) انظر: الطبقات، ص١٢٧؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٧١، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.283.

(٦) عمار بن عبدالحفيظ الخطيب ولد بسنار وسافر إلى مصر والحجاز، لطلب العلم والحج، وقرأ سائر الفنون الفقهية والعقلية والنقلية وعلم النحو واللغة والأصول والمنطق والتصوف، وتعلم على يد الشيخ يحيى بن محمد بن محمد عبدالله الشاوى الجزائرى. من فقهاء المالكية، والذى ولد بمليانة سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢١م وتعلم ونشأ بالجزائر سكن مصر ودرس بالأزهر بعد عودته من الحج عام /١٦٦٣١٠٧٤ – ١٦٦٤م؛ انظر الطبقات، ص٢٥٩؛ الزركلى: جـ٩، ص٢١٤.

عن ود ضيف الله: «وكان سفرنا من سنار يطلب العلم بالأزهر والحج فى يوم الجمعة بعد العصر خامس عشر فى رمضان سنة سبع وسبعين بعد الألف من الهجرة النبوية.. فلم ندخل مصر إلا فى أول شهر صفر من سنة ثمانية وسبعين، وجلسنا بالأزهر إلى شوال؛ ثم سافرنا إلى الحج وحججنا حجة الإسلام فى تلك السنة أى سنة ثمانية وسبعين؛ ثم رجعنا إلى مصر؛ فلم ندخلها إلا فى سنة تسعة وسبعين فى شهر صفر؛ وجلسنا فى الأزهر فى بقية صفر والربيعين والجمادين ورجب وشعبان ورمضان ثم سافرنا الحج أى حج التطوع فى شهر شوال مع الحاج المصرى. وحججنا فى سنة تسعة بتقديم التاء وسبعين ثم جلسنا بمكة مجاورين بيت الله الحرام... ثم سافرنا من مكة يوم سابع عشر من ربيع الأول إلى جدة، ثم سافرنا إلى مصر[1]».

ويقول الدكتور حسن محمود أن «هذه الصلات التجارية الدينية الثقافية لم تنقطع طوال هذا العصر، بل كان تيارها يشتد بمضى الزمن، واتصال السودان بالحجاز حمل إلى سودان وادى النيل طابع الثقافة الإسلامية فى الحجاز فى هذا العصر، حمل إلى هذه البلاد مبادئ الصوفية، والطابع الصوفى للثقافة الإسلامية غذى الحجاز فى الناحية العملية فى الوقت الذى كانت فيه مصر تغذى الناحية العلمية وتنميها[2]».

ومن العلماء الذين وفدوا من الحجاز ونشروا الصوفية السيد أحمد البيلى الذى ولد فى مكة، ودرس بالحرم المكى، ثم هاجر لسودان وادى النيل عن طريق جدة، وعبر البحر الأحمر عن طريق سواكن إلى أن نزل بمدينة شندى حوالى عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م، ثم سار إلى مروى حتى استقر فى تنقاسى[3] وتزوج هناك، وقد نال تكريما من الملوك[4].

---

(١) انظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٧١.

(٣) تنقاسى: قرية تقع شمال مروى على خطى ٢٥ ,١٨ْ شمالا و٣١,٤٧ْ شرقا، وتشتهر بسوقها الأسبوعى الذى يقام صباح كل ثلاثاء. انظر كتاب الطبقات: حاشية (٢١)، ص٣٥٨.

(٤) يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى فى السودان، ص٤٥؛ يقول د.عبدالعزيز أمين عبدالمجيد «وقد كانت بلاد الحجاز (مكة والمدنة) فى الدرجة الثانية، بعد مصر، من حيث وفود طلاب العلم إليها من جميع أنحاء العالم الإسلامى للحج والمجاورة، وكان أمراء المسلمين يبنون بها المدارس والأروقة لطلاب العلم ويقفون الأوقاف السخية». التربية فى السودان، ص٥٠، وهذا دليل على العلاقة التى ربطت السودان بالحجاز.

ومن أوائل السودانيين الذين سافروا إلى الحجاز العجمي بن حسونة[١] الذى جاور بمكة، وسكن فى رباط العباسى، وانقطع للذكر والعبادة ومات دون أن يتزوج[٢]. وأخوه حسن بن حسونة[٣] الذى قضى فى تجواله بين الحجاز ومصر والشام اثنتا عشرة سنة[٤]، وعندما عاد أسس المدارس للتعليم والإرشاد[٥] وعبد الله بن دفع الله العركى[٦] حج أربعة وعشرين حجة واشتهر عنه بالعلم، وقد درس فى مقام الإمام مالك، وطاب له المقام «فلما طال مكثه بالحجاز سافر إليه أخوه الشيخ إدريس ومعه الحاج سلامة الضبابى، فحجا حجة الفريضة، وجابوه معاهم[٧]».

وأسس عمارة بن شايقي خلوته في الحلفاية، واشتغل بتدريس الرسالة والتجويد، وعلوم العربية والتفسير، بعد أن حج وجاور بمكة، واتقن هذه العلوم هناك[٨]. وعيسى بن بشارة الأنصارى[٩] الذى ولد بالمدينة المنورة وبها حفظ القرآن الكريم، ثم طلب

(١) العجمى بن حسونة اسمه محمد وأمه فاطمة بنت وحشية أمها صاردية خميسية ووالدها مسلمى (نسبة إلى المسلمية) وهى قبيلة صغيرة تسكن الجزيرة وترجع بنسبها إلى سيدنا أبى بكر الصديق إلا أن بعض كتب النسب تربطها بقبيلتى جهينة أو دار حامد. انظر الطبقات ص٨٨، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 1, P. 270.

(٢) الطبقات، ص٨٨.

(٣) وقد اشتهرت به قرية ود حسونة، التى تقع على بعد ٢٧ ميلا غرب أبو دليلك (على خطى ١٥,٣٥° شمالا و٣٣,١٤° شرقا)، ويسكنها ذرية أهله ويعرفون بالحسوناب الذين يزعمون أنهم أشراف حسينية. انظر: MacMichael: Vol. 2, P. 84, 161- 164, 294. ويبدو أن الحسوناب قد اختلطوا كثيرا بقبائل أخرى.

(٤) انظر: الطبقات ص١٣٣ – ١٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٦) نسبة للجميعاب والجيلى. انظر الطبقات. حاشية (١٨) ص ٢٥١.

(٧) انظر الطبقات. صفحات ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣.

(٨) انظر: الطبقات: ص٣٠٩.

(٩) جاء في كتاب ارشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى عبدالمجيد السراج أن اسمه: مضوى بن مدنى بن عبدالدائم ابن عيسى بن بشارة الأنصارى وينتهى نسبه عند جابر بن عبدالله الأنصارى الخزرجى. وأن عيسى هذا قد ولد بالمدينة المنورة فى أوائل القرن العاشر الهجرى ودرس فى مصر على الشيخ زكريا الأنصارى ومحمد البنوفرى وبعد أن تبحر فى مذهبى مالك والشافعى جاء السودان وتزوج بنت ملك الجموعية سليمان الدار. ثم أستقر فى كترانج حيث شيد مسجدا لتعليم العلوم الإسلامية وتوفى هناك فى أواخر القرن العاشر. وقيل أن بشارة قد لحق بأبيه في السودان وسكن بجزيرة كلومسيد في دنقلا. وقد خلف عيسى ابنا واحداً هو عبدالدائم وقيل أنه اجتمع بادريس ود الأرباب وعليه أخذ الطريق وكان عالماً. وخلف ولدين هما مدنى ومصطفى وقد حفظ مدنى القرآن على أبيه وله من الذرية ولد وأحد هو مضوى المترجم له. ويضيف المؤلف أن مضوى قد درس على العلامة محمد المصرى تلميذ يوسف الزرقانى غير العلماء الذين ذكرهم ود ضيف الله. انظر: الطبقات. ص٣٤١؛ إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى، مطبعة النهضة السودانية ١٩٥٥، ص٨ – ١٢.

العلم فى الأزهر، وبعد ذلك سافر للسودان، وأسس مسجد كترانج[١].

وهناك فئة كانت تسافر للحجاز طلبا للعلم، وتنتسب لطريقة من الطرق الصوفية. فالشيخ حمد المجذوب ذهب إلى هناك، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الفقيه على الدراوى المغربى[٢]، ومحمد بن عدلان الشايقى قرأ علم الكلام والمنطق والأصول على الفقيه عبدالله المغربى عالم المدينة، ثم قدم إلى تنقاسى «فأوقد نار القرآن ونار الكرم ونار علم المعقول[٣]».

ويعتقد أن أزدهار الدراسة فى الحجاز كانت مجالاً ليظهر فيها بعض علماء السودان نبوغهم، حتى أن علماء الحرمين كانوا يشيدون بعلمهم، وفى ذلك يذكر ود ضيف الله «أن جنيد بن طه أعطاه الله قبولا تاما عند الملوك والسلاطين ولاسيما أهل الحرمين والحجاز وجدة[٤]»، وعبد اللطيف بن الخطيب عمار برع فى مجال التدريس حيث درس جميع الفنون، واتصل بعلماء المغرب والروم والتكرور، وقد مدحه أحد علماء الحجاز بقوله: «عالم الديار السنارية، وعلامة الأقطار الإسلامية[٥]».

وبجانب ذلك كانت الحجاز ملاذا للفارين من قسوة الحكام، فهؤلاء كانوا يجدون الأمن بجوار بيت الله، وفى هذا يذكر أن عبداللطيف بن الخطيب عمار الذى نعته ود ضيف الله بقوله: «الأصولى النحوى اللغوى المتكلم الفقيه المنطقى المجود للقرآن، المجتهد فى مذهب الشافعى حج بيت الله بسبب نكبة حصلت له من سلطنة الفونج فجاور بسببها[٦]».

---

(١) إرشاد الساريك ص٨، الطبقات، ص٣٤١.

(٢) بشير كوكو حميده: لمحات من تاريخ المجاذيب، ص١٧؛ محمد الطاهر المجذوب: الوسيلة إلى المطلوب، القاهرة ١٣٣٢هـ، ص١١٤.

(٣) الطبقات، ص٣٥٩.

(٤) الطبقات: ص١٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٩٩؛ ويضيف ود ضيف الله: مدحه شيخه فى علم المنطق نور الدين اليمنى بقصيدة قال فيها:

عالم بأنواع العلوم بأسرها

حوى فى الورى المعقول مع وارد النقل

انظر الطبقات، ص٣٠٠.

(٦) الطبقات، ص٢٩٩.

ونجد للحجاز أثر آخر غير مباشر، فقد جلب منها علماء السودان الكتب العربية والدينية، وأحد هؤلاء هو الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ صالح بان النقا الذى جمع من الكتب التى طلبها من الحجاز ومصر ست خزانات(١).

- أثر العراق فى سودان وادى النيل:

اقترن دخول الطريقة القادرية، أكثر الطرق الصوفية انتشاراً فى السودان باسم تاج الدين البهارى البغدادى(٢) الذى قدم السودان(٣) فى نحو عام ٩٨٥هـ/١٥٧٧م من بغداد عن طريق الحجاز إثر دعوة من داود عبدالجليل التاجر السودانى(٤) وقد قامت هذه الطريقة على يد الشيخ عبدالقادر الجيلانى (١٠٧٧ - ١١٦٦م) ومن ثم دخلت إفريقيا فى القرن الخامس عشر(٥). ومن ثم أخذت القادرية تزدهر فى سودان وادى النيل حتى صارت مقصد غالبية السكان(٦).

---

(١) الطبقات، ص٢٩١.

(٢) نسبة إلى بغداد الذى ولد فيها. واسمه محمد البهارى. لعل فى تفسير كاتب الطبقات شيء من عدم الدقة وهو نوع من التفسيرات مازال غالبا فى شرح معانى أسماء الأماكن والأعلام. وينسبه عبدالمجيد عبدالعزيز عبدالمجيد (التربية: ٦٧/١) إلى مدينة ومقاطعة بهار فى ولاية البنجاب بالهند. وأسمها مشتق من بهار Vihara وقد فتحها المسلمون فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى، وقد اشتهرت تلك المدينة بعدد من العلماء ممن ترعرعوا فى كنف دولة المغول وينسبها الشاطر بصيلى (مخطوطة كاتب الشونة هامش ص٥) إلى البهرة بالهند. وقد فضل حسن الفاتح قريب الله: (التصوف فى السودان: ٨٧ - ٩٤) موضعاً آخر وحجته أن بهار الهندية ربما كانت بعيدة عن بغداد موطن عبدالقادر الجيلانى ومهد طريقته التى كتب لها الأزدهار فى السودان، كما أن النسبة إلى البهرة بهرى وليس بهارى. ويرجع الأستاذ حسن أن نسبته إلى بهار بلدة بالقرب من كرمان فى فارس وإليها تنتسب قبيلة بهار واحدة من قبائل التركمان التى لعبت دوراً هاماً فى الحركة الصوفية.

(٣) الإشارة هنا إلى الجزء الشرقى من بلاد السودان التى تمتد من البحر الأحمر حتى المحيط الهندى وتشمل الجزء الجنوبى من الصحراء الكبرى وتحد من الجنوب بالغابات الاستوائية.

(٤) C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 283.

(٥) يرجع حسن الفاتح تاريخ قدوم تاج الدين البهارى فى سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م انظر التصوف فى السودان، ص٩٤ - ١٠١.

(٦) الطبقات: ٤٩ - ٧٠، ١٠٨ - ١٠٩، ١٢٧، ١٣٣ - ١٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٣١٦، ٣٢٢، مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠، عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان، ص٥١، وأيضا: الطوائف الصوفية فى السودان، ص٦، محمد إبراهيم أبو سليم: دور العلماء فى نشر الإسلام فى السودان، الخرطوم ١٩٧٢، ص٧١.

- أثر المغرب والأندلس:

كان معظم علماء المغرب الذين تقاطروا على السودان الشرقى يدينون بالمذهب المالكى(١). وربما كان تفضيل السودانيين للمذهب المالكى يعزى إلى أن طبيعة ذلك المذهب تناسب حياة البداوة الغالبة على السودان الشرقى(٢).

ومن أشهر علماء المغرب الذين أثروا الحياة الدينية فى السودان التلمسانى المغربى(٣) الذى قدم مع الشيخ محمد بن عيسى سوارالذهب(٤)، فكان له أثر فى انتشار التجويد، والخط العربى وقراءة ورش فى كل من دنقلا وكردفان ودارفور(٥).

كذلك وفد من العلماء الذين يرجعون بأصولهم إلى المغرب والأندلس عبدالكافى المغربى(٦) الذى وفد على الشيخ إدريس بن الأرباب وعلمه التصوف(٧) وكذلك سعد بن شوشاى(٨) واللبدى(٩).

وللأندلس أثر آخر غير مباشر فى ثقافة سودان وادى النيل(١٠) يتمثل فى آثار لغوية وفكرية؛ ويرى الدكتور عبدالمجيد عابدين أنها جاءت عن طريق مصر وشمال إفريقيا، لأن الفكر الإسلامى كان قد انتشر فى جهات البحر المتوسط قبل أن يشق

---

(١) انظر: الطبقات، ص٤١. Y. F. Hasan: Sudan in Africa, P.11.

(٢) يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص١٢١.

(٣) انظر الطبقات، ص٤١، مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة ٢٠، ٢١.

(٤) انظر الطبقات، ص٣٤٧، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢١.

(٥) انظر الطبقات: ص٤١، ١١٠.

(٦) الطبقات، ص٤١، مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ص٢٠.

(٧) انظر الطبقات، ص٤٩، تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة ٢٠، ٢١.

(٨) الطبقات، ص٢٢٢.

(٩) نسبة إلى اللبدة (وتعرف أيضا باللبادة) وهى عبارة عن وسادة محشوة بالصوف أو القطن، وتوضع على الدابة وتحت السرج لتقيها وطأ الحمل. انظر: هامش الطبقات، (١٣)، ص٢٦٢.

(١٠) شهدت نهاية القرن الخامس عشر الميلادى نهاية دولة الأندلس بسقوط غرناطة على يد الأسبان فى سنة ١٤٩٢م. وقد تلا ذلك نزوح الأندلسيين إلى الشرق وتدفقهم فى موجات على أمتداد القرن السادس عشر وقد أخذ الأندلسيون معهم فى نزوحهم للشرق علومهم وفنونهم وآدابهم وخبراتهم انظر: عبدالمنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، القاهرة، ط الثالثة، ١٩٧٣م، ص٣٧٨، عثمان الكعاك: مراكز الثقافة فى المغرب، القاهرة ١٩٥٨م، ص٣٥؛ لوثروب ستوارد: حاضر العالم الإسلامى، ترجمة عجاج نهويهض، جـ٢، ط٣، بيروت ١٩٧١م، ص٢٣؛ يحيى محمد إبراهيم: مرجع سابق، ص٤١.

طريقه إلى سودان وادى النيل بزمن طويل، وأن الأندلس والجزر القريبة من حوض البحر الأبيض المتوسط، كانت مراكز إشعاع للقارة الإفريقية[١].

ومن العلماء الذين تركوا أثراً غير مباشر أبو الحسن الششترى[٢] (Shashtary) الذى يقول عنه عبدالمجيد عابدين: «أن صوفية سودان وادى النيل كإخوانهم فى مصر وشمال إفريقيا، توارثوا خلفاً عن سلف طريقة الزجل التى ابتدعها الششترى، وصاغوا أزجالهم على غرارها، كذلك فإن المدائح النبوية فى السودان إلى يومنا هذا لم تخل من تأثير الزجل الصوفى سواء فى الشكل أو المضمون[٣].

ومن هؤلاء محيى الدين بن عربى[٤] الذى اشتهر من كتبه فى سودان وادى النيل «الفتوحات المكية» و«عنقاء مغرب». وقد ظل أثره محصورا بين بعض الخاصة، ولم نر من ترسم خطاه فى بناء فلسفة صوفية متكاملة، ولم نجد سوى أفكار متفرقة، وعبارات مستمدة من آرائه وطرائق تعبيره[٥].

(١) من مصادر الثقافة العربية فى السودان، بحث مقدم للمؤتمر العالمى للغات والآداب بجامعة الخرطوم، ديسمبر ١٩٦٨، ص١.

(٢) على بن عبدالله الششترى النميرى: كان مجوداً للقرآن، عارفاً بمعانيه، له تآليف منها: «العروى الوثقى فى بيان السنة» و«المقاليد الوجودية فى أسرار الصوفية» و«الرسالة القدسية» وغيرها وله ديوان مشهور انظر: الزركلى: الإعلام، بيروت ١٩٧٤، جـ٥، ص١٢٠.

(٣) انظر: عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص٢٠.

(٤) هو محمد بن على بنمحمد بن أحمد بن عبدالله الحاتمى من قبيلة طى، يكنى أبا بكر، ويلقب بمحيى الدين، ويعرف بالحاتمى وبابن عربى لدى أهل المشرق تمييزاً بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربى، وبابن العربى لدى المغاربة، وكما يسمى هو نفسه فى كتبه، ويعرف فى الأندلس بابن سراقة، كان مولده عام ٥٦٠ هـ مُرْسية وهو من أسرة عريقة فى العلم والتقوى، وهو صوفى نادى بوحدة الوجود، وامتلأت حياة محيى الدين بالأسفار، رحل من الأندلس إلى المغرب فى مطلع عام ٥٩٠هـ، ورحل إلى مصر عام ٥٩٧هـ، وحج بيت الله الحرام، وطاف ببغداد والشام، وكانت وفاته فى الصالحية بالقرب من دمشق عام ٦٣٨هـ، يقول الشعرانى عنه فى اليواقيت والجواهر أنه ألف أربعمائة كتاب. انظر لمزيد من الدراسة:

Osman Yahia: Histoire et classification de L'Oeuvre L'Ibn Arabi - Etude er- irique Institut Francais de Damas 1944, Ouvrage Publié Par Le Concours du Centre National de La Recherche. Scientifique Tome 1, et 11; وانظر أيضًا: يحيى هويدى: تاريخ فلسفة الإسلام فى القاهرة الإفريقية، جـ١، ص٣١٦؛ محمد إبراهيم أبوسليم: الحركة الفكرية فى المهدية، الخرطوم ١٩٧٠، ص٢؛ يحيى محمد إبراهيم: مرجع سابق، ص٤٣.

(٥) محمد إبراهيم أبو سليم: مرجع سابق، ص٢ وما بعدها.

وهناك عالم آخر وهو الأخضرى(١)، انتشرت مؤلفاته فى سودان وادى النيل وبدار الوثائق المركزية نسخ خطية عبارة عن شروح على مختصره، وكذلك لعبد الواحد بن عاشر له كتاب «المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين(٢)».

- الطرق الصوفية :

إن ذا النون المصرى هو أول من وضع الأسس الأولى للصوفية فى تاريخ الحياة الروحية الإسلامية(٣)، «وقد كان ذو النون أوحد وقته علماً وورعاً وأدباً(٤)».

ولم يقتصر نشاط ذى النون على وضع أسس علم التصوف، بل كانت له علوم ومعارف أخرى، فقد ألحقه القفطى «بطبقة جابر بن حيان فى انتحال صناعة الكيمياء، وتقلد علم الباطن والإشراف على كثير من علوم الفلسفة(٥)».

وهكذا كانت لذى النون مكانة مرموقة فى عالم التصوف، وكان له أتباع ومريدين ساهموا فى قيام حركة صوفية قوية بمصر(٦) والنوبة(٧).

على أن الصوفية قد دخلت السودان قبل عصر الممالك والمشيخات الإسلامية التى ظهرت على أثر انهيار ممالك النوبة، وذلك لأن كثيرون من العرب المهاجرين

---

(١) لغوى وفقيه جزائرى من أهل بسكرة، ولد فى عام ٩١٨هـ/١٥١٢م له «شرح المسلم» و«الجوهر المكنون» و«الدرة البيضاء» و«حواشى وشروح على الصبان والباجورى». انظر الزركلى: الاعلام، جـ٤، ص١٠٨.

(٢) نشأ بفاس وتوفى بها، له «الكافى فى القرآن» و«مورد الظمآن فى رسم القرآن» و«شرح مختصر خليل» سركيس: معجم المطبوعات، القاهرة ١٩٢٨، جـ٦، ص٢٠٥؛ الزركلى: الاعلام، جـ٤، ص٣٢٣.

(٣) نيكلسون: فى التصوف الإسلامى وتاريخه: القاهرة ١٩٥٦م، ص١١٢.

(٤) السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، ٢٣٢٧هـ، جـ١، ص٢١٨؛ حول أصله ونسبه هو ذو النون المصرى الأخميمى - أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم المصرى - وكان أبوه إبراهيم عبداً نوبيا. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص ص ٣١٥، ٣١٦؛ ابن الجوزى: تنوير الغبش، ص٢٢٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص١٥٣.

(٥) القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٨٥ - ولمزيد من التفاصيل عن أحواله ومقاماته انظر: الشعرانى: الطبقات الكبرى المسماة «بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار»، القاهرة ١٢٩٦هـ، جـ١، ص٧٠، ١٤٩، السمعانى: أنساب العرب، ليدن ١٩١٢، ص ص٣٢٤، ٣٢٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٦) المسلمى: طبقات الصوفية، ط الأولى، دار الكتاب العربى، مكتبة الخانجى بمصر، ١٩٥٣، ص٦٧؛ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، عصر الولاة، دار الفكر العربى بدون، ص٦٦.

(٧) عن صوفية القرن الرابع الهجرى انظر: ابن الجوزى: تنوير الغبش، ص٢٥٩.

فى تلك الحقبة حملوا معهم صوفيتهم[١] وفى هذا يقول الدكتور عثمان سيد أحمد: «أن الصوفية قد دخلت السودان، بصورة أو بأخرى، مع دخول الإسلام فيه[٢]».

وهناك رواية مؤداها أن الشيخ حمد أبو دنانة، صهر عبدالله بن محمد بن سليمان الجزولى مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب[٣] قد قدم للسودان فى القرن الخامس عشر واستقر فى سقادى غرب[٤] الواقعة غرب المحمية فإذا صدقت هذه الرواية تكون الشاذلية أول الطرق الصوفية انتشارا فى السودان[٥].

والثابت أن أول طريقة صوفية دخلت السودان هى القادرية الجيلانية التى قامت على يد الشيخ عبدالقادر الجيلانى (١٠٧٧ - ١١٦٦م) فى القرن الثانى عشر الميلادى[٦]. ثم دخلت إفريقيا فى القرن الخامس عشر[٧]، وحوالى سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م جاء تاج الدين البهارى البغدادى الصوفى القادرى خليفة الشيخ عبدالقادر الجيلانى من مكة حيث كان حاجا، وأدخل القادرية فى سودان وادى النيل[٨]. ومن

---

(١) انظر: مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة ٢٠، ٢١، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص٦٣؛ عباس محمود العقاد: الطرق الصوفية، مجلة الكتاب، عدد يوليو ١٩٥٣، ص٧٩٣.

(٢) د.عثمان سيد أحمد إسماعيل «الختمية والأنصار»؛ السودان ١٩٧٠، ص١٦.

(٣) Y.F. Hasan: External Islamic influences and the Progress of Islamization in the Eastern Sudan,P.8.

مقدمة الطبقات، ص٣.

(٤) سقادى هى قرية من قرى الجعليين على بعد كيلومتر جنوب محطة المحمية وتقع على خط عرض ٠٦ ,١٧° شمالا وخط طول ٤٠ ,٣٣° شرقا، ويسكنها من فروع الجعليين: مكابراب، عمراب، عكاليت، شهديناب، كما يسكنها فادنية ومغاربة. انظر هامش الطبقات، ص١٤٨، حاشية (٨).

(5) C.F. Trimingham: Islam in the Sudan, P. 223 FF.;

وانظر كذلك: حسن محمد الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان إلى نهاية عصر الفونج، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، شعبة اللغة العربية ١٩٦٥، ص٢١٣، يحيى محمد إبراهيم، التعليم الدينى، ص ص٥٣، ٥٤.

(٦) انظر: الطبقات ، ص١٢٧، وجاء فى ترجمة عبدالقادر الجيلى بن الشيخ عبدالمحمود بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير بن مالك بن محمد بن سرور بن الحاج غذادة بن سرور ينتمى إلى قبيلة حمير اليمنية. انظر: الشيخ عبدالمحمود بن الشيخ الجيلى: عبدالقادر الجيلى، جـ١، الخرطوم، بدون، ص٤٩.

(٧) انظر: ارنولد: الدعوة، ص٢٧٧؛ عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة، ص٦٦.

(٨) مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢١، الطبقات: ص١٢٧؛ مخطوطة كاتب الشونة، ص٥، يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص٥١؛ Y.F. Hasan: Op. Cit., P.8 FF. عبدالعزيز عبدالمجيد، التربية، جـ١، ص٦٧.

ثم أخذت القادرية تزدهر فى هذه البلاد حتى اعتنقها الكثيرون(١).

أما الطريقة الصوفية الثانية فى السودان فهى الشاذلية التى تنسب إلى الإمام أبى الحسن الشاذلى المولود فى تونس عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، والمتوفى بحميثراء فى صحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م(٢)، وهو العالم الفقيه الصوفى السنى الذى يعتبر الامتداد السليم لمدرسة الإمام الغزالى(٣).

وقد انتشرت الطريقة الشاذلية فى سودان وادى النيل على يد خوجلى بن عبدالرحمن بن إبراهيم(٤) الذى جمع بين الطريقتين القادرية والشاذلية ثم تحولت الشاذلية من بعده إلى الشيخ حمد بن محمد المجذوب(٥) إذ أسس بعد عودته من مكة فرعا للشاذلية فى الدامر(٦)، وسميت طريقته بالمجذوبية(٧).

وتذهب روايات المجاذيب إلى أن جدهم الحاج عيسى هو أول من أخذ الطريقة

---

(١) طبقات ود ضيف الله: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) انظر: الطبقات، ص١١٤هـ، حسن الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان، ص٢١٣؛ يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص ص٥٣، ٥٤.

(٣) عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان، دار الفكر العربى، ١٩٦٨، ص٥٣.

(٤) نسبة إلى محمد كبانى بن عجم جد المحس. فهو خوجلى بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن حسب النبى بن فضل الله بن كرم الله ابن شكر بن سمرة بن عصفور بن سليمان بن محمد كبانى بن عجم. انظر: الصديق حضرة، ص٤٩١. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.100 FF. يقول ود ضيف الله: وأخذ علم الكلام والتصوف من الفقير أرباب وتفقه فى خليل على الشيخ الزين ولد صغيرون، وهو ممن جمع بين التصوف والفقه... وسلك طريق القوم على الشيخ أحمد التنبكتاوى الفلاتى القطب الربانى القاطن بالحرم المدنى. انظر الطبقات، ص١٩٠. C.F. Y.F. Hasan: External Islamic influences, P. 8. FF.

(٥) حمد بن المجذوب «حفظ الكتاب على الفقيه حمد بن الفقيه عبدالماجد وتفقه فى خليل والرسالة على الفقيه محمد بن مدنى بن محمد وعلى القرارى وعلم الكلام على الحاج سعد»، الطبقات، ص٨٧، وأسرة المجاذيب من الأسر المشهورة بالعلم والصلاح، وهم جعليون ويدين لهم كثير من الجعليين بالولاء الروحى انظر: بوركهارت، رحلاته، ص٢٣٦ – ٢٤٠، C.F. E.C.S. Lorimer,: "the Magadhib of El-Damer" S. N.R., XIX, 1936, P. 335 - 64.

هناك مجموعة كاملة من الوثائق الخاصة بالسادة المجاذيب «متنوعات» دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

(٦) انظر: طبقات ود ضيف الله، ص ص١٨٧، ١٨٨، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص٦٧، Trimingham: P. 196 - 225.

(٧) طبقات ود ضيف الله: ٤٩ – ٧٠، ١٠٨ – ١٠٩، ١٣٣ – ١٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٣١٦ – ٣٢٢.

القادرية عن البهارى، وظل هو وابنه وحفيده وغيرهم على القادرية حتى ظهر حمد بن محمد المجذوب فتحول إلى الشاذلية[١].

وقيل أن أول من «أوقد نار» الشيخ عبدالقادر الجيلانى[٢] أى أحيا القادرية ونشرها، هو الشيخ إدريس ود الأرباب[٣] (١٥٠٧ - ١٦٥١م) الذى يروى أنه أخذها بمدد من الرسول «صلعم»[٤]، أو من شيخ يدعى عبدالكافى قدم عليه «بالخطوة» من المغرب[٥]، وربما كانت الرواية هى الأقرب للصواب لصلة الصوفية بالمغرب. وحول محمد الهميم، وبان النقا الضرير وعبدالله العركى وأحفادهم الصادقاب، واليعقوباب والعركيين وغيرهم من المشايخ كالشيخ إدريس ود الأرباب وحسن ود حسونة أزدهرت الطريقة القادرية[٦].

تركز سعى أوائل المتصوفين الوافدين إلى السودان فى بذر وتعهد مبادئ العقيدة الإسلامية مع الأخذ بمبدأ التبسيط والتيسير. وكان المتصوفون يعتمدون فى تحقيق مراميهم على ما يتمتعون به من علم وخلق دينى وورع وزهد وسلطان روحى[٧].

---

(١) رواية الشيخ مجذوب جلال الدين. نقلا عن بشير حميده كوكو: المجاذيب، ص٨٨، محمد المجذوب بن محمد جلال الدين: كتاب الواردات الوهبية فى أوراد الطريقة المجذوبية، مطبعة الشبكشى بالأزهر، ص٢٢.

(٢) عبدالقادر الجيلانى (أو الجيلى) محيى الدين أبو محمد أبى صالح (٤٧٠ - ٥٦١هـ/ ١٠٧٧ - ١١٦٦م) الفقيه الحنفى، الواعظ، الصوفى مؤسس الطريقة القادرية. ولد نيف فى جيلان من بلاد فارس نشأ وتعلم فى بغداد وبها توفى. ويروى أنه من ذرية الحسن بن على. انظر: الشعرانى: الطبقات الكبرى، جـ١، ص١٢٦ - ١٣٢، الطبقات، ص٥٦.

(٣) انظر: الطبقات، ص٤٩ مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠، ٢١.

(٤) الطبقات، ص٥٦.

(٥) الطبقات: ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٦) يروى أن تاج الدين قبل أن يغادر السودان إلى الحجاز قلد بان النقا هذا شعار الرئاسة عند الفونج، وهو الطاقية والككر (الكرسى) ولايزال هذا الشعار لدى خليفة اليعقوباب انظر: الطبقات ص٤١، ٢٥٢، ٢٥٣، عبدالمجيد عابدين: الثقافة العربية ص٦٦ حاشة (٦).

(٧) يبدو لى أنهم سعو إلى نشر التعاليم الدينية بالتلقين وباستعمال الطبول والترانيم فى الأذكار الصوفية بحببوا كثيراً من العامة إلى طرقهم، محمد صالح محيى الدين: علاقات السودان الثقافية بالمغرب العربى فى العهد الفونجى، المجلة الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، العدد الثانى ١٩٧٥م، ص٤٦ - ٥٠.

ولقرب هؤلاء المشايخ من نفوس من حولهم كان انتشار الإسلام على أيديهم أوسع نطاقا إلا أنه كان مشوباً بكثير من الشعوذة والخرافة فالتف المريدون حول مشايخهم فى مساندة بعيدة المدى بلغت حد إضفاء خوارق الأعمال عليهم، كما جاءت فى «طبقات ود ضيف الله[١]».

لم يقتصر الإيمان بكرامات الأولياء على عامة الناس إنما انسحب أثره على الملوك والسلاطين أيضًا فأضحوا لا يقدمون على عمل شيء إلا بعد استشارة الأولياء[٢] وكثيراً ما ترد عبارة «وكانت لا ترد له شفاعة» فى معظم تراجم الأولياء التى ذكرها ود ضيف الله[٣].

وبرغم أن بعض الفقهاء لم يكونوا ليحسنوا الظن بالمتصوفين. إلا أنهم بدأوا يترسمون خطاهم بعد أن شاهدوا ما حققه رجال الصوفية فكان أن جمع العلماء بين علمى الظاهر والباطن، ونجد فى سيرة الشيخ دفع الله بن الشيخ أبى إدريس والشيخ مضوى بن مدنى والشيخ شرف الدين بن على ود برى أبلغ دليل على ذلك[٤].

والحق نقول أن وظيفة كل من الشيخ الصوفى والفقيه العالم لم تكن منفصلة للحد الذى أوضحته سابقا، بل لعله من العسير جداً أن نفرق بين الوظيفتين. ويتضح التلاحم بين الوظيفتين فى الاستعمال المحلى إذ تعنى كلمة «فكى» فقيه، وتجمع «فقرا» أى فقهاء. وترمز كلمة فقير إلى الصوفى، وتجمع فقراء أى متصوفة[٥] وبذلك صارت كلمة الفكى تشير دون تمييز إلى الفقيه الصوفى. ومرد ذلك كله أن الفقهاء جمعوا بين علمى الظاهر والباطن، وصاروا يعلمون النشيء مبادئ الفقه كما «يسلكون» الكبار فى طريق القوم فى الخلوة. ومن ثم جمعت الخلوة بين الوظيفتين التعبدية والتعليمية بعد

---

(١) انظر: كرامات الأولياء: طبقات ود ضيف الله. الترجمة: ٢٠، ١٧٥، ٦٦، ٩٤؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص١٢٦، ١٢٧.

(٢) انظر: مخطوط: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ٣، ٤.

(٣) انظر: طبقات ود ضيف الله: ١١، ٢٠٢، ٢٠٣؛ يوسف فضل: المقدمة ص١٢٨؛ وأيضا:
C.F. Y.F. Hasan: Islamic external infiuences, P. 76 - 77.

(٤) انظر: طبقات ود ضيف الله: صفحات ٢٠٥ – ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٣٢؛ محمد المكى إبراهيم: الفكر السودانى: أصوله وتطوره، ط الثانية ١٩٨٩، الخرطوم، ص١٨ – ٢٠.

(٥) انظر: الطبقات، ص٤٧، حاشية (١٥) من نفس الصفحة.

أن جمع الشيخ الواحد بين وظيفة الفقيه والفقير فصار «فكيا» بل صارت الخلوة وهى محور نشاط الفكي مركزاً للإشعاع الروحي والثقافي والاجتماعي في سائر القرى[١].

وخلاصة القول فإن المرحلة الثانية لنشر مفاهيم العقيدة الإسلامية وتعميقها جاءت، بعد اكتمال موجة الهجرات العربية، على يد العلماء والمتصوفة الذين اسهموا بما لديهم رغم محدودية محصولهم الثقافي والفكرى فقد كان عطاؤهم على قلته سخياً. أما التصوف قد كان له صدى واسع في نفوس عامة السودانيين وتشهد على ذلك الأضرحة والقباب المنتشرة على شواطئ النيل خاصة في مشيخة العبدلاب[٢].

ويرى الدكتور يوسف فضل أنه «قد التقت تعاليم الفقه الإسلامي النظرية والجوانب العملية من التصوف مع الموروث المسيحي والوثنى على بساط واحد دون صراع يذكر، الشيء الذى يعكس نوعا من التسامح والتراضى مازال موجوداً بين سائر السودانيين[٣]».

---

(١) انظر: طبقات ود ضيف الله: ص١١ – ١٣، ٣٤١؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص١٢٩؛ عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق، ص٦٥؛ محمد صالح محيى الدين: مرجع سابق، ص٥٢، ٥٣؛ ارنولد: الدعوة ص٩٩، ١٠٠.

(٢) انظر: ملحق الدراسة. بعض نماذج من القباب المنتشرة فى سودان وادى النيل.
– قبة الشيخ إدريس ود الأرباب بالعيلفون. شكل رقم (١/٩).
– قبة الشيخ النجمى بن الشيخ حمد ولد إدريس شكل رقم (٢/٩).
عن طبقات ود ضيف الله.

(٣) يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى، ص١٢٩.

ثانيا: أشهر المراكز الثقافية فى السودان وإسهامها فى الإنتاج العلمى:

عرف سودان وادى النيل المساجد(١) قبل أن يعرف الخلاوى(٢)، وكانت هذه المساجد أماكن للعبادة والوعظ والإرشاد(٣).

وتعتبر المساجد من أهم مرافق المدينة الإسلامية، وأهم ما تتمثل فيها العمارة العربية، فقد حرص المسلمون على بناء المساجد الجامعة عند إنشائهم المدن(٤).

وفى السودان اهتم الرعيل الأوائل من العلماء بإنشاء المساجد لنشر تعاليم الإسلام فاهتم بعضهم بتدريس القرآن وحده فيها، وركز آخرون على تعليم الفقه بينما جمعت بعض المساجد بين المنهجين(٥).

- مدارس المساجد:

عرف السودان المدارس الممثلة فى مساجده التى كانت فوق وظيفتها الأساسية

---

(١) المسجد: هو الموضع الذى يسجد فيه. قال الزجاج. كل موقع يتعبد فيه فهو مسجد، والجامع نعت للمسجد، وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع وما كانوا فى الصدر الأول يفردون كلمة الجامع، وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وطورا يضيفونها إلى الصفة فيقولون المسجد الجامع أو مسجد الجامع، ويطلق هذا الاسم عادة على المسجد الكبير لأنه مكان اجتماع الناس انظر: المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٠٨.

(٢) جاء فى نص معاهدة البقط كما ورد عند المقريزى: «.. وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا لمسلم قصده أو جاوره إلى أن ينصرف عنه، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته» الخطط، جـ١، ص٢٠٠،

C.F.: MacMichael: Op. Cit., PP. 157 -158.

ويرى ابن فضل الله العمرى أن مسجد دنقلا كان مسجداً جامعًا، وكان مأوى للغرباء، ويحظى بعناية ملكها الذى كان يبعث برسله إلى هؤلاء الغرباء ويستدعيهم إليه، فإذا جاءوا أضافهم ووهبهم وأكرمهم هو وأمراؤه. انظر: مسالك الأبصار جـ٢، رقم ٥٥١ معارف عامة، دار الكتب المصرية، ص٤٩٢. وعن مسجد دنقلة العجوز C.F. Crawfoot, J.W.: Christian Nubia, J.E.A. XIII, PP. 144 - 154; Somers Clarke, Christian Antiquities in the Nile Vialley, P. 44; Michalowski, Fouilles Polonaises a Dongola, Nubische Kunst, P. 165.

(٣) المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، نظمها ورسومها، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة الخرطوم (غير منشورة) إشراف بشير إبراهيم بشير ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٦، ٧٧.

(٤) على حسن الخربوطلى: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢، ص١٥٠.

(٥) بواكير الدعوة الإسلامية، الطبقات، ص ص ١٢، ١٣.

مكانا لتدريس العلم[١]، هذا بالإضافة إلى المساكن الداخلة، ورواتب الطلبة والمدرسين[٢].

ويطلق ود ضيف الله أحيانا كلمة مدرسة على مكان اجتماع الطلبة لدراسة العلم فى أى جزء من المسجد، كما يشير أحيانا إلى عدد الطلبة فيقول: «وكانت له مدرسة عظيمة فى «خليل[٣]». واستثناء على ذلك سوف نطلق كلمة مدارس على المساجد التى أتخذها مؤسسوها أماكن للتدريس بجانب وظائفها الأخرى.

- مدرسة أولاد جابر. (بلاد الشايقية):

ذكر ود ضيف الله. أولاد جابر فقال: «وأولاد جابر الأربعة كالطبايع الأربعة كل واحد له خاصية: أعلمهم إبراهيم، وأصلحهم عبدالرحمن، وأورعهم إسماعيل، وأعبدهم عبدالرحيم، وأختهم فاطمة بن جابر نظيرتهم فى العلم والدين[٤]».

وقد ولد أشهر الأخوة وهو إبراهيم بدار الشايقية، ثم رحل إلى الأزهر، وهناك درس على الشيخ محمد البنوفرى الفقه والأصول، وعندما عاد إلى بلاده درس

---

(١) سوف نطلق كلمة مدرسة على مسجد العلم، وذلك لما بينهما من تشابه وتداخل فى وظيفتهما. فالمدرسة مكان للدرس، والمسجد مكان للصلاة والعبادة ومقراً للدراسة. ويفرق البعض فيرى أن للمدرسة خواصاً، منها وجود الإيوان الذى يعد أبرز مرافقها وأهمها. ومن خواصها أيضاً المساكن التى تبنى بالقرب منها ليعيش فيها الطلاب والمدرسون الذين ينتسبون إليها. ويرى البعض أنها المكان المشيد للتعليم خاصة، وللدخول فيه شروط معينة، وأن يرتب لمن فيه من الطلاب والمدرسين الرواتب الخاصة، وأن يكون مزودا بكل ما تحتاج إليه الدراسة من عدد الدروس والكتب والألواح والغرف. انظر: أحمد شلبى تاريخ التربية الإسلامية، ط الثانية القاهرة ١٩٦٠، ص٩٦؛ اسماء فهمى: مبادئ التربية الإسلامية، القاهرة ١٩٤٨، ص٢٣؛ محمد عبدالرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية، مراكش ١٩٥٣، ص١٠٨، ١٠٩.

(٢) انظر: بواكير الدعوة «الطبقات» ص١٢.

(٣) جاء فى ترجمة محمد بن مسلم المشهور بامة قوته: «أما مسلم أبوه حلنقى من ناس ولد سيد وامه قوته بنت آمنة فاطمة بنت جابر أخت الائمة الأربعة. وأخذ علم الفقه (خليل والرسالة من خاله الفقيه محمد بن التنقار). ومهر فيه حتى صار واحد زمانه وأذعنت له جميع علماء الجزيرة كأنه ابن عرفه، وله فى هذه الكتب باع طويل مادام موجوداً ما أحد من العلماء يدرس بحضرته ولا يفتى.. ويدرس خليل والرسالة والعقايد وابن عطاء الله وشراب القوم وكانت مدرسته فى القوز» انظر الطبقات، ص٣٦٢، وعن القوز انظر: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 302.

(٤) انظر: الطبقات: ص٤٦، ص٢٥١. مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة، ص٢٠، ٢١، انظر تفاصيل اختلاف نسبهم فى مقال محمد محجوب مالك عن مخطوطة الطبقات، نشر بمجلة بوليس السودان، عدد الثالث، يوليو ١٩٦٦، ص٣٠ - ٣٢؛ تكولز: الشايقية، ص١٦، ١٧.

«الخليل» و«الرسالة[١]» لأربعين من تلامذته صاروا كلهم أولياء وأقطابا، منهم أخوه عبدالرحمن الذى درس «الفقه وسائر الفنون» بعد أخيه وبلغت ختماته فى «خليل» «أربعين ختمة»[٢].

ويشير ود ضيف الله إنه كان يقضى فى كل مسجد من مساجدهم الثلاثة فى كورتى والدفار ودار الشايقية أربعة أشهر، ويعتقد أن يكون قد أنفق جانباً من وقته فى اختيار اتباعه ومريديه، لأننا نرى له اهتماما بالتصوف، «مزاولة وتأليفا[٣]».

ويتضح من اختيار هؤلاء العلماء أن كل واحد منهم تميز بخاصية كما وصفهم ود ضيف الله[٤]، مما كان له أثره فى إرساء قواعد نهضة علمية زادت من أثرها قوتهم فى العلم، ودراستهم فى الأزهر، حتى انتشر المذهب المالكى عن طريقتهم فى أجزاء من البلاد، وقد ضمت حلاقاتهم طلاباً فى أعمار ومستويات مختلفة، فبعضهم كانوا يدرسون الرسالة، وهؤلاء عادة هم المبتدئون وأما المتقدمون فكانوا يدرسون «الخليل[٥]».

---

(١) تذكر مخطوطة: كتاب فى ذكر نسب غلام الله، ص٢٠، ٢١، إنه عند قدومه من مصر وجد الناس فى فترة تدهور فى تعاليم الدين بسبب الحروب وقد جهل الناس آنذاك قواعد الشريعة، ولم يجدوا أحد بين ما يرثه الرجل والمرأة، ويوضح لهم أركان الإسلام فقام البولاد بذلك فسر منه ملك الشايقية وأعلن على الملوك أنه طلب ولد جابر لأجل أن يعلمهم الشريعة ولما بنى مسجده وضع فيه خمسة أعمدة حذو بقواعد الإسلام، وصار ملوك الشايقية يحضرون لاستماع الدروس والإرشادات التى كانت توجه إليهم من داخل هذا المسجد، ويلاحظ مدى التشابه بين هذه الرواية وبين رواية ود ضيف الله عن تعليم محمود العركى الناس العدة بعد قدومه من مصر.

(٢) انظر: الطبقات، ص٢٥١، انظر مدرسة أولاد جابر على الخريطة شكل رقم(١٨) بملحق الدراسة.

(٣) انظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص٢٥١.

(٤) فتلميذه عبدالله العركى ولاه الشيخ عجيب القضاء فباشره بعفة ونزاهة، وكان له باع فى التوحيد. الطبقات: ص٢٥٤؛ وعبدالرحمن النريوى تولى القضاء فى عهد الملك دكين ود نائل (تولى عرش سنار ٩٧٦هـ/١٥٦٩م)، وكان له معرفة فى علم القضاء وفصل الخصومات. الطبقات ص٢٥٥؛ أما إسماعيل فقد مال إلى التصوف؛ ودرس الفقه على أخيه عبدالرحمن ثم جلس فى خلوته من بعده؛ وقد أجازه شيخه البنوفرى فى الفقه، واشتهر من تلاميذه الشيخ صغيرون الذى أجازه فى التدريس، وعبدالرحمن ولد حمدتو. الطبقات ص٤٦، ص٥٦؛ أما فاطمة فقد علمت عشرين إنسانا. الطبقات ص٢٥٨.

(٥) انظر: الطبقات، ص٢٥١ وما بعدها؛ محجوب زيادة: مرجع سابق ص٥٥؛ يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى، ص١١٦؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص٨٥، يوسف فضل: بواكير الدعوة «الطبقات»، ص ص١٢، ١٣، وأيضا: External influences, P. 67 - 77.

وعن طريقة التدريس في هذه المدرسة تنقل لنا مخطوطة «كتاب في ذكر نسب غلام الله» أن إبراهيم البولاد كان يلجأ إلى طريقة علمية عند شرحه للدرس «فكان كلما تكلم عن ركن من أركان الإسلام يجلس في كل عمود من عمائد المسجد لتوضيح أركان الإسلام الخمسة من الشهادتين إلى حج بيت الله الحرام[1]»، وهي طريقة تتناسب مع قوم حديثي العهد بالإسلام وتعاليمه.

وبجانب مدرسة أولاد جابر شهدت بلاد الشايقية مدارس أخرى، بعضها اشتهرت بتدريس القرآن وأحكامه، وأخرى جمعت بينه وبين العلم، ومن النوع الأول مدرسة الحمتوياب[2]، الذين كانوا من الشهرة والسعة في العلم بحيث لا يقبلون في حلقاتهم إلا من يلمسون فيه القدرة على الاستيعاب[3].

وفي تنقاسي[4] ظهر الشيخ محمد بن عدلان[5] الذي درس علم الكلام والمنطق والأصول العربية بالمدينة المنورة، ومن ثم نقل هذه العلوم إلى بلاده ولم تكن هذه الكتب معهودة لهم من قبل[6].

وكان لمدرسة تنقاسي هذه عناية بالتصوف، ومؤسسها كان صاحب تآليف وشروحات انتفع بها أتباعه ومريديه[7].

---

(١) مخطوطة: في ذكرة نسب غلام الله، ص٢١، هذا وقد أمتد أثر أولاد جابر العلمي إلى ابن أختهم محمد صغيرون الذي سلك نفس الاتجاه حيث تفقه على أستاذهم البنوفري، ثم جلس للتدريس بعده ابنه الزين الذي بلغ مكانة رفيعة في العلم انظر: الطبقات، ص٧٣.

(٢) عبدالرحمن بن حمدتو الخطيب زعيم أسرة الحميتاب في دار الشايقية، ويسكنون بنوري وأم بكول، وبعضهم بمنطقة المناصير في أرض الزورة، وفي نادي بدار الرباطاب وفي الفجيجة وقندتو بديار الجعليين وفي الهلالية بالجزيرة والحميتاب من ذرية أبي بكر الصديق، ويلتقون مع الزنارخة في جدهم نجم، ولاختلاطهم بالشايقية كثيراً ما عدوا منهم انظر: الطبقات، حاشية رقم(٦). ص٢٥٦.

(٣) ومن علماء هذه المدرسة مؤسسها الشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو تلميذ البنوفري، والشيخ حمد الأغبش، والشيخ إبراهيم الفرضي. انظر الطبقات: ص٣٧، ٢٥٦.

(٤) قرية تقع شمال مروى على خطي ١٨,٢٥ ْ شمالا و٣١,٤٧ ْ شرقا. الطبقات حاشية ٢١، ص٣٥٨.

(٥) محمد بن عمران، أخذ علم الكلام والمنطق من المضوى بن المصرى ببندر شندي وشرح أم البراهين، شرحاً مفيداً انتفعت به الطلبة ودرسوا الكتب به «وهو» نحو عشر كراريس. ودرس بعد شيخه، وانتفعت به الطلبة. انظر: الطبقات، ص٣٥٨. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 256

(٦) انظر الطبقات، ص٣٥٨، ص٣٥٩.

(٧) المصدر نفسه، والصفحات.

ولهذا النوع من الاهتمام بالعلم ذاعت شهرة مدارس الشايقية، وصارت مراكز إشعاع دينى وعلمي، ومنها خرجت جماعات تحمل مشاعل العلم إلى دار الأبواب والجزيرة وغيرها[١] وقد بقيت هذه المدارس كعبة يحج إليها طلاب العلم من كل أطراف السودان لأنهم كانوا يجدون أن أكثر العلوم الإسلامية يقوم بتدريسها أشهر العلماء، وهذا ما يقرره بوركهارت عندما يذكر أن العلوم الإسلامية ماعدا الرياضيات والفلك كانت تدرس فيها، وعلماؤها كانوا يجدون احترامًا زائداً من المواطنين وبداخليتها طلاب من أماكن أخرى[٢].

– مدرسة سوار الذهب.. «دنقلا»

هناك عوامل كثيرة ساهمت فى شهرة الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى[٣] المشهور بسوارالذهب، فهو ينتسب من جهة أمه إلى الشريف حمد أبى دنانة[٤]، صهر الشيخ الجزولى مؤسس الطريقة الشاذلية، ووالده كان صاحب مدرسة مشهورة فى تدريس الخليل[٥]، كما تتلمذ على أولاد جابر[٦]. وقد شهد له بالعلم والصلاح.

قرأ التوحيد والمنطق وعلوم القرآن على الشيخ محمد المصرى، وقد أخذ نفس العلوم مرة أخرى على التلمسانى المغربى الذى قدم عليه فى أول النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى، وعلى يده انتشر علم التوحيد والتجويد فى جزيرة الفنج[٧].

هكذا نرى أنه قد جمع بين العلم والتصوف، وبالتالى جمع بين التأثير المصرى، والتأثير المغربى، ولا غرو إذا رأينا نبوغ تلاميذه فى نفس العلوم التى اشتهر

---

(١) الطبقات: ص٣٥٩.

(٢) رحلات بوركهارت: ص ص٦٠، ٦١.

(٣) نسبة إلى قبيلة البديرية. انظر الطبقات، ص ٢٧٢.

(٤) تزعم الروايات أنه تقدم دار الابواب وسكن جهة المحمية فى القرن الخامس عشر الميلادى، وزوج احدى بناته للشيخ عيسى والد المترجم له، والثانية للشيخ عجيب العبد لابى.

MacMichel: Op. Cit., Vol. 2, P. 62, 64, 65, 70. Crawford: Op. Cit., P. 41.

(٥) الطبقات، ص ١٧، ٧٩، ٣٤٧.

(٦) الطبقات، ص ٢٧٢.

(٧) الطبقات، ص ص٣٤٦،٣٤٧.

بها[١]، بالإضافة إلى مشاهير القضاة الذين بلغوا مكانة سامية[٢].

- مدرسة بربر:

قدم الشيخ محمد بن علي بن قرم الكيماني المصري الشافعي إلى سودان وادي النيل «من أول ملك الفنج» ودخل سنار ثم توطن في بربر[٣] وبنى له مسجداً صار مركزاً لتعليم الفقه الشافعي، ودرس فيه مشاهير العلماء منهم «الشيخ عبدالله العركي، والقاضي دشين الشافعي، والشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو، والشيخ إبراهيم الفرضي، والشيخ جويدة صاحب المنظومة والشيخ محمد المصري.. تلقى هؤلاء العلماء الفقه الشافعي، بجانب دراسة «المنهج» و«المنهاج» وكلاهما من كتب الشافعية التي كانت تدرس في حلقاتهم[٤].

وتأسست في بربر مدرسة أخرى أنشأها الشيخ محمد المصري القناوي لتدريس الفقه والتوحيد والنحو وسائر العلوم الدينية، بجانب معرفته بأحكام القضاء[٥].

- مدرسة الغبش:

تعود نشأة هذه المدرسة إلى الشيخ عبدالله البديري الدهمشي المعروف بالأغبش[٦] استهل حياته العلمية بحفظ القرآن على يد الشيخ محمد عيسى سوار

(١) أخذ عليه التوحيد وقرأ عليه القرآن وأحكامه كل من عبدالله الأغبش والد الغبشي، ونصرالله الترجي والد الفقيه أبو سميته شيخ اريجي، والفقيه عبدالرحمن بن أبوملاح والد الشيخ خوجلي وغيرهم. أنظر: الطبقات، ص ٤١، ٩٧، ٣٤٧.

(٢) أنظر: الطبقات: صفحات ١٢٥، ١٥٠، ١٨٣، ١٨٤، أنظر موقع المدرسة على شكل رقم (١٨) بملحق الدراسة.

(٣) الطبقات، ص٣٥٣. خذا وقد أخذ محمد بن علي قرم الكيماني العلم من الخطيب الشربيني وهو (شمس الدين بن أحمد الشربيني من فقهاء الشافعية عاش في القاهرة في عام ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م وله مؤلفات كثيرة منها السراج المنير اربعة مجلدات في تفسير القرآن الكريم ومغني المحتاج أربعة أجزاء في شرح منهاج الطالبيين للنواوي ومناسك الحج أنظر الزركلي، جـ٦، ص٢٣٤.

(٤) أنظر بواكير الدعوة (الطبقات) ص ٥، الطبقات ص٢٣٩، ٣٥٢. أنظر الخريطة شكل رقم (١٨).

(٥) أنظر: الطبقات، ص١٠٠. يقول عنه إبراهيم عبدالدافع: «ومنهم المصري نزيل بربر... هو محمد القناوي الشهير بالمصري لكونه أخذ العلم من الشيخ سالم السنهوري والشيخ يوسف الزرقاني قدم بلاد الفنج أول النصف من القرن العاشر في زمن الشيخ عجيب ودخل بربر وأريجي وسدار، ووافقه سكلي بربر، ودرس فيها ساير العلوم وولي القضاء وباشر بعفة ونزاهة». أنظر طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، حققه إبراهيم أبو سليم ويوسف فضل، الخرطوم ١٩٨٢م، ص١١٧.

(٦) يرجع السبب في تسميته بالأغبش إلى أنه عندما كان تلميذاً عند أولاد جابر صلى بالناس الكسوف وقرأ فيها سورتي البقرة وآل عمران، فأنجلت الشمس فقال أحد ملوك الشايقية عندئذ، نعم أهل الغبشة فسار عليه اسم الأغبش. الطبقات ص ٢٧٩.

الذهب فى دنقلا، ثم رحل إلى أولاد جابر فى دار الشايقية لدراسة العلم، ثم عاد إلى برير، وفيها أسس مدرسته التى تعاقب عليها أولاده وأحفاده بالتدريس.

ولهذه المدرسة فضل في ازدهار علوم القرآن وعلوم الدين، فمحمد الأغبش درس بعد أبيه عبدالله، وجمع بين العلم والعمل[١]، وعبدالماجد حفظ القرآن على أبيه، ثم قرأ «مختصر خليل» على الشيخ الأعسر[٢]».

- مدرسة الدامر:

وصف بوركهارت مسجد المجاذيب بالدامر بأنه كبير حسن البناء، يسنده عقود من الآجر، وأرضه مفروشة بالرمل الناعم، وإليه يأوى الغرباء لأداء الفريضة وتلقى العلم[٣].

وقد شملت الدراسة علوم القرآن والفقه، ومحاضرات فى التفسير والتوحيد حتى ذهب هولت إلى القول بأنها كانت أقرب ما تكون إلى جامعة إسلامية[٤].

- مدرسة شندى:

قدم الشيخ المضوى المصرى بطلبته من برير إلى شندى، وشرع فى تدريس الرسالة والنحو وعلم الكلام والأصول والمنطق، وعمرت حلقته بالطلاب[٥]. ثم خلفه فى التدريس تلميذه عبدالقادر البكارى الذى كان كأستاذه بارعًا فى كثير من العلوم وشرح «أم البراهين» شرحاً مفيداً[٦].

وأسس الفقيه محمد صغيرون جد الصغيروناب مركزاً دينيًا فى الفجيجة جنوب شندى، ثم تطورت الدراسة فيه على يد ابنه الزين الذى إمتد أثره إلى عدد كبير من الأبناء والأجداد والأحفاد[٧].

---

(١) الطبقات، ص١٥٣.

(٢) من علوم الدراسة انظر الطبقات ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص٢٠٦.

(٤) انظر: هولت: الأولياء والصالحون والمهدية في السودان. ط الثانية، بيروت ١٩٧١، ص٢٥. وعن علوم الدراسة انظر الطبقات، ص١٨٨؛ إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص١١٥. انظر: الخريطة شكل رقم (١٨).

(٥) انظر: الطبقات: ص١٠١ - ١٠٢.

(٦) الطبقات: ص٢٦٨.

(٧) الطبقات: ص٧٣، هولت: مرجع سابع، ص١٩ -٢٠.

- مدرسة الحلفاية:

أتخذ البندارى منطقة الحلفاية مقراً لتدريس القرآن قبل قيام مملكة الفونج أو فى مستهله، ذلك أن الشيخ إدريس ود الأرباب الذى دخل هذا المكتب كانت ولادته فى سنة ٩١٢هـ/١٥٠٧م(١) وإذا أفترضنا أن عمره كان سبع سنوات عندما دخل المكتب فإن هذا يؤكد ما ذكرناه عن وجوده قبل عهد الفونج أو فى مستهله.

لقد شهدت منطقة الحلفاية بوادر الدعوة الدينية منذ وقت مبكر، وكان للضرير وأبناء عون أثر فى ذلك(٢).

- مسجد الحلفاية بين الهنوناب والجموعية:

أشار ود ضيف الله إلى مسجد الحلفاية(٣) واقترانه بالشيخ موسى بن هنونة تلميذ الشيخ دفع الله العركى، الذى كان يحبه ويجله بحيث أسمت ابنته رية بنت موسى بن هنونة ولدها دفع الله بن محمد الكاهلى على شيخ أبيها دفع الله العركى(٤). ويعتقد أن موسى ابن هنونة كان يتولى القيام على أمر مسجد الحلفاية كما يستدل من أخبار حمد بن حميد أن الذى جاء به الشيخ موسى بن هنونة للتدريس فيه(٥).

ويؤكد الدكتور عبدالعزيز أمين عبدالمجيد أن موسى الجعلى هو نفسه موسى بن هنونة وأنه هو الذى كان يدرس القرآن، أولا بالمسجد، وعلى هذا الرأى يكون حمد بن

---

(١) إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، حققه محمد إبراهيم أبوسليم، يوسف فضل، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، سنة ١٩٨٢، ص٢٩.

(٢) يبدو أن صلة الحلفاية بالصالحين والعلماء أقدم من ذلك بكثير كما يستشف من أخبار الشيخ إدريس بن الأرباب، وأخبار الضرير والفقير أبناء عون الله (أو غلام الله) المدفونين بجهة الصبابى. أنظر: الطبقات ص٧٢، القحل، ص١٠٨، عون الشريف، حلفاية الملوك، ص١١٥، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، التربية، جـ١، ص٥٩؛ وانظر أيضاً: الطبقات ص١٤٩؛ انظر أيضاً ما سبق أن أوضحناه عن أبناء عون الله فى هذا البحث. ص.

(٣) انظر: الطبقات، ص٢١٠.

(٤) الطبقات، ص٢١٠.

(٥) يقول ود ضيف الله عن حمد بن حمد بن حميدان «قرآ على الشيخ دفع الله العركى، وقيل على الشيخ موسى الجعلى فى مسجد الحلفاية، ومقرى أولاده، ويسمى عندهم شيخ العيال، فلما قدم بلده أعطاه الشيخ دفع الله العركى عبدالله ولده والأمين ولد بنته للاقراء (أى ليد رسهم) وأذن له فدخل مسجد الحلفاية ودرس فيه وقرأ عليه أئمة صالحون.. وبعدهم ترك التدريس ثم جابه موسى وله هنونه للقراءة فى المسجد ثانيا.. فمكث فى المسجد للاقراء الى أن توفاه الله. انظر: الطبقات، ص ص١٥٣، ١٥٤.

حميدان من تلاميذه بمسجد الحلفاية، ولما ترك حمد التدريس بالمسجد جاء موسى بن هنونة ليواصل التدريس ثانية(١).

ولكن ما أورده صاحب الطبقات عن الفقيه إمام بن موسى الجعلى هذا تجعلهما شخصيتين مختلفتين وكلاهما مرتبط بمسجد الحلفاية؛ ويتضح من رواية الطبقات أن موسى الجعلى جموعى الأصل(٢)، إذ تذكر الرواية أن عثمان ود حمد الشايقى أغار على دار الجموعية وسبى خدماً للفقيه إمام بن الفقيه موسى الجعلى فجاء إلى الفقيه محمد بن دوليب(٣) وقال له: «أنا رجل جعلى بدورك ترد لى فرخاتى من عثمان، فذات يوم قام الفجر يقرأ القرآن وكان حسن الصوت ومجوداً فسأل عنه فقالوا له: الجموعى سيد الرقيق، فناداه وقال له: إنت بتحفظ القرآن، قال له: أنا حافظ ومجود وأبوى كذلك، فلامه وقال له: تقول أنا جعلى، والله قال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وما قال جعليكم، وأرسل إلى عثمان فرد عليه جواريه(٤)».

---

(١) عبدالعزيز أمين، التربية فى السودان، جـ١، ص٩٢.

(٢) انظر: الطبقات، ص ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) كتب محمد بن محمد دوليب الطرف الثالث من مخطوط مهم يذكر مكمايكل ملخصا له فى الجزء الثانى من تاريخ العرب فى السودان، جـ٢، ص١٩٧ – ٢١٢ وأصله محفوظ بدار الوثائق المركزية، والطرف الأول من الكتاب من تأليف غلام الله بن عايد وهو عن تاريخ الخليقة حتى العصر العباسى. والطرف الثانى منه من تأليف محمد دوليب الكبير، وقد أورد فيه روايات وحوادث تاريخية يكمل بها مؤلف غلام الله. أما الطرف الثالث والذى ألفه محمد دوليب الصغير فخاص بسكان السودان وقبائله، وقد عده مكمايكل أهم من الطرفين السابقين. انظر طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص١١٣.

(٤) انظر: الطبقات: ص ص ٣٤٨، ٣٤٩.

- مدرسة كترانج[١] :

يرجع تأسيس مسجد كترانج[٢] إلى أوائل القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى[٣] ففى ذلك التاريخ قدم الشيخ عيسى بن بشارة الأنصارى إلى كترانج بعد أن درس فى الأزهر العلوم المعقولة والمنقولة، وبرع فى المذهبين الشافعى والمالكى[٤]. وتذهب الروايات إلى أنه حين قدومه اتصل بقبيلة الجموعية، وتزوج

(١) انظر الخريطة بملحق الدراسة. (موقع قرية كترانج) شكل رقم (١٦) كترانج (بضم الكاف وسكون التاء والنون) هى إحدى قرى مديرية الخرطوم، وتقع على الشاطئ الشرقى من النيل الأزرق، وعن أصل اسمها يرجعه البعض إلى «قطر عنج» فهو أصل علم مركب تركيبا إضافيا، وأنه يحدد أنها كانت مسكنا من مساكن العنج، وتعليل آخر أن كلمة «كتره» بضم الكاف والتاء وسكون الراء، تعنى «مكاناً آخر» أو «جهة ما» أو نحو ذلك. أما رانج فهو اسم لأحد ملوك العنج، ومازال الناس بالقرية يذكرون هذا الأسم ويقولون أن «رانج» كان يسكن تلك المنطقة. ودليل ذلك أنه توجد الآن شمال القرية آثار تنسب إليه هى بقايا من «الطوب الأحمر» المتناثرة بكثرة والتى تشير إلى الحياة التى كانت تقوم هناك. وأهل القرية يسمون هذا الموضع «الضنيقيلة» ويتضح مما تقدم أن التعليل الثانى لاسم تلك القرية، يعتمد على مركب إضافى هو «كترانج» ونقول إن هذا المركب على ضوء هذا التعليل يعنى «مكان رانج» أو «جهته» أو ناحيته مثلا ثم حذفت إحدى الراءين للتخفيف، كما سكنت التاء لنفس السبب فصارت «كترانج» بضم الكاف وسكون التاء والنون وهذا التعليل الثانى هو الشائع عند أهل القرية دون سواه. انظر عزالدين الأمين: قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، ط الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص٨؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان جـ٣، ص١٨؛ وانظر كذلك آراء أخرى حول اسم كترانج.

(٢) لقد ظل أمر هذه المدرسة مجهولاً رغم الدور الذى قام به مؤسسها عيسى بن بشارة الأنصارى وأولاده وأحفاده لنشر العلم والدين. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن ود ضيف الله صاحب كتاب «الطبقات» فى تراجم الأولياء والصالحين أغفل ذكر هذه الأسرة، حيث لم يترجم إلا للمضوى، وأغفل ذكر أحمد ود عيسى. وفى الآونة الأخيرة جمع محمد عبدالمجيد السراج فى كتابه «إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصار» بعض مآثرهم اعتماداً على روايات الأحفاد. ومنذ سنوات اكتشف د.محمد إبراهيم أبوسليم ذيلا للطبقات تضمن تراجم لبعض علماء كترانج لم يذكرهم ود ضيف الله، جاء مؤكدا لدور آل عيسى وتراثهم العلمى. أنظر: قرية كترانج، ص٨ وما بعدها.

(٣) انظر: محمد عبدالمجيد السراج: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى ابن بشارة الأنصارى، ص٨، ١٥ – ١٨؛ كاتب الشونة ص١٠٢ – ١٠٦؛ عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص١٣.

(٤) هو أحمد بن عيسى بن مضوى بن مدنى عبدالدائم بن عيسى بن بشارة الأنصارى الخزرجى، يقال أن جده عيسى بن بشارة ولد فى المدينة المنورة ودرس فى مصر على الشيخ زكريا الأنصارى ومحمد البنوفرى وقدم للسودان فى القرن العاشر وتزوج بنت سليمان النارمك الجموعية، ثم استقر فى كترانج، حيث يقيم جماعة من رفاعة، وبنى فيها مسجداً لتعليم العلوم الإسلامية وظل هذا المسجد يزدهر فى كنف أحفاده، وقد ولد أحمد بكترانج سنة ١١٣٤هـ وصحب فى مصر عدداً من أجلة العلماء أمثال أحمد الدرديرى وحسن الكفراوى، والشريف المرتضى الزبيدى وحصل منهم على عدد من الإجازات. وبعد عودته للسودان أخذ يدرس الفقه فى مسجد كترانج، ثم انتقل إلى سنار، وتوفى ذى الحجة ١٢٤١هـ/ يوليو ١٨٣٥م. وقد رثاه السيد أحمد السلاوى والفقيه إبراهيم عبدالدافع انظر: إرشاد الساريى: ص٨، ١٥ – ١٨؛ كاتب الشونة، ١٠٢ – ١٠٦؛ قرية كترانج، ص١٣٠.

بنت ملكها، ثم رحل لجهة كترانج فأسس مسجده هناك، وحوله بنيت الحلة القائمة الآن[١].

إذاً فقد كان معاصراً للعركى والبولاد، وإن لم يكن سابقًا لهما فى القدوم لأنه درس على نفس أساتذتهما، ويرجح الدكتور عزالدين الأمين أنه كان معاصراً للشيخ البندارى ومعاصريه من العلماء، وأن بركات بن حمد ابن الشيخ إدريس الأرباب ومضوى بن مدنى عبدالدائم ابن عيسى كانا ندين، إذ درس كل منهما على الآخر، مما يحتمل معه أن يكون الشيخ إدريس المولود فى سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م نداً للفقيه عبدالدائم، وبالتالى يكون الشيخ عيسى والد عبدالدائم معاصراً للشيخ البندارى أستاذ الشيخ إدريس[٢].

وقد بدأ عيسى هذا بتدريس القرآن والعلوم الدينية، ثم خلفه ابنه عبدالدائم فى التدريس بعد أن درس عليه القرآن، وسمع منه الحديث والتفسير أما حفيده المضوى فيروى ود ضيف الله عن علمه وتصوفه فيقول: «ولد بكترانج وتفقه على الفقيه القدال بن الفرضى وأخذ طريق القوم على الشيخ بركات بن حمد، وأخذ أيضاً على الشيخ شرف الدين ولد برى، وسلك وأرشد، وكان شاعراً، وله فى النبى قصائد وأشعار مطربة للنفوس[٣]».

وأما نوع التصوف الذى أخذ به كل من عبدالدائم وابنه المضوى فهو الطريقة القادرية، لأن الشيخ خوجلى الذى أخذ عنه الأب كان قادرى الطريقة، شاذلى الأوراد، كذلك كان الشيخ إدريس ود الأرباب أحد أقطاب القادرية، وفى رواية أنه أول من نشرها فى سودان وادى النيل[٤].

وأما المضوى فقد أخذه من بركات بن أحمد بن إدريس الذى سلك طريقه جده إدريس الأرباب، وأخذه على شرف الدين ولد برى أخذه على عبدالله الحلنقى، وهذا

---

(١) إرشاد السارى: ص٩؛ إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص٤٢.

(٢) عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص ص ١٢، ١٣؛ انظر الوثيقة رقم ١٥ من وثائق الفونج والأرض، فقد كان أحمد بن عيسى أحد شهودها. انظر الفونج والأرض ص٢٦، ٢٧، ٩٤.

(٣) الطبقات: ص٣٤١؛ إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ص٤٢، ٤٣.

(٤) انظر ما سبق ذكره فى الطرق الصوفية.

سلك الطريق على دفع الله الكاهلى صاحب بدوى أبى دليق، وكان بدوى هذا فيما نقل ود ضيف الله رواية عن الشيخ خوجلي «أول من أوقدت نار الشيخ عبدالقادر الجيلانى عنده بعد الشيخ إدريس[١]».

ونضيف بعداً إلى حديثنا عن الشيخ عيسى أن محمد عبدالمجيد السراج[٢] يروى[٣] أن بشارة الأنصارى والد الشيخ عيسى قدم أيضاً من المدينة إلى السودان بعد ابنه عيسى، وسكن بجزيرة كلومسيد[٤] من بلاد دنقلا وتوفى هناك. ويروى السراج كذلك أن أخا لبشارة الأنصارى اسمه على، قد هاجر أيضاً من المدينة إلى دنقلا، ثم رحل منها إلى أبى حراز بمديرية الجزيرة، وسكن أخيراً فى بلدة أريجى أمام الحصاحيصا إلى أن توفى بها، وقد أعقب وأصبحت له ذرية من بعده[٥]، بعضها باقٍ إلى اليوم بأريجى فى حِين تفرق بعضها الآخر بين «ود الشافعى» وشلقوها الخوالدة والكُمُر (كمر الجعليين) وأم مَغد والمسيد والنوبة والمسعودية، وكلها قرى فى مديرية الجزيرة[٦].

---

(١) الطبقات، ص١١٥، طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ص ٤٢، ٤٣، بروفيسور عزالدين الأمين: قرية كترانج، ١٢ – ١٥.

(٢) عنى محمد عبدالمجيد السراج بكثير من التحرى والدقة عند تأليف كتابه «إرشاد السارى» فرحل لمنطقة بحثه، وأقام بها مدة، اتصل أثنائها بالشيوخ الذين يحفظون هذا التاريخ، ويروونه عن سلسلة أسلافهم العلماء، وأهم من أخذ عنهم السراج هو المؤرخ الشيخ شمس الدين الحنفى بن عبدالرحمن، كذلك الشيخ الأمين أخ الشيخ شمس الدين، من أهم من اتصل بهم السراج، وبخاصة فيما يتعلق بتوثيق الإجازات العلمية التى نقلها السراج. عن كتاب «التربية فى السودان» للدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد، فقد اطلع عند الشيخ الأمين على الأصول المخطوطة لتلك الإجازات قبل أن تتسلمها جامعة الخرطوم. انظر: عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص١٤.

(٣) إرشاد السارى: ص٩؛ طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ص٤٢، ٤٣.

(٤) كلومسيد فى اللهجة الدنقلاوية النوبية تعنى مسجد الحجر، لأن كلمة «كلو» معناها عندهم «حجر» بفتح الحاء والجيم، وكلمة مسيد هى كلمة مسجد بعد قلب الجيم ياء، واستعمال الكلمة هكذا بعد القلب شائع فى السودان، ومسجد الحجر هذا مازال قائما فى منطقة الزورات غرب النيل تجاه أرقو ويلاحظ الآن أن جزءاً كبيراً من هذا المسجد يدخل فى مياه النيل. انظر: قرية كترانج، ص١٤. ومما يؤيد نزوح بشارة والد عيسى إلى كلومسيد أن سكان منطقة الزورات الحاليين أكثرهم من الجابرية الذين ينتهى نسبهم إلى جابر بن عبدالله، ولقد ذكرنا أن نسب عيسى بن بشارة ينتهى كذلك إلى جابر بن عبدالله، وكل ذلك يشير أيضا إلى أن هذا الفرع من الخزرج نزح بأعداد كبيرة من الأراضى الحجازية. أنظر: إرشاد السارى: ٨، ١٥ – ١٨؛ كاتب الشونة، ١٠٢ – ١٠٦؛ قرية كترانج، ص١٤ وما بعدها.

(٥) إرشاد السارى: ص٩، الطبقات الذيل والتكملة، ص ص٤٢، ٤٣.

(٦) انظر: هذه المواقع على خريطة كترانج. شكل رقم (١٦) بملحق الدراسة.

هكذا أدت مدرسة كترانج دورها فى نشر علوم اللغة والدين بعد أن اكتملت لها كل المقومات منذ عهدها الأول، وقد تخرج منها رواد العلم الذين تقلدوا مناصب مختلفة، وقد نقل علماؤها تقاليد الحلقات فى مصر والحجاز، ويكفى لبيان علم علمائها أن نورد ما قاله إبراهيم عبدالدافع عن أحمد بن عيسى: «وصار علمه منقحا مهذبا أكثر من علم سائر من ينسب للعلم فى الجزيرة وخصوصا فى العلوم العقلية» (١) وقوله: «وما وجد فى بلاد السودان عالما أعلم ولا أورع من تلامذته، ولا وجدت علماً أنظف ولا أصفى من علمه(٢)».

- مدرسة العركيين:

قدم محمود العركى من الأزهر - الذى كان قد ذهب إليه فى نحو بداية القرن العاشر الهجرى - إلى السودان، وأسس مدارس العلم فى منطقة النيل الأبيض(٣).

وأتخذها مركزاً لنشاطه الدينى والتعليمى. ونرجح أن يكون الفقه المالكى(٤) أحد مواد الدراسة فى مسجده، لأنه العلم الذى اشتهر به أستاذه الشيخ شمس الدين

---

(١) الطبقات: الذيل والتكملة ص٤٢، ٤٣.

(٢) الطبقات: الذيل والتكملة، ص٤٢، ٤٣، عزالزين الأمين: قرية كترانج، ص١٥، ص٤٢.

(٣) القصير بلدة بالنيل الأبيض، ومن عاداتهم فى التلقيب أن ينسب البلد أحياناً إلى رجل صالح على سبيل تشريف البلد، فيقال راجل القصير، وراجل كترانج، ورجل المندرة، والشيخ محمود هذا ذهب إلى مصر لدراسة مذهب الإمام مالك وعندما عاد أسس خمسة عشرة خلوة على النيل الأبيض، وقد عاش فى النصف الأول من القرن السادس عشر، انظر: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة ص١١٠، ١١١؛ الطبقات، ص٤٠، ٣٤٤؛ مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة ص١٦، ١٧؛ مخطوطة كاتب الشونة، ص١٢٤؛ التربية فى السودان، ص٥٩؛ حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية، جـ١، ص٣٧٠؛ محمد سليمان: دور الأزهر، ص٢٦؛ التصوف فى السودان، ص٧٥.

(٤) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر اليمنى. ولد بالمدينة نحو عام ٩٣هـ، وقد أقام بها طوال حياته وتوفى سنة ١٧٩هـ، وهو من كبار الفقهاء ومنشئ أحد المذاهب الأربعة واشتهر بكتاب الموطأ وهو كتاب حديث وفقه، وقد انتشر مذهبه فى بلاد كثيرة كالحجاز ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وبلاد السودان عموما انظر: المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٣٤؛ القاضى عياض، ترتيب المدارك، جـ١، ص١٠٤ - ١١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ط مصر ١٣٥٨هـ، جـ١٠، ص١٧٤، الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ١، ص٢٠٧؛ وأيضا العبر، جـ١ ،ص٢٧٢؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ص١٧، ١٨،

C.F. Y.F. Hasan: External influences, PP. 5-7.

اللقانى[١]، بجانب علوم أخرى منها النحو. أما ناصر الدين اللقانى أستاذه الثانى، فكان يدرس عدة علوم، وكان مهتما بالفتاوى[٢].

ويمكن القول أنه درس الفقه وعلوماً أخرى، ودرس معه بعض معاصريه لأننا إذا سلمنا أنه أسس سبع عشرة مدرسة فإن عدداً كبيراً كهذا، يقتضى وجود أكثر من مدرس سواء من تلاميذه أو من غيرهم، ولا يمكن أن يقوم بالتدريس بمفرده فى كل هذه المدارس. ومنهم ابنه محمد قد حملوا عنه عبء التدريس، ليصرف جانباً من وقته فى إرشاد الناس، وتعليمهم أمور الدين[٣].

- **الجزيرة وسنار:**

كانت مدينة أربجى[٤] أحسن مدائن الجزيرة، ذات تجارة وعمارة ومبان حسنة ومدارس علم وقرآن، وأهلها ذو رفاهية وتفنن فى الأطعمة[٥].

ويقال أن نشأتها ترجع إلى ما قبل قيام مملكة الفونج بثلاثين عاما، حيث أسسها حجازى بن معين[٦].

ورغم ما أثير من جدل حول شخصية مؤسسها فإن ما يهمنا هنا أن قدم تاريخها واشتهارها بمدارس العلم والقرآن، وشهرتها كمركز تجارى هيأ لها أن تؤدى

---

(١) هما الأخوان شمس الدين وناصر الدين اللقانى وهما أساتذة محمود العركى أول من أدخل علوم الدين فى منطقة النيل الأبيض، وشمس الدين هو محمد بن على بن عبدالرحمن ولد بلقانة من قرى مصر. حفظ القرآن و(الشاطبية، والرسالة) ثم قدم القاهرة وحفظ مختصر خليل وألفية ابن مالك ولازم فى الفقه البرهان اللقانى وأخذ العربية عن السنهورى، ولد سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، ومات سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م، أما أخوه ناصر الدين؛ محمد بن حسن فقد شارك أخاه فى غالب شيوخه وجلس لإقراء العلوم على اختلافها وقد ولد عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م ومات فى عام ٩٥٨هـ/١٥٥١م انظر ابن بابا: ٣٣٥ - ٣٣٧؛ الطبقات ص١١٢.

(٢) انظر الطبقات، ص٤١، ١١٢، ٣٤٥؛ الذيل والتكملة، ص١١٠، ١١١؛ حسن الفاتح: التصوف فى السودان، ص٦٤.

(٣) الطبقات: ص٣٤٥؛ الطبقات الذيل والتكملة، ص١٦، ١٧؛ مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ص١٦، ١٧.

(٤) مدينة تجارية على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق على بعد ميلين من الحصاحيصا جنوبا، انظر الخريطة شكل رقم (٩) بملحق الدراسة.

(٥) يتعارض هذا التاريخ الذى ذكره ود ضيف الله مع الواقع، لأن شخصاً بهذا الاسم كان معاصراً لتاج الدين البهارى الذى قدم بعد هذا التاريخ بحوالى مائة عام. ويرجح البعض وجود شخصيتين بهذا الأسم أولهما الذى بنى أربجى قبل تأسيس سنار، وثانيهما أحد أحفاده. انظر مكى شبيكة؛ مملكة الفونج الإسلامية، ص٢٤.

(٦) الطبقات، ص٩٠.

دوراً كبيراً عندما استقرت الأحوال فى مملكة سنار بعد حربها مع مملكة سوبا المسيحية كما أنها بدأت تستقبل العلماء وتبعث بأبنائها إلي ديار سنار لتلقى العلم على مشاهير العلماء، ثم العودة لنشر العلم فيها، وهؤلاء اشتهروا بعنايتهم بعلوم العقائد والتصوف والفقه الشافعى[1].

ولقد كان لتعدد ثقافتهم وحرصهم على تحصيل علوم العصر أثره فى ذيوع شهرتهم حتى بلغ عدد من وفد إلى حلقة الفقيه أبى سنينة ألف طالب[2]، «وقرأ عليه خلائق لا يحصون».

ومن علماء أربجى الفقيه حمد بن أبى زيد الحضرى البصيلابى الذى اشتهر بالتصوف، وبتدريس «الرسالة» الى درسها لخلائق كثيرين على قدم الصلاح والدين كشيخهم[3]، ومنهم سنوسى ابن نورين، حيث كان مدرسا للقرآن ذائع الصيت عند أهل أربجى[4].

أما شمو ولد محمد عدلان، فقد جمع بين الفقه والعقائد ودرس «المنهج» و«المنهاج»، وكلاهما من كتب الشافعية – على الفقيه بلاد المصيقيع عالم أربجى وخطيبها وقاضيها. ويذكر ود ضيف الله أنه صار «مفتيا فى مذهب مالك والشافعى ومدرسا فيهما» حتى سماه أهل أربجى بمركب الهند لتعدد ثقافته[5].

ويعد القاضى دشين أشهر علماء أربجى، وقد اشتهر بنزاعة مع الهميم لخروجه عن حدود الشرع الذى كان هذا القاضى حريصًا عليه وعالما بأصوله. وقد عمل خلال حكم الشيخ عجيب قاضياً على أربجى[6].

ورغم اشتهاره كأحد تلاميذ الشيخ محمد بن قرم الشافعى الذى زار أربجى عند قدومه من مصر، فإن الصلة بينهما فيما يبدو لم تستمر طويلاً، إذ يعتقد أنه لم يتأثر

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) طبقات ود ضيف الذيل والتكملة، ص٣٨.

(٣) الطبقات، ص١٨٦.

(٤) الطبقات، ص٢٢٤، ٣٦٦.

(٥) الطبقات، ص٢٣٣.

(٦) الطبقات، ص٢١٢، ٢١٣.

أولاده بالمذهب الشافعي الذي انتشر على يد ابن قرم. وآية ذلك أن ابنه مدني كان يحث ابنه على اعتناق المذهب المالكي بدلاً من المذهب الشافعي، وبالفعل تحول إلى المالكية وصار مدرساً لـ«الخليل والرسالة» بعد أن درسهما على الشيخ القدال ابن الفرضي[١].

واشتهر في منطقة سنار والجزيرة علماء جمعوا بين الفقه والتصوف والأدب والتأليف منهم إبراهيم بن عبودي، وكان بارعاً في علم الميراث حتى اشتهر بالفرضي لهذا السبب[٢]، وأما القدال ابنه فقد درس عليه وصار عدد من يدرسوا بحلقته ألفاً. وقيل ألفان من التكارير وأولاد البلد[٣] وكانت مجالسه خمسة: الخليل والرسالة والعقائد والتفسير وقراءة الجامع في الحديث[٤].

أما الشيخ حسن ود حسونة، فيبدو أنه رغم شيوع شهرته لم يترك أثراً واضحاً في مجال الدراسة الفقهية، لأن ثمة إشارة إلى لحنه في سور القرآن، فقد أخذ عليه أحد مريديه ذلك[٥].

وكان لعائلة اليعقوباب شهرة واسعة في مجال التصوف، فيعقوب ابن بان النقا[٦] جد اليعقوباب سلك وأرشد كثيراً من التلاميذ الذين كان لهم أيضاً مكاشفات كما كان يعقوب هذا صاحب دراية بالفتاوى والأحكام، وفوق ذلك كان دارسا للفقه، ووالده بان النقا كان أحد تلاميذ البهاري وملازمه في الطريقة[٧].

وصفوة القول أن سنار وما جاورها كانت منبعاً ثرياً لنشاط ديني وعلمي ساهم في بعثة الفقهاء والمتصوفة عن طريق مراكزهم العلمية وحلقات أذكارهم، كما ساهم الملوك بالرعاية، والمريدين والاتباع في تلقي العلوم وتوارثها لأبنائهم.

(١) الطبقات، ص٣٣١؛ طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص٦٩.

(٢) الطبقات، ص٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٧٢.

(٧) الطبقات ص١٠٩، هذا ويذهب هولت إلى أن شهرة عائلة اليعقوباب وأهميتها ترجع إلى إنجابها لبعض العلماء الصوفيين. وما ذهب إليه هولت يؤكده الواقع لأننا لم نر لديها أثراً فقهياً واضحاً، ويرجع ذلك إلى إنصرافهم للاشتغال بالتصوف. انظر هولت، الأولياء والصالحون، ص١٣، يحيى محمد إبراهيم، التعليم الديني، ص١٤٩.

ومما يجدر ذكره أن ما ذكرناه لا يعدو القليل، فهناك علماء، ونشاط علمى لم نستطع حصرهم ومتابعتهم، فى طبقات ود ضيف الله، والذيل والتكملة، يحوى الكثير، وقد يعزى هذا إلى أن هذه الترجمات قد تسبق الفترة المعنية بالدراسة وإن كانت توضح لنا هذا الامتداد الثقافى لسودان وادى النيل فى فترة الممالك الإسلامية، ومن ثم التحولات والتطورات التى طرأت على السودان على أثر تغير الثقافات، وما اكتسبه من الشعوب المجاورة وعلى الأخص مصر.

- الزوايا والربط:

عرف سودان وادى النيل الزوايا منذ العهد الفونجى كدار علم وعبادة، ودار يأوى إليها الغرباء، ومن أشهر الزوايا فى عهد الفونج زاوية عمار بن عبدالحفيظ[1] فى سنار، وصفها الفقيه محمد بن عويضة بقوله:

«قدمت زاويته، فوجدت الخيل والبغال والحمير، متحاوشاها[2]، وفى بابها نعلات الصرموجة والفونجاوية والعربية، ودخلت فيها، فوجدت الناس حلقات حلقات، فناس يتحدثون بتجارة الحجاز، وناس بتجارة الغرب، وناس بتجارة الصعيد، وناس بحوش الملك، وهو بينهم شايل سبحته يسبح، فإذا قاموا شرع فى التدريس يقرأ اثنا عشر مجلس. فإذا سألته عن كلام الجماعة قال: كلمة واحدة مان ضابطها[3]».

والعلوم التى كانت تدرس فى زاوية عمار بن عبدالحفيظ، أثبتها تلميذه على ولد الشافى فى قصيدة مدح فيها أستاذه[4].

ولم نسمع عن الزوايا بعد ذلك إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عندما بدأت الطريقة التيجانية في الانتشار(٥).

هذا ويطلق العامة اسم الزاوية على المساجد الصغيرة التى تقام فيها صلاة الجمعة تميزاً لها عن المساجد الجامعة[6].

(١) من علماء سنار، وهو ممن جمع بين العلم والعمل والتقى، وكان صاحب سياحة واسعة للشيوخ، وكان له مكانة سامية عند ملوك الفونج. ترجم له ود ضيف الله (الترجمة ٢١٤) ص٣٣٦؛ طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص٨٥.

(٢) تحيط بها.

(٣) ود ضيف الله: الطبقات، ص١١٨، انظر المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص١٠٢.

(٤) انظر: القصيدة في ود ضيف الله: الطبقات، ص ص١١٨، ١١٩.

(٥) انظر: الطاهر محمد على البشير: الأدب الصوفى فى السودان، الدار السودانية، ط الأولى ١٩٧٠، ص٥٩.

(٦) عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان، ص١٠٠، المعتصم أحمد الحاج، الخلاوى فى السودان، ص١٠٢.

أما عن الربط فى سودان وادى النيل فلم يرد ذكر لها بالمعنى المتعارف عليه فى الديار الإسلامية كدور عبادة وعلم ودار ضيافة، ومنطلقًا للجهاد، و أول ذكر للرباط فى السودان جاء عند زيارة ابن سليم الأسوانى أثناء تجواله لمملكة علوة إذ وصفها بقوله: «وسوبة مدينة العلوى شرقى الجزيرة الكبرى التى ما بين البحرين الأبيض والأخضر فى الطرف الشمالى منها، عند مجتمعها.... وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب، وبساتين، ولها ربض فيه جماعة من المسلمين[1]».

هذا وتصمت المصادر العربية عن ذكر أية أربطة كما هو شائع فى الديار الإسلامية عامة وبالمغرب الإسلامى بصفة خاصة.

- **الكتاتيب:**

جاء ذكر الكتاتيب فى كتاب طبقات ود ضيف الله عندما ترجم للشيخ إدريس بن محمد الأرباب الذى ولد بقرية العيلفون[2]، وقيل بالحلفاية[3] فى سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م أى بعد تأسيس مملكة الفونج بعامين، وعندما ترجم لحياة الشيخ خوجلى بن عبدالرحمن الملقب بـ«أبو الجاز» وهو اسم لإحدى بناته[4]، وقد ولد بجزيرة توتى ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م، كما ورد ذكر للمكتب فى ترجمة الشيخ محمد بن دفع الله بن الشيخ إدريس[5].

كما يذكر صاحب مخطوطة الشونة أن من أوائل العلماء الذين قدموا إلى سودان وادى النيل قبل قيام دولة الفونج البندارى والشيخ حمد ولد زروق، اللذان تعلم على يديهما الشيخ إدريس بن محمد الأرباب فى مكتبيهما[6].

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ١، ص١٩١، المعتصم أحمد الحاج، الخلاوى، ص٩٨؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) العيلفون قرية على شاطئ النيل الأزرق على بعد ٢١ ميلا جنوب شرق الخرطوم على خطى ١٥,٢٦° شرقا و٣٢,٤٣° شمالا وحولها بعض الآثار القديمة الطبقات: ص٥... Crawford: Op. Cit., P.73 - 74.

(٣) انظر ما سبق ذكره عن مولده. ص الطبقات، ص٤٠، ٤١، ٤٩، ٥٠ هـ، ٥٢ هـ، ٣٤١ هـ، ٣٦٥.

(٤) الطبقات، ص٤٩، ٥٠ هـ، ١٩٠، ٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) الطبقات: ص٣٢٨، ٣٢٩.

(٦) مخطوطة كاتب الشونة، ص١٢٤. وانظر أيضاً الطبقات ص٥١؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص١٠٤.

هذا ونلاحظ أن ود ضيف الله يستعمل كلمتى مسجد «أو مسيد» وخلوة فى شيء من الخلط للدلالة على معهد التعليم؛ ولكن الخلوة قد اشتهرت فى العالم الإسلامى بأنها مكان للتعبد يخلو فيها العبد إلى ربه فى عزلة عن الناس؛ فلما انتشر التصوف فى السودان انتقلت فكرة الخلوة بمفهومها التعبدى إليه وصار دخول الخلوات أمراً شائعاً بين الأولياء والفقهاء فمن الفئة الأولى الشيخ محمد عبدالصادق[١]، تلميذ تاج الدين البهارى الذى كان يتعبد فى خلوة فى دلوت لمدة سبع سنوات، ومن الفئة الثانية الشيخ حمدود الترابى الذى هجر التدريس بعد أن سلك طريق القوم «ودخل خلوة لمدة اثنين وثلاثين شهراً». ولما سأله بعض تلاميذه أن يدرسهم الفقه أجابهم قائلا: «أنا وخليل افترقنا إلى يوم القيامة[٢]». ولما جمع المعلمون بين التصوف وتدريس علم الظاهر صارت المساجد مسرحاً لنشاطهم التعليمى والتعبدى، وحول هذه المساجد – خاصة المأهولة بالطلبة منها – شيد عدد من الخلاوى والحجرات الصغيرة يختلى فيها الشيوخ وبعض مريديهم للتعبد، كما استعملت للتدريس ولسكنى الطلبة فى بعض الأحيان[٣].؛

ومن ثم جمع نفس الموضع بين المسجد والخلوة وتشابهت أغراضهما، وصارت الخلوة تجمع بين الناحيتين التعليمية والتعبدية بعد أن جمع الشيخ الواحد بين الوظيفتين؛ وبعد أن طغت الصبغة الصوفية على الثقافة الإسلامية فى السودان.

صارت الخلوة أكثر الأسماء استعمالاً ودلالة على معهد التعليم، بل أن الخلوة كانت بمثابة مركز الإشعاع الروحى والثقافى والاجتماعى فى كل قرية[٤]. ومن ثم جمعت الخلوة تحت رعاية الشيخ والفقيه الصوفى بين وظائف تدريس مبادئ القراءة وتعليم القرآن، والفقه وتنشئة المريدين فى طريق القوم والعبادة بما فيها من صلاة، وتأمل وانقطاع إلى الله تعالى[٥]. ولعل خير ما يوضح تفرع وظائف الخلوة ما رواه

(١) ود ضيف الله: الطبقات، ص١٢٧ – ١٢٩.

(٢) الطبقات، ص١٦١.

(٣) انظر: بواكير الدعوة (الطبقات)، ص١٢.

(٤) كان للخلوة وظيفة ثالثة: فهى بمثابة حجرة الضيافة لكل الغرباء إذ يأوى إليها الغرباء، وعابروا السبيل فيحسن أهل القرية وفادتهم ويكرمونهم حتى يغادروهم، ونلاحظ أن الخلوة، وهى حجرة عادية، تجمع بين وظائف العبادة والدراسة والضيافة فى القرى. انظر: بواكير الدعوة (الطبقات) ص٥٠؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان ص ص١٠٨، ١٠٩.

(٥) للتوسع فى معاهد التعليم فى السودان انظر: عبدالعزيز عبدالمجيد جـ١، ص٧٤ – ١١١.

ود ضيف الله عن المسلمى الصغير.

«وسبب بدء أمره بعدما فرغ من قراءة «خليل[١]» أو «الرسالة[٢]» سافر إلى الشيخ دفع الله ودخل فى خلوة معلم صبيان وقال له: «وأنا جيت من البادية بدأ له من ألف، ب، ت، ث والصبيان يمشوه فى لوحة ويضحكوا عليه، وجاء الشيخ ووجده على تلك الحالة. وقال له: تعال يا فقير إنت ماك عالم، قال: لا، قال: أنا بشوف عليك أثر العلم إما صدقتنا ما تنتفع مننا. قال له علمى ما نفعنى جيت بدور مددكم فسلكه طريق القوم وذبح له شاه وأمره يأكلها ودخله خلوة سبعة أيام فخرج منها وهو ينظر فى العالم من العرش إلى الفرش[٣]».

(١) انظر: الطبقات، ص٨٣، ٨٤؛ يوسف فضل: دراسات فى تاريخ السودان، جـ١، ص٨٣، ٨٤؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص١٠٩ - ١١٤؛ جعفر محمد عبدالرحيم، تاريخ القرآن فى السودان، الخرطوم، يناير ١٩٧٣، ص٤٧ انظر ما سبق ذكره ص.

(٢) هى رسالة ابن أبى زيد القيروانى ومؤلفها عبدالله أبو محمد بن أبى زيد القيروانى، سكن القيروان، وكان من أشهر ائمة المالكية، وهو الذى جمع المذهب المالكى وشرحه ولخصه ومن أشهر كتبه الرسالة (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) انظر: المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص٩٥، ٩٦.

(٣) انظر: الطبقات، ص ص٨٣، ٨٤؛ تعبير (الفرش إلى العرش) العرش هو السماء والفرش الأرض. انظر: الطبقات، حاشية (٢٢) ص٢٢٩.

ثالثا: إسهام المدارس فى الإنتاج الثقافى:

اهتم العلماء بتدريس القرآن، وركز آخرون على تعليم الفقه بينما جمعت بعض المساجد بين المنهجين. وكانت ثقافة العالم وتخصصه هى التى تحدد نوع المادة المقررة فمثلا اشتهرت مساجد عبدالرحمن ابن جابر الثلاثة التى انشأها فى دار الشايقية وكورتى ودنقلا الدفار بتدريس الفقه[١].

على أن هذا التخصص وحصر المواد الدراسية فى العلوم الشرعية واللسانية دون العلوم العقلية، هى علوم ناسبت بيئة السودان وقيمه وعاداته الموروثة.

أما عن مواد الدراسة وكتبها التى كانت تدرس فى تلك الحلقات فهى:

- الفقه:

كانت رسالة ابن أبى زيد القيروانى[٢] ومختصر خليل بن إسحاق[٣] من أهم مواد الدراسة. وقد عرفها السودان فى حلقات أولاد جابر[٤] والعركى[٥] وغيرها وكان المختصر مثار اهتمام العلماء والطلبة حتى ختمه بعضهم أربعين ختمة[٦].

وكان من أهم كتب الفقه «الرسالة» و«المختصر» ولهما شروحات متعددة كشرح عبدالباقى الزرقانى على المختصر[٧]، وحاشية على شرح التتائى فى الرسالة لعلى الأجهورى، وفتح الجليل على مختصر خليل للتتائى[٨] وحاشية على مختصر خليل لأبى عبدالله الخراشى، وشرح الشبراخيتى على العشماوية والمدونة لأسد بن الفرات

---

(١) انظر: الطبقات، ص٤٦، ٤٧.

(٢) انظر: ابن فرحون: الديباج، ص١٣٦.

(٣) انظر: الديباج المذهب، ص١١٥، ١١٦.

(٤) انظر: الطبقات، ص٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٥) انظر: الطبقات، ص٣٤٤.

(٦) انظر: الطبقات، ص٤٥.

(٧) انظر: الطبقات، ص١٨٢.

(٨) هو أبوعبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائى ولد بتتا من قرى المنوفية، كان موصوفا بدين وعفة، تولى القضاء ثم تركه، واشتغل بالتصنيف شرح مختصر خليل بشرحين سمى الكبير (بشرح الجليل) والصغير (جواهر الدرر) وله (تنوير المقال فى شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى) ولم تطبع تصانيفه وتوفى عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م. أحمد بابا: ٣٣٥.

وسحنون، بجانب كتب أقل شهرة كانت متداولة، من ذلك متن الأخضرى فى العبادات وأشهر الشروح عليه سرح مختار بن محمد جودة الله[١]، وكان كمتن العشماوية وحاشية ابن تركى من كتب الدراسة؛ وفى الميراث كانت حاشية الفرضية فى علم الفرائض لإبراهيم بن عبودى[٢] وثلاث حواشى لعبدالرحمن بن حمدتو[٣].

أما الفقة الشافعى فقد كان منتشراً أيضاً فى بعض مدارس بربر وسنار وفى بعض مناطق شرق السودان، وقد رأينا بعض مشاهير العلماء فى سنار وأريجى يعملون على نشره، وكان «المنهج» و«المنهاج» من الكتب المتداولة فى بعض المناطق[٤].

- التوحيد:

انتشر هذا العلم على يد التلمسانى[٥]، ومحمد المصرى الذى كان أسبق قدوماً من التلمسانى[٦]، لأن محمد بن عيسى درس العقائد، وبقية العلوم على يد المصرى فى بربر قبل أن يفد إليه التلمسانى[٧].

وقد اشتهر بتدريس هذا العلم كل من الشيخ حميد الصاردى[٨] تلميذ الفقيه مكى النحوى[٩]، والشيخ إدريس بلة الكنانى تلميذ أرباب[١٠] وقد وصف ود ضيف الله الفقيه عبدالله العركى بأنه كان له باع طويل فى التوحيد[١١]، والشيخ عبدالرحمن بن أبى ملاح قرأ على الأجهورى منظومته فى التوحيد فأجازه فيها[١٢]. أما الفقيه أرباب

(١) مخطوط: كفاية المبتدى فى حل ألفاظ الأخضرى، أم درمان.

(٢) الطبقات، ص٣٥٠.

(٣) الطبقات، ص٢٤٥.

(٤) انظر: بواكير الدعوة (الطبقات)، ص٥.

(٥) انظر: الطبقات، ص٤١؛ مخطوطة: تاريخ مختصر بأرض النوبة، ورقة ٢٠، ٢١.

(٦) انظر الطبقات، ص١٠٠، ١٠١.

(٧) انظر: الطبقات، ص ١٠٠، ١٠١.

(٨) انظر: الطبقات، ص١٨٥، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 24

(٩) النحوى الرباطابى واسمه محيى والنحوى كنيته واشتهر بها، والرباطابى نسبة الى قبيلة الرباطاب، أحد فروع الجموعية الجعلية، موطنهم الأصلى بين أبى حمد والقدواب على شاطئ النيل انظر: MacMichael: Op. Cit., Vol. 1, P. 210- 221.

(١٠) انظر: الطبقات، ص١٥، ٢٤٦.

(١١) انظر: الطبقات، ص٢٥٤.

(١٢) الطبقات، ص٣٤٧.

بن عون فقد نبغ فى التوحيد حتى ضمت حلقته أكثر من ألف طالب[١]، وألف فيه كتاباً لم تقف عليه ولكن ود ضيف الله يخبرنا بأن «انتفع به الناس شرقاً وغرباً»[٢].

كذلك اشتهر المضوى بن محمد أكداوى فى هذا العلم، وفيه وصف بأنه كان عالماً وأميناً[٣].

وقد تركز هذا العلم فى متن السنوسية المعروف بالكبرى[٤]، وسمى عقيدة أهل التوحيد، والوسطى وتسمى المرشدة، والصغرى وتسمى أم البراهين[٥]، وهى من أكثر كتب التوحيد رواجاً فى حلقات الدروس، وقد تناولها بالشرح والاختصار كثيراً من العلماء فالشيخ المضوى وضع أربعة عشر شرحاً على أم البراهين، وشرحين على «يقول العبد» وشرح أيضاً عقيدة الرسالة[٦] ثم تبعه تلميذه محمد بن عمران حيث شرح السنوسية الصغرى شرحاً مفيداً انتفعت به الطلبة[٧]. وألف محمد بن عدلان الشايقى نحو شرحين، وألف إبراهيم بن بقادى شرحا على السنوسية فى أسلوب سهل وموجز[٨].

- **علوم القرآن:**

انتشر علم قراءة القرآن على يد المصرى والتلمسانى، واشتهرت بها مدارس الغبش ببربر، ويشير ود ضيف الله إلى أن «مدار علم التجويد فى الجزيرة» على يد عبدالرحمن الأغبش وعلى تلامذته[٩].

ويعد سعد الكرسنى رائد هذه العلوم، فقد حرص على أن يعلم تلامذته أصولها من شد ومد وهمزة وإدغام وإظهار وغنة. ولشهرته رحل إليه الناس من دار الأبواب وأرض الصعيد ودار دنقلة[١٠].

---

(١) الطبقات، ص ص٩٩، ١٠٠.

(٢) الطبقات، ص١٠٠.

(٣) الطبقات، ص١٠١.

(٤) كان متن السنوسية لأبى عبدالله محمد السنوسى التلمسانى (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) أكثر رواجا. انظر الطبقات، ص١٠١.

(٥) انظر: الطبقات، ص ص١٠٠، ١٠١.

(٦) انظر: الطبقات، ص١٠١.

(٧) انظر: الطبقات، ص٣٥٨، الطبقات الذيل والتكملة، ص١١٥.

(٨) انظر: الطبقات، ص ص٥، ٢٩١، ٣٥٨؛ وأيضاً الطبقات الذيل والتكملة، ص١١٥.

(٩) انظر: الطبقات، ص٢٨٠.

(١٠) انظر: الطبقات، ص٢٢٣.

ودرس عيسى ولد كنو فى دنقلا القرآن وتجويده، ودرس عبدالرحمن بن أسيد «الخرازى[١]، و«الجزرى» و«الشاطبية[٢]».

ومن علوم القرآن التفسير الذى عرف على نطاق محدود، وكان بعض فقهاء الدامر من الشبان يلقون محاضرات فى التفسير على الطلبة، وكان لفرح ود تكتوك[٣] كلام فى التفسير[٤].

- علم الحديث:

جاء فى حديث ود ضيف الله عن الشيخ محمد القدال[٥] «وكانت مجالسه [٦] خمسة خليل[٧] والرسالة[٨] والعقائد والتفسير وقراءة الجامع فى الحديث[٩]».

وأيضًا كان عمار بن عبدالحفيظ يدرس «الجامع الصغير» ضمن مجالسه الخمسة[١٠].

---

(١) بأرشيف دار الوثائق المركزية بالخرطوم نسخة خطية من هذا الشرح بعنوان: «المصباح الدجانى فى شرح نظم محمد بن إبراهيم الخرازى الشريشى فى ضبط الهجاء». ويتكون هذا المخطوط من ٣٢ ورقة من القطع المتوسط، كتب بخط تقليدى، وكتب المتن بمداد أحمر، والشرح بالأسود، كما يرد فى آخر المخطوط ما يلى «وكان الفراغ من هذا الكتاب سنة ألف وبعد مائتين وتسعة سنين من الهجرة النبوية، ويرجع تأليفه إلى ١١٠٣هـ/١٦٩١م».

(٢) الطبقات، ص٢٨٢، والشاطبية ارجوزة فى القراءات لأبى القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى أبو محمد الشاطبى، وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة انظر: الزركلى جـ٦، ص١٤.

(٣) نشبة إلى قبيلة البطاحين، فرع العبادلة، قرأ العقائد على الفقيه أرباب ولازم الخطيب عمار، وقرأ عليه علم العربية وله كلام فى التفسير، الطبقات، ص٣١٢، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.290.

(٤) الطبقات، ص٣١٢.

(٥) انظر: الطبقات، ص٨٠، ويلاحظ أن هذا الحديث فى بداية عصر الفونج.

(٦) أى مجالس تدريسه.

(٧) مختصر الشيخ خليل انظر ما سبق ذكره.

(٨) رسالة ابن أبى زيد القيروانى. انظر ما سبق ذكره.

(٩) لعله (الجامع الكبير فى الحديث) تأليف الإمام جلال الدين السيوطى ٨٤٩ - ٩١١هـ/ ١٤٤٥ - ١٥٠٥م. وقد جمع فيه «أحاديث الرسول وسننه بعد أن رتبها ترتيبا دقيقا».

(١٠) انظر: الطبقات، ص٢٦١.

- علوم اللغة العربية:

كانت علوم اللغة من نحو وصرف ومنطق وبلاغة من مواد الدراسة وهى العلوم الموصلة لفهم القرآن والفقه والتوحيد، وكان النحو يدرس فى حلقة الشيخ محمد القناوى فى بربر[(١)].

وكان المضوى المصرى يدرس النحو والأصول والمنطق[(٢)].

وأما المقررات فلم تكن تخرج عن المؤلفات المتداولة إذ ذاك وبجانب ما سبق كان هناك عناية برواية السير والأخبار وإنشاد المدائح النبوية[(٣)].

- التصوف:

لم يبلغ التأليف فى مجال التصوف مستوى العلوم الأخرى، وهذا أمراً طبيعيّا لإنصراف أكثر العلماء إلى التعبد والزهد، واختيار المريدين، ومع ذلك نجد محاولات قليلة تعكس جانبًا من ثقافتهم، ومنها يتبين لنا أنه كان ثمة اتجاه لوضع مبادئ التصوف فى كتاب عبدالرحمن جابر وعنوان: «ترشيد المريدين فى علم التصوف[(٤)]»، لم نقف عليه، ولكن شهرة مؤلفه فى الفقه والتصوف وما وصلنا من نموذج لإجازته لأحد مريديه تؤكد أنه كان متمكنا فى علمه[(٥)].

ومن المؤلفات فى التصوف كتاب فى الطريقة وآداب الذكر لاسيما على الدقلاش المشهور بصاحب الربابة. وللشيخ محمد ولد هدوى كتاب فى «صفة الفقير»

---

(١) الطبقات، ص١٠٠، ١٠١.

(٢) الطبقات، ص١٠١، ١٠٢.

(٣) انظر: الطبقات، ص١٨١.

(٤) انظر: إجازته فى ذلك. الطبقات، ص١٠٤.

(٥) هناك نسخة فى دار الوثائق المركزية بالخرطوم «مصورة» جاء فى هذا المخطوط: «هذا كتاب المجذوب إسماعيل بن الشيخ مكى صاحب الربابة فى طريق أهل الله والسير به» ويقع هذا المخطوط فى ٤٥ صفحة من القطع المتوسط وعدد السطور ١٩ فى الأغلب، كتب بقلم البوص، مع تعقيب على الصفحات ويتناول الكتاب موضوعات تدور حول آداب الطريقة، كما يتضح من العناوين التالية «باب فى التاريخ» فى آداب التلميذ مع الله ومع شيخه ومع العوام، أنواع الطرق، الرؤيا، أقسام المعرفة، أنواع طريق السلوك، أبواب فى العلم، وصفة الرياضة وكيفية المسار إلى الله، الجوع، الخشوع. الإيمان، الشوق، السخاء، الأوراد، مفسدات الهيئة، الكرامات، علامات المقامات، انظر المخطوط بدار الوثائق المركزية بالخرطوم، ص١.

وورد فى كاتب الشونة ان لود ضيف الله شرح على ابن عطاء الله(١)، وللشيخ فرح ود تكتوك نصيحة في سلوك الطريق(٢).

- الإجازات العلمية:

الإجازة لغة هي جعل الشيء جائزا، ويقال أجاز «فلانا» أى أعطاه الإجازة، أى الإذن، «وأجازه» أعطاه جائزة أى عطية(٣).

ومن ثم فإننا نستطيع تفسير معنى الإجازات العلمية - هنا - بمعنى الجائزة أو العطية التى يمنحها الأستاذ لتلميذه الذى استوعب العلوم(٤) التى درسها وعلمه إياها.

---

(١) مخطوطة كاتب الشونة، ص٨٧.

(٢) تتكون هذه النصيحة من عشر ورقات و٢٤٨ بيتا يحض فيها بعض الإخوان على الإنخراط فى سلك التقوى والصلاح، وهى أشبه بمنظومة انظر: الطبقات، ص٣١٢، يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى، ص١٧٣.

(٣) الإجازة إذن بالرواية يمنحها شيخ لطالب ليروى عنه مادة علمية سواء أكان من مروياته أو من مؤلفاته. وقد عنى المسلمون بها كطريقة من طرق نقل الحديث وتحمله، وكان الحرص على نيل الإجازات وسماع الحديث من أفواه رواته سببا في ارتياد الأمصار، وطرق نقل الحديث وتحمله ثمانية: السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والإجازة والمناولة، و المكاتبة والاعلام والوجادة والفرضة بالكتب. انظر: السيوطى: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، القاهرة ١٩٣٨، ص٨، أحمد رمضان أحمد: الإيجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤ هـ/ ١٠م إلى ١٠هـ/١٦م، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٦م، ص (ب).

(٤) العلوم النقلية هى العلوم الدينية (القرآن والحديث والسنة) وما يدور فى فلكها التى ليس لأحد أن يضيف إليها أو ينقص منها، والعلوم العقلية هى التى عرفت فى عهد الدولة الأموية بعلوم الأعاجم أى علوم غير العرب، وهى جميع العلوم والمعارف التى بدأت ترقبها منذ العهد الأموى وتمت فى أوائل القرن الثالث الهجرى فى عهد الخليفة المأمون العباسى، هذا وتنقسم العلوم العقلية إلى علوم تجريبية مثل الكيمياء والطب والمواد الطبيعية والجيولوجيا وعلم الهيئة وعلم الموسيقى، أما القسم الثانى من العلوم العقلية فهى التى لا تحتاج إلى معمل وهى علم الجغرافيا والتاريخ والمنطق والفلسفة أما التوقيعات فإن معناها اللغوى مأخوذ من (التوقيع) فهو ما يوقع فى الكتاب بعد الفراغ منه، وهو ما يقال له، الحاشية الآن. انظر: أحمد رمضان: الإيجازات والتوقيعات، ص (ب).

والإجازة إما شفهية[١] وإما تحريرة[٢] وهى على أنواع[٣] وقد تصدى علماء الحديث لمناقشتها، وترجيح بعضها على البعض الآخر، وهى:

١ – إجازة معين فى معين، كأن يقول المجيز: أجزت لك كتاب البخارى أو أكثر، أو ما اشتملت عليه فهرستى[٤]. ويعد هذا النوع من أعلى انواع الاجازة، واختلف العلماء فى جواز الرواية بها.

٢ – إجازة لمعين فى غير معين: ومثالها أن يقول: أجزت لك أولكم جميع مروياتى أو مسموعاتى. وهذا النوع وإن فقد أحد أركان الإجازة إلا أن جمهوراً من العلماء والمحدثين جوزوا العمل به[٥].

٣ – إجازة لغير معين فى غير معين، وصورتها: أجزت للمسلمين أو لكل من أدرك زمانى، وقد جوز البعض العمل بها، بينما اشترط البعض الآخر أن يقتصر على الموجودين عند الإجازة[٦].

٤ – إجازة المجهول بالمجهول، كأجزت لفلان أن يروى عنى كتاب السنن وهو يروى مجموعة من كتب السنة ثم لا يعين[٧] وهى فاسدة عند الأكثر.

---

(١) الشفهية أسبق ظهورا، فقد روى أن بشير ابن نهيك قال: «كتبت عن أبى هريرة كتاباً فلما أردت أن أفارقه قلت: يا أبا هريرة إنى كتبت عنك كتاباً، فأرويه عنك، قال: نعم، أروه، الخطيب البغدادى، تقييد العلم، دمشق ١٩٤٩، ص١٠١، وروى أن تلميذاً للإمام جعفر الصادق طلب منه عندما أراد مفارقته أن يجيز قائلا: أحب أن تزودنى فقال الإمام ايت إبان بن ثعلب (ت ١٤٨هـ) فإنه سمع منى حديثا كثيراً فما روى لك عنى فاروه علي. وغير ذلك كثير. يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص١٨٨.

(٢) الإجازة التحريرية يعتقد أنها ظهرت منذ القرن الثالث الهجرى ولكنها كانت قليلة لذلك يمكن اعتبار القرن الخامس الهجرى البداية الحقيقية لظهور هذا النوع الذى اقترن بظهور المدارس وكثرة عدد طلابها، وظهور المكتبات وحينئذ اعمد الطلاب إلي ظاهرة «أن يثبتوا في ذيل الكتاب أو صدره اسماء الذين سمعوه علي مصنفه أو علي شيخ آخر» انظر: عبدالله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، بغداد، بدون، ص٣، أحمد شلبى، تاريخ التربية الإسلامية، ص ص ٢٦٣– ٢٦٤، صلاح الدين المنجد: إجازات السماع فى المخطوطات القديمة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١ نوفمبر ١٩٥٥.

(٣) للتوسع: انظر: السيوطى: تدريب الراوى. وعند أغا بزرك تنقسم الإجازة طولا وقصرا إلى ثلاثة أقسام: كبيرة مبسوطة، وتكون كتابا مستقلا، ولبعضها عناوين خاطة كاللؤلؤة والروضة البهية وبغية الوعاه، واللمعة المهدية.
ب – متوسطة مقتصرة على ذكر بعض الطرق والمشائخ، وتعد من الرسائل المختصرة أو المتوسطة ويعبر عنها برسالة الإجازة.
ج – مختصرة: وهى لا تعد كتابا أو رسالة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة والنجف) ١٩٣٦، ص١٢٣.

(٤) التهانوى: كشاف إصطلاحات الفنون، ص٢٠٨.

(٥) انظر: أركان الإجازة كما نص عليها التهانوى، المصدر السابق الإجازة ولفظ الإجازة.

(٦) التهانوى: نفس المرجع، ص٢٠٨.

(٧) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث، القاهرة ١٩٧٦م، ص٢٦٢ وما بعدها.

٥- المناولة: وهى إما أن تكون مقرونة بالإجازة. وتعد حينئذا أعلى مراتب الإجازة. وصورتها أن يناول الشيخ الطالب الأصل العلمي ويبيح له روايته إما تمليكاً أو إعارة أو نسخا، ويسمى هذا عرض المناولة كما يسمى القراءة[١] وهى أقل من السماع عند أكثر العلماء.

وإما أن تكون غير مقرونة بالإجازة، كأن يناول الشيخ تلميذه كتابا ويقول: هذا سماعى أو روايتى دون أن يشير له بالرواية عنه، أو يجيز له بذلك وأكثر العلماء على عدم جواز الرواية بها[٢].

٦- إجازة بالمكاتبة أو المراسلة وهى أن يكتب الشيخ إلى الطالب شيئا من حديثه ويسمح له أن يرويه، وتعد فى درجة المناولة المقرونة بالإجازة وإذا كان ما سبق يعد أشهر أنواع الإجازات، فهناك أنواع أخرى أقل منها أهمية، مثل الإجازة بعراضة الكتب[٣]، والإجازات الفخرية[٤].

وهناك إجازات كانت تكتب شعراً، من ذلك إجازة التلمسانى المقرى صاحب «نفح الطيب» إلى الأديب أحمد بن شاهين الشامى[٥].

وهناك حالات نادرة كانت يشترط فيها أكثر من عالم فى منح الإجازة لمودة قائمة أو صداقة راسخة تربط بينهما[٦].

لقد خضعت الإجازات لتغيرات كثيرة، فبعد أن كانت فى بدئها موجزة العبارة سهلة الأسلوب، صارت فى العصور المتأخرة تلجأ إلى العناية بالزخرفة اللفظية والإطالة والإسهاب[٧] وبعد أن كانت قاصرة على ضبط الرواية وإقرار الحقائق

(١) ابن الصلاح: المقدمة، ص٧٩.

(٢) أحمد رمضان، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) كان الطالب إذا حفظ كتابا فى علم من العلوم يعرضه على الشيخ فيقرئه أى موضع منه، فإن قرأه دون تلعثم أو توقف دل ذلك على حفظه لجميع الكتاب، صبح الأعشى، جـ٤، ص٣٢٧، يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص١٩٠.

(٤) هى نادرة الحدوث، ولكنها كانت تمنح من المجيز بدافع المجاملة، ومن المستجيز للمباهاة والتفاخر لها أية صفة أو قيمة علمية.

(٥) انظر: يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى، ص١٩١.

(٦) نفسه، ص١٩١.

(٧) حسين أمين: المدرسة المستنصرية، ص٩٤.

صارت تمنح لمن أراد العمل بها فى مجالات أوسع كأن يتصدى للفتيا أو التدريس والقضاء[١].

كانت الدراسة بالأزهر تقوم على نظام الحلقات، وكان الطالب إذا أراد أن يجلس للتدريس وتيقن أنه استوعب مادته أستأذن أستاذه تأدبا، وعقد حلقة تضم طلابا من أنصاره وخصومه، وهؤلاء كانوا يحرصون على مجابهته بسيل من الأسئلة الغامضة بغية تعجيزه، فإذا وفق فى الإجابة، وقارع الحجة بمثلها أو بأحسن منها، واقتنع الحاضرون بذلك سمحوا له بالاستمرار وهذا كان بمثابة إذن له بصلاحيته للتدريس[٢].

ويشير الدكتور أحمد رمضان إلى إجازة منحت لطالب فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى من الأزهر وفيما يلى نصها:

استخير الله تعالى فى الإيراد والإصدار واعتصم به من افتى التقصير والإكثار، واستغفر الله فيما فرط فى الجهر والإسرار وأقول:

أنى ذكرت فلانا زينة الله بالتقوى وحرصه فى السر والنجوى، فى فنون من العلوم الشرعية والعقلية فألقيته يرجع إلى معقول صحيح ومنقول صريح واطلاع على مشكلات واضطلاع بحل المعضلات لاسيما فى فقه المذهب، فإنه أصبح فيه كالعلم المذهب، وقام بعلم العربية والتفسير وصار فيها الفاضل النحرير، وقد أجبته إلى ما التبسه وإن كان غنيا بما حصل وبما اقتبس، فليدرس مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه لطالبيه. وليجيب المستفتى بقلمه وفيه ثقة بفضله الباهر وورعه الوافر، وفطرته الوقادة والمعيته النقادة والله تعالى ينفعنا وإياه بما علمناه ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه.[٣].

---

(١) يوضح القلقشندى: الغرض من الإجازة للفتيا والتدريس فيقول: «أما الإجازة للفتيا فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له مشيخه فى أن يفتى ويدرس وكتب له بذلك وجرت العادة أن يكون ما يكتب فى الغالب فى قطع عريض إما فى فرخه الشامى أو نحوها من البلدى وتكون الكتابة بقلم الرقاع اسطر متوالية بين كل سطرين نحو أصبع عريض». انظر صبح الأعشى جـ١٤، ص٣٢٢.

(٢) أحمد شلبى: التربية الإسلامية، ص٢٢٠.

(٣) أحمد رمضان أحمد: الإيجازات، ص ص١٦، ١٧ ولمزيد من الإجازات قام المؤلف بتحقيق عدد من المخطوطات لفترات متعددة. انظر: أحمد رمضان: الإيجازات.

وقد عرف سودان وادى النيل الإجازات العلمية، وخاصة مع عصر الفونج عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وهى ثمرة الثقافة الإسلامية القادمة من مصر متمثلة فى أزهرها الشريف.

وهناك من الدلائل ما يؤكد أن الرعيل الأول الذين درسوا فى الأزهر نالوا إجازات تثبت كفاءتهم وأهليتهم للفتيا والتدريس.

– تقدم بنا أن الطالب ما كان يقدم على الاستجازة إلا بعد أن يأنس فى نفسه الأهلية، وكان الأستاذ يحرص على ذلك لضمان صحة مروياته أو مؤلفاته.

– درس هؤلاء على النبوفرى واللقانيين وزكريا الأنصارى والدرديرى وهم إذ ذاك مشاهير علماء الأزهر وكبار أعلامه، وليس ما يمنع أن يكون هؤلاء قد منحوا تلاميذهم من السودانيين إجازات فى العلوم التى درسوها عليهم جريا على عادة علماء العصر، بدليل أن هؤلاء عندما عادوا للسودان قاموا بتدريس العلوم التى درسوها على شيوخهم، ويشير ود ضيف الله أن إسماعيل بن جابر دخل مصر، واجتمع بالشيخ البنوفرى فأجازه[١]، كما أشاد البنوفرى الذى كان أستاذا لكثير من السودانيين فذكر عبدالرحمن بن حمدتو أنه يصلح للفتوى لكونه يسأل عن معانى الشراح، وأشاد بزميله محمد بن سرحان فقال عنه:

«إنه يصلح للتدريس لكونه يسأل عن تحقيق صورة المتن[٢] وليس ثمة ما يمنع من أن يكون قد منحها إجازات تلبية لرغبتهما بعد أن وثق من علمهما وأهليتهما كل فى مجال اهتمامه».

– يحوى كتاب الطبقات على العديد من أسماء العلماء الذين أجيزوا من الأزهر وخاصة السودانيين الذين درسوا فى الأزهر وتصدروا حلقات الدروس ثم بعد ذلك عادوا إلى بلادهم[٣].

– اشتهر أولاد جابر بتدريس الفقه وعلوم أخرى، وبلغت ختماتهم فى «مختصر خليل» أربعين ختمة وتزيد، وهذا يؤكد أنهم أجيزوا فيما ختموه[٤].

---

(١) الطبقات: ص٤٦.

(٢) الطبقات: ص٢٥٦.

(٣) الطبقات، ص٢٨٦ – ٢٨٧.

(٤) انظر: الطبقات، ص٢٥١.

يتضح من هذا أن سودان وادى النيل قد عرف الإجازات العلمية التى كان الحرص عليها شديدا، وهذا يساعدنا على إقرار أن علماء ذلك العصر الذين نشروا الثقافة الإسلامية في مساجد السودان كان لهم صلاحية للتدريس والفتيا، وقد عرض دكتور عزالدين الأمين نماذج من الإجازات وإن كانت فى عصر الفونج إلا أنها تعطينا نموذجا صادقا عن إجازات هذه الفترة فى سودان وادى النيل[١].

هكذا يتضح رافد الثقافة الإسلامية المنطلقة من مصر فى أكمل عطائها لظهيرها ورصيدها سودان وادى النيل، الذى تشرب كل هذه المؤثرات، وتشكل فى ثوب إسلامى جديد مع مرحلة التغير فى الثقافات والتى كانت وليدة بانهيار ممالك النوبة المسيحية وقيام الممالك والمشيخات الإسلامية.

---

(١) انظر: عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص٧١ – ١١٠ وهى نماذج للإجازات العلمية التى كانت تمنح فى فترة عصر الفونج، انظر مخطوط العصر المملوكى، مكتوب على ورق التى عند والعصر العثمانى وجد بقصر ابرايم، توضح التعليم الدينى فى هذا العصر، شكل رقم ٢١، ٢٢/ ١٠ بالملاحق.

الخاتمـــة

ظلت معاهدة البقط، رغم ما أصابها من شروخ تنظم العلائق بين مصر وبلاد النوبة أمدا طويلاً. وكان السلم يغلب على تلك الصلات إلا فى حالات نادرة حدثت فيها مناوشات على الحدود أو حرب محدودة، وكانت أقوى هذه المواجهات هى معركة دنقلا فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى، حيث توغل الأيوبيون حتى أبريم، من أجل المحافظة على مصالح مصر الحيوية فى الجنوب.

وحقيقة الأمر أن الحكومات الإسلامية رغم قوة نفوذها فى بلاد النوبة لم تشأ التدخل فى شئون مملكة النوبة المسيحية، بل اكتفت بأن كفلت للمسلمين مزاولة شعائرهم الدينية فى حرية تامة. ولم يحاول القائمون على أمر مصر الإسلامية أن ينشروا العقيدة الإسلامية فى بلاد النوبة إذ لم يكن نشر الدين فيما يبدو جزءا من سياساتهم المعلنة، بل تُرك أمر نشر الدعوة للجهود الفردية للتجار والبدو. ومع عدم تيقننا من درجة نجاحهم فى هذه الفترة المبكرة، فإن الحماس الدينى الذى يدفع بعض المسلمين لنشر العقيدة الإسلامية مضافا إليه ما حققه المسلمون من انتصارات فى البلاد المسيحية المجاورة، وسجلهم الحسن فى معاملة رعاياهم من أهل الذمة، كانت كلها خير عون لهؤلاء الدعاة، وقد أكدت الدراسة وجود عدد لا بأس به من المسلمين الوطنيين، لكن هذا العدد قد تزايد بعد اضمحلال النفوذ السياسى لمملكة النوبة المسيحية «المقرة»، وقدتحقق ذلك فى عهد المماليك.

وقد أدى قيام دولة المماليك فى مصر سنة (١٢٥٠-١٥١٧م) إلى تطورات سريعة ساهمت فى انهيار ممالك النوبة المسيحية، فقد تدفقت القبائل العربية – التى أبعدت عن مواضع السلطة والنفوذ من مصر – إلى سوادن وادى النيل.

وقد أدت ثورات العربان المتكررة فى صعيد مصر فى الصحراء الشرقية إلى اضطراب سير القوافل، وإشاعة الخوف بين من يعملون فى أرض المعدن، فاضطر السلطان بيبرس لتأمين تلك الطرق ومد نفوذه حتى ميناء سواكن.

وأحس داود ملك النوبة بأن المماليك بتصرفهم هذا يهدفون إلى حرمان مملكة النوبة المسيحية من الاتصال بالعالم الخارجى عبر البحر الأحمر، وعبر داود عن استيائه هذا بتخريب عيذاب وصعيد مصر سنة٦٧١هـ/ ١٢٧٢م، مبتدراً بذلك سياسة

هجومية لم يقدر عواقبها جيداً. وبينما كان السلطان بيبرس يعد العدة لتأديب الملك داود، وفد إليه أمير نوبى يدعى شكنده، وزعم أن الملك داود قد اغتصب عرش النوبة منه. فوجد بيبرس فى ذلك مبررا للتدخل فى شئون بلاد النوبة.

وقد حرص سلاطين المماليك على الاهتمام بثغر عيذاب، يتضح هذا منذ أيام الظاهر بيبرس بإعداده حملته الكبرى على بلاد النوبة فى عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، وهى الحملة التى هزت أركان النظام النوبى، وكانت من أقوى أسباب اضمحلال مملكة المقرة.

ونستطيع أن نقرر من واقع هذه الدراسة أن بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب كان من أجل المحافظة على شريان التجارة الشرقية وبالأخص ميناء عيذاب.

هذا وقد ساعد الوضع الجديد المترتب على التدخل المملوكى فى النوبة، على انتشار الإسلام، وتكثيف عملية الاستعراب التى بدأت منذ أمد بعيد فى بلاد المريس على يد بنى الكنز.

كما ساعد تدخل المماليك العسكرى على إضعاف النظام السياسى لنظام الحكم فى بلاد النوبة، ومهد لدخول كثير من العربان مع الجيش المملوكى واستقرارهم فى بلاد النوبة، على غير ما أراد السلطان بيبرس، وتزوجوا من أهلها ومن أسرها الحاكمة حتى ملكوا زمام الأمر.

ونستطيع أن نقرر كذلك أن مملكة النوبة المسيحية «المقرة» ظلت تقاوم وحدها الضغط العربى المملوكى دون عون خارجى، فلم يتعاون معها أى من الممالك المسيحية المجاورة، فالنزاع الذى نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة كان من أهم العوامل التى عجلت بسقوط ممالك النوبة المسيحية، أما ملوك الحبشة من البيت الزغاوى فلم يمدوا يد المساعدة لملوك النوبة ضد السلطنة المملوكية أو القبائل العربية التى ملكت الديار، وذلك لإنشغالهم فى الصراع مع القوى المحلية بهضبة الحبشة وشرق إفريقيا (بلاد الزيلع).

ثم إن اضطراب الأحوال الداخلية لبلاد النوبة فى القرن الرابع عشر الميلادى بسبب حالة الاضطراب السياسى التى آثارها بنى الكنز وغيرهم من القبائل العربية،

أثر على تدهور التجارة النوبية، وبالتالى أصبحت البلاد مهيأة لتدخل السلطنة المملوكية لمواجهة المخاطر المتمثلة فى هؤلاء العربان.

وأخيراً أفرزت الدراسة أن الكنيسة النوبية كانت دائما فى حاجة لأن تتصل بمنبعها وهى كنيسة الإسكندرية للحصول على الأساقفة، غير أن هذه الصلة الدينية قطعت نهائيا منذ عهد البطريرك «سيريل عام٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م» فتركت دون عون خارجى، فضعف مركزها، ونعتقد أنه لم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى.

وقد أحسن العلامة ابن خلدون (١٣٣٢ –١٤٠٥ – ١٤٠٦م) وصف حالة الضعف التى تردت فيها البلاد بعد أن تفتت قوى حكومة النوبة المركزية، وتدفق العرب فى أعداد كبيرة على تلك البلاد، واستحوذت عليها، يقول ابن خلدون: «إن الجزية انقطعت بإسلامهم «أى النوبة» ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها،.... وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم فعجزوا، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالمصاهرة فافترق ملكهم، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت. فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جهينة على بلادهم».

ومع إننى أميل إلى أن بنى الكنز قد قاموا بدور قيادى وهام فى هذه المرحلة، إلا أن هذا الترجيح لا ينفى أن جهينة كانت من أهم القبائل العربية التى توغلت فى السودان وأكثرها عدداً ومن ثم أسهمت بدور كبير فى الهجرة العربية.

وبسقوط مملكة النوبة المسيحية زال الكيان السياسى القوى الذى كان يحول دون دخول العرب فى أعداد كبيرة عن طريق وادى النيل، وقد صادف هذا الحدث قمة الصراع بين العربان والمماليك فى مصر، فتدفق العرب فى مجموعات كبيرة عبر الصحراء الشرقية التى كانت مسرحا لنشاط عربى اقتصادى كبير وموطناً لكثير من العرب الذين قدموا لتلك الديار «إما من مصر أو ساحل البحر الأحمر» حيث تزوجوا من البجة ونشروا الإسلام، وكثيراً من مظاهر الثقافة العربية.

وسارت هذه الجماعات حتى بلغت أرض البطانة والجزيرة ثم عبر بعضها النيل إلى كردفان ودارفور، وهناك التقت هذه الموجة من الهجرة بموجة أخرى كانت قد

تابعت ضفة النيل الغربية حتى دنقلا، فوادى المقدم، ووادى الملك، حتى بلغت مملكة كانم، برنو، في أواخر القرن الرابع عشر حيث كان الإسلام قد بلغ تلك الجهة قبل عشرات السنين من قدومه من جهة بلاد المغرب وشمال إفريقيا.

واستقر هؤلاء المهاجرون وجلهم من البدو فى سهول أواسط السودان الغنية بالمرعى، وانفستحوا على السكان الوطنيين من نوبيين وبجة وذنج وغيرهم، فصاهروهم، مكررين تجربة التلاحم التى بدأتها ربيعة فى بلاد البجة والمريس منذ مئات السنين.

ونتيجة هذا التلاحم الشديد صارت العربية أو العروبة ذات مدلول ثقافى.

وقد أثبتت الدراسة أنه كان لتلك الهجرات العربية أثر كبير فى القضاء على مملكة علوة المسيحية التى تربطها بعض الصلات بالدولة الإسلامية منذ زمن بعيد. ويخبرنا اليعقوبى أن التجار العرب كثيراً ما ترددوا على سوبا فى القرن التاسع الميلادى، وفى القرن العاشر تمكنوا من إقامة رباط لهم فى سوبا، كما أن مجموعات من الأعراب الذين لم يغرهم الاشتغال بالتعدين، والعمل فى نقل البضائع الشرقية تسربوا إلى مراعى علوة، وقد كثر عددهم بعد أن تدهورت إمكانات المنطقة الشرقية الاقتصادية، وبعد سقوط مملكة النوبة المسيحية. ولما كثر عدد الوافدين، وازدادوا منعة وقوة بظهور التكوينات القبلية الكبيرة، وحدهم عبدالله جماع القاسمى، وقضى على علوة فى منتصف القرن الخامس عشر، ومع أن سقوط علوة جاء نتيجة جهد عربى إلا أن مدة تفرد العرب بالسلطة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما نازع العبدلاب خلفاء عبدالله جماع، جماعة من البدو السود اشتهرت بتربية البقر وعرفوا باسم الفونج، ولا يعرف أصل الفونج البعيد. ولكن الراجح أنهم شعب أسود، وفد من منطقة أعالى النيل الأزرق وتمثل الثقافة العربية الإسلامية أو ربما كانوا سلالة أب عربى وأم سودانية، ومهما كان أصلهم فالمهم أن ظهورهم فى التاريخ أرتبط إلى درجة كبيرة ببلوغ المؤثرات الإسلامية العربية إلى تلك المنطقة؛ وتمكن الفونج سنة ١٥٤٠م من بسط نفوذهم على العبدلاب، وعلى رعاياهم من العرب والمجموعات المستعربة وغيرهم من الوطنيين حتى الشلال الثالث، كما شملت مملكة الفونج أو السلطنة الزرقاء أجزاء كبيرة من كردفان وبلاد البجة.

وفى سلطنة الفونج الإسلامية التى أنشأها عمارة دونقس نماذج العنصران العربى والسودانى – الإفريقى وتكاملاً ثقافياً فى بوتقة الحضارة الإسلامية، مقدمين بذلك نموذجاً جديداً للتلاحم بين شعوب مختلفة فى إطار الدين الإسلامى. ونجد خير دليل على انصهار الشعبين وتكامل الثقافتين فى اسم مؤسس دولة الفونج: فعمارة رمز العروبة ودونقس رمز الإفريقية وقد تكررت نفس الظاهرة عند قيام سلطنة الفور فى غرب السودان، وفى مملكة تقلى فى أوسطه.

يتضح من واقع دراستنا أن انتشار الإسلام بين الوطنيين وهم خليط من المسيحيين والوثنيين يعزى إلى تسرب القبائل العربية فى أعداد كبيرة وإلى توغل التجار فى تلك الديار. ولكن عملية التحول الى الدين الإسلامى كانت بطيئة جداً. وحقيقة الأمر أن سودان وادى النيل لم يصبح بلدا مسلمًا إلا بعد قيام السلطنات الإسلامية كالفونج والعبدلاب، والسبب فى ذلك أن الديانة المسيحية لم تمت بسقوط الكيان السياسي في مملكتي النوبة وعلوة، بل بقيت المسيحية في بعض مظاهرها حتى وقت متأخر، وقد ظلت الشعائر المسيحية تمارس فى أقصى شمال السودان حتى أواخر القرن الخامس عشر ١٤٨٥م. وهناك ما يشير إلى وجود بعض المسيحيين فى إحدى جزر المديرية الشمالية، ولعلها جزيرة تنقس حتى سنة ١٧٤٢م.

إن انتشار الإسلام قد اتسم بالتدرج، فقد دخل العرب مزودين بالقيم الإسلامية، واختلطوا بالسكان الوطنيين، ثم توالدوا معهم، وتغيرت طبيعة المجتمع لشعب تغلب عليه الثقافة العربية ويحمل فى سماته كثيراً من السمات الإفريقية، ممثلة فى ملامحه وعاداته وممارساته، وفنونه الشعبية، بجانب قوة الدين الإسلامى ومميزاته التى مكنته من الانتشار.

هذا ونستطيع أن نقرر أن انتشار الدعوة الإسلامية قبل قيام الممالك الإسلامية كانت منظمة فى كثير من مظاهرها، فقد أهتم الرواد الأوائل من المسلمين، وجلهم من التجار والبدو وهم ممن حملوا المعرفة الدقيقة للشريعة الإسلامية، لنشرها بين المسيحيين والوثنيين مركزين على اصول العقيدة الاسلامية وقد شارك هاتين الفئتين بعض العلماء، وقد روى عن أول عالم ورد ذكره فى الأخبار وهو غلام الله بن عائد اليمنى. وكان قد قدم من اليمن إلى دنقلا فى منتصف القرن الرابع عشر، أنه قرر

البقاء فى تلك المدينة للمساهمة فى نشر تعاليم الإسلام بعد أن هاله ما رأى باهلها من جهل وحيرة لإنعدام العلماء. وأخذ الشيخ غلام الله يعمر المساجد، وينشئ المدارس ويعلم القرآن، وشهد القرن الخامس عشر مجيء حمد أبو دنانة صهر الشيخ عبدالله بن محمد الجزولى الشاذلى. وكان استقراره بالمحمية، حيث بدأ فى نشر الطريقة الشاذلية بالسودان.

ويتضح أثر مصر الثقافى فى سودان وادى النيل من خلال أزهرها الشريف، فقد أصبحت مصر مقصد العلماء المسلمين من كل مكان، يأتونها ليجدوا فى رحابها الانفتاح الثقافى فكانت القاهرة مركزاً للإشعاع العلمى والثقافى فى العالم الإسلامى كله زمن المماليك تدرس بها سائر العلوم الدينية واللغوية.

وكان الأزهر الشريف يمثل ركنا هامًا فى نشر الثقافة الإسلامية فى عصر سلاطين المماليك، إذ كان مركزاً لدراسة شتى أنواع العلوم من الحديث والفقه والتفسير والنحو، بل كان مقراً دائمًا لتلاوة القرآن وتدريس علومه، إلى جانب أنه كان داراً للتصوف؛ وكدليل على مدى حرص مصر على احتضان أبناء سودان وادى النيل أنه قد خصص فى الجامع الأزهر رواقًا لطلبة سنار عرف برواق السنارية، ورواقًا لطلبة دارفور. وهذا يعطينا دليلاً على كثرة عدد الطلاب الوافدين من سودان وادى النيل.

ومن الرواد السودانيين الذين وفدوا إلى مصر للدراسة فى الأزهر. كما تصوره كتب الطبقات الشيخ محمود العركى الذى تتلمذ على يد الشيخين شمس الدين اللقانى، وناصر الدين اللقانى فيما بين (٩٣٥م –٩٤٠هـ/١٥٢٩ – ١٥٣٤م)، وهما من شيوخ المالكية المعروفين آنذاك. ثم أشتد وفود العلماء من مصر فى النصف الثانى من القرن العاشر. بعد أن توطنت دولة الفونج، وبسطت ظلها على السودان، وظهرت مكانة سنار بين عواصم الإسلام. وتعدد كتب الطبقات أسماء الوافدين وتعرض لإنتاجهم، وتتحدث عن أثرهم فى ميدان الثقافة، ومنهم الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله بن عائد حيث رحل إلى مصر وتفقه على يد الشيخ محمد البنوفرى أمام المذهب المالكى فى القاهرة.

هذا وقد حوت الدراسة أسماء العديد من العلماء الذين قصدوا القاهرة طلبا للعلم، ومنحوا الإجازة العلمية من الأزهر الشريف، فنقلوا هذه المؤثرات الثقافية إلى سودان وادى النيل.

كما يتضح الأثر المصرى فى ثقافة سودان وادى النيل من خلال ثغرى أسوان وعيذاب، اللذين نشطتا فيهما الحركة العلمية والأدبية؛ وبذا انتقلت بسهولة ويسر مع اشتداد نفوذ مصر السياسى على بلاد النوبة، فقد كان هذا الوقت مناسباً فى ظل هذا الاستقرار من المناخ السياسى أن تزدهر الثقافة العربية المنطلقة من مصر إلى ظهيرها وموئل أمنها سودان وادى النيل.

وقد أهتم الدعاة الأوائل بتحفيظ القرآن للنشئ وتدريسهم مبادئ الفقه والتوحيد، وكان المذهب الشائع هو مذهب الإمام مالك بينما تبعت القلة تعاليم الإمام الشافعى. ومرد ذلك إلى أن معظم من هاجر إلى السودان من القبائل العربية جاء من صعيد مصر الذى عرف بشيوع المذهب المالكى بين سكانه.

ودخلت تعاليم المذهب الشافعى إلى السودان نحو عام٩٧١هـ/ ١٥٦٣م على يد الشيخ محمد بن على بن قرم الفقيه الشافعى المصرى الذى زار سنار وأربجى وبربر، وأتخذ من الأخيرة مقاماً له، ومنها نشر بعض تلاميذه المذهب الشافعى وإن لم يصيروا جميعا من اتباعه. ومن الفئة الأخيرة إبراهيم الفرضى، والقاضى دشين، وعبدالله العركى، وعبدالرحمن ولد حمدتو، وانتهت المنافسة بين المذهبين بفوز المذهب المالكى، إلا أن منطقتى سواكن وطوكر ظلت على هدى الشافعية حتى يومنا هذا.

وبالرغم من أن الجمع بين حفظ القرآن، ودراسة «الرسالة» و«مختصر الخليل» و«مقدمة السنوسى» فى التوحيد والانخراط فى الطرق الصوفية كان غاية ما يصبوا إليه كثيراً من المتعلمين السودانيين، فإننا نجد بعض الأدلة على دراسة علوم القرآن والفرائض، ومبادئ النحو والصرف، وعلوم العربية «كاللغة والمعانى والبيان والعروض والشعر» والمنطق والحديث والتفسير والأصول، كما كان لبعضهم معرفة السير والأخبار.

وقد قام رجال الطرق الصوفية بدور كبير فى نشر العقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها، على يد العلماء والمتصوفة، وما أن جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وأحرز الاستعراب تقدما ملحوظا فى الجزء الشمالى من سلطنة الفونج، وهو الجزء الخاضع لنفوذ ملوك العبدلاب، والذى يمتاز بأنه ذو مضمون حضارى

عريق حتى تهيأ لهذه المنطقة أن أن تحتل مكان الصدارة للإشعاع الإسلامى والحضارى لباقى أقاليم سودان وادى النيل.

وبعد أن تهيأت لهذا الإقليم القيادة الدينية والسياسية بدأت هجرة العلماء ورجال الطرق الصوفية للمناطق الحديثة العهد بالإسلام أو الواقعة على أطراف دار الإسلام، وهذه المناطق تقع إما داخل التكوينات السياسية القائمة فى سودان وادى النيل أو على أطرافه، ونخلص من هذا إلى أن جيل الدعوة الإسلامية الذين حملوا مشعلها فى المرحلة الثانية كان جلهم من الجيل الجديد، من النوبة المستعربين، أو العرب الذين استوطنوا فى هذه الديار منذ عشرات السنوات كالدناقلة، والمحس، والركابية، والشايقية، والجعليين.

وبعد فقد أثبتت الدراسة أن لهذا التسرب العربى الإسلامى من الهجرات العربية المتجهة من مصر إلى سودان وادى النيل قبيل العصر المملوكى دوافع ثلاثة.

- الضغط من جانب حكام مصر.

- البحث عن الكلأ فى أقاليم النوبة الشاسعة.

- التجارة، وخاصة تجارة الذهب التى ذاعت شهرتها فى أرض البجة، بالإضافة إلى تجارة الرقيق.

ونستطيع أن نقرر أن بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب كان شديد الارتباط بالصراع الدولى على التجارة فى البحار الشرقية، وبالأخص ميناء عيذاب. فقد أدرك الظاهر بيبرس هذا الخطر الصليبى الكامن فى الجنوب، وأدرك احتمال طعن النوبيين لمصر من الخلف أثناء انشغالها بتصفية الجيوب الصليبية فى بلاد الشام، وقد أعد حملته الكبرى التى انتهت بعقد اتفاقية جديدة تنظم العلاقات بين مصر والنوبة وأسفرت عن خضوع بلاد النوبة خضوعًا إقليميًا لمصر لأول مرة فى العصر الإسلامى بعد أن تمكنت الحملة من فتحها فتحاً حقيقاً؛ وكانت ثمرة هذا الفتح نتائج خطيرة:

* ضم القسم الشمالى من بلاد النوبة إلى مصر ويشمل بلاد العلى والجبل بما فيه قلعتى الدو وأبريم، وتقدر بنحو ربع بلاد النوبة وأصبح تحت السيادة المباشرة

للسلطان المملوكى، ويقوم صاحب الجبل بصفة نائب للسلطان بحكمه.

* أصبح ملك النوبة نائبا للسلطان المملوكى على ما بقى تحت يده من البلاد، وبذلك استقر نفوذ مصر فى بلاد النوبة، وانتظم ملوكها فى أداء ما التزموا به للسلطان المملوكى الذى أصبح من حقه تعيين ملوك النوبة أو عزلهم.

* عوملت بلاد النوبة معاملة البلاد المفتوحة عنوة، وأصبح غير المسلمين من أهلها أهل ذمة يؤدون ما فرض عليهم من جزية ماداموا على غير الإسلام.

* اعتناق ملك النوبة الإسلام، ويستدل على ذلك مما ورد فى كتاب من إنشاء ابن عبدالظاهر كتبه على لسان السلطان بيبرس رداً على رسالة الأمير شمس الدين أقسنقر الفارقانى.

* أنشأ السلطان بيبرس ديوانا جديدا هو ديوان النوبة، واضافه إلى وزيره الصاحب بهاء الدين بن حنا، ورسم له أن يتولى الإشراف عليه، ويستخدم عمالا على ما يستخرج من النوبة من جزية وخراج ومتابعة انتظام وصولها.

* إقبال ملوك الأبواب التابعين لمملكة علوة، الواقعة جنوب مملكة المقرة على الارتباط بعلاقات ودية مع السلطنة المملوكية، بعد أن تمكنت قواتها من التوغل داخل أراضى تلك المملكة فى مطاردة الملك داود، ولهذا تدفقت هداياهم على البلاط المملوكى ضمانا لعدم تعرضهم للمخاطر.

* بالإضافة إلى الشروط السياسية والاقتصادية المرهقة فى الاتفاق خسرت النوبة بضعة آلاف من أبنائها، وقعوا أسرى فى أيدى القوات المملوكية، وبذا كانت حملة السلطان الظاهر بيبرس منجزة لأهدافها بالكامل، وحققت ما لم تستطع حملة أخرى أن تحققه فى تلك البلاد منذ الفتح العربى لمصر.

وقد ثبت لدينا أن تلك الحملات التى بدأها الظاهر بيبرس إلى فتح بلاد النوبة، وأصبح ملكها رعية من رعايا صاحب مصر، يؤدى سنويا ما تقرر على بلاده من عبيد وإماء وحراب ووحوش نوبية، ويخطب لخليفة العصر وصاحب مصر، قال ابن فضل الله العمرى: «وملكها الآن (أى فى أواخر عصر الناصر محمد»، مسلم من أولاد كنز الدولة.. ولا يملك الآن بها ملك إلا من الأبواب السلطانية بمصر».

وإذا كانت العلاقة بين مصر والنوبة لم تقف عند ذلك الحد فإنها أخذت شكلا جديداً، فقد توقفت إغارات النوبيين على مصر، وصارت سلطنة المماليك بعد بيبرس تتدخل فى شئون النوبة الداخلية، وانتهى الأمر فى عصر الناصر محمد بن قلاوون بسقوط ممالك النوبة المسيحية فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى، واعتلى عرشها ملك مسلم هوكنز الدولة، وبهذا اتسقت الأوضاع السياسية فى بلاد النوبة مع أوضاعها الاجتماعية فصار الملوك على دين شعوبهم، وانتهى ذلك الوضع الشاذ الذى كان سائدا من قبل، حين كان الملوك يتمسكون بالعقيدة المسيحية، بينما كانت الشعوب قد تحولت منذ فترات مبكرة إلى الإسلام.

هذا ونستطيع من واقع الوثائق أن نقرر أن بنى ربيعة الكنوز ومن والاهم من قبائل العرب قد أثروا بشكل حاسم فى التكوين السكانى للمجتمع النوبى، وساهموا بدور أساسى فى تعلم اللغة العربية، وانتشار الإسلام بتلك البلاد بعد سقوط المملكة، وعلى الرغم من أن المسيحية بقيت ديانة بعض السكان لمدة قرنين بعد استيلاء بنى ربيعة الكنوز على عرش دنقلة، إلا أنها فى النهاية انحسرت أمام المد العربى الإسلامى فى ظل هؤلاء الحكام الربعيين وحلفائهم.

ويتضح من الدراسة أن استقرار العرب فى مملكة علوة وتدرجهم فى الاستيلاء على السلطة قد سار فى أكثر من اتجاه، أولها بعد سقوط مملكة المقرة فى الشمال فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، وانهيار السد المنيع الذى ظل يحول دون أن يحدث انهيار كامل فى بنية الدولة المسيحية.

وتوافدت الهجرات وأعظمها جهينة، وقبائل عربية أخرى، أخذت طريقها نحو علوة فى انتشار سلمى لم يسبقه عنف أو قتال، وبذا نجح التيار العربى الجارف فى الهيمنة على المملكة حتى صارت المواجهة حتمية فاضطر إلى أن يستأصل شأفة المملكة المتهالك – فقصد هنا مملكة علوة المسيحية – وصبغها بالصبغة الإسلامية.

ونستطيع أن نتبين المدى الذى وصلت إليه الكثرة العربية فى أرض علوة من المادة الكثيرة فى المصادرة السودانية التى تقول أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا عاصمة مملكة علوة بلغت اثنتين وخمسين قبيلة.

كذلك عمل هؤلاء العرب أن يقوموا بعمل جماعى مباشر يهدف إلى نشر الإسلام بين السكان، بالموعظة الحسنة والحرية الدينية إلى أن انتشر الإسلام بالتدرج بعد المعايشة والمصاهرة والاختلاط.

ونتيجة للهجرات العربية المتتالية تغير التركيب البشرى فى أرض النوبة تغيرا يكاد أن يكون كاملا، فتعرضت أرض النوبة العليا لموجات كبيرة من العرب المهاجرين، وأصبحت موطن مجموعة القبائل الجعلية.

وقد اندمجت العناصر النوبية فى هذه القبائل اندماجاً كلياً، حتى اجتمعت كلمة بعض القبائل العربية بقيادة عبدالله جماع، وكلمة الفونج بقيادة عمارة دنقس فى بداية القرن السادس عشر فخربوا سويا، واسقطوا دولة النوبة المسيحية العليا.

هذا ونستطيع أن نقرر من واقع المخطوطات التى رجعت إليها أنه قد انصهرت كل هذه العناصر مع العنصر النوبى، فتكلمت بلسانه، وأخذت بعاداته، وها هنا نجد تنويبا لا استعرابا وإن كانت اللغة العربية تتقدم والمؤثرات العربية تزداد مع معدل التعليم والاحتكاك مع الخارج.

وتتجمع الأدلة الأثرية على أن النوبيين المسيحيين قد ظلوا بمنطقة قصر أبريم وجبل عدة، فقد كشف النقاب عن إمارة صغيرة تسمى «دوتاو باللغة العربية» ومعناها منطقة الدو السفلى، وكانت تقع بين الشلال الأول والثانى، كما اكتشفت فى أبريم وجبل عدة وثائق أثرية تذكر أسماء ثمانية ملوك وأساقفة، وبعض من رجال الكنيسة الذين كانوا يلعبون دوراً أساسيًا فى إدارة المملكة ويحملون نفس الأعباء التى نجدها فى مملكة دنقلا؛ وهذا يدل على أن الأسرة التى ملكت فى دوتا وهم شعبة من الأسرة القديمة المسيحية التى كانت مالكة فى دنقلا. ويعتقد أن هذه المملكة قد بقيت حتى عام٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م على الأقل. ويعد استمرار وجود المسيحيين طوال هذه الفترة دليلا حاسما على سماحة الإسلام، وعمل حكام هذه البلاد بمبدأ لا إكراه فى الدين.

وتؤكد الوثائق العربية على تغير العادات والتقاليد فى مجتمع سودان وادى النيل، حيث قدمنا أقدم وثيقة زواج عثر عليها من منطقة قصر أبريم، وهى وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م وبالمقارنة مع نموذجين من عقود الزواج الخاصة بأمراء وأميرات من بنى الكنز من ثغر أسوان،

ويرجح تاريخها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين؛ هذا بالإضافة إلى اختيار مجموعة من الوثائق البالغة الأهمية لعقود الزواج في سودان وادي النيل، والتي ترجع إلى فترات زمنية مختلفة اتضح لنا من صيغة العقد معرفتهم التامة بالشريعة فى مجال العدة، وقد تمكنا بفضل الله من تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى حاولت بعض دعاة الفونج التأكيد بأن دورهم فى نشر الإسلام هو الذى حول بلاد النوبة إلى عقيدته، إذ يذكر محمد النور ود ضيف الله «أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة، وتغلبت عليها أول القرن العاشر «السادس عشر الميلادى» ولم يشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن، ويقال أن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة، حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر. وعلم الناس العدة». إلا أننا الآن من خلال هذه الوثائق نستطيع الرد على ود ضيف الله ومن تابعه من المؤرخين المحدثين بأن هذا محض تعميم لا ينبغي القياس عليه دائما.

وبالاطلاع على مجموعة دار الوثائق القومية بالخرطوم وجدنا هناك مجموعة عقود كثيرة خاصة بالسادة النضيفاب، وهى فى فترات زمنية مختلفة وإن كانت متقدمة عن دراستنا، إلا أننا حرصنا على عرضها لبيان مدى التطور الذى حدث فى مجال توثيق عقود الزواج.

هذا، وقد كان الشهود على العقد أكثر من شاهدين كما هو واضح فى عقد الزواج الكنزى، فقد بلغ عددهم ستة شهود على العقد. وهذا لعلو كعب العروس.

وتؤكد الوثائق المكتشفة فى قصر أبريم مدى ما بلغه سودان وادى النيل فى فهم حقوق الزوجة وواجباتها من خلال المطالبة بالنفقة التى كان القاضى يحكم بنفاذها.

لقد انعكس التطور الاجتماعى فى مصر المملوكية على سودان وادى النيل متمثلا فى انتقال هذه المؤثرات الإسلامية، واكتسابها فى سهولة ويسر لدى النوبيين المستعربين، جاء ذلك بحكم أواصر القربى، ولقربها من ثغر أسوان، وما تبعه من اتصال وثيق منذ بداية العصر المملوكى فى مصر، وقيام المشيخات والممالك الإسلامية فى سودان وادى النيل.

ويتضح من دراستنا لنماذج الوثائق التى تحت أيدينا وخاصة مخطوطة «أنساب عرب السودان» أن المسميات العربية فى مجتمع سودان وادى النيل قد تأصلت بشجرة

الأنساب العربية، إذ جاء فى مخطوطة «تاريخ النوبة: «لأن العرب كثرت وفودهم إلى بر السودان في تبع الخصب، وأغلبهم من حمير وربيعة وبنى عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبنى يشكر وبنى كاهل وبنى ذبيان».

هذا وقد أثبتت الدراسة مدى التطور فى العادات الاجتماعية الخاصة من حيث الملبس والمأكل والمشرب، وأدوات الزينة، والمسكن والأثر الإسلامى فى الزخارف المعمارية، ثم أخيرا الاحتفالات والطقوس الدينية معتمدين فى ذلك على وثائق الفونج.

وأخيراً أثبتت الدراسة أن العصر المملوكى فى مصر قد شهد قمة الإشعاع الحضارى في تاريخ مصر الإسلامية، وكان لابد لهذا الإشعاع الحضارى أن يمتد جنوباً إلى بقية أرض وادى النيل فمصر والنوبة توأمان فى ارتباط المصالح ولا أدل على هذا الربط من اعتماد البلدين على النيل شريان حياتهما، ومصدر العطاء لشعبيهما مما يجعل توجه مصر نحو الجنوب أمرا حتميا منذ ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر.

لقد صدق العلامة ابن خلدون فى حكمه على ذلك العصر «ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر، فهى أم العالم وايوان الاسلام، وينبوع العلم والصنائع».

والله ولى التوفيق

دكتور

كرم الصاوى باز

المصادر والمراجع

أولا: الوثائق :

(أ) وثائق غير منشورة:

١- عقد زواج خاص بالأمير الربعى كنز الدولة أبن عبد الله على ابنة عمه السيدة بشرية بنت سيف الدين ماجد؛متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٢٢).

٢- عقد زواج غير منشور. تذكرة مباركة لصداق أم كلثوم بنت أحمد بنت عبد الغفار من زوجها الأمين – وثائق النضيفاب، دار الوثائق القومية بالخرطوم، تحت رقم : Misc 1/27/366

٣- عقد زواج غير منشور، خاص بزواج مليحة مملوكة السيدة ام الخير ابنة الأمير عز الدين هبة الله ، وقد تم تحريره سنة ٧٤٤هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ,٤٢٢٥

٤- عقد زواج غير منشور، خاص باسم بخيت احمد خاصة ولد محمد عثمان، من وثائق النضيفاب، دار الوثائق القومية بالخرطوم، . Misc 1 / 27 / 361

(ب) وثائق منشورة:

٥- أوراق النسبة : نسبة احمد بن الفكى معروف- دار الوثائق القومية بالخرطوم متنوعات.

٦- أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن : انساب عرب السودان، نسخة جعفر حسان فى الأنساب، دار الوثائق القومية بالخرطوم تخت رقم . Misc 1 / 27 / 184

متنوعات

٧- أول عقد زواج فى مصر الإسلامية ، ويرجع تاريخه إلى عام ٩١هـ، بردية منشورة تحت رقم ٢٥٢٩٥ ، متحف الفن الاسلامى بالقاهرة. نشرها الباحث فى رسالة الماجستير.

٨- عقود الزواج الخاصة بأمراء وأميرات من بنى الكنز من ثغر أسوان، والمسجلة برقم ٤٢٢٣ ، ٤٢٢٤، ويرجع تاريخهما إلى القرنين السابع والثامن الهجريين، ثم نشر

العقدين الدكتورة سعاد ماهر: مدينة أسوان وأثارها فى العصر الإسلامى: دار الكتب المصرية ، ١٩٧٧م .

٩- وثائق أوراق النسبة :

- أنساب عرب السودان Misc 1 / 18 / 198 .
- نسبة أصول العرب Misc 1 / 22 / 249
- شجرة أصول العرب والملوك Misc 1 / 91 / 1472 - 73.
- واضح البيان Misc 1 / 20 / 232

١٠- وثيقة بردية منشورة: خطاب مرسل من والى مصر موسى بن كعب إلى .. صاحب مقرة ونوبة، سنة ١٤١ هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم(٢٥٤٨٠) ، نشرها:

C.F. : Martin, : Studia Arabica of Islamica, American Univerity of Beirut, 1981. وقد أعاد الباحث نشرها فى رسالة الماجستير.

١١- وثائق خاصة بالنفقة، تم نشرها عام ١٩٧٤م بواسطة :

R.S.O, Fahey & Sharif Harir :

- Sudan Texts Bulletin, VII, November 1985, Edited by Ali Osman and Robin thelwall University of Ulster.

١٢- وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، مطبوعات رقم ١٩٦٥ م.

١٣- وثائق السادة المجاذيب، متنوعات، دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

١٤- وثائق الفور: نشرها الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، ١٩٧٥م.

وثائق الفونج: نشرها الدكتور/ محمد إبراهيم أبو سليم ، ١٩٦٧ وأعيد نشرها الآن .

١٥- وثائق نسب الجعافرة Box 197 Piece 2619.

وثائق نسب العركيين Box 200 Piece 2669 .

دار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٦- وثيقة تصدق بأرض حمد بن الشيخ على قبل عام ١١٥٦ هـ ، وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٧- وثيقة خاصة بأوقاف مشيخة العبدلاب فى المدينة المنورة نشرها الدكتور احمد عبد الرحيم نصر (الاغوات ، ص ١٧).

ثانياً - المخطوطات :

١٨- إبراهيم عبد الدافع : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٩- مخطوطات كاتب الشونة (احمد بن الحاج أبو على وآخرين) :

أ - مخطوطة باريس ، Bibliotheque Nationale, MS Arabe 5069 , Paris.

ب- مخطوطة المتحف البريطانى، British Museum Or, 2345, London.

جـ- مخطوطة فيينا ، Nationale Nibliothek, MS Next 611a, Vienna.

دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

٢٠- الأرباب الحسن بن شارو:

- واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم ١ / ٢٠ / ٢٣٢ .

- سيرة ملوك العبدلاب (ملوك العبدلاب) ، ١ / ٢٠ / ٢٣٢ دار الوثائق القومية، الخرطوم.

٢١- ابن ايبك الدواداری (ابو بكر بن عبد الله - ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): كنز الدرر وجامع الغرر مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ .

٢٢- البدوى محمد نافع : مخطوط فى ذكر نسب غلام الله بن عايد مخطوط بدار الوثائق المركزية بالخرطوم (متنوعات).

٢٣- البهاء الجندى (أبو عبد الله يوسف بن يعقوب - ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) : السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٩٦ تاريخ ، جـ ٢ .

٢٤- ابن بهادر (محمد بن محمد - ت ٨٨٧هـ/ ١٤٧٢م): فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، مخطوط، جزءان، بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦١٦٦، جـ١ . وبدار الكتب المصرية رقم ٤٩٧٧ تاريخ.

٢٥- بيبرس الدوادار (ركن الدين المنصورى المصرى - ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م): زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة ، نسخة مصورة بالفوتستات، جامعة القاهرة رقم ,٢٤٠٢

٢٦- تاريخ الملوك الفونج ببلد صنار أحضرها بروس من سنار عام ١٧٧٢، (قائمة بروس) Bodleian Library, Bruce MS-18 (2) FF. 546 - 57a. تاريخ ملوك العبدلاب ، ٣٥ صفحة، ١٣٣٤هـ، نسخة مصورة بدار الوثائق القومية بالخرطوم. متنوعات.

٢٧- الذهبى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٣٩٦ تاريخ .

٢٨- السمرقندى: كتاب أنساب عرب السودان، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم (متنوعات).

٢٩- ابن شاكر الكتبى (صلاح الدين محمد ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) : عيون التواريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية.

٣٠- مخطوط الصديق حضرة: نسبة الفكى الصديق حضرة: ملف ماكمايكل، صفحات ٤٩٠- ٥٠٤، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، الترجمة الإنجليزية:
MacMichael, 11 , ABC, 181- 99.

٣١- مخطوط عبد الرحمن الاغبش (مؤلف ١١٠٣هـ / ١٦٩١م) : المصباح الدجانى فى شرح نظم محمد إبراهيم الخرازى الشريشى، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، نسخة خطية.

٣٢- ابن عبد السلام (شهاب الدين احمد بن عبد السلام الشافعى ت ٩٣١هـ/١٥٢٥م): الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٩ تاريخ، ٦٦ جغرافيا.

٣٣- ابن عبد الظاهر (محى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد، ت ٦٩٢ هـ/١٢٩٢م) : تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٢٢٦ .

٣٤- الشيخ عبد المحمود (الشيخ عبد المحمود بن نور الدايم الطيى) : كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى أخبار مكة والمدينة ، مخطوط غير منشور، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، رقم Misc 1 / 18 / 198 .

٣٥- الشيخ عثمان أونسه : تاريخ مشيخة العبدلاب ، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، متنوعات.

٣٦- العينى (بدر الدين محمود ، ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) :عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ١٥٨٤ تاريخ بدار الكتب المصرية.

٣٧- نسب العبدلاب -دار الوثائق القومية بالخرطوم- تحت رقم ٦١٥-٦٢٨، وينسب لابن الحاج حسين بن شريف الفحل بن ضياب بن أونس بن كليس بن عجيب بن ديومة بن عبد الله جماع.متنوعات (أوراق نسب) .Misc 1 / 16 / 184

٣٨- الفحل (ابن الحاج حسن بن الشريف الفحل بن ضباب): نسب العبدلاب، مخطوط، بدار الوثائق المركزية بالخرطوم ، متنوعات، تحت رقم Misc 1 / 18 / 198

٣٩- ابن فضل الله العمرى(شهاب الدين ابوة العباس احمد بن يحيى بن فضل الله العمرى العدوى القرشى ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) :مسالك الأبصار فى مالك الأمصار ، جـ٢ ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة.

٤٠- الفيومى (احمد بن محمد بن على المقرى ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م): نثر الجمان فى تراجم الأعيان ، مخطوط رقم ١٧٤٦ تاريخ بدار الكتب.

٤١- مجهول: مخطوط كفاية المبتدى فى حل ألفاظ الاخضرى، جامعة ام درمان الإسلامية.

٤٢- مجهول: انساب عرب السودان: مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Misc 1 / 18 / 198(لم يحقق بعد) .

٤٣- مجهول: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، مخطوط غير منشور، دار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Misc 1 / 15 / 191

٤٤- ابن المجاور :(يوسف بن يعقوب المجاور ت ٦٩١هـ/ ١٢٩١م): تاريخ ابن المجاور أو كتاب المستبصر ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم٣١٧٧ تاريخ، جـ٢

٤٥- مخطوط: المجذوب إسماعيل بن الشيخ مكى صاحب الربابه فى طريق آهل الله والسير به. دار الوثائق المركزية، بالخرطوم، متنوعات.

٤٦-مخطوطات: نسب الدواليب لمحمد الدرديرى محمد خليفة الشيخ خورس، دار الوثائق المركزية، نسب البرياب: أحضرها السيد عثمان الشيخ محمد عبد الله. نسب النور عنقرة، ملف ماكمايكل، صفحات ٤٥٩-٥٧٦، دار الوثائق المركزية أو .MacMichael, 11 , BA, 16- 59

٤٧- محمد عبد الرحيم: مخطوط عن القبائل والعادات والتقاليد ، دار الوثائق القومية بالخرطوم، تحت رقم Misc 1 / 34

٤٨- المقريزى: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٥م): المقفى فى تاريخ وتراجم أهل مصر والواردين عليها، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٣٧٢ تاريخ.

٤٩- مخطوط من عبد الله بن أبى السرح وعلاقته بالرسول ، دار الوثائق القومية بالخرطوم.

٥٠- ابن منكلى (احمد بن منكلى): التدابير السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية، مخطوط بدار الكتب المصرية ق ٢٠، (لم يحقق).

٥١- نسب أولاد معين، ملف ماكمايكل، صفحات ٤٣٥-٤٣٩، دار الوثائق المركزية أو .MacMichael, 11 , BI, PP. 139- 143

٥٢- النويرى(شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب فى فنون الأدب مخطوط مصور بدار الكتب، رقم ٥٤٩، ٥٥١ معارف عامة ،جـ ٢٨، ٢٩ .

٥٣- الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، مخطوط بمكتبة كوبريلى باسطنبول - ١٢٩٤ .

٥٤- ابن وصيف (ابن وصيف شاه . ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م) : جواهر البحور ووقائع الدهور مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية- جامعة الدول العربية، ميكروفيلم رقم ٢٠٢ تاريخ.

ثالثاً : المصادر المطبوعة:

٥٥- القرآن الكريم.

٥٦- (الكتاب المقدس) (العهد القديم - العهد الجديد) .

٥٧- إبراهيم عبد الدافع:طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة شرح الشيخ أحمد السلاوى، حققه وقدم له الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم - الدكتور يوسف فضل حسن، ط معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٨٢م .

٥٨- ابن ابى الفضائل (ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م): كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ط باريس ، ١٩١١م.

٥٩- احمد بن الحاج ابو على : مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية ، تحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦١م.

٦٠- أحمد بن الحاج ابو على : مخطوطة كاتب الشونة : تاريخ ملوك السودان ، تحقيق مكى شبيكة، ط الخرطوم ١٩٤٧م.

٦١- ابن الاخوة (محمد بن احمد القرش ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م): معالم القربة فى أحكام الحسبة تحقيق محمد محمود شعبان، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

٦٢- الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت ٥٦٠هـ) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس . ط ليدن - ١٨٦م، نابلى ١٩٧٠م (المجلد الثانى) .

٦٣- الادفوى (ابو الرفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الادفوى ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : الطالع السعيد، الجامع لاسماء نجباء الصعيد تحقيق سعد محمد حسن، ومراجعة الدكتور طه الحاجرى، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

٦٤- الأصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : المسالك والممالك، ط القاهرة ١٩٦١م.

٦٥- الأصفهانى (العماد الأصفهانى الكاتب ت ٥٩٧هـ) : حزيدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء مصر، تحقيق احمد أمين وآخرون، ط القاهرة ١٩٥١م، جـ١

٦٦- الأصفهانى (ابو الفرج الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦هـ) : كتاب الأغانى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣١م، ٢٢ جزء.

٦٧- أغابزرك: الذريعة الى تصانيف الشيعة ط النجف ١٩٣٦م.

٦٨- ابن اياس(ابو البركات محمد بن احمد. ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور الجزء الأول، طبع بولاق ١٣١١هـ.

٦٩- ابن بابا (أحمد بن عمر بن محمد أقيت التبكتى) : كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، القاهرة ١٣٥١ .

٧٠- ابن بطريق (أفيتشوس المكنى سعيد بن بطريق ٣٢٨هـ) : التاريخ المجموع على التصديق والتحقيق ط بيروت ١٩٠٩م.

٧١- ابن بطلان: (أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادى ت ٤٤٩هـ) : رسالة جامعة الفنون نافعة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٤م.

٧٢- ابن بطوطة (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى) : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط بيروت ١٩٦٤م، جـ١ .

٧٣- البغدادى (عبد اللطيف موفق الدين عبد اللطيف ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) :تقييد العلم. دمشق ١٩٤٩م.

٧٤- البلاذرى (ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩/ ٨٩٢م) : فتوح البلدان، ط بيروت ١٩٧٨م، الجزء الأول ؛

٧٥- نفسه: انساب الأشراف جـ١ ، تحقيق د. محمد حميد الله ، معهد المخطوطات العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ٩ ١٩٥م.

٧٦- البيرونى (محمد بن احمد ت ٤٣٠هـ) : الجماهر فى معرفة الجواهر ط حيدر آباد، الهند ١٣٥٥هـ.

٧٧- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى. ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٢ .ط دار الكتب المصرية ١٩٢٩م ، جـ١ ، جـ٢ ، ٧، ٨ ، ١٩٥٦م.

٧٨- التلمسانى (احمد بن محمد المقرى التلمسانى): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩م، جـ٣,

٧٩- التونسى (محمد بن عمر التونسى ت ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م) : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ط القاهرة ١٩٦٥م.

٨٠- التيفاشى (احمد بن يوسف التيفاشى ت ٦٥١هـ): أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار تحقيق محمد يوسف حسن، محمد بسيونى خفاجى، الهيئة المصرية ١٩٧٧م.

٨١- الجاحظ (ابو عمر وعثمان) : فضل السودان على البيضان مجموعة رسائل الجاحظ، جـ١ ، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجى بمصر، والمتنبى ببغداد ١٩٦٥م.

٨٢- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن احمد الكنانى الأندلس البلنسى ت ٦١٤هـ): «الرحلة» تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار ، ط بيروت ١٩٦٤م.

٨٣- ابن الجزرى : (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد العمرى الدمشقى ت ٨٣٣هـ): غاية النهاية فى طبقات القراء أو طبقات القراء، القاهرة ١٣٥١- ١٣٥٢هـ.

٨٤- ابن الجوزى (جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على الجوزى): تنوير الغبش فى فضل السودان والجبش تحقيق عبد الرحمن العبيد، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة ١٩٧٦م.

٨٥- حاجى خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ٣ أجزاء. ط استنبول ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

٨٦- ابن حجر العسقلانى (احمد بن على ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): تهذيب التهذيب الهند ١٩٠٨م، ١٣٢٥هـ. رفع الاصر عن قضاة مصر تحقيق حامد عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦١م.

٨٧- ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين بن على ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م): أنباء الغمر بأبناء العمر تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢م، جـ٣,

٨٨- نفسه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ط حيدر آباد ١٣٤٨هـ ، جـ٣,

٨٩- ابن حزم (ابو محمد على بن احمد ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): جمهرة انساب العرب ، جـ٢ .

٩٠- الحكمى (عمارة بن على الحكمى) : النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، تحقيق Hartwig Derenbaurg باريس ١٨٩٧م.

٩١- ابن حوقل (أبو القاسم احمد النصبى ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): كتاب صورة الأرض - القسم الأول - الطبعة الثانية - ط ليدن عام ١٩٦٧م.

٩٢- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الملك ت ٣٠٠هـ) : المسالك والممالك - ط ليدن ١٩٦٧م.

٩٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربى المتوفى ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥-١٤٠٦م): المقدمة القاهرة - المكتبة التجارية . العبر وديوان المبتدأ والخبر المجلد الأول ، ط الثالثة، المجلد الثانى، بيروت ١٩٦٣ ، ١٩٦٤م.

٩٤- ابن خلكان (أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم المتوفى ٦٨١هـ/ ١٢٨١م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حقيقة د. إحسان عباس، المجلد الأول ، بيروت ١٩٦٨م ، المجلد الثانى بيروت ١٩٦٩ ، المجلد الثالث بيروت ١٩٧٠ ، المجلد الرابع بيروت ١٩٧٠ ، المجلد الخامس ١٩٧٠ ، المجلد السادس ١٩٧٠م، المجلد السابع ١٩٧٠م.

٩٥- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزءان الرابع والخامس، ط بولاق، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.

٩٦- الدمشقى (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر سانت بطرسبرج ١٨٦٦م.

٩٧- الذهبى (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م- ١٣٤٨م) تذكرة الحفاظ ، جـ١ ط حيدر آباد الهند ١٣٣٣هـ.

٩٨- ابن رسته (أبو على احمد بن عمر من أهل القرن الثالث) : الاعلاق النفسية ، ط ليدن، مطبعة بريل ١٩٨١م.

٩٩- الزركلى (خير الدين الزركلى): الإعلام ، جـ٤ ، جـ٥، جـ٦ ط بيروت ١٩٧٤م.

١٠٠- السبكى (التاج السبكى عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ت ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى تحقيق محمود محمد الطناحى، عبد الفتاح محمد الحلو، ٦ أجزاء ١٩٦٤- ١٩٦٨م.

١٠١- السخاوى (الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م): التبر المسبوك فى ذيل السلوك، ط بولاق ١٨٩٦م).

١٠٢- السخاوى (الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٩٣٤- ١٩٣٦م.

١٠٣- السلمى (ابو عبد الرحمن السلمى ت ٣٤٣هـ): طبقات الصوفية ط الأولى ، دار الكتاب العربى، مكتبة الخانجى بمصر ١٩٥٣م.

١٠٤- السمرقندى (علاء الدين السمرقندى ٣٥٩هـ): تحفة الفقهاء ، جـ٢، حققه محمد زكى عبد البر، ط الأولى ، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

١٠٥- السمعانى (ابو سعيد عبد الكريم بن ابى بكر محمد المظفر المنصورين محمد بن عبد الجبار التميمى ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م): كتاب الأنساب، ط ليدن، سنة ١٩١٢م.

١٠٦- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ابن ابى بكر بن محمد ت ٩١١هـ) :حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، جزءان (القاهرة ١٣٢٧هـ) .

١٠٧- نفسه: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم جزءان (القاهرة ١٩٦٤م).

١٠٨- نفسه: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة ١٩٣٨م.

١٠٩- ابو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين الملقب بابى شامة :«الروضتين فى أخبار الدولتين» جـ٢ ، القاهرة ١٩٦٧م.

١١٠- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى ت ٨٧٣هـ): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩٤م.

١١١- الشعرانى (عبد الوهاب بن احمد بن على الأنصارى) : الطبقات الكبرى المسماه بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار، القاهرة ١٢٩٦هـ ، جـ١.

١١٢- الشوكانى (محمد بن على بن محمد) : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ط بيروت ١٩٧٣، الجزء الخامس.

١١٣- نفسه: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدارية فى علم التفسير بيروت (خمس مجلدات).

١١٤- ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث القاهرة ١٩٧٦م.

١١٥- الصنعانى (محمد بن إسماعيل): سبل السلام ، جـ٣، ط الرياض ، ١٩٧٧م.

١١٦- ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروفة بابن الطقطقى): منتقلة الطالبية تحقيق السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسانى، النجف الاشرف.

١١٧- ابن عبد البر القرطبى (ابو عمر يوسف المتوفى ٤٦٣هـ) : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب تحقيق محمد البحراوى، مطبعة النهضة المصرية بالقاهرة، جـ٣، ٨ .

١١٨- ابن عبد الحكيم (ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى ٢٥٧هـ): فتوح

مصر وأخبارها ط ليدن ١٩٢٠م.

١١٩- ابن عبد الظاهر (مح الدين ابو الفضل بعد الله ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م): الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الاشرفية ط ليبزج ١٩٠٢م.

١٢٠- ابن العماد الحنبلي (ابو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الصالحي ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء ، بيروت ، بدون.

١٢١- عياض (القاضي عياض بن موسى بن عياض المالكي التوفى ٥٤٤هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، الجزء الأول . ط/ الرباط.

١٢٢- الفاسي (تقي الدين الفاسي) : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٦م.

١٢٣- الفاسي (محمد بن احمد الفاسي ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نشر ليبزج ١٨٥٩م.

١٢٤- أبو الفدا (الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة ت ٧٢٣هـ): تقويم البلدان، باريس ١٨٥٠م.

١٢٥- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابى الفدا ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، دار المعارف للطباعة والنشر، ط بيروت ، ١٢٨٦هـ، المجلد الأول والثاني والرابع.

١٢٦- ابن الفرات(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): تاريخ الدول والملوك ط بيروت ، ١٩٣٨م.

١٢٧- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم ابن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي ت ٧٩٩هـ): كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ط الأولى ، مصر، ط ١٣٥١هـ.

١٢٨- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين ابو العباس احمد (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢هـ.

١٢٩- ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن محمد بن إسحاق الهمذانى ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م): مختصر كتاب البلدان ، نشردى غريه - مطبعة بريل- ليدن ١٩٦٧م.

١٣٠- القزوينى (ذكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): أثار البلاد وأخبار العباد ، ط بيروت ، ١٩٦٠م.

١٣١- القفطى (جمال الدين على بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الوهاب ت ٦٤٦هـ) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المتنبى.

١٣٢- القلقشندى (الشيخ ابى العباس احمد القلقشندى ت ٨٢٣هـ/ ١٤١٨م): صبح الاعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزءا، ط القاهرة ١٩٦٣م.

١٣٣- ابن قيم الجوزية (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى بكر توفى سنة ٧٥هـ): فتاوى رسول الله تحقيق مصطفى عاشور، ط القاهرة ١٩٨٠م.

١٣٤- الكتبى (محمد بن شاكر الكتبى ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م): فوات الوفيات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة ، ١٩٥١م.

١٣٥- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى ٥٧٤هـ): تفسير ابن كثير ط بيروت ١٩٦٩م.

١٣٦- نفسه: البداية والنهاية ، ط القاهرة ١٣٥٨هـ.

١٣٧- الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): كتاب الولاة والقضاة، ط بيروت ١٩٠٨م.

١٣٨- ليو الأفريقى (الحسن بن محمد الوزان الزياتى ٩٤٤هـ): وصف أفريقيا ، ترجمة من الفرنسية للعربية د. عبد الرحمن حميدة، وراجعه. على عبد الواحد، المملكة العربية السعودية .

١٣٩- ابن ماجة (الحافظ ابو عبد الله القزوينى) : سنن ابن ماجه جزئين، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط بيروت ١٩٨٧م ، الجزء الأول.

١٤٠- ابن ماسويه (يحى بن ماسيويه ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م): كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

١٤١- الماوردى (ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى): الأحكام

السلطانية ط مصر ١٢٩٨,

١٤٢- المحبى (محمد المحبى): خلاصة الآثر فى أعيان القرن الحادى عشر، القاهرة ، جـ٢، (القاهرة ٤ أجزاء).

١٤٣- ابو مخرمة (١٠/١٦)، (ابو محمد) ، تاريخ ثغر عدن، جـ١، ٢، ط ليدن ١٩٣٦م ، نشره : Lofgren.

١٤٤- المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين بن على ت ٣٤٦هـ/ ١٩٥٦م): مروج الذهب ومعادن الجوهر أربعة أجزاء ، ط بيروت ١٩٧٣م.

١٤٥- نفسه: التنبيه والأشراف تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوى ، جـ١ ، مكتبة الشرق الإسلامية مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٤٦- المقدسى (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر المقدسى ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٧م): احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم نشردى غوية طبعة بريل - ليدن الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

١٤٧- المقريزى (تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر بن محمد ت ٨٤٥هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار طبعة بيروت ، جزءان.

١٤٨- نفسه: لبيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب تحقيق د. عبد المجيد عابدين - القاهرة ١٩٦١م.

١٤٩- نفسه: النقود الإسلامية ط النجف ١٩٦٧م.

١٥٠- نفسه: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، جـ٢، نشرهما د. محمد مصطفى زيادة، جـ٣، جـ٤ نشرهما د. سعيد عاشور، دار الكتب المصرية ١٩٣٤-١٩٧٢م.

١٥١- نفسه: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ٣ أجزاء ، تحقيق جمال الدين الشيال وآخرون، القاهرة ١٩٦٧-١٩٧٣م.

١٥٢- نفسه: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، القاهرة ، طبع بمطبعة التأليف بمصر سنة ١٨٩٥ ميلادية.

١٥٣- ابن المقفع (ساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى) : سير الآباء البطاركة ط المعهد القبطى بالقاهرة .

١٥٤- أبو المكارم جرجس بن مسعود (المتوفى فى أوائل القرن السابع الهجرى): كنائس وأديرة مصر المنسوب لابى صالح الارمنى، نشره ايفيتس، اكسفورد ١٨٩٥م.

١٥٥- ابن مماتى (القاضى الوزير شرف الدين ابو المكارم الأسعد ت ٦٠٦هـ): قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية ١٩٤٣م.

١٥٦- ناصر خسرو (ناصر خسرو علوى الفارسى الأصل ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامة، نقله للعربية د. يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥م الطبعة الأولى .

١٥٧- النويرى (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ١ ، جـ٤ ، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٣م.

١٥٨- الهروى (ابى الحسن على بن ابى بكر الهروى ت ٦١١هـ): كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، دمشق ١٩٥٣م.

١٥٩- الهمذانى (محمد بن احمد): صفة جزيرة العرب ، ط ليدن ١٨٨٤م.

١٦٠- ابن واصل (محمد بن سالم بن واصل ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م): مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال، جـ٢، القاهرة ١٩٥٧م.

١٦١- الواقدى (محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م): فتوح مصر والإسكندرية ، ط ليدن ١٧٢٥م.

١٦٢- ود ضيف الله ، محمد النور: كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، نشره : إبراهيم صديق ، القاهرة ١٣٤٨/ ١٩٣٠م.

١٦٣- ود ضيف الله، محمد النور: كتاب طبقات وود ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان نشر سليمان داود، منديل ، القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

١٦٤- ود ضيف الله (محمد النور بن ضيف الله بن على بن إبراهيم بن الحاج نصر من الجعليين العباسية ت ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م): كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان تحقيق الدكتور يوسف فضل حسن، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٨٥م.

١٦٥- ابن الوردى (زين الدين عمر ت سنة ٧٥٠هـ): تتمة المختصر فى أخبار البشر ، إشراف وتحقيق احمد رفعت البدراوى، المجلد الأول ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠م.

١٦٦- ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان ، أربعة أجزاء، ط بيروت ١٨٧٠م.

١٦٧- ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان جـ ١ ، جـ٢ ، ط بيروت ١٩٥٥م.

١٦٨- اليعقوبى (احمد بن ابى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): تاريخ ليعقوبى ، ٢ جـ، ط ليدن ١٨٨٣م.

١٦٩- البلدان ليدن ١٨٩١م.

رابعا : المراجع العربية الحديثة :

١٧٠- آدم الزين: التراث الشعبى لقبيلة المسبعات (شرق مدعية الفاشر) شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم ١٩٧٠م.

١٧١- إبراهيم على طرخان (دكتور): إمبراطور البرنو الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م.

١٧٢- إبراهيم على طرخان (دكتور): مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢/ ١٥١٧، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٦٠م.

١٧٣- إبراهيم محمد عبد الفتاح: الثقافات الأفريقية ، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٧٤- إبراهيم المويلحى: الأرض والفلاح فى العصر العثمانى ، بدون.

١٧٥- احمد أمين : فجر الإسلام، جـ١ ، القاهرة ١٩٦٥م.

١٧٦- احمد الحفناوى (دكتور): سودان وادى النيل فى ظل الإسلام، ط دار المعارف، ١٩٨٢م.

١٧٧- احمد رمضان احمد (دكتور) : الايجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤هـ/ ١٠م الى ١٠هـ/١٦م ، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٦م.

١٧٨- احمد شلبى(دكتور):تاريخ التربية الإسلامية، ط الثانية ، القاهرة ١٩٦٠م.

١٧٩- احمد عبد الرحيم الشامى (دكتور): تاريخ العرب والإسلام، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٢م.

١٨٠- احمد عبد الرحيم نصر(دكتور): الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوى بالمدينة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ١٩٨٦م.

١٨١- احمد عبد الرحيم نصر (دكتور): تاريخ العبدلاب (من خلال رواياتهم السماعية)، شعبية أبحاث السودان، الخرطوم ، ١٩٦٩م.

١٨٢- احمد عمر الزيلعى (دكتور): مكة وعلاقاتها الخارجية ، جامعة الرياضى، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م.

١٨٣- احمد فخرى (دكتور): دراسات فى تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٢م.

١٨٤- أحمد فخرى (دكتور): مصر الفرعونية ، القاهرة، الانجلو المصرية، ط الثانية ١٩٦٠م.

١٨٥- احمد محمد على الحاكم (دكتور): الزخارف المعمارية وتطورها فى منطقة وادى حلفا، جانب حديث من الفن النوبى، الناشر شعبة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ١٩٦٥م.

١٨٦- احمد مختار العبادى (دكتور): قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية ١٩٦٩م.

١٨٧- إسحق عبيد (دكتور): محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، ط دار المعارف ١٩٧٨م.

١٨٨- أسماء فهمى (دكتورة): مبادئ التربية الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٨م.

١٨٩- الأزهر تاريخه وتطوره ، القاهرة ١٩٨٣م.

١٩٠- الأمين محمد زين الناسخ: العرف المنشوق من تاريخ وأنساب سكان بلدة معتوق بالجزيرة، دار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٩١- الأب أنستاس مارى الكرملى: النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩م.

١٩٢- بشير كوكو حميدة (دكتور): لمحات من تاريخ المجاذيب (١٦٠٠-١٨٩٨) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ١٩٧١م.

١٩٣- التجانى عامر: السلالات العربية السودانية فى النيل الأبيض، الدار السودانية ، ط الثانية ١٩٧١م.

١٩٤- التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، بدون.

١٩٥- جروهمان: أوراق البردى العربية ، الأجزاء ١-٦، جـ١ (١٩٣٤)، جـ٢ (١٩٣٦)، جـ ٣ (١٩٣٨)،جـ٤ (١٩٦٢)، جـ ٥ (١٩٦٨)، جـ٦ (١٩٧٤)، طبعة دار الكتب المصرية.

١٩٦- جعفر محمد عبد الرحيم: تاريخ القرآن فى السودان، الخرطوم، يناير ١٩٧٣م.

١٩٧- جمال الدين الشيال (دكتور): أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، القاهرة ١٩٦٥م.

١٩٨- حسن إبراهيم حسن (دكتور):انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، ط الثالثة، ١٩٨٤م.

١٩٩- حسن إبراهيم حسن، وعلى إبراهيم حسن(دكتور):النظم الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م.

٢٠٠- حسن احمد محمود (دكتور): الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا الجزء الأول. مطبعة لجنة البيان العربى، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م.

٢٠١- حسن رجب (دكتور): البردى، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.

٢٠٢- حسن كمال (دكتور): الطب المصرى القديم، الأجزاء الثالث والرابع، المجلد الثانى، ١٩٦٤م.

٢٠٣- حسن محمد خليل الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب من رواياتهم السماعية، بدار الوثائق القومية بالخرطوم.

٢٠٤- حسن محمد الفاتح (دكتور): التصوف فى السودان إلى نهاية عهد الفونج، الخرطوم.

٢٠٥- حسين امين : المدرسة المستنصرية، بغداد ١٩٦٠م.

٢٠٦- حكيم أمين عبد السيد (دكتور): قيام دولة المماليك الثانية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م.

٢٠٧- دائرة المعارف الإسلامية: مادة دهلك.

٢٠٨- رجب محمد عبد الحليم (دكتور): العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٥م.

٢٠٩- الريح العيدروسى : تقويم السودان لسنة ١٩٤٩م.

٢١٠- زاهر رياض (دكتور): تاريخ أثيوبيا، ط ١٩٦٦م.

٢١١- زاهر رياض (دكتور): الإسلام فى أثيوبيا ، ط القاهرة ١٩٦٤م.

٢١٢- زهدى يكن: الزواج ومقارنته بقوانين العالم، بيروت ١٩٥٢م.

٢١٣- سركيس: معجم المطبوعات، جـ٦، القاهرة ١٩٢٨م .

٢١٤- سعاد ماهر (دكتورة): البحرية فى مصر الإسلامية، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م.

٢١٥- سعاد ماهر محمد (دكتورة): مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى، ط القاهرة ١٩٧٧م.

٢١٦- سعد الخادم (دكتور): الفن الشعبى والمعتقدات الشعبية، النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

٢١٧- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): العصر المماليكى فى مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥م.

٢١٨- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ١٩٥٩م.

٢١٩- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٢٠- سلاطين: السيف والنار فى السودان، نشر مكتبة الحرية بام درمان ١٩٣٠م. (الخرطوم).

٢٢١- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): دارسات فى المجتمع المصرى الإسلامى قبل العصر الفاطمى، المجلد الثانى، ١٩٨٠م.

٢٢٢- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): مصر فى فجر الإسلام، دار الفكر العربى ١٩٤٧م.

٢٢٣- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): مصر فى عصر الإخشيديين، القاهرة ١٩٥٠م.

٢٢٤- الشاطر بصيلى عبد الجليل (دكتور): معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٥م.

٢٢٥- الشاطر بصيلى عبد الجليل (دكتور): تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادى، القاهرة ١٩٧٢م.

٢٢٦- شوقى عطا الله الجمل (دكتور): تاريخ سودان وادى النيل، الجزء الأول، طبعة الانجلو المصرية ١٩٦٩م.

٢٢٧- صلاح احمد هريدى (دكتور): دور الصعيد فى مصر العثمانية، دار المعارف، ١٩٨٤م.

٢٢٨- صلاح الدين الشامى (دكتور): دراسات فى النيل، ط القاهرة ١٩٦٧م.

٢٢٩- الطاهر محمد على البشير (دكتور): الأدب الصوفى فى السودان، الدار السودانية، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

٢٣٠- عبد الحميد يونس (دكتور): الهلالية، القاهرة ١٩٥٦م.

٢٣١– عبد الرحمن زكى (دكتور) : الحلى فى التاريخ والفن والإرشاد، القاهرة ١٩٦٥م.

٢٣٢– حفائر مصلحة الآثار بأسوان، الموسم الأول، ديسمبر ١٩٦٠م الى فبراير ١٩٦١م: (يوميات الحفائر للأستاذ / عبد الرحمن عبد التواب) .

٢٣٣– عبد السلام الترمانينى (دكتور) : الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، دارسة مقارنة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت (عالم المعرفة) ، ١٩٨٤م.

٢٣٤– عبد العزيز الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة ١٩٨٠م. ،جـ١

٢٣٥– عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) : التربية فى السودان ، الجزء الاول والثانى والثالث، المطبعة الأميرية ١٩٤٩م.

٢٣٦– عبد القادر محمود (دكتور) : الفكر الصوفى فى السودان مصادره وتياراته وألوانه، ط الأولى ، دار الفكر العربى ١٩٦٨م – ١٩٦٩م.

٢٣٧– عبد القادر محمود (دكتور) : الطوائف الصوفية فى السودان، أنسابهم وأصول تراثهم وفلسفتهم ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، مطبعة مصر (سودان ليمتد) .

٢٣٨– عبد الله حسين (دكتور) : السودان القديم والجديد، القاهرة ١٩٥٣م.

٢٣٩– عبد الله حسين (دكتور) : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية /الجزء الأول، القاهرة ١٩٣٥م.

٢٤٠– عبد الله خورشيد (دكتور) : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧م.

٢٤١– عبد الله عبد الرحمن الأمين الضرير: العربية فى السودان، جـ١ ، جـ٢ ، ط بيروت، ط الثانية، ١٩٦٧م.

٢٤٢– عبد الله على إبراهيم، واحمد عبد الرحيم نصر (دكتور) : من أدب الرياطاب الشعبى، سلسلة دراسات فى التراث السودانى، الخرطوم، شعبة أبحاث السودان،

معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم ١٩٦٨م.

٢٤٣- عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، بغداد، بدون.

٢٤٤- عبد المجيد عابدين (دكتور): بين الحبشة والعرب ، دار الفكر العربى ، القاهرة.

٢٤٥- عبد المجيد عابدين (دكتور): تاريخ الثقافة العربية فى السودان، دار الثقافة للطباعة، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

٢٤٦- عبد المجيد عابدين (دكتور): دراسات سودانية ، ط الثانية ، الخرطوم، ١٩٧٢م.

٢٤٧- عبد المجيد عابدين (دكتور): دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، ملحق بكتاب البيان والأعراب للمقريزى، تحقيق المؤلف، القاهرة ١٩٦١م.

٢٤٨- عبد المجيد عابدين (دكتور): قبائل من السودان الأوسط الغربى، الدار السودانية ١٩٧٢م.

٢٤٩- الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجيلى: عبد القادر الجيلى، جـ١ ، ط الخرطوم، بدون.

٢٥٠- عبد المنعم خفاجى (دكتور): الأزهر فى ألف عام، المطبعة المنيرية بالأزهر، ط الأولى ١٣٧٤هـ.

٢٥١- عبد المنعم ماجد (دكتور): تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣م.

٢٥٢- عبد المنعم ماجد (دكتور): التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، الأنجلو المصرية ١٩٨٨م.

٢٥٣- عبد المنعم ماجد (دكتور): ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، الأنجلو المصرية ١٩٦٨م.

٢٥٤- عبد المنعم ماجد (دكتور): الدولة العربية ،جـ١ ، ط الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١م.

٢٥٥- عبد المنعم ماجد (دكتور): نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، فى جزءين ،ط٢ ، ١٩٧٩م- ١٩٨٢م.

٢٥٦- الشيخ عثمان حمد الله العبدلاب: سهم الأرحام فى السودان، ط بيروت، بدون.

٢٥٧- عثمان سيد أحمد (دكتور): الختمية والأنصار السودانية ١٩٧٠م.

٢٥٨- عثمان الكعاك (دكتور): مراكز الثقافة فى المغرب ، القاهرة ١٩٥٨م.

٢٥٩- عز الدين الأمين (بروفيسور): قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٦٠- عطية القوصى(دكتور) :تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط القاهرة ١٩٨١م.

٢٦١- على باشا مبارك: الخطط الجديدة لمصر، القاهرة- بولاق- جـ ١٣ ، ١٤ ، ١٣٠٥هـ.

٢٦٢- على حسنى الخربوطلى (دكتور): الحضارة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

٢٦٣- على بن حسين السليمان (دكتور): العلاقات الحجازية المصرية ، ط القاهرة ١٩٧٣م.

٢٦٤- على زين العابدين (دكتور): تاريخ فن صياغة الحلى النوبية والسودانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

٢٦٥- على زين العابدين (دكتور): المصاغ الشعبى فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢٦٦- على عبد الواحد وافى (دكتور): حقوق الإنسان فى الإسلام، ط الخامسة، دار النهضة مصر ١٩٧٩م.

٢٦٧- عمر حاج الزاكى (دكتور): الإله آمون فى مملكة مروى ٧٥٠ ق.م - ٣٥٠م ، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم ١٩٨٣م.

٢٦٨- عون الشريف قاسم (دكتور): حلفاية الملوك التاريخ والبشر، دار جامعة أم درمان الإسلامية، ط الأولى ١٩٨٨م.

٢٦٩- عون الشريف قاسم (دكتور): قاموس اللهجة العامية فى السودان، الخرطوم ١٩٧٢م.

٢٧٠- ج. فانتينى (دكتور): تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، الخرطوم ١٩٧٨م.

٢٧١- الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم، دار الطابع العربى ١٩٧٦م.

٢٧٢- فريد شافعى (دكتور): العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٧٣- قاسم عبده قاسم (دكتور): اهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

٢٧٤- قاسم عبده قاسم (دكتور): أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨م.

٢٧٥- قاسم عبده قاسم (دكتور): دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط دار المعارف ١٩٧٩م.

٢٧٦- قاسم عبده قاسم (دكتور): النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ط دراسات المعارف ١٩٧٨م.

٢٧٧- ليلى عبد اللطيف احمد (دكتورة): الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

٢٧٨- ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، تعريب منصور على حسيب، ط عباس عبد الرحمن بمصر، بدون.

٢٧٩- محجوب زيادة: الإسلام فى السودان ، ط الخرطوم ، (٢٠٨ من سلسلة اقرأ) القاهرة ١٩٦٠م.

٢٨٠- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): تاريخ الخرطوم، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩م.

٢٨١- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الحركة الفكرية فى المهدية، الخرطوم ١٩٧٠م.

٢٨٢- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): دور العلماء فى نشر الإسلام فى السودان، الخرطوم ١٩٨٢م.

٢٨٣- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الساقية ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٢٨٤- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الفور والأرض وثائق تمليك، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، كراسة رقم (١٠)، ١٩٧٥م، جامعة الخرطوم.

٢٨٥- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الفونج والأرض - وثائق تمليك، نشر شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، أغسطس ١٩٦٧م، مطبعة التمدن بالخرطوم.

٢٨٦- محمد أدروب أوهاج: من تاريخ البجا، جـ١ ، مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٨٦م.

٢٨٧- محمد جمال الدين سرور (دكتور): الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره، القاهرة ١٩٣٨م.

٢٨٨- محمد جمال الدين سرور (دكتور): دولة بنى قلاوون فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧م.

٢٨٩- محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

٢٩٠- محمد السيد غلاب (دكتور): تطور الجنس البشرى، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السادسة ١٩٨١م.

٢٩١- محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، بيروت ١٩٦٥م.

٢٩٢- محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٩٣– محمد صالح ضرار : تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان واريتريا، الدار السودانية ، ط الأولى ١٩٨٤م.

٢٩٤– محمد صالح محى الدين (دكتور): مشيخة العبدلاب وأثرها فى حياة السودان السياسية، الدار السودانية، الطبعة الأول ، ١٩٧٢م.

٢٩٥– محمد الطاهر المجذوب : الوسيلة الى المطلوب، القاهرة ١٣٣٢م.

٢٩٦– محمد عبد الرحيم : العروبة فى السودان، الخرطوم، (بدون ت).

٢٩٧– محمد عبد الرحيم غنيمة (دكتور): تاريخ الجامعات الإسلامية ، مراكش ١٩٥٣م.

٢٩٨– محمد عبد العال احمد (دكتور): بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما، الإسكندرية ، ١٩٨٠م.

٢٩٩– محمد عبد الغنى سعودى (دكتور): أفريقية (دراسة لشخصية الأقاليم) مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٦م.

٣٠٠– محمد عبد المجيد السراج: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى، مطبعة النهضة السودانية ، ١٩٥٥م.

٣٠١– محمد عواد حسين (دكتور): تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ اقدم العصور ، القاهرة ١٩٦٣م.

٣٠٢– محمد عوض (دكتور): السودان ووادى النيل ، القاهرة ١٩٥١م.

٣٠٣– محمد عوض محمد (دكتور): السودان الشمالى (سكانه وقبائله) ، لجنة التأليف والترجمة.

٣٠٤– محمد غيطاس (دكتور): أضواء جديدة على تاريخ النوبة، الإسكندرية ١٩٨٧م.

٣٠٥– محمد الفاتح الصلوى: نسب القبائل العربية فى السودان، مطبعة منديل بالخرطوم .

٣٠٦– محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، الناشر دار الفكر العربى، بدون.

٣٠٧- محمد كمال السيد محمد (دكتور): الأزهر جامعا وجامعة ، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦م.

٣٠٨- محمد المجذوب محمد جلال الدين: كتاب الواردات الوهبية فى أوراد الطريقة المجذوبية ، ط مصر، مطبعة الشبكشى بالأزهر، بدون.

٣٠٩- محمد محمد أمين (دكتور): تطور العلاقات العربية الأفريقية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧م.

٣١٠- محمد محمد على (دكتور):الشعر السودانى فى المعارك السياسية، المكتبة الأزهرية، ١٩٦٩م.

٣١١- محمد محمود زيتون (دكتور): إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، القاهرة ١٩٦٢م.

٣١٢- محمد المكى إبراهيم (دكتور): الفكر السودانى: أصوله وتطوره، الطبعة الثانية ١٩٨٩م بالخرطوم.

٣١٣- محمد مهدى كركورى: رحلة مصر والسودان ، سنة ١٩٠٩م.

٣١٤- محمود محمد الحويرى (دكتور): أسوان فى العصور الوسطى، ط الأولى ، دار المعارف ١٩٨٠م.

٣١٥- محمود نديم (ع.ا.ح) : الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، ط دار الكتب المصرية ١٩٨٣م.

٣١٦- مراد كامل (دكتور): القبط فى ركب الحضارة، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية، بدون.

٣١٧- مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها ، القاهرة ١٩٥٦م.

٣١٨- مصطفى مسعد (دكتور): الإسلام والنوبة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠م.

٣١٩- مصطفى مسعد (دكتور): المكتبة السودانية العربية (مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان فى العصور الوسطى)، تحقيق دكتور مصطفى مسعد، ط الأولى ، ١٩٧٢م.

٣٢٠- مكى شبيكة (دكتور): السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٤م.

٣٢١- مكى شبيكة (دكتور): مملكة الفونج الإسلامية، معهد الدراسات العربية ١٩٦٣م، ١٩٦٤م.

٣٢٢- المهدى مندور (دكتور): السودان من اقدم العصور الى قيام الأحزاب، الخرطوم.

٣٢٣- نسيم مقار (دكتور): السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الرحالة بالم، القاهرة ١٩٦١م. الرحالة جون بتريك، ط لجنة البيان ١٩٦١م.

٣٢٤- نعوم شقير (دكتور): تاريخ السودان، تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم ابو سليم، ط بيروت ١٩٨١م.

٣٢٥- نعوم شقير (دكتور): جغرافية وتاريخ السودان ، ط بيروت ١٩٦٧م.

٣٢٦- نعيم زكى فهمى (دكتور) : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

٣٢٧- هولت: الأولياء والصالحون والمهدية فى السودان، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧١م.

٣٢٨- هولت: تاريخ السودان الحديث، ط الخرطوم ، بدون .

٣٢٩- وزارة الشئون الاجتماعية: النوبة حاضرها ومستقبلها، القاهرة ١٩٦٤م.

٣٣٠- وهيب كامل (دكتور): استرابون فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧م.

٣٣١- يحيى محمد إبراهيم: تاريخ التعليم الدينى فى السودان، بيروت، ط الأولى ١٩٨٧م.

٣٣٢- يحيى هويدى (دكتور):تاريخ فلسفة الإسلام فى القاهرة الأفريقية ، جـ١ ، ط ١ ، النهضة المصرية عام ١٩٦٦م.

٣٣٣- يوسف فضل حسن (دكتور): انتشار الإسلام فى أفريقيا، ط الخرطوم، ١٩٧٩م.

٣٣٤- يوسف فضل حسن (دكتور) : دراسات فى تاريخ السودان، الجزء الأول، ط جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

٣٣٥- يوسف فضل حسن (دكتور) : الشلوخ اصلها ووظيفتها في سودان وادى النيل الأوسط، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٧٦م.

٣٣٦- يوسف فضل حسن (دكتور) : معالم تاريخ الإسلام فى السودان، (الإسلام فى السودان)، الخرطوم، ١٩٨٢م.

٣٣٧- يوسف فضل حسن (دكتور) : مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى ١٤٥٠-١٨٢١م ، ط الثالثة ، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩م.

خامساً : المراجع الإفرنجية المترجمة الى العربى :

٣٣٨- احمد شفيق (دكتور) : الرق فى الإسلام ، ترجمة عن الفرنسية احمد زكى، الطبعة الأولى ، المطبعة الأهلية الأميرية ببولاق ، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م.

٣٣٩- ف. أديسون: الدليل الموجز إلى مخلفات السودان الإنجليزى المصرى التاريخية.

٣٤٠- أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، تعريب : حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٤١- آلان مورهيد : النيل الأزرق، تعريب إبراهيم عباس ، ط. بيروت ١٩٦٩م.

٣٤٢- بوركهارت _جون لويس) : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة الأستاذ/ فؤاد أندراوس، القاهرة ١٩٥٩م.

٣٤٣- ريتشارد هيل : على تخوم العالم الإسلامى، حقبة من تاريخ السودان، (١٨٢٢-١٨٤١م)، د.١ ، ترجمة من الإيطالية إلى الإنجليزية ريتشارد هيل ، والى العربية عبد العظيم محمد احمد عكاشة، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، ط. الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٤٤- سليجمان : السلالات فى أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، مكتبة العالم العربى ١٩٥٩م.

٣٤٥- ب.ل.شيني : بلاد النوبة فى العصور الوسطى، رسالة ترجمها: نجم الدين محمد شريف، مصلحة الآثار السودانية.

٣٤٦- فيرفسون ، هـ. : مشروع الجزيرة، ترجمة : محمد حسن محمد، ويعقوب الصائغ، مصر مطبعة دار الهنا.

٣٤٧- لوثروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامى، ترجمة عجاج نويهض، جـ٢ ، ط٣ بيروت ، ١٩٧١م.

٣٤٨- محمد عوض محمد (دكتور): الشعوب والسلالات الأفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.

٣٤٩- و. نكولز : الشايقية، نقلة إلى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد المجيد عابدين، بحث ضمن كتاب قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى، الدار السودانية ، ط .الأولى ، ١٩٧٢م.

٣٥٠- نيكلسون (رينولد) : فى التصرف الإسلامى وتاريخه ، تعريب د. أبو العلا عفيفى، القاهرة ١٩٤٧م - ١٩٥٦م.

سادساً - الدوريات والبحوث :

٣٥١- إبراهيم على طرخان (دكتور): الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩م.

٣٥٢- احمد السيد دراج (دكتور): عيذاب ، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة، القاهرة ١٩٥٨م، العدد التاسع والعاشر (يوليو - أغسطس).

٣٥٣- احمد عبد الحميد الشامى (دكتور): أوراق البردى العربى ، مجلة المؤرخ العربى، العدد التاسع، بغداد .

٣٥٤- احمد عبد الرحيم نصر (دكتور): رصد ودراسة لبعض الجوانب السيرة الهلالية فى السودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول والثانى مزدوج، المجلد الثانى ، أكتوبر ١٩٨٨م.

٣٥٥- احمد على الحاكم (دكتور): المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث العلمية فى منطقة البحر الأحمر السودانية ١٩٧٩-١٩٨١م ، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، ١٩٨٣م.

٣٥٦- احمد فخرى (دكتور): الواحات البحرية فى التاريخ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، ١٩٥١م.

٣٥٧- الأمين عبد الكريم (دكتور): الصراع بين القوى الإسلامية المسيحية فى أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الأول، أبريل ١٩٨٥م، المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم.

٣٥٨- بشير إبراهيم بشير (دكتور): الأصل الأموى فى بلاد السودان، مجلة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم، العدد الأول ، المجلد الرابع، يونيو ١٩٧٣م.

٣٥٩- بشير إبراهيم بشير (دكتور): عيذاب حياتها الدينية والأدبية، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الخامس، يوليو ١٩٧٩م.

٣٦٠- بشير إبراهيم بشير (دكتور):الفاطميون والبحر الأحمر، مجلة كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، العدد الأول ١٩٧٢م.

٣٦١- تمام همام تمام (دكتور): الهجمات الاستعمارية والمقاومة الإسلامية، سلسلة مقالات منشورة فى مجلة الهداية بدولة البحرين فى عامى ١٩٧٦م ، ١٩٧٧م .

٣٦٢- توفيق اسكندر (دكتور): نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية ، العدد السادس سنة ١٩٥٧م.

٣٦٣- حسنين محمد ربيع (دكتور): البحر الأحمر فى العصر الايوبى (البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث)، جامعة عين شمس، أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ١٠-١٥ مارس ١٩٧٩م، القاهرة ١٩٨٠م.

٣٦٤- زاهر رياض (دكتور): اتجاهات مصر الأفريقية فى العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد العشرين- الجزء الأول ، مايو ١٩٥٨م.

٣٦٥- سعاد ماهر (دكتورة): محافظات الجمهورية ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول ١٩٥٩م.

٣٦٦- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد ١٤، ص ١-٤٣ سنة ١٩٦٨م.

٣٦٧- الشاطر بصيلى : الكارمية ، بحث بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ١٣، لسنة ١٩٦٧م.

٣٦٨- صبحى لبيب (دكتور): سياسة مصر التجارية فى عصرى الأيوبيين والمماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدان الثامن والعشرون، والتاسع والعشرون ١٩٨١-١٩٨٢م.

٣٦٩- صبحى لبيب (دكتور): التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية التاريخية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨م.

٣٧٠- صلاح الدين المنجد (دكتور): إجازات السماع فى المخطوطات القديمة، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول، نوفمبر ١٩٥٥م.

٣٧١- صلاح محى الدين (دكتور): مخطوطة تاريخية عن العبدلاب، مجلة الخرطوم ، ديسمبر ١٩٦٧م.

٣٧٢- عباس محمود العقاد : الطرق الصوفية ، مجلة الكتاب ، عدد يوليو ١٩٥٣م.

٣٧٣- الشيخ عبد الرحمن احمد (ابن السودان): فى العادات ، الشلوخ، مجلة النهضة السودانية، العدد ١٦، جـ ١٩٣، سنة ١٩٣٦م.

٣٧٤- عبد السلام الترمانينى (دكتور): الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، مجلة عالم المعرفة، العدد ٨٠، ١٩٨٤م.

٣٧٥- عبد المجيد عابدين (دكتور): من مصادر الثقافة العربية فى السودان، بحث مقدم للمؤتمر العالمى الثانى للغات والآداب بجامعة الخرطوم، ديسمبر ١٩٦٨م.

٣٧٦- عبد المجيد عابدين (دكتور): ميلاد سوبا، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ١٩٦٧م.

٣٧٧- عطية القوصى (دكتور): أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الثانى والعشرون لسنة ١٩٧٥م.

٣٧٨- عمر حاج الزاكى (دكتور): حقيقة القتل الطقسى فى مملكة مروى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أم درمان، العدد الثانى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٣٧٩- عوض عبد الهادى (دكتور): الشايقية : تاريخهم وثقافتهم حتى الفتح التركى، مجلة الدراسات السودانية ، جامعة الخرطوم، العدد الثانى ، المجلد الثانى ، أبريل ١٩٧٧م.

٣٨٠- فوزى مكاوى (دكتور): أضواء جديدة على العلاقات بين مملكة اكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين، دراسات الخليج والجزيرة.

٣٨١- فوزى مكاوى (دكتور): الملاحة فى الحوض الجنوبى للبحر الأحمر وأثرها فى التاريخ السياسى للمنطقة خلال العصور القديمة، ندوة القرن الأفريقى ١٩٨٥م.

٣٨٢- كروباتشيك: النوبة من نهاية القرن الثانى عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، موسوعة اليونسكو (تاريخ أفريقيا العام)، المجلد الرابع ، ١٩٨٨م.

٣٨٣- كمال دسوقى (دكتور): مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق ، تحليل سيكو انثروبولوجى لظاهر البداوة، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الأول ، ١٩٦٨م.

٣٨٤- محمد جمال الدين مختار (دكتور): آثار النوبة ومحاولة إنقاذها، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس- المجلد السابع ١٩٦٢م.

٣٨٥- محمد رياض (دكتور): العبابدة، بحث منشور بالجمعية الجغرافية ، ٢٦ / ٤ / ١٩٦١م.

٣٨٦- محمد صالح محى الدين (دكتور): علاقات السودان الثقافية بالمغرب العربى فى العهد الفونجى، المجلة الإسلامية ، الرباط، المملكة المغربية ، العدد الثانى ١٩٧٥م.

٣٨٧- محمد عبد الخالق البتيتى : إمارة الصعيد إمرة هوارة ونسبها : مقال بجريدة البلاغ ١٩ / ٢ /١٩٣٤م.

٣٨٨- محمد عبد العال (دكتور): النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها فيما بين عامى (٢٠-٣١هـ / ٦٤١- ٦٥٢م) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٣٣، ١٩٨٤م، ١٩٨٥م.

٣٨٩- محمد عبد العال احمد (دكتور): موقف مصر من النوبة فى العصر المملوكى الأول، بحث منشور بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٧م.

٣٩٠- محمد عمر بشير (دكتور): تدفق الهجرات العربية للسودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول ، المجلد السابع.

٣٩١- محمد محجوب مالك: مخطوطة الطبقات ود ضيف الله، نشر بمجلة بوليس السودان، العدد الثالث ، يوليو ١٩٦٦م.

٣٩٢- محمد محمد أمين (دكتور): العبدلاب وسقوط مملكة علوة ، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثانى ، ١٩٨٣م.

٣٩٣- مصطفى مسعد (دكتور): الإسلام وحركات الفلان الإصلاحية فى غرب أفريقية، مجلة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣٩٤- مصطفى مسعد (دكتور): امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط، مملكة علوة ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد الثامن ١٩٥٩م.

٣٩٥- مصطفى مسعد (دكتور): البجة والعرب فى العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة العدد (٢١)، المجلد الثانى ، ديسمبر ١٩٥٩م.

٣٩٦- مصطفى مسعد (دكتور): بعض معالم الدعوة الإسلامية فى السودان، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٣٩٧- مصطفى مسعد (دكتور): بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ مملكة الفونج

الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة، الخرطوم، العدد الثالث ١٩٧٢م.

٣٩٨- مصطفى مسعد (دكتور): سلطنة فور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الحادى عشر ١٩٦٣م.

٣٩٩- مصطفى مسعد (دكتور): معاهدة البقط نمط فريد فى مجال العلاقات الدولية فى الإسلام، بحث فى مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الأمام محمد بن سعود العدد الخامس ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤٠٠- مفيد محمد فوزى : نماذج الأشكال لتجميل لدى الشعوب البدائية، مجلة الجامعة الموصل العدد الثانى عشر، السنة الثانية، ١٥ آذار ١٩٧٢م.

٤٠١- نسيم مقار (دكتور): أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ,٢٦

٤٠٢- يوسف فضل حسن (دكتور): بواكير الدعوة الإسلامية والثقافة العربية، مقدمة كتاب الطبقات، ط الثالثة ، الخرطوم ، ١٩٨٥م.

٤٠٣- يوسف فضل حسن (دكتور): القتل الطقسى عند الفونج، مجلة الدراسات السودانى، المجلد الثانى، العدد الأول، ١٩٧٠م.

٤٠٤- يوسف فضل حسن (دكتور): المماليك والسودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول، المجلد الرابع ، يونيو ١٩٧٣م.

٤٠٥- يوسف فضل حسن (دكتور): الهجرات البشرية وأثرها فى نشر الإسلام فى السودان، من كتاب الإسلام فى السودان ، ط الخرطوم ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢م.

سابعاً : الرسائل الجامعية:

٤٠٦- احمد عثمان محمد إبراهيم : الجزيرة فى خلال المهدية، رسالة ماجستير غير منشور، بجامعة الخرطوم، ١٩٧٠م.

٤٠٧- حسن محمد الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان إلى نهاية عصر الفونج، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٦٥م ، كلية الآداب ، شعبة اللغة العربية .

٤٠٨- زينب احمد على هاشم : علاقة مصر بالدول الإسلامية فى حوض نهر النيجر فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٢م.

٤٠٩- سليمان عطية سليمان: سياسة المماليك فى البحر الأحمر، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ، ١٩٥٩م.

٤١٠- شوقى عبد القوى عثمان: العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية فى العصور الوسطى، رسالة ماجستير منشورة، بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

٤١١- عبد الفتاح حسنين مقلد:سلطنة البونو حتى ١٨٠٨م- رسالة ماجستير غير منشورة، بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية،جامعة القاهرة ١٩٧٨م.

٤١٢- فوزى مكاوى : مملكة أكسوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٤م، جامعة القاهرة .

٤١٣- كرم كمال الدين الصاوى باز: التطور الاجتماعى فى مصر الإسلامية وانعكاسه على سودان وادى النيل فى عصر الولاة ، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤١٤- محمد احمد على الحاج: انتشار الإسلام فى وادى النيل الأزرق بالسودان حتى نهاية مملكة الفونج ٩١٠-١٢٣٦هـ/ ١٥٠٤-١٨٢٠م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٨٢م.

٤١٥- محمد بهجت عصفور : الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية العصر الإسلامى فى مصر حتى نهاية عصر المماليك، دكتوراه جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم، كلية الآداب ، ١٩٨٠م ، إشراف على حسنى الخربوطلى.

٤١٦- المعتصم أحمد الحاج : الخلاوى فى السودان، نظمها وروسومها، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، اشراف بشير ابراهيم بشير ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤١٧- نادية بدوى: «الزينة الشخصية عند العبابدة»، دسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٥م.

٤١٨- نسيم مقار (دكتور): اقتصاد السودان فى العهد الفونجى، رسالة دكتوراه، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٥م.

ثامنا: المراجع الأفرنجية:

- تقارير عن الحفائر فى النوبة المصرية:

419- Actes du 11 Symposium international sur la Nubie (Fevrier 1-3, 1971). Organisé par L'Institut d' Egypte. Edité par Labib, Le Caire 1981.

420- Adams, W.Y.: Pottery Kiln Excavations, Kush X, 1962.

421- Adams, W.Y. : Sudan Antiquites service excavations in Nubia, Fourth Season 1962-63, Kush XII, 1964.

422- Adams, W.Y. :The Evolution of Christian Nubian pottery, Nubische Kunst, 1970.

423- A.E.R. "The Fung Drum or Nehas" S.N.R. IV, 1921.

424- Al Shahi, (A.S): The Shaigige of the northern Sudan, I965.

425- F. Alvarez: Narrative of the partuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, Transl by Stanley, London 1881. .

426- Ammar, (A): The People of Sharqiya, Cairo , 1944, Vol. (1).

427- Arkell, A.J.: Fung Origins, S.N.R. ZV, 1932.

428- Arkell, A.J. : A history of the Sudan from the Earliest Times to 1821, London,1955.

429- Armbruster (G.H.): Dongolese Nubian: A Lexicon, Cambridge, 1965.

430- Ashtor. F.: The Karimi Merchants, J.R.A.S., April, 1956.

431- Baker (s); the Nile tributaries of Abyssania and the Sword Hunters of the Hamran, London.

432- Bent (T): A visit to the Northern Sudan, the Geographical Journal, VII, January to June 1896.

433- Bloss, J.F. E. : The story of Suakin, S.N. R. XIX, 11, 1936.

434- Breasted: Ancient records of Egypt. 5 Vols, Chicago, 1906.

435- Browne:The history and Description of Africa by Leo Africanus, done into English by John Pary 1600, Vol. III.

436- Bruce: Travels to Discover the Saurces of the Nile, Vol. 4, Edinburgh 1804 - 5, 7 Volumes 2nd edition, 1964.

437- Budge, W.: Text relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicara in a Nubian dielect with Facsimile, London, 1909.

438- Budge. B.A.W.: The Egyptian Sudan, its History and Monuments, London, 1907.

439- Budge. E.A.W.: A history of Ethiopia, Nubia and Abyssinia , Vol. I, London, 1928.

440- Burckhart, J.L.: Travels in Nubia, London, 1819.

441- Browen (W. G.) : Travels in Africa, Egypt and Syria, 1792-98, London, 1799.

442- Cadalvene (E. De) et Breuverys L'Egypte et La Turquie, Paris, 1839, Vol. I.

443- Cailliaud: Voyagé a Mero et au fleuve blane dans les annes 1819, 1820, 1822, Paris, 1820, Vol. II.

444- Catalogue génaral du Museé Arabe du Caire Stéles Funéraires, Vol. I, Par Hassan Hawary et Hussein Bached.

445- Chataway (J.D.P): Fung Origins, S.N.K. Vol. 17, 1934.

446- Chatway, J. D. P.: Notes on the hist - of Fung", S.U.R., XIII, Part II, 1939.

447- C.H.H.S. Centre de Reserches Archeologiques Laboratiore de Ceramohogier, 1980.

448- Conti. Roossini: "Sugli Habasat", Hendiconti della Accademia dei limcei, 1906.

449- Coulbeau. J.B.: Histoire Politique et Religieuese d*Abyssinie.

450- Crawford, O.G. S. : The Fuag Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951.

451- Crowfoot, J.W. : Christian Nubia, J.B.A- EII, 1927.

452- Cuoq, , J. : Islamisation de la Nubie Chretierme, Publiee saus de direction de Dominique Saurdel et Junine Saurdel thomine, 1939.

453- De Villard, M.: La Musulmaaa di Aswan, Cairo, 1930.

454- De Villard (M).J Teste Meritici della Nubia Setten trioaable , Kush VIII, I960.

455- De Villard (M): Storia Della Nubia, Christians, Roma, 1938.

456- Dozy: Supp. Diet. Arab.

457- Dubois-Ayme: Memoire Sur les tribus Arabes des Deserts de L'Egypte, T. 12, 1809.

458- Mostapha El-Emir: Fouilles de L'University d'Alexandrie a Gebel Adda,1959, Fouilles on Uubie 1.

459- Elliot Smith, G.: Ancient Egyptians, London 1911.

460- Emery and L.P. Kerwan: Excavations and Darvey between Wadies - S'anbua and Adindan 1929-31, Sevice des Antiquites de Egypte, mission Archeologique de Uubie 1929-34, Cairo, 1935, Vol. 1.

461- Encyclopedia Britanica, Art Mutilation.

462- Ency Britt Art Aswan.

463- Evans Pritchard: Ethnological observation in Dar Fung S.33". R. XV, 1932.

464- R. S. O'Fahey: "Religion and trade in the Fur Sultante" Sudan in ed. Yusuf Fadl Hasan, K.U.P. 1971. State and State Formation' in the Eastern Sudan, African Studies Seminar Series, Sudan Research Unit, University of Khartoum, 1970.

465- Foster. W.: The Red Sea and Adjacent Countries at the close of the seventeenth Century, London,1949.

466- Frazer: The Golden Bough, Vol. Ill, London , 1966.

467- Gamst; On Abyssinia A response to Bender, N 4, Vol. 79, December 1977.

468- Gerhard Haeny: Tafa, Kalabsha, Wadi EL Sebu, Rock inscriptions and Semna South, Actes du II Symposium.

469- Gloser (E): Die Abessinier in Arabien and Afrika, Munich, 1095.

470- Godallah, P.P. : The Egyptian Contribution to Nubian Christianity, S.K.R. XL, 1959.

471- Goitein: A tentarive bibiliography of Geniza Docuirn Paris 1964

472 -Goitein: Hew lights on the beginning of the Karim Merchants, tesho, V. I, 1958.

473- Goitein: From the Mediterranean to India, Document the trade to India, South Arabia, Speculum, H. 2X1 April 1S54, No. 2, Part 1.

474- Griffith, P.L.I : Oxford Excavations in Nubia, L.AAA nil, 1926, L AAA ELY, 1927, L AAA XV, 1928.

475- Hamilton. J. A. De. C.: The Anglo. Egyptian Sudan, Prom Within, London 1935.

476- Hasan (Y.F.): Umayyed Genealogy of the Fung, S.H.R. XIV, 1965.

477- Hasan (Y.F.): The Umayyad Geneology of the Fung, S.N.R. IVI, 1965.

478- Hasan (Y.F.): The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967.

479- Hasan (Y.F.): External Islamic influences and the progress of Islamization in the Eastern Sudan Between the fifteenth and the Nineteenth centuries, Sudan in Africa, 1968.

480- Hair (P.E.H.) the Atlantic Slave Trade and Black Africa London, 1978.

481- Henderson, K.D.D.: Fung Origins" S.N.R. XVII, Part 1, 1935-

482- Heyd: Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age 2 Vols, Leipzig 1923-

483- Hillelson (S) : David Reubini an Early Visitor of Sennar, S.l.R. Vol. XVI, Part 1, 1933.

484- Hinterland: Anglo Egyptian Sudan from Within ed. Hamilton, London, 1935.

485- Holt, P.M. : A Sudanese historical Legend: The Fung Conquest of Soba "Bulletin of the school of oriental and African studies, XXIII, I960.

486- A Modern history of the Sudan, from the Fung Sultanate to Present day, London, 1961.

487- Holt: P.M.: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanese Religious notablos, B.S.0.1. S, XXX, 1967.

488- Holt, P.M. : Sultan Selim 1 and the Sudan, J.A.H Till, 1967.

489- Holt, P.M.: The Pattern of Egyptian Political history from 1517 & 1798, in Political and social change in Modern Egypt, London 1968.

490- Holt, P.M. : Four Fung Land - Charters, S.U.R., 1969.

491- Huntingford (G.W.B.): Review of Crawford's book , Bulletin of School of Oriental and African Studies XV, 1953.

492- Jackson (H.C.): Tooth of Fire , London 1912.

493- Jakobielski, S. : Some remarks on Earas incripitons, Nubische Kunst, 1970.

494- Jakobielski, S.: Faras III, A history of the Bishopric of Pachoras on the Basis of Coptic inscriptions, Warszawa, 1972.

495- Jaussen. A.: Goutmaes des Arabs au Pays de Moa" Paris 1908.

496- Jean-Leon L.: Africin, Description de L*Afrique ed. Tr. A. Epaulard, Paris, 1956, Premcire Patie.

497- John of Ephesus: Ecclessiastical history, Part II, tr. by. E. Payne Smith, London, I860.

498- Kanal Y.: Monumenta Cartographica Africa et Aegyptie tome, IV, Pase 1,

499- Keith Seele: From Dehmit to Beit El-Wali, Pauilles en Nubie.

500- Kirwan, L.P.: Notes on the topography of the Christian Nubian Kingdoms, J.E.A XXI, 1934.

501- Kirwan, L.P.: A Contemparary Account of the Converision of the Su-

dan to Christianity, S.IT.R. XX, Part 11, 1937.

502- Kirwan, L.P.: The International Position of the Sudan - in the Roman and Medieval times, S.K.R. Vol. XI, 1959.

503- Klunzinger: - Upper Egypt: its people and its products, London 1878.

504- Kolodziezczyk (K) : Some Remarks on the Christian Ceramics from Faras In Nubia Christiana, Tom 1, 1982.

505- Subhi Labib: Egyptian Commerical Policyin the Middle Ages in "Studies in the Economic history of the Middle East" ed. M. A. Cook, London, 1970.

506- Subhi Labib: Les Marchands Karimis eu orient et sur I come Indienin: M. Mallat (Ed): Dociete's at companies de Commerce eu orient et dans 1'Ocean Indien, Paris, 1970.

507- Subhi Labib: Medieval Islamic Maritime Policy in the Indian Ocean Area in "Les Grandes Bscaies" Recueils de la Societe Jean Bodin, T. 32, Bruxelles, 1974.

508- Subhi Labib: Die Mittelaiterliche Islamische Politik Im Mittelmeerraum, in: "Stud n memoria d Federzo Melis" Vol. 1, Roma 1978.

509- La découverte dela, Circulation: Meyerhaf Pulmonaire Par Ibnan-Nafis, Médecin Arabe du Caire, Xlllene Sieele, 1931.

510- Lorimer: The Hagadhib of KL-Damer1 S.H.R., XIX, 1936.

511- Leonard Woolley and D.R. McLver, KARNOG, The Roman and Uubian Cemetry, Philadelphia, Vol. III.

512- Lepsius, R.: Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai, London, 1853.

513- Lewis. B. : The Patimids and the Route to India* Revue de La Fauclte des Sciences Econoraiquee de L'universite d'Istanbul, Kos. 1-4 (1949-1950).

514- Linant de Beliefondg: Journal d'un Voyage a Méroe dans Les annees 1821 et 1022, ed by M. Shinnie, Khartoum, 1958.

515- Lionel Bender: Comment on the use of the term "Abyssinia" American Antheropologist, Vol. 79, H.I, January 1977.

516- Longfield: The Growth of Sudan Communication Anglo Egyptian Sudan from Within, ed. Hamilton.

517- Ludolphus (J): A New history of Ethiopia , London 1682.

518- MacMichael: Nubian elements in Darfur, S.N.E. Vol. I, 1918.

519- MacMichaels the tribes of Northern Central Kardofan, Cambridge, 1921.

520- MacMichael, H.: A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols, London, 1922.

521- EL Mahadi Mandour: A short history of the Sudan, Oxford University Press, London, 1965-

522- Martin, H. : Studic Arabica of Islamica, American University of Beirut, 1981.

523- Martin Hinds and Hamdi Sakkout: Arabic Documents from the Ottoman period from Qasr Ibrim, London, 1986.

524- Matthwes (J.G.): Land Customs and tenures in Singa District, S.N.R. Vol. IV, 1921.

525- Meroe: A Civilization of the Sudan, London 1967.

526- Meroe: A Civilization of the Sudan, London, 1971.

527- Michalowski, K.: Polish Excavations at old Dongola, First Season, Nov., Dec, 1964, Kush, XIV, 1966.

528- Michalowski, K.: Kush XIV, XII, HII.

529- Mileham, G.S. : Church in Lower Nubia, Philadelphia, 1910.

530- Millet: "Jebel Adda, Preliminary Report, Journal of American Research Center in Egypt, VI, 1967.

531- Mcorsel, Paulvan, and Others: The Central Church of Abdallah Nirgi, Leiden 1975.

532- Murray. A: Account of the life and writings of James Bruce of Kinnaird. Edinburgh, 1908.

533- Murray, G.W. : Aidhab, Geographical Journal, XVIII, No. 3, September 1926.

534- Murry: Sons of Ismael, London 1935.

535- Mustafa M. Musad: The downfall of the Christian Nubian Kingdoms, S.N.R. XL, 1959.

536- Nachtigal (G): Sahara and Sudan, Leipzig, 1967, III.

537- Hadler (L.F.) : Fung Origins, S.H.E. Vol. XEV, 1930, Part I.

538- Al-Nagar (U) : The Pilgrimage tradition in West Africa, Khartoum, 1972.

539- Navile. E. : She Origin of Egyptian Civilization, Smithsonian Rep. 1907.

540- Newbold, D.: The Crusaders in the Red Sea and The Sudan, SI7R XXVI, Part II, 1945, Part 1, 1945-

541- Ogot (B.A.): History of the Southern Lou , Vol. I, Nairobi, 1967.

542- Oliver Roland and Mathew, G.: History of East Africa, Vol. I, Oxford, 1963.

543- Osman Jahia: Histoire et elassification de L'Oeuvre L'lbn Arabi-Etude eririque Institut Francais de Damas 1944" Ouvrage Publie par le Concours du Centre National de la Recherche Scientifique Tome 1, et 11.

544- Palmer (H.R.): History of the first twelve years of the reign of Mai Idris Alooma of Bornu 1571-(585) by his Imam Ahmed Ibn Fartua.

545- Paul, A.: Some Aspects of the Fung, Sultanate, S.H.E, ZZXV, 1954.

546- Paul, A.: A history of the Beja tribes of the Sudan, Cambridge, 1954.

547- Paul. A.: Aidhab,A Medieval Red Sea Part, S.H.R. XX3CVT, Part 1, June 1955-

548- Paul, A. : The Hadareb, A study in Arab-Beja relationships, S.H.R.H, 1959.

549- Paul, H.G. : History and Antiquities of Darfur,

550- Penn (A.B.D.): Traditional Storise of the Abdallab tribe, S.N.R Vol. I7II, 1934.

551-Perotafur: Travels and Adventures 1435-1439, London 1920.

552-Pluraley, J.M.: Some examples of Christian art from the excavations at Qasr Ibrim, ttubische, Kunst 1970.

553-C.J. Poncet : A voyage to Ethiopia made in the years 1698, 1699, 1700, incorporated in the Red Sea and Adjacent Countries at the close of the 17th Century .. ed ly Sir William Poster, London 1949.

554-Poncet, Jacques: The Eed Sea and Adigacent Countries at the close of the seventeenth century ed by Sir William Foster, London, Hakluyt Society 1949ï

555-D. Randall, M. McLver and Leonard Woolley: Areika Vol. I, Oxford 1909, No. 5014, Plate-18 and No. 5020 Plate 19.

556-Reid (J.A.): Some Notes on the tribes of the White and Blue Nile Provinces, S.N. R. XIII, Part II, 1930.

557-Robertson: Fung Origins, J.N.R. Vol. XVII.

558- Sadik Nur: Two Merotix Pottery Coffiu from Argianin Hallfa Distriet, Kush IV, 1936.

559- Sanders: The Bisharin, S.N.R. Vol. XVI, 1933-

560- Save-Soderberg, T.: Christian Nubia, the Excavations Carried out by the Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia,

561- Sayid Hamid Hurriez: Brith, Marriage, Death Initiation Customs and Beliefs in the Central Sudan, M.A. Thesis, Leeds University 1966.

562- Scanlon (G.T.): The Pustat Moun d S. Archaeology 24f Uo.3" June 1976. Donalos.' Whitcomb and Janet K. Johnson: Qoseir. Al-Qalini 1978-Preliminary Report. American Research Centre in Sgypt Cairo 1979.

563- Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, 1965.

564- Nigm Ed Din M. Sherif: The Arabic inscriptions from Meinarti, Kush ZII,1964.

565- Shinnie: Christian Nubia, In the Cambridge history, Vol. 2, London 1978.

566- Diodurus Siculus: Book II, 5 London, 1961.

567- Somers Clarke: Ancient Egyptian Frontier Portresses, J.E.A- III, 1916.

568- Stewart: Report on the Egyptian Province of the Sudan, London, 1883.

569- Strabo: The Geography Strabo, VIII, London, 1959.

570- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270-1527, Oxford 1972.

571- Thomas, E. S. : The ancient mine plant of turin Papyrus, Cairo Scientific Journal, Vol. 3, 1913.

572- Trimingham (T. S.): Islam in the Sudan, London 1949.

573- Trimingham: Islam in Ethiopia, Oxford 1952.

574- Trimingham: The influence of Islam upon Africa, London 1968, (Africa).

575- Ullendorbb. E.: The Ethiopians: An introduction to Country and Peoples, 1967.

576- Van Berchem; Corpus Inscrptionum Arabicarum, Premiere Partie, Egypte, Paris 1903.

577- Vantini, G.: The Excavation at Paras A Contribution to the history of Christian Nubia, Italy 1967.

578- Vantini, G.: Christianity in Medieval Nubia, Cairo 1976.

579- Waddington and Hanburgh: Journal of Visit to Some Parts of Ethiopia, London.

580- Weigall, A.: A Report on the Antiquities of lower Nubia (the first cataract to the Sudan frontier) and their Condition in 1906-7, Oxford.

581- Marrian Wenzel (M): House Decoration in Nubia, London 1972.

582- Wiet: L'Egypte Musulmone,(Precis de l'histoire d'lijgypte, Toa. II, Le Caire 1932.

583- Wiet (G): Nouvelles Inscriptions Fatimides, Eixtrait du Bulletin de l'iaetut d'Egypt, Vol. 24, (1941 - 2).

ABBREVIATIONS

- Actes du II Symposium: Actes du II Symposium International Sur la Nubie (Fevrier 1-3, 1971, 2971), Le Oaire 1981.

- ASH: The Archaeological Survey of Budge, Ethiopia, Vol. I: Budge, E.A.W., A history of

- B. S.O.A.S. : Bulletin of the School of Oriental and African Studies.

- Jakobielski, Bishopric: Jakobielski, 3., A history of the Bishopric of Pachoras on the Basis of Coptic inscriptions, Warszawa, 1972.

- J.A.R.C.I.: Journal of the American Research Centre in Egypt, Cairo.

- J.A.H. : Journal of African History. J.E.A"J Journal of Egyptian Archaeology, Oxford. Kush: Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service, Khartoum.

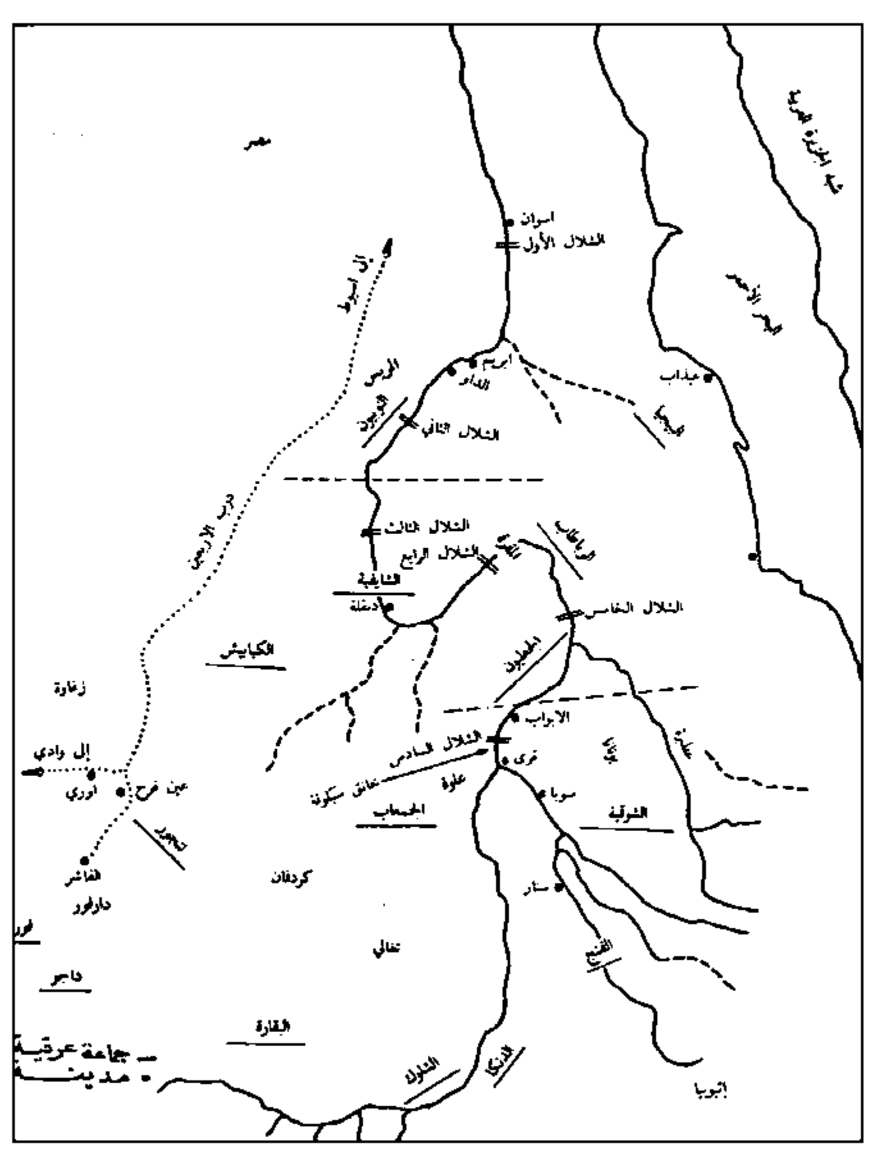
- L AAA : Annals of Archaeology and Anthropology, Liverpool.

- Nubischekunst: Kunst and Geschichte Nubiens in Christicher Ziet. Recklinghausen - 1970.

- S.H.R.: Sudan Notes and Records, Khartoum.

الملاحق

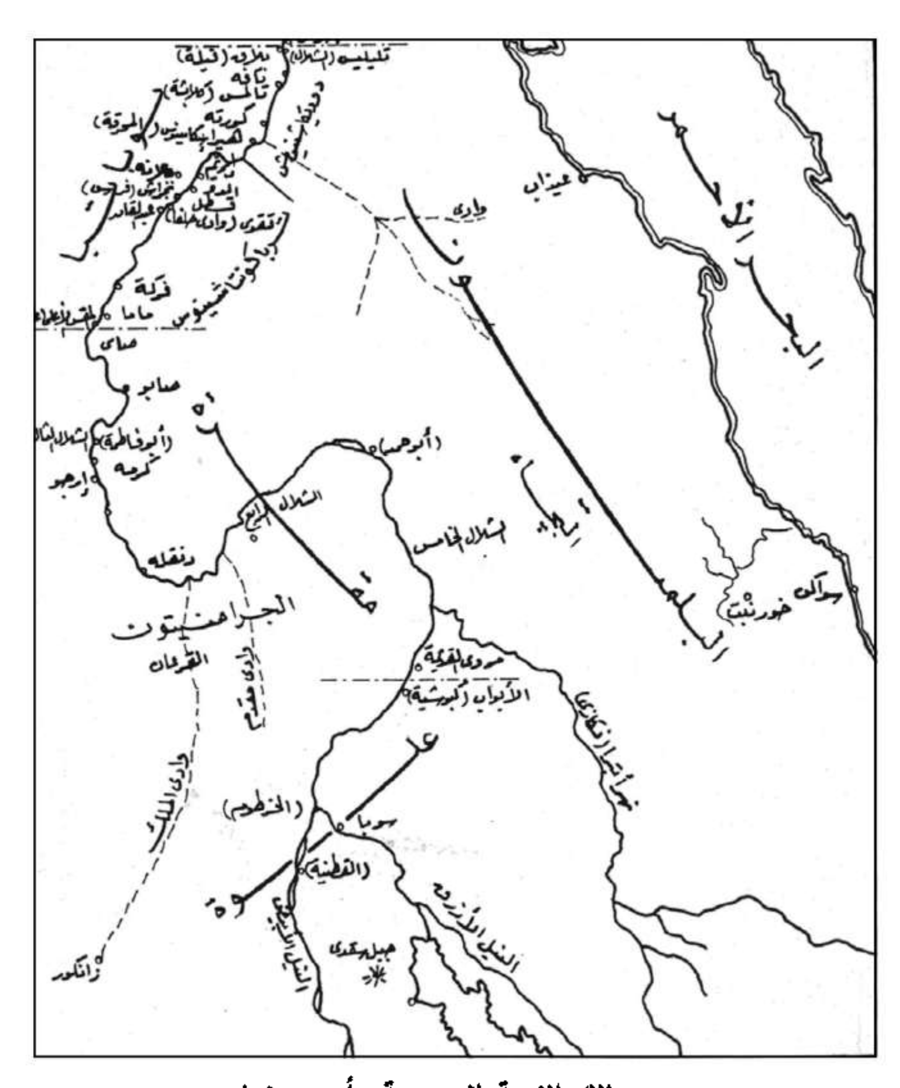
- الخرائط التوضيحية
- الوثائق والمخطوطات
- الاشكال التوضيحية



النوبة من أواخر القرن الثانى عشر إلى عهد الفونج فى أوائل القرن السادس عشر

المرجع : ل. كروباتشيك، موسوعة اليونسكو، مجلد ٤ ، ص ٤٠١ .

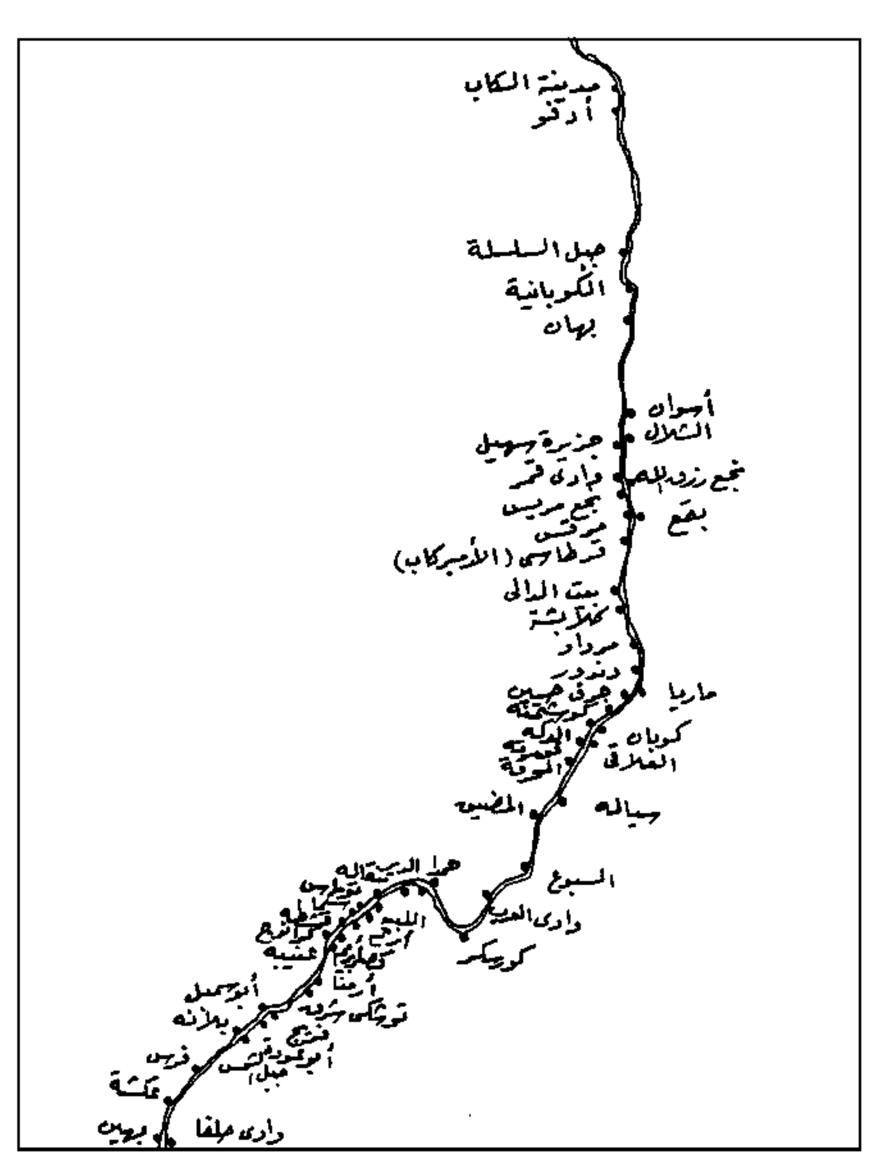
(شكل ١)



ممالك النوبة المسيحية وأهم مدنها

نقلا عن: إبن سليم الأسوانى: المواعظ والإعتبار جـ١ من ص ١٩٠-١٩٧ ؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٧٣

(شكل ٢)



خريطة بلاد النوبة الوسطى

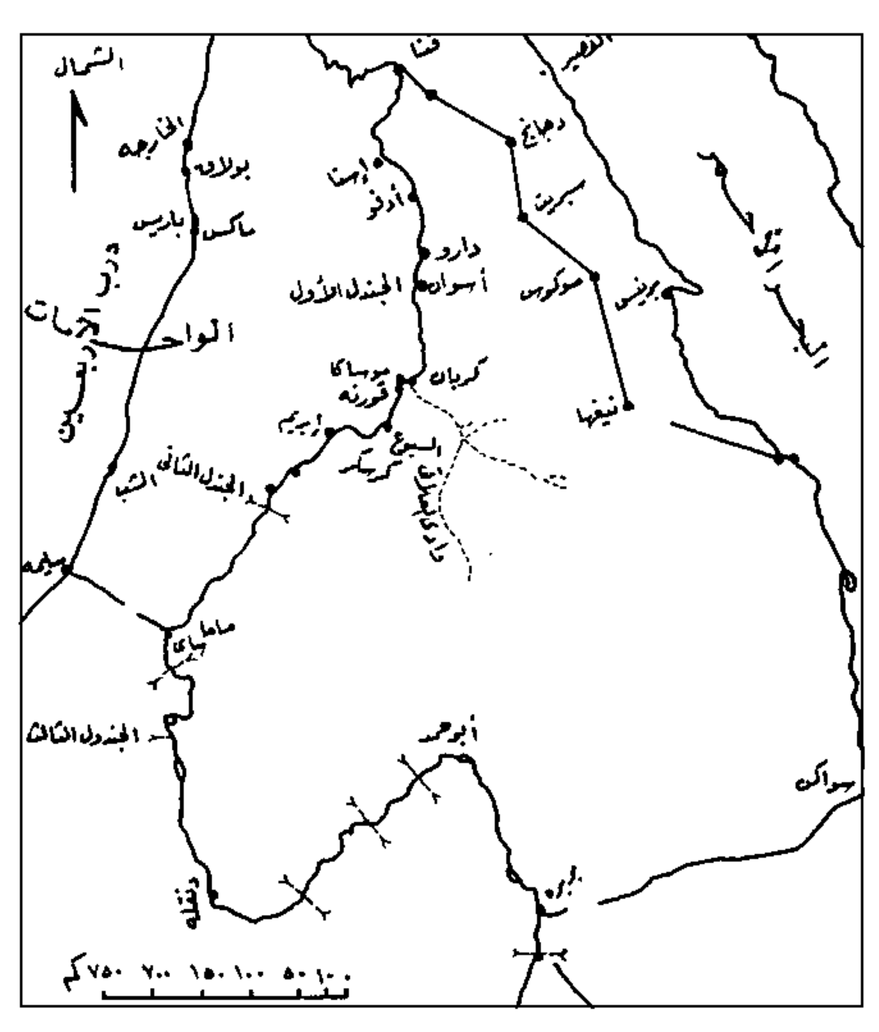
عن تقرير مصلحة الآثار المصرية عن آثار بلاد النوبة المهددة بالغرق لمناسبة مشروع السد العالى

(شكل ٣)

النيل من الشلال الأول إلى الشلال السادس

من إعداد الباحث

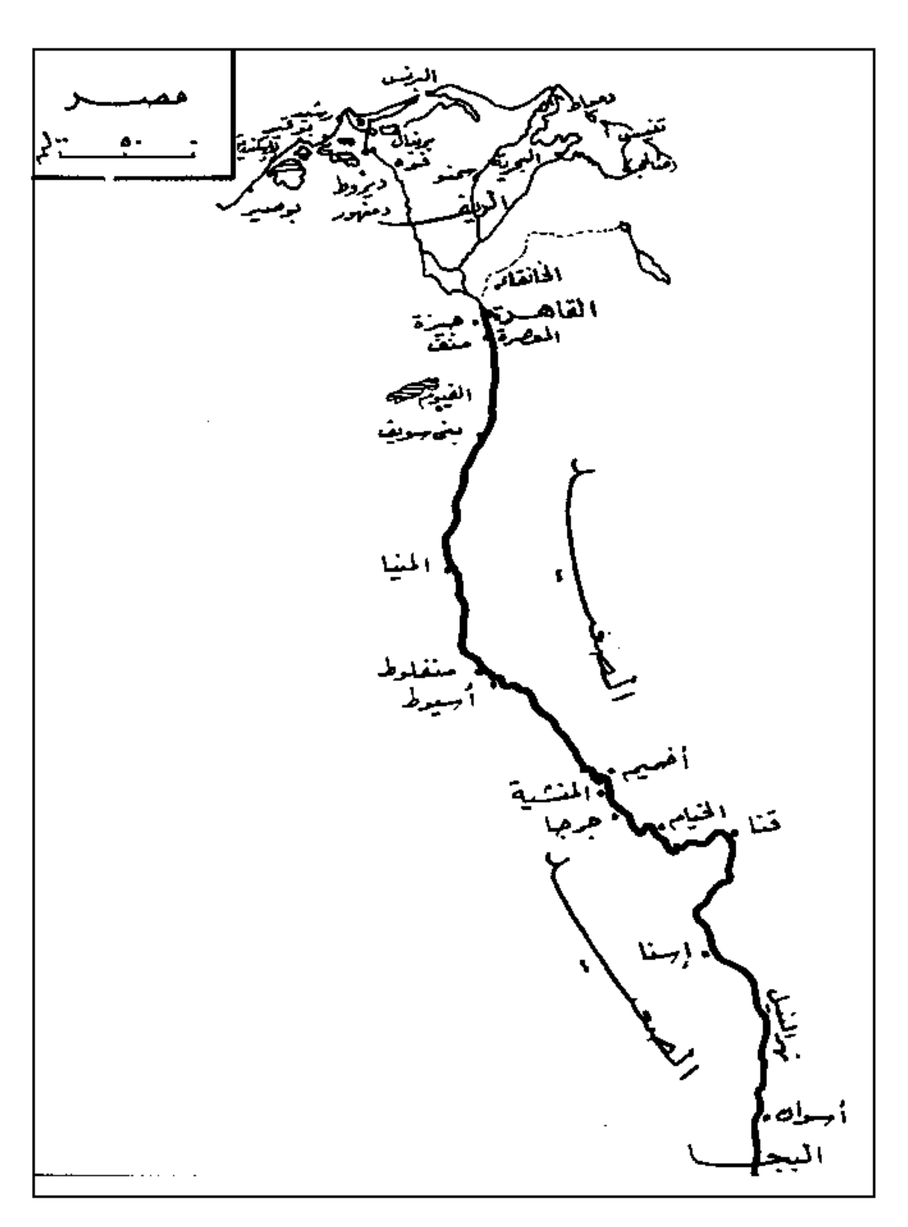
(شكل ٤)



خريطة توضيحية لأهم مدن النوبة فى العصور الوسطى

من إعداد الباحث

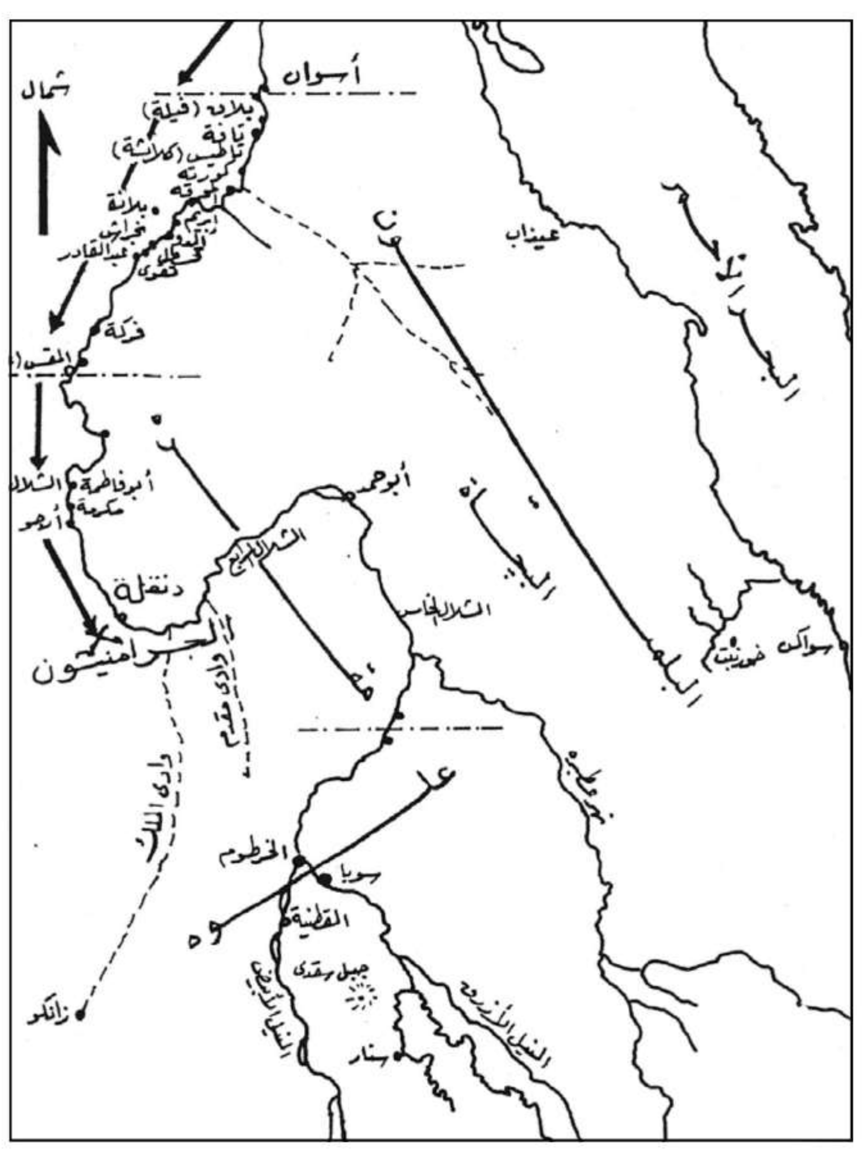
(شكل ٥)



النوبة وأرض البجا كما وردت عند ليو الأفريقى

المصدر : ليو الافريقى : وصف افريقيا، ص ٥٦٠ .

(شكل ٦)



حملة الظاهر بيبرس على بلاد النوبة سنة ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٦م

من إعداد الباحث

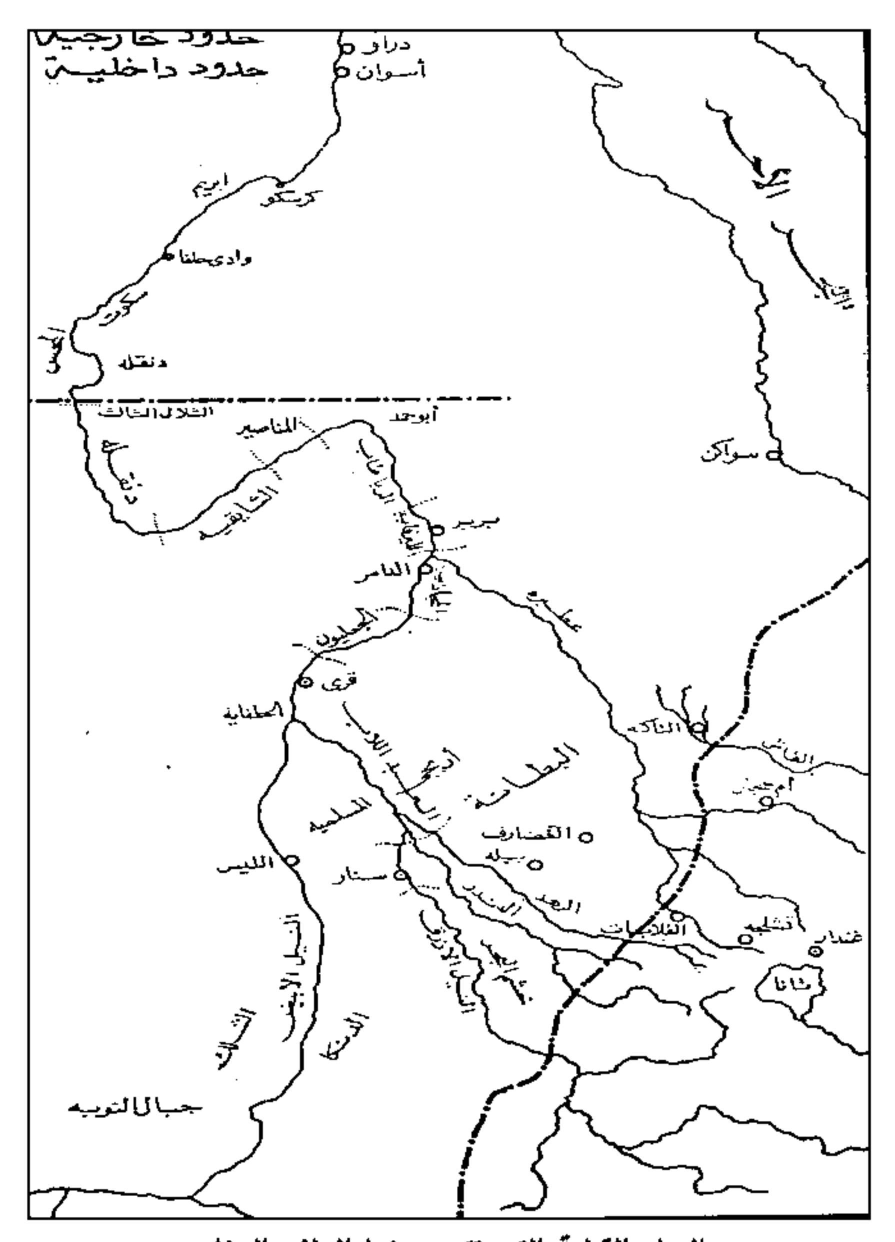
(شكل ٧)



مملكة الحبشة فى القرون من الثالث عشر إلى الخامس عشر

المرجع: رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة ص ٢٦٧ .

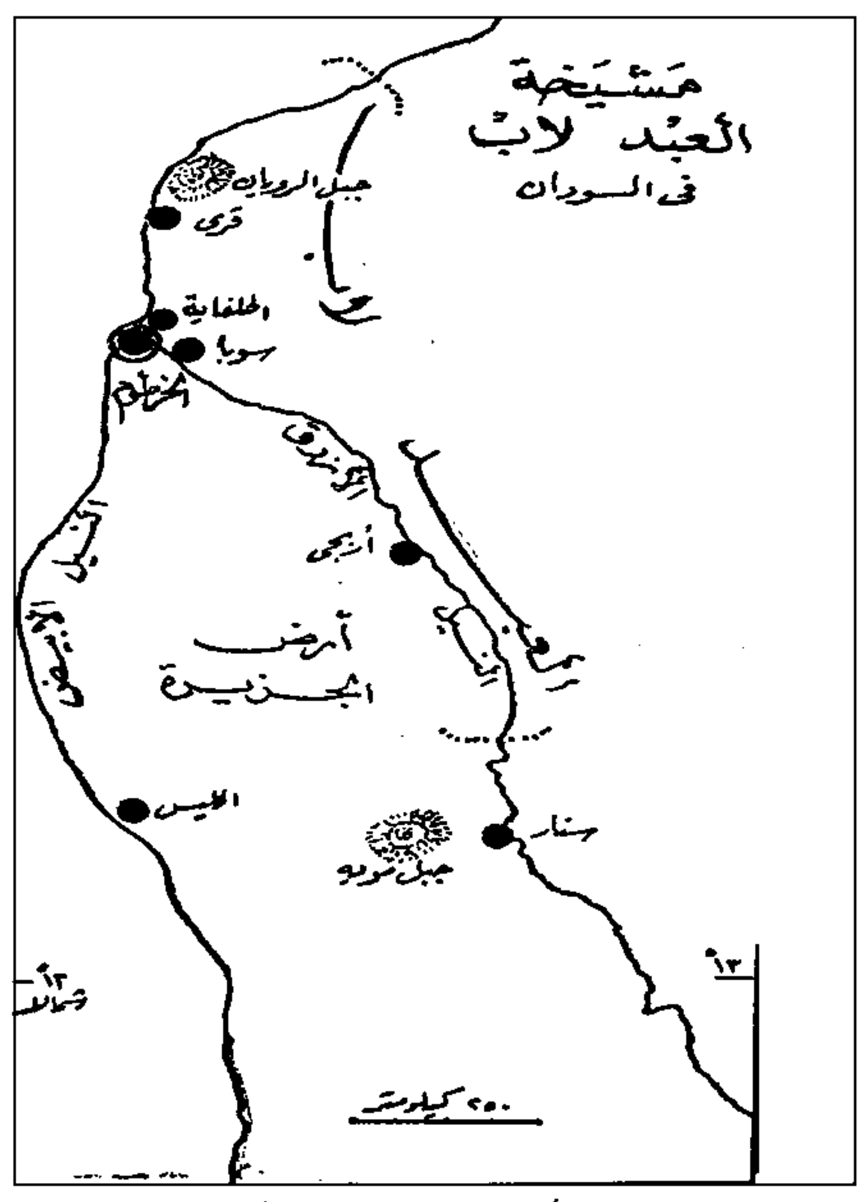
(شكل ٨)



الديار القبلية التى تكون منها الحلف السنارى

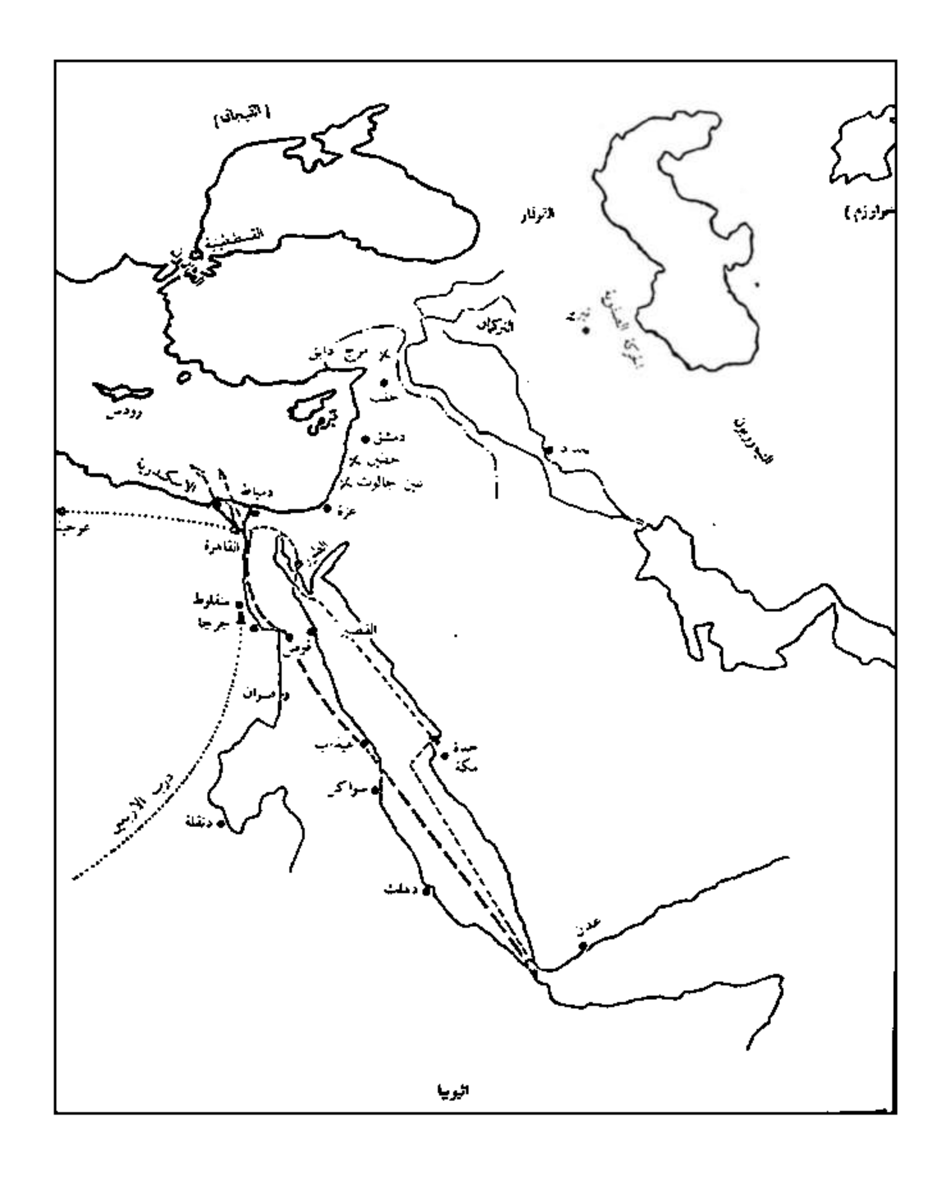
المرجع: الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سوذان وادى النيل ص ٣٨٩

(شكل ٩)



المرجع: محمد محمد أمين: مجلة الدراسات الأفريقية العدد الثانى ١٩٧٣ ص ٢٠٧

(شكل ١٠)



الطرق التجارية فى عصر المماليك (الشرق الأدنى)

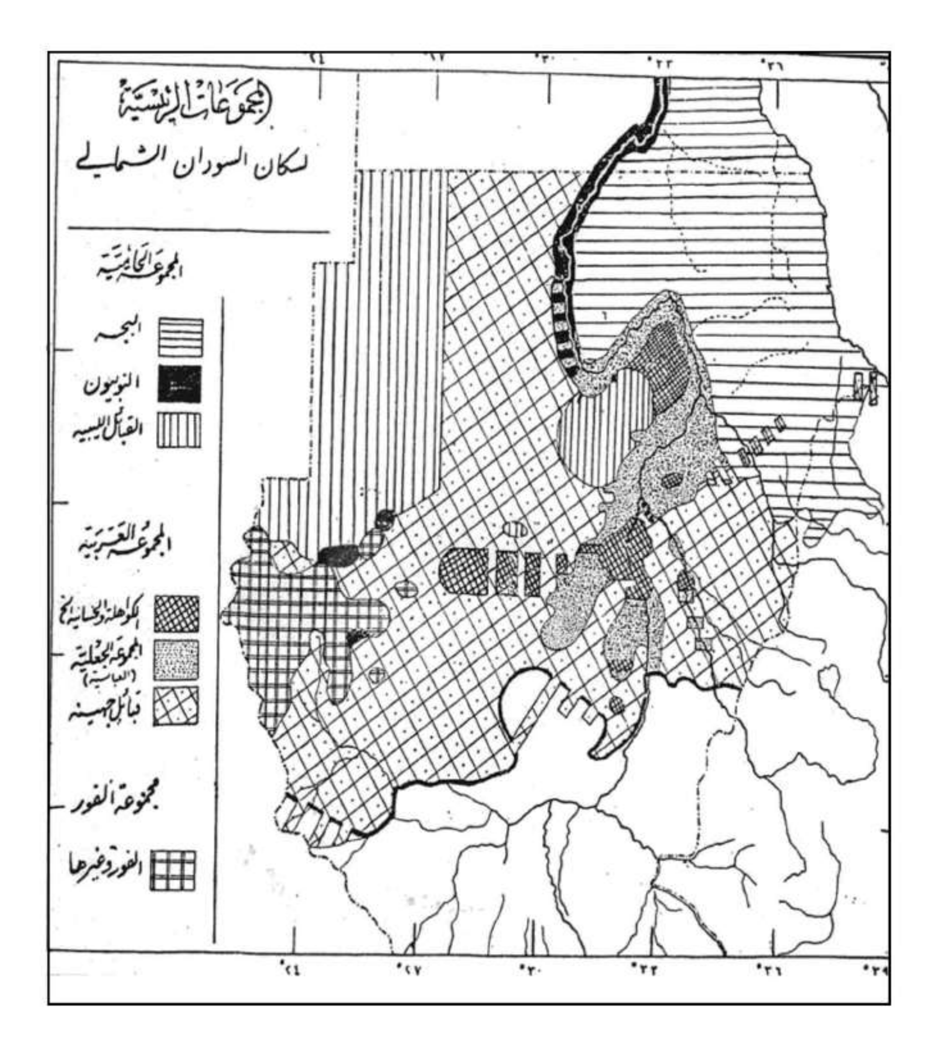
المرجع: ج غرسان: موسوعة اليونسكو مجلد ٤ ، ص ,٣٨١

(شكل ١١)

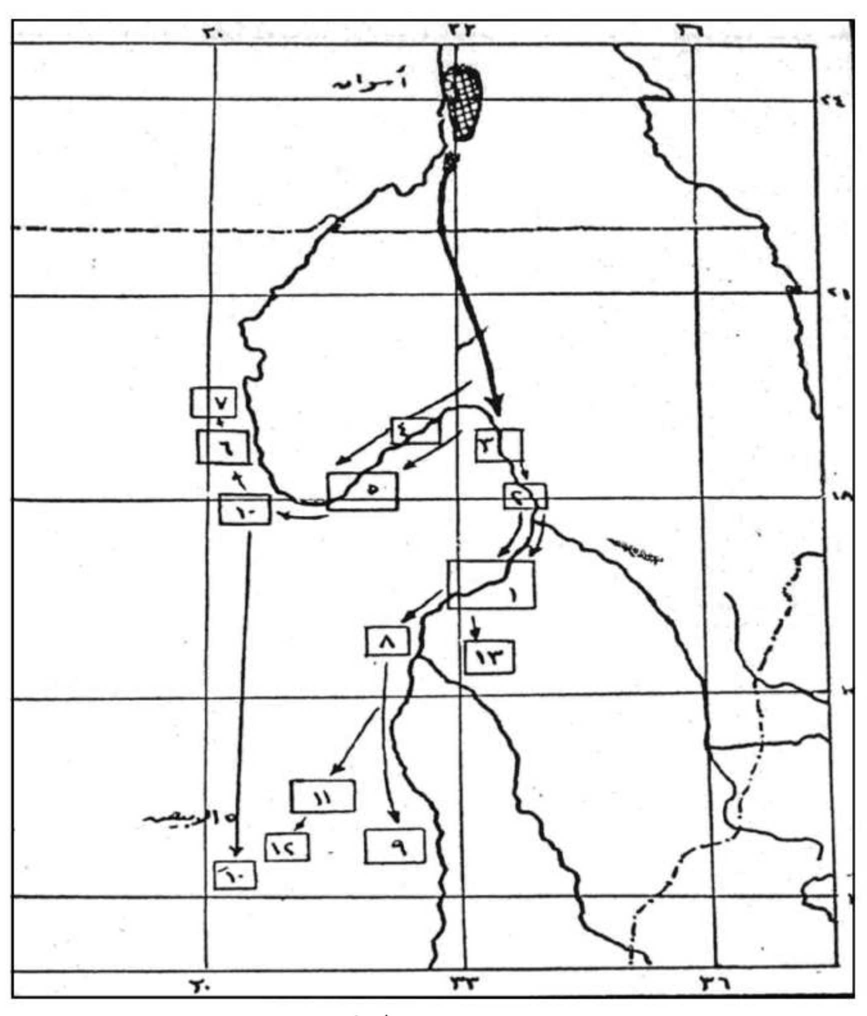


(شكل ١٢)

C.F Crawford: the Fung, p 103



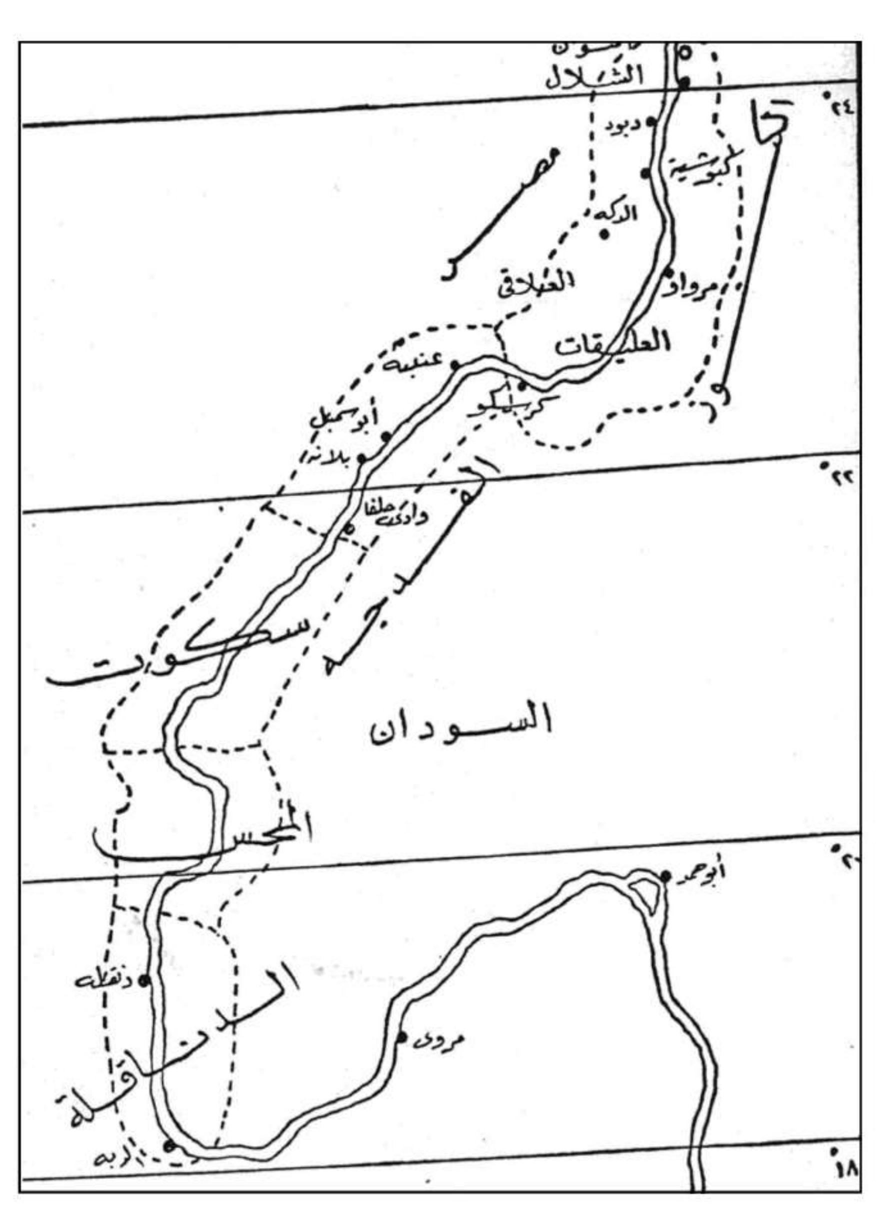
المرجع: محمد عوض محمد: السودان الشمالى، ص ,٣٠٠
(شكل ١٣)



انتشار القبائل الجعلية فى السودان

(١) الجعليون (٢) الميرفاب (٣) الرباطاب
(٤) المناصير (٥) الشايقية (٦) الجوابرة
(٧) الركابية (٨) الجموعية (٩) الجمع
(١٠) البديرية (١١) الجوامعة (١٢) الغديات
(١٣) البطاحين

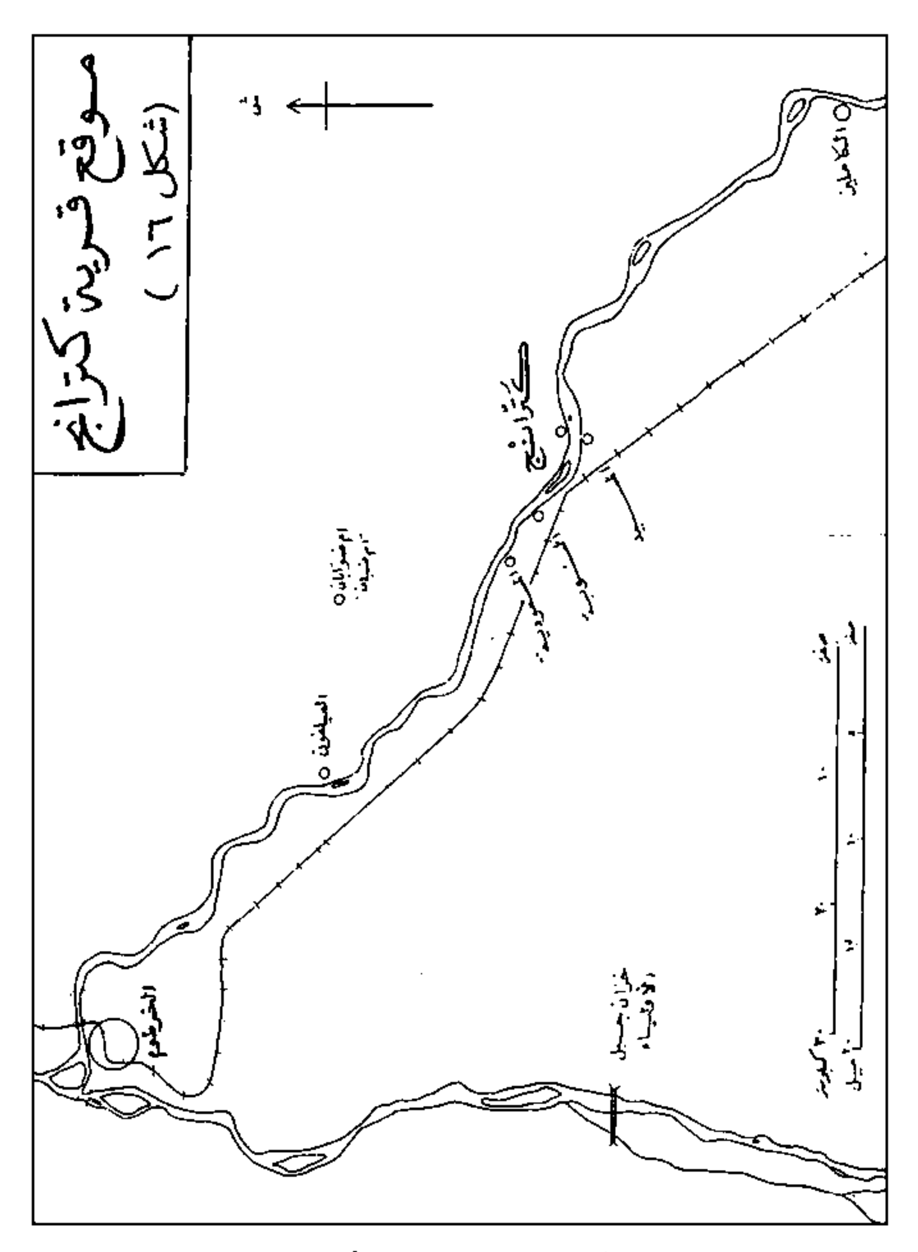
المرجع: محمد عوض محمد: السودان الشمالى، ص ١٦٧ (شكل ١٤)



توزيع مجموعات النوبيين على جانبى نهر النيل

المرجع : عطيه القوصى: تاريخ دولة الكنوز، ص ١٥٤ .

(شكل ١٥)

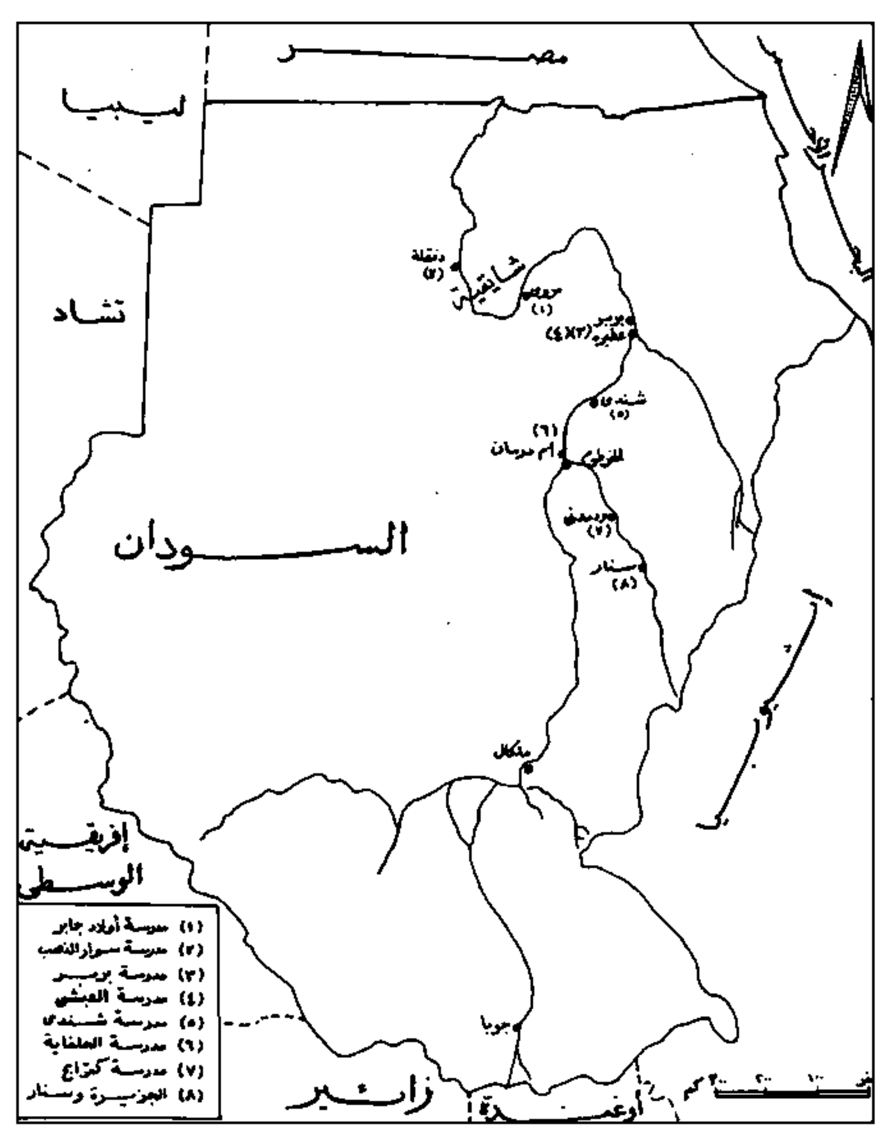


المرجع: عز الدين الأمين: قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان، ص ٦ .

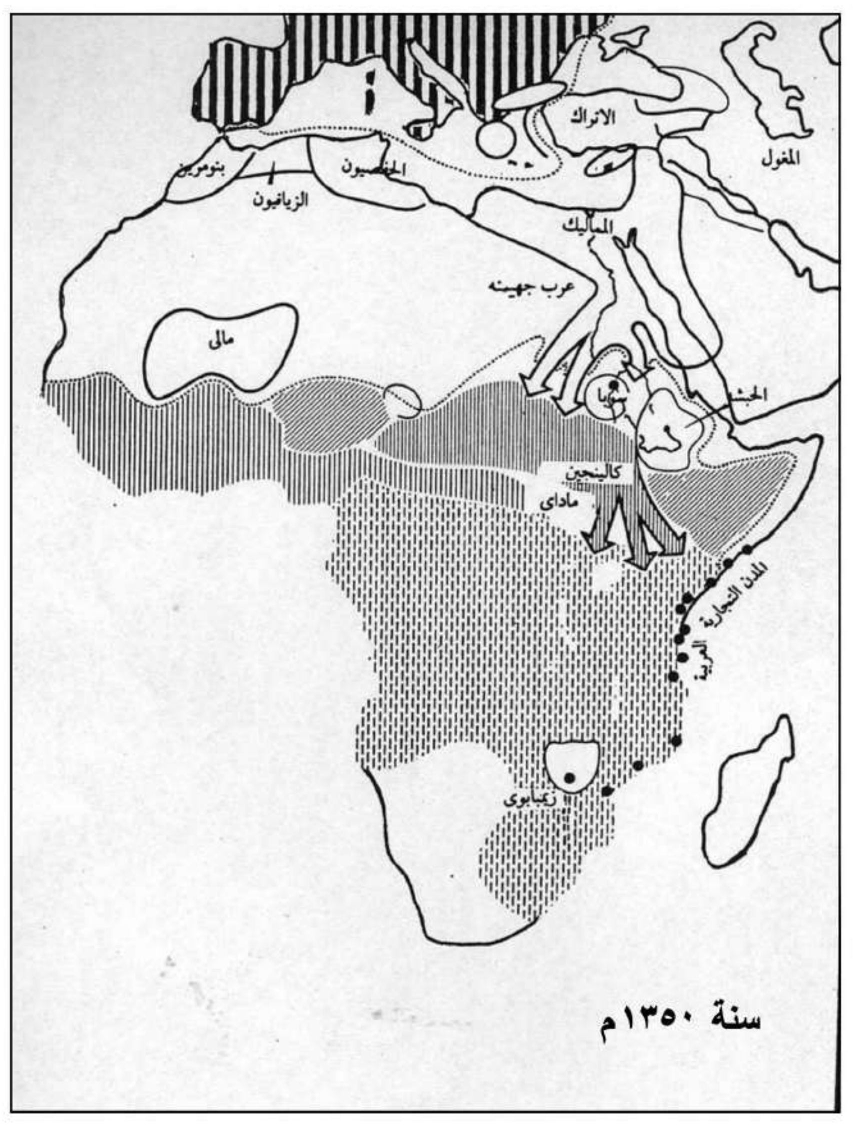


المرجع : عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٢٣

(شكل ١٧)



المدارس الثقافية فى السودان خلال القرن السادس عشر
من إعداد الباحث
(شكل ١٨)



النوبة والقوى الخارجية المجاورة لها فى العصر المملوكى
المرجع: كولين ماكفيدى: أطلس التاريخ الافريقى، ص ,٩٤
(شكل ١٩)

ملحق رقم (١)

وثيقة الزواج الخاصة

بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ.

وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعي عام ٧٣٣هـ [١].

١– بسم الله الرحـمن الرحـيم. «والذين يقـولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قـرة أعين واجعلنا للمتقين أماماً، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا».

٢– ويلقون فيها تحية وسلاما، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما [٢]. أما بعد، فان محامد لله خير ما ابتدأ بها الإنسان وجعلها منهاجا يدله علي طريق الصواب فنقول.

٣– الحمد الله الذي شرف الأنساب وفضلها، وعلم الاحساب وكملها وأوضح الأحكام وبينها. الذي هدانا بملة الإسلام التى هي افضل الملل وجعلها.

٤– ميزان عدل معتدل وجاوز من الأشياء مادق وجل، وتفرد بوحدانيته عز وجل، هادي الألباب ومرشد النظر إلي الصواب، وحافظ الذراري والأعقاب.

٥– الذي خلق أبا البشر من تراب، وج أجري النطف من الاصلاب، الحاكم بعد له والهادي إلي الخير وسبله، ومعمر البسيطة بآدم ونسله الذي جعل النكاح عصمة .

٦– من الشيطان وحيله، فهو مما أمرت الشريعة باعتماد فعله، وأباحه الله علي السنة رسله، فقال عز من قائل في محكم تنزيله: وأنكحوا الأياس منكم والصالحين من عبادكم وامائكم.

٧– ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله[٣]. احمد علي ما يسره وأظهره، واشكره علي ما قضي به من التواصل وقدره، وسهله من التصاهر ويسره واشهد ان لا اله إلا الله.

---

(١) كتبت الوثيقة بالمداد الأسود على قطعة حريرية صفراء بخط الرقاع. وتضم الوثيقة قسمين: الأول عبارة عن مقدمة طويلة لعقد الزواج حوت كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية آلتى تحث المسلمين على الزواج، وتذكر مزاياه، وتشير الى أهميته بالنسبة لبقاء الإنسان وسعادته. أما القسم الثانى فهو عبارة عن نص عقد الزواج الخاص بالأمير (الملك) الربعى كنز الدولة ابى عبد الله محمد بن كنز الدول شجاع الدين المتملك بدنقلة منذ عام ٧١٧هـ على ابنة عمه السيدة بشرية بنت سيف الدين ماجد. تكونت المقدمة من أثنى عشر سطرا، بينما تكون نص العقد من أربع وعشرين سطرا، بالإضافة الى أسماء أربعة من الرجال كانوا شهودا على عقد الزواج الذى حرر فى الثالث من شهر ذى العقدة عام ٧٣٣هـ. ورد فى الوثيقة النسب الكامل للملك المتزوج، وخلال ذلك أشارت الوثيقة إلى أسماء أمراء من بنى ربيعة الكنوز لا نجد لهم ذكرا فى المصادر التاريخية والأدبية المتوافرة ، متحف الفن الإسلامى، (٤٢٢٢) بالقاهرة .

(٢) سورة الفرقان، الآيات : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) سورة النور، آية ٣٢ .

٨- وحده لا شريك له شهادة تدرا العذاب، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.

٩- صلي الله عليه وعلي آله وأصحابه صلاة دائمة إلي يوم المآب. قائمة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل. وبعد ، فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام.

١٠- وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام. فقال جل ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله:«وان خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله[١]». وقد ورد عن سيد بني.

١١- تهامة : تناكحوا تكثروا فاني أكاثر بكم الأمم يوم القيامة . وسيرفع الحجاب عما سبق في هذا الكتاب ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. ولله ما في السموات وما في الأرض.

١٢- وكان الله سيمعا بصيرا [٢]. وكان من قضائه السابق، وقدره الموافق، الذي قدره في القدم وجري به القلم ما سأورده عليكم في كتاب أوله:

١- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفي.

٢- هذا كتاب صداق، وعقد توفيق واتفاق، وبركة تنحو علي أصحابها وسعادة تسمو إلي خطابها، وتعمة قد من الله سبحانه وتعالي بها ، أكتتبه الجناب العالي المولوى الأميرى.

٣- الكبيري السيفي سيد الدين كنز الدولة أبو عبد الله محمد، المتملك بدنقلة، أدام الله سعادته ونعمته، بن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين، ابن الأمير الأجل الكبير المجاهد المثاغر، العضد المقدم ركن.

٤- الإسلام مؤيد الجيوش منجد العساكر، سداد الثغور مدبر الأمور فخر الدين تاج العشيرة والقبيلة ابي المنصور مالك.

---

(١) سورة التوبة ، آية ٢٨ .

(٢) نص الآية : - ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا. من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (النساء ١٣٤).

أمير به دست الإمارة قد زها فتاهيك من مجد وناهيك، من فخر

له سير في عدله عمرية بها سارت الركبات في البر والبحر

لا جرم ان هذه البيت الكريم دست هو صدره. وصدر هو سره وارض هو سماؤها ، وعين هو أنسابها.وكف هو بنانها.

٦- بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المختار العضد عز العرب شرف الأمراء صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المختار المحترم كمال الأمراء طراز .

٧- الكبراء سيف الدولة وعمدتها ابي الفتح نصر، بن الأمير الأجل الكبير الأجل المجاهد المختار، المخلص المنصور تاج الأمراء عز الملك فخر العرب كنز الدولة وعمدتها ابي القاسم.

٨- أمير المؤمنين إبراهيم، بن الأمير الأجل كنز الدولة محمد من روت الركبان من أمره في الأيام المنتصرية ما كان وعلا شأنه في ذلك الزمان، بن الأمير الأجل كنز الدولة هبة الله بن محمد بن علي بن.

٩- محمد بن يوسف المعروف بابي يزيد بن اسحق بن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يريوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لخم بن صعب بن علي .

١٠- بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دغمي بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان- لمخطوبته الأمير الجليلة الرئيسة المصونة ابنه.

١١- عمه الست بشرية المرأة الكاملة ابنة الأمير الأجل الكبير المحترم سيف الدين ماجد بن الأمير الأجل الكبير المنعوت أعاليه مالك بن الكنز. وبه تزوجها اصدقاها علي بركة الله تعالي وعونه وحسن.

١٢- توقيقه وعنه صداقا شرعيا مبلغه من الذهب العين المصري المثاقيل المسكوكة مائتا دينار وخمسون دينارا حالا ومؤجلا . الحال من ذلك مائة دينار أقرت

الزوجة المذكورة بقبضها من يد.

١٣- وكيلة القابل له عقد هذا النكاح مما أحضره من مال . موكله، وبقية ذلك وهو مائة وخمسون دينارا يقوم بها الزوج للزوجة مقسطة في سلخ كل سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما، وهو الثالث من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث .

١٤- وثلاثين وسبعمائة، خمسة دنانير. وعليه ان يتقي الله عز وجل فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف والخلق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالي في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد.

١٥- عليه افضل الصلاة والتسليم. وله عليها مثل الذي لها عليه ودرجته زائدة عليها لقوله تعالي في محكم كتابه الكريم: «وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم[1]، وولي تزوجها.

١٦- والقائم بعقد نكاحها بأذنها و إدراكها حسام الدين عز الدولة في ذلك الأمير الأجل المحترم عز الدين هبه الله أخيها لأبيها . و لما وضح ذلك لحضرة سيدنا ومولانا اقض القضاة حاكم الحكام جلال الأحكام.

١٧- شرف العلماء الأعلام حسنة الليالي والأيام بقية السلف الكرام ناصر الحق مؤيد الشريعة شرف الدين علم المدرسين حجة المناظرين أبي مدين شعيب، بن سيدنا.

١٨- ومولانا العبد الفقير إلي عفو ربه القاضي الأجل الفقيه الأمام العالم العامل جمال الحكام جلال الأحكام جمال الدين صدر المدرسين حاكم المسلمين ابي التقي يوسف القرشي.

١٩- الشافعي الحاكم يومئذ بمدينتي أسنا وأدفو وثغر أسوان ومنبان (؟)[2] وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية.

٢٠- أدام الله إقبالهما وختم بالصالحات أعمالهما ان الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وان الزوج من أكفائها، فحينئذ.

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(٢) هكذا وردت فى النص ولم أجد لها تعريفا أو تحديدا على الخرائط ولعلها قبان. إحدى مرافق ارض المعدن الهامة.

٢١- أمـر يكتبـه فكتب فـزوجـهـا ولـيـهـا المذكـور من الزوج بالصـداق المذكـور حـالة ومؤجلة، قبل ذلك للزوج المذكور المولي الأجل الكبير المحترم علم الدين علي بن المولي الأجل المحترم سراج.

٢٢- الدين عمر المولي الأجل جمال الدين محمد بن أخت الموكل الملك كنز الدولة الزوج المنعوت أعالية حسب توكيله إياه في ذلك، قبله له قبولا صحيحا شرعيا فوريا. وبجميعه يشهد علي الزوج.

٢٣- الموكل الوكيل القابل والولي والزوجة من ذكر ذلك في رسم شهادة آخره خار الله لكل من الزوجين في صاحبه وبلغه أقصي مأربه، وبه شهد علي من سمي فيه بما نسب.

٢٤- إليهم فيه في التاريخ المذكور أعاليه وهو الثالث من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. احسن الله تقضيها في خير وعافية بمنه وكرمه أمين

حضرت مجلس العقد المذكور	حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت علي الولي المزوج	وشهدت علي الولي المزوج
المذكور وعلي الوكيل القابل	المذكور وعلي الوكيل القابل
بما نسب إليهما فيه بالاسم	بما نسب إليهما فيه سعد
محمد بن سليمان عفا الله عنه	بن عبد الله بن الجابي ؟؟ (١)
حضرت العقد المذكور وشهدت	حضرت العقد المذكور وشهدت
علي من سمي فيه بما نسب إليهم	علي من سمي فيه بما نسب إليهم
فيه حسام الدين عفا الله عنه	فيه علي بن ابي بكر بن علي
محمد بن علي بن جعفر	عفا الله عنه آمين

(١) الاسم غير واضح فى الوثيقة الأصلية.

ملحق رقم (٢)
نماذج من نصوص عقود
الزواج بثغر أسوان

نماذج من نصوص عقود الزواج بثغر أسوان

وقد عثرت بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة علي قطعتين من القماش المكتوب عليه عقود زواج لأمراء وأميرات من بني الكنز من ثغر أسوان المحروس وهي مسجلة برقم (٤٢٢٤)، (٤٢٢٣) ويرجع تاريخها إلي القرنين السابع والثامن الهجري وقطع القماش مصنوعة من القطن غير المبيض المنسوخ بطريقة النسج العادي (Plain Weav-ing) ثم غمس النسج القطني في مادة نشوية بيضاء، لتكسبه اللون الأبيض الناصع، ولكي تسد مسامات النسيج، مما يجعل الكتابة عليه سهلة واضحة. وقد كتب علي كل قطعة منها عقد زواج وما طرأ عليه من أحداث. والكتابة بالمداد الأسود بخط الرقاع. وتعتبر هذه العقود اقدم عقود من نوعها عثر عليهما حتي الآن.

عقد زواج رقم (٤٢٢٤) :

ويتكون نص القطعة رقم (٤٢٢٤) لوحة (٢)، من اثنين وثلاثين سطرا، ثلاثة عشر سطرا منها الخطبة، والباقي هو صلب العقد. وفيما يلي النص :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي وعلي آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا (٢) الحمد لله الذي شرف الأنساب وفضلها وعظم الاحساب وأكملها ، وأوضح الأحكام وبينها، الذي هدانا بملة الإسلام التي هي افضل الملل(٣) وجعل ميزان عدل معتدل، وجاوز من الأشياء وجل، ونفرد بوحدانيته عز وجل، هادي الباب ومرشد الفطر الي الصواب(٤) وحافظ الذراري والأعقاب، الذي خلق أبا البشر من تراب وأجري النطف من الأصلاب، الحاكم بعدله والهادي إلي الخير وسبله (٥) ومعمر البسيطة بآدم ونسله، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان وحيلة، فهو ما أمرت الشريعة باعتماد فعله(٦) وأباحه الله علي ألسنة رسله ، فقال عز من قائل في محكم تنزيله وأنكحوا الأياما (الأيامي) منكم والصالحين من عبادكم وامائكم، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله(٧) أحمده علي ما يسره وأظهره، واشكره علي ما قضي به من التواصل وقدره، وسهله من التصاهر ويسره واشهد ان اله إلا الله وحده لا شريك له (٨) شهادة تدرأ العذاب، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب،

واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وأتاه الحكمة وفصل الخطاب (٩) صلي الله عليه وعلي آله صلاة دائمة إلي يوم المآب ، قائمة بالعلم والعمل، وحاكمة بنلأمان عند الفزع والوجل، وبعد فان النكاح مما دعا الله ونبيه إليه (١٠) كافة الأنام وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام، فقال جل ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله وأن خفتهم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله (١١) وقد ورد عن سيد ولد بني تهامة، تناكحوا تكثروا فأني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، وسيرفع الحجاب عما سبق في هذا الكتاب (١٢) فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق فيما حضرنا لأجله ويحوطه بالسعادة من بعده، وقبله، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له (١٣) الفاتحة والختام، وكان مما سورع إليه ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله.

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفي (٢) هذا كتاب صداق وعقد توفيق واتفاق، وبركة تنمو علي أصحابها وسعادة تسمو إلي خطابها ونعمة قد من الله سبحانه اكتتبه المقر الأمير (٣) الأجل المحترم علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال ابن حامد بن مرجان بن عمار بن حامد بن عمار الجاهلي لمخطوبته الأمير الجليلة المصونة والدرة المكنونة البكر البالغ المدعوة (٤) ام الخير ابنه الأمير الأجل المرحوم ركن الدين بن الحسين ابن الأمير الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين الجناب العالي المولوي الاميري الاجلي المسحني المختار عضد الدولة ناصر الجيوش (٥) فخر الدين ملك بن الأمير الأجل المجاهد صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد بن الأمير الأجل المجاهد سيف الدولة وعمدتها، ابي الفتح نصر بن الأمير الأجل عضد الخلافة (٦) ابن ثعلبة زين الدولة بن حنيفة بن أقصي ابن دعمي بن جلدية بن ربيع ابن نزار بن معد بن عدنان، يقر أنه تزوجها اصدقها علي بركة الله تعالي وعونه (٧) وحسر توفيقه من الذهب العين، المصري المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار، الحال من ذلك ماية دينار واحدة وباقي ذلك وهو من غير تكرار(٨) أربعمائة دينار بالصفة المذكورة ، يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطة لها عليه إلي تقضي عشر حجج من تاريخه وهو الي عشرين رمضان(٩) سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك بإيجاب شهاب الدين احمد بن ماهر بن سيدهم

النقيب بباب الشرع الشريف بثغر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال بن محـمـد (١٠) وذلك بشـهـادة من يذكـر ذلك برسم شـهـادة أخره، وعلي الزوج المذكور ان يتقي الله عز وجل فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف وبالخلق الرضي المألوف (١١) كما أمر الله سبحانه وتعالي في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه افضل الصلاة والتسليم، وله عليها مثل الذي عليه ودرجته زائدة عليها لقوله (١٢) تعالي في محكم كتابه الكريم وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . ولما وضح لسيدنا الفقيه الأجل الأمام العالم الصدر (ر) الكامل المدرس الفاضل القاضي (١٣) العدل الرضي نجم الدين ابي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين ابو العباس احمد القرشي نسبا الاسنائي بلدا، المستخلف (١٤) في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا اقضي القضاة حاكم الحكام بقية السلف الكرام، شرف الدين ابي شعيب ابن سيدنا العبد (١٥) الفقير الي الله تعالي القاضي الأجل الفقيه الأمام العالم العلامة، جمال الحكام، جلال الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين ابن التقي يوسف القرشي الشافعي (١٦) الحاكم يومئذ لمدينتي أسنا وادفوا وثغر أسوان المحروس وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية، عن الناظر والحكم العزيز بالديار المصرية(١٧) الشافعي أدام الله إقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم، ان الزوجة المذكورة حرة، مسلمة صحيحة العقل العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية، فحينئذ أمر بكتبه فكتب فزوجها(١٨) من الزوج المذكور بالصداق المسطر عاليه، حالة ومؤجلة قبل الزوج ذلك لنفسه قبولا صحيحا شرعيا فوريا وخار الله لكل منهما في صاحبه وبلغه أقصي مأربه (١٩) وبجمعية شهد علي من سمي فيه بما نسب إليهم فيه في التاريخ المقيد أعلاه وهو الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

الشاهد الأول : (من اليسار) :

(١) حضرت عقد النكاح وشهدت علي (٢) المذكورين فيه (فيما) نسب اليهم واشهد علي (٣) الزوجة بقبض الحال، وكتب (٤) عمر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز.

الشاهد الثاني :

(١) شهد علاء الدين علي ان الزوج المذكور (٢) بموجب الصداق المذكور وعلي الزوجة بقبض (٣) الحال المذكور (أ) علاه كتبه علي بن نعمة الله.

الشاهد الثالث:

(١) شهدت علي الأمير علم الدين الزوج المذكور(٢) بموجب الصداق المذكور اعلاه(٣) وعلي الزوجة بقبض الحال المذكور (٤) كتبه محمد بن الحسين محمد بن عبد العزيز .

الشاهد الرابع :

حضرت العقد (٢) المذكور وشهدت علي من سمي (٣) بما نسب اليهم فيه وكتب (٤) محمد ابن عبد العزيز بن محمد.

عقد زواج رقم (٤٢٢٣) :

ومن الصدف النادرة ان تحتوي الوثيقة رقم (٤٢٢٣) لوحة (٣) علي عقد زواج ثان للسيدة (ام الخير) التي ورد عقد زواجها الأول في لوحة(٢). وعلي عقد بيع لها من زوجها بعد مضي نحو خمس عشرة سنة من زواجها.

ويتكون عقد الزواج من ثمانية وخمسين سطرا، منها ستة وعشرون سطرا في الخطبة والباقي يكون صلب العقد. وفيما يلي النص:

(١)بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(٢) الحمد لله الذي تغمدنا بطاعته وشرفنا بعبادته وأنالنا من إحسانه وغفرانه(٣) ورحمته، الذي جعل النكاح من شريعته وحث عليه في كتابه وسنته (٤) وجمع بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته، وألف بين الزوجين فسكن إليها (٥) وصرف كل منهما الي الآخر غاية مودته ومحبته. احمد علي ما أولي (٦) من نعمته واكشره علي آلائه ومنته. واشهد ان لا اله الا الله وحده(٧) لا شريك له شهادة معترف بربوبيته، مقر بوحدانيته واشهد(٨) ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الي كافة الأمم برسالته والمخصوص في (٩) المؤمنين لشفاعته، صلي الله عليه وعلي آله وصحابته. ما

أعـقب ليـلا صبـاح (١٠) بكرته. فـهـذا عـقد شـمله التـوفيق بكليتـه واكـتنفـه اليـمن بجملتـه(١١) الزوج منه من ذوي الأقدار المشهورة ومن أرباب البيوت المذكورة قد نشأ (١٢) علي قدم الخير والفلاح وتعاطي أسباب التقوي والصلاح، والزوجة (١٣) بالدين والعفاف موصوفة وأبويها بالأوصاف الجميلة معروفة. فالله ميمون (١٤) عقديهما بالتوفيق ويجريه علي أبهج طريق. وكان مما أراده الله عز وجل (١٥) في القدم وجري في اللوح المحفوظ بالقلم نكاح الامير الكبير المجاهد عز الدين(١٦) الذي هو عالماً بان النكاح مندوبا (ب) اليه. ومحثوثا من الشارع عليه (١٧) وانه محصل الأسباب للتحصين والعصمة وجامع لاسباب المودة (١٨) والرحمة وسبب التعاصر والتناصر، ومقصود به التناسل (١٩) والتكاثر رأي المصلحة في تحصيل هذا المندوب ويجـوز لنفسـه هذا (٢٠) المطلوب. وعـزم علي تزوج من ندب الشـرع الي تزوجـهـا والاتصال (٢١) بها ودوام مصاحبتها، وهي عقلية ذات الدين والعقل والجمال ووصف بجمال (٢٢) الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة وربيت في حجر النعمة الشاملة(٢٣) والدها من اكبر الأمراء قدرا واسخاهم وأكملهم وصفا، وهو الأمير الكبير ركن (٢٤)، الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف بين هم (بينهم) بمكارم الأخلاق التي هي (٢٥) مـوصـوف خلقتـه دون هذا العـقـد بالسـعـادة والتـوفـيق ويجـريه علي آخـر الطريق(٢٦) وكان مما سورع إليه ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله.

(١) بسم الله لرحمن الرحيم الحمد الله وسلامه علي عباده الذين اصطفي(٢) خصوصا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وحسبنا لله ونعم الوكيل (٣) هذا كتاب عقد وسيمة ود، وتحديد عهد، وعزم مبارك وساعة سعد (٤) واتفاق في الأمور وائتلاف في الصدور، اكتتبه الأمير الأجل الكبير الأخص الأعز (٥) المجتبي المختار الموفق السعيد عز الدين افرون بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المرابط (٦) المؤمن السعيد تاج الدين متوج بن الأمير الأجل الأكمل المجني المختار شرف الدين محمود (٧) بن الأمـير الأجل الكبـير المجـتبي المخـتار المجاهد المرابط (المتاعز) الأخص الأمير الأكمل المؤيد (٨) كنز العشاير فخر الدين ابن المنصور مالك ابن الأمير الكبير المجاهد المرابط المجتبي المختار (٩) تاج الأمراء فخر العرب صارم الدولة وعسكرها

ابن عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهمام كنز الدولة(١٠) وبحرها سيف الدولة ابي فخر نصر بن الأمير المخلص المنصور المؤيد عضد الخلافة عز الملك تاج(١١) الدولة فخر العرب كنز الدولة وعهدتها ابي إسحاق إبراهيم بن صارم الدولة الحسين علي بن (١٢) الامير حسام الدولة ابي العز متوج بن الأمير كنز الدولة ابو المنصور محمد بن الأمير كنز الدولة ابي المكارم (١٣) هبة الله بن محمد بن علي بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم بن مشروق بن تميم بن معدي كرب(١٤) بن الحارث بن مسلمة بن عبد رب(ربه) ثعلبة بن الدؤل بن حنيف بن صعب بن علي بن بكر بن وائل(١٥) بن باسط ابن هند بن أقصي بن حتما بن حمديلة بن اسد بن ربيعة بن معد بن عدنان(١٦) بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرة المكنونة المرأة المالكة أمر نفسها المدعوة ام الخير ابنه الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين بن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين (١٧) بن الجناب المولي الأمير الاحلي المحسني المختار عضد الدولة ناصر الجيوش نجم الدين(١٨) مالك النسب المذكور، وقد تزوجها اصدقاها علي بركه الله سبحانه وتعالي وعونه وحسن (١٩) توفيقه، ويمنه وسنة نبيه محمد صلي الله عليه وسلم، صداقا جملته من الذهب العين المثاقيل (٢٠) الوزان المصري مائتا دينار حالا ومؤجلا، فالحال من ذلك خمسون(٢١) دينارا أقرت الزوجة المذكورة بقبضها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطا لها عليه(٢٢) في سلخ كل سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما وهو الخامس من شهر جمادي (٢٣) الآخر من شهور سنة أثني وأربعين وسبعمائة، عشرة دنانير والله ولي المتقين(٢٤) وولي تزوجها والقائم بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير إلي الله تعالي (٢٥) الفقيه الأمام العالم الكامل صدر المدرسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي (٢٦) نجم الدين عبد الله محمد بن سيدنا العبد الفقير إلي الله تعالي الشيخ الصالح الورع الزاهد (٢٧) العدل الرضي ضياء الدين احمد نجم الدين عبد القوي القرشي الحاكم يومئذ ثغر أسوان عن (٢٨) الناظر في الحكم للثغور فالأعمال القوصية أدام الله سعادته ، بأذنها في ذلك بشهادته(٢٩) سيضع خطة فيه وذلك كي (ب) وضح خلو الزوجة المذكورة من موانع النكاح الشرعية اجمع، ذكر كالزوج (٣٠) المذكور يومئذ حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن فحينئذ امر بكتب هذا الصداق وكتب فتزوجت (٣١) وكتبه احمد بن مبارك بن عبد الله، من خاطبها المذكور ، علي الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

هذا النكاح لموكله قبولا شرعيا(٣٢) بثغر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر جمادي الآخرة من شهور سنة (اثنين) أربعين وسبعمائة .

الشاهد الاول : (من اليسار) :

(١) حضرت العقد (٢) المذكور وشهدت علي (٣) سيدنا ومولانا أقضى القضاة صدر المدرسين (٤) مفيد الطالبين ابي عبد (٥) الله محمد الحاكم المنصور الجليل (٦) الزوج والوكيل العامل(٧) بذلك، والزوج بما فيه كله (٨) في تاريخه المذكور أعلاه (٩) ابي صالح بن احمد محمد بن علي .

الشاهد الثاني :

(١) حضرت (٢) العقد المذكور وشهدت (٣) علي سيدنا ومولانا(٤) أقضى للقضاة صدر (٥) المدرسين مفيد الطالبين (٦) ابي عبد اله محمد الحاكم (٧) المنعوت (بالـ) صدق المزوج (٨) والوكيل العامل بما (٩) فيه شهد بما فيه في تاريخه (١٠) محمد بن عمر بن علي القرشي.

الشاهد الثالث:

(١) حضرت (٢) العقد المذكور وشهدت(٣) علي سيدنا ومولانا أقضى (٤) القضاة حاكم المسلمين زين (٥) المدرسين علم العلما المصريين (٦) نجم الدين الحاكم المزوج المذكور (٧) والوكيل العامل بما فيه (٨) الها فيه في تاريخه (٩) كتب إسحاق بن علي القرشي (١٠) عز فيه عظيم.

الشاهد الرابع:

(١) حضرت (٢) العقد المذكور وشهدت(٣) علي سيدنا القاضي الناصر(٤) نجم الدين الحاكم زين (٥) بالثغر المحروس والمزوج (٦) والوكيل العامل بما فيه (٧) وكتب احمد بن عبد الرحمن.

ملحق رقم (٣)

نماذج من عقود النفقة خاصة بإقليم دارفور نشرت عام ١٩٧٤م

نماذج من عقود النفقة خاصة بإقليم دارفور نشرت عام ١٩٧٤م بواسطة :

R.S.O "Fahey & Sharif Harir.

The three documents published here were photographed by O'Fathey in Dar Fur in 1974. They are among the few precolonial judicial records found in the province that deal with matters other than land.1 Document A comes from an archive of twenty-three documents photographed at Kamala Keirei (Fur, "The camels can go no further") near Khiriban, some twenty miles north of al-Fashir, being the family records of a Tunjur holy family settled there since the mid-seventeenth century.2 The document is undated although the seal-date may possibly be read as (12) 57/ 1841-2, but since the whole archive falls within the period approximately 1780 to 1900, it is reasonable to assume that A is from the nineteenth century.

Documents B and C are also undated, but similarly come from an archive dated between approximately 1720 to 1900. This latter archive -the largest family archive found in Dar Fur- consists of fifty-eight items, being the records of a family of the Awlad Jabir, a Zayyadiyya holy clan living around Mellit (Millit), about forty miles north-east of al-Fashir.3

Document A : text 4

(الختم) القاضي

حبيب

(٥٧)....

من عند القاضي الفقيه حبيب

الي الطيب أمام بعد فزوجتك مريم

قدمت إلينا مظلومة انك تر

كتبها عديمة النفقة والخدمة

والكوة وغلبت الاجواد

وتسرق بينها وعدم

الإقامة معها في بيتها

بأربعة سنين تظلمت لاجل

ذلك اقدم زيل ضررها وان لك

دعوة بخلاف قولها الشرع يدريكم

قادم مع الفلقناوي شلب

تصل الابن الفقيه محمد منيقير واحمد

ابيه كذلك يقدم

Document A: translation

(seal) The qadi Habib....5

From the qadi the faqih Habib to al-Tayyib.

Thereafter: Your wife, Maryam, has been before us complaining that you have left without any maintenance, 6 support,7 or clothes. You have defied the elders and have pilfered from her home. And you have not been with her 8 in her home for four years. She has been wronged because of this.

Come and put an end to her distress. And if your case 9 is different from her statement, the Law will decide between you. Accompany the falqanawi shalab.10 Go to the son, the faqih Muhammad Munayqir, and his father, Ahmad,

Let him be present:

Document A: text 11

فقد ثبت وتقرر بالحكم الشرعية الكاينة

بيد متوليها بما فيه الفقه حريسوا فيما

شجر بين الزوجين/ برضاهما وصحة ابدانهما

في غير موانع الشرعية/ ١٢ منهم قِيْد وزوجته

حليمة فاولا ادعا حليمة لان هذا الرجل

مضربي غاية الضرر من النفقة

والكسوة والمسح والنعلين وشدة الضرر

عدم الاقامة اَنَاَ وَهُوَ بيت بالبيت حتي تم

فعندنا وتقرر بالحكم الشرعية الكائنا
بيد متوليها بما فيه الفقه حرب [illegible] فيما
نتحكم بين الزوجين فمنهم قيد وزوجته
حليمة فاو لا ادعا حليمة لان هذا الرجل
زوجها وهو غائب غاية العذر من النفقة
والكسوة والمسح والنعلين و[illegible] العذر
عدم الاقامة [illegible] بالبيت حتى تم
اربعة عشر ما جاء عندها لو بيوما واحد
وسألنا الزوج قيد واقرا بالامر كله ما نكر
واحد وقلنا له قوم تزيل العذر وقال ما عندي
شيء وقلنا له كيف تفعل قال طلقتها وقلنا له
البنت هو [illegible] العذر وانتما مغربين لا تزيل العذر
وتطلقها بالبين حتى الاعواد قالوا [illegible] وما
[illegible] وسار البنت طول زمان ما حصل لها شيئا ينفع
ورجع عندنا وحكمنا لها طلاق العذر وقطعنا نزاع
قيد بحضرة الجماعة وممن اشهرنا حكمنا منهم
الفقه حمد والفقه ارباب والحاج بيث والحاج
شور رجو بن وحمد اخدوا الشهادة [illegible]
بذكرهم والله خير الشاهدين

[illegible marginal notes]

The photograph of document A is too poor
to be copied.

اربيعة عشر ما جاء عندي لو يوما واحد

وسالنا الزوج قيد واقرا بالامر كله ما نكر

واحد وقلنا له قوم زيل الضرر وقال ما عندي

شئ وقلنا له كيف تفعل قال طلقتها وقلنا له

البنت مدعي الضرر وانت مقريهن لا تزيل الضرر

وتطلقها بالبدن حتي الاجود قالوا له ارجعها وما

امتثل وسار البنت طول وما جعل لها شيا ينفع

ورجع عندنا وحكمنا لها طلاق الضرر وقطعنا نزاع

قيدَ بحضرة الجماعة وممن أشهدنا حكمنا منهم

الفقه حمد والفقه أرباب والحاج بيِّنُ والحاج

شور وجوير وحمد اخر ولشهادة كثَير

بذكرهم والله خير الشاهدين

Document B: translation

Thus it has been confirmed and recorded as an actual lawful judgment before the one so-authorized in the matte, the faqih (sic.) Huraysu; 13 concerning the dispute which arose between the married couple, / both being willing (to accept the judgment) and being free from the legal impediments, / 14 namely Qid 15 and his wife, Halima.

Plea-by the plaintiff 16

First, Halima made her plea, "This man is my husband. He has treated me very badly 17 (in regard to) maintenance, clothes, ointment 18 and footwear, but the greatest ill-treatment is his absence. 19 He and I were living next to each other until fourteen 20 had passed, but he did not come to my place for even a day. 21

Investigation by the judge

We questioned the husband Qid and he admitted the whole matter; he did not deny one (thing). We said to him, "Will the ill-treatment (by you) stop?" He said, "I don`t have anything." We said to him, "What will you do?" He said, "I have divorced her." But we said to him, "The girl 22 is (the one) bringing the case for ill-treatment, and you are (the one) admitting 23 that you have not stopped ill-treating her and that you are divorcing her by the body." 24

Investigation by the elders

Then 25 the elders -they said him, "Take her back." But he did not follow (their advice). The girl was left (alone) for a long time, 26 and he did not give her anything to support her.

The judge's ruling

She returned to us and we awarded judgment to her (awarding) a divorce for ill-treatment. 27 we dismissed the complaint of Qida 28 in the presence of the community; and among our witnesses to our judgment were faqih (sic.) Hamad, faqih (sic.) Arbab, al-hajj Bayyin, 29 al-hajj shawr, Juwayr, another Hamad, and the witnesses were (too) numerous to record them (all). And God is the Best of witnesses.

Document C : text 30

الختم

من عند القاضي ادم حرير نايب

ابيه شيخ الإسلام القاضي محمد إسحاق الي

حضرت أخينا وصاحب خيرنا الشريف عبد

المنان مني إليك السلام اما بعد نعلمك من قبل

زهر بنت أختك الشرفية امحرير حضروا

عندنا وامرت اوليائها ان يزوجها لرجل اسمه

ابي الحسن بن الفقيه بخيت هي البنت زهر اختارته

ان يسترها واوليايها اعتضلوا عليها وهي يتيمة

خافت فساد نفسها وارفعت امرها عندي اني

انا ابي اليتمي وزوجها لهذا الرجل ابي الحسن

وبينوا صداقها عندكم هناك فرخ سداسي اسمه

سيد بينت هذا من قبل الصداق انت تمسكه اليها

بسته بقر وبقر واحد

وصلت عند الحاكم كله

Document C

[illegible]

مسف عند القاضي [illegible] وادم حديد نابين

ابيه شيخ الاسلام القاضي محمد اسحاق الي

حضرة اخينا وحبنا صاحب خيرنا الشريف عبد

المنان [illegible] منا اليك السلام اما بعد نعلمك من قبل

زهرة بنت اختك الشريفة ام محمد [illegible] حضرت

عندنا واعترفت اولياءها ان يزوجنها لرجل اسمه

ابي الحسن بن [illegible] هي البنت زهرة قالت

ان يسترها ولياءها [illegible] ومن [illegible]

[illegible]

[illegible] زوجتها لهذا الرجل ابي الحسن

[illegible]

[illegible]

من قبل الصداق وبقي
خمسة بقر علي ذمة
ابي الحسن هذا من قبل
الصداق وخمسة بقر
تمسكم لاختك امحرير
من قبل الحضانة وجملة
العوايد الجاريات بالعرف
علي ابي الحسن والسلام

Document C: translation

(Seal)....

From the qadi Adam Harir, the deputy of his father, the shaykn al-Islam, the qadi Muhammad Ishaq, 31 to our brother and master of our good fortune, the Sharif Abd al-Mannan; 32 greetings from me to you.

Thereafter: I (wish to) inform you concerning Zahr (a), the daughter of your sister, the sharifa 33 Amharir. 34 They were before us and I instructed her (i.e.zahra`s) guardians to marry her off to a man called Abu I-Hasan b. al-faqih bakhit. It is the girl (al-bint) zahr (a) who has chosen him to preserveher honour. The elders (wanted) to prevent her (from marrying him), but she is an orphan (yatmiyya) and was afraid that she might come to some harm, so she brought her case to me, since I am the father of the orphans. 35 I married her to this man, Abu al-Hasan .

(The guardians) have explained about her dowry. 36 you have there a six-span slave, 37 called sayyid Bayn, - that is part of the dowry. You are to receive on her behalf six cows, and one has already reached the chief 38 - all (six cows).being the dowry, And the five cows that remain are a debt upon Abu`I-Hasan and this part of the dowry. And five Cows are to be paid to your sister, Amharir, in regard to the hadana, 39 while all the current customary (payments associated) with the "custom" 40 (are the responsibility) of Abu`I-Hasan. Farewell.

ملحق رقم (٤)
نموذجين من دار الوثائق القومية بالخرطوم

الأولي : باسم بخيت بن احمد ، خاصة ولدا محمد عثمان

وثائق النضيفات . Misc 1 / 27 / 361

والثانية : تذكرة مباركة لصداق أم كلثوم بنت أحمد بن عبد الغفار من زوجها الأمين Misc 1 / 27/ 366

وثائق النضيفات .

[illegible]
صلى الله عليه وسلم
لا نبي بعده

تذكرة مباركة لصداق ام كلثوم بنت احمد بن عبد الغفار من زوجها الامين بن
خليفة بن ابو اعبل اما بعد ان الزوج المذكور في صحة بدنه وتمام عقله وعدم دين
محيط به وسلامة حواسه من جميع الموانع الشرعية وطوعا منه من غير جبر ولا
اكراه ولا حجر ولا اجبر عليه وكونه خالي عن زوجة غيرها مما اولهما به حين العقد
عقد عليها بسبعمائة اشرفي الحاضر منه حين العقد خمس في صداق والدة
مدينة بنت عوض مهما يكون لها صداق شرقا وغربا وجزاير من جهة الاراضي
اصل ورهن وبيع والجميع ما عليهن من النبات نخل وخلافه وايضا احد قيمتها خمس
في عمارة النخل الذي صعيده نخل محمد بن ابراهيم بن محمود وساقله الفقيه يونس ولد
مصنوني وايضا احد فيها عود نخلة خلص في حفرة الحجر ومحلها في النخل المقدم ذكره
وايضا احد فيها نصف في عودين نخل في نخل عوض احداهن بنصفه والاخرى
وايضا احد فيها ثلاثة اخماس في عمارة النخل الذي غارسه في اراضي السقاية واراضي
العاصياب وبيان غرسه بعضا منه على جهة الشرق وبعضا منه على جهة الغرب
وايضا احد فيها عمارة النخل كاملة الذي هو موجود وسط حلات النخل المقدم
ذكرهن في اراضي العاصياب وايضا احد فيها ثلاثة اخماس في عمارة النخل الذي
نابت صعيد نخل عبد الصادق ولد صنوة على جهة الشمال وايضا احد فيها
ثلاثة اخماس في نصف عمارة النخل الذي هو شركة على ولد الامين بن بطران في السقاية
وايضا احد فيها خمس في حلقة ام حاضرة بعادتها التي بينها شركة اخوانه والدته هذا
من جهة العقار ومن الحيوان احد فيها البقرة الزرقة خلص الحاضر مع الامام بنسلها
وايضا احد فيها شاة مانعلى بنسلهن وايضا احد فيها نعجة حاضرة بنسلها وايضا
ايضا احد فيها نصف حمارة خضرة حاضرة بنسلها وايضا اشترطا لها على ظهره
بزمام وحبة ذهب وسوارين فضة عشرين ريال وارهنها فهي خمس في داب الحربة
في السابع والجميع ما عليها من النبات الي اجل خمسة عشر عام واوفاها ذلك في خمسة
شروط ونصف والباقي عليه في ذمته وهذا كله وقع بين الزوج ورهنها والدته
وحضرتهم عند الرسم وتاريخ الرسم للوثيقة في عام ١٢٦٤ والمسطر والشاهد
بذلك الفقير الي الله محمد صالح بن محمد النصيف حضر وشهد بذلك الحاج احمد ولد
علي عبد الغفار واخيه محمود نعم وانا محمد بن عبد الوهاب شاهد بذلك

ملحق رقم (٥)
وثائق خليفة الشيخ خوجلى

وثيقة رقم (١) :

وتتكون هذه المجموعة من ٥٥ وثيقة صدر أقدمها في حياة الشيخ خوجلي عبد الرحــمن المتــوفي في سنة ١١٥٦هـ . بينمــا صــدر أحــدثهــا في ١٣٢٦هـ . وتدور المجموعة أساسا حول ملكية بعض الأراضى والمنازعات آلتى قامت حولها.

وقد كشفت هذه المجموعة أهمية سندات الأرض والوثائق المتصلة بها لمؤرخ عصر الفونج ذلك لأنها تقدم نماذج من دواوين الفونج، وبالتالي تعطي صورة واضحة لنظم الكتابة عندهم، والعوامل الكثيرة آلتى كانت تؤثر فيها.

دار الوثائق القومية بالخرطوم ..

صورة مرفقة ص ٤٨٨ ، ٤٨٩

نوع الوثيقة	الجهة الصادرة منها	تاريخ الوثيقة	محرر الوثيقة	الموضوع
وثيقة تصدق بأرض ٨×١١ بوصة	حمد بن الشيخ على	قبل ١١٥٦ هـ	سقط الكاتب فى الجانب المبتور	يتصدق بساقيه للشيخ خوجلى صدقه على بادى – بين المساحة والحدود – سالفة مسلم الشرور والخدم لا طريق ولا غيره –شهد به: الفقه عبد الرحمن القاضى والفقه عبد الصمد كنتى واخيه ابو القاسم وعبد اله ولد سيد القو القوم الخ. الختم دائرى والقش عليه: الواثق الشيخ حمد. الديباجة تختلف عن ديباجة السلط تعليق: بترت اجزاء الوثيقة. وفى ليلا الوثيقة مؤداها انه تصدق للشيخ خوجلى بقطعة ا بشهادة من ذكرهم فى الوثيقة الاصلية ويضيف السكان معهم بتوت (يقصد توتى) كسرنا وجوعناهم (ربما يقصد جينهاهم) امانة للدين الوثيقة فى حياة الشيخ خوجلى سنة ١١٥٦ هـ.
خطاب الى الشيخ خوجلى ٥,٢٥×٦,٢٥ بوصة	حمد بن الشيخ عجيب	قبل ١١٥٦ هـ		يفصح عن اقتدائه واستبراكه به لكونه قد جرب يعتذر بأن الأمر الذى قام به كان بناءا على ام يرجوه بان يبين اسماء من يتوسط لهم لك بالامان بشرط ان يبتعدوا عن العرب ويعرفوهم

الحمد لوليه والصلاة
والسلام على نبيه من عرفنا الصدر الأجل عالي القدر والمحل
المحفوظ من الخطايا والزلل من ترجى فضايله وتروى فوايله
الصادق في قوله الطبيب في فعله الواثق بالملك الولي الشيخ
حمد ابن المرحوم الشيخ علي زيدت ليالي مجده وجودت ليالي سعوده
بجاه القرآن العظيم والنبي الكريم امين اما بعد فان الشيخ حمد
تصدق على الفقيه خوجل بساقية كوبجه الكريم وهي عشر
ثمانية اذرع لوجه الله الكريم للسلطان بادي شكوه
ذخيرة له يوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم حديد ماحي جهة الصعيد جاز نوري جهة
السافل ابوكار صبره وانها سالمة مسلمة من جميع الشرور والخدم
علرق ولا غيره والشهدا على ذلك الفقيه بلوله والفقيه عبد الرحمن
القاضي والفقيه عبد الصمد من العسكر كنني واخيه ابو القاسم
ولد سيد القوم وتمام سيد القوم ودفع الله ولد تمر واخيه عبد الله
وتمر وحسن ولد ليلى وعبد الله ولد حميده وفضل الله ولد سند
وحماد ولد الكلب وعمر ولد ابو زقيم وعنتار ولد علي وود
سيد الخيل وسرسير ولد ولد سرسير وعبد الله اخيه وختون ولد
سرسير وزراع وكاتب الاحرف الفقير الى الله تعالى
...

ملحق رقم (٦)

بعض أوراق النسـبـة المنتـشـرة فـي سـودان وادي النيل ، والتـي تؤرخ لنسب الاسرات العربية ، واغلب هذه الأوراق (أصولها) تحتفظ بها الاسر السودانية، وهناك صور محفوظة في دار الوثائق القومية بالخرطوم، وهي آلتى اعتمد عليها المستشرق ماكمايكل في وضع أصول القبائل العربية .

(أ) الصفحة الأخيرة من مصحف الشيخ دفع الله شابوش مبين بها نسبة، وقد آل المصحف الي الشيخ صالح محمد نور الدين .

(ب) وثيقة بنسب الجدياب وآل نور الدين .

(جـ) وثيقة بنسبة الجباراب.

(د) وثيقة بنسبة الركابية والدواليب .

(هـ)وثيقة بنسب العبدلاب.

دار الوثائق القومية بالخرطوم

(متنوعات)

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا
ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا
أَحَدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن
شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

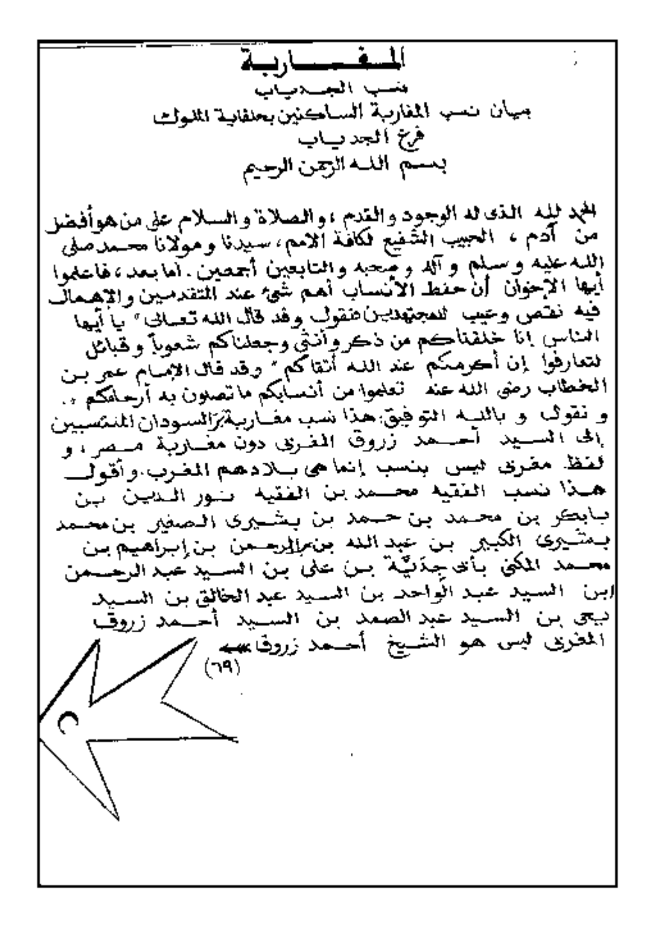
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

تم على يدي الفقير محمد بن الفقيه عبد الله بن الفقيه ادريس بن ... الازه[illegible]
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله

وكان مالك هذا الكتاب الحاج دفع الله بن ادريس بن حلوان عيسى بن هو...
ابن عيسى بن محمد الدنداروي
النسب دنداراوي هوري والمذهب مالكي وهذا الكتاب وقف الشيخ محمد ابو الكيلك
اللهم احسن عاقبة امورنا في الدنيا وفي الاخرة يا ... العالمين
واودعت لهذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وثيقة بنسب الجدياب وآل نور الدين (ب)



المغاربة

نسب الجدياب

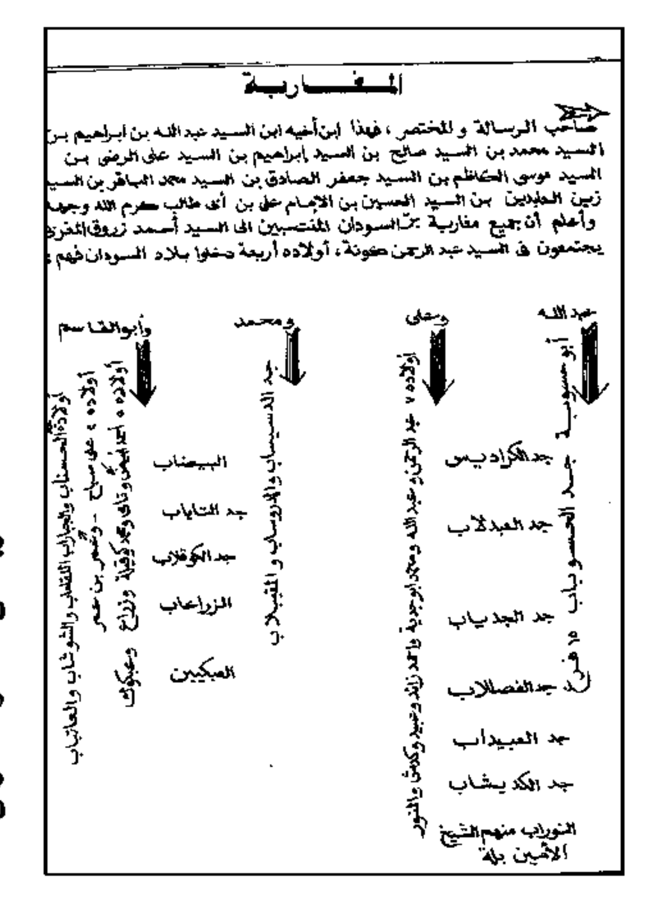
بيان نسب المغاربة الساكنين بحلفاية الملوك

فرع الجدياب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له الوجود والقدم ، والصلاة والسلام على من هو أفضل من آدم ، الحبيب الشفيع لكافة الامم ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه والتابعين أجمعين . اما بعد ، فاعلموا أيها الإخوان أن حفظ الأنساب أهم شئ عند المتقدمين والإهمال فيه نقص وعيب للمجتهدين منقول وقد قال الله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وقد قال الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .. و نقول و بالله التوفيق: هذا نسب مغاربة بـ السودان المنتسبين الى السيد أحمد زروق المغربى دون مغاربة مصر ، و لفظ مغربى ليس بنسب إنما هى بلادهم المغرب. وأقول هذا نسب الفقيه محمد بن الفقيه نور الدين بن بابكر بن محمد بن حمد بن بشيرى الصغير بن محمد بشيرى الكبير بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المكى بأبى جدية بن على بن السيد عبد الرحمن ابن السيد عبد الواحد بن السيد عبد الخالق بن السيد يحى بن السيد عبد الصمد بن السيد أحمد زروق المغربى ليس هو الشيخ أحمد زروق

(٦٩)



المغاربة

صاحب الرسالة و المختصر ، فهذا ابن أخيه ابن السيد عبد الله بن ابراهيم بن السيد محمد بن السيد صالح بن السيد إبراهيم بن السيد على الرضى بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد زين العابدين بن السيد الحسين بن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأعلم أن جميع مغاربة بـ السودان المنتسبين الى السيد أحمد زروق المغربى يجتمعون فى السيد عبد الرحمن صونة ، أولاده أربعة دخلوا بلاد السودان فهم :

عبد الله ← أبو حسوبة جد الحسوباب ١٥ فرع

وعلى ← أولاده ٧ عبد الرحمن وعبد الله ومحمد ابوجدية واحمد زائد وعبيد وكدش والنور

- جد الكراديس
- جد العبدلاب
- جد الجدياب
- جد الفصلاب
- جد العبيداب
- جد الكديشاب
- النوراب منهم الشيخ الأمين بله

ومحمد ← جد الدسيساب والدروساب و المقيبلاب

وأبو القاسم ← أولاده الحسناب والجاراب القلعاب والشوشاب والعاتباب

أولاده ٤ على صباح - وعمر بن عمر

أولاده ٥ احمد ابيض وتاى ومحمد وقيلة وزراع وعبكوك

- البيضاب
- جد التاياب
- جد الكوقلاب
- الزراعاب
- العبكين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي كرم بني آدم بأنواع الكرامات وحفظ لهم أنسابهم تمييزًا لهم عن
سائر المخلوقات وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا بالأنساب المصونات والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي أهل الإمام المخ
من الأصلاب الطاهرات وأزكى الأرحام ثم خرج الله من بضعته الزهراء الكثير الطيب [illegible] في بعض الأيام [illegible]
فقد قال الله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم
والرحم هي القرابة من جهة الأم والأب وقد أردت أن أذكر نسبي لتعريف [illegible]

البشير بن عبد الله بن حمد بن محمد بن حمد
ابن نصر بن محمد بن الحاج جبارة وإليه تنسب الجبارة
ابن الحاج علي بن [illegible] بن [illegible] بن محمد
ابن أحمد بن محمد [illegible] بن [illegible]
ابن حماد بن جعفر [illegible]
ابن سليمان بن عبد محمد بن عبد الخالق بن
أحمد بن أبو بيمرة بن [illegible] بن محمود بن
موسى بن عبد الله بن أحمد بن محمود بن عبد الله
ابن ساهر بن دفع الله بن محمد بن سليمان
ابن عبد الله بن سيدي علي الرضا بن سيدي
موسى الكاظم بن سيدي جعفر الصادق
ابن سيدي محمد الباقر بن سيدي علي زين العابدين
ابن سيدي مولانا السيد الحسين
ابن سيدي الإمام كرم الله وجهه

[illegible] طالب سيف الله الغالب أسد الله الغالب [illegible] بن المشارق والمغارب زوج البتول ابن عم الرسول
[illegible] فيما [illegible] العنا [illegible] الطاعن بالرمح [illegible] وقد نقلنا هذا النسب من خط
[illegible] الحاج جبارة [illegible] عام ١٩٥٧ واستنقل وكيل قال صلى الله عليه وسلم لعن الله
[illegible] بالأنساب [illegible] هجرية وهو حسبي ونعم الوكيل

وثيقة بنسب الجباراب (جـ)

الجُـــبَارَاب

بســـم الله الرحمن الرحيم

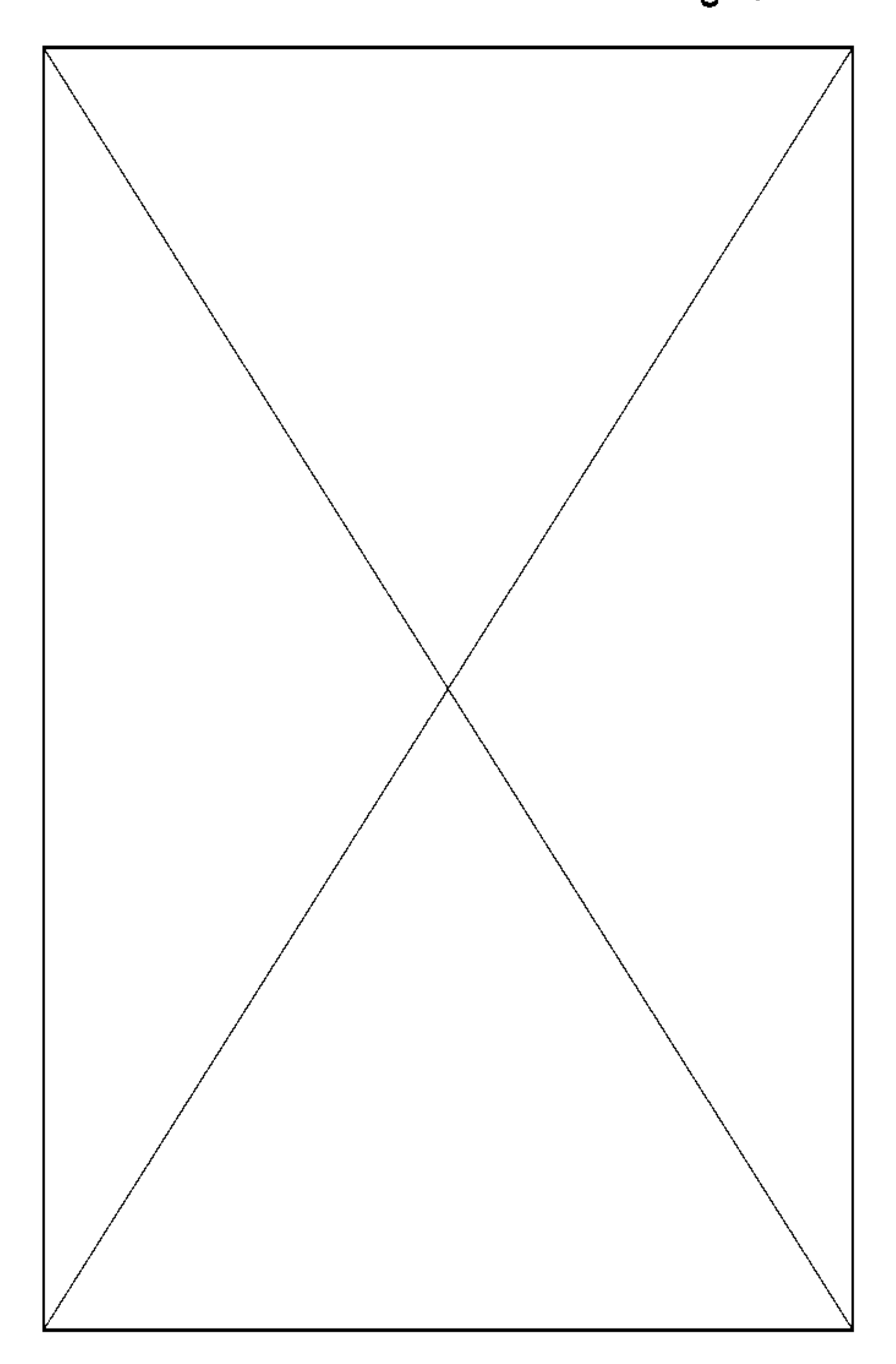
الحمـــد لله الذى أكرم بنى آدم بأنواع الكرامات وحفظ لهم أنسابهم تمييزاً لهم على سائر المخلوقات وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا بالأنساب المصونات والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبراس الأنام من الأصلاب الطاهرات وأزكى الأرحام . ثم أخرج الله من بضعة الزهراء الكثير الطيب ودعانه لهما فى بعض الأيام .

أما بعـــد فقد قال الله تعالى "واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام" وقال عمر رضى الله عنه "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم" والرحم هى القرابة من جهة الأم والأب ، وقد أردت أن أذكر نسبى تعريفاً فإنى أنا :ــــــ
القرشى بن عثمان بن القرشى بن أحمد بن حمد بن محمد بن حماد بن نصر بن محمد بن الحاج جبارة وإليه تنسب الجبارات ، ابن الحاج على بن زاد الله بن لقمان بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أرتيكات بن أبا سفير بن حمد بن نسرون بن على المعروف بشنتق بن سليمان بن عبد الله بن عبد الخالق بن أحمد ابن أبو سمرة بن الملك داسى بن محمود بن موسى بن عبد الله بن أحمد بن محمود بن عبد الله بن ساهر بن دفع الله بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن سيدى على الرضا بن سيدى موسى الكاظم ابن سيدى جعفر الصادق بن سيدى محمد الباقر بن سيدى على زين العابدين بن سيد مولانا الحسين بن سيدى الإمام على كرم الله وجهه بن أبى طالب سيف الله الضارب أسد الله الغالب فارس المشارق والمغارب زوج البتول ابن عم الرسول الصادق فيما يقول الضارب بالسيفين والطاعن بالرمحين فارس بدر وحنين .

نقلت هذا النسب فى يوم الجمعة ٧ صفر ١٢٩٤هـ من وثيقة جدنا البشير بن عبد الله بن حمد المحررة فى ١٢٦٧هـ والذى نقلها من خط جده السادس الحاج جبارة تاريخ كتابته عام ٩٥٧هـ والله على ما نقول وكيل قال صلى الله عليه وسلم "لعن الله الداخل فينا بلا نسب والخارج منا بلا سبب" وهو حسبى ونعم الوكيل . اهـ

جباراب الحلفاية :ــ

من جباراب حلفاية الملوك احد باى احمد عبد المطلب أورد (٩١) أمه تاجوج بت ود الأحمر الجبار ومن أبناء بنات الأحمر حسن وإبراهيم زروق (٦٤) ، مصطفى ود المتوم ، وتزوج عدد من أبناء غضيبلى من بنات أخوالهم الجباراب ناس الأمين ، أحمد القرشى كما تزوج هؤلاء منهم (



الدواليب

نسبة الركابية

بسم الله الرحمن الرحيم

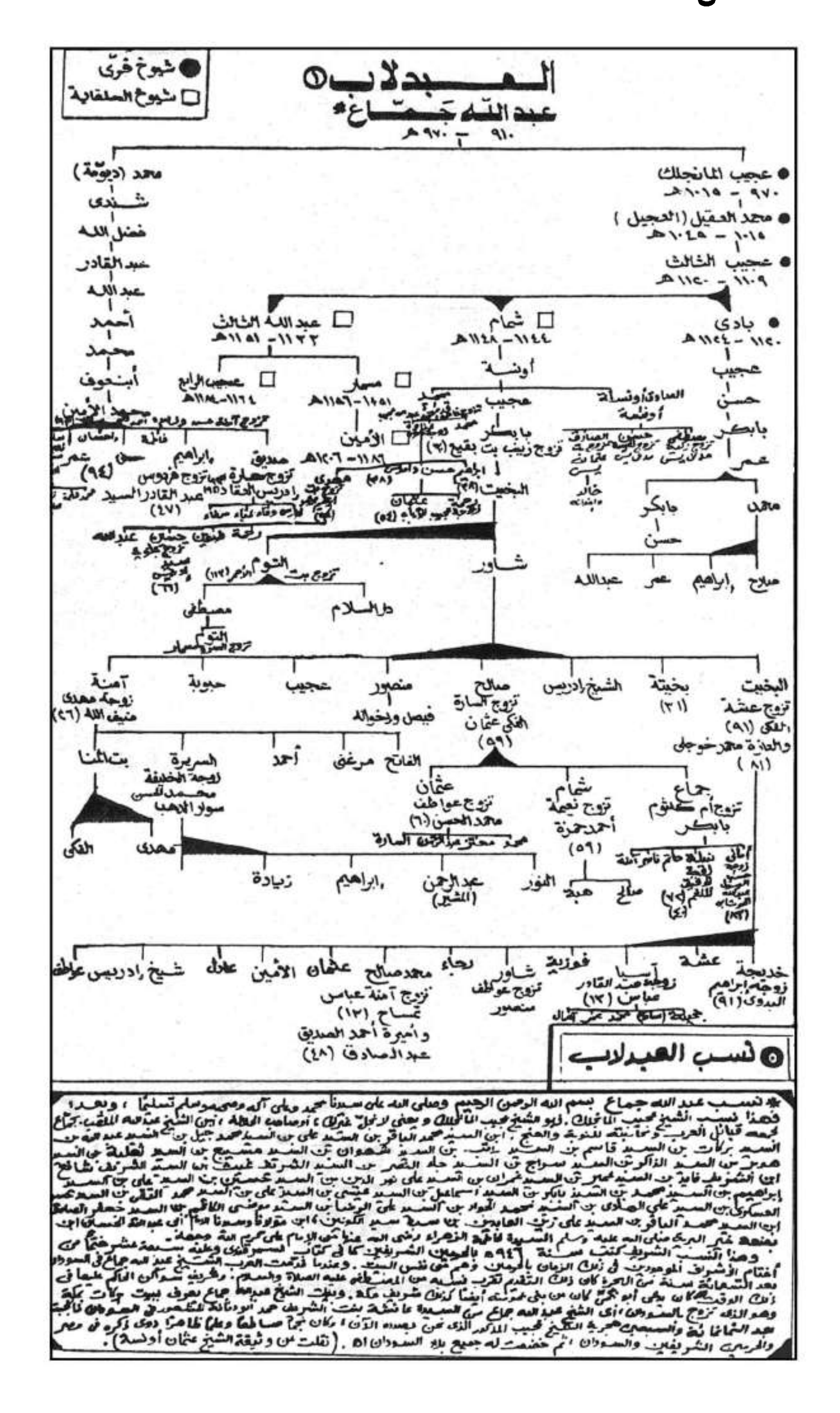
اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد فهذه نسخة متضمنة نسبة الركابية نسل الشيخ غلام الله ، فإن أولاد غلام الله فهما اثنين ركاب ورباط ، أما ركاب نسله خمسة أولاد ذكور فهم : عبد الله وعبد النبى وحبيب وعجيب وزيد الفريد . أما رباط نسله ستة أولاد ذكور من ابنه سليم وهم : رزين ودهمش ومحمد عون وعبد الرازق وهذلول ومصباح . وأما أولاد رزين فهم : حبيب نسى وأولاد دهمش الفكى على ود منوفل بالعفاط ومحمد عون أولاده : أولاد جابر الاربعة والكبيش وعبد الرازق أولاده الشيخ حسن ود بليل بالكنار وأهل أبو نبر ، وهذلول أولاده بالحرازة وهم : الدفاقة والبقرة والمطرة ، ومصباح أولاده مع الكبابيش وهم الشيخ على ولد كبير. وأما أولاد ركاب فهم خمسة : عبد الله وعبد النبى سبطين ، وحبيب وعجيب سبطين ، وزيد الفريد معناه ليس له سبط وأما عبد الله فهم : حاج وحجاج ، فأما حاج ولد الدواليب وأولاد الشيخ على ود عشيب جد العشيباب وناس الشيخ أكحل فرقة مع الكواهلة بتقلى والجنان والجنانة والسامراب وفروع كثيرة تفرقت بالشكرية . وعبد النبى أولاده اثنين : معشر وشكارة ، فأما معشر أولاده ، الصادقاب ناس الشيخ ولد عبد الصادق وشكارة جد العبيداب . وحبيب أولاده ناس الصباى ، وزيد الفريد أولاده الشابراب والمكازاب والتامراب والبعاجاب أولاد حاج ماجد وحاج ←

نسب الشيخ إبراهيم محمد عبد الهادى

أنا إبراهيم بن الفكى محمد بن الفكى عبد الهادى بن الشيخ محمد النبرى بن الشيخ عبد الهادى بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد دوليب بن الشيخ محمد كرى بن الشيخ تركى بن الشيخ عربى بن الشيخ حمد بن الشيخ حاج بن الشيخ عبد الله بن الشيخ ركاب بن الشيخ غلام الله بن السيد عايد بن السيد عبد المصور بن السيد المقبول بن السيد أحمد بن السيد عمر الزيلعى بن السيد محمود بن السيد هاشم بن السيد الإمام زامل بن السيد مختار بن السيد على بن السيد سراج بن السيد محمد بن السيد أبو القاسم بن السيد الإمام زامل ابن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد على زين العابدين بن سيدى الحسين بن سيدتى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته أجمعين وأمته وساير من تبعه إلى يوم الدين "

حرر هذا فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٤٣هـ

بيد إبراهيم محمد عبد الهادى



* نسب عبد الله جماع: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، وبعد: فهذا نسب الشيخ عجيب المانجلك، أبو الشيخ عجيب المانجلك ويعني لا تجوك غيرك، أو صاحب المظلة، ابن الشيخ عبد الله الملقب جماع لجمعه قبائل العرب ومحاربته للنوبة والعنج، ابن السيد محمد الباقر بن السيد علي بن السيد محمد جميل بن السيد عبد الله بن السيد بركات بن السيد قاسم بن السيد [illegible] بن السيد شهوان بن السيد مشيع بن السيد ثعلبة بن السيد همرج بن السيد الزاكوش السيد سراج بن السيد جلد النصر بن السيد الشريف غميضة بن السيد الشريف شالخ ابن الشريف فايد بن السيد عمر بن السيد عمران بن السيد علي نور الدين بن السيد محسن بن السيد علي بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد بابكر بن السيد إسماعيل بن السيد عيسى بن السيد علي بن السيد محمد التقي بن السيد محمد العسكري بن السيد علي الصادق بن السيد محمد الجواد بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق ابن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سيد سيد الكونين ابن مولانا وسيدنا الإمام أبي عبد الله الحسين ابن بضعة خير البرية صلى الله عليه وسلم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من الإمام علي كرم الله وجهه.

وهذا النسب الشريف كتب سنة ٩٤٦هـ بالحرمين الشريفين كما في كتاب السمرقندي وعليه سبعة عشر ختمًا من أختام الأشراف الموجودين في ذلك الزمان بالحرمين وهم من نفس البيت. وعندما قدمت العرب الشيخ عبد الله جماع في السودان بعد الشعبانية سنة من الهجرة كان ذلك التقدم تقرب نسبه من المصطفى عليه الصلاة والسلام. والشريف سرور الحاكم عليها في ذلك الوقت كان يدعى أبو نمي كان من بني عمومته أيضًا كذلك شريف مكة. وبيت الشيخ عبد الله جماع يعرف ببيوت بركات بمكة وهو الذي تزوج بالسودان، أي الشيخ عبد الله جماع من السيدة عائشة بنت الشريف محمد أبو دنانة المتصوف في السودان فأنجب [illegible] والسعيد [illegible] الشيخ عجيب المذكور الذي نحن بصدده الآن، وكان نجمًا صالحًا وعلمًا ظاهرًا ذو ذكره في مصر والحرمين الشريفين والسودان، ثم خضعت له جميع بلاد السودان اهـ. (نقلت من وثيقة الشيخ عثمان أونسة).

الشجرة الأولى:

ريث

جهينة

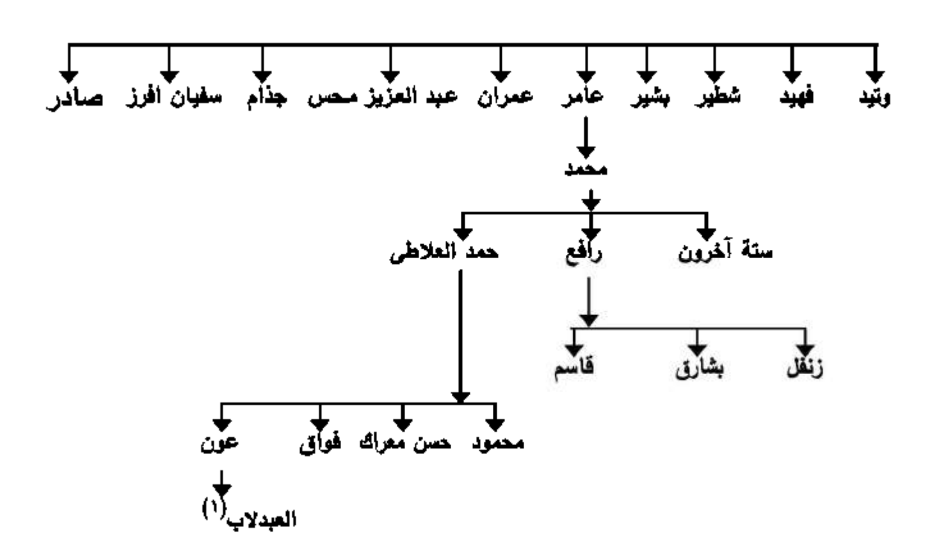
بغيض

قيس

دهمان

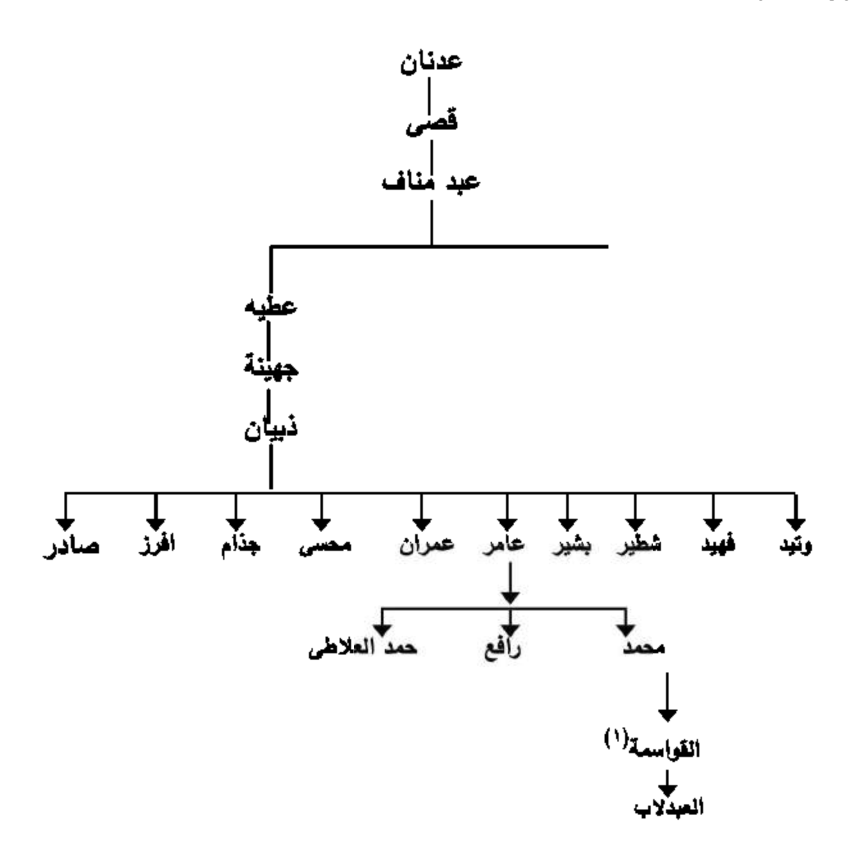
عبد الله الجهنى

ذبيان



(١) نسخة ابراهيم حاج محمد (ص ١١-١٥)، ونسخة جعفر حسان (ص ١٢-١٦).

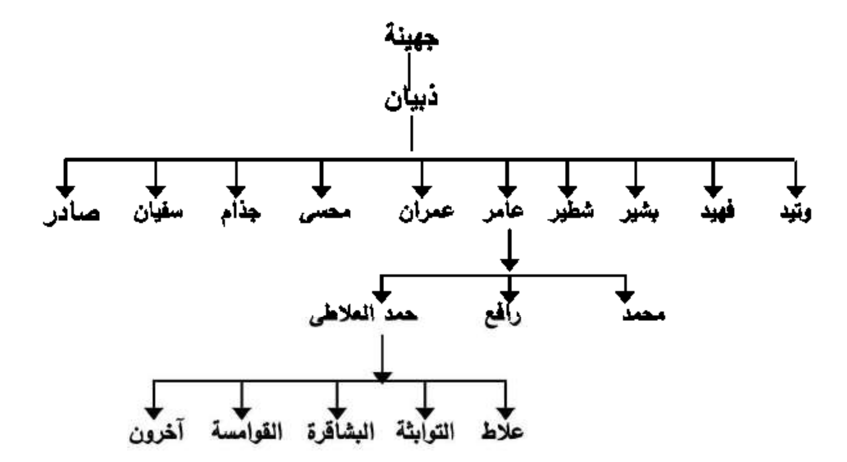
الشجرة الثانية:



(١) MacMichaei: A History of Arabs, vol 2, p: 80

أخذ هذا الجزء من شجرة النسب المقابلة لهذه الصفحة. ولما كمايكل فى هذا الكتاب أكثر من شجرة نسب، غير أننا لم نأخذ منها إلا ما له صلة بموضوعنا. ولم يأت اسم العبدلاب فى الشجرة التى رسمها ماكمايكل، لكننا أضفناه بناء على ما ذكره هو نفسه فى متن كتابه (انظر ج١، ص ١٣٨ -١٤١) ، وهناك نسخة فى دار الوثائق المركزية (متنوعات ١/١٦/١٨٤) صاحبها أحمد الأزهرى تتفق تماما مع شجرة ما كمايل هذه ٠ص ٣٤-٣٥).

الشجرة الثالثة:



(١) فى أوراق نسب له، توجد فى ملف يحمل الارقام من (٤٣٤-٤٣٩) دار الوثائق المركزية، متنوعات (١/١٦/١٨٤).

ملحق رقم (٧)

وثيقة من وثائق مشيخة العبدلاب، خاصة بأوقاف مشيخة العبدلاب في المدينة المنورة تم نشرها في ١٩٨٦ م في كتاب:

الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي بالمدينة .

وتوجد نسخة مصورة منها في دار الوثائق القومية بالخرطوم .

الحمد لله تعالي [١]، هذه حجة شرعية، ووثيقة محررة موعية، صدرت بمجلس الشريعة، محرر القضايا والأحكام، خادم شريعة خير الأنام، محمد عليه من الله تعالي افضل الصلاة وأزكي السلام، يعرب مضمونها، ويوضح مكنونها، أنه حضر الرجلين العاقلين الكاملين المكرمين (كذا !) الشيخ علي مونه بن محمد، والشيخ إدريس بن ضنوا، الوكيلين الشرعيين عن الجناب العالي، الراقي رتب المجد والمعالي، الشيخ ذياب بن المرحوم بادي بن المرحوم الشيخ عجيب بن عبد الله، الثابتين وكالتهما عنه بشهادة الشيخ محمد بن عبد .... ومحمد الزين.... في الوقت الآتي ذكره، واقرأ إقرارا صحيحا شرعيا بحسب وكلتهما الثابتة الشرعية، بأنهما قد أوقفا وحبسا وسبلا وتصدقا وأكدا وأبدا ما هو في حوزة مولكهما وملكه وتحت تصرفه، والآيل إليه بالشراء الشرعي ، وذلك جميع البيت الكائن بزقاق الطوال الشهير ببيت أبناء القفاص، المحدود قبلة بالدرب السالك، وشاما بحوش المرزوقي وقف السادة الأغوات، وفيه باب للبيت المذكور، وشرقا بوقف السادة الأشراف آل حياد، وغربا بالدرب الموصل لباب البيت، ومنه الباب والاستطراق الملاصق بملك المكرم البائع ابو بكر المذكور وشركائه بتمام البيت وكماله، وكافة حقه وحقوقه، وتوابعه ولواحقه ولوازمه ومراحيضه الداخلية فيه والخارجة عنه، ذكرت أم لم تذكر، كل ذلك رغبة في الأجر والثواب، وابتغاء فيما عند الله تعالي عن الزلفي وحسن المآب. أولا علي طائفة البرارة والأحرار والمعتوقين من ذلك البر، وذلك بالسوية يعم منهم الصغير والكبير الذكر والأنثي من أولاد الذكور دون أولاد الإناث علي حد سواء، الا المعتوقين بأرض الحرمين الشريفين فلا يكونوا مستحقين لهذا الوقت. ولا لمن غاب عن المدينة المنورة الا لحج بيت الله الحرام، ولا لمن قطن بمكة وغير المدينة فانه لا يستحق منه شئ (كذا !) ولا أهالي التنجر فانهم غير مستحقين في الوقت.

ومعرفة حد البرارة المستحقة للوقف المذكور من جهة الغرب الكاب، وشرقا سواكن، ومن جهة الصعيد الحبشة، وشمالا بندر أسوان يكون داخلا في الحد لا داخلا في الوقت. وغير هؤلاء لا يستحقون. وان لم يوجد في هذه الطائفة احد الفادني منهم

(١) قبل هذه الجملة جمل أخري مكتوبة في أعلي الصحيفة علي الجانب الأيسر، تبدأ بعبارة : (حكمت بصحة هذا الوقف ولزومه في خصوصه وعمومه... حرره العبد الفقير الي بر ربه ... وتنتهي بـ المدينة المنور، وفي مكان هذه النقط كلمات عجزت عن قراءتها ، ويظهر انها تعبر عن الجهة والمكان اللذين صدرت عنهما هذه الوثيقة.

يكون معهم في الوقت المذكور مدة حياته، وعلي اغوات الحرم الشريف النبوي تقسم الغلة بينهم بالسوية.

ثم بعد تمام الوقف شرطا شروطا عن موكلهما، وأكدا عليها، وجعلا المصير إليها ، منها : أنهما جعلا النظر علي وقفه للجناب المكرم المحترم عبد الرحمن أغا نقيب السادة الأغوات حالا مدة حساته، ومن بعده يكون النظر للمكرم عبد الكريم أغا تابع عبد الرحمن أغا المذكور، ومن بعده يكون النظر لأغوات الحرام النوبي من كان، فأتباع مولاة السلطان سنار المحفوظة الارشد فالارشد، فان انقرضوا – والعياذ بالله تعالي – يعود النظر الي نقيب السادة الأغوات المذكورين كائنا من كان.

ومنها انهما جعلا الجباية للمكرم الشيخ عبد الرحمن بن محمد البري شريف بني علوان حالا، ومنها أنهما جعلا من غلة الوقف يوم القسمة للناظر كل عام أحمرين وللجاني أحمرا واحدا. ومنهما انهما شرطا قبل القسمة من الغلة بعمارة الوقف ان احتاج الوقف لذلك، والمقصود إبقاؤه، ووجوده عامرا لينتفع من غلته، وما تبقي بعد ذلك من الغلة يوزع علي أرباب الاستحقاق المعنيين المذكورين حسب ما شرطا. ومنها ان يؤجر البيت المذكور علي ذي شوكة ولا ظالم ولا مماطل ولا أكثر من سنة.

السابع .... من ربيع الأول من شهور سنة تسع وأربعين ومائة وألف من هجرة من له العزم والشرف وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

السيد إبراهيم ...... محمد دياب......؟ الشيخ عبده [1] .

(١) ملحوظة: مكان النقط كلمات غير مقرؤة، وأسماء الشهود وتوقيعاتهم غير واضحة تماما.

ملحق رقم (٨)
وثائق قصر أبريم

مـجـمـوعـة خـاصـة بالأرض ، والزواج، والنفقة، والميراث، قام بنشرها:

Martin Hinds and Hamdi Sakkout

Arabic Documents

4. Isl. Mus. 23973/83. 20 cm. *h.* × 14.5 cm. *w.*

Sidi Ḥusayn b. Muḥammad 'Abd al-'Aziz has certified that he has given
to his wife Fāṭima bt. Muṣṭafā, with her concurrence,
fifteen gold [pieces]. He (leg. She) has placed as a pledge for that,
for the fifteen gold [pieces], his (leg. her) particular share
5] in the land of ANYBH (scil. 'Anība). That is under pledge until he (leg. she) fulfils
[repayment of] the fifteen gold [pieces] and this [document] is a written confirmation (*tamassuk*) in the hands of Fāṭima bt. Muṣṭafā.
That (i.e. this certification) has taken place and been set down in the last part of the month of Shawwāl in the year 1045 (early April, 1636)

Witnessed by:	Witnessed by:	Witnessed by:	Witnessed by:
the *faqir* Ḥusayn *aghā*	Ḥaydar b. Ilyās	by: Ḥusayn b. Salmān	the *faqir* 'Ali *jāwish*

Right margin

Witnessed by:	Witnessed by:	Witnessed by:
The writer of the document Mūsā *kātib*	Ḥusayn b. Ibrāhīm *mu'adhdhin*	Sulaymān b. Mūsā *aghā*

THE ARABIC TEXTS

– ٥ –

حضر الى شهوده فخر الاماثل والاقران الامير محمد ابن المرحوم حسن كاشف
كان واشهد عليه الاشهاد الصحيح الشرعي المعتبر المرضى وهو
بصفة من يجوز الاشهاد عليه فيه شرعا انه اوهب
لابنته من صلبه عايشه المرزوقه من المرحومه
امنه جميع حصته فى نجار ابنة عبد الله المعترفه له
بالرق هبة شرعيه لا رجوع له فيها هبة صحيحه شرعيه
تامه معتبره مرضيه مشتمله علي الايجاب والقبول
الشرعيان تحريرا فى يوم الاثنين المبارك سابع
شهر ربيع الاول سنه ثمانيه واربعين والف ختمت
بالخير والشرف شـــهـود الحـــال ـــــــــ

الفقير حسين محمد حسن — الفقير علي محمد حسن — الفقير محمد احمد سربلوك — الفقير حسين سربلوك — الفقير محمد ولي كتخدا

الفقير ابراهيم مصطفى نقره — الفقير درويش ولد حسين عزيز — الفقير مصطفى علي — الفقير محمد ابن علي بحر — الفقير مراد علي جاوس

الفقير حسن ابراهيم — الفقير محمد ولد ابو راس — الفقير رجب بكير — الفقير بكير عيسى

5. Isl. Mus. 23973/112. 27 cm. *h.* × 14.5 cm. *w.*

Gift by: the *amīr* Muḥammad, son of the late Ḥasan, former *kāshif*
to: 'Āyisha, his daughter by the late Amna
of: his whole share in TJAR bt. 'Abd Allāh, who acknowledges her state of slavery to him
Supplement: that 'Āyisha is also to be regarded as one of his sons (i.e. for the purpose of inheritance)

Dated: Monday, 7 Rabī' I, 1048 (19–20 July, 1638)

THE ARABIC TEXTS

– ٥ –

حضر الى شهوده فخر الاماثل والاقران الامير محمد ابن المرحوم حسن كاشف
كان واشهد عليه الاشهاد الصحيح الشرعي المعتبر المرضى وهو
بصفة من يجوز الاشهاد عليه فيه شرعا انه اوهب
لابنته من صلبه عايشه المرزوقه من المرحومه
امه جميع حصته فى ثجار ابنة عبد الله المعترفه له
بالرق هبة شرعيه لا رجوع له فيها هبة صحيحه شرعيه
تامه معتبره مرضيه مشتمله علي الايجاب والقبول
الشرعيان تحريرا فى يوم الاثنين المبارك سابع
شهر ربيع الاول سنه ثمانيه واربعين والف ختمت
بالخير والشرف شهـود الحـال ـــــــ

الفقير حسين محمد حسن	الفقير على محمد حسن	الفقير محمد احمد سربلوك	الفقير حسين سربلوك	الفقير محمد ولى كتخدا	محـ
الفقير ابراهيم مصطفى نقره	الفقير درويش ولد حسين عزيز	الفقير مصطفى على	الفقير محمد ابن على بحر	الفقير مراد على جاوس	محمود سـ
الفقير حسن ابراهيم	الفقير محمد ولد ابو راس	الفقير رجب بكير	الفقير بكير عيسى	حسـ	

7. Isl. Mus. 23973/102. 30 cm. *h.* × 15 cm. *w.* Plate I

The pride of his peers and the adornment of his equals, *sidī* Ḥusayn, son of the late Muḥammad 'Abd al-'Azīz, has certified
that he has given to his daughter 'Āyisha [a plot of] one and a half *qīrāṭs* of the garden in Wādī Shibbāk with its dates, its land, its well, its halfa grass, and all that grows in it. He has given [that] to her for [the sake of] God, glory be to Him

ıd exalted is He, [seeking] neither reward nor thanks. Everyone who opposes him will be countered / God and His Messenger. By virtue of
at, one and a half *qīrāṭs* have become [the] possession of 'Āyisha bt. Ḥusayn 'Azīz,
om the flowing river to the very great mountain. The land has borders. The southern border is at the ɔrder [of the land] of Maḥmūd Nīl,
ıd the northern [border] is at the border of the land of Dālī 'Alī; the western is at the flowing river and e eastern at the very great mountain.
hat has taken place and been set down in the last part of the month of Rajab in the year 1061 (mid-ıly, 1651). God is sufficient for us, and He is an excellent guardian.

Witnesses

Ḥasan 'Alī Nīl	Muḥammad Hilālī	'Īsā Mabrūk (?)	'Uthmān Muḥammad	'Abd al-Jalīl Muṣṭafā	'Alī Hiḍr *jāwīsh*	Khalīl Muṣṭafā
'Abd al-'Azīz of the contingent of Sāy	Murād 'Alī *jāwish*	Muṣṭafā Ibrāhīm Bawwāb	Muḥammad Ja'far	Ḥasan Muḥammad *katkhudā*	'Īsā Muḥammad *aghā*	Ja'far Muṣṭafā
the *ḥājj* Muḥammad b. Manṣūr	Rajab Ḥasan *kāshif*	Muḥammad 'Alī Yaziqī	'Abd al-Barr Azharī *imām*	Muḥammad Muṣṭafā *ṭibi*	Murād Muḥammad Nīl	'Alī Nīl
	Muṣṭafā Ibn Ḥusayn	written by Mūsā *kātib*	Muḥammad Bakīr Jabra	Muṣṭafā Ja'far	Walī Aḥmad	Hiḍr 'Abd al-'Azīz

Document 7

THE ARABIC TEXTS

- ٧ -

اشهد علي نفسه فخر امثاله وزين اقرانه سيدى حسين بن المرحوم محمد عبد العزيز
انه اعطا لبنته عايشه قيراط ونصف من الجنينه بوادي شباك[١]
بيلحه وارضه وبيره وحلفته[٢] وجميع ما ينبت فيه اعطاه لله سبحانه
وتعالي لا جزا ولا شكورا وكل من عارضه خصمه الله ورسوله فبحكم
ذالك صار للحرمه عايشه بنت حسين عزيز قيراط ونصف ملكا له
من البحر الجاري الى الجبل الاعظم والارض له حدود الحد القبلي الى حد محمود نيل
والبحري الي حد ارض دالي علي والغربي البحر الجاري والشرقي الجبل الاعظم
جرى ذلك وحرر في اواخر شهر رجب من شهور سنه ١٠٦١ وحسبنا الله ونعم الوكيل

شـــهود الحال

حسن على نيل	محمد هلالى	عيسى مبروك (؟)	عثمان محمد	عبد الجليل مصطفى	على حضر جاويش	خليل مصطفى
عبد العزيز جاعت ساي	مراد على جاوس	مصطفى ابراهيم بواب	محمد جعفر	حسن محمد كتخدا	عيسى محمد اغا	جعفر مصطفى
الحاج محمد ابن منصور	رجب حسن كاشف	محمد على يزق	عبد البر ازهرى امام	محمد مصطفى طوبى	مراد محمد نيل	على نيل
مصطفى ابن حسين	وكاتب الحروف موسى كاتب		محمد بكر جبره	مصطفى جعفر	ولى احمد	حضر عبد العزيز

(١) بالأصل «شباك».

(٢) واضح انها «حلفاء» الشباك المعروف.

8. QI.78.2.14/4B [78/276]. 16 cm. *h.* × 10 cm. *w.*
The virgin Ḥurra bt. Ḥayḍar
has been married by Ḥasan b. Muḥammad Ilyās,
known as KARH b. Ilyās, on this day,
Sunday, in the month of Ṣafar the good (*al-khayr*)
in the year 1073 (September–October, 1662), for a *mahr* in the amount of sixty piast
and a slavegirl valued at twenty-five
piastres, an anklet valued at ten
piastres, one *sharīf(ī)* gold dīnar,
and a bracelet valued at two and a half
piastres — the total being one hundred piastres.

Witnesses present:

			al-faqīr 'Abd al-Qādir *al-nāyib*
Muṣṭafā *aghā* Ḥusayn	Sulaymān Bakir Zayyāt	Muḥammad Muḥammad Abū Rās	Muḥammad Ḥusayn Safar
Murād 'Alī *jāwīsh*	Muḥammad Khiḍr *ṣūbāshī*	'Abd al-Jalīl Muṣṭafā	

ARABIC DOCUMENTS FROM THE OTTOMAN PERIOD

– ٨ –

البنت البكر حره بنت حيضر
تزوجه حسن ابن محمد الياس
عرفه بكاره بن الياس فى يوم
تاريخه يوم الاحد فى شهر صفر الخير
سنه ١٠٧٣ بمهر قدره ستين قروش
وجاريه بثمن قدره خمسة وعشرين
قروش وخلخال بثمن قدره عشره
قروش ودينار ذهب شريف واحد
وسوار بثمن قدره قرشين ونصف
قرش يكون الجملة ماية قروش

الفقير
عبد
القادر
النايب

شـــهـود الحـاضـــريـن

محمد حسين

مصطفى اغا — سليمان — محمد — سفر
حسين — بكير زيات — محمد ابو راس
مراد على — محمد خضر
جاويش — صوباشى — عبد الجليل مصطفى

13. Isl. Mus. 23973/17. 15.5 cm. *h.* × 10.5 cm. *w.*

Main text
Cause of setting down etc.
at Qal'at Ibrīm, may God — exalted is He — make it prosperous,

before witnesses. The model of noblest men, the *amīr*
the *ḥākim* Ḥiḍr, *kāshif* at al-Sukkūt, has certified that he
[5] has donated to God and to His Prophet Muḥammad, may God bless
and preserve him, for his daughter Ḥalīma, the Qal'at Ibrīm house, the [well-]known house of *tubs*
Ibrāhīm. The northern limit
is at the lane, the southern limit is at the lane, the eastern is
at Māy Uḍabāshī (?), and the western at the lane next to
[10] the mosque. [This is] as a gift for the sake of God — exalted is He — [seeking] neither reward n
thanks
on the day when there is of avail neither property nor children, save [for] him, who comes to God w
sound heart (Koran 26:88f).

Legally correct etc.

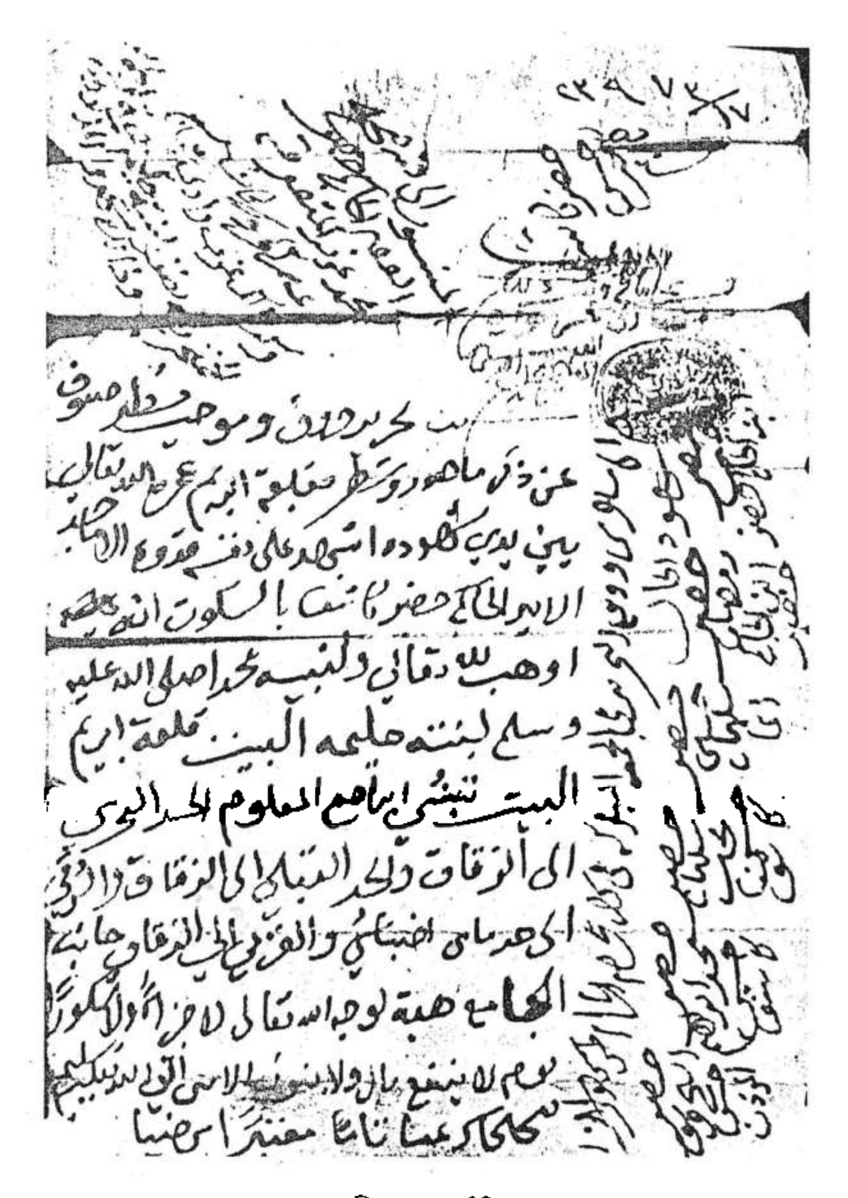
Right margin
The setting down of what has passed has taken place on blessed Friday in the month of Muḥarram
sacred (*al-ḥarām*) in the year 1081 (May–June, 1670)

Witnesses

Present: Rajab b. *al-ḥākim* Ḥiḍr	Present: Ramaḍān b. *al-ḥākim* Ḥiḍr	Present: Ḥusayn Sulaymān *aghā*	Present: Sulaymān Muḥammad Ḥasan *kāshif*	Present: Muḥammad Ibrahīm Ḥasan *kāshif*	Present: *al-shaykh* Yūsuf Ḥasan *mu'adhdhin*

Top right
The writer, Ḥasan, *kātib* at Ibrīm, was present

Top left
That which is attributed to me in it (the document) is true
[Signed by] the *faqīr*, the *ḥākim* Ḥiḍr
Muḥammad 'Azīz of the *mutafarriqa*,
formerly famed in wars. True.
Also [to] the west of Wādī Tabbān (?) of
the Khamanjariyya (?) — half for his daughter Ḥalīma for the sake of God.
The [afore-]mentioned have witnessed that.


... محمد ... وموجب مسطر موصوف
عن ذكر ما هو مسطر مقابلة ابنه ... الله تعالى
بيني يدي شهوده اشهد على نفسه ... الاماجد
الامير الحاكم حضرنا ... بالسكوت انه ...
او وهب لله تعالى ولنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم لبنته حليمه البنت ... ابريم
البيت ... المعلوم الحد البحري
الى الزقاق والحد القبلي الى الزقاق ...
... والغربي الى الزقاق ...
الجامع هبة لوجه الله تعالى ...

Document 13

ARABIC DOCUMENTS FROM THE OTTOMAN PERIOD

- ١٣ -

(كلمات مطموسة)

سبب تحرير حروف وموجب تسطير صنوف

عن ذكر ما صدر وتسطر بقلعة ابريم عمره الله تعالى

بين يدي شهوده اشهد على نفسه قدوة الاماجد

الامير الحاكم حضر كاشف بالسكوت انه

اوهب لله تعالى ولنبيه محمدا صلى الله عليه

وسلم لبنته حليمه *البيت قلعة ابريم

البيت تيشي ابراهيم المعلوم[١] الحد البحري

الى الزقاق والحد القبلي الى الزقاق والشرقي

الى حد ماى اضباشي[٢] والغربي الى الزقاق جانب

الجامع هبة لوجه الله تعالى لا جزاءً ولا شكوراً

*يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم[٣]

صحيحا[٤] شرعيا تاماً معتبراً مرضيا

ذلك ما جرى ووقع التحرير في العشر المباركة في شهر محرم الحرام من شهور سنة ١٠٨١

شهود الحال

(* ١) اي بيت قلعة ابريم، بيت تيشي ابراهيم المعلوم.

(* ٢) لعلها «ماء اودة باشي»

(* ٣) سورة «الشعراء» ٨٨، ٨٩.

(٤) اي «هبة صحيحة شرعية .. الخ.

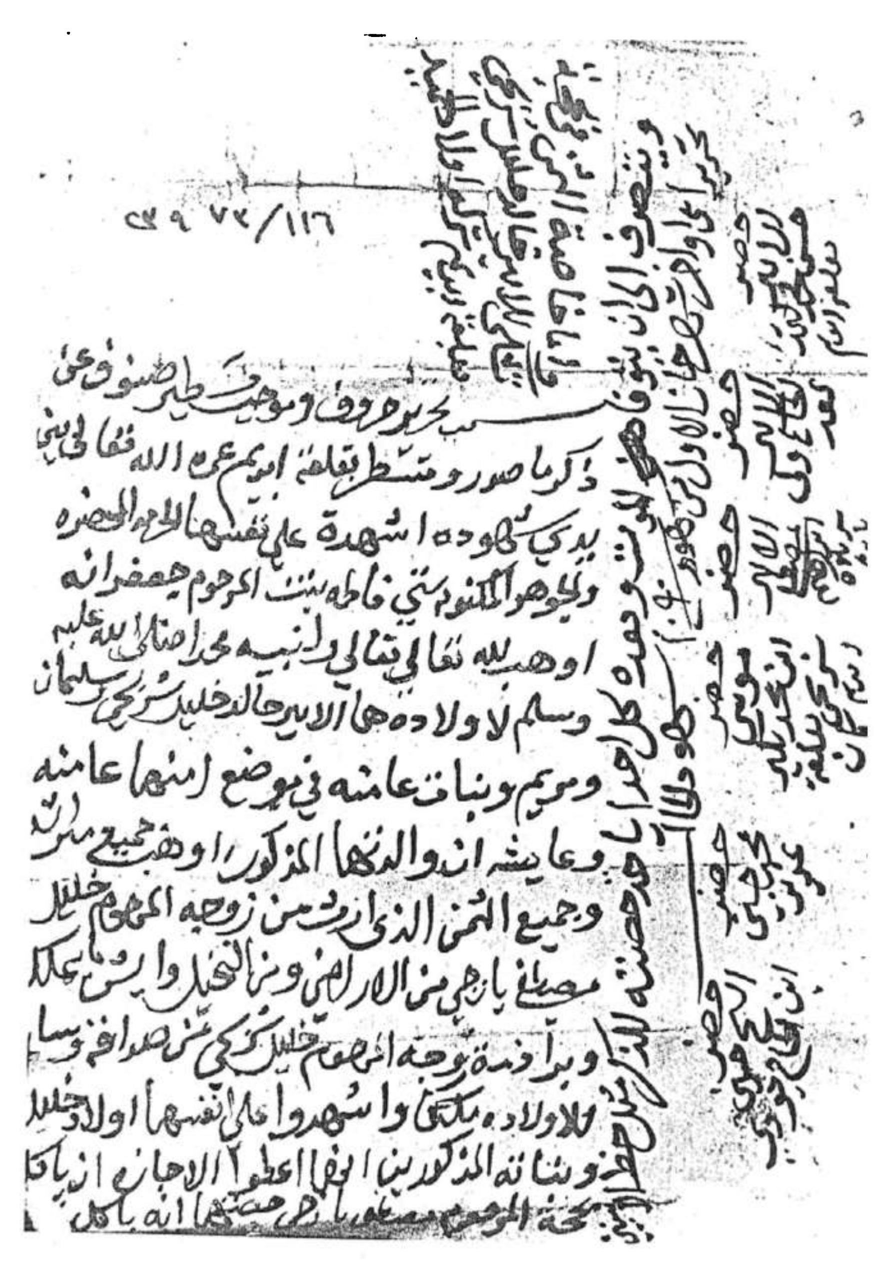
18. Isl. Mus. 23973/116. 21 cm. *h.* × 15 cm. *w.*

Plate 3

At: Qal'at Ibrīm, before witnesses
Gift by: *sitti* Fāṭima, daughter of the late Ja'far
to: (her son) Khālid Khalīl *shurbajī*
(her son) Sulayman [Khalil]
(her daughter) Maryam
the daughters of 'Āmina in place of her daughter 'Āmina
(her daughter) 'Āyisha
of: the whole of her inheritance and the whole eighth that she inherited from her husband, the late Khalīl Muṣṭafā Yāzijī – land, palms, and whatever she possesses. She has exempted her husband, the late Khalīl *shurbajī*, from [payment of] her marriage settlement (*ṣadāq*), which [accordingly] becomes the possession of the children.

The children have certified that they have given her leave – in accordance with the document of the late [Khalīl?] Muṣṭafā Yāziji – to live off these shares of theirs and act freely [with them] until she dies, after which each will take his share, the male taking the share of two females.

Dated: last part of Jumād(ā) I, 1090 (early July, 1679)
Supplement: with regard to the eighth in the Tushkā document, [that is] for the *amir* Khālid Khalīl *shurbajī*, [and is held] in partnership with the sons of al-Ḥumayd.



Document 18

١٨

سبب تحرير حروف وموجب تسطير صـرف عن

ذكر ما صدر وتسطر بقلعة ابريم عمره الله تعالى بين

يدي شهوده المشهدة علي نفسها الحرمه المحصره[1]

والجوهر المكنونه ستي فاطمه بنت المرحوم جعفر انه

اوجب لله تعالى[2] ولنبيه محمدا صلى الله عليه ٥

وسلم لاولاده هما[3] الامير خالد خليل شرنجي وسليمان

ومريم وبنات عامنه في موضع ابيها[4] عامـه

وعايشه ان والدتها المذكوره اوهب جميع ميراته

وجميع الذي الذي ٥ابث من زوجه[5] المرحوم خليل

مصطفى بازجي من الاراضي ومن النخيل وايش ما تملكه ١٠

٥وبرا دمة زوجه[6] المرحوم خليل شرنجي ٥من صداقه وسار

للاولاده ملكا[7] واشهدوا عل انفسها اولاد خليل

وبناته المذكورين انهما اعطوا الاجازه ٥ان باكل[8]

حجة المرحوم مصطفى بازجي حصتها ٥انه باكل[9]

واما خاصة[10] التي في حجة

تشكي للامير خالد حسن شرجي

بقلعة ابريم شركه اولاد الحميد

---

(١) لعله يقصد المخدرة. (٢) كلمات مكررة بالأصل

(٣) مستخدمة هنا ... سطر (١٣) وفي وثائق أخرى بالمعنى ... الى ...

(٤) أي ابنها والضمير يرجع لست عائشة سطر (٤)

(٥) أي الذي ورثته من زوجها (٦) أي وبرأت ذمة زوجها

(٧) من صداقها وصار ملكا لأولادها (٨) أي أن تأكل ... عائشة

(٩) أي وتتصرف إلى أن يتوفاها الموت

(١٠) لعلها وأما حصة، أو (مخصوص) التي ... للأمير خالد ... أي ...

24. Isl. Mus. 23973/35. 20.5 cm. *h.* × 15 cm. *w.*

Plate 4

This is a legal valid document and an accepted unequivocal record,
the content of which is known and understood. To continue: the virtuous lady (*hurma*)
and hidden jewel, the possessor of the screen and the veil (*al-sitr wa'l-hijāb*), *sittī* Amna,
daughter of the late Khalīl Tūsiya, has bought with her own wealth and that of no other
[5] from the vendor, the *shaykh* Muṣṭafā b. Faḍl al-Jābirī, whose authorised representation
on behalf of his brother 'Alī b. Faḍl in that respect is legally established, [having been] witnessed by *sīdī* 'Alī Khālid,
sīdī Ḥasan 'Abd al-Jalīl, *sīdī* Khalīl Muṣṭafā Sakūrī, *sīdī*
Muḥammad Farḥānī, and *sīdī* Khalīl Muṣṭafā Bālih and whose authorised representation
is established also on behalf of his brother Ḥusayn b. Faḍl, witnessed by *sīdī* Khalīl Muṣṭafā
[10] Bālih, [she has bought] a complete half from the whole of a young slavegirl called Ḥubsa bt.
'Awna. Specification of that: what is from the [afore-]mentioned 'Alī — one-third of the [afore-] mentioned
slavegirl; what is from the [afore-]mentioned Ḥusayn — one sixth. The total comes to
one half of the [afore-]mentioned slavegirl. That is for a known price, the amount being in
piastres — twenty-eight piastres taken into possession by the hand

Right margin

of the [afore-]mentioned vendor with his acknowledgement, legally valid before witnesses, [that] he has confirmed the sale, has taken possession of the price, and has freed
the [afore-]mentioned purchaser [from obligation], by legal taking into possession [of the price] and receipt in full. The [afore-]mentioned purchaser has acknowledged legal
purchase and handing-over — legal sale and legal purchase. The setting down of what has passed has taken place on the first day of the month of Muḥarram in the year 1108 (31 July–1 August, 1696).

Witnesses

sīdī 'Alī Khālid	*sīdī* Ḥasan 'Abd al-Jalīl	*sīdī* Khalīl Muṣṭafā Sakūrī	*sīdī* Muḥammad Farḥānī	*sīdī* Ḥasan Sulaymān *aghā*	Written by the *shaykh* 'Alī b. *al-ḥājj* Ḥabīb, *tābi'* of al-Mallawī

٢٩٧٣/٢٥

فهذه وثيقة صحيحة شرعية وحجة مرعية مرضية
يعرب مضمونها ويعلم مكنونها وبعد فقد اشترت الحرمة
المصونة والجوهرة المكنونة ذات الستر والحجاب [illegible] آمنة
ابنة المرحوم خليل قرسية بمالها لنفسها دون مال غيرها
من ابيها الشيخ مصطفى بن فضل جابر [illegible] الثابت توكيله
في ذلك شرعا عن اخيه علي بن فضل بشهادة سيدي علي
وسيدي حسن عبد الجليل وسيدي خليل مصطفى سكر [illegible]
محمد وحسين وسيدي خليل مصطفى بالله والثابت توكيله
ايضا عن اخيه حسين بن فضل بشهادة سيدي خليل [illegible]
بالله جميع النصف من كامل جارية سعدى تسمى حبسه بنت
عمرانه بيان ذلك ما هو من علي المذكور من الجارية المذكورة
الثلث وما هو من حسين المذكور السدس تمام الجملة
النصف من الجارية المذكورة وذلك بثمن معلوم قدره
من القروش ثمانية وعشرون قرشا مقبوضة بيد

THE ARABIC TEXTS

٢٤ –

فهذه وثيقه صحيحة شرعية وحجة صريحة مرضية
يعرف مضمونها ويفهم مكنونها وبعد فقد اشترت الحرمة
المصونة الجوهره المكنونه ذات الستر والحجاب ستي امنه
ابنت المرحوم خليل توسيه بمالها لنفسها دون مال غيرها
من بايعها الشيخ مصطفي بن فضل الحابري الثابت توكيله 5
في ذلك شرعا عن اخيه علي بن فضل بشهادة سيدي علي خالد
وسيدي حسن عبد الخليل وسيدي خليل مصطفي سكوري وسيدي
محمد فرحني وسيدي خليل مصطفي باله الثابت توكيله
ايضا عن اخيه حسين بن فضل بشهادة سيدي خليل مصطفي
باله جميع النصف من كامل جاريه صغيره تسمي حبسه بنت 10
عونه بيان ذلك ما هو من علي المذكور من الجاريه المذكوره
الثلث وما هو من حسين المذكور السدس تصير الجمله
النصف من الجاريه المذكوره وذلك بثمن معلوم قدره
من القروش ثمانية وعشرون قرشا مقبوضة بيد

البايع المذكور باعترافه لدي شهوده الاعتراف الصحيح الشرعي اقر بالبيع وقبض الثمن وبرا
ذمة المشترية المذكوره براة قبض وستيفا شرعيين واعترفت المشترية المذكوره بالشرا
والتسليم الشرعيين بيعا وشرا شرعيين وعلى ما جري وقع التحرير في غرة شهر محرم من شهور سنه ١١٠٨

شهـــــــــــود الحال

سيدى علي خالد
سيدى حسن عبد خليل
سيدى خليل مصطفي سكوري
سيدى محمد فرحني
سيدى حسن سليمان اغا
كاتبه الشيخ علي بن الحاج حبيب تابع المقرى

Plate 5

32. Isl. Mus. 23973/101. 14.5 cm. *h.* × 15.5 cm. *w.*

Cause of setting down etc.
The *amir* Yūsuf, former *kāshif* in the *wilāya* of Ibrim
has confirmed and certified that he has neither right nor title
against the late Khalīl Tūsiya, nor against his children,

[5] in respect of the camel which the slave of the [afore-]mentioned late
Khalīl Tūsiya killed. [The value of] that camel has been provided for (*iqāma*)
in his fees (*'awāyid*) and he has left off [litigation] from this date.
The *amir* Yūsuf *kāshif* has no right against those mentioned [above]
in respect of that camel — neither claim, nor demand, nor anything else.
[10] To this we have been witnesses on 26 Safar (sic) the good (*al-khayr*) in the year (1)115 (11–12 Ju 1703).

The writer of this 'Alī Khalīl Yāziji	Present and witness 'Alī b. ... at Qal'at Ibrim	Present and witness Sulaymān	In the presence of Muḥammad b. Ḥasan [of the] *'azabān*

Right margin
The *amir* Yūsuf *kāshif* has mentioned that
the *muqaddam* 'Awāḍ has nothing to do with the [afore-]mentioned
camel, and whoever claims [such] thereafter — his claim is
false.

Top right
The *faqīr*
Yūsuf
kāshif
in the *wilāya* of
Ibrīm
formerly
SEAL

الفقير	سبب تحرير الحروف وباعث تسطيرها
يوسف	اقر واشهد علي نفسه الامير يوسف كاشف
كاشف	•بولايه ابريم سابقا انه لا يستحق ولا يستوجب
بولايه	عند خليل توسيه المرحوم ولا عند اولاده
ابريم	من قتل الجمل الذي قتله عبد المرحوم
سابقا	خليل توسيه المذكور وانقام ذلك الجمل
(ختم)	في عوايده وترك ذلك من يوم تاريخه
	فصار الامير يوسف كاشف لا يستحق عند المذكورين
	من قبل ذلك الجمل لا دعوى ولا طلب ولا غير ذلك
	وبه شهدنا عليها في ٢٦ شهر سفر الخير سنه ١١٥ (١)

كاتبه	حضر	حضر	حضرت
على خليل	وشهد على	وشهد	محمد بن حسن
بازجى	.٢. بقلعه	سليان	عزبان
	ابريم	.٢.	
	.٢..٢.	.٢.	

34. Isl. Mus. 23973/98. 18 cm. *h.* × 16 cm. *w.*

ILLEGIBLE
SEAL

Main text
Cause of setting down etc.
at Qal'at Ibrīm, may God — exalted is He — make it prosperous,

Dated: (1)116 (1704–5)
Supplement: *sitt* Amna has taken from the [above-]mentioned palms two *qīrāṭ*s for one *maqṭ*

٩٨/٧٢

Document 34

الحمد لله
مستحق الحمد على الدوام
كاتبه حسن موسى كاتب
بقلعة ابريم ونايب
الشرع الشرف[٧] الشريف
بولاية ابريم حالا

(ختم)

سبب تحرير حروف وموجب تسطير سنوف

[١]عن ذكر ما صدر وتسطر بقلعة ابريم عمره الله تعالى بين

يدي شهوده اشهد على نفسه عبد العزيز ابن سليمان كاشف

انه شهد على نفسه ان الامير الحاكم حضر كاشف بالسكوت

5 انه اوهب لبنته حليمه زوجة عبد العزيز سليمان كاشف

•البيت القلعه بيت طبشي ابراهيم[٢] بكامل البيت ثم ان اولاد حليمه

حضر وحسن وخديجه وعايشه بنات حليمه قبضو ثمن البيت

•المذكوره الحرمه عامنه بنت[٣] خليل محمد تويسه ثمانيين

وعشرين حمويه وشهد بذالك عبد العزيز المذكوره بما قبضوا

10 بكامل الثمن الثمانين وعشرين حمويه اولاده وبناته المذكورين

وسار البيت الكامل بموجب حجه الموهبه[٤] بته حليمه ملكا

للحرمه عامنه بنت خليل تويسه[٥] صحيحا شرعيا بايجاب وقبول صحيحين شرعيين والى ما جري

ووقع التحرير في نهار الجمعه المباركه عشره فى شهر صفر الخير من شهور سنه الف وستة عشره بعد الالف[٦]

شهـــــود الحال

حضر	حضر	حضر	حضر	حضر	حضر	حضر	حضر
بيرام	خليل	على حسن	محمد عبد الجليل	سليمان	حسن	ايوب	محمد على
سليمان	سكورى	ابراهيم	تويسه[٥]	بيرام	سليمان	محمد عزيز	برغل
قد نايبه		جواب		طبشي	طبشي		

(١) كلمة «سنوف» مكررة في أول هذا السطر

(٢) لعل المقصود هو «بيت قلعة ابريم المعروف ببيت طبشي ابراهيم» انظر الوثيقة رقم (١٣)

(٣) لعل المقصود قبضوا ثمن البيت المذكور (من) الحرمة وكلمة «بنت» مكررة في الأصل.

(٤) لم يرد في الوثيقة ما يفيد أن حليمة قد وهبت البيت لولديها وبناتها إلا هذه الإشارة ولعلها كانت ـ كزوجها ـ لا تزال على قيد الحياة، أي أن الملكية تمت لأولادها هبة لا إرثا

(٥) صحتها (تويسة) انظر سطر (٨) من هذه الوثيقة وكذلك المقدمة

(٦) لعلها «ألف وست عشرة بعد الألف» لأن تاريخ وثيقة الهبة الأصلية من الحاكم حضر لابنته حليمة هو سنة ١٠٨١هـ انظر الوثيقة رقم (١٣)

(٧) الصيغة المألوفة هي «الشرع الشريف» ولعله ذكر «الشرف» من باب التأكيد

36. Isl. Mus. 23973/73. 16 cm. *h.* × 10.5 cm. *w.*

Recto

Gift by: 'Alī Dahshāb b. Muḥammad b. 'Alī

to: his son, Ḥasan b. 'Alī Dahshāb

of: (1) one *būra* of *barakāwī* palms

(2) one-third of a *būra* of *barakāwī* palms, of which one and a third rows are for the wife o the mother of the [afore-]mentioned son. The [afore-]mentioned palms are bearing fruit i *sāqiya* of Bakhīt in the *nāḥiya* of ASKY (scil. Tushkā) (the location of the row is specified)

Dated: 1116 (1704-5)

Verso

After the greatest of greetings to him, it is not hidden from him (i.e. you), by God, O 'Alī, [the should not be slow.

We [have sent] to you a letter via the Barābra (see *EI*[2] s.v.) that you should sell for us seven or eight or ten *ardabb*s of dates by all possible means (*min kull[i] budd[in] wa-sabab*), because the matter is very urgent, by God, O my brother — by all possible means,

5] Send it (i.e. the money) to us, for we have had syphilis.

Praise be to God, we are now well. We have been idle for five months. Sell the dates to Muḥammad son of 'Umar and to Sulaymān

From Ḥusayn
Abū Rās

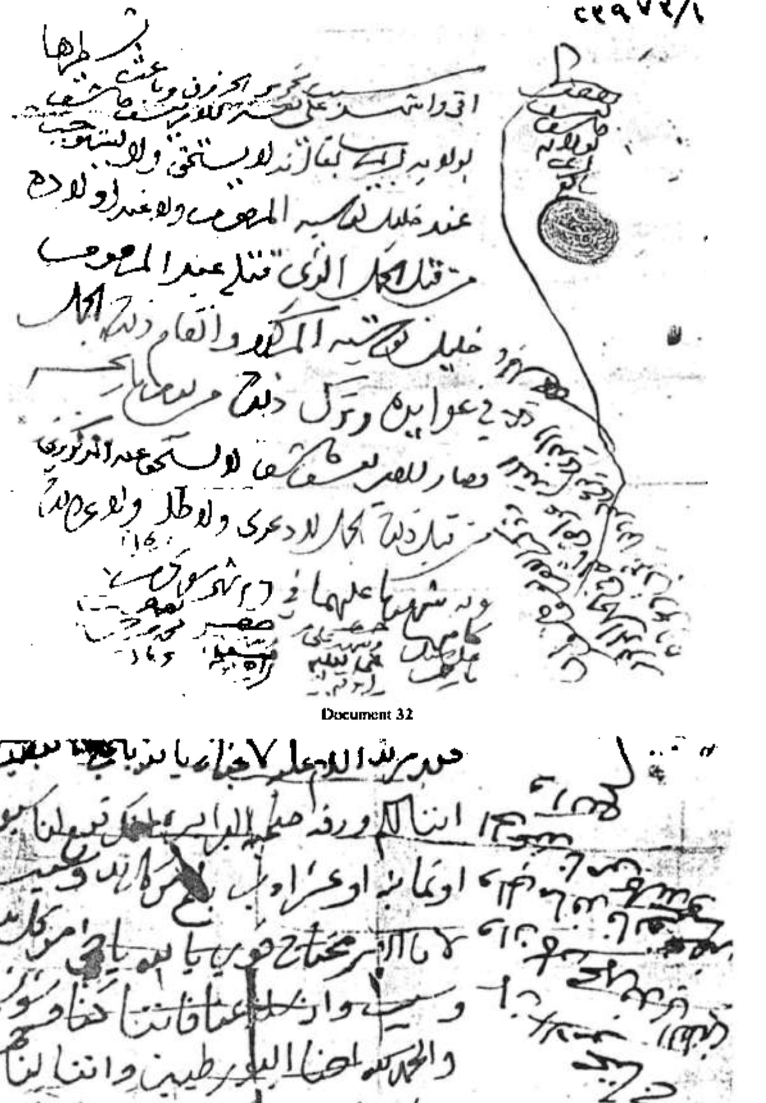
Right margin

because the matter is very urgent.

Whether he has redeemed the [pledged] alluvial land (*al-ṭīn*) or has not redeemed it, Muḥammad should come to us; [sell] by all possible means.

Peace.

PLATE 5



Document 32

Document 36 verso

THE ARABIC TEXTS

- ٣٦ (أ) -

(وجه الوثيقة)

سبب تحرير حروف وموجب
تسطير سوف صدر ما تسطر
اقر واشهد علي نفسه علي
دهشاب ابن محمد ابن علي
الاقرار الصحيح على المذ[1] اعطط[2] 5
لولده حسن ابن على دهشاب
ابن سلبه[3] اعطط[2] واحد بورة
نخل بريهاوي وفي واحد بورة نخل
بركاوي ثلث وفي نخل الثلث المذ
كور صفا[4] وثلث لزوجة على المذكور 10
والدة الولد[5] المذكور النخلات
مثمرات في ساقية بخيت بناحية
اسكي[6] النخلات في صف البحران جنب
التحتان واحد النخل الكامل في صف
القبلان جنب الفوقان معطا صحيحا 15
شرعيا قبولا والخيار والايجاب

---

(١) أى «علىّ هذا». (٢) أى أعطى. (٣) أى ابنه من صلبه.
(٤) كلمة «صفا» مصححة عن صفي ومكتوبة فوق السطر.
(٥) فى الأصل كلمة «الولد» مصححة عن «الوالد».
(٦) الكلمة غير واضحة فى الأصل ولعل المقصود «ناحية شكى».

ARABIC DOCUMENTS FROM THE OTTOMAN PERIOD

- ٣٦ (ب) -

(ظهر الوثيقة)

بعد مزيد السلام عليه لا يخفاه بالله[١] يا علي ما تبطيشي

*اننا لكم[٢] ورقه صحبه البرابره انك تبيع لنا سبعة

او ثمانيه او عشر ارب[٣] بلح من كل بد وسبب

لان الامر محتاج قوي بالله يا خي من كل بد

وسبب وارسله عنا[٤] فاننا كنا وشوشين[٥] 5

والحمد لله احنا اليوم طيبين واننا لنا خمسه[٦]

اشهر بطالين وانك تبيع البلح من عند حسين

ابو راس

محمد ولد عمر والي سليمان

---

(١) الكلمة غير واضحة بالأصل ولعلّ المقصود هو ما اقترحنا.

(٥ - ٢) كذا بالأصل ولعله يقصد «اننا أرسلنا لكم».

(٣) أي «أردب».

(٤) لعل المقصود «عندنا».

(٥) لعلها «مشوشين» (عامية) أي مصابين بمرض الزهري.

(٦) كلمة «خمسه» مكتوبة فوق «لنا».

55. Isl. Mus. 23973/87. 19.5 cm. *h.* × 15.5 cm. *w.* Plate 7. 8

Recto

The peace of God — exalted is He — and His compassion. We specify for that
[our] dear brother Muṣṭafā Ḥasan, may God — exalted is He — make him great. Amen.
After greeting him, it is not hidden from him (i.e. 'you') that we are thinking of you
much, etc. There is not hidden from him (i.e. 'you') that of which we inform you,
5] O Muṣṭafā, O brother, that you are our authorised representative — authorised representative after me (? — *'aqibī*).
O my brother, you — O Muṣṭafā — are my authorised representative to cultivate the *jarf* of the garden (taking *j. nāna* as *junayna*)
of Bint Bashīr; the *jarf* of Abū Ḥaddād is to be cultivated by Bint (leg. Ibn?)
Farḥanī; the palms from the garden going southwards towards Tushqa
are to be taken [scil. by Muḥammad Ja'far] on a half and half basis (*munāṣafa*). You, O brother, are our authorised representative, a legally
0] authorised representative — you, Ḥasan Farḥanī and Muḥammad Ja'far.
O Muṣṭafā, brother, bring them
and give them their due.

From Muḥammad
Ḥasan 'Abd al-Jalīl
Yāzijī

Right margin
and take
'Īsā *aghāh*
to the *nāḥiya* of
the west of Tushqa,
and clear
what is owing to your sister
from Ṭawīl
'Alī
and take
with you
Muḥammad *jūrbajī* (*sic*)
and Bashīr Sulaymān
and Ḥasan
Farḥanī
and may God — exalted is He —
keep you.
Peace.

Verso

On this date, the *amīr* 'Īsā Bayram *aghāh* came to the *nāḥiya* of the west of
Tushka, accompanied by a body of troops, on account of 'Āsha bt. Ḥasan 'Abd

al-Jalīl Yāziji — on account of her inheritance and her marriage settlement (*ṣadāq*) specified as owed by the late Ṭawīl 'Alī

Muṣṭafā. Muḥammad Ismā'īl and his children are the legatees of Ṭawīl 'Alī, and Muṣṭafā Ḥasan

[5] is the authorised representative for his sister, for payment of the marriage settlement. The late Ṭaw(īl) 'Alī had given them,

in his lifetime, twenty-three piastres and, as a clothing allowance (*ḥaqq kisā*), he gave them half a *būra* of palms in Tushka, in al-Khōr, in [their own] possession. Similarly in the west of Tushka, he gave three-fifths

of the *sāqiya* of Ḥākim in respect of the value (*ḥaqq*) of a slave (*khādim*) [of hers], being fifteen piastres. Then, after that,

after his death, Muḥammad Ismā'īl and his children gave [her] a [gold] *bunduqi* worth fourteen piastres,

[10] as well as fifteen *qirāṭs* in three *būras* of palms in the *sāqiya* of Surūr

worth fifteen piastres. In addition, [there is a sum of] twelve piastres for

redemption of the land, [this being] the share of 'Abd al-Jalīl (scil. her grandfather) in the *sāqiya* of Surūr, which was pledged with Ṭawīl 'Alī for twelve piastres. [This] will continue [to be regarded] as the case until (*lammā*)

he brings the *tadhkira* in which the amount of the money is written. The remainder of the marriage settlement owed by him

is thirteen piastres. That has passed in the daytime of Wednesday, 2 Jumād(ā)
II, in the year 1148 (20–21 October, 1735).

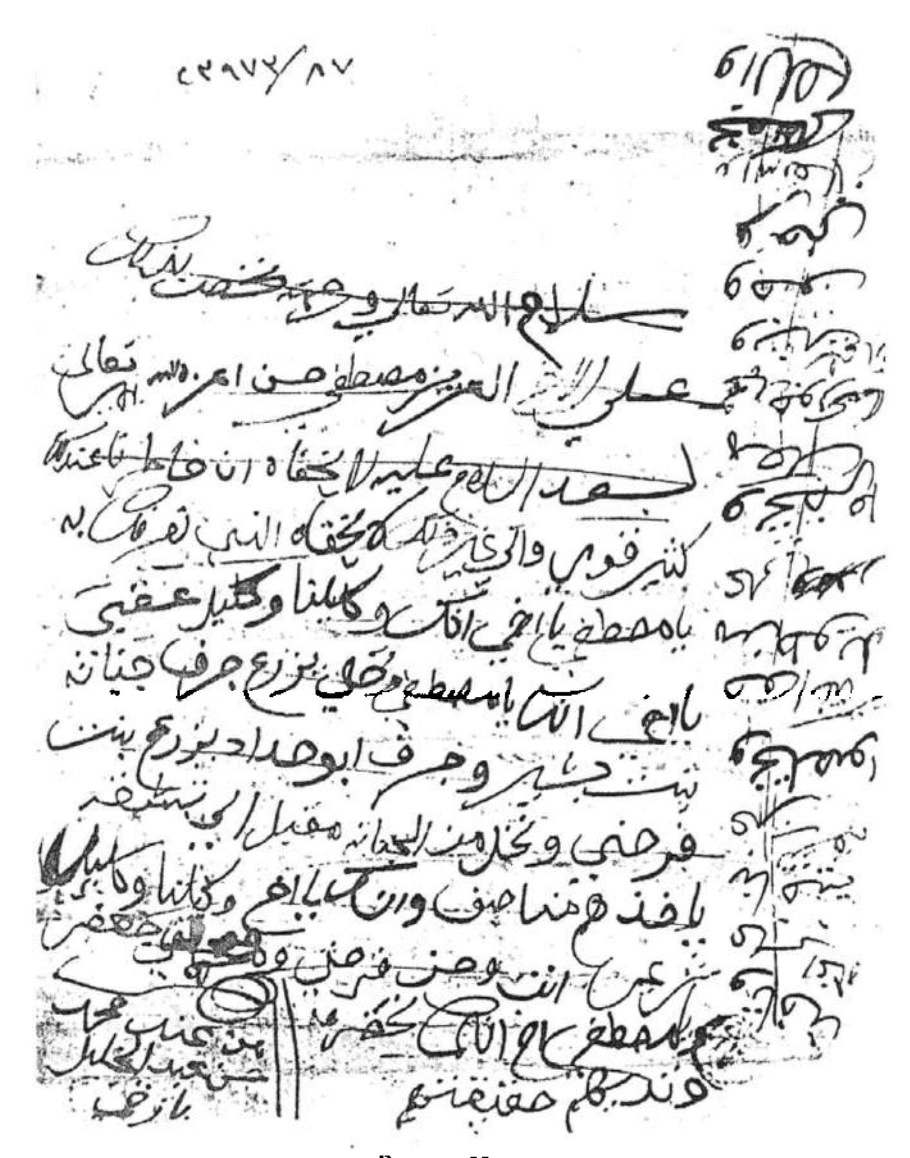
Witnesses

Witnessed by Ḥasan Aḥmad *shurbaji*	Witnessed by Wafi *sanjaq*	Witnessed by Aḥmad Ḥasan *aghāh*	Witnessed by Muḥammad Bayram *aghāh*	Witnessed by 'Īsā Bayram *aghāh*

Right margin

That has passed with joy and gladness, and God gives success in achieving what is right. Witnessed by:

the writer of this, Sulaymān Muṣṭafā *aghāh* — Bashīr Muḥammad Iwāb



Document 55 recto

ح٢٩٧٦/٨٧

لما كان بتاريخه ان الامير علي بيرم اغاه حضر في ناحية غوب
تشكه وفي صحبته جمعة من العسكر بسبب عائشة بنت حسن عبد
الجليل يا زهيد بسبب ميراثه وصداقه الكتب على المرحوم طوبال علي
مصطفى وان محمد اسماعيل واولاده ورثا طوبال علي ومصطفى حسن
وعبد الجليل عن اخته في سداد الصداق وان المرحوم طوبال علي كان اعطاهم
في حياته ثلاثة وعشرين قروش وفي حق كما اعطاهم نصف بورة
نخل في تشكه في الجزور ملكا وكذالك في غوب تشكه اعطا ثلاثة احباء
في ساقية حاكم في نظير حق خادم بخمسة عشر قروش ثم بعد ذالك
بعد وفاته محمد اسماعيل والاولاده اعطو بندقي باربعة عشر قروشا
وكذالك في ساقية سرور في بوركة ثلاثة نخل خمسة عشر قيراط
بخمسة عشر قروش وبعد ذالك اثنعشر قروش تحت
لها الارض كان مرهونا حصة عبد الجليل في ساقية
سرور عند طوبال علي اثنى عشر قروش باقي تحت ذالك لما
بحضر المذكوره المكتوبه بقدر المال الباقي من الصداق عليه
ثلاثة عشر قروشه وجرا ذالك في نهار الاربع ثاني جماد
الاخر سنة ١٢٤٠

وحرر ذالك بطلب القلوب وانشراح الصدور والعالم

شهد بذالك علي بيرم اغاه — شهد بالحال سعيد بيرم اغاه — شهد بذالك احمد حسن اغاه — شهد بذالك علي سعيد — شهد بذالك احمد موسى

Document 55 verso

(وجه الوثيقة)

سلام الله تعالي ورحمته تخص بذلك

علي الاخ العزيز مصطفي حسن اعزه الله تعالى امين[١]

بعد السلام عليه لا يخفاه ان خاطرنا عندك

كثير قوي والي غير ذلك لا يخفاه الذي نعرفك به

يا مصطفي يا اخي انك وكيلنا وكيل عقبي 5

يا اخي انك يا مصطفي وكيلي يزرع جرف جنانة

بنت بشير وجرف ابو حداد يزرع بنت[٢]

فرحني ونخل من الجبانه مقبل الى نشقه

ياخذهم[٣] مناصفه وانك يا اخ وكيلنا وكيلا

شرعي انت وحسن فرحني ومحمد[٤] جعفر 10

ويا مصطفى اخ انكم تحضرهم

(ختم) وتديهم حقيقتهم

من عند محمد

حسن عبد الجليل

يازجي

(١) كلمة «آمين» مكتوبة تحت «تعالى» فى الأصل.

(٢) فى الأصل «بنت» ولعله يقصد «ابن فرحني» كما هو واضح من بقية النص.

(٣) فاعل «ياخذهم» غير مذكور ولعله «محمد جعفر» كما ترشحه بقية النص.

(٤) كلمة «محمد» مصححة فى الأصل عن كلمة مشطوبة وغير واضحة.

(٥) توجد بعد «علي» كلمة مشطوبة وغير واضحة.

(٦) الكلمة غير واضحة.

(ظهر الوثيقة)

لما كان بتاريخه ان الامير عيسى بيرم اغاه حضر فى ناحية غرب نشكه وفي صحبته جمعة[1] من العسكر بسبب عاشه بنت حسن عبد الجليل بازجي بسبب ميراثه وصداقه المكتب على المرحوم طويل على مصطفى وان محمد اسماعيل واولاده ورثاو[2] طويل على ومصطفى حسن وكيل عن اخته فى سداد الصداق وان المرحوم طو(يل) على كان اعطاهم فى حياته ثلاثة وعشرين قروش وفى حق كما اعطاهم نصف بورة نخل فى نشكه فى الخور ملكا وكذالك فى غرب نشكه اعطاه ثلاثة اخماس فى ساقية حاكم فى نظير حق خادم بخمسة عشر قروش ثم بعد ذالك بعد وفاته محمد اسماعيل واولاده اعطو بندقي باربعه عشر قرشا[3] وكذالك في ساقية سرور فى ثلاثة بورات نخل خمسة عشر قيراط بخمسة عشر قروش وبعد ذالك اثنعشر قروش تحت فدا الارض *كان مرهونا حسة[4] عبد الجليل في ساقية سرور عند طويل علي اثنى عشر قرش باقى تحت ذالك لما يحضر التذكره المكتوبه بقدر المال والباقي من الصداق عليه ثلاثة عشر قروش وجرا ذالك فى نهار الاربع ثاني فى جماد الاخر سنه ١١٤٨

وجرا ذالك بطيب القلوب وانشراح الصدور والله الموفق للصواب شهد بذالك

كاتبه سليمان

مصطفى افندي

حسين محمد ابراهيم

شهود الحال

شهد بذالك حسن احمد شريجي	شهد بذالك ولى سنجق	شهد بذالك احمد حسن اغاه	شهد بذ الك محمد بيرم اغاه	شهد بذالك عيسى بيرم اغاه

(١) كذا بالأصل والمقصود «جماعة».

(٢) كذا بالأصل ولعل المراد «ورثوا».

(٣) توجد بالأصل بعد «اربعه عشر» وفوق «قرشا» جزء من كلمة هو «حسو» ولعله كان سيكتب «محسوبة».

(٤ - ٥) كذا بالأصل ولعل المقصود «وهى حصة عبد الجليل التى كانت مرهونة»

57. Isl. Mus. 23973/57. 19 cm. *h.* × 15 cm. *w.*

Receipt by: *sitti* Fāṭima bt. Muḥammad Ḥasan 'Abd al-Jalīl Yāzijī
from: Bashīr Sulaymān Khalīl *aghāh*
of: twenty-eight piastres, each piastre being thirty *nisf fiḍḍa*
for which is pledged: the whole of the share of Muḥammad Nūr b. Muḥammad 'Alī in the *nāḥiya* of QBḌ in the *sāqiya* of Yāzijī, this having been given to her by him as marriage settlement (*ṣadāq*) legally specified as owed by him

Dated: Monday, 15 Dhū 'l-Qa'da, 1154 (22–23 January, 1742)

THE ARABIC TEXTS

– ٥٧ –

[سبب تحريرها][1] وموجب تسطيرها

هو [انه في تا]ريخه اقرت واشهدت [على نفسها]

[الحرمة العاقلة في] صحت عقلها وسامت بدنها[2]

من غير اكراه ولا اجبار[3]

ستي فاطمه بنت محمد حسن عبد الجليل يازجي

انها اخذت وتسلمت وقبضت الي[4] بشير

سليمان خليل اغاه ثمانية وعشرين

قروش كل قرش ثلاثين نصف فضه وارهنت

له تحت ذالك جميع حصت محمد نور ابن

محمد علي بناحية قبض في ساقيه يازجي ان

محمد نوري المذكور اعطاها لفاطمه المذكور

تحت صداقها المكتتب عليه شرعا وان فاطمه

المذكور ارهنت الي عند بشير المذكور...

بقدر المذكور رهنا صحيحا شرعيا

مشمولا بالايجاب والقبول وبه شهدنا والله خير

الشاهدين تحريرا في الاثنين المبارك في خامس

عشره شهر ذي القعده سنه ١١٥٤

---

(١) الوثيقة متقطعة ويحتمل أن تكون الكلمات المدونة هي ما اقترحناه بين الأقواس.

(٢) أي وصحة عقلها وسلامة ....

(٣) توجد بعد كلمة «اجبار» عبارة مشطوبة هي «انها اخذت وتسلمت».

(٤) أي «من».

ملحق رقم (٩)
الصور والأشكال الأثرية

(١) قبة الشيخ أدريس ود الارباب بالعيلفون.

(٢) قبة الشيخ النجمى بن الشيخ حمد ولد ادريس.

(٣) قصر ملوك دنقلا، حول الملك برشنبو قاعة الطابق الأعلى إلى مسجد فى سنة ١٣١٧م.

(٤) شاهد قبر كتب بالعربية، اكتشفه آدامر ضمن مجموعة من شواهد القبور فى جزيرة مينارتى ببلاد النوبة، وتعتبر شواهد القبور من الدلائل على تعايش المسلمين والنوبيين والنوبيين فى النوبة السفلى منذ القرن الأول الهجرى.

(اللوحة بأسم فاطمة بنت ابراهيم بن اسحاق بن عيسى).

(٥) تمثال خشبى لاحد القواد الصليبيين، عثر عليه ضمن حفريات اتيرى، وأيضا: صليب تم اكتشافه فى قبر اسقف من اواخر الاساقفة بكنيسة فرس (حوالى سنة ١٣٠٠م).

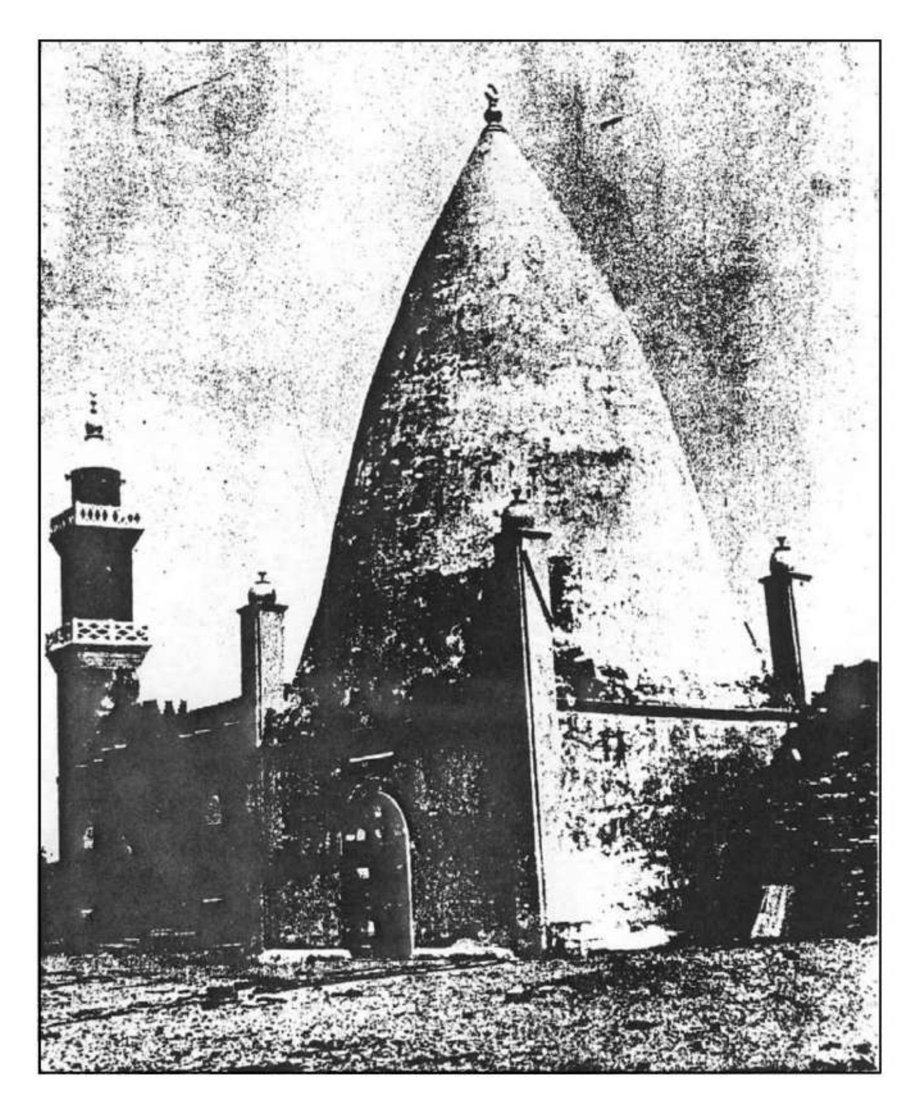
متحف الخرطوم القومى.

(٦) قطعتان من الفن الفخارى النوبى كلاهما من دنقلا.

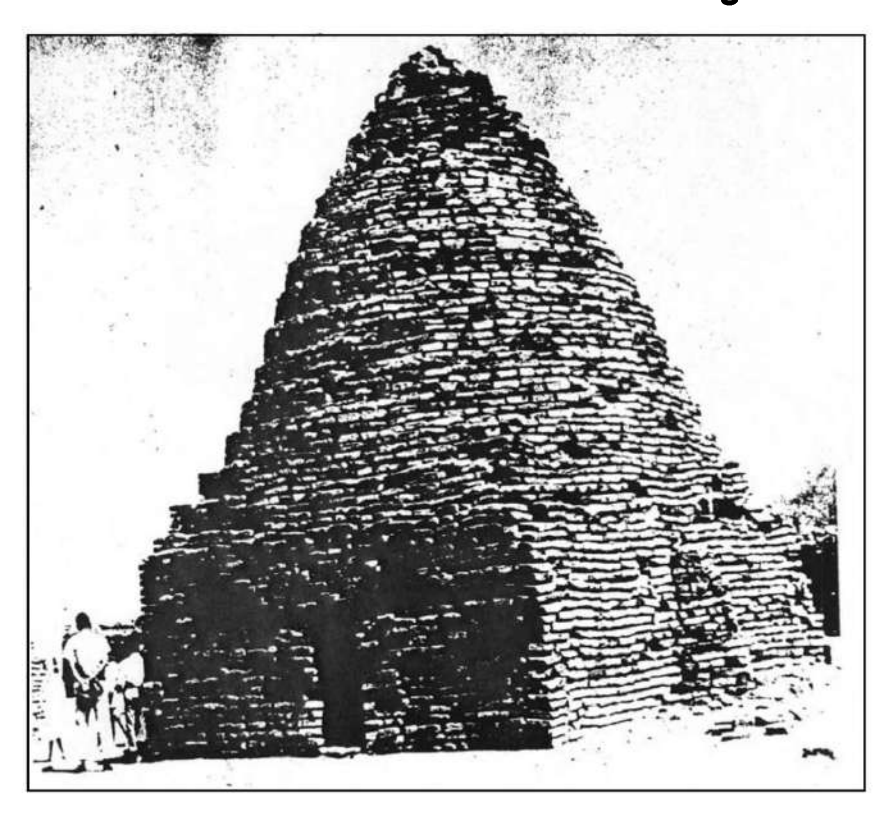
(٧) نماذج من الاوانى الفخارية والزجاجية المكتشفة فى قصر أبريم وعيذاب عن:
The Cemeteries fo Qasr Ibrim, A report of the excavations conducted by W.B. Emery im 1961 by A.J. Mills. Egypt Exploration Society, London 1982, Pl LXXX VII.

(٨) منظر قصر أبريم الواقع فى النوبة المصرية.

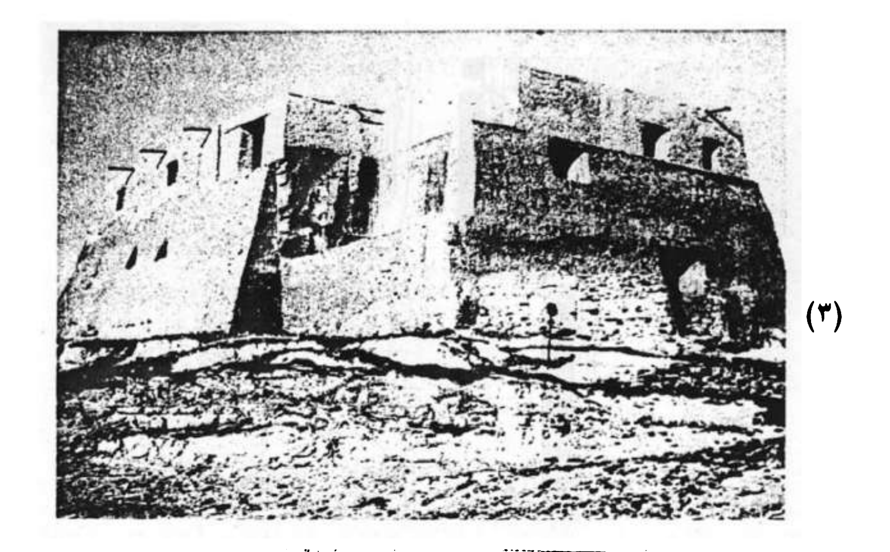
(٩) تحصينات نوبية قديمة مبنية على رأس جبل فى جزيرة قرب عكمة.



(١) قبة الشيخ ادريس ود الارباب بالعليفون

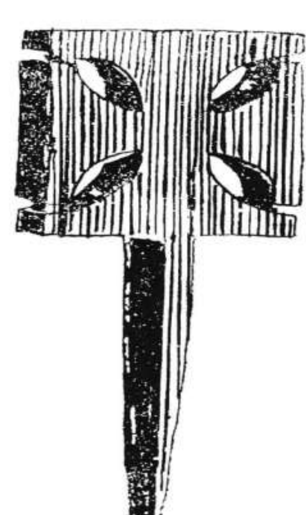


(٢) قبة الشيخ النجمى بن الشيخ حمد ولد ادريس

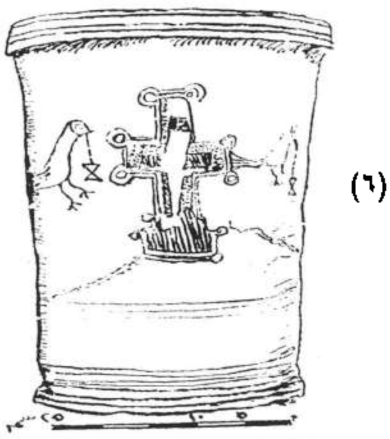


(٣)

(٤)

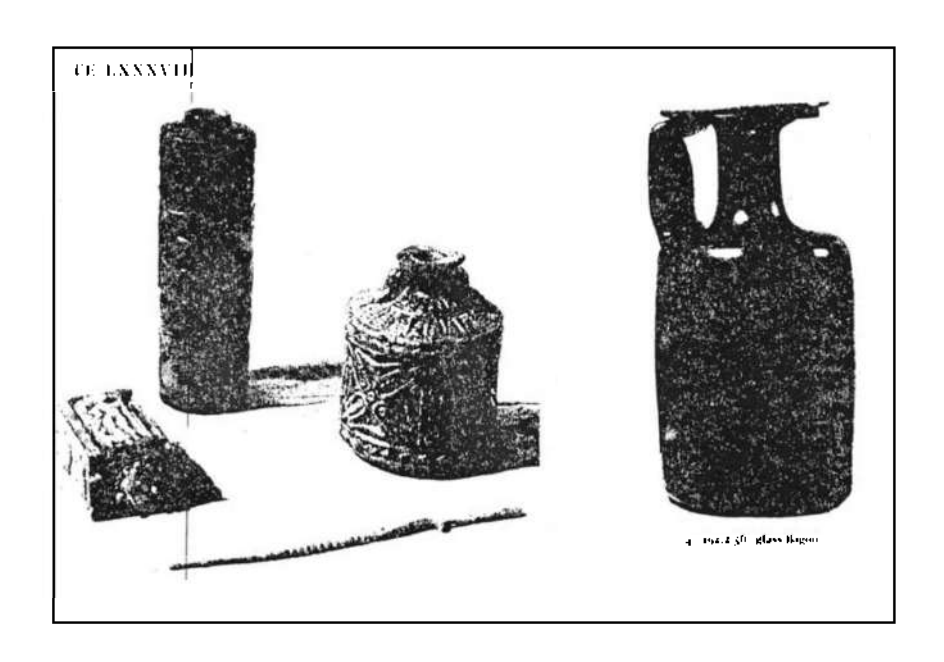



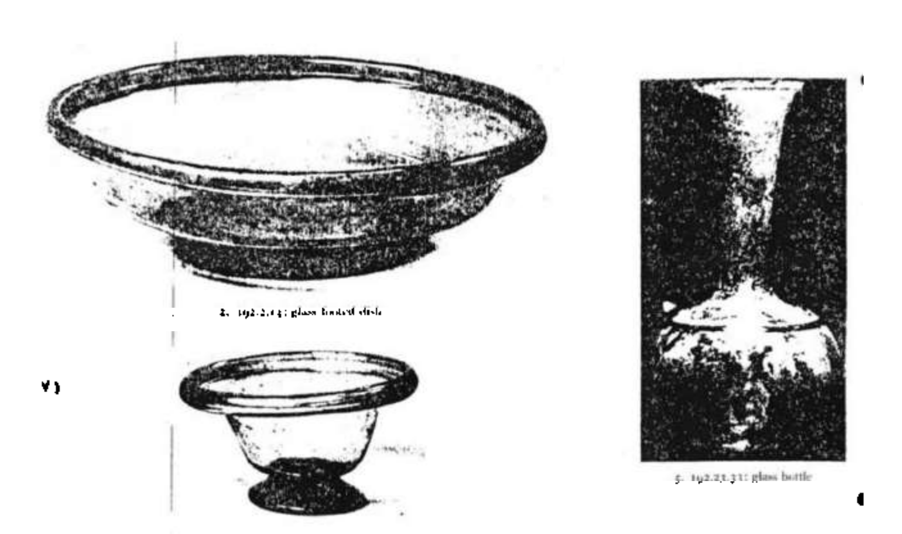
(٥) يسارك: التمثال الخشبى لاحد الصليبيين من حفريات أتيرى – يمينك : صليب تم اكتشافه فى قبر اسقف من اواخر الاساقفة بفرص (حوالى سنة ١٣٠٠م)

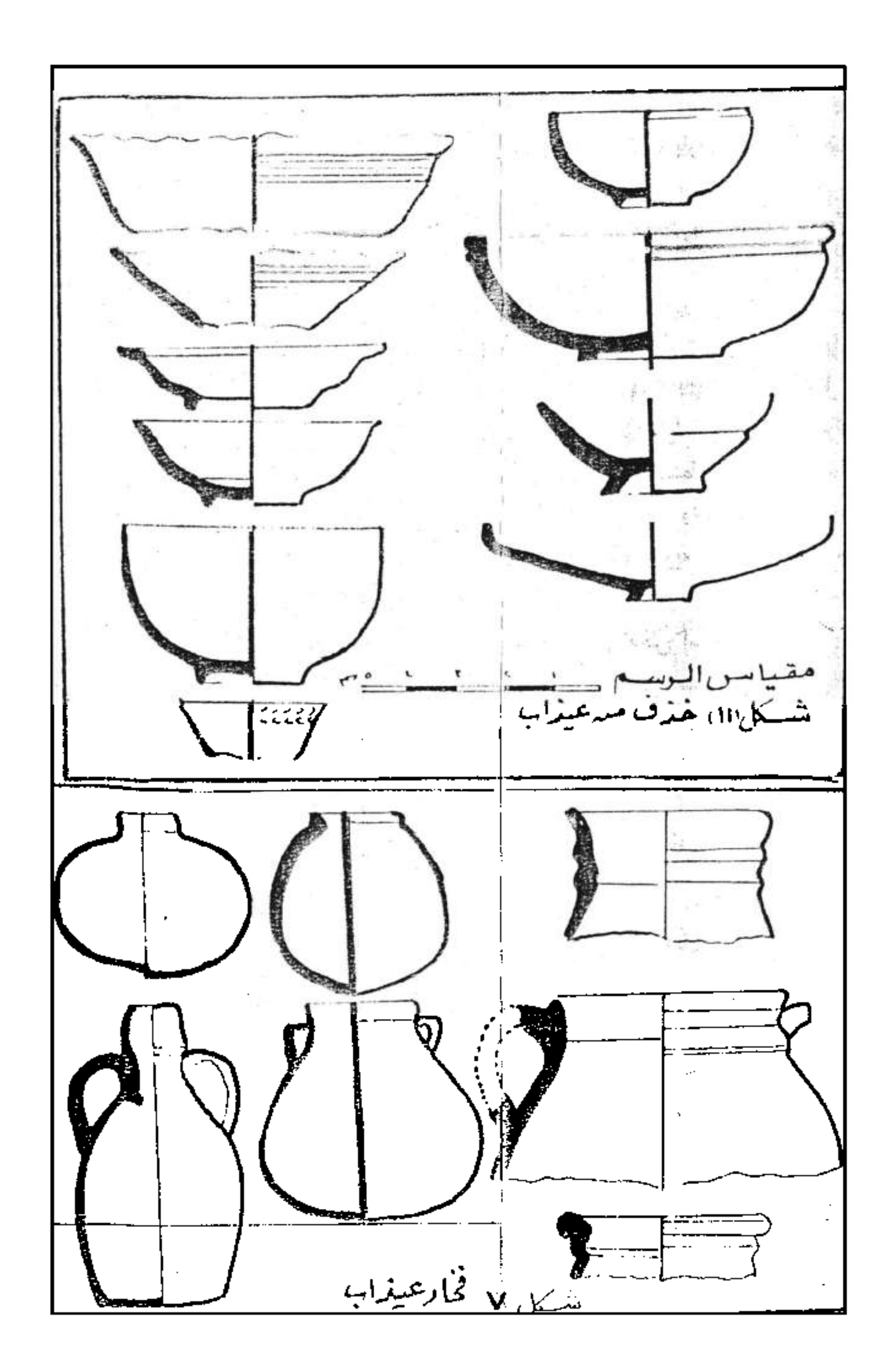
(٦)

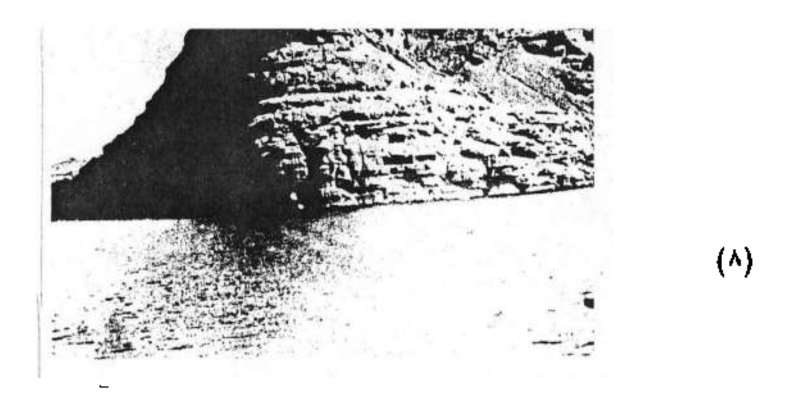
قطعتان من الفن الفخارى النوبى كلاهما من دنقلا: اناء معلق يوضع فيه المصباح وستار للشباك (شعرية) بشكل صليب – متحف السودان القومى.



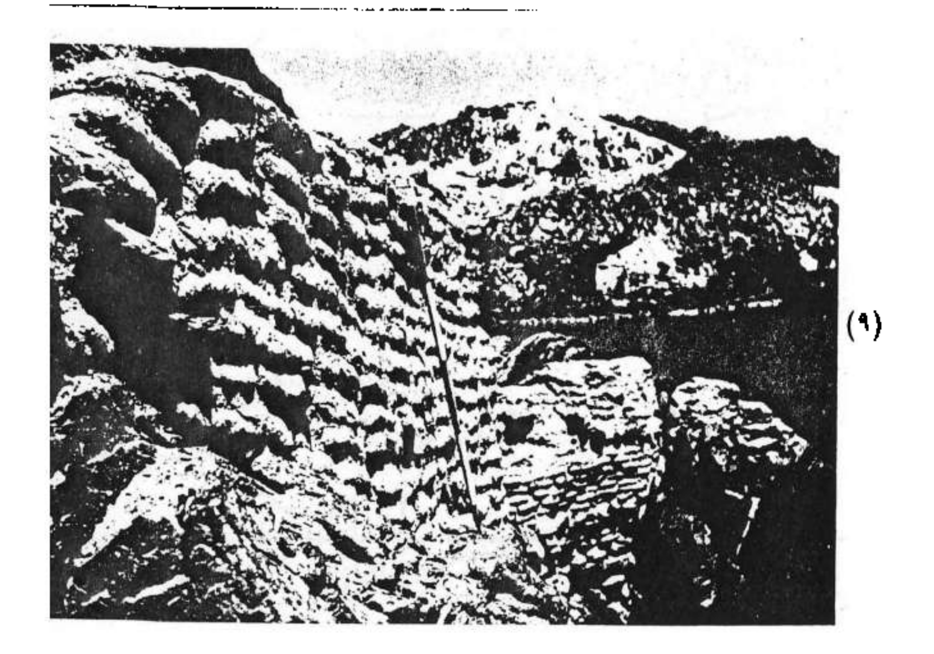


٧١


مقياس الرسم
شكل (١١) خزف من عيذاب
شكل ٧ فخار عيذاب



(٨)



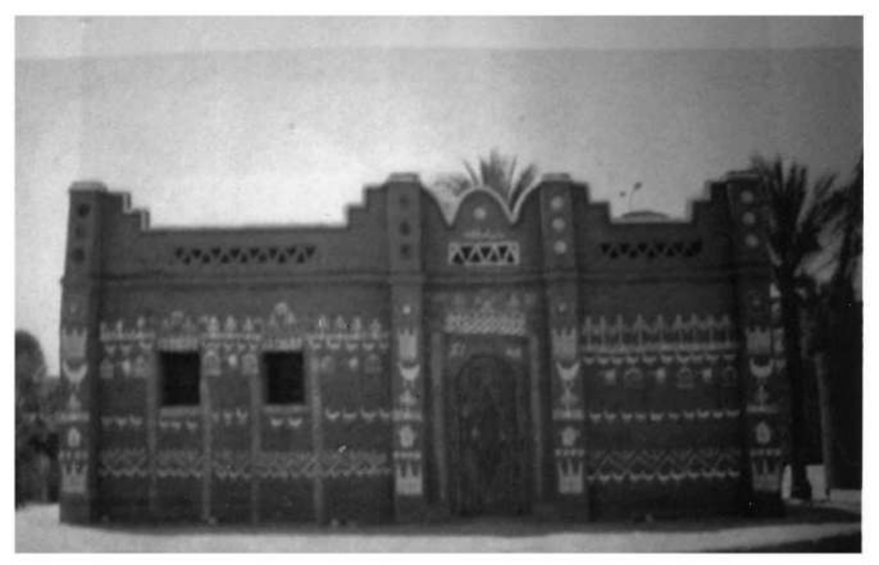
(٩)

ملحق رقم (١٠)

الاشكال التوضيحية التى تمثل العصر المملوكى فى مصر، وبلاد النوبة (سودان وادى النيل).

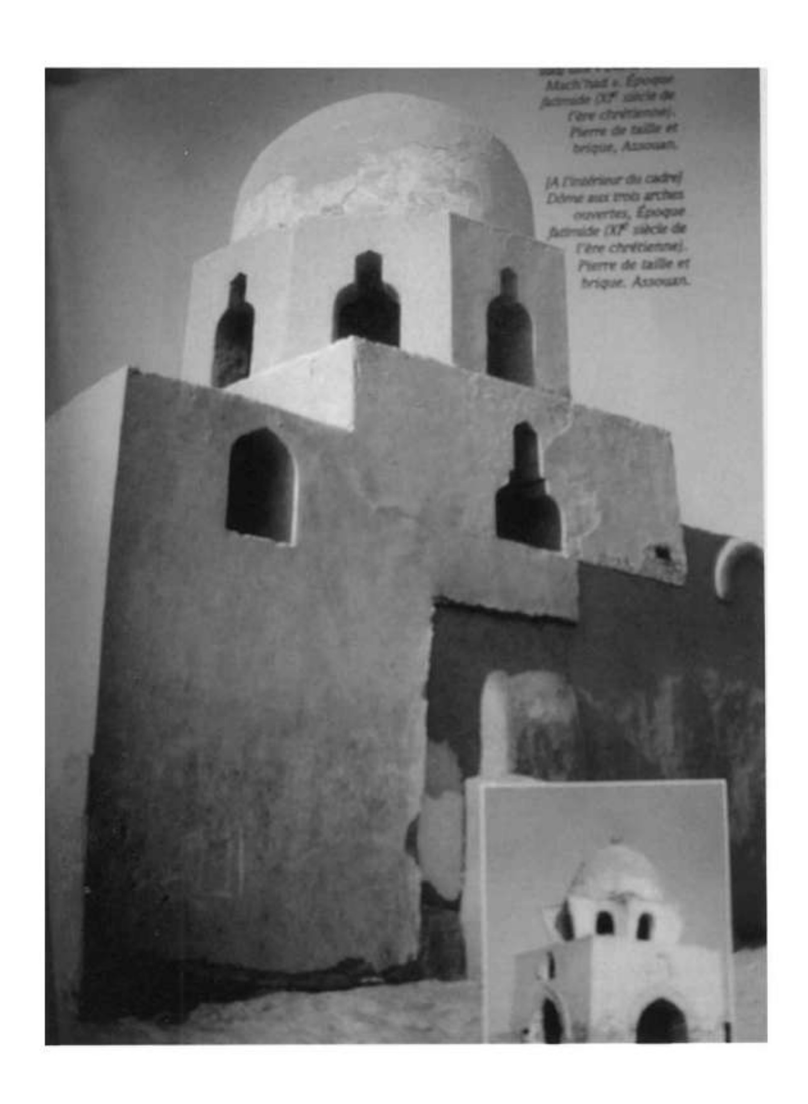
شكل رقم (١) ، (٢) زخارف البيوت النوبية
شكل رقم (٣) من قباب أسوان
شكل رقم (٤) كنيسة عبد الله نرقى بالنوبة
شكل رقم (٥) تاج نوبى من العصر المسيحى
شكل رقم (٦) نقش قبطى بالنوبة
شكل رقم ٧ ، ٨ من الاثاث النوبى
شكل رقم ٩ ، ١٠ ادوات المنزل فى اسوان والنوبة
شكل رقم (١١) صينية من جبل عدة بالنوبة
شكل رقم (١٢) من وسائل التسلية قسطل بالنوبة
شكل رقم (١٣ ابريق مزخرف بالنوبة
شكل رقم (١٤) قنينة من جبل عده بالنوبة
شكل رقم (١٥) حلى من الذهب
شكل رقم (١٦) انية فخارية بالنوبة
شكل رقم (١٧) ، (١٨) فخار النوبة
شكل رقم (١٩) ، (٢٠) من أدوات المرأة النوبية
شكل رقم (٢١) مخطوط من العصر المملوكى من قصر ابريم بالنوبة
شكل رقم (٢٢) مخطوط من قصر ابريم
شكل رقم (٢٣) ، (٢٤) نماذج من شواهد القبور





شكل رقم (١) ، (٢)
زخارف البيوت النوبية (متحف النوبة)

Ahmed. M. Al Hakem: Reflectins and Comments on M.wenzel's House Decoration in Nubia; Wenzel (M) House Decortion in Nubia London



شكل رقم (٣)
نموذج من قباب أسوان (قبة المشهد، قبة الجانب الجنوبى؛ وهى من العصر الفاطمى، القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى)
المرجع Musée de la Nubia, p. 67



شكل رقم (٤)
من كنيســة عــبــد الله نرقى بالنوبة؛ وهي تمثل الظهــور الالهى مع الصليب: تمثل الحقبة المسيحية لممالك النوبة.
انظر: محمد غيطاس: التصوير فى بلاد النوبة، ص ١٨٩ Musée de la Nubie, p65.



شكل رقم (٥)
تاج يمثل امتزاج من الفن المروى والفن البيزنطى من الفترة المسيحية بالنوبة مطعم بالفضة واللؤلؤ. وجد فى البلينة بالنوبة Ballana Nubie
Musée de la Nubie, p69.



شكل رقم (٦)
نقش قبط على حجر الجير وجد بمنطقة النوبة فيه نقش على شكل طائر النسر، وهو يرجع إلى الفترة المسيحية بالنوبة
Musée de la Nubie, p63.



شكل رقم (٧)، (٨)

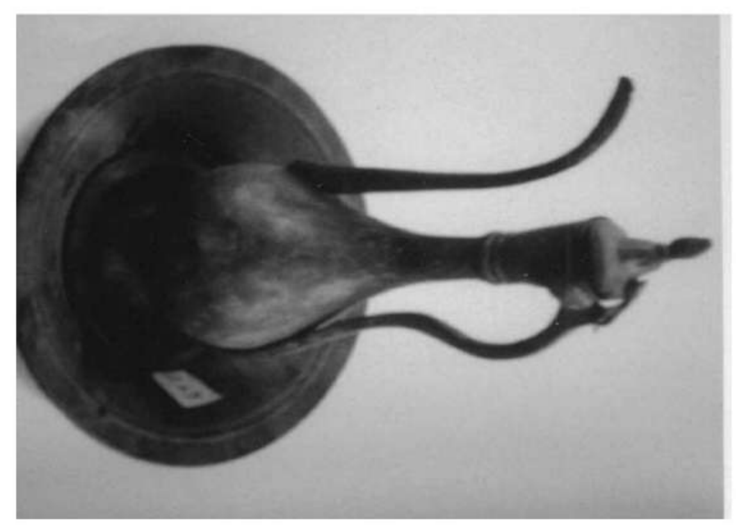
من الاثاث النوبى:

خزانة نوبية، مصنوع من الخشب، مزخرف برسومات، يستعمل لحاجات العروس

شمعدان من العصر الفاطمى، قصر ابريم - النوبة

Qaser Ibrim, Nubia

Musée de la Nubie, p72.



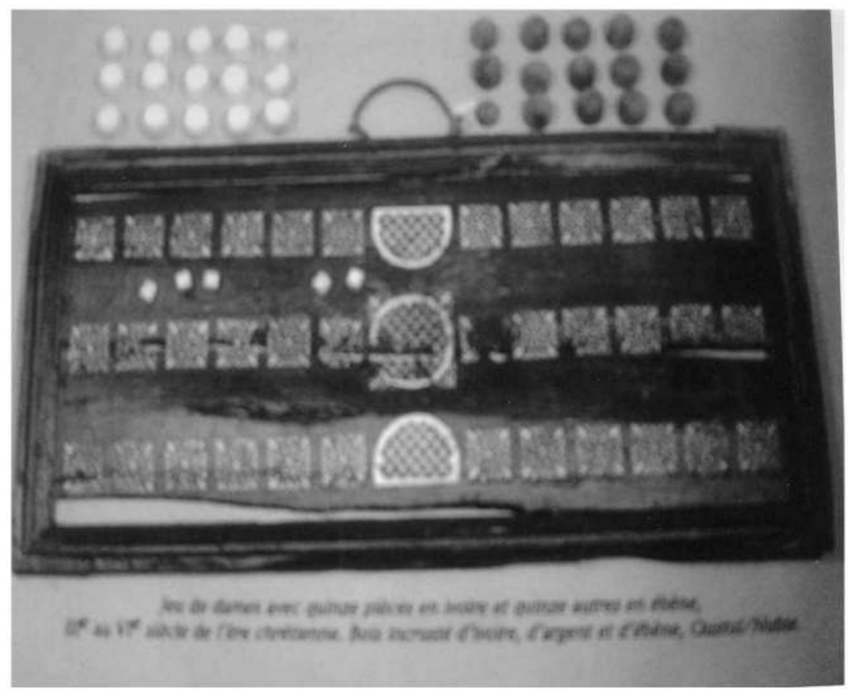


شكل رقم (٩)، (١٠)
ابريق على شكل فاكهة الكمثرى، مكون من ثلاث قطع صناعة حديثة من النحاس، باسوان.
كرسى من خشب النخيل، والمعدن، صناعة حديثة بالنوبة
Musée de la Nubie, p72-73.



شكل رقم (١١)
صينية كبيرة بيضاوية ملونة باللون الاصفر، فيها خطوط من الكتابة التى ترجع الى القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى العصر المملوكى جبل عدة بالنوبة Gabel Adda Nubie

C.F: Musée de la Nubie, p69.



شكل رقم (١٢)

نموذج لوسائل التسلية

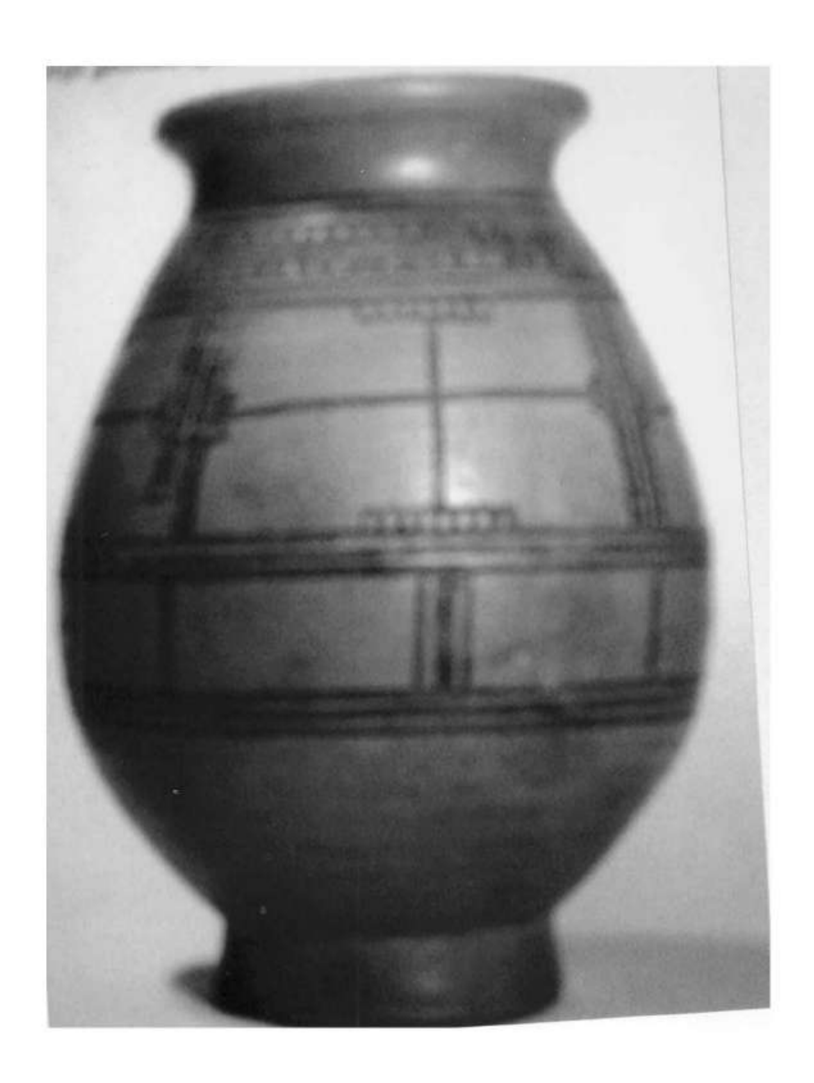
لعبة خاصة بالنساء مكونة من خمسة عشرة قطعة من العاج، وخمسة عشرة قطعة من الابنوس؛ خشب مطعم بالعاج والفضة والابنوس من القرن السادس الى الثامن الميلادى من منطقة قسطل بالنوبة Qustul Nubie

C.F: Musée de la Nubie, p66.

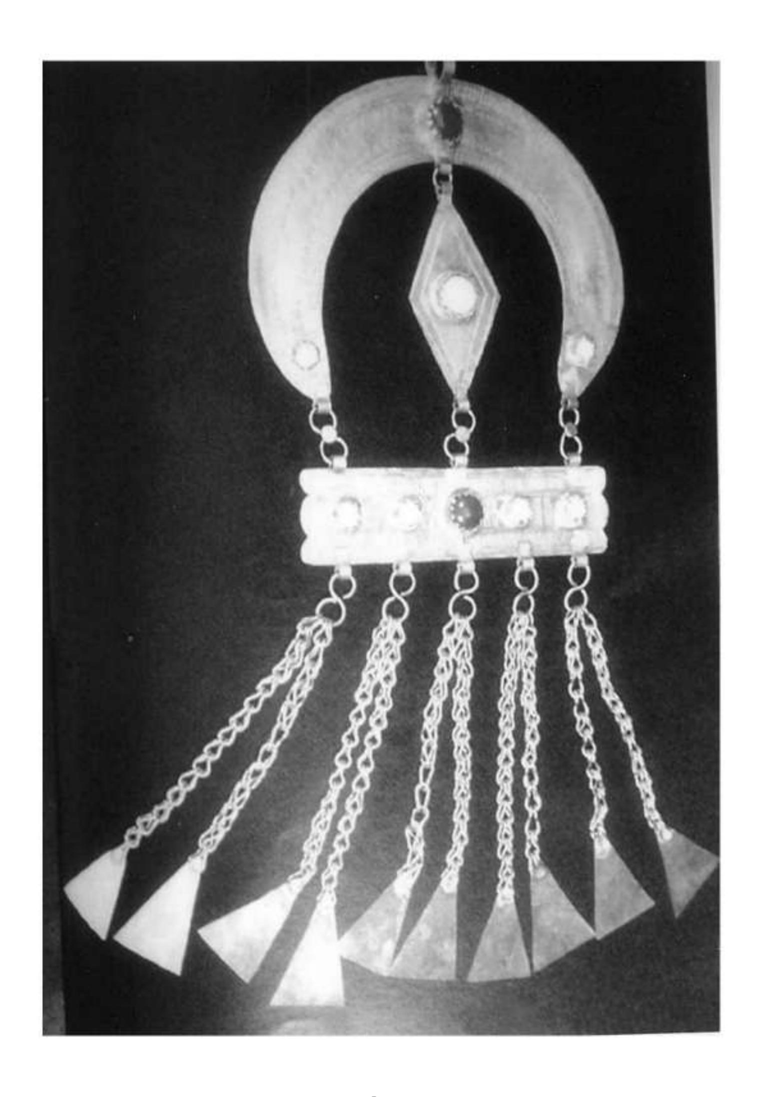


شكل رقم (١٣)
أبريق مزخرف برسومات عبارة عن كأس وسيفين من العصر المملوكى
القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى (فخار جبل عدة - النوبة)
Gabel Adda Nubie

C.F: Musée de la Nubie, p69.

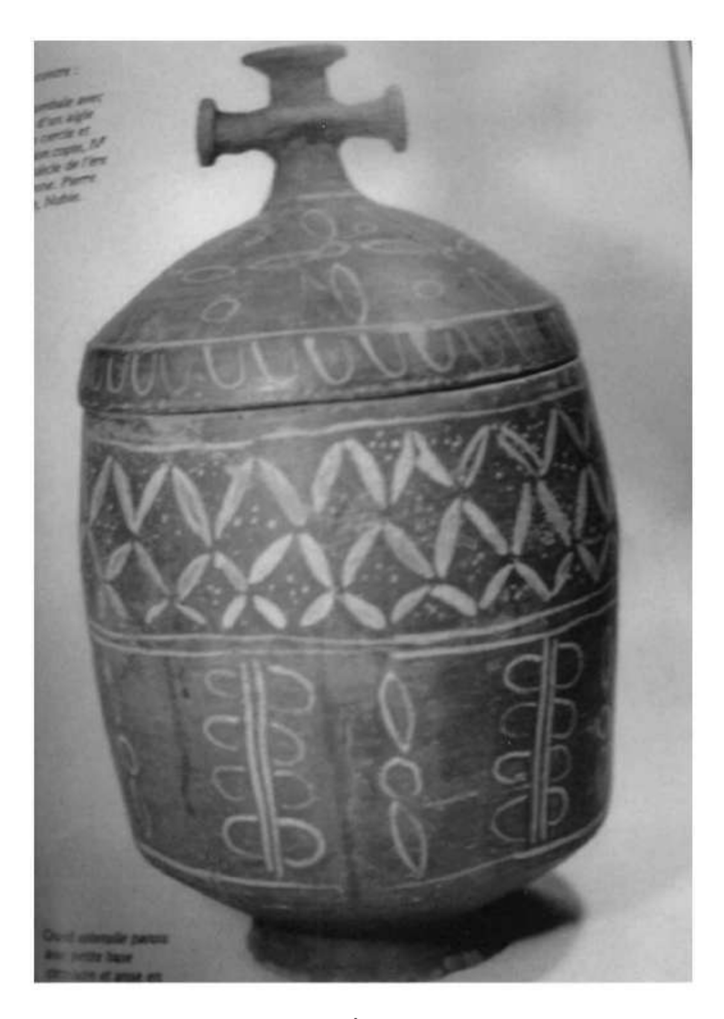


شكل رقم (١٤)
قنينة كبيرة مزينة بأشكال هندسية سوداء ترجع الى القرن السادس الميلادى (جبل عدة بالنوبة، Gebel Adda Nubie
C.F: Musée de la Nubie, p66.

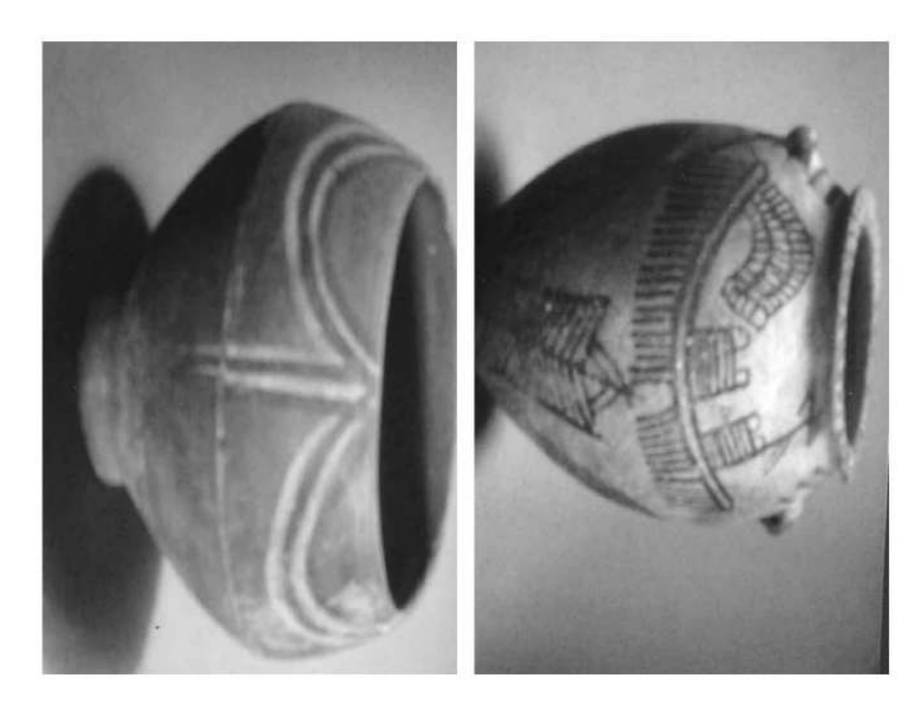


شكل رقم (١٥)
حلى من الذهب مزخرف باحجار حمراء وزرقاء محلى بالورود الزرقاء والحمراء

Musée de la Nubie, p71.



شكل رقم (١٦)
آنية فخارية كبيرة بقاعدة صغيرة دائرية، وغطاء قمته على شكل صليب، ترجع الى القرن العاشر الميلادى من الحقبة المسيحية بالنوبة من وادى السبوعه بالنوبة Wadi Essebau Nubie
Musée de la Nubie, p63.

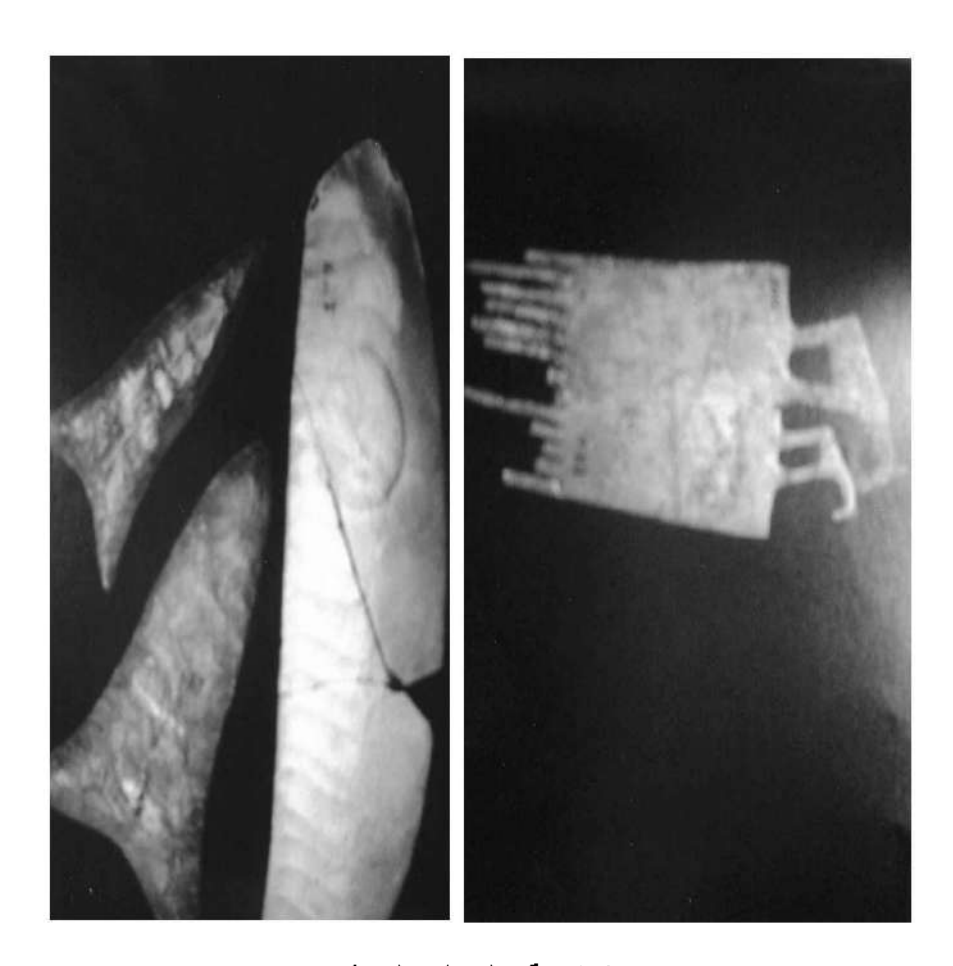


شكل رقم (١٧) ، (١٨)

فخار النوبة

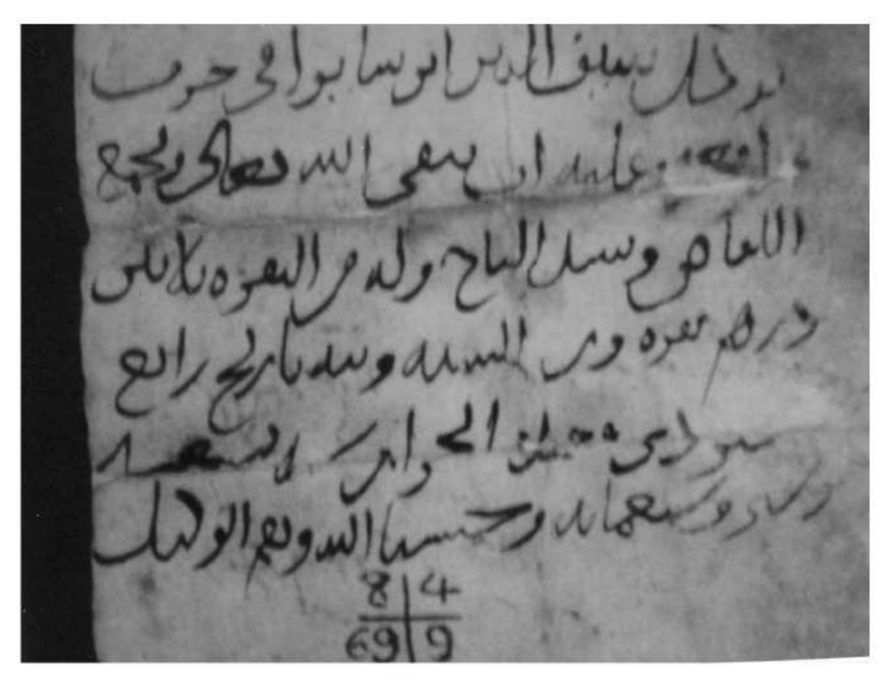
وعاء من الفخار من خزف استخدم فى الفترة المسيحية بالنوبة

Musée de la Nubie, p51.



شكل رقم (١٩) ، (٢٠)
من ادوات المرأة النوبية فى المنزل.
- مشط من العاج تستعمله المرأة النوبية ضمن أدوات الزينة.
- نصل سكين من الحجر الصلب الذى اذا اصطدم بالحديد يعمل شرر صغير، وجد ضمن منطقة كشتمنه بالنوبية، ودرع فى شكل ذيل سمكة من الحجر الصلب

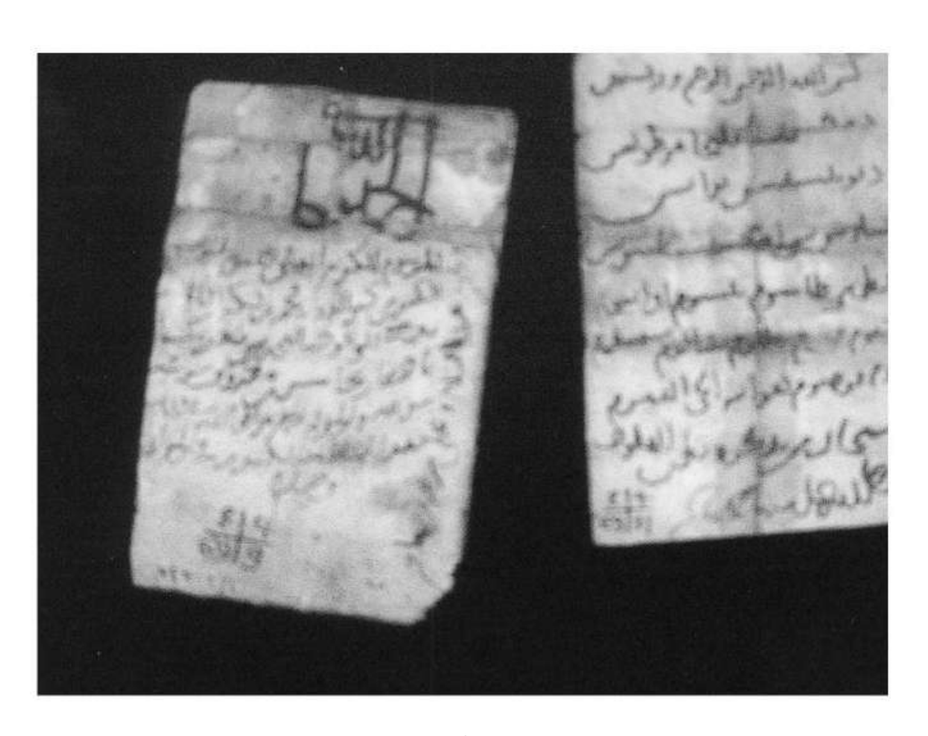
C.F: Musée de la Nubie, p49.



شكل رقم (٢١)

مخطوط من العصر المملوكى (القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى، على ورق الكاغد؛ مكتوب بالحبر الأسود: وجد بقصر أبريم بالنوبة Qaser Ibrim, Nubie

Musée de la Nubie, p70.



شكل رقم (٢٢)
مخطوط من العصر العثمانى (القرن السادس عشر الميلادى، يحوى بعض الآيات القرآنية) مكتوب بالخط الاسود، وجد بقصر أبريم بالنوبة
Qaser Ibrim, Nubie
Musée de la Nubie, p70.



شكل رقم (٢٣) ، (٢٤)
شاهد قبر وجد فى دبيره مؤرخ من عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م.
شاهد قبر مكون من خمسة عشرة سطرا، عليه كتابة بالخط الكوفى من العصر الاخشيدى. من تافا بالنوبة Tafa, Nubie
Musée de la Nubie, p68.

المؤلف فى سطور

دكتور كرم كمال الدين الصاوى باز.

- دكتوراه التاريخ الإسلامى والوسيط، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩١م. امتياز بمرتبة الشرف.

الخبرة الاكاديمية:

- الاشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة القاهرة.
- استاذ مساعد بالمملكة العربية السعودية (الرياسة العامة لتعليم البنات) جيزان - الرياض.
- استاذ مساعد التاريخ الاسلامى والوسيط بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهر.
- شارك بأوراق بحثية فى مؤتمرات عدة فى جمهورية السودان، وتشاد، والمملكة العربية السعودية - والجمهورية التونسية، والجماهيرية العربية الليبية ومالى.
- الباحث التقنى بمركز البحوث والدراسات البردية بجامعة عين شمس ١٩٨١-١٩٨٣م ٠شعبة البرديات العربية) .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

بعض الأبحاث العلمية التى نشرت:

- الصراع بين العرش والعلماء فى سنغاى من ٨٦٩ - ٨٩٩هـ / ١٤٦٤-١٤٩٣م ، مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية (نشرة خاصة محكمة، العدد ٢٢ عام ٢٠٠٠م.
- ديوان الكانم والبرنو: نموذج مبكر للعروبة والاسلام فى تشاد، ندوة اللغة العربية فى تشاد الواقع والمستقبل يناير ٢٠٠١م.
- كلوة مركز الثقافة العربية الاسلامية فى شرق افريقية عصر اسرة المهدلى العربية ٦٧٦- ٨٢٤هـ/ ١٢٧٧-١٤١٢م ندوة اتحاة المؤرخين العرب بالقاهرة (الندوة الثامنة عام ٢٠٠١م.
- نظم التجارة الصحراوية بين المغرب الاقصى والسودان الغربى فى الفترة من ق ٨-١٠نـ / ١٤-١٦م) تونس ندوة الصحراء والانسان معرفة لكسب المهارات وحسن التصرف ٢٧-٢٩ ديسمبر ٢٠٠٣م.
- البيت والعائلة السنغائية زمن أسرة الأسكيين، ندوة المجتمعات الافريقية بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، مايو ٢٠٠٥م جامعة القاهرة.
- مصر والنوبة فى عصر الولاه دراسة فى التاريخ الاجتماعى فى ضوء أوراق البردى العربية، مكتبة الانجلو المصرية ٢٠٠٦ .

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس: